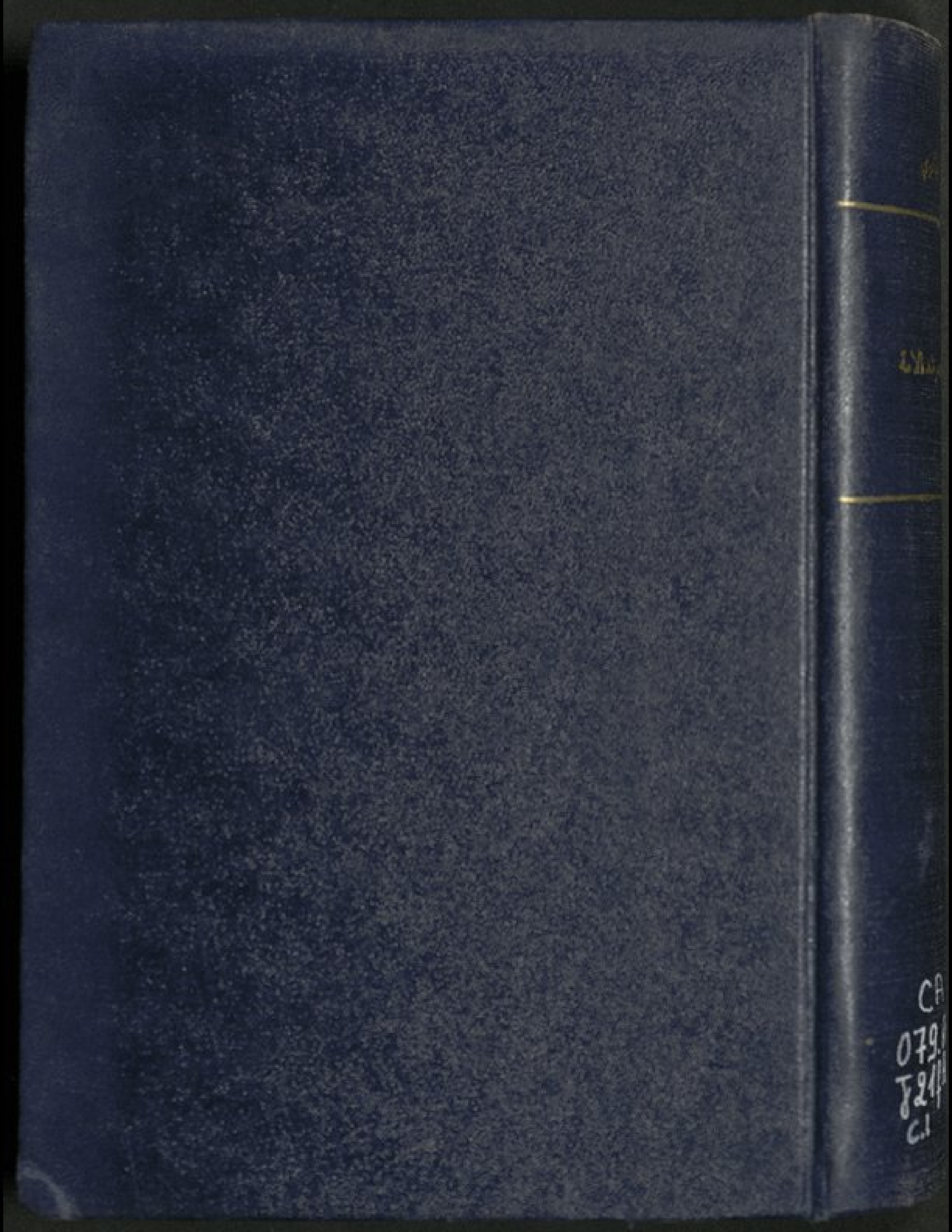
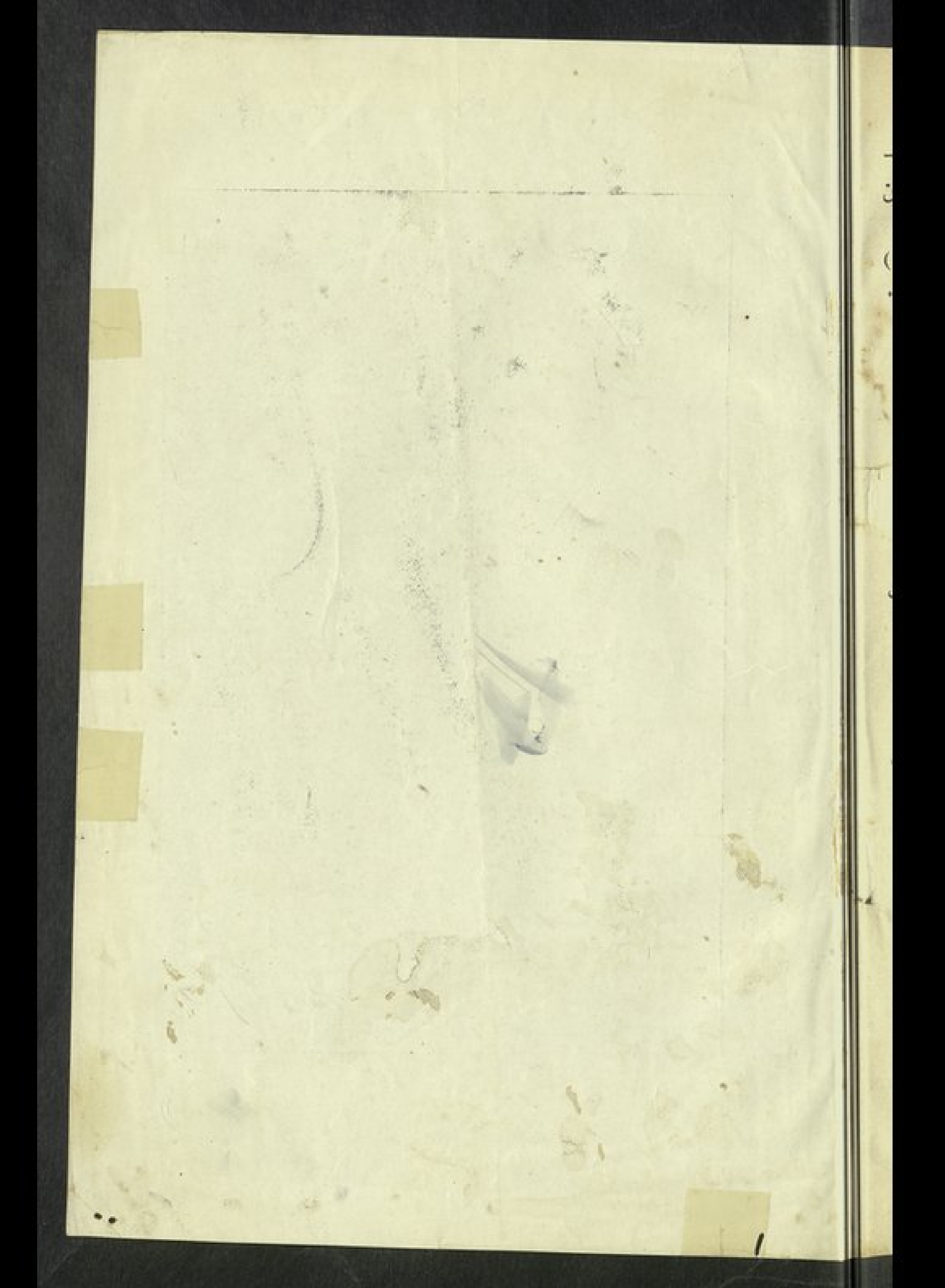

CA
079.1
J24
c.1

فهرست المنتخبات

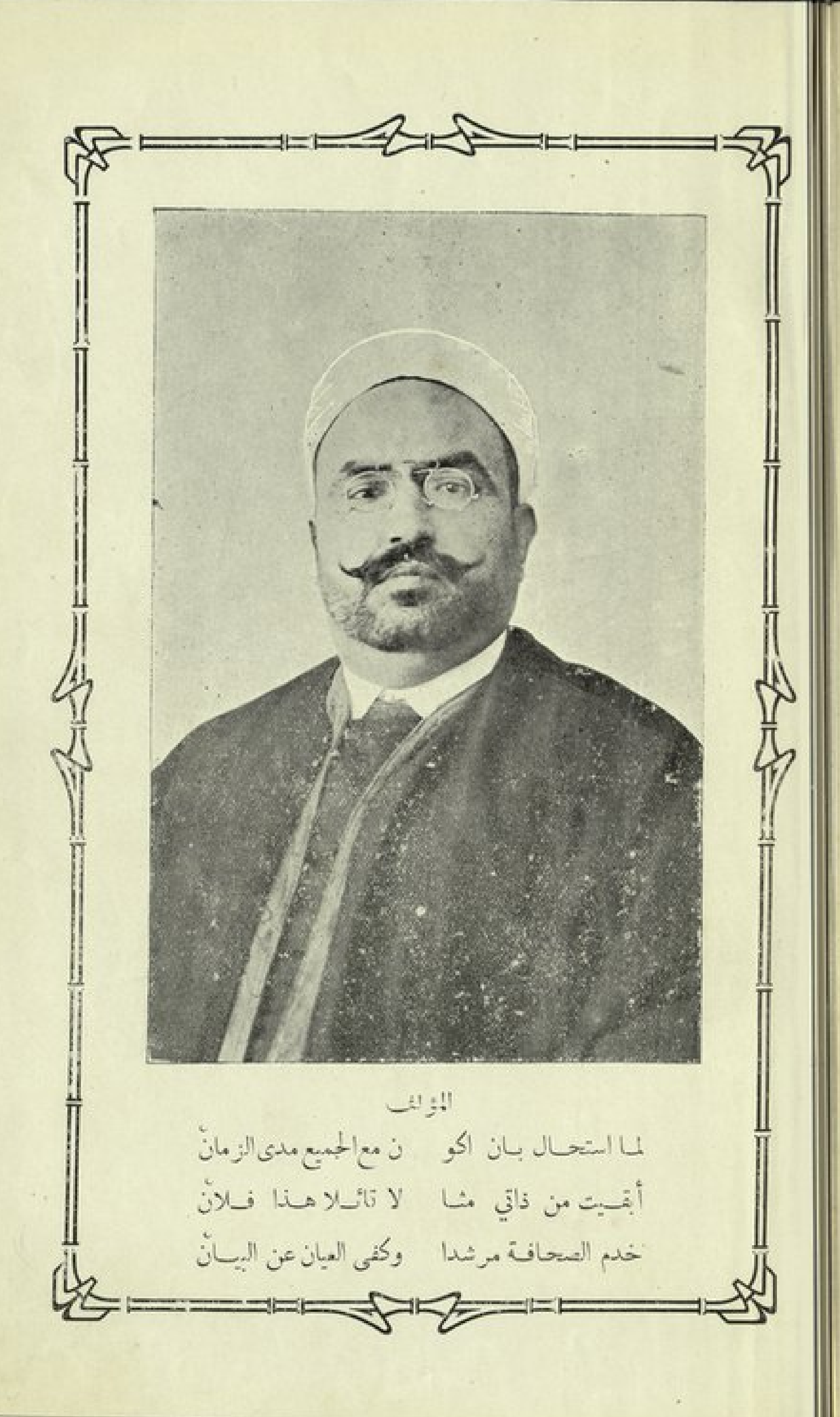
﴿ فهرس ﴾





وفد المرسى ـ هو وفد الامة المتركب من سائر الطبقات الذي واجه سمو الامير المقدس سيدي محمد الن
باشا باي يوم ٣ شوال سنة ١٣٣٨ بقصر المرسى على الساعة السادسة مساء من ذلك اليوم التاريخي العظيم [illegible]ي
عرض فيه الوفد بالنيابة عن الامة طلب اعلان الدستور من الامير . راجع صحيفة ٣٥٢

اصلاح في بعض النسخ صحيفة ١٢ من المقدمة سطر ١٥ . بيانه : (عن تخصيص يشعر بتقديس اوصاف الخ)

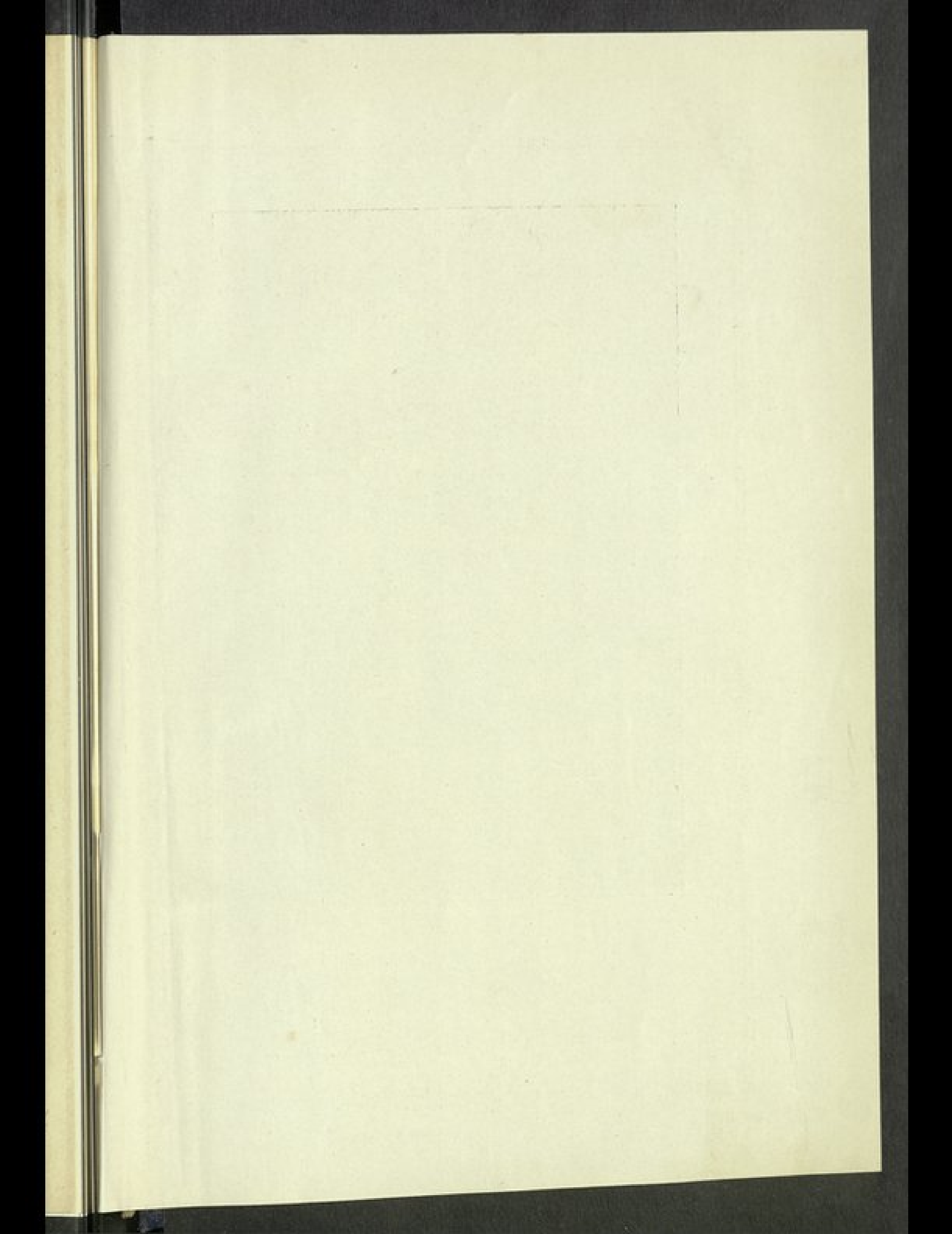


المؤلف

لما استحال بان الكو   ن مع الجميع مدى الزمانْ

أبقيت من ذاتي مثا   لا قائلا هذا فلانْ

خدم الصحافة مرشدا   وكفى العيان عن البيانْ



الفوائد الجمة

في منتخبات مرشد الامة

تاليف

فقير ربه سليمان الجادوي

صاحب جريدة المرشد ومرشد الامة و (ابونواس)

ثمنه ٣٠ فرنك بالحاضرة

تونس

المطبعة التونسية ـ نهج سوق البلاط عدد ٥٧

١٣٤٣ - ١٩٢٥

فاتحة

بسم الله الرحمن الرحيم

ان احسن ما ذاقته السنة التحرير والبيان * واطيب ما شمته انوف مباني التحبير والتبيان * واسمى ما انتعشت به العقول والافهام * وابهى ما خطته على الدفاتر الاقلام * حمد من قال . والعصر ان الانسان لفي خسر إلّا الذين ءامنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر .

فنحمده جل ذكره حمدا يد خلنا في رضائه * ونشكره شكرا نستحق به وافر الائه وسوابغ نعمائه * فقد ارشدنا سبحانه الى العمل * وامرنا باتباع اقوم السبل * ونهى عن الاياس لداعي الاسترسال * وحظر السكون لمحض التفويض والاتكال * وجعل الامال لحكمة بواعث تتجدد * والاماني دواعي وهمما تستورد * ثم اخفى توقيت حضور الامر في كامن الريب * وطوى السعادة وراء حجب الغيب * حتى كان من المحمدة استسهال الصعب * ومن الفضيلة مكافحة الكرب * ومن الشهامة منازلة العطب ومقارعة الرعب * ومن الشمم نبذ الاستكانة * ومن العزة طرح الاستخذاء وترك الاستهانة * كل ذلك تحقيقا لفطرة ءاخر الموجودات صونا * وجريا اثر جواذب هذا العالم كونا * في تائيد حكمة عمران الارض * بدفاع الله الناس بعضهم ببعض * وتبعا لناموس تنازع البقاء * والطموح الانساني لحب الجلوس على عرش التقدم والارتقاء * لان الاستصعاب فوت * والتسليم موت . والاقتناع من معضلات الامراض * التي يعقبها فناء وانقراض . . . . . .

جاء في شرع الفلسفة ان حد (الحركة) في ذي الوجود العرضي ما معناه

ان الشيء اذا كانت حركته من مركزه الى محيطه كانت نموا وانهاضا ٭ وان كانت من محيطه الى مركزه كانت نقصا وانقراضا ٭ وان لم تكن لا من ذا ولا الى ذاك كان جمادا لا حياة فيه ....

وان من سر ذلك السر ٭ ان الناظر في اطوار البشر ٭ فانه يرى رقيا ونزولا ٭ ونموا وذبولا ٭ وتفرقا واجتماعا ٭ واحجاما واندفاعا ٭ وسيدا ومسودا ٭ ووارداً وموروداً ٭ وحاكما ومحكوما ٭ وهاضما ومهضوما ٭ ومقتحما لركوب المخاطر ٭ وفارا يرى السلامة اين رباة الاساور ٭ ومستزيدا في العمل ٭ وراكدا يمن على الحق الامني في الاكتفاء منها بالوشل ٭ وانه ايما شعب خنع ٭ او قيل قنع ٭ إلا كان نصيبه الاذلال ٭ ومستنامه الاستعباد وسوء الحال ٭ لان النواميس الكونية ٭ والقواعد العمرانية ٭ لا تخالف لها بحال ٭ ولا يعتورها انتقاض واستبدال ٭

الا ترى الى الاوائل كيف اشادوا فحللنا ٭ وغرسوا فاستثمرنا ٭ وكتبوا فقرأنا ٭ ودونوا فتعلمنا ٭ والفوا فاستفدنا ٭ وبرهنوا فاهتدينا ٭ وشرحوا فارتوينا ٭ فاذا لم ياخذ كل جيل من حيث وقف العاملون فيه ٭ واقتصر على ما ورثه مما بين يديه ٭ كان سكونه ابلاء لاعيانه ٭ ووقوفه فناء لاكوانه ٭ سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا ٭

فاللهم يامن ايدت العاملين ٭ وخذلت البطالين ٭ واستدرجت الظالمين ٭ وامهلت العادين ٭ وارجأت المتجبرين . لسر لا نعلمه ٭ وشان لا نفهمه ٭ استمنحك التوفيق والعون ٭ واستوهبك الحفظ والصون ٭ وارجوك العصمة من الغواية ٭ وحلول منازل الهداية ٭ وخلوصا في الكد ٭ ووصولا الى القصد ٭ والخاتمة الحسنى ٭ عند ظهور المعنى . .

ثم نسالك صلاة كاملة ٭ وتسليمات عامة شاملة ٭ على نور الانوار ٭ وسر الاسرار نبيك الاعظم ٭ ورسولك الاكرم ٭ سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) الذي ختمت به رسلك الاكرمين ٭ وانبياءك المنذرين ٭ ورفعته الى القرب من حضرة قدسك ٭ واسمعته صرير اقلام سرك ٭ ورحمت العالمين برسالته التي جعلتها خالدة سرمدية ٭ وبشرعه الابدي الجامع لشتات المنافع الدنيوية والمصالح الاخروية ٭ بحيث لم

يشذ عنه ما يلزم لتدبير شؤون البشر * من آمن منهم ومن كفر * شريعة انقذت الانسانية، واحيت الحرية*وامات الهمجية، شريعة ايدت العقل وفككت قيود الفكر وكسرت اغلال العلم والعرفان .

شريعة الرحمة والعدل والمساوات * شريعة المدنية والنظام * شريعة مكارم الاخلاق والنزاهة * شريعة الفضيلة والصحة والرياضة * شريعة التآلف والالفة والتحابب والتكارم والواجبات البشرية على الاطلاق *

فقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم مما رواه الربيع ابن حبيب البصري وغيره من رجال الحديث رضي الله عنهم اجمعين ما مبناه او معناه ما ياتي

جاء في الحث على طلب العلم وانه لا نهاية له قال : من قال ان للعلم غاية فقد بخسه حقه ووضعه في غير منزلته التي وضعه الله فيها

وقال خذ الحكمة ولا يضرك من اي وعاء خرجت * وقال اطلبوا العلم ولو بالصين *وقال طلب العلم فريضة على كل مؤمن ومؤمنة * وقال من اراد الدنيا فعليه بالعلم ومن اراد الاخرة فعليه بالعلم ومن ارادهما معا فعليه بالعلم *

وجاء عنه صلى الله عليه وسلم في الحث على العمل

اعمل لدنياك كانك تعيش ابدا واعمل لاخراك كانك تموت غدا * وقال افضل الاعمال الكسب الحلال * وقال طلب المال فريضة على كل مسلم * وقال من سعى في حل فكالمجاهد في سبيل الله *

وجاء عنه صلى الله وسلم نحو الجامعة البشرية العامة والخاصة

الاسلام الى الجماعة احوج من الجماعة الى الاسلام * وقال لن تدخلوا الجنة حتى تومنوا ولن تومنوا حتى تحابوا * وقال * المومن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا * وقال لا يجوز لامرء مؤمن ان يهجر اخاه فوق ثلاثة ايام وخيركما من بدا بالسلام * او كما قال *

وجاء عنه صلى الله عليه وسلم في رفع شان المراة واحترام جانبها وتحريرها من القساوة الجاهلية

احملوا النساء على اهوائهن * الجنة تحت اقدام الامهات * وقال ما اكرم النساء

الاكريم وما اهانهن الالئم ⁂ وقال كلكم راع وكل راع مسئولا عن رعيته ⁂ (١) وقال اطع امك اطع امك اطع امك اطع امك ولا تعص اباك ⁂ وقال صلى الله عليه وسلم لسائق ابل عليها نساؤه ⁂ رفقا بالقوارير ⁂ او يعني نساء الركب مطلقا تعزيزا لشان المرأة الواجب الرفق بها ونسخا لعقيدة الاعراب في حط جانبها وتاديبا وتعليما ⁂ وجاء عنه في الصحة والارتياض

سلوا الله العافية فان احدكم لم يعط بعد اليقين خيرا من العافية وقال احب اللهو الى الله الرمي وركوب الخيل ⁂ وقال روحوا القلوب ساعة فساعة ⁂ وقال المومن القوي خير من المومن الضعيف ⁂ وقال الطهور شطر الايمان ⁂ او كما قال صلى عليه وسلم ⁂ الى غير ذلك من منزول عليه ومانور من سنته صلواة عليه وسلامه مما هذا وسمي من وابل قطر ⁂ او رشفة من خظم بحر ⁂ ويسلمه كل معاند انه السياسة الاهلية ⁂ والرحمة الربانية ⁂ والشريعة الدايمة الى آخر ادوار الانسانية ⁂

دين جاء حاثا على العلم ⁂ حاثا على العمل ⁂ حاثا على العدل ⁂ حاثا على التراحم ⁂ حاثا على مراعات الازمان ⁂ وتطورات بني الانسان ⁂ حاثا على الجد والعزم ⁂ والتوكل والحزم ⁂ داعيا الى التحابب ⁂ نادبا الى المؤاسات ⁂ ناعيا التفرق والمنازعات ⁂ مرغبا في الصلح والمصالحة ⁂ وكضم الغيظ والمسامحة ⁂ موجبا فعل الفضيلة ⁂ محرما ارتكاب الرذيلة معلنا بان بني الانسان في الحقوق سواء ⁂

فاللهم يامن رحمت العالمين بشريعة هذا النور المحمدى . وافضت النعم عليهم بدينه الابدي ⁂ وايدته ونصرته باصحابه الكرام ⁂ وانصاره العظام ⁂ على قلة عددهم في بدء اصداعه بما امر بتبليغه منك وعنك ⁂ حتى نشروا دينك في ارجاء الارض التي اوحشها توحش ساكنيها بكفان اغمر اكنافها في الطول والعرض ⁂ فانقلب الكفر توحيدا ⁂ والضعف تاييدا ⁂ والجهل علما ⁂ والهمجية تهذيبا وفهما ⁂ والانحطاط رقيا ⁂ والتخاذل اتحادا قويا ⁂ والجور عدلا ⁂ والحروب الجاهلية امنا شمل الوعر والسهل ⁂ والاختلال انتظاما ⁂ والمخاوف اطمئنانا وسلاما ⁂ ففتحوا واستولوا وحكموا فعدلوا ؟ ولم ينتهكوا عرضا ⁂ ولا افتكوا

(١) في الواجبات العائلية التي تشمل المرأة

ارضا ﴿ وتحكموا في القلوب قبل الرقاب ﴿ حتى سار الامن ايغالا تحت لوائهم الى ان شرب من المحيطين ﴿ واستقى من المعينين ﴿ ونزل كشغر من الصين واحتل (بواتي) من بلاد الغلوائيين . . . . .

وناهيك بحزم واخلاص واحد منهم رضي الله عنهم من فاتحي المغرب عندما بلغ الى المحيط الاطلانطيكي ازجى بفرسه في اليم ولما بلغ الماء الى صدر فرسه ضبط عنانها وصاح قائلا (رب ورب محمد لولا ان عاقني هذا الماء لذهبت الى الاقطار النائية لنشر اسمك الاعظم في ممالك ذي القرنين فاحارب في سبيل دينك واقضي على كل كافر بك) (١)

فلو عمل المسلمون باوامر دينهم ﴿ واهتدوا بهدي شريعة رسولهم ﴿ واقتفوا اثر سنن اصحابه وعملوا عمل من جاء بعدهم ومن بهم اقتدى ﴿ وبسيرهم اهتدى ﴿ ما رايتهم اليوم وهم ربع البشر (اي اربعمائة مليونا تقريبا) في اسر واضطهاد ﴿ وامتلاك واستعباد ﴿ وهم في شغل شاغل من تفرق مذهبي ﴿ وتفاخر نسبي ﴿ وتباغض طرقي وتسافل خلقي ﴿ وترفع حسبي ﴿ وتنابز لقبي ﴿ وتقاتل على احتكار الهداية الاخروية ﴿ والاستئثار بالجلابيب السنية ﴿ وتحارب على نيل التأمر . وتهالك في حب الرئاسة والتكبر ﴿ وتحاسد على الفقر ﴿ وتناكر في السر والجهر ﴿

والكل على خراب ديارهم اعوان ﴿ وعلى استمرار اذلالهم للمتسلط اخذان . حتى تبعثر هذا الملك العظيم ﴿ واقتسم وهو التراث الجسيم ﴿

فياويح العلماء على هذا الاهمال وهم الوارثون ﴿ ويا شقوة للامراء والكبراء وهم المتسببون ﴿ ويا وجلهم اذا ما امتحنوا استجوابا ﴿ وأبتليوا ولم يحرو جوابا ﴿ ورحم الله من قال :

ما ذا يكون جوابكم انبيئكم ... وبساط عذر القول غير ممهد
ان قال لم (٢) فرطموا في امتي ... وتركتموها للبلاء الانكد

---

(١) ثبت تاريخا ان البحر الذي ولجه هذا الصحابي العظيم هو مرسى السوس الاقصى . وعليه فيفهم من كلامه رضي الله عنه انه على علم من عمران بشري وراء المحيط . وهي امريكا . اما بعلم اكتسابي او لدني . . فتامل

(٢) استفهامية سكنت لضرورة الوزن

فاللهم * فان كان هذا الغضب منك جزاء على الانحراف * وعقابا على تجنبهم الصراط السوي وانتهاجهم طريق الاعتساف * فاعفو عنهم والهمهم الرجوع الى المحجة البيضاء فانك عفو غفور * قولك الصدق * ودينك الحق * والاستقامة عليه تحفظ من الانتقام * والسياج المنيع من الانتقام * انك لذوا مغفرة للناس على ظلمهم يارب العالمين

اما بعـــد

فان من يرسل النظر سابرا اسرار تطور الانسان وباحثا عن الدواعي والاسباب التي جعلته يتدرج في المراقي الفكرية ويتوسع في الحاصلات المادية الناتجة عن المدارك العقلية . يرى بوجه جلي ان كل تطور دخل فيه شعب من الشعوب لم يحصل الا في وقت صار فيه الهيكل العام من الهيئة الاجتماعية مستعدا وقابلا للدخول فيه . كما ان تلك الاسباب او الدواعي لا تخرج عن شان واحد هو الاضطرار اما طردا او عكسا . اي احساس يسوقه او ارهاق ملقى عليه ....

لان القاء الانسان بهذا الوجود الماهول بساطا وسقفا على حالة جهل به قد جعله يفكر في دفع الاخطار عن حياته الطبيعية فيه او من بطش العادين . ثم ارتقاء وسيادة فحكما ....

وهي فطرة خص بهـا الانسان دون مشاركه في الجنس مشارا اليها والله اعلم في قوله تعلى (وقد خلقكم اطوارا)

وان ذهب بعض المفسرين ان لم اقل غالبهم الى ان الطور مضغة فعلقة الخ او على تباين في الالوان والطباع والقامات وغير ذلك مما لا اشارة فيه للتطور الفكري واحوال العلم . لانها احوال لم ينفرد بها الانسان وحده بل شاركه فيها الحيوان بل وحتى النبات ايضا . وان الاية سيقت مساق الاستنكار في عدم الرجاء على الوقار وشكر نعمة الخلق على ذلك . وعليه فالذي يظهر ان ادخال المعنى الاخير الذى هو موهبة كبرى ومنة عظمى خص بها الانسان دون الحيوان الذي الهم ادراكا لحفظ حياته ونسله في دائرة محدودة لم يتجاوزها منذ عرف في هذا الوجود اجمل في المقام والله اعلم

قلنا آنفا ان التطور في الانسان موجبه الاضطرار بنوعيه فنعم . كمـا ان اندفاعه نحو الرقي شان لا غاية له وامل لا ينهى بحد محدود . وذلك لافتطاره على

النفور من القهقرة والتدلي وتطبعه بنهب اسباب الرقي نهبا، وحبه الحياة الاستقلالية والسيادة بالجنس حبا جما ......

قال بعض الحكماء ما معناه ، انه ليس لاميال الانسان حد يصده للوقوف في مركز لا يتخطاه بل انه كلما وصل لغاية شخص للحصول على غاية ابعد منها ، لدخول الاولى في حوزته وصيرورة الثانية في حيز الامكان عنده بما يجده في نفسه من البواعث على الاستزادة كحصول الارتياح الموجد للنشاط والمثابرة ، بحيث يستصغر في نظره ما ناله باتساع دائرة الامال والطلب .....

كما جاء ايضا في هذا المعنى ، انه ايما امر التمسه الانسان فلا بدله من الوصول اليه ، ما صبر على الطريق واستصغر ما يلحقه فيه من المشاق والصعوبات ....

حتى قال بعض فلاسفة هذا العصر الغربيين ، ان العقل الانساني قد تعلق غرضه بالخوارق فاستوضحها علما ؟ وقد انصرف الى استكشاف القطب الجنوبي فسيصل اليه في يوم من الايام رغما عما لاقاه من الاخطار لان العلم سيذلل له ذلك.......

كما توجه للبحث عن امكان تذليل المستحيل العادي كالسفر الى القمر او المخابرة مع ساكني الكواكب ، فانه غير آئس من تحقيق المستقبل له ما هو طالبه ويجيء يوم ينتصب فيه بريد الاخبار بين سكان الغبراء وافقها وانتظام قافلة المناطيد الهوائية تمخر ما بين الدهماء والفلك الصقيل من الفضاء ....

قال ذلك مساقا اليه بالانبهار الحاصل من المعجزات العلمية الناتجة عن المجهودات الفكرية في انسان اليوم ، ثم صرح مفتخرا عن الاوائل بانه خير منهم لا من حيث العلم بل من كونه علم وانه جاهل وهم ادعوا انهم علموا (وهم لم يعلموا شيئا) حيث ايتنه ما عليه انسان الان ، وعلم منه ان المستقبل مملؤ بعجائب المخترعات وخوارق العلم بلا نهاية ...

وهو قول منه اذا لم يحمل على وجوب الاغراق في الطرق الاستكشافية وتشديد النكير على الخضوع لمدلول قولهم هذا مستحيل ....

او لم يقصر مراده فيه على اوائل قيدوا العقل وغللوا الفكر ومنطقوا دائرة للعلم اضيق من سم الخياط ، فانه قد افترى عن اسلاف البشر المؤسسين اساسه والذين لهم فضل وضع القواعد وتبويب الابواب للولوج

على اننا لنا الفخر بما جاء عن اوائلنا مما يدفع الى طلب المستحيل لداعي الشروع في العمل وقتل الاياس، كأثر ان العلم لا حد له، وكم ترك الاوائل للاواخر، ولو تعلقت همة ابن آدم بما وراء العرش لناله، الى غير ذلك مما يعسر استقصاؤه فتامل

قلنا آنفا ان التطور في الامم لا يحصل إلَّا بصيرورة الهيكل الاجتماعي قابلا الخ.

وذلك لاعتبار الهيئة بالنظر اليه كالواحد بالشخص من حيث الاحوال، وان الفرد لاينعت به إلَّا بعد اندفاعه نحو الرقي ومشاهدة الانتقال الحالي عليه بالاستنارة التي تكسبه التدرج في مراقي الصعود، كذلك الشعب باعتباره جم اتحد او فرد تعدد فهو غير خارج عن ذلك المفهوم بحال ....، غير ان التطور في الشعب اعم من ما صدقه الفردي لشمول معناه للتطور السياسي والمادي والاخلاقي والنظام الحكومي، وربما انعت به مستقر الشعب (دونه) من ارض وحواضر وملك ذي حدود وسلطان ....، وهذا مما لا يمكن انكاره ولا عدم الاقرار بصحته لمشاهدته بالعيان على الوجه العمراني من حياة امم الارض باطلاق ...!!!

خذ لك مثالا تطور الامة التونسية الذي هو القصد من كتابنا هذا على صدق ما اسلفنا بيانه فانك تجد ان التطور فيها لم تمطره السماء ولا انبتته الارض وانما هو ناشيء عن تقادح فكرة فردية تمشى تحت اشتعالها افراد منها في طرق استوضحوها وقد قاموا دونها من قبل، وكذا تعظم الانوار من قدح ولمح فتبوبج (١)

ثم توسع ذلك النور وان شئت قلت الشعور الى ان شمل هيئة اجتماعية عامة تشعر بالام غير فردية، وتحس بعاطفة عمومية، عند ذلك صح الاخبار عن الشعب بان الانتباه قد عمه وانه توسط مسالك التطور والنهوض.

وهنا يجب استطراد ذكر كلمة حول التطور الشعبي من انه اذا اخذ يتوسع وينمو فلا امكان لصده ولا سبيل لايقافه عند حد معلوم، لان محاولة ذلك منه بمثابة صد الانسان عن امانيه الفطرية التي كان مصدرها منبعث النور منه، ومن المسلم ان النور لا يحجب قهرا ولا يحدد ارهاقا وان ضبطه ملحق بالمستحيل باقسامه الثلاث ....

---

(١) يقال تبوج البرق اذا اغمر السماء اضاءة (نساي)

نعم قالوا ان الاستبداد معطل للسير المسترسل او الحثيث فيه . غير انهم قالوا ايضا وان يخدره في سيره لكن يؤلد فيه وثبات يسترجع بها ما فاته ان لو ترك وشانه في التدرج الطبيعي ....

ولدت حركة التطور التمديني التي نحن في حلقة من حلقاتها في الشعب التونسي اواخر القرن المنصرم اي حوالي سنة ١٢٦٦ بسبب مصالح انتظم في سلك حكمها الاستقلالي المثقل بكوارث الاطلاق ومصايب الارهاق . طبق ما اشرنا اليه آنفا وجريا على قاعدة السنن الكونية من ان المصلحين في الامم هم كاصحاب الشرائع السماوية في القيام باصلاح العائلية البشرية ومقاومة الفساد الذي يتولد من الاهمال وتقادم عهد الانسان بالتكاليف ....

دب ناموس الاصلاح في هذا المحيط منذ ذلك التاريخ بدخول رجل الامة التونسية وان شئت قلت احد رجال العالم الشرقي الواضعين اساس نهضته الاخيرة واعني به الوزير خير الدين باشا بتوليته قسم بوزارة الحرب بالدولة الصادقية . ثم تدرج لوظائف اخرى كالكمسيون المالي الى ان ارتقى لمنصب الوزارة الكبرى سنة ١٢٩٠ حيث كان رحمه الله تعالى باذلا قصارى وسعه في ادخال النظام التمديني على كيان الدولة المتزعزع بالاطلاق والمخرب بسؤ التصرف الفردي . معلنا قبول الارشاد وتبادل الاراء المعينة على النهوض . ومفسحا مجالا لاخذها واعطائها حتى كان فراغه من شؤون وظيفه عامرا بالعلماء والمفكرين تطلبا منه للموازرة على المصلحة العامة ثم تعليما لها وتمرينا عليها وارساخا لقدمها في النفوس ....

ومن ثم اخذت فكرة الشعور بالواجب الاجتماعي الذي كان لا يعرف له معنى . ولا يدرك له قبل ذلك العهد مبنى يتوسع شيئا فشيئا حتى ازدهرت المملكة في ايامه واخذ التطور السياسي يظهر عليها وامتد رواق الامن على ارجائها الى الحدود . ولكن من سوء طالع هذا المحيط ان كانت ايام حكمه قصيرة فيه باستفحال داء الدسائس حول اخطاره المنتجة وتغلبها عليه فاضطر الى ترك الوزارة سنة ١٢٩٤ ثم مبارحة المملكة نهائيا سنة ١٢٩٥ قبل ان تتايد امانيه ..... وهو جرم يتقاسمه ذلك الجيل المرهب بالارهاق الفردي والمثقل باثام حواشي حكمه الحالكة . ثم

علماؤه ايضا الذين كانوا في سجال التسابق على القربى وايهم اكثر نوالا فيه ......

وذلك حسبما يستفاد من مدائحهم وقصائدهم التي تزري بالمعلقات العشر . وكما لبضهم (عفى الله عنهم) الذي استفرغ كنانة القواميس اللغوية من الفاظ المديح وقلدها عقودا قريضية (يسجد لها النابغة) لرجال ذلك الدور الذي ما كتب عليهم التاريخ إلّا الاثام .

بحيث لم تجد لهم سامحهم الله تحرير شكوى حال . او خوف من مثال . او انتقاد ذي ظلم واطلاق . او ما يدعو الى التعلق بمصاح ولو يفضي الى قطع الاعناق ..

نعم بارح المملكة ذلك المصلح العظيم بعد ان ترك فيها تطورا سياسيا ونظاما دوليا لم يزل بعضه مسارا عليه الى اليوم . رغم التطور الاحتلالي الذي يزعم انه اتى بكل شيء بحيث لو استطال به المقام موازرا او غير موازر لا ابقى بها من الاساسات التمدينية ما تركه محمد علي باشا بعواصم بلاد النيل .

من ذلك تفريق السلط واحياء الشورى باجراء الدستور المعروف بعهد الامان حوالي سنة ١٢٧٧ الذي تفرع عنه تاسيس المجالس المعبر عنها بالجنايات . فسرت فكرة الاستشارة في الشئون العامة بين افراد الامة واستلانت لمشاهدة ذلك عواطف الاطلاق الفردي الذي كان يجمع في مجلس حكمه الواحد . قضايا مختلطة كدين بحجة وطلب بذكر وجروح وقصاص ..

ومنه ايضا نظام الكلية الزيتونية والتعليم الديني بها وتاسيس التعليم العصري بالمدرسة الصادقية التي لم تنتج نظائر لتلامذة عهده الى اليوم . ثم قانون الاشهاد اي العدالة المفقود النظير ضبطا واحكاما . وكترتيب المحاكم الشرعية والاحباس والتراتيب البلدية والادارية والتي لم تزل بارزة ومشارا اليها بالانظمة الخيرية حتى الان وان ادخل على بعضها من التنقيح لكنه لم يفقدها مزية عدم الاستغناء عنها اساسا واهتداء

وكذلك النظام الفلاحي واليد العاملة فيه فانه اخذ على عهده من التطور وضع الاساس في شكل لم تك غنية عنه ادارة الفلاحة في سلوكها اليوم . كقانون شركة العمل الزراعي المعروف (بالخماسة) وكقانون الانزال للاراضي الاميرية الذي يظهر منه زيادة على تلك الافادة التعميرية فانه يرمي به الى سر غامض قد فسره الزمان

بعده . وهو الحرص على تمليك الارض للمستقرين بها من العربان بوجه بات ...
و اتماما لفائدة تاريخية نضع هنا نص مكتوب وزيري في انزال اراضي وطن رياح لعامل المكان في ذلك التاريخ وهو .

انه بناء على ما قرره الكمسيون المالي (المرؤوس لخير الدين) في طرق انزال الاراضي الدولية بوطن ارياح فان العمل يكون حسبما يات

ان الماشية في البراري تكون ٢٥٠ مرجعا وانزالها يكون ٣٥ ريالا . وان الماشية من اراضي الشراب تكون ٢٢٥ مرجعا وانزالها يكون ٤٠ ريالا . وان تخلل الارض جندل او دمار فيطرح من الارض ولا يكون المطروح اقل من الربع واما الجبال فتبقى على حالها . اه

هذا وقد هجعت فكرة التطور التمديني اثر انفصال ابي النهضة التونسية عن مركزه ومبارحته للملكة التي ضاقت عن معارفه حينا من الدهر انتهى بنصب الحماية الجمهورية عليها سنة ١٢٩٩ باسم الرضاء وتحت عوامل القبول والتسليم وذلك بمعاهدة باردو . ثم ذيلت باخرى تعرف بعقد المرسى حوالي سنة ١٣٠٢ يات نص العقدين عقب هذه المقدمة

وهنا يظهر ان القلم يابى جحد ما نتج عن ايقاظ هاجعة الامس بسبب التزاحم الجديد في المعترك الحياتي حول طلاقة الفكرة التي قدم بها المحتلون في بادي امرهم الباسم عن اخاء ورخاء .. جريا على قاعدة ان الاريج اذا التصق بغيره فلا اقل من ان يترك فيه شذاه ان لم اقل يستحيل اليه اذا صدقنا صحة الانجذاب الطبيعي في متحدي المزاج ....

من ذلك حرية النشر التي لم يكن لها نظام قبل العهد الاحتلالي ولا قانون يعلم به الفكر حده في النقد اوغاية يقف دونها العموميون فيما يبدونه نحو الصالح العام من الاراء والارشاد . بل كانوا تحت رحمة الاطلاق وارادته القاسية عقابا وموجبا . وهذا مما لا يستدل عليه باكثر من قضية الشيخ بوعلاق القائل لقصيدة مخاطبا بها الامير اذ ذاك والتي نص مطلعها

باشر بنفسك امر الملك سيدنا … فان تكليف بعض الناس (١) تهميل

فانه لم يلبث إلّا وابوب السجون فتحت له واصبح تحت اقفالها وفي اغلالها لغير أمد معين وبلا حكم ولا سؤال ، مع جلالة قدره وبعد صيته العلمي ومكانته في الدين .

حتى أغمرت الافكار بالمخاوف وطوقت بالمتالف وكذلك يفعل الظالمون .

ولم تكن قبل الاحتلال من صحيفة تنشر عدى الرائد الرسمي المؤسس سنة ١٢٧٧ وكان من جملة حسنات ذلك المصلح العظيم ومسحة من مسحات المدنية الحكومية على عهده والذي قال في تقريظه استاذ القريظ الشيخ قابادو ما نصه :

ياطالبا للخبر الصادق … انعم بهذا الرائد الفائق
ياتيك بالاخبار من نقسها … منتخبا للفائد الفائق
روض من الاداب ازهاره … تحسن للناظر والناشق
وان بها الخضراء مالكها … دامت به تحمى من الطارق
يفصح عن فحواه تاريخه … انبا بخير رائد الصادق
١٢٧٧

هذا وبذكرنا لتاريخ تاسيس صحيفة الرائد التي هي اول صحيفة دورية تونسية نذكر ما يشعر بتطور القلم التونسي وارتقائه تدريجيا بالقياس على ذلك العهد وخصوصا في مناح التحارير العمومية ارشادا ونقدا : وذلك بما ثبت وان الصحيفة المشار لها على ضعف مادتها واختصاصها بالشئون الرسمية قد احتيج الى استقدام محرر لها من الخارج مع اكتظاظ هذا المحيط اذ ذاك بالعلماء لدرجة الترجيح .....

حتى كان احد اعضاد (مصلح المملكة) وهو الوزير حسين يعطي الجوائز لمن يجيد في تحريراته بصحيفة الرائد من ميزانه الخاص الى ان ارتقت نوعا ما وخصوصا في الاقتصاديات بقسميها ثم انفصل المأجور الشرقي عنها وتولى تحريرها الوطنيون الى اليوم .

ولم يكن من عذر لاولئك التحارير سوى الترفع او الابتعاد عن مواقف

(١) (يشير الى الوزير خزندار ، وقبل لزروق الساحل ...)

السياسة التي يرونها وعرة الولوج غير آمنة المروج ،لكنهم وصموا بما يروى عن احدهم من كونها بدعة داخلة عنده في قوله تعالى ، ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم الاية ....

***

مضى ذلك الدور وتوارث الفكرة افراد اشربوا حب الصالح العام وتعلقت بهم رغم الارهاق الاداري وافلاله لانتظامهم حينا بعد حين كابعاد العلامة الشيخ السنوسي اثر واقعة الجلاز الاولى ١٣٠٢ ومبارحة صاحب صفوة الاعتبار نهائيا لهاته الديار ، مجبورا في قالب مختار .... مما يدعم قولهم ان الفكرة الصالحة في الشعب لا تموت ، لانها على اكمل شبه بالنور الذي يتطلب مستقرا له من كل ملمس صقيل عند انبعاثه ، وكذلك الفكرة فانها اذا خرجت رددت واذا رددت رسخت واذا رسخت اصبحت كنسخ الراسخ من رابع المستحيلات ...... لا سيما اذا تجاوزت حد الجمع اي تعددت مشارقها فانها وان لم تثمر من يومها فيستحيل عليها القضاء ابدا ، ورحم الله من قال ، وان تكن اليوم كصيحة في واد فانها ستذهب غدا بالاوتاد.....!!!

ومن ثم انتقلت لهذا الدور الذي تجلت فيه بوجه عام ، والفضل فى ذلك لابي النهضة الثاني واعني به استاذنا سيدي البشير صفر رحمه الله تعالى الذي ارسخ الفكرة العمومية في مدارك تلامذته الكثيرين عند انهيالهم على دروسه الدافقة (غيرة وطنية) كانهيال الضمآن على الزلال ، والذي نزل البعض منهم لمعترك القيام باعباء الصحافة الوطنية غير هيابين غضب الادارة ولا انثنوا عزما تجاه مقاومتها الشديدة التي يلاقونها منها في كل آن وحتى الان.....

ذلك الشهم الفقيد ، والوطني الشديد ، الذي كان يضيف لحياته التعلمية بالمدرسة الخلدونية عمله التحريري بجريدة الحاضرة وخطبه العمومية التي يقيمها على اساس مقارعة الاستثمار القاسية حتى ارتسمت في الافكار شهامة الاصداع بالطلب والصراحة في النقد وانزال الوطنية مقامها من الاعتبار ، وناهيك بموقف من مواقفه خطيبا مفصحا عن اخطار المستقبل يوم وضع اساس تكية العواجز بين يدى كل من

فخامة لوبي رئيس الجمهورية وجلالة المقدس المبرور محمد الهادي باشا باى ، قائلا وسعوها وسعوها فانها ضيقة الارجاء قليلة الزوايا . لان سياسة ادارة الاستعمار اليوم منذرة بالفقر العام ....

حتى اضمرت الادارة ما اضمرته ثم تسارعت لاسناد ولاية سوسة له تحت ستار حب ارتقائه من رئاسة جمعية الاوقاف الضئيلة المحصول الى ذلك الوظيف السامي اكرامة لجنابه ، وفي الحقيقة ابعادا له عن العاصمة منبع الحركة والنور ......

***

كما لا يجوز للتاريخ ان ينسى حركة الاستاذ الشيخ عبد العزيز الثعالبي بعد تعطيل جريدته سبيل الرشاد وسفره الى الشرق سنة ١٣١٥ ورجوعه منه حوالي سنة ١٣٢١ بمبادي حرة وافكار عمومية واسعة اخذ ينشرها في ارجاء البلاد عن استعداد في قبولها ما عليه من مزيد .

فلم يسع الادارة إلّا حب تلافيها اذ ذاك بتوجيه قضية عليه باسم الدين . املا في انتثار عقده ، وانخان جهده ، ولكن لم يخر عزمه ، ولا تفرق جمعه ، بل كان بعد ذلك كقطب لدني الاراء السياسية ، والنصائح العمومية ، بما خص به من موهبة التاثير والمقدرة على الاستنهاض بتيسير ، وان اجل عمل قام به لهذا العهد تاسيسه للحزب الحر الدستورى . الذي القت اليه الامة التونسية مقاليد مسالتها الوطنية عن روية واستبصار

غير انه لايجحد ان تايده في بادىء امره كان بانظمام نخب من (الصادقيين) الصادقين الذين هبطوا معه الى العمل الشعبي وفي طالعتهم فقيد الوطن السيد علي باش حانبه (دفين الاستانة العلية) ، صاحب جريدة التونسي الذي لايغفل التاريخ تدوين عمله ولا ينسى الشعب التونسي اياديه الغراء ما توالت العصور وتذكر نفيه الاداري من المملكة هو ومن معه اثر اعتصاب الترنقاي الواقع سنة ١٣٣٠ ضد جور الشركة ودوسها لحقوق الوطنيين

ذلك الاضراب الذي كان اوليا في بابه حتى اشتد وقعه على الادارة لحد الجنون حيث دام شهرين تقريبا كانت عربات الشركة طالعة نازلة مع اسلاكها اتتمي الفراغ من الاضراب .....

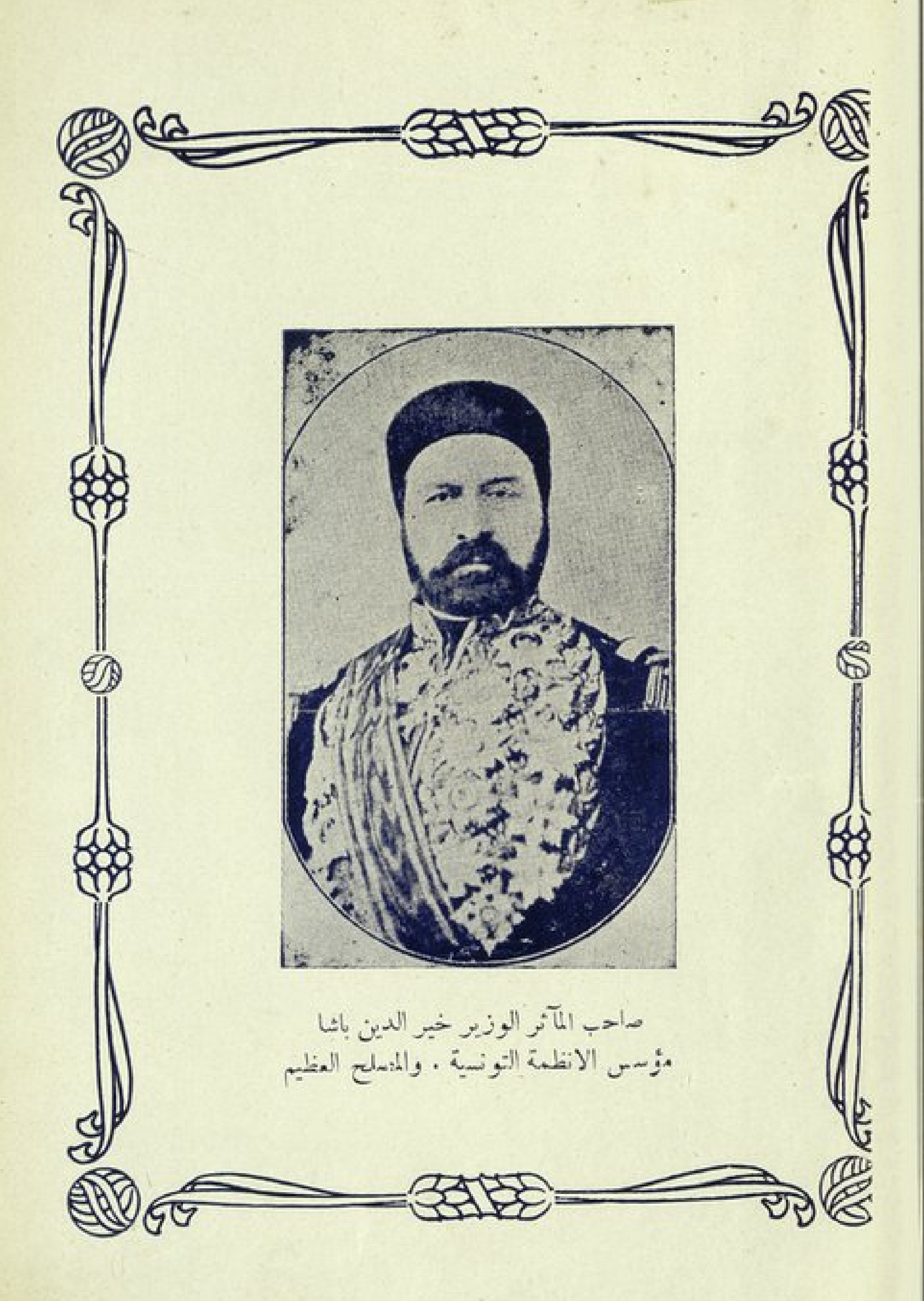
ولولا تداخل الكتابة العامة باتخاذ طرق الاجبار مع متوظفيها والارهاب لغيرهم والتوسط بمن لاخلاق لهم ؟؟؟ لرضخت الشركة لاعطاء ما هو واجب عليها من حقوق الوطنيين المهضومة . ولكن ما الامر؟ وان (الراسمالية) اليوم هو المهيمن على القوات الحكومية والمتصرف بها في العموم ....

ذلك ما تيسر ذكره اختصار حول وصل حلقات التطور السياسي والرقي الشعبي بعضها بعض نحو من نصف قرن وسط هذا المحيط الناهض بسر قد سبقت الاشارة اليه . ولم تبق إلاكلمة عن الطور الحاضر التي ستكون كحلق غير مفرغة لاتصالها من جهة بما مضى واستقبال ما هو آت من اطوار لم تزل في كامن الغيب ولذلك اقول

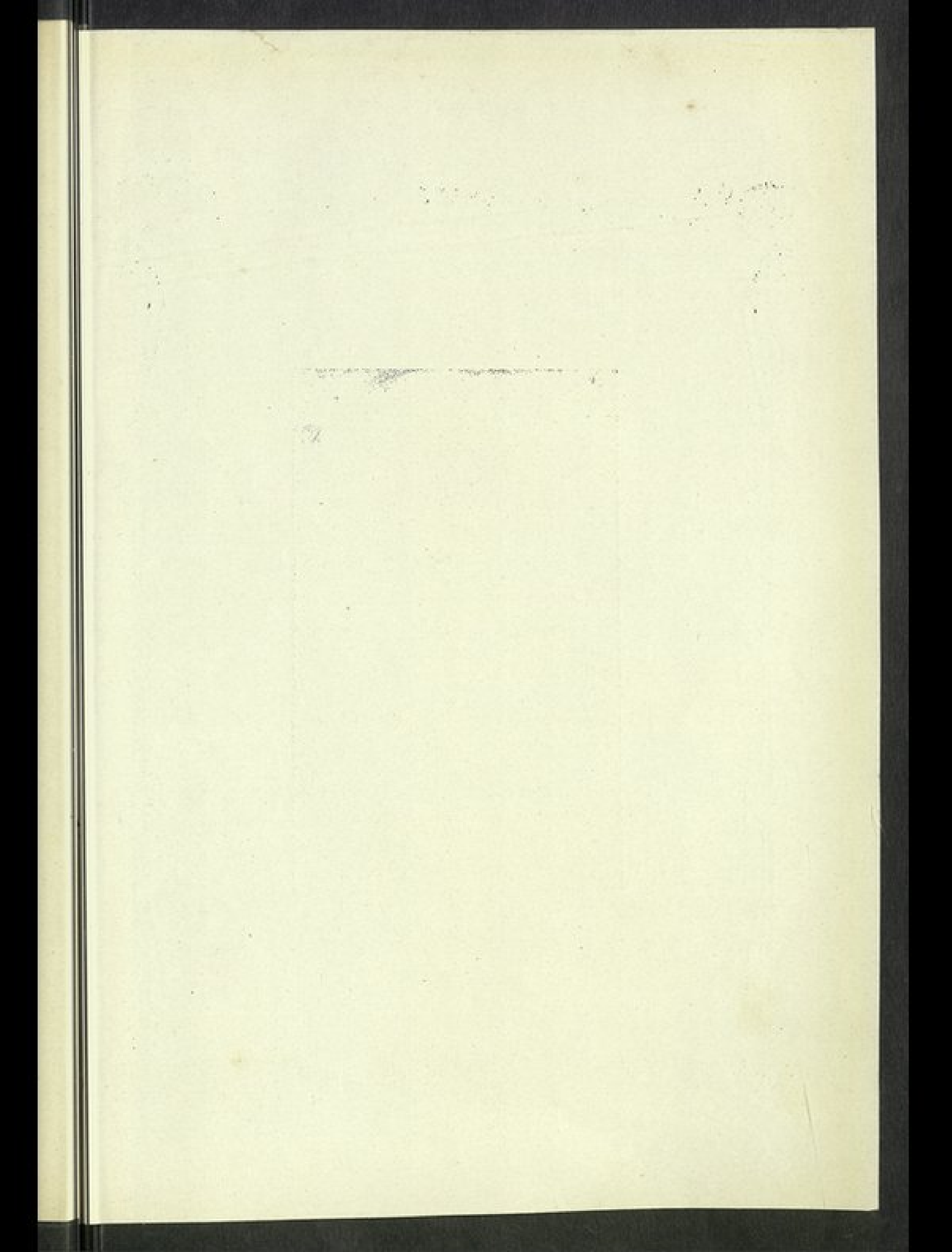
انه لما كان على كل فرد من افراد الهيئة الاجتماعية وجوب القيام باعمال عمومية النفع ووطنية القصد وكانوا فيها على تبادل في طرفي ذلك الوجوب كفاية وعينا . وذلك عملا بحكمة التيسير في تسيير كل لما خلق له . وحتى تكون المواهب هي التي تقود وحدها الى مجال القيام بتلك التكاليف والاتيان بها على الوجه المحقق الانتاج ولو تعددت الطرق واختلفت المشارب في اصل الاخذ بالمسير . لان الضالة المنشودة هي ملتقى السالكين نحوها والعاملين اليها . اي على حد قولهم ان كل الطرق موصلة الى عرفات .... الى غير ذلك مما تضيق عنه منطقة هذا التحرير بيانا ....

وحيث كان مقام الصحافة من تلك الاعمال بالمنزل الاسمى اجادة ووفرة افادة . ولا سيما في الامم المستضعفة والمغلوبة على امرها بما خصت به من استفزاز الشعور الكامن ومن قوة التاثير على الاحساس . واخص ذلك تكوينها لراي عام في الشعب الملحق قوة بالسيل العرم الذي لا يصد تياره . ولا يرجع انحداره . والذي لا يكون بدونها ابدا . كما هو المشاهد على اقطار مقفرة من النشريات الدورية التي اهلها في ظلام التصرف فيهم لا زالوا عن غير شعور وهم ساهون .....

لان الراي العام لا يجحد احترام جانبه اليوم حتى من ذوي القوات في تكناتهم فضلا عن الطغاة في مقاماتهم زيادة على شرحها للمضمرات وحلها للغوامض من الغايات وكونها داعية الهدو وركن الوقار . بحيث لا مجال لحصر فضائلها بل لا



صاحب المآثر الوزير خير الدين باشا
مؤسس الانظمة التونسية . والمصلح العظيم



موجب للاتيان بالادلة المقنعة لمن لا يرى فضلها في الناس ، لان ذلك بمثابة من يقيم الدليل على وجود النهار والغزالة مشرقة فيه ......

لهذا ولما اسلفناه من البيان بايجاز راى هذا العبد ان يقوم بواجب المشاركة في مجال القيام بالعمل العمومي ويشاطر من سبقه اليه قلما وتحريرا ، تلبية منه لداعي الضمير وعملا باثر صادق المدلول فيه وهو (وان لوطنك عليك حق) .. حيث ان الاشتغال بالخويصات مع الاستعداد جحود للنعم ، وان ترك الواجبات الوطنية العامة مجلبة للمصائب والنقم .... فدخلته خلال سنة ١٣٢٤ بعد رفع الضمان على الصحف الواقع سنة ١٣٢٢ وذلك بتاسيسنا لصحيفة (المرشد) الذي يرى المطالع نخبا من فصولها بين دفتي هذا المنتخب الى ان لاقت حتفها ضحية الجهاد الوطني بقرار وزيري اواخر سنة ١٣٢٦ يتخلل ذلك الامد القصير تحمل مقاساة ومعاناة من خطايا وسجون واتعاب ومحون علاوة على اللوم والتأنيب الاداري المختلف الاساليب الذي يندر اغفاله في كل اسبوع ، نظرا لحرج صدر الكتابة العامة عن تحمل ثقل الصراحة في النقد والشدة في البيان ، مستندة في اجراءاتها القاسية المنافية للعدالة وللحرية القانونية ، على حداثة الراي العام الوطني بالنشريات الدورية ، حتى ان القلم في كثير من الفصول تراه يجنح الى الخيال فيكتب من السماء الى الارض او من تحت طبقاتها ، اويجعل هدفه غالبا سياسة فرد من افراد الاستعماريين تفصيا من ارهاق الادارة الخاوي من المستندات ولو القريبة من المعقول جدلا (١) كالماسوف عليه مسيو دكارنيار الذي لا ينكر فضل قساوته الاستعمارية وشططه في امانيه وما يكتبه عن الوطنيين بقائم حياته في تاييد الفكرة الوطنية وتاصلها في النفوس ، بحيث ان التاريخ لا يكذب اذا عده من مؤيديها ومن مكوني الاحزاب التونسية اليوم ، وان اختلفوا في المقاصد والغايات ، لانه يريد قتلها ونحن ندافع عن حياتها حتى تكون مائلة القوام ، ولاغرابة ان اختلفت الجهود واتحدت النتائج وجنى المفرطون عكس ما يرغبون ....

كانت الادارة وقتئذ حول ذلك الجهاد الخيالي تتخبط في الغضب حيث تنظر الى

(١) راجع القوانين الدكارنيارية صحيفة ٧١

القانون فلا تجد مبررا لمرادها فيه وترى التحرير فيضيق صدر الارهاق منها فترسل وراءنا وتبدي لنا من التهديد الصريح تارة والمرمرم اخرى . ما اضحكنا يوما عند ماعجزت عن الاتيان بدليل ما، حيث قالت لنا بلسان كاهيتها المستعرب ... ان هذا الفصل متجسم شدة وانه يحدث وجعا في البطن ....

فاجبناه بان ذلك شان يخص الاطباء ... ثم اسفرت المقابلة عن ابتسام مصفر اعقبه وداع .

ومن الجدير بالذكر دليلا على جنون الكتابة العامة وقتئذ بان بلغ بها الشغف بالاعنات لحد ان امرت صاحب محل كتب على واجهته (المحل الوطني) بازالة لفظ الوطني او الوطنية قائلة له ان لا وطنية تذكر فضلا عن ان تكتب . وبمثل ذلك يامر المستبدون . فشكرا لهم ثم شكرا ....

وهنا رب سائل يسئل هل ان ادارة اليوم هي كالامس ؟ نظر الحوادث القضايا الاخيرة . او ان الحركة الفكرية هي ارقى واكثر احتراما مما كانت عليه في ذلك العهد رغم بلوغ النشريات الدورية فيه ضعف ما هي عليه اليوم .

فالجواب ان طباع السلطتين يلوح انها بمعنى تقريبا . غيران الذي ادخل مرونة على قناة الادارة لعهدنا هذا هو الشعور العام الذي سرى في الشعب وكاد ان يعم سائر طبقاته وذي حيثياته . ولنضرب لك مثلا ان قضايا الصحف التي مرت في ذلك التاريخ لم يكن لها من شان يذكر في ايام المحاكمة والنشر ولا تاثير لصدور الاحكام فيها على الهيئة الاجتماعية وان بلغت في الشدة ما بلغته بل كان اعتبارها كسائر الجنح والمخالفات . بحيث ان القضية الاولى التي اقيمت على المرشد سنة ١٣٢٤ وصدر الحكم فيها بالعقوبتين لم يحضرها من العموم إلّا النادر حتى ان المحامين الذين قاموا بالدفاع عنه طلبوا اجر الترافع وهم من الزعماء اليوم . . فسبحان محول الاحوال .....

واعجب من ذلك ان تحدث في مجتمعات من الاعيان وقتئذ . . بان الحكم كان هينا جدا وان من الانصاف شدته بالمضاعفة . لاننا في نظرهم مجرمون اردنا ان نقيم الدين في القرن الرابع عشر . (تغيير منكر وارشادا) وهكذا يتحدث الجامدون . (١)

(١) راجع فصل الشهامة خير الجبن صحيفة ٦٣

وكذلك قراءة الصحف فانها كانت همسا مع ندورتها وان حاملها يتوارى خوفا من ان يقال (فلان) بيده صحيفة سياسية ، لشدة الوهم السائد على العقول من انه فعل يغضب ولاة الامور ......

بخلاف القضايا الاخيرة وكذلك محاكمة رصيفنا العصر الجديد وتعطيل الصواب اثر اشاعة تنازل سمو الامير فانها كانت مظهرا تاريخيا عظيما وعنوانا ضخما على تأصل جذور الشعور والاحساس العام

وهو ما يمكن به الحكم على تعديل الغرض الاداري وتلطيف قساوته شيئا فشيئا تحت التاثير العمومي الذي لا يستهان بقوته الفعالة المنصوص على وجوب مراعاتها في الفصل الاول من قانون التمدن والنظام.....

ذلك بعض ما يتعلق بالمرشد واطواره ثم جاء مرشد الامة بعده المؤسس سنة ١٣٢٧ والذي انتهجنا فيه منهج سلفه من حيث المبدا الذي لم تؤثر عليه العواصف ولا ارهبته القواصف ، مع زيادة الصراحة في القول التي اوجدتها الظروف وايدها الشعور الشعبي . وهكذا سيكون الى ماشاء الله تعالى مرشدا لامته امينا .

هذا ونظرا لرغبة البعض من ذوي المكانة العالية في العلم ، واجابة لخطرات الحرص منا على تخليد اثر يجمع ما تفرق نشره من عيون فصول مرشد الامة ومختارات سلفه من قبل من كل ما ترجحت افادة حفظه من نثر وشعر ، ولم نجد وسعا غير تحقيق رغبة ذوي الفضل ، واجابة دواعي الجد والنبل . فكان حسب ذلك الطاب سفرا تاريخيا سياسيا ادبيا ، حاويا لما دون فاتحته وخاتمته لنحو من مائة وتسعين مقالا عموميا ، وذلك بعد الحذف والايصال ، والتهذيب والاكمال ، مما لا يخرج مجموعها عن اعطاء صفحة صقيلة من الحياة الفكرية في الامة التونسية تربط ما بين طرفي سنة ١٣٢٤ وسنة التاريخ ، وهو دور لا يقل عن عشرين ربيعا ، ثم اذا اضيف له ما ذكرناه استطرادا في هاته المقدمة فلا يكون اقل من ثلثى قرن وزيادة ، مما نرجو ان شاء الله تعالى ان لايذهب فيه العمل لغير الافادة والاستفادة ، وقد سميته بالفوائد الجمة ، في منتخبات مرشد الامة ، تفاؤلا بان يطابق الاسم مسماه ، وان يصيب الغرض منه مرماه ، فيكون ملحوظا من الخاصة بعين الرضاء والقبول ، وللعامة موردا عذب المراجعة وحصول المامول ....

ثم اتماما للفائدة التاريخية قد اضفنا الى الكتاب رسوم بعض رجال الاصلاح في الشعب التونسي الواضعين اساس نهضته التمدينية والمؤيدين لها طورا اثر طور، من وزراء وزعماء وصحافين . وكتاب ومفكرين . وهيآت شعبية ووفود دستورية حتى يكون اثر المصلحين في الامم خالدا ، ومصدر الاخلاص الوطني على توالي العصور ماثلا شاهدا ، والله سبحانه المسئول ان يجعله من الاعمال الواضحة السبيل ، انه ولي الاعانة وهو حسبنا ونعم الوكيل

(سليمان الجادوي)

اهـــداء الكتاب

اعتاد بعض المؤلفين واصحاب الاثار الادبية اهداء مؤلفاتهم لعظيم في الوسط الشعبي وخصوصا من امتاز في عالم الحياة النفوذية بنعوت ربما يكون لها من صلة السيادة سبب قوي او يكون الباعث على ذلك هو التقرب المحض . . . .

وهي من مبتدعات الاعاجم الذي يظهر وانها اثر من اثار استفحال سيادة سلطان الاطلاق الفردي وبلوغه فيهم مبلغه ، حتى انقاد العلم مع جلالته الى ذلك التقرب المحذوق عن غير غاية وقصد، ولم تزل تلك طريقة منتهجة الى اليوم عند اصحاب الاثار العلمية ويندر استبدالها بالوطن

ولذا فاني اختار تقديم كتابي هذا هدية الى الشعب العزيز ثم الى متنوريه والمخلصين له، وذلك ابتعادا به عن تخصيص يشعر بتقديس اوصاف فرد على التعيين ، وليبقى متناولا ما تفرع الشعب وتعاقب تجدد السنين ،

فعساه ان يكون مقبولا وان ترضي هاته الطريقة فتنتهج توطيدا لعرى التعلق بالعموم ، ولله الامر من قبل ومن بعد

نصب الحماية الفرنسوية على المملكة التونسية

نص معاهدة باردو

المنعقدة في ١١ ماي ١٨٨١

ان دولة الجمهورية الفرنسوية ودولة سمو باي تونس لما كان من غرضهما ان يمنعا الى الابد حدوث قلاقل كالتي حصلت اخيرا بحدود الدولتين وبسواحل المملكة التونسية وان يستحكما علائق ودادهما القديم وروابط حسن الجوار قد اتفقا على عقد معاهدة من شانها تحقيق مصالح كلا الجانبين الساميين المتعاقدين

وعليه فان فخامة رئيس الجمهورية الفرنساوية قد سمى نائبا مفوضا من طرفه جناب الجنرال بريار فاتفق جنابه مع سمو الباي المعظم على الشروط الاتية

الفصل الاول ـ ان معاهدة الصلح والمودة والتجارة وجميع المعاهدات الاخرى الموجودة الان بين الجمهورية الفرنساوية وسمو باي تونس قد وقع تاكيدها وتجديدها

الفصل الثاني ـ لاجل تسهيل القيام بالمناسبات التي يتحتم على الدولة الجمهورية الفرنساوية اتخاذها للوصول للغرض الذي يقصده الجانبان العاليان المتعاقدان فقد رضي سمو باي تونس بان تحتل القوة العسكرية الفرنساوية المراكز التي تراها صالحة لتحقيق النظام والامن بالحدود والسواحل ـ وهذا الاحتلال يزول عندما تتفق السلطتان الحربيتان الفرنساوية والتونسية وتعترفا باتحاد بان الادارة المحلية قد اصبحت مقتدرة على المحافظة على دوام الراحة والامن العام

الفصل الثالث ـ تتعهد دولة الجمهورية الفرنساوية بتخويل مساعدتها المستمرة

لسمو الباي وحمايته من كل خطر يمكن ان يتهدد ذاته او عائلته اويعبث براحة ممالكه

الفصل الرابع – تضمن الدولة الجمهورية الفرنساوية اجراء العمل بجميع المعاهدات الموجودة بين الدولة التونسية والدول الاروباوية على اختلافها

الفصل الخامس – ينوب الدولة الفرنسوية لدى سمو الباي وزير مقيم وظيفته السهر على تنفيذ احكام هذه المعاهدة ويكون هو الواسطة في علائق الدولة الفرنسوية مع الادارات التونسية في كل النوازل التي تهم الجانبين معا

الفصل السادس – النواب السياسيون والقنصليون لفرنسا بالبلاد الاجنبية مكلفون بحماية المصالح التونسية ورعايا العمالة وفي مقابلة ذلك يلتزم سمو الباي بان لا يجري اي عقد ذي صبغة عمومية من دون اعلام الدولة الجمهورية الفرنساوية بذلك والحصول على موافقتها

الفصل السابع – تستبقي الدولة الجمهورية الفرنسوية ودولة سمو الباي لنفسها حق الاتفاق على وضع اساس لترتيب مالي بالعمالة من شانه الوفاء بخدمة الدين العمومي والتكفل نحو دائني العمالة

الفصل الثامن – تضرب غرامة حربية على القبائل العاصية بالحدود والسواحل

الفصل التاسع – لاجل صيانة مستملكات الجمهورية الفرنسوية بالعمالة الجزائرية فان دولة سمو الباي تتعهد بان تمنع كليا ادخال السلاح والذخائر الحربية على طريق جزيرة جربة ومرسى قابس والمراسي الاخرى بالمملكة التونسية

الفصل العاشر – سيقع عرض هذه المعاهدة على موافقة الدولة الجمهورية الفرنسوية ويسلم سجلها بعد ذلك لسمو باي تونس في اقرب وقت ممكن

الامضاء – محمد الصادق باي

الامضاء – الجنرال بريان .

اتـفاق المرسى (١)

لما كانت عناية حضرة الباي المعظم متجهة الى تحسين الاحوال الداخلية في القطر التونسي وفقا لاحكام المعاهدة المنبرمة في الثاني عشر من شهر ماي سنة ١٨٨١ وكانت حكومة الجمهورية راغبة خالص الرغبة في تحقيق مراد حضرته توثيقا لعري الوداد الميمون الكائن بين القطرين العامرين اتفق الفريقان على عقد اتفق مخصوص لهذا الشان واعتمد رئيس الجمهورية في ذلك على مسيو بيار بولس كامبون وزيره المقيم بتونس الممتاز بنيشان اللوجيون دونور من صنف اوفيسي ونيشان العهد ونيشان الافتخار من الصنف الاكبر الخ . فقدم الوزير المومى اليه المحررات الموذنة اعتماده في هذه الخطة ولما وجدت في تمام احكام الانتظام ابرم مع حضرة الباي المعظم الشروط المبينة في الفصول الاتية

الفصل الاول ـ لما كان مراد حضرة الباي المعظم ان يسهل للحكومة الفرنساوية اتمام حمايتها تكفل باجراء الاصلاحات الادارية والعدلية والمالية التي ترى الحكومة المشار اليها فائدة في اجرائها

الفصل الثاني ـ الحكومة الفرنسوية تضمن قرضا يعقده حضرة الباي المعظم لتحويل او لدفع الدين الموحد البالغ ١٢٥ مليون فرنك والدين السائر الذي لا يمكن ان يتجاوز قدره ١٧٥٠٠٠٠٠ فرنك ولكنها هي التي تختار الزمن والشروط

---

(١) ان هذا الاتفاق وبالاحرى الفصل الاول منه هو الذي يستند له الاحتلال في كل اجراءاته الاصلاحية . . . .

وهو على رغم ما فيه فان مداول كلمة (الاصلاحات) هو قيد محكم لا يساعد ابدا على تسمية المسخ او القلب اصلاحا ، في اي لغة كانت ، اللهم إلّا في لغة القوة والجبروت .

فليجعل الشعب التونسي نصب عينيه هذين العقدين وليتمسك بهما حجة ما كانوا حجة عليه . . . .

الموافقة لذلك وقد تعهد حضرة الباي المعظم ان لا يعقد قرضا في الاستقبال لحساب الايالة التونسية دون الحكومة الفرنساوية

الفصل الثالث ـ يأخذ حضرة الباي المعظم من مداخيل الايالة : اولا المبالغ اللازمة للقيام بمقتضيات القرض الذي تضمنه فرنسا ثانيا راتبه السنوي الملكي وقدره مليونان من الريالات التونسية اي ١٢٠٠٠٠٠ فرنك وما زاد على ذلك يعين لمصاريف ادارة الايالة ودفع مصاريف الحماية

الفصل الرابع ـ هذا الاتفاق مكمل ومثبت للمعاهدة المنبرمة في ١٢ ١٧٨١ فيما يحتاج منها الى التثبيت والتكميل ولا تتغير به التراتيب التي سبق وضعهما فيما يتعلق بتقرير الغرامة الحربية

الفصل الخامس ـ يعرض هذا العقد على الحكومة الفرنسوية لتوقيعه وتعاد حجة التوقيع الى حضرة الباي المعظم بما امكن من السرعة وايذانا بصحة ما تقدم حرر هذا الرسم وختمه الموقعان بختمهما وكتب في المرسى ٨ يونيه سنة ١٨٨٣

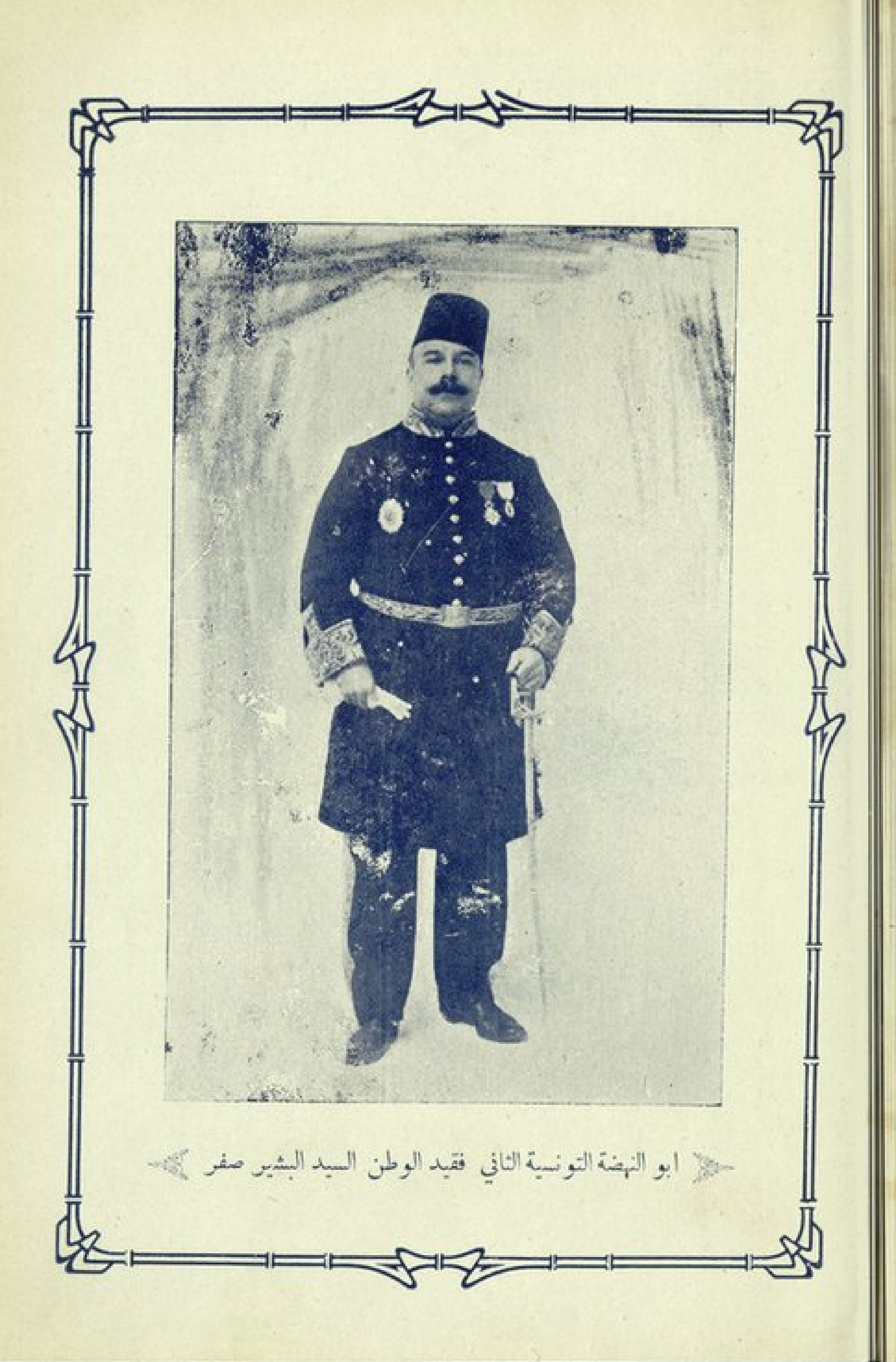
التوقيع ـ علي باشا باي

التوقيع ـ بولس كامبون

تنبيه

ينبغي لمن ملك هذا السفر ان يراجع جدول الخطا ، والصواب قبل قراءته، ليصلح مكان الغلط فيه

وهو لا يخرج عن ابدال بعض الحروف المعجمة ببعضها او اسقاط او تقديم وتاخير وكل ذلك سهل الوصول اليه، ثم اذا وقع اغفال شيء فالرجاء اصلاحه والله لا يضيع اجر من احسن عملا ،



ابو النهضة التونسية الثاني فقيد الوطن السيد البشير صفر

القوة في الاتحاد

عدد ۱۹ يوم ۲۳ جماد الثاني سنة ۱۳۲۵

لله من كلمة ثمينة وقيل سديد يمثل السعادة بجميع معانيها ويرشد المرء لمرابع النجاح واسنى منازل الفلاح علاوة عما فيه من حذر الوحشة التي هي اساس الضغائن والتحاسد وبيت التخاذل والنكائد وركن الخسران والوبال ففي ضد مغزاها الفقر . والمذلة والقهر ، والبلاء الاصفر ، والموت الاحمر ، بل عنوان الخيبة والشوم ، والحيرة والهموم ،

ادركت الامم التى اراد الله بها خيرا حقية مرمى تلك القضية المحكمة الحرية بان تكتب بمداد النور على وجنات الحور (القوة في الاتحاد) فطفقت تلتئم وتجتمع وتغرس في اشجار التحابب والوئام في فيافي التجافي والانقسام حتى اذا ما برت ودخاهـا الزهو والجـذاذ جنوا منها العز الابدي والفوز السرمدي وباءوا بكل سودد وفخار

هذه الدول ذات الهيبة والسلطان والاستيلاء على المعمور وما حوى من السكان ما كان يتسنى لها ورب الكعبة الرقي على صهوات الفتح والاستواء على عرش الاستعمار واناءة السيط والجاه لولا انصياعها لفحوى هاتيك الجملة البديعة (القوة في الاتحاد)

ها بين ايدينا تواريخها وكلها تشهد بانه لكل منها طالع ردي واول سمي يرقص لنغمات الشقاق ويذعن لاوامر الافتراق ويسجد لصلبان الاوهام ولولا النزوع عن هاتيك الاخلاق المكيدة والشيم المبيدة والاخذ بناصية التوادد والتواصل عملا بما جاء في اساطين الهدى (القوة في الاتحاد) لما رايت لها مآثر تذكر فيا للغفلة والذهول

ان الواقف على آراء فلاسفة العمران يرى الاتفاق فيها رافعا اعلامه ، على ان استقامة هذا الكون ورعاية اهله من نكبات الحدثان لا ايسر من العبور اليها والظفر بها من امتطاء متون مسومات الاتحاد والتدرع بزرد الشورى الحصين

روى صاحب مجموع اللطائف ان المهلب ابن ابي صفرة احد روساء جيش

عبد الملك ابن مروان لما اشرف على الوفاة استدعى ابناءه السبعة وابناءهم بانبائه وبذل لهم من النصائح التي تنفعهم دنيا واخرى ثم امرهم باحضار رماحهم والمونسات مجتمعة وتقدم اليهم ان يكسروها واحدا فواحد مبتدئا باصغرهم فلم يقدروا فقال لهم فرقوها وليتناول كل واحد رمحه ويكسره فكسروها بدون كبير عناء وشقاء فعند ذلك قال لهم اعلموا ان مثلكم مثل هذه الرماح فما دمتم مجتمعين ومؤتلفين يعضد بعضكم بعضا اما اذا انقطعت علائق ارتباطكم فانه يضعف امركم وتتمكن منكم اعداءكم ويصيبكم ما اصاب الرماح اه ·

هذه وصية من ابلى الزمان وامتحن طبائعه المحاقة بالعطب والكدر وما كانت لتصدر عن غير اب لولديه العزيزين الذين يسره ما يسرهم ويسوءه ما يسوءهم

لا شبهة ان من له ذرة عقل بداهة يفهم ايلولة هـذا الرشاد الخالص للحوم حول (القوة في الاتحاد) كما انه يحمد بادىء بدء ما توفق له البعض لامد قريب من احياء الحفلات النافعة والاجتماعات المباركة المنبية عن شرف شعور امتنا الضئيلة والهامها ما لا محيص عنه ازاء معترك البقاء من كل ما يبشرنا بحصول امال طالما تمنيناها وعزت ونيل رغبات كنا نخال دونها خرط القتاد هي الانصياع لاسرار تلك الفقرة الانيقة (القوة في الاتحاد) اي انموذج المدنية وهيكل التقدم في كل مكان وزمان

لا جرم وجف التونسي خيفة مما حاق به من شر الكسل والرضا بالفشل والاستكانة للتقاطع الناشي بلا ريب عن التشعب في الكلمة والعدول عن مناهج الاخاء وان شئت قلت عما يترى من خلال منحى (القوة في الاتحاد) فجعل يبعد من هوة التفرد المماسة لبؤرة الخراب ويدنو من ساحة ما يوليه الراحـة والترف والنخـوة والشرف ويجلسه على اريكة الكمال عملا بمنطوق (القوة في الاتحاد)

فكان اول خطوة خطاها في هذا السبيل سبيل النجاة من مؤرثات الانقراض هو تاسيس الجمعية الخلدونية العامرة في اوائل سنة ١٣١٤ تلك التي بذلت من المساعي الباهرة بهمة اعضائها الكرام ما ابد بقاء هاتيك المدرسة العظيمة كعبة يحجها المتعلمون من اهيل هذا القطر فيبوؤن وقد مليت اذهانهم علما دنيوي وعرفانا حيويا لا يستغنى عن اقتنائه بحال حتى اذا ما احسوا باساءة مصير الجامدين فينا اندفعوا بنذروتنا

شقاوة مسالمة الخمول والقاء العصاة تلقاء سيطرة الدماز ويحثوننا على الوقوف عند حد (القوة في الاتحاد)

هذه الجرائد الوطنية التي اصبحت ولا هم لها إلّا منابذة المحافظة على العتيق ومناركة الاقتناع بحجاب الجهل الصفيق والاتكال على خوارق العادات تارة يملا صراخها الفضاء ويبلغ عنان السماء دفاعا عن مصالحنا ودعاءا لتالفنا لم تسطر بغير يراع اولئك البرعاء الغيورين إلّا ما شذ ولا غرو فقد علموا ان (القوة في الاتحاد)

زد انك مهما سمعت بفضيلة نشرت او مأثرة ظهرت او مشاريع كونت وفحصت عن الموجد لها والمتسبب فيها فلا تلفى غير اليد الخلدونية البحتة او هي ذات النصيب الاوفر في ذلك والنادر لا حكم له ولا عجب فقد ايقنوا (ان القوة في الاتحاد)

لهذا وذاك كان الواجب على اخواننا المسلمين الذين كلفوا بحب التمدن الحقيقي والنسج على منوال الفاتحين ذوي الحياة الطيبة والعيش المري ان لا يهملوا امدادها واعانتها اتساعا لنطاقها وحفظا لكيانها من ان تلعب بها بوادر السقوط ما دامت فوائدها في نمو ونتائجها في علو وما عند العلم خير وابقى وان التكاكي على الجليل جليل (وان القوة في الاتحاد)

فما احوجنا معاشر المحمديين لايجاد فروع لها في سائر بلدان المملكة ومراكز الاعمال تطبيبا لنفوس آلمها الخمول والصبر عليها ذلك الذي ما نزل بارض إلّا أوجد لها من الرزايا والمصائب ما يقضي عليها بنحاسة المنقلب

تنبهوا يا رحمكم الله من نومة ما انامها قبلكم احد وهبوا للكد والجد في ارجاع ما اضعتم من الرفع واقلعوا عن التباطي الممل والونى المخل ولتفقهوا (ان القوة في الاتحاد)

بيننا من ذوي الثراء والميسرة من يسع رزقه التبرع بالاف الفرنكات فما اجبنهم رزقوا الهدى ان لو تفضلوا بجزء من ذلك المال العريض على تلك الكلية الجليلة معهد العلم والتعليم حتى يصح انتظامه في عقدها الجميل ولا يرمى بجهل (القوة في الاتحاد)

ان ذلك المنهل الصافي مثله فينا كمعريف نزل حيه خلاء مخوفا لا ماء به ولا مرعى فتقطعت به سبل المذاهب وخفيت عليه ادلة الوقاية من تهلكة الجوع والضماء فاخذ

ذلك الرائد الماهر يدبر في تكوين مسالك تمر بالماء الغدق والفدفد الخصيب محفوفا بالعمران ليقود له قومه المحتضرين فيعتقون من اسر المهلكات

اذا كانت هذه مثابتها فالتردد دون انجادها عار وشنار على ان المال ما خلق إلّا لان يباد في الصالحات

قطرة قلم

عدد ٢ المؤرخ ١٤ شوال المبارك سنة ١٣٢٤

كثر التساءل عن اسباب الاعوجاج ودواعي الانحطاط وتقاعس الهمم التي ضربت سرادقها بسواحل ابناء الحنيفية المستقيمة واشتد التنازل والتقاول في دواعي الانحطاط . فخلط اقوام وخلبط ءاخرون وجعلوا الدين ذريعة لذلك بزعمهم ومرمى الاستهزاء والتمشدق في انديتهم ونسبوا المتمسكين به الى الجمود والتهور وابعدوهم عن ادراك معنى التصديق والتصور ولنات بجملة مما يتقوله اهل التمدن الحاضر المارقون مع ردعهم بلسان الحقيقة والرد عليهم باصول الطريقة الجاهلين بها . لكي ينتبهوا من سكرات اضاليلهم وينتهوا عن تخليط افانينهم فنقول

ادعى اولئك ان السبب الوحيد فيما ذكر هو عدم موافقة الشريعة السمحاء للمدنية الحاضرة وانطباق اصولها على قواعد العمران ودواعي الهيئة الاجتماعية فقالوا « متى يستقيم الظل والعود اعوج » واستدلوا على ذاك بالخرافات وقبيح العادات وحالة الوقت الحاضر وقاسوا عليه الزمن الغابر وسودوا وجه الحقيقة بغشاوة التمويه والتلبيس وذهبوا بذلك مذاهب التضليل والتدليس وما علموا ان الاراجيف وان اخذت بافئدة الذين يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله إلّا الله والراسخون في العلم لا تاخذ بافئدة الذين فتح الله عليهم بانوار معارفه واطلعهم على كنوز مخبيات دقائقه وحقائقه فشربوا من عذب مشربها وقدروا الشريعة حق قدرها ونبذوا وراء ظهورهم ما في بطون الخرافات ولم يتمسكوا بقبائح العادات

حيث علموا ان ذلك ليس من الشريعة في شيء لما جاء به الدين القويم من مباينة ذلك ومن درس الكتاب والسنة وامعن النظر في فهم الايات والاحاديث وعلم زمن سالف الامة وما كان عليه رجالها المصلحون من التحلي بسائر انواع الكمالات والتقدم في مضمار كل الصناعات وسائر التعليمات عند تمسكهم باذيال شريعتهم وسيرهم على قويم منهجها من نبذهم لتأثير المصلحة الشخصية على المصالح العمومية ويواصلون ليلهم بنهارهم في ترقية ابناء جلدتهم وما يعود عليهم نفعه في دينهم ودنياهم اذ بذلك امر الدين لقول الصادق الامين صلى الله عليه وسلم « لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يحب لاخيه ما يحبه لنفسه » فانت ترى ان الشريعة نفت عنها المؤثر للمصلحة الخاصة وعدت من كان دينهم التعاون على البر والتقوى وامرهم شورى بينهم وان اشكل عليهم امر لا يعلمون الحكم فيه ردوه الى الله والرسول ولا يكون الشقاق والتنافر بينهم لتحريم الشريعة ذلك « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » ووافت بمن كان يقوم بما اوجب الله عليه من الامر بالمعروف والنهي عن الفحشاء والمنكر ولو بقلبه اذا لم يستطع بيده او لسانه حسبما امر ومن مواساة الفقير ورحمة اليتيم ومواصلة ذوي الارحام الى غير ذلك مما هو معلوم من هذا الدين بالضرورة فمن علم ذلك تبين له بالكاشف ان ما تزلف به اولئك الملحدون محض افتراء وكذب مبين ارادوا به وجه الضلال ومرضاة الشياطين ويابى الله إلّا ان يتم نوره . وان كنت اتحقق ان اقاويلهم كصرخة في واد اذ اعين القوم منهم ومن غيرهم بالمرصاد ولكن من اين لهم معرفة ما ذكروا وهل لهم دليل سوى جهلهم وهل ترى الشمس مقلة عمياء كلا ثم كلا . وهذا خلاصة ما تسد به افواه المبعدين

ولقائل ان يقول حيث كانت الشريعة المطهرة تامر بما ذكر بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وايتاء الزكاة التي هي عبارة عن اخذ جزء من اموال الاغنياء تدفع للفقراء والمساكين لسد خلة فقرهم حتى لا تصبح عالة بين الناس يسئلون غيرهم عن مسكنة وتحث عن التعاون وكل ما لنا فيه خير وتنهانا عن الرذائل وكل ضير كالكذب والسرقة والنميمة والغيبة والكبر والرياء والحسد وما شاكل ذلك من سائر انواع الموبقات التي تاباها الكرامة الانسانية ويمجها العقل السليم وينفرها الطبع

المستقيم وتطاب حفظ الدين والنفس والمال والعرض والنسب التي بها قوام دعائم العمران وعليها يدور محور بني الانسان وبالجملة فقد اشتملت على كل ما تدعو اليه الحاجة البشرية ماديا وادبيا فاي مانع يمنعنا معشر المسلمين من اتباعها والاخذ باصولها وفروعها حتى تعود لنا زهرة شبابنا ونعود لما كان عليه سلف امتنا ويرجع لنا مجدنا الاول الم يكن لنا مرشدون يسلكون بنا طرق النجاح ويهدونا لما فيه السداد والفلاح الم تكن علماء امتنا خيارها وانهم مامورون بذلك الم يقل نبينا العلماء ورثة الانبياء وان كونهم وارثين لهم لا في المال لان الانبياء لا تورث لقوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة وانما ارثهم لهم من حيث العلم والحكمة ليعلموا بها الناس كما امروا . الم يقل جل من قال فلولا نفر من كل فرقة منكم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون ومعنى التفقه في الدين معرفة ما امرت به الشريعة وما نهت عنه مما تعود علينا مصلحته ونسعد به في الدارين قال تعالى حكاية عن قارون (ابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين)

جوابك ايها القائل من دونه خرط القتاد لأن هاته المسألة من اعضل المسائل واوعصها ولكن عملا بخدمة الصالح العام نذكر لك حالة علمائنا الان ووجهتهم وما تدور عليه مجالسهم وعوائدهم وثمرة دروسهم وعلى الله المعول ومنه جل شانه العون والتوفيق

عدد ٣ يوم ١١ شوال المبارك سنة ١٣٢٤

بمقتضى ما ذكرت لك ايها السائل وما التزمت به لك تحتم علي بيانه فلا اتشاغل عن مقصودك ولا يسعني إلّا اسعافك عن مطلوبك والبحث وراء مخبياته حتى ينكشف لديك ستار ما كنت تجهله ويتضح عندك عقيم الطريق ومنتجه لانه لا يخفاك ان الاسلام محمول على عاتق العلماء لا محالة وهم ايمته وهداته وورثة من جاء به ان لو استقاموا على الطريقة . . . . . . ولست بمرتاب في ان تكلمي على

هؤلاء بما يعد شططا وعقوقا ومروقا من الدين الاسلامي عند بعض الناس الذين ضرب الله على قلوبهم صفحا فحال بينهم وبين نور الحقيقة ظلام الجهل وابعدهم عن اتباع منهجها القويم معوج تقليدهم اقوام لايريدون بهم إلّا شرا ولا يقصدون بهم إلّا ضرا وهم في غفلة عن هذا كانهم لا يشعرون . ونوم دائما لا ينتبهون ولا يتعظون ان ذكرتهم فلا تنفع الذكرى ولا يتذكرون . لاجل ما موهت في عقولهم من اضاليل الملبسين وخرافات المبطلين ونزغات الشياطين وامتزجت به دماءهم من اتباع تلك الطريقة المعوجة والمثابرة عليها والجري على منهجها والعكوف على مقاصدها فلا يبغون عنها حولا ولا يرتضون بغيرها بدلا

على انه لا ينكر ان في الامة رجال مصلحون لا يغترون بمثل تلك الاباطيل ولا تاخذ باحساساتهم تلك الاضاليل ظاهرين على الحق لا تاخذهم فيه لومة لائم ولا تزلزل اقدامهم في اتباعه صولة صائل كما قال صلى الله عليه وسلم « لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة » فاولئك هم الماسكون حقيقة بازمة الشريعة الاخذون بنواصيها الساعون بساق الجد وراء ترقية ابنائها ورشدهم لاقتطاف يانع ثمارها والاقتباس من انوارها الساطعة والاخذ ببراهينها القاطعة (قل ان الله هو الهدى) عرفوا ذلك فلم يخامر عقولهم قول مدجل ولا منجم ولا ضلالة كاهن ولا يرتضون بغير موافقة الشريعة وبميزانها يزنون كل ما يعرض على افكارهم فان وافقها اعتبروه وان خالفها نبذوه

ومن سوء الحظ ان من كان على هاته الشاكلة عد ملحدا مارقا من الدين مروق السهم عند بعض اساتذتنا اليوم وهو العامل الوحيد في سير الاسلام والمسلمين الى الوراء ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم

ولنات بشاهد صدق على ذلك وهو ما لاقاه وما تكبده صاحب النهضة الشرقية الفيلسوف الحكيم جمال الدين الافغاني ذلك الامام الذي افادنا التاريخ حسن نواياه نحو الاسلام والمسلمين وكذلك من عرف اخلاصه من بعده مثل الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده اذ ان خلاصة اقوالهما (ايها المسلمون مالكم تساقون كما تساق الاغنام وعددكم يبلغ اربعمائة مليون) الامم الغربية تخترع وتتقدم وانتم تتعجبون

مالكم لا تقتدوا بسنن من سلفكم ايها الاساتذة الكرام مالكم لا تنظروا في جانب امتكم وتعملوا بما ينفع مستقبلكم اتركوا قولكم ليس للمتاخر ان يعمل بما كان يعمله المتقدم لتغيير الزمن بتغير اهله انظروا يا علماء الاسلام يا حاملين لدعائم الشريعة المحمديه يا ورثة الانبياء الى امم الغرب المالكين لثلاثة ارباع المسلمين او يزيدون حيث جعلوكم كعبة بحثهم تتوارد عنها الاراء وانتم نائمون

لا تنظرون لصنيعهم معكم ولا لانفسكم بماذا تخرجون من ربقة الاسترقاق ولا تفكروا في حالكم ومستقبلكم من الجهة الدينية والجهة الاجتماعية والسياسية فانهم ما فكروا حتى ضربوا في كل فج وهاموا في كل واد فمن زاعم ان المسلمين سائرون الى العدم والاضمحلال لانهم اعداء المدنية الجديدة (التي هي المروق من الدين) القائم بناءها على سنن الكون ونواسه التي لا تتبدل ولا تتحول فهم لذلك اعداء الوجود ومن عاد الوجود فالعدم اولى به ومن قائل ان هذه الامة الكبيرة لا تنقرض كما انقرض هنود امركا لانهم ارقى منهم بما سبق لهم من المدنية ولكن يزول سلطانهم فلا تبقى لهم حكومة وتخطفهم الامم القوية ويعيشون اذلاء مستضعفين الى ابد الابدين ، ومن ذاهب الى انهم سيغلبون ومن بعد غلبهم سيغلبون ، واختلف هذا الفريق في هذه النهضة كيف تكون واين توجد فقال بعضهم انها ستكون بالاخذ بمدنية اروبا وتنشاء في الهند وفارس او الاستانة ومصر ورجح بعضهم انها ستكون بالعصبية الدينية والقوة الحربية وتنشاء في افريقيا او الصين

فانظروا ايها العلماء المسئولون عما ورثتموه من الرشد والحكمة من الانبياء وماذا صنعتم بها مع الامة الى هولاء الناس الذين هم ليسو بارقى منكم فكرة واجود منكم فطنة كيف عرفوا طريق السعادة الحياتية فسلكوها حتى وصلوا وقادوا اقوامهم وبني جلدتهم لها فاخلصوا وتحصلوا على السودد الاعلى والسلطة العظمى وصاروا يبحثون في احوال غيرهم على اي حالة يكون مستقبلهم والى اين مصيرهم كل ذلك وانتم في غناء عنها ولا راينا منكم حسابا ولا بحثا حتى في العالم الاسرائيلي اتقولون ان الشريعة امرتنا بان لا نشتغل بمصالحنا الدنياوية او لا حظ لنا فيها او الدنيا سجن المومن وجنة غيره الى غير ذلك من الخرافات التي هي زيادات وبا للاسف في اصول الشريعة السمحاء وصارت محورا تدور عليه المجالس

بينوا لنا مستندكم في ذلك الم يكن بين ايديكم (لا تسبو الدنيا فانها نعم مطية الاخرة) اكانت وجهة من قبلكم حائمة حول المنافع الذاتية ينتفعون بها ولا يضرهم من سقط في مهوات الاندبار او بدل في دين الله او غير

ابهذا اتصلتم بشيء ممن تقدمكم كلا بل كانوا علماء الامة المصلحون خلاف ما انتم عليه الان، كانوا ينتابون من متابعة غير الحق ولو ادى ذلك الى ازهاق روحه او حطة شرفه وقضية مالك ابن انس مع الخليفة العباسي والربيع ابن حبيب مع المامون وغيرهم من المصلحين دليل صدق على ذلك

الم يكن علمهم هو الذي بايديكم وشريعتكم هي التي تتبعوها

نعم لم يبق لنا من العلم إلّا القشور والمناقشة اللفظية الخالية من الفوائد وحام حولنا وحول علومنا الصحيحة جند السوس ولم يبق لنا من الدين إلّا اسمه اذ اننا نقول بما لا نفعل بمقتضى اوامره ونواهيه فندعو الحياة ونحن اموات ونطلب الفوز بالسعادة ونحن معتكفون على ارتكاب الشهوات ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون

عدد ٤ في ٥ ذي القعدة سنة ١٣٢٤

قد بينا فيما سبق غير ما مرة حالة الاسلام وما عليه المسلمون الان من التكاسل والتقاعد الموجبان لانحطاطهم وصيرورتهم مثلة في اعين الامم الذين اخذوا بساق الجد وراء ما يخولهم حرية انفسهم والتغلب على غيرهم وقهرهم حتى تكون لهم السعادة العظمى والمرتبة القصوى في عالم التقدم وقد تحصلوا على ذلك وقتما نحن مشتغلون بالسفاسف متابرون عن التقاول والتحاسد والتشاوم لا تاخذنا في الاقتصار على حب الفخفخة والرئاسة لومة لائم وقولة قائل ولا يصدنا عن الارتشاء والاستبداد عذلة عاذل لا مذهب لنا سوى تعظيم المثرين وارباب المناصب ولو كانوا من بسطاء المجوس والتحبب والتقرب اليهم باي طريقة امكنت ولو ببذل انفس ما لدينا حتى المال والنفوس ولا نرتضي غير اهانة الفقير وقمع حقوق المسكين وصفعه ولطمه ولو

كان شريفا او من اعظم عائلة الاسلام مجدا لانه لا كلام له يسمع ولا شكوى له ترفع ولا حق له يظهر ولا ذكر له تذكر لا يستخلص من شدة ولا تدفع عنه نائبة لعدم وجود من يوصله الى مقابلة ولي امره وعلى فرضه لا يجد لديه ما يسد به فاه حتى يصدع بالحق ومن هذا وذاك انقسم الاسلام شعوبا وقبائل وتفرقوا فرقا وتجزوا اجزاء متباينة انقساما استحال معه الالتئام وتفرقة تعذر معها الانضمام فاختلفوا وتباينوا وتباعدوا بعدا يناسب فخفختهم الفارغة فكل يعمل على شاكلته مقتديا بابيه من قبله وجده ومعتنقا لمذهب ورهطه وحزبه ولم يزالوا مختلفين إلّا من رحم ربك

وذكرنا ولا زلنا نذكر ان تفعت الذكرى ان تقاعد الاسلام وانحطاطه محمول على عاتق العلماء لانهم من الامة بمنزلة الروح من الجسد واحتياج المسلمين الى علمائهم اكثر من احتياجهم الى امرائهم لانهم عصمة الدين ومناره يلتجي اليهم كل طالب نجاة من شرقي الارض وغربيها ويخضع كل واحد لاقوالهم ويقتدي كل مسلم بافعالهم لانهم الوارثون لحكمة الرسل وعلمهم (وما يعقلها إلّا العالمون) وقد بينا غاية ذلك وما نشا عن مخالفة اتباعهم لمستقيم الطريقة وما طرا عن تسربلهم بمستقبح العوائد وكف النظر عن مصالح الامة وما ءال اليه الاسلام بسبب ذلك حتى صار مثارا لاختلاف السياسيين من حيث مستقبله هل يبقى على حاله او ينحط تحت اسفل سافلين او تنتبه اهاليه فيعلوا بانتباههم كعبه يعني صلحاء الامة وعلماءها من سنة غفلتهم وسوء منهجهم او يقولوا يا حسرتنا على ما فرطنا في جانب سعادتنا ومجدنا ورقينا ولات حين انتباه

هذا ولنقل انني في حذار دائم من الاخذ بثار القائلين ملتزما التفصي من مطالعة اختلاف المختلفين والبحث وراء ما ترمي اليه غايتهم وتحوم حواليه مقاصدهم ولا اساعد نفسي على تطلب ذلك اعني النظر في مستقبل الاسلام وحاضره وماضيه حسبما يختلفون، لظني ان الاراء ربما تكون عارية عن الصحة ومحض افتراء دعت اليه مباينة الجنسية ومخالفة الديانة والوطنية ولكني على جانب عظيم من مراقبة احوالنا والتنقيب والتفتيش عن سيرة علمائنا والفحص وراء درك غاية التعاليم وهل لذلك نتيجة تعود بمستقبل السعادتين على الامة والعالم والمتعلم وهل

هذا هو العلم الحقيقي النافع الذي خول اسلافنا ما تحصلوا عليه مما انبأتنا عليه السن التواريخ ودل عليه ما هو معلوم لدى الخاص والعام من سعة السلطان ومد لواء الفتوحات في مشارق الارض ومغاربها ام العلم الذي بايدينا الان هو غير ذلك وبسبب مغايرة الروح العلمية تغيرت الذات الاسلامية وغير ممكن ان يكون الظل مستقيما مع اعوجاج الهيكل الذي تفيأ عنه الظل . . . او العلم لا زال على حاله واهله تبدلوا فلذلك وقع ما ترى وحيث لم يكن لنا بتونس كلية اسلامية سوى الجامع الاعظم جامع الزيتونة عمره الله الذي هو محط رحال التونسيين وكعبة آمالهم يأتون اليه من كل فج عميق لحط اثقال الجهل دونه والاقتباس من انوار الشريعة المحمدية والملة البيضاء الحنيفية التي مدت رواقها على دعائم ذلك البيت المعمور فلم انقطع عنه رغم انقطاعي عن التعليم به فلا زلت اتردد بالذهاب اليه وازوره اوانة بعد اخرى ويوما تلو يلوم وجعلت محادثة ومسامرة ابنائه اخواننا الطلبة نصب عيني على اختلاف طبقاتهم واوطانهم واتخذت ذلك طريقا يدلني على ما لم يزل عليه اساتذته الى الان وما يقولون به وما يعتقدونه وما يتلقون منه اولئك اذ ان انوارهم مقتبسة من مشائخهم لكونهم قبل الجلوس امامهم لا يعلمون شيئا فما وجدت منهم إلّا من يقول لا ينبغي تعلم العلوم العصرية كالجغرافية والهندسة والتاريخ والحكمة والحساب والطبيعة والطب وما شاكلها بل ذلك يعد مروقا من الدين اما تعلم اللغات الاجنبية فالالحاد بالدين ولا حول ولا

ولقد بلغني ان بعض الاساتذة اتى درسه وهو يتنفس الصعداء يكاد ان ينفطر غيضا من سوء ما بشر به ولما التأمت دائرة الدرس به استفتح كلامه باعلام الطلبة الذين حوله بفضائع انسان كان كما قال يظنه فاضلا وفضائعه هي ترك من لنظره يتعاطون بعض اللغات الاجنبية وبسبب ذلك شدد عنهم النكير واستوجب منه وممن حوله الخذلان والتكفير وصارت غيبته عندهم من اعظم القربات وفعلته تلك من اشد الموبقات إلّا انه لا يستحل دمه لكونه من اعظم البيوتات ولولا ذلك لقال بوجوب قتله كانه بدل في دين الله او غير ومن الواجب عند هذا الاستاذ ومثله على كل تلميذ تقبيل راحته مهما وجده ولو الف مرة في اليوم وإلّا فهو عقوق لا يرضى

معه المولى سبحانه على ذلك ولا يستحق منه سوى الحرمان من الانارة بنور العلم ولا يتحبب لهذا الاستاذ احد ولا يتقرب اليه إلّا اذا اعتقد ان نفعه وحرمانه بيد شيخه ان شاء اعطاه وان شاء منعه وامثال ذلك كثيرة لا يستطيع السير مع تتبعها اليراع وان احوجت الضرورة الى بسط ذلك في وقت آخر ناتي على شرح ما شاهدناه وما قيل لنا اذ ليس غرضنا الان بيان ذلك ولكن متى يستقيم حال امة وعلماءها على هاته الشاكلة واذا كان العلماء بمثل هاته البساطة العمياء فعلى اي حالة تكون الجهلاء والاغبياء ولا حول ولا قوة إلّا بالله . اللهم بارك على الاسلام وارزقه مرشدا .

عدد ٥ في ١٢ ذي القعدة سنة ١٣٢٤

فتبين مما اسلفنا ان حكماء الامة وعلمائها هم العالمون باحوال تربيتها وتهذيب اخلاقها وارشادها لما فيه سدادها وتحويل النفوس من حالة النقص الى حالة الكمال وكما انهم عالمون بذلك قادرون على حمل الامة على ذلك المذهب المستقيم وبيدهم ايضا زمام اضدادها ان شاءوا اصلحوا وان شاءوا افسدوا فهم من الامة بمنزلة الاطباء ويلزم الطبيب ان يكون عالما بعلل الامراض واسبابها ودرجاتها في الشدة والضعف وحال المريض من حيث كونه قادرا على استعمال الدواء وما ينفعه منه وما يضره والغاية التي ترمي اليها مقاصده وان يكون شفوقا رحيما به صادقا امينا لا يجعل قصارى عمله لما يتحصل له من جعل المعالجة ولو لم ينفع الدواء . . فالطبيب اذا كانت حالته لا ترمي به إلّا لاغراضه الشخصية كان خائنا في دوائه واذا يكون ءالة في ايدي اعداء المريض يستعملونه لمقاصدهم من هلكة عدوهم بتدليس الادوية وغشها بما يقضي على المريض او بتركه من دون معالجة لمرضه حتى يستفحل الداء فيه فلم ينفع دواء او يطبب ما كان صحيحا فيمرضه الى غير ذلك من الاسباب المضرة للمريض اذا لم يكن الطبيب متصفا بما ذكرنا . ومثل طبيب البدن طبيب الروح ومربيها ومرشدها . يلزم ايضا اذا صعد على منصة الارشاد ان يكون عالما بسيرامته وترقيها وتقلب ادوارها قديما وحديثا وانقلاب احوالها زمنا بعد ءاخر والاسباب التي

خولتها السعادة وكيف نشا عنها من بعد ذلك علل الامراض وهل بسبب تعاطيهم ضد ما كانوا يستعملونه حتى اختطفتهم ايدي الانحطاط فاذا كان عالما بذلك لزمه ان يرشد امته ويحملهم على ظهر مطية ما يقدمهم ويصدهم على ما كانوا عليه من ركوب متن باخرة الانحطاط حيث يبين لهم ما كان لديهم وكيف انتزع منهم تدريجيا حتى لا يكاد يشعر احدهم بحركة الانتزاع ويكون من وراء مجاهدة امته بالحكمة والموعظة الحسنة فيتحصلوا بواسطته على الطريقة المثلى والصراط المستقيم ونيل خير السعادتين . فالمرشدون بهاته المثابة هم الواسطة للخلق بين الحق والباطل لا تاخذهم في تقدم سير بني جنسهم الى الامام لومة لائم . كيف وهم نصحاء مخلصون كانوا ومن ذوي الاستقامة والفضيلة بعيدي الهمة لا ينظرون الى الدنايا والمقاصد السافلة ولا يشترون بشرف هممهم التزلف والتحبب والتقرب الى ذي منصب وجاه ولا يلتفتون الى حطام الدنيا اذا كان التفاتهم فيه اتلاف لمصلحة تعم . فاذا كان في الامم امثال هؤلاء فقد استقبلتهم سعادتهم و ناداهم منادي الشرف والعز وان فقد منها اولئك فقد احاط بهم الوبال الاكبر وداهمهم العدو الاحمر واختطفتهم ايدي الجهل والكسل واغتالتهم منية التقاعد والانحطاط . والمصيبة اعظم ان رزئت الامة باناس يزعمون بانهم اطباء وهم في الحقيقة مطببون يورون للامة الدواء وهم في باطن الامر خادعون ملبسون فاذا صعد هؤلاء الجهلة الاغبياء على منبر النصح والارشاد فقد حقت كلمة العذاب على حزبهم وبئس القوم الظالمون وانذرهم يومئذ بالشقاء والعناء ومكابدة الاتعاب التي لا مناص من تحمل اثقالها إلّا اذا نبذوا تلك الطريقة وراء ظهورهم لكونها معوجة تبعد سالكها عن الوصول الى المنتهي المقصود لان القائم بدعوى النصيحة ان لم يكن عارفا بدقائقها ومخبيات زواياها يعرف بعيدها وقريبها يعظ الناس بحسب قوتهم وضعفهم مختبرا احوالهم وسيرهم كما بينا لا انقلب نصحه غشا ورشده غيا ولا ودع في النفوس رذائل الاخلاق وغرس فيها اصول الشر من حيث لا يشعر وان ذلك ليس بالفضيلة ولا منهج خير . هذا اذا كان ظنه ارادة الخير لنفسه ولبني جلدته لان غير العارف لا يمكن له ان يعرف غيره شيئا يحتاج الى المعرفة والفرض انه ليس بعارف

وبذلك تسوء عاقبة متبعيه وان لم يكن مريدا للخير بان كان يريد ان يتحصل على ما في ايدي الناس باي وجه كان كهؤلاء الزعماء الملقبين بالشيوخ وهم اعظم سبب في سير الاسلام الى الوراء واضر ضار على الدين بل لا تكاد توجد مضرة في المسلمين او عادة قبيحة او عقيدة فاسدة إلا وهم الاصل فيها وغارسوها بواسطة ما يلقونه الى العوام من النصائح الكاذبة والمواعظ المموهة والغش الملبس بالحق التي قادهم الى ارتكابها استجلاب الدراهم والدنانير وكرامة تقبيل الايدي وحب الفخفخة الظاهرية امام احزابهم الضالة وعلى كل حال فلن نرى المصيبة من هؤلاء لكونهم بسطاء اغبياء استحوذ عليهم الجهل ووجدوا من يعظمهم ويكرم نزاهم ويهديهم النفس والنفيس فعظمت عندهم نفوسهم واخذوا يتعاطون الطرق التي تخولهم ذلك من دون مبالات ولا اكتراث بمعرفة حقائق الاشياء لان قولهم مقبول لدى العامة على كل حال لا يفند فيما ادعاه ولا يكذب فيما افتى به وقد ذكر لنا بعض اصدقائنا المتنورين بانوار المعارف انه حضر منذ سنتين مجلس احد مشائخ الطرق دينه تعظيم ذوي المناصب وارباب الحيثيات ولا سيما ان كانوا من ذوي . . . . ولا مذهب له غير طرد الفقراء وعالة على المسلمين من طعام السحت الذي اتخذه حبالة لابتزاز اموال البوادي والجهلة وفي المجلس ذلك دخل خصمان بغى بعضهما على بعض حيث تزوج احدهما بزوجة الاخر مدة غيبته من غير طلقة ولا رفع لحاكم فكانت فتوى استاذ الجهلة دمره الله القول بما لا يرضي الله ولا رسوله ولا احدا من عامة المسلمين ولا استناد له فيما ذكرنا سوى جهله المركب واظهار فضله لدى ذينك البسيطين واني لم اخشى ان اذكر صورة الفتوى مع التصريح باسمه اذا لم ينته عن تضليله وغيه وضلاله المبين . . وفي فرصة اخرى ناتي بنبذة من قبائحه كامثاله الدجالين الكثيرين الذين اثقلوا كاهل الاسلام باوزار تدجيلهم . . . . وحيث كان ذلك كله بمرأى ومسمع من العلماء الحاملين لواء الشريعة فالمصيبة في الحقيقة منهم حيث لم يغيروا تلك المنكرات التي اوجب الله عليهم تغييرها ولم يامروا الناس بالبعد من هؤلاء الذين لا يريدون بهم خيرا ولم ينبهوهم بان ذلك ليس من الاسلام في شيء وانما هو محل تضليل وخداع وسيتولى الله القوم الظالمين بعقابه

العظة البالغة

او سجن سلطان جزائر القمور

عدد ١٠ في ١٨ ذي الحجة سنة ١٣٢٤

لو ان ريحا شماليا تواصل هبوبها من الجانب الشرقي لاروبا الى اقصى جزيرة في الاقيانوس الهندي فبددت سحب الجهل المتلبدة على معاهد العلم القديمة فيما بين النهرين وضفاف الخليج الفارسي وانعطف الى الشرق والغرب بعد ذلك فانعشت بنسيم الاتحاد والالفة افئدة الاقيال والامراء العديدين المستقلين أو المستظلين بحماية الاجانب ثم هزت بتيار منها اعطاف النيل واحتفت بشمال افريقية كما تحتف احضان المحب بحبيبه فرحا باللقاء واستتبعت من نقطة هذا الاشتقاق طريقها الاول فنفذت من القارة السوداء كما تنفذ من قصبة التنفس في الجسم فتجدد فيه بمزاياها الطبيعية نعمة الحياة الطيبة ثم مد مسلم الشمال يده ليصافح بها مسلم الجنوب وتساءل مسلم الشرق عن احوال اخيه في الغرب واتصل الجميع بلحمة المودة واصرة التآليف لما سقطوا في هاوية الاختلال وذهبوا متخبطين في طريق الضعف والاضمحلال

ولو ان مثل هذه الريح طهرت غرايز الدول الاروبية من شائبة الاغترار بقوتها ونكبت بها عن الطريق التي سلكتها الامم القديمة الفاتحة واتخذت ما ءال اليه أمرها من التلاشي والاندثار العظة البالغه والعبرة الزاجرة وقنعت بما اتاح لها الاستيلاء عليه بالجهل المطبق والغفلة المستحكمة والضعف المهين الناجم عن الاختلاف وعدم الائتلاف بين الامم المغلوبة على امرها لما سمعنا صوت امير مسلم يطالب بحقه فى العدل من اقصى جزيرة في المحيط الهندي الى الجنوب فتتجاوب الانحاء المتنائية من اركان الارض بصدى ندائه ولا تردده ضمائر الذين كان يعجب بمبادئهم حتى خلنا ان لا عدل ولا مدنية في العالم وانما هو الظلم قد ضرب بجرانه والهمجية قد نزلت بكلكلها

لفت نظرنا من جريدة (الجورنال) التي وردت مع البريد الاخير صورة تدل سيماها على العربي في اخص صفاته المميزة له كجمال تقاطيعه فخرجنا من ترجمة الفصل الطويل الذي كتب في شانه بان صاحب الصورة هو السيد علي بن السيد عمر سلطان جزائر القمور الواقعة في المحيط الهندي على مقربة من بلاد الهند وانه كان الى سنة ١٨٩٥ سلطان بتلك الجزر المتصرف في امورها بما هو مخول للسلاطين من الحقوق والامتيازات فخالجته ذات يوم ريبة في مقاصد احدى الدول فاراد ان يتقيها بدواء تخيل فيه الشفاء ولكنه كان جالبة الردى . ذلك انه استصرخ بفرنسا وطلب منها ان تمده بحمايتها فسرعان ما لبت طلبه واجابت لماسته باعلان الحماية وتعيين وزير مقيم يتنزل منه في منزلة الوزير المقيم لدى امراء الحمايات وظلت العلائق بين الحامي والمحمي في قصارى ما يبتغي من الوثوق الى ان اغتالت الوزير المقيم المسيو همبلويد اثيمة وابدى السلطان لهذا الحادث كدره وحزنه وانعطافه ولكن الجزيرة كانت قد منيت بقوم من الطامعين الذين يتحرون خطوات الدول المستعمرة فيما ترتاده من البلدان فلم يجد هؤلاء القوم طريقا يسلكونه لتحقيق مطامعهم ونيل امانيهم إلّا الوقيعة بصاحب البلاد لدى الحكومة الحامية بانه هو الذي دبر الدسيسة لقتل نائبها في الجزيرة وملوءا بهذا الزعم عقيدتها فلما كان اليوم الثاني من شهر اوت ١٨٩٥ دعى السلطان الى تناول طعام العشاء على ظهر السفينة الحربية الفرنسوية التي كانت راسية في مياه الجزيرة فلما صعد اليها آمنا مطمئنا قال له ربانها « انت هنا اسيرنا فلا تبرح هذا المكان » ثم لم تكن إلّا لحظة حتى رفعت السفينة مرساها وقصدت ثغر (ديجوسورز) بالجنوب الشرقي من افريقية ليقضي السلطان فيها بقية حياته في ذل الاسر بمرتب ضئيل لا يزيد على ٥٠٠ فرنك وبعد ان قضى فيه بضع سنوات بعث به الى جزيرة (الرنيون) احدى جزر المحيط التابعة لفرنسا وهو فيها لا يزال ينادي بالعدل فلا يسمع له نداء

والظاهر ان السيد علي كان في ايام عزه قد سافر الى مصر واختلط فيها بالمسيو بول اولانيه الذي كان مرخص الحكومة المصرية في معرض باريس لسنة ١٨٨٧ فلما علم هو في منفاه ان المسيو بول اولانييه نجل ذلك المرخص اصبح من مشاهير

المحامين بفرنسا بعث اليه برسالة يقول فيها « اراد الله ان يكون نجل اعز اصدقاي علي محاميا ليدافع عني ولقد وكلت اليك بهذه المهمة »

وكان المسيو بول من ذوي الاخلاق الفاضلة والشيم الطاهرة التي لم يدنسها رجس السياسة فبذل من المساعي ما ادى الى تهيئة امر عالي باطلاق سراح السلطان واثبت ان التهمة التي نفي بها كانت نتيجة مكيدة مدبرة من قبل لاغتيال ماله ولم تكن ناجمة عن اغرائه الاشرار على الفتك بالفرنسويين الذين استصرخ بدولتهم لحمايته ووصل ما بينها وبينه بروابط الود والولاء كما يقول في رسالته لجريدة الجورنال :

« انني من سلالة النبي الكريم ومن تلك الامة العربية التي اشتهرت بشهامة النفس وعلو الهمة ودانت لها الاقطار والامصار لهذا كنت كثير الاعجاب بالامة الفرنسوية لشرفها ومجدها ورايت فرضا علي ان استمنحها حماية بلادي . ولم يكن السبب في اقصائي عن بلادي المروق عن طاعتها او العصيان عليها وغاية ما اعلمه من امر ما انا فيه انني دعيت لتناول طعام العشاء في سفينة حربية فقيل لي فيها انني اخذت اسيرا وجردت من املاكي الواسعة وقد امضيت في المطالبة بحقي اثنى عشر عاما بلا جدوى ولا فائدة »

***

ولا خلاف في ان السلطان السيد علي مهظوم الحق من الدولة التي دعاها لامتلاك بلاده ومد رواق حمايتها عليها ولم تكن قبلا من ذوات المطامع فيها وقد اعترفت هي بحقه وبان البلاء الذي نزل به كان من تاثير سعاية الطامعين فيه بدليل انها اصدرت الامر باطلاق سراحه منذ فصل الصيف الماضي ولكنها لم تطلب التصديق عليه من رئيس الجمهورية لترددها في تنفيذ ما قررته باديء بدء بعلة ان الغير من شركات وافراد قد حلت محل السلطان في امتلاك املاكه الواسعة وسكنى قصوره الشامخة

ولكن هل يكون هذا من الاسباب لمنع اعطاء الحق لمن يستحقه بعد ان تحققت براءة الرجل مما عزاه الواشون اليه وهل لو هبت تلك الريح التي اشرنا اليها في صدر مقالنا كان السلطان السيد علي وامثاله الذين امتازوا بالكثرة مع الافتراق وضعف الجانب مع التخاذل يستصرخون بالاجنبي ليكون عونا لهم وظهيرا على اعدائهم فيلبس لهم جلد النمر ويغتالهم بمخالب طمعه بل هل كان ذلك العضو اذا اصابه المرض

لا تتداعى اليه الاعضاء الاخرى ؟ هذا ما نبسطه على امراء الاسلام للتعاون فيه وليذكروا قوله تعالى « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم »

الاسلام

ماضيه وحاضره

عدد ٨ في ٢٦ ذي القعدة سنة ١٣٢٤

سنسعى في هذا الفصل في تجلية الاسلام الخالص الذي كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه والتابعون الى نحو مائتي سنة بعد الهجرة، لانه قد آن الزمان الذي يجب على كل ذي غيرة اسلامية ان يعمل فيه جهده لارجاع الحياة الى امته التي تتنازعها الشبه والشكوك والبدع حتى اصبحت حيرى بين يدي الحوادث من جهة دينها ومعقولاتها واحساساتها وعواطفها وفي حاجة شديدة الى عقول المتنورين من ابنائها . ويظهر لنا انه يجب على كل مفكر الان ان يجاهر بفكره غير خاش لومة لائم . وحرام على كل ذي بصيرة نافذة ان يكتم ما عنده حفظا لمركزه او مداراة لرؤساء وظيفته فقد برح الخفاء وصار من الجبن الادبي ان يكتم المصلح فكرته في الاصلاح بعد ما تبين له ان الكتمان لا فائدة منه إلّا اقرار الداء على سريانه وما وراء استشرائه إلّا البلاء المحدق والخطر المرهق . وعلام يكتم المصلح فكرته بعد ما ظهر له ان داء الجمود سرى في كل طائفة من طوائف الامة فاصبح العلماء بما ادخلوا انفسهم فيه من الانقطاع للاقاويل المعضلة وفك رموز كلام بعضهم بعضا اعجز الناس عن رد شبهة او دحض فرية او اقامة حجة وقد علمت العامة منهم ذلك فلوت الكشح عنهم وتركتهم وشانهم. وصار العامة بما وقر في نفوسهم من عجز علمائهم وعدم غنائهم عنهم في حالة فوضى لا ضابط لشهواتهم ولا رادع لاهوائهم. ومن اخطر الاخطار

ان يستهين العامة بالدين وسوف ترى عامة الجيل الاتي ولو دام الحال على هذا المنوال اشد على الهداة من اصعب الملحدين مراسا واشدهم باسا كما هو شانهم في اوروبا واصبح متنورو الامة بما يرونه من حال العلماء وجمودهم على ما لا يتفق مع عقل ولا طبع مستقلين في ارائهم متقاطعين في دعاويهم لكل منهم مذهب خاص فاصبح منهم الملحد البحت لا يصدق ببعث ولا بثواب ولا بما فوق ذلك من العقائد الغيبية ومنهم المصدقون بذلك على صفات كونوها في افئدتهم واستمدوها بظنونهم . ومنهم من تراكمت الشبهات على اذهانهم ففاضت على افئدتهم فلم يعرفوا لهم مركزا بين الشكوك والحيرة . ومن الناس غير من ذكرنا وقد جمد الكل على ما عنده يأسا من المخرج وقنوطا من وجه الخلاص . فما معنى سكوت المصلحين واصحاب البصائر السليمة الذين يعرفون الحق ويكتمونه في انفسهم واي جريمة اشد عند الله من امساك اصحاب الافكار العالية عن الخوض فيما يصلح حالة الامة في اقدس شيء لديها مراعاة لطائفة من الطوائف او اراحة لنفسه من المشاغبات ؟

انا لنعلم ان في هذه الامة رجالا يعرفون الحق الصراح ويعتقدون ان الامة بحذافرها الان ليست على الاسلام الخالص الذي جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وانما هي على شكل من الدين ظاهره الاسلام وحقيقته تقليد الملل الاخرى ويعرفون تبعا لذلك ان هذا الشكل لا يعلو عن متناول الشبه ولا يخلص من المطاعن التي تعم سائر الاديان ولكنهم يكتمون ذلك مداراة وخشية

نحن كنا مثلهم نكتم ما عندنا ولا نفاتح به إلا امثالنا ولكننا راينا من الكتمان ما لا يجر إلا زيادة البلاء واستعصاء الداء . والى متى وقد جاهر الملحدون بالحادهم وصرح الشاكون بشكوكهم واعلن المتالمون عن آلامهم افنكتم نحن ما عندنا من قواعد الاصلاح فيكون الملحدون في الحادهم والشاكون في شكوكهم اشجع منا في معرفتنا بوجه النجاة وادراكنا لحقيقة الاسلام وتحققنا المنفعة من نشر ما نعلمه فنقول والله المستعان

جاء الدين الاسلامي وفي العالم ملل لها كتب سماوية ورياسات دينية قوية وعلوم وآداب ملية وشروح وتاويلات في المعارف اللاهوتية وكل ما يختص بالامور

الروحية وكانت الشعوب دائنة لهذه الملل وراضية بحمل نيرهـا ومتعصبة لها غاية التعصب . جاء الدين الاسلامي والناس على هذا الحال في مشارق الارض ومغاربها فاتى للعقول بشيء من الدين واضح المباني جلي المعاني ظاهر المرامي والمقاصد قويم المناهج والمراشد . التفتت له الامم في بساطته وسماحته وامكان الالمام بمجموعه في سويعة من زمان . نظرت الى ما عندهـا من مسائل ومشاكل وما شرحت به من مقالات ومؤلفات ركمتها الاجيال الماضية وشرحتها الاجيال اللاحقة فجاءت علما وان كان ثابت الاركان ومشيد البنيان مؤيدا بالحجة والبرهان ومحوطا من العلوم الجدلية باسوار من بيان . ولكن ليس فيه ما تطلبه النفس من روح الدين وانوار اليقين . فهو بناء لا يتردد النظر في فخامته وشموخ بنايته . ولكن للروح من الدين معنى آخر ليس في هذه المباني الشامخة عينه ولا اثره . فلذلك لم ترد لاهيا عن لهوه ولم تردع سفيها عن جهله ولم تاخذ على النفوس مسالك الرعونة فتزعجها الى النظام وتهيب بها الى السكينة حتى ان حفظة الدين انفسهم سقطت منزلة الدين من اعينهم وجلت معانيه عن افئدتهم فتركوا لانفسهم عنان الشهوات فجرت بهم في ميادين المنكرات اشواطا بعيدة وما زالوا كذلك بين التنويه والحيلة في حـال كلها تصنع وتكلف حتى جاء الاسلام بتلك البساطة الفطرية والطلاقة الالهية فئانست الارواح فيه مطلوبها فاهرعت اليها الوفا وملايين حتى دخل فيه من الشعوب المختلفة نحو من مائة مليون من النفوس في اقل من قرن واحد . رغما عن جهل الاقوام وتعصبها وصد القادة لها عن مرغوبها . وما زال الاسلام يتوالى حتى انحرف المسلمون عن صراطهم فاعقب ذلك جمودهم الذي هم فيه الان . فبقت بقية الامم في غيابة الغباوة كل جامد على عقيدته حتى جاء دور العلم الاوروبي في اوروبـا فتلتل بالناس الى النظر والفكر وحثهم على التعلق والتـامل ثم واجههم بمقررات العلوم الطبيعية وحقائق المعارف الكونية فاستنارت عقولهم بنور العلم ثم نظر الى ما ورثوه من العقائد فاذا بها مجموع افكار المتقدمين ومبلغ علوم الاولين مما اثبتت لهم الفلسفة التاريخية والعلوم الطبيعية والعمرانية انها معلومات قديمة عظمتها الاوهام وقدستها الجهالة فاعتبرت كلاما الاهيا وليست هي إلّا علما انسانيا فنكسوا عن الاديان وكنهها

وعدوا الملتحق بها منحطا عن درجة العصريين في القوة الادراكية . فقسموا حياة الانسيين الى ثلاثة ادوار . فالدور الاول هو دور الدين عاش الانسان فيه بالدين على حسب ما اقتضاه عقله لم يشك فيها طرفة عين . ثم جاء دور الفلسفة قبل المسيح بنحو عشرة قرون فحدثت الشكوك والشبه فتولى الانسان حلها بقوة الجدل وسيوف الكلام وعاش في هذا الدور حتى ولد العلم الاوروبي قبل اربعة قرون فدل الانسان بمعلوماته الحسية على ان الاديان فات زمانها واصبحت تعاليمها لا تغني الانسان فتيلا . يقولون الا ترى ان المتدينين احط العالمين اخلاقا وعقولا ومهما سواء كانوا شرقيين او غربيين ولو كان هذا عصر الدين لرأينا المتدينين كما كانوا في العصور الاولى فضلاء كاملين عالمين عاملين فسقوطهم اليوم الى هذا الحضيض السافل دليل على انهم على غير سنة العصر ولكل عصر سنة ولكل دور رجال

عدد ٩ في ٤ ذي الحجة سنة ١٣٢٤

لا تكون الامم في زمن من ازمان حياتها احوج الى عقول بنيها المرتقين في المدارك منها في زمن الانتقالات الاجتماعية نريد بتلك الانتقالات تدرجها من دور الى دور آخر بعوامل قد تكون ذاتية او اجنبية او ذاتية او اجنبية معا

ادوار الانتقالات الاجتماعية في الامم تشبه ادوار الانتقالات الحيوية في الواحد . فكما ان الغلام اذا شارف سن الحلم يكابد تغيرات عقلية واخلاقية ويكتسب عواطف وميولا جديدة فيحس بالوجود على شكل ارقى مما كان يحس به وتتجدد له نزعات واتجاهات من انواع مخافة بتاثير عوامل فيزيولوجية فيه كذلك الامم في ادوار انتقالها تتولاها عوامل عمرانية من انواع مختلفة لاحداث امر ذلك الانتقال الاجتماعي فيتغير شعورها وتتحول حسوسها وعواطفها وتتبدل احكامها على عقائدها وعوائدها واخلاقها وتقاليدها وجميع ما يتعلق باركان بنيها الاجتماعية السابقة وتكون الامة في تلك الحالة كثيرة الحيرة بين ماض كانت تقدسه وجديد يهدم لها صرح ذلك الماضي ويدرسه فتنجذب لماضيها بحكم الوراثة مرة ويجذبها الجديد بضرورته لحياتها مرة

حتى ينتهي امرها الى حالة من حالتين : اما ترك الماضي بتاتا او الاخذ به على صورة تناسب دورها الجديد

في هذه الحالة تحتاج الامم كل الاحتياج الى عقول ابنائها من ذوي المدارك العالية في كل ضرب من ضروب شؤونها الحيوية التي يتنازع فيها القديم والجديد

لا شك في اننا في دور انتقال دفعتنا اليه عوامل ذاتية في مقدمتها شعور منا بضرورة نهوضنا من كبوتنا ، وعوامل اجنبية هي مدنية اوربا وعلومها ، فالامة بين شعورها بضرورة التقدم والاخذ بالاصلاح من كل جديد وبين ما يدهش لبها من مدنية اوربا وعلومها وفلسفتها في حال مضطرب تحتاج فيه للهداة المرشدين والناصحين غير المفتونين الضالين الملحدين .....

اما العوامل الذاتية الداعية بضرورة الترقي فقد سوأت للامة حالها التي هي فيها وهذا التسوي ، كما هو اشد وازعا للتقدم قد يكون مولدا لليأس وعدم الحركة فان لم يتول الامة وهي تحت تاثير هذا العامل افئدة قوية من خيرة ابنائها فقدت الامة بواعثها للفلاح واضطربت في سلوكها وتاهت في متاه الحيرة والذهول

اما عواملها الاجنبية وهي مدنية اوربا وعلومها فقد احدثت فيها نزوعاً الى الاخذ بها وهذا النزوع كما ينتج التقليد في النافع يولد التقليد في الضار ايضا فان لم تتول الامة وهي تحت تاثير هذه العوامل نشأة مرتقية غير مفتونة ذهبت مذاهب الشطط في شؤونها لان للجديد الفخم سطوة على النفوس تفقد الرشد وتحجب انوار البصيرة

ارى ان الامة امام شعورها بالتاخر وتاثير مدنية اوربا قد رزقت طائفة كبيرة من ابنائها تولوها من هذه الوجهة بالتذكير والموعظة الحسنة فهم دائبون على منفعة ارواح اليأس عنها ومكافحة نزولها الى التقليد بكل سلاح واشعر انه قد حدث من ذلك اثر يذكر ويشكر ان لم يكن في الافعال ففي الشعور بالعلم والشعور مقدمة الفعل لا محالة

اما من جهة علوم اوروبا وفلسفتها فالامة تشكو من قلة رجالها هنالك مع ان هذه الجهة هي اشد الجهات خطرا على كيانها وقد احدث اهمالها فينا احداثا خطيرة ،

وذلك ان العلم الاروبي واجهنا فجأة وهو خارج من حرب عوان بينه وبين احزاب الدين في اوروبا وقد كانت الحرب سجالا بينهما مدة انحى في اثنائها انصار الدين على خصومهم بضروب من الانتقام الوحشي جعل العلم يحمل على الدين في صدره غمرا لا يزول ابدا . فلما انتهى الامر بانتصاره وجاءنا يتهادى في خيلائه نفث في روع نشائتنا مما حمله من غمر وسخيمة على الدين والتقليد ما احدث في الافئدة شبها وشكوكا نظر معها اولئك المتألمون يمنة ويسرة فلم يجدوا إلّا ما يقوي شبهتهم ويؤيد حجة العلم ضد الاديان فانقسموا فرقا . فمنهم من اعتقد ما قرره العلم الاوروبي من ان زمن الدين فات فقنع بالحياة الحسية على حال اختارها لنفسه ومنهم من ارجا حكمه فهو شاك في مذهبه لا يعرف وجه المخاص من ورطته . ومنهم من هدى لمعنى الدين والاسلام فاصبح مسلما حقا على مذهب يباين ما عليه جمهور الناس معتقدا انهم على شكل ظاهره اسلام وحقيقته دين جامد مصطنع

لو كان للمسلمين طريق للحياة بغير الدين لنفع فيهم علاج المعالجين ولكانت القوارع التي تحمل بايديهم او قريبا منهم كافية في ازعاجهم الى ارفع منصات السعادة الاجتماعية ولكنهم مرتبطون بدينهم ارتباط الجسد بالروح لانهم امة تكونت بالدين وارتقت به فلما اخرجوه عن صراطه كما سنوضحه هنا خرجوا عن صراطهم معه ثم جمدوا حيث انتهوا . ومما يدلك على ان المسلمين تبع لدينهم انهم كانوا حين كان على بساطته الاولى وديباجته الخالصة اسبق الامم الى باحات المدنية والعمران واهجمها على محامد المجد ومفاخر النظام فلما اخرجوه عن حقيقته واعتراه الجمود كما هي السنة الطبيعية لكل صنائع البشر جمدوا معه وسرى الجمود الى كافة اجزاء الامة في جميع اصقاع الارض مما يدل على ان السبب مشترك بينها جميعا

بناء على هذا لا يمكن ان ينهض المسلمون إلّا اذا اتتهم الحركة من قبل دينهم ولا شيء اسهل من ذاك بعد ما مهدت لهم الحوادث لو تكاتفت الهمم وتعاضدت العزمات في هداية الامة الى حقيقة الاسلام والدلالة لها على ان ما هي فيه شكل جامد هو دين مصطنع لا علاقة بينه وبين الاسلام إلّا في الاسم . الحياة

الصحافة

عدد ۱۱ في يوم ۲۵ ذي الحجة سنة ۱۳۲۴

الصحافة امر يبحث فيه عما يرقي النوع البشري الى اوج الكمالات وسعادة الحياة فهي انجع دواء لصداع التأخر وجرائيم الانحطاط وواضحة السقوط وعلل الكسل وكلوم الخمول وامراض التفرق « الصحافة » احد باتر لحل عقد المشكلات ومرجع للاشراف على غوامض المعضلات واعظم وازع للجبابرة العتاة واكبر رادع للفراعنة الطغاة فهي زاجر لكل شيطان مريد وناهر لكل صائل مكيد « الصحافة » زمام النجاح وراية الاصلاح وبارق الفلاح فهي رائد العمران ومعجزة العرفان وموقظة النومان وقائد الانسان الى عيشة الرضوان تبصر الجهال وتولم الانذال تبشر تارة بالخير العميم واخرى بالعذاب الاليم « الصحافة » سلطانها فعال ونورها مدلال بها تنهض الامم الى شامخ القمم عزا ورفعة ومجدا وهيبة وباسا وشوكة

فمنها انفلق الصدق ونبع الحق وانتفع الخلق فهي العضد المتين والهدى المستبين . لذلك طار صيطها وعلا شانها بين الامم الحية حتى صارت هي القطب الوحيد الذي تدور عليه رحى سياسة الحكومات الاروبية التي هي افضل من يدب على البسيطة مدنية ونظاما وفي ذلك موعظة بالغة لقوم يعقلون « الصحافة » لايجادها شروط وهي عدم التزلف للحكومات عدم خدمة الاغراض السافلة والغايات الساقطة . نبذ الاحتيال والتدجيل مطارحة الميل للحظوظ النفسانية والتضليل . مقاومة المستبدين محاربة المعتدين ثم حرية الفكر بان لا تخطه عوامل الاضطهاد وان لا تؤثر فيه حروف الحيف والنكاد وان لا تكتنفه اداة الالغاء او يقع في شرك النكال والعناد وكونها لا رائد لجمع المال (وان كان هذا لا يكاد يسلم منه صحفي) إلّا من عصمه الله . مع ملاحظة سماع شكواها وايجاب نداها وترديد صداها اما ان جرت مجرى المثل المشهور (اسمع واترك مثل ما هو جار في هذا البلاد) فلا اثر للفائدة في وجودها يومئذ حيث تعد من محيط الاعمال وهذر الاقوال . هذا واكد الشروط السالفة

الذكر الاخير منها فهو هيكل يقام عليه اساس الارشاد وإلّا فلا لوم على الصحافي مهما تعامى عن تغيير النكير وجنح للتملق والتقصير كما لا تعنيف على من سلك مسالكه فلاقى حتفه اذ كل على هدى ونقول لمسئلة العدل والتنديد راسك والحكومة

فالاول تحاشى عن التلقي بالنفس للتهلكة والثاني سار على مقتضى الوظيف ومذهبنا تعدد الحق ....

إلّا ان الكريم لا يخفر ذمامه بنفسه بل عليه ان يهز قوام الانتقاد ويثني بمعاطف ثبات الجاش وينشد بالحان قمري النصح ما استطاع ثم عليه ان لا يقنط من رحمة العدل سيما نحن الذين يمكن لنا الحلف بتاتا بان لنا في رجال باريس من يتهالك في صالحنا ويتعشق نهوضنا وبري من ذنوبنا براءة الذئب من يوسف بل تراه يبذل وسعه ويسرف جهده في انتشالنا من حضيض الظلم الى حيث المساواة مع من بلغ مجده القمر وساير الكواكب من البرنامج الغريب الذي اختطه الانكليز للتصرف في مستعمراته وهو اطلاق عنان الحرية لسائر الملل والاجناس الذي يحكمها بدون فرق بين الانكليزي والمصري والهندي ومن سواهم حتى تنكشف له مخبئات القوم ويامن شر اغارة صدر المحكوم وينتقم من كل ظاوم غشوم . وهي طريقة مثلى ومنقبة جليلة يحفظها له التاريخ ويا حبذا لو نزعت حكومتنا لمثل ذلك فان فرنسا اجدر بهذا اذ انها اعرق من انكلتيرا في باب التودد والفخار وابر منها بمرعويها ...

اجل ذلك المتعارف فوق الكواكب والمتألف على الكرة من عهد دبيب التقدم في فرائس الصالحين الذين ملكوا الارض ومن عليها وحرقوا حبال الهمجية وانزلوا منزلها الوية الحضارة والعمران ...

اما الاقطار المتاخرة والبقاع التعيسة فان خمول اقوامها واستبداد حكامها يتبريا الى الله من الرضاء بذلك ويبذلا النفس والنفيس في الواقيعة بالصحافي وتلجيمه بلجام من السكوت ويصبون عليه سهام اللوم والتعنيف ويسومونه الصغار والاحتقار وتلك غاية الغباوة ومجلبة الدمار وآية الجهالة ومنتهى الاندثار فاي بلاد هذا حالها فاندب مستقبلها ومئالها وابكي اهاليها

نعم لا نقصد التعرض بحالنا معاشر التونسيين من كون لا قيمة للصحافة لدينا ولا للصحافي ايضا فهو بين السجن والخطية والتوبيخ وسماع من الملام وقارص الكلام

بل انما الخطاب موجه لكمية من الدول التي داخلتها نخوة الضغط وتفشى فيها الاضطهاد ولم تعمل الوسائل لمنازلته والتملص من حباله اما بنفسها او بواسطة الغير كما اذا كانت محتمية والحماة احرار كنواب الدولة الجمهورية بالنسبة لنا او رجال الامة الانكليزية في مصر فهؤلاء منذ احتلالهم لتلك الدار واصلوا العمل في ترقية الشعب واعطاء الحرية للجرائد العربية بتصييرها في مصاف الصحف الانكليزية من جميع الوجوه حتى غدوا مغبوطين بين من ساقتهم الاقدار للاستظلال براية بعض الدول . على ان من ينظر لرقيهم ويطالع جرائدهم يندهش من ذلك التقدم السريع ويحكم بادىء بدء ان بلاد النيل اليوم جزء لا يتجزأ من اوروبا حرية ومدنية ونظاما ولا غرابة اذا مد التونسيون اعناقهم لما عليه اخوانهم المصريون (وان كان الوصول الى تلك المرتبة دونها خرط القتاد) وو الوا الطلب في رفع الضغط عن القلم ليتسنى له استنهاض الهمم بدون ان يخشى مخاشنة الرقيب فتحل الالسنة من عقالها وتنطلق الافكار من قيودها ما دام لنا في البرلمان الافرنسي رجال احرار كجوريس والبان روزي وفي الخارجية ذلك الوزير الخطير (بيشون) وفي السفارة ذلك الانساني الحر (الابتيب) والكل يتعشقون نهوضنا ويتهالكون في صالحنا بل يبذلون وسعهم في انتشالنا من حضيض الانحطاط الى حيث السعادة والمساواة

كيف لا وهذا احد عظمائها « مقرر الميزانية » الذي جاب قطرنا بالامس قد جعل طالعة تقريره اعطاء الحرية للتونسيين وتخويلهم الحضور في المجلس الشوري والمناقشة على حقوقهم المهضومة فكلامه هذا في ان فرنسا لا تريد بنا إلّا خيرا ولا تود لنا ضررا ولا ضيرا

وكان جنابه ادرك ما يقاسيه التونسيون من الام الاستبداد وضروب الاستعباد فصدع بما يخلد له الذكر الجميل والثناء الجزيل فجزاه الشكر والثناء عن تونس والتونسيين . وقد امل انجاز ذلك من وزارة المسيو الابتيت اذ توسم فيه القيام باعباء العمل بلا محاباة

يسرنا ورب الكعبة ان ارى بادية حرية في خلال ايام هذا الوزير الجديد .

فهل من مسعد لبلاد النيل غير الصحافيين لا والله فهل بلغنا ما بلغوه من افراد

الانتقاد على الامراء والوزراء كلا والله . هل نفعنا الركون للسكوت والسكون وقهرهم تجاهرهم واعرابهم عن مكنونات ضمائرهم ومخدرات عقولهم دون مخافة الرقيب حاشا والله هل جريدة « حبيب الامة » التي رماها الحسد بالتطرف والخروج عن موضوع الصحافة كتبت ما يكتبه فؤاد في جريدته « الصاعقة » من الانتقادات القارصة ضد اعاظم مصر ابدا والله . هل يوجد ذنب لهما غير خدمة الامة وارشاد الدولة يا ترى

عجبا كيف يسوغ لارباب النظر وولاة الامور ان يتساهلوا في قتل الصحف وانها لم تقص غير المسموع ولم تحدث غير الوقوع فضلا عما ينجم عن ذلك من تكبد اصحابها الخسائر الطائلة واحتقار الامة التي هي منها بالمكان الاعلى على ان ليس بها ما يثير غضب الحكومة سوى الانتقاد على فراسين الارتشاء والادارة المختلة والنظامات المعتلة من كل ما يهم الدولة الاطلاع عليه ان كانت تبتغي الاصلاح كما تزعم ثم تماهلت في صدق الوعود بارجاعها كانها اجزل الله توفيقها جهلت او تجاهلت التياع الاهلين من فراق الصحف الصادقة

يقول « المرشد » هذه الكلمات ومحياه يقطر خجلا وحشاه يتقطع اسفا وجبينه يتصبب عرقا على حين انه في ربوع تخفق عليها مثلثة الالوان وفي عصر طبق فيه دوي السوسياليست ارجاء الديار الفرنسية حتى هدمت له الكنايس قربانا ونحن استعمرتنا المعاناة وابادتنا الاهانات حتى غدونا وما منا إلّا مكلوم جانب او غبين او مهضوم حق او حزين اقول الحق ولا اخشى عواقبه فان مغادرة المسيو بيشون (وزير الخارجية اليوم) تونس قد انذرت بمستقبل الصحافة وبشرت . انذرت لكونه ما كاد ان يستقر على متن باخرة السفر حتى امطرت سماء الضغط على الجرائد وابلا حمل الناس على تغطية روسهم والالتجاء لمطلق دكاكين البلد ودوره اتقاء من شره الهالك وبلائه الفاتك حتى طما سيله الجارف وذهب بالمزعج والحبيب تحت ستار لا اصل له

وبشرت بارساله لنا بدلا منه رايا ثاقبا وليا صائبا شب على حب القسط والانصاف ومتاركة الايثار والاعتساف كذلك الوزير الخطير المسيو الابتيت الذي سيرنا من حميد الخصال وجليل الاعمال ما تهش به الخضراء وتخر لمجادته الجوزاء ويرضي

جريدة الطان حتى لا تعود ترمي محاكمنا بالاختلال واحكامنا بالاعتلال . اما تنجيز ما وعدت به فخامة وزير الخارجية فوقوعه ضربة لازب إلّا انه لما كان من جملة ذلك ادخال الاهلين مجلس الشورى والى اليوم لم يزل سر الانتخاب مجهولا فنحن نقدم طلبنا لاعتابه في ان يكون امره مفوضا للرعية اسوة بالامة الفرنسوية الفخيمة كما اننا نؤمل المسارعة بذلك فان الوطنيين من يوم قرع هذا الخبر اذ انهم ينتظرون لتحقيقه بفروغ صبر لما ذلك من الاعتناء بتدبير صالحهم طبق نزلائهم الفرنسويين وان يصد هجمات المعتدين ويكسر رقاب المتعصبين ويفند مزاعم المغرضين الذين لا يهمهم تلويث سمعة فرنسا العظمى ورجالها الاعلام اذ انهم لا يعملون إلّا لما فيه الخير العميم لشخصهم وما يعود على اشباحهم كدوكارنيار واضرابه صاحب الاراء الخرقاء والسياسة العمياء التي لم يتقدم لها نظير حتى في الامم المستبدة فهو لا يعنيه ان كانت داره عامرة ان يكون العالم خراب

وفي الختام اقول لارباب الصحف الوطنية انه لا يجب ان يوهن عزائمكم سخط حل ببعضكم او اضطهاد قد ضايقكم . لان من يريد الاصلاح والنهوض بالشعب لا يليق به الجبن والخوف على راحته الوقتية . على ان رجال الامة يشقون لشقائها ويسعدون لسعادتها . وليس السخط عليهم واضطهادهم إلّا امور عرضية تنتهي بحصولهم على ضالتهم المنشودة وبلوغهم الى امنيتهم عاجلا او اجلا والله بصير بما تعملون

استقبال تونس للعميد الجديد

عدد ١٣ في ٩ محرم الحرام سنة ١٣٢٥

يعلم الكل ما كان يختلج بخلد جناب المسيو بيشون وزير خارجية دولة الحماية اليوم من ادخال الاصلاحات الهامة في شئون هاته الايالة علاوة على ما تسرع في اظهاره ايام كان يحكم هذا القطر كاسقاط الضمان على الصحف واطلاقها من وثاق الحجر

وتخويلها الافصاح عما يبدو لها توصلا لمعرفة ما يبتغيه القوم فانها من غر مئاثره التي ما زال يردد فضلها الخاص والعام . كتشريك الاهليين في المحاورات الشورية وتخويلهم حق الحضور في بساط مناقشتها وتشخيص حال الوطنيين امامها اولئك الذين عم سمائهم وارضهم الشقا واخذت بخناقهم التعاسة بما حرموه من الحقوق البشرية كسد ابواب التعليم في وجوههم الذي هو القطب الوحيد التي عليه مدار الحياة الدنيا . اذ ما من امة تفشي بين افرادها داء الجهل إلّا وذهبت ضحية التاخر وغنيمة باردة للانحطاط وشامة في جبين السقوط والانحلال وتصبح مسكنا للفقر المنقع ونزلا للفاقة والهوان والعكس بالعكس وربما آل امرها الى ما هو اقبح وافضع اذا اضيف منع ابنائهم من الانخراط في سلك الخدمات الدولية كما هو جار اليوم في غالب الادارات التونسية كالاشغال العامة وادارة المال والبريد بل وحتى في تكسير الحجارة والترميم فان اليد الايطاليانية استاثرت بكل ما شيد من المباني وما سيحدث قابلا .

على انه فينا رجال يجارون كل دخيل معرفة ونشاطا بل يفضلوه في اشياء كالجمع بين اللغة العربية والفرنسوية والدراية باسرار مقتضيات الاحوال

كما انه لا يكون حجة ايجاد نفر في دواوين الحكومة اليوم فهم يذوقون من شظف العيش والام الاحتياج ما الله به عليم . لان جراياتهم الطفيفة لا تغني ولا تسمن من جوع بل ربما كانت مجلبة لفساد السجايا ووخامة المستقبل باشهار يد الشجع على ارباب الخصوم حتى يتسرى ذلك لولاة الامور فينجم ما ينجم من العزل والسجن اللذين مهما نزلا بساحة احد إلّا وغدى لا وطاء له إلّا الوطى ولا غطاء له إلّا السماء فالعيان والعادة يمنعان قيام المائة فرنك او نحوها بعائلة ربما تربو على العشرة ولو بالاقتصار على سد الرمق الذي هو دون قوام البنية مع ما تستدعيه الاسفار والتنقلات من بلد الى آخر

فلا لوم على من يحلف انه مدين للمرابي حرفة او ينفق من ماله الخاص او رقى فوق السماك الاعزل في باب النهب والارتشاء

على اننا ما سمعنا انه وقع تشكيل لجنة تنظر في ترقية مرتباتهم مثل مواطنيهم

ارباب المرتبات العالية بسبب رفع اسعار مئاكلهم وملابسهم ومشاربهم وما تستلزمه خلاعتهم وتفكههم وامتطاءهم عجلات البسكليت وجلوسهم في القهاوي العالية مما تمنعه وحشية الاهالي .... وتحول دونه همجيتهم الذي تركوا عليها الى حد الان ....
فاذا اردفنا ما تقدم بتزايد المعمرين يوما فيوما المؤذن بتوجيه العناية اليه ومساعدته على مرغوباته فكيف تكون حالة التونسيين يا ترى

يكل البراع ايضا في تسطير ما يلحقهم يوما تتجدد على اعناقهم الطلبات الدولية ويؤمر المخزن باستخلاصها منهم على اي حالة كانت فتراهم بين بائع لدوابه ومجرد من كيابه ومزجوج في اعماق السجون سعيا وراء استنزافها منهم ولو بطرق العسف الاكرب والمقت الاشهب والعذاب الاليم ولا من مجير ولا من رحيم . فترى العديم يومئذ الارض لا تقله والسماء لا تظله سوى تقديم .....

اما ما يقاسونه عند ما تتعلق بهم النوازل وان تنوعت من سوء القضاء المفضي لخراب هذا العالم فان القلم يفحم دون ابدائه وما على من يروم الاستطلاع إلّا ان يتأمل قليلا في اوراق النازلين في ظلمات السجون فيجد من الغرائب والعجائب ما لم يوجد في بقية عواصم الدنيا

واذا سألت عن الوظائف كيف تقلد قل هي عقد من العقود التي اغفلها الفقهاء في باب البيع ولم يعثر عليها لا في (النيل ولا في خليل) وقل بلسان التاوه انا للحكومة وانا اليها راجعون

هذا اجمال ما عليه البلاد التونسية يحيط به المرشد جناب الوزير الخطير علما رجاء التمعن في جزئياته المبيدة وكلياته القاضية بسوء المنقلب والانحدار الى حيث المتاعب والدمار . املا في صرف همته الشماء لتطهير الناس من جراثيم هاتيك الادواء الفاتكة التي اشبه شيء بنار تضطرم بطرف ثياب كثيرة حتى اذا لم يعجل باستعمال الوسائل لاخمادها تركت جميعها اثر بعد عين

قلنا بطالع المقالة ان الوزارة الخارجية الان همت بادخال اصلاحات كثيرة الخ ونقول هنا انا لا نعدم متمما لها ايضا ، حيث من على هذا القطر بوزارة الحر المسيو الابتيت حامل لواء الانسانية بل لا نعدم ابداء صوالح اخرى ما زالت تدور في عالم

الحسبان . فمنذ يوم حلوله البلاط التونسي والناس تتساءل عما يؤل اليه امر هذه المملكة من نقذها من مخالب التقهقر والسير بها الى حيث الرقي والحياة

ففي تغيير الوزارة الخارجية التونسية والحربية لها والداخلية بها وقرب عهد تجلي مليكها المحبوب ما يدعو العقول الى التدبر وتعليق الامال

نحن لا نبتغي بدلا بالعلم والتعليم وتثقيف الاذهان بحاجيات الحياة لو خيرنا الوقت

بالعلم يعرف الانسان ما له وما عليه . بالعلم تسمو المدارك . بالعلم تذلل صعوبات الاسترزاق . بالعلم نامن من اهوال المخمصة والبؤس فهو الوسيلة الوحيدة والضالة المنشودة لصد هجمات نوائب الدهر وطوارق الحدثان المدهشة وكارثة الملق ومصابه المسحق

العلم افضل ما تصبو له الامم * وخير شيء رقت من نشره الامم

لا تالف الطباع النظام إلا به لا تركن النفوس للمدنية ومجارات الامم الحية إلا به لا يذهب خزعبلات الدجالين ادراج الرياح إلا هو . فهو الذي يصقل الباطن من ادناس الكسل ويطهره من غوايات الانخذال . وخلاصة القول انه الجند العديد والعلاج الوحيد لامراض الارواح ودواء الاشباح من علل الشقاوة والاتراح

مضى على الحماية ما يناهز الربع قرنا ولم يرى وطني مهندسا او حكيما او حقوقي عليما او مقتدرا على الركض في معارج الصناعات . . . .

على ان نوايا الدولة الفرنسوية ودعواها تخالف ذلك على خط مستقيم فمن المدبر لذلك يا ترى

يجاوبك لسان حال ادارة العلوم بانها الفاعلة والصارة على عدم التخلي تباعا للتعصب الذميم وما يعمل به كل شيطان رجيم ولو انه ظلم صراح

فهذا مكتب الصنائع الذي شيد على اثر مجي فخامة الرئيس لبي لهاته الديار لا يوجد فيه اليوم من المتعلمين التونسيين فوق الستة عشر نفرا على ان عظيم نفقاته من الكيس الصادقي يا للاسف

اما ما جرى من قفل المكاتب بالافاق وسد ابوابها بصخور الاستبداد بالحاضرة

فحدث عن مدير المعارف ولا حرج فانه ابدى من افانين حرمان التونسيين من التغذي بلبان العرفان ما لا يقدر عليه نيرون الجبار وتيمور الظلوم حتى اصبحت البلاد كانها ليست بها فرنسا عظيمة الشان ولا خفقت في ارجائها مثلثة الالوان ...

الصناعة

عدد ١٣ في ٩ محرم الحرام سنة ١٣٢٥

الصناعة مادة العمران وقوام الحياة وروح الالفة والاتحاد والحاجة القصوى التي ربطت بني الانسان بعضهم ببعض

فهي اللباس للكاسي والمبيت للساكن والمهاد للقاعد والمطية للراكب والسياج للمدنية والعدة للجيش . بل كل مرافق الحياة والقوة الحقيقية للامم والسلاح الذي به الفوز والظفر لمن مرنت يده على استعماله واستخدامه والهزيمة والفشل لمن قصر في ذلك او تهاون

ومن قال ان الانسان مدني بالطبع فقد اعترف معنا بانه صانع بالطبع لان حاجته لابناء جنسه في مطالبه وشئونه هي البرهان على هذه القضية وما هي في الحقيقة إلّا حاجته الى صنائعهم وانواع حرفهم التي لا يستقل بالقيام بها

فالصناعة اذن من الضروريات التي لا يستغنى عنها الانسان بحال ولا يتسنى له الحياة بدونها وهذه الخاصة تختلف درجات لزومها باختلاف الامم وتفاوتهم في الهمجية والمدنية وما بين ذلك . فالهمج واهل البداوة انما يحتاجون الى البسائط من الصنائع من امثال الغزل والحياكة والخياطة والفلاحة من غير علاج كثير في الصنع وبدون احتياج الى الانقان والاحكام . فاما ما لا يخرج من القوة الى الفعل ويظهر من الخفاء الى العيان إلّا باعمال الفكر واعنات الذهن من الصناعة المستجادة فلا حاجة لهم به

وكلما ارتقى الانسان في شئونه ازدادت حاجته الى الصناعة واستجدت له انواع

منها يخلقها العمران ان كانت غير ضرورية له وهلم جرا حتى يصل الى الحد المقدور له فتكون تمت صنائعه وانواعها بمقدار هذا الرقي وعلى نسبة هذه الحال الطارئة عليه

فالهمجي مثلا يمشي عاريا او حافيا ولا يجد حاجة الى ما ينتعله ويشتمله والمدني قد تجاوز الانتعال والاشتمال الى لبس الحذاء والكساء على هذه الاوضاع المعروفة واوصلته مدنيته الى الاحتياج اليهما وهما مفرغان في هذه القوالب المحكمة حتى لو لم يكونا كذلك لنظر اليه قومه وهو كاس بهما نظرة اشمئزاز واستخفاف لا تصدر من القوم الحفاة العراة اذا رمقوا بعضهم بعضا وهم كيوم ولدتهم امهاتهم مجردين من المخيط والمحيط. فقد وضح بذلك ان الصنعة بنت العمران كما انها مادته التي يتكون منها فاذا زخر بحره وامتد رواقه فانما يكون ذلك بكثرة الصنائع المقومة له حتى تتنزل له منزلة اللبنات من البنية او الاعضاء من الانسان

واذا تقلص ظله اضمحلت تلك الصنائع ولا يبقى منها إلا الاثار العادية التي لا تقوى على محوها معاول الدهور وحينئذ يقضى على اهل تلك الصنائع فينقرضون بانقراض العمران وتتراجع ملكة الصناعة الى حالتها الاولى من البساطة والسذاجة

وعلى هذا فالصنائع المستجادة من نتائج العمران والعمران ثمرة من ثمار المدنية وهو السوق الكبرى التي تنفق فيها السلع وتروج بما يتطلبه التانق في الملبس والمسكن والماكل والرياش والزينة من الكماليات التي تنتقل باستفحال العمران الى ضروريات لاناس وشبه ضروريات لاخرين . هذه هي منزلة الصناعة بالقياس الى الانسان ومنها تعرف انها حياة لقسم كبير من الامة يعتمدون عليها في تحصيل ارزاقهم وتعظم نسبة هذا المعاش بتوفر الدواعي على طلب هذه الصنائع بما يحدثه العمران من حاجة الناس اليها حتى ربما كانت نتيجة الصناعة للماهر الحاذق البصير بها ثروة واسعة ومعاشا رفيها وغنى ليس وراءه غنى . ومتى اشتهر اهل قطر بالحذق في الصنائع وحسن القيام عليها لم تلبث حتى تتجاوز حدود قطرهم وتنتقل من مكان الى مكان فيكون لها سوق هنا وهنالك ويعظم الاقبال عليها بالطلب من الناس ويتنافسون في اقتنائها بمقدار تنافسهم في الرفاهية وخفض العيش وعلى نسبة العمران القائم بينهم وعندئذ تبلغ مكاسب الصناع المبالغ العظيمة وتصل الى ايديهم اموال الامم

القريبة والبعيدة فيجمعون الى ثروة قطرهم ثروة الاقطار ويغزون البلاد بصنائعهم وهم مقيمون في عقر دارهم فيفتح عليهم ويحصلون على الغنائم العظيمة بالامن والسلام من غير ان يوجفوا للحرب خفا ولا حافرا حتى لا يكاد يحس بهم احد او يسمع لهم ركزا. واعتبر كيف تكون الصناعة مادة للتجارة وعروضا تعمر بها اسواق البيع والشراء فينتفع بها الصانع والتاجر جميعا وفي ذلك غناء لصنفين عظيمين من الناس اذا حصلت الثروة بايديهم انفقوا عن سعة واستخدموا في شئونهم قسما كبيرا من قومهم وكانوا سببا في سعادة الامة باسرها. فقهت ذلك الامم المتعلمة وعرفت ثمرة الصنائع وانها لا تعادل بثمرة فتوجهت بشوق عظيم الى تعلمها وانساقت بقوة الرغبة الى المران عليها حتى رسخت ملكتها في نفوسهم وبلغوا من البصر بها والحذق فيها شاوا بعيدا فملكوا بذلك كنوز الدنيا وحازوا خيراتها واهتمت حكوماتهم بتذليل السبل لهم وتمهيد العقبات التي قد تقوم في وجوههم ففتحت في كل ناحية من الارض اسواقا عامرة ببضائعهم. وانك لو احصيت المشاكل التي حدثت بين هذه الامم المتعلمة وغيرها لوضح لك ان علة اكثرها فتح اسواق المتاجر

ولو روجعت الاسباب التي حملت الامم الغربية على استعمار الشرق واستعباد بنيه لكان رواج المتاجر والصنائع في مقدمتها. هذه المانيا وهي مملكة صناعية ظلت زمنا طويلا وهي لا تتخطى حدود بلادها ولا تتجاوز اقطار ملكها مع ان صنائعها رائجة في الممالك الاروبية لرخصها ومتانتها ولكنها لم تطق الصبر على هذه الحالة فحملتها الرغبة في تصريفها سيل صنائعها المتدفق على الاستعمار ولا يزال امبراطورها العظيم ينادي بملء فيه بان المانيا لا تضمن حياتها راقية سعيدة إلّا بالاستعمار وفتح اسواق البلاد لمتاجرها ولذلك لا تمر به فرصة في الممالك الشرقية حتى يثب عليها وليست مشكلة حل الريشتساغ الالماني إلّا بنت هذه المسالة فان قوة الممالك في هذا العصر بتعزيز الاساطيل واعداد الجيوش قائمة على المصالح التجارية اكثر من قيامها على الرغبة في امتلاك البلاد لغرض الفتح البحت والاستعباد الصرف

الشورى ءاية العمران

عدد ١٤. في ٢٣ محرم الحرام سنة ١٣٢٥

اجمع العقل والشرع والتاريخ والعادة والعيان على ان سعادة الامم منوطة بالدستور ففيه تنعكس اشعة الرقي ومنه تنبعث شهب النظام وبه تدان المدنية وله تنزوي ضياء التقدم وتحن رفاهية الحياة . لذلك جاءت الانباء السماوية والقوانين الوضعيه تندب حال من عز عليه مرام الاشتراك في الراي الباعث على احلال الصالح الشخصي محل الصالح العام المفضي لتقويض اركان السلطان وخراب البلدان الذين هما احد ضروب الاستبداد الايجابية وان شئت قات المنتجة . اليس من المقرر ان الفرد يعجز عما يقوم به الجمع . اجل ان انتصارات اليابان على الروس لم تكن ناشئة عن تفاوت في البسالة او تباين في المدارك بل لمجرد التقييد والاطلاق ولو كانت السلطة القيصرية مثل امبراطورية الجابون لما رايت روسيا مندحرة في مارج الهيجاء على حين ان عددها زهاء اربعة امثال العدو فما ذلك إلّا لكون هذه دمقراطية وتلك استبدادية فرجال صان بطرسبورج لا يستحقون لوم ولا تعنيف على ما ياتونه من اثارة القلاقل ونشر الفتن والتجاهر بعدم الانصياع للملك سعيا وراء الدستور التي هي ءاية العمران بل ذلك ما تنادي به الانسانية وتنتهي لمثله الجلائل من الاعمال فيجب اذا على بني حواء تاييدهم بممكن الوجوه . ماكان يخطر ببال الامة الفرنسوية ان تدخل في حماها شمال افريقيا ومهام صحاريها لولا تجشمها صعوبات التماص من قيود سفاهة الخنوع لملك مطاق الارادة حر المشيئة اسير ملاذه النفسانية وشهاويه البهيمية وجنوحها لانتحاره ضحية بوادر الدستور في حوالي سنة ١٧٨٩ واقامة الجمهورية مقامه

فمستعمراتها الشاسعة الاطراف لم يتسع نطاقها إلّا بعيد ذاك الانقلاب العظيم او الثورة الكبرى التي اهرقت في غضونها الدماء حتى سالت كالانهار الفائضة والسيل المنهمر او الجداول المفعمة اذ ادرك القوم ان الشورى ءاية العمران

هاهم الامريك الذين بلغوا شاوا بعيدا في الحضارة الحاضرة تراهم يكفرون بتسليم ازمة الامور لرجل واحد حتى يقبض عليها بيد من حـديد على انهم ارقى

عباد الله اراء ودراية بما يكفل راحة الحياة من طوارق النوائب وشدائد المصائب والرزايا ونكبات الكوارث المميتة، ها هي انكلتيرا صاحبة الكلمة النافذة والسلطان الاعظم لا يستطيع حاكمها الحالي ان يدبر موامرة نفع او ضر دون موافقة البرلمان (مجلس العموم) على انها بيت الفلاسفة وطود الحكمة والدهاء فلو توهمت ذرة نفع في الاستئثار بالفكر لما تخطت رقابه وذللت سلطانه الى التشريك حتى في انحاء الملوك التي تحكمها كالترانسفال وغيرها، فهل من الاصابة ان لا تتحاشا هذه الامة عن الغلط لا والله . هاذا غليوم الالمان الذي دانت له العلياء وسجدت لجبروت امته الجوزاء تلك الامة التي منها مضت بروق التقدم الغربي وركضت في ارجائها صافنات العز وجياد الهيبة والوقار مالت نفسه على حد تعزيز القوات البحرية قصد هجمات مبتغاه الرشتاغ (نواب المملكة) اذ راى المصلحة في الاكتفاء بما لديه وذهبت نوايا ذلك العاهل ادراج الرياح اشارة الى سيادة الشورى في تلك الديار

انظر لبقية النقط الاوروبية كايطاليا والنمسا ونحوهما فتجد الجميع فرد اقتداء بمن سلف ذكرهم ناسجين على منوال من تقدمهم في الدمقراطية ضد الاستبداد والتقييد فهم بعدهم قوة واحتراما . فيظهر من خلال هذه العجالة ان الشورى من الشرائط الاولية والضروريات الاكيدة يحفظ كيان النوع البشري اذ اجمع على وجوبها علماء البسيطة الذين ورثوا ما فات البحر ان يغمره (يعني ربع اليابسة) فلا غرو ان مد التونسي عنقه للوثوب على التمسك باذيالها والترامي على اقدامها سيما وهو في كنف دولة لا ينبري لمصادرتها احد فيما تفردت به من اختطاط سنن حدوث الديموقراطية ؟ على انها من كليات دينه الحكيم (وشاورهم في الامر) زد ان العنصر المزاحم لهم في معترك الاسترزاق ومنازل المساعفات الدولية له نواب لا هم لهم إلّا السعي وراء صالحهم يوما باستفراغه في قالب فاقة تسخن لها العيون وحينا بتشخيص ضرورياته وطووا في تبيان حقوقه نحو الحكومة حتى لا ينتابه الظلم بنابه والجور بمخالبه فيصبح مثلا للافلاس والتشحذ بثياب الضنك وشظافة العيش والهوان . ولا جرم ان ادرك الاهلي عدم الاعتناء به وقام يطالب بحقوقه امام رجال الحماية الذين لا يبتغون بغير العدل والمساواة بديلا ولا غرابة

فمن قواعد الطبيعة ان الجار يتكيف بكيفية جاره واحيانا فمن المجرب عـادة ان الرياحين الملقاة على سطح الماء توليه رائحتها حتى يستحيل مثلها استنشاقا بمجرد التصاقها به فكيف بالممازج الملازم فوق ربع قرن لمن يشاركه في الذوق والنوع ان لا يتخلق باخلاقه ويتمشى مع تيار ارادته جنبا لجنب وبسائر حركاته وسكناته قدما بقدم حتى يصير مثله كما استحال عبير ذلك الماء لريح الرياحين

فمغناطيس مقتضيات الكون جذب الوطني للتطلع لوجدان الدستور الذي عليه زميله الفرنساوي فهو مدفوع لذلك حينئذ بدافع طبيعي اثاره

وظروف عدالة الحر المسيو بيشون وقتما انشقت براكينه ترمي بشرار كالقصر على رؤوس المستبدين اولئك الاوابد المخربين عند ما اشهرت مساواته سلاح الدفاع عن الاهليين امام ذباب التعصب والاستئثار وولوا الامانيهم خاسرين ولاماليهم مضيعين تاركينها مغنما لا قتل ولا اندثار فاكرم به من وزير خطير ومصلح كبير يراعي واجبات المستضعفين ويحافظ على حسن الجوار، فانه ما كاد ان يحس بمبارحته هذه الديار حتى اوجد النيابة الاهلية في عالم المستقبل ولو انها على خلاف ناموس عدالته وما يرتضيه البرلمان لكن « فاول الغيث قطر ثم ينسكب »...... وتحقيقا لمثائر الوزارة الخارجية صدور الامر العلي المؤرخ في فيفري من عام التاريخ ومن جملة بنوده يعين المقيم العام خمسة عشر نفرا من الاهالي نوابا عنهم في المجلس الشوري يقومون بتشخيص ما هم عليه من سوء الحال وضيق دائرة التمعش وما يعوزهم من المصالح امام ارباب الامر والنهي مع المشاركة في النظر في بعض المسائل الدولية. وقد اعجب الناس وقوع الاختيار على عدم حق الانتخاب للاهالي مثل الحاميين وفيما يظهر ان الحكمة في ذلك تعليم الاهالي بطريق التفرج سنة او سنتين... وعلى كل حال فاملنا ان يكون الاقتراع الوزيري على من توفرت فيهم شروط الشهامة والغيرة والدراية مع كونهم غير موظفين لا الذين يقفون عند حد المحافظة على الوظيف ولو بالتزام السكوت وعدم الافصاح عما يهم الصالح العام ولا الجاهلين العاجزين عن القيام باعباء هذا الوظيف الجليل فان الراي العام من ذلك بالمرصاد

وفي الختام نوجه انظار جناب المقيم العام لمكافحة اولئك الذين يعملون لمعاكسة

مقاصد الحماية في كل ءان وحين ويناوءون المآرب الاهلية صباحا ومساء فان الغفلة عنهم تعد منابذة لواجبات الاهالي نحو الدولة الفرنسوية الفخيمة التي لا تجنح دوما لضيم المستظل بلوائها المنقاد لرغائبها المتظاهر باعلى مظاهر الاخلاص

المسلمون والزمان

عدد ١٧ في ٢٦ جماد الاول سنة ١٣٢٥

لهذا الدهر طرق شتى ومنازع متعددة ومذاهب متنوعة واساليب مختلفة تنذر المرء ما له من الدوران المبهت والتقلب المر والتجري المميت حتى لا يركن لعهوده وشبكة النكث ومواثيقه حايفة النقض وصروفه ذات الالوان .

وفي الوقت ما ينبي العباد بانه * هو الفاسد الخوان ذي الخبث والصد

ومن سجاياه الخسيسة وشيمه الوضيعة البهرجة والزهو في البداية والشمط والرداءة في النهاية فاخزى به من دهر خداع عامره خراب وغامره سراب

رقص وصفق للاسلام ابان ظهوره واخضع له الجبابرة ودوخ له المداين العظام واولاه ملكا عريضا لا تقل امصاره عن ثلث المعمور اتساعا ورفع به للكيوان الاعلى عزا وهيبة وباسا وشوكة حتى ازعج المسيحية وارعد الوثنية وساق الكل بعصى المسكنة والاذلال بضعا من القرون . فقد ثبت تاريخيا انه شرب من الرين عنوة وتغذى في اقاصي الشرق سطوة ونزل افريقيا قوة وحكم الجميع ازمنة طوالا اظهر في خلالها منتهى العدل وغاية المساوات طبق مبتغى شرعه السماوي ودينه الحكيم ذلك عند ما احل محل التحاسد التعاضد والانقسام الوئام والفرقة الاجتماع والتباغض والنفرة الاخاء والوحدة . ذلك عند ما كان المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا او كالجسد الواحد اذا تالم منه عضو تداعت بقاياه الى الاوجاع .

اما اليوم وقد تلاشى مجتمعه الكبير الى شيع ضالة وطوايف متمردة وامراء مستبدين لا يعصون الجهل ما امرهم للركون لسلطان الاهواء والانغماس في النعيم

والحضارة والشهوات والاقبال على الفخفخة والابهة الفارغة والتسرع للوقاحة والقحة وسائر الخلال الذميمة المضادة للنظام . فقد انقلب لهم الدهر النحيس في زي عدو ماكر وخب غادر وخصم الدود فعال للشر للنصح جحود لا يالو جهدا في استئصال شافة المجعدين وطي بساط المصطفين ومحوهم من لوحة الوجود عملا بالقضية المشهورة والقاعدة المشهورة « من سره زمن ساءته ازمان » . وقد اعلن عليهم حرب المعاكسات وحاصرهم بمدافع الشقاق واستقبلهم بقنابل الخذلان وصادمهم ببنادق الغي واشهر عليهم سيف الهوان الى ان مزق شملهم وبدد امرهم واوقع ثلاثة ارباعهم في شراك المتاعب والمقت .

« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » فذهبوا غنيمة القهقرى وضحية التاخر وفريسة تتنابها مخالب الجور في سائر البقاع والاصقاع .

ءاه وللحوادث سلوان يسهلها * وما لما حل بالاسلام سلوان

انظر الى جاوة التي بها من المسلمين ما يربو على الثلاثين مليونا تجد قيامة الظلم قد قامت على رءوسهم يسوقهم العذاب ويقودهم الانقراض بفضل القانون الهولاندي المشوم . قف بالبلاط الروسي ترى المسلمين اموالهم منهوبة وحياتهم ضنكة والمستقبل نحيس ولولا ان من الله بالحرب اليبانية التي ذهبت بجبروت القيصر وعتوه المقتل لما بقي للموحدين اثر يذكر في تلك الانحاء الشاسعة .

عرج الى النمسا تلقى الاحمدي فيها يذوق طعم العداء والخوف يسومه النكال والصغار . مد البصر الى مصوع وما تاتيه ايطاليا هناك من المظالم والفتك بالضعفاء والمساكين تلقى الناس حاق بها العناء ونازلها الفناء .

عرج على الزنجبار ودار السلام وجنوب الشطوط الافريقية رعايا انكلتيرا واسعة الصدر .... والمانيا الحبيبة .... (يا ليت معرفتي اياها لم تكن) ينجلي لك البين سحايب والهم مواكب والنكاد مراكب عظام والقوم سكارى بخمرة السخط والملوك حيارى من شدة الضغط حتى بلغ بحكامهم الطغاة ان يمنعوا المسلم نزول الاوتيلات هناك . جزاء ما حكم به الاسلام النصرانية من الرفق والحنان ورعاية حقوقها المدنية والمالية ماونة قد مضت واحقابا انسلخت بل وحتى في رعايا تركيا اليوم اولئك الذين تتخبطهم الدسائس فتثير فيهم القلاقل وتتولى بينهم الاضطرابات وتسود

عندهم الفتن . طلبا للتخلص من قضاء ءال عثمان الصارم في نظرهم بل وفي نظر اوربا جمعا . . . . ولو نسج على منوالهم فريق من المسلمين المضطهدين لاكلهم المرهف واحقهم الحديد بدون ان يحصلوا على جدوى . اللهم ان ذلك لمنتهى العسف وغاية المحاباة واقصى درجات التعصب الذميم وءاخر الحيف الفادح الذي تتبرى منه الانسانية وتكرهه شريعة الانصاف . اجل ان البكاء والعويل والمحاججة والبرهان لا تجدي نفعا مع اولئك الامم ولم يبق لنا معاشر المسلمين إلَّا ان تنبذ الكسل ظهريا ونتخذ الخمول سخريا ونعمل بما يرفعنا من حضيض السقوط الى صهوات فخرنا القديم وذلك لا يتيسر إلَّا بتعليم العلوم النافعة والتعلق بعرش الحزم والارتباط

اما والله لو وجد ارتباط * وصدق اخوة وهلم جرا
لما قبضت ازمتكم سواكم * ولا اغبر الزمان ولا اكفهر

ولتعلموا ان في دينكم ما يكفل لكم الرقي ويضمن لكم سعادة الحياة الدنيا ويؤهلكم لمنتهى الاعزاز لكن ان امتثلتم لاوامره وذعنتم لنواهيه ولم تطارحوه

تالله تالله ما من امة نبذت * دينا لها كان بالتعظيم مقرونا
الا اتيح لهم قوما جبابرة * يجرعوهم كؤس الذل والهون

فالى متى وانتم تنامون ثقيلا وترقدون طويلا جيلا بعد جيل ورايد العبر يستنفزكم وابو المواعظ يستنهضكم وحسيس الحوادث ينبهكم

فالى متى يا ذوي القرائح الجيدة والاذهان الثاقبة والاذواق السليمة والمدارك العالية التي تزري بماهية افلاطون

غرر المدائح الشعرية

عدد ١٧ في ٢٦ جمادى الاولى سنة ١٣٢٥

سلم لنا بريد مسقط عاصمة عمان الفريدة الاتية . وهي من نظم الشاعر الكبير والعلامة الخطير مفتي الديار العمانية الشيخ محمد بن شيخان السالمي . مدح بها

مجتهد العصر وحجة الدهر مولانا وشيخنا الشيخ محمد بن يوسف طفيش المصعبي اطال الله بقاءه ونفع بعلومه الاسلام والمسلمين آمين وذلك اثر وصول شرحه لكتاب (النيل وشفاء العليل) وتفسيره الكبير (هميان الزاد الى دار المعاد) للعاصمة المشار لها . فبادرنا بادراجها خدمة للامامين وللادب الفحل . ونصها

ابالمغرب استوفت اليك البشائر هل الاكرمون النازحون زوائر
سعدت بها لما اتتني عشية تضوعها تلك الرياح العواطر
تحية حب بل حياة لجسم من برته من الهجر السيوف البواتر
ويغني القلا عند الوداد ويعرف الصـ ـفي م الهدى والدهر بالعلم دائر
ارى الخل من لم يخل عنك جميله ولو عثرت فيك الصروف العواثر
ولله اسرار لطائف تحتوي فضائل تبديها نفوس دخائر
وما غرني ذكرى حبيبي على النوى بلى ان نفع الغيث في الجدب ظاهر
تحكم بقلبي انت ناه وآمر فاني لما قد شئته في شاكر
عسى باعث يحي رميم شفاقة بمهجته يوما فيسعد صابر
فان يك اسعاف به وبصدره انشـ ـراح فامن جامع الشمل زائر
ويا ما الـذ الوصل بعد انقطاعه فهل انت يا هجر الاحبة دابر
واني لتغشاني الهموم وانه بتكرارها ضاقت علي المصادر
وما القلب إلّا قائد الجسم ايما نشا ام صحا عنه الهموم الخواطر
لنا نشوة من نسمة اسندت لنا صحيح الهوى ترتاح منها البصائر
تذكرنا عطف الحبيب بقدره وما افتضحت منه الغصون الموائر
وقيل لهذا الغصن والظبي والنقا قفوا ان اظهار المذلة ضائر
ومن يتصدى وهو في العجز غاية ولم يثن عنها ناشبته القساور
ومن لم يكن كفوا يقف ومن اعترف رجيح ومن استرضى قنع لا يكابر
ومن يتقي ينجح ومن يتقى يضح ومن لم يخف يفضح وتكفي النذائر
كفى فاضحا حاوي الجمال اذ بدا على كل ذي نور به السن دائر
وروضة حسن لا يطير حمامها كأن عيون الناس فيها حواضر

كأن فؤادي اذ رعتها نواظري ... خطير الهوى يصلى على النار طائر
رسول الهوى هل نبى الحب انني ... اسير الجوى قد قيدته النواظر
اذا افترت عني الجفون الفواتر ... اسى غدرت مذ ارسلتها الغدائر
فان دققت عظمي الدقاق الخوامر ... فقد اخذتها الراجحات الجوائر
وان بت في ليل من الشعر تائها ... فهذا له في وجهه الصبح سافر
تبارك من انشاه فتنة ناظر ... واعطاه كل الحسن والله قادر
وسبحان من سوى على الحق ذلك الا ... مام له في العالمين مفاخر
هو العالم النحرير والفطن الفتى الـ ... ـذي نقلت عنه العلوم البواهر
هو الكامل المرضي والفاضل الذي ... تدين لعلياه السراة الاكابر
هو العالم الصافي سلالة يوسف ... محمد الوافي المجد المسامر
همام غدا بالغرب اليوم آية ... وبالمشرق انقادت اليها الخواطر
فما مصعب فيها به فهو ميسر ... ويسجن عنها الشر والخير حاضر
سما في سماء العلم فانهل مزنه ... فعاد بحارا منه تجنى الجواهر
وبدد اهل الجهل لما تبدعوا ... ضلالا وسيف الله للكفر باتر
وشيد ركن الدين ثم استوى على الـ ... ـتقوى فبدت منه البدور السوافر
وطوقنا من علمه الكتب جوهرا ... فيا نعم طوقا لازمته البصائر
وسارت بارض الله تنفع انها ... فواخر عند العارفين مفاخر
له هيبة في الله تغني وخشية ... تذيب الحصا منها القلوب فواطر
محيا بدت منه الشموس وراحة ... له اندفقت فيها البحور الزواخر
لسان عليه القطب دار وقلبه ... به البحر سكناه العلوم الغزائر
ونسمة بشر عطر الكون طيبها ... خصصنا بها واستمسكتها الاعاصر
وبدر تجلى في سما المجد والعلا ... فاهدى الهدى منه المفوق ظافر
ومزن تخلى يمطر العدل والندى ... فغاث الورى واستغنمته الاخاير
وبحر تعالى يقذف العلم والتقى ... لاهل النهى فاستملاته الجزائر
ونار تلظى تحرق الكفر في الدنا ... وتمحق ما تجنيه فيها الاخاسر

وسيف تنضى صار صونا لعرضنا وعونا اذا دارت علينا الدوائر
ورضوي غدا فينا ذكاء وهيبة وظهرا اذا تعني الخطوب الدواسر
وكهف لمن اواه منجى وملجا وروض لمن يرعاه ناش وناظر
وارض لحلم ابنت فيه مركزا لعلم علا ياتيه باد وحاضر
الا فادع لي بالعلم والحفظ والتقى فقلبي خلى من حلى ذاك حاسر
ودونكها زفت اليك فريدة وانت لها من دعوة الخير ماهر
وما انت إلّا رحمة كتبت لدى الاصابة والتوفيق والصبح سافر
ومني تسليم واصفى مودة سمت وتحيات اليكم فواخر
اخصك والصحب الكرام وكل من له في الطريق المستقيم مآثر
لقد كملت فيك الفضائل وانتهى بك المجد واستوفت اليك البشائر

محادثة خيالية

(بين وطني ودخيل)

عدد ١٩ في ٤ جمادي الثاني سنة ١٣٢٥

الوطني

لو كانت الحكومة تعمل لسداد البلاد او ايجاد الالفة الحقة بين ذوي المشارب المتباينة والمذاهب المختلفة والغايات المتفرقة لرغبت عن التقاعس لنشر الوية العرفان بين طبقات رعاياها حتى اذا ما ثقفت اذهانهم بانوار العلوم وهذبت قلوبهم بنفحاتها المقدسة امكنها في آن واحد استعباد الاشباح واسترقاق الارواح بدون تعبئة الجيوش وجلب الكرطوش وبذل المنقوش لان كل من فهم فرانسا وقوتها سبح لسيطرتها وسام اسطوتها وكان لها من الخاضعين ....

الدخيل

نوايا الحماية نحوكم ترقية مداركم ورفع غشاوة الجهل عن ابصاركم

والحاقكم بها في جميع الوجوه وان كان الواقع خلاف ذلك عندكم ولا اخاله . فلترفعوا شكايتكم لمن ينتصف لكم فانكم لا تعدمون نجدة من البرلمان

الوطني

احيطك علما انه على اثر ركوز قدم الاحتلال بنيت مكاتب في سائر عواصم البلدان واشهر فروعها لتعليم الناشئة التونسية إلّا ان مدير العلوم منذ انتصابه وهو يرخم فيها شيئا فشيئا الى ان طمس كثيرا من معاملها ونسف ما شاء من معاهدها وقلل عديد التلاميذ من البقية الباقية وحرم عليهم ان يتعاطوا غير اللغة ومبادي هندسية وحسابية لا تستحق الذكر حتى ان المستقربي للغتكم وحفاظها من ابنائنا لا يكاد يظفر بواحد في المائة

الدخيل

صدقت فاني شاهدت اثناء تسوحي في انحاء الايالة التونسية خلو مسير اليومين والثلاثة بل والاربعة من المعامين حتى انه في نظري ان النسبة دون ما وصفته وقلت فاني وجدت العرب لا يزالوا يجفلون من القبعة كما تجفل الغنم من الذئب وفيهم كثير ممن لا يفقهون نزول فرانسا هذه البلاد ولئن كانوا على جانب من الكرم والحياء ورقة الطباع . ومن غريب ما سمعته في سفري هذا في بوادي الجزائر والرعد له دوي يشبه فوهة البركان هذا مدفع السلطان طلقته الملائكة بين السماء والارض للفتك بالشياطين فاخذني الخجل وقلت في نفسي ان نوابنا وراء البحار افرطوا في حب البذخ وما يعود على انفسهم خاصة وجاوزوا الحد في اغفال ما اوحت الينا به شرائع المدنية من تربية الافكار وجعل سداها الدراية ولحمتها الحكمة فما كنت اظن ان تكون للسذاجة درجة مثل هذه الدرجه في اوطان يخفق على ربوعها بند الحضارة ويحرس كيانها النظام وقد اشعرتني تلك الجملة السابقة الذكر ان اعتصام تلك القبائل بحبل ودادنا ما له من سبيل غير تلقينهم لغتنا وتحلية عقولهم بعلومنا

الوطني

ارى مقالك هذا شافي لما قلت وبرهانا لما قررت وحجة لصدق مدعانا ولكن من هو المسئول على عدم تقذ ذلك القسم الكبير من غريق الخمول الذي افضى بهم

الى ما حكيت ولسوف تسمع عنهم ما هو ابشع واشنع وافظع مما اعرب عنه بله القصرين لوقت قريب فانهم الى اليوم وبعد اليوم لا يوجد بينهم متهيئين لقبول الاوامر والنواهي حق قبولها إلّا افراد قليلين تخرج من الجامع الاعظم المعمور

ان يكن هو صاحب الجبروت الذي اكره الناس على الضرائب الطائلة والانخراط في العكسرية والخضوع لكل امر مهم لكون مقدرته الذي جبت الاموال واخضعت الرجال تخوله الوصول لتعليم الاهلين ولو جبرا بدون كلفة وكبير عناء

فاي مانع له اهداه الله الصراط السوي من تكوين المدارس وتكثير عديد المعلمين في جميع انحاء المملكة وايفاد البنين من التونسيين عليها لتلقن الفنون العصرية واقتناء العلوم الحياتية ذات الشان حتى لا يبقى للبساطة اثر يبلغ بصاحبه ان يعتقد في البرق الخلب انه طبجي عثماني يحارب في جنود ابليس اللعين ....

فهل هو الفاعل في اموال الحكومة ام هو الاستبداد بينه والحيف بعينه الدخيل

لا هذا ولا ذاك وانما القابض على ازمة المعارف يرى من الحكمة بثها بطريق التدريج وادخالها بمسيار الونى وما تنتجه العجلة في سنة لا باس باخذه من ابواب الامهال ولو بعد خمسين قرنا او يزيدون .....

فقد اعلن رضي الاعوجاج عنه بذلك في الموكب الخلدوني المنعقد لبضع شهور خلين وبرهن مصرحا عما هو مشهور به من المطل والتسويف والروغان عند ما يلتمس منه مطلق طلب في خصوص مسئلة التعليم الى ان رغب من القائمين بالنهضة اعتياض العزم بالفتور وابدال الجد بالتراخي رحمة منه بالجمود الوطني « اذا مت ظمئانا : فلا نزل القطر »

عجبا اذا باتت الامة التونسية جاهلة واصبحت عالمة في ظرف اربعة وعشرين ساعة فهل من ضرر على مسيو ماشويل وهل من خطر على المحتلين ان لم يكن هو الفخر الذي ينتهي له الفخر لرجال الحماية الاحرار على ان ازالة الوحشية وقتل الهمجية التي هي دعوى اوروبا العريضة التي تتذرع بها لفتح الممالك وتخريب البلدان وتدمير المدن وتلويث انيابها بدماء الابرياء من بني الانسان حتى اذا ما عوتبت

وعبب عليها قالت انما ذلك خدمة للنوع البشري وترويجا لبضاعة العمران

الدخيل

اعجاب الرجل بنفسه وحبه العظيم للاستئثار وبغضه الكبير للمسلمين هو الذي دعاه لحرمانهم من ثمرات السعادة وابعادهم عن ساحة النفع ما استطاع وان يبدي لكم ان ما يفعله ولا ينتحى عليه انما هو بايعاز من دولته فان ذلك تدجيل وتضليل اصلهما سوء ضميره نحوكم لا غير

الوطني

ان المتتبع لاعماله والمتعقب لافعاله يرى كل تلك الخصال الذميمة التي وصفته بها بادية عليه ولكن كيف التخلص من حبائل مكره المتزائد وان تكن فهل ثم شيء غير تداخل الدولة في شؤون ادارته حتى تسلبه الساطة المشومة والنفوذ الذي استعان به على البلوغ لامانيه السافلة حتى لا تكون تلاميذ مليون ونصف دون طلاب الجالية الطليانية عددا وهم لرعاية عنصر بالغ به استقلال الضمير بان يكون رئيسه من مطلق الناس متى كان متاهلا للقيام باعباء الوظيف

الدخيل

ان الحكومة تعطه ذلك وتتغافل وتتحققه وتتثاقل عن تغييره وكان الواجب عليها ملافاته ومقاومته في جميع الوجوه فان تقدم البلاد منوط بمشيتها وانصافها معهودا لارادتها وهي ذات الحول والطول فمهما يكن من العار لا يحط إلّا بناموسها فقط وقد رأيت ان تنهي جوابي هذا بكلمة لا اراها تكبر على من كانت سجيته احترام الحقوق والنصح لكل من تربطه معه الانسانية . وهي اننا بالغنا في غبنكم واجحافكم ووصلنا من التنكيل بكم غاية تاباها عدالة الجمهورية ووزرائها ولا ينفعكم معاشر المحمديين إلّا اعمال قوس الراء في تكوين كليات رحيبة للعلم والتعلم ونفقاتها من جيوبكم ولوازمها من كيسكم الخاص ولكم في المدرسة الخلدونية اسوة حسنة فلقد تخرجت منها طائفة يعز وجودها بينكم الماما بما لا تستقيم بغيره الحياة

الوطني

الله اكبر خامرتني خمرة الياس واستاسرني القنوط من عدالة اهل النظر ولم

يبق لي إلّا اشرباب البصر لباريس وما ياتينا به منها يريد المساواة اما الاعتناء بتربية اولادنا بانفسنا فله موانع كثيرة اقلها الوحشة الدائمة بين افرادنا والتخاذل المستمر

الدخيل

المعني شيئا بسير الادارات معكم علني نلقى ما اشكر عليه ابناء جلدتي الوطني

ان حضنا من مدير الاشغال العامة الحرمان من الوظائف مطلقا إلّا ما كان كحراسة الباب ونحوها وعلائقنا مع مدير المال كذلك إلّا ما سفل وابي الاجنبي قبوله كخدمات المجابا والاعشار ذات الاجور الزهيدة التي لا تفي بسد رمق الاوساط وعلى هذا المنهج الوخيم درجت ادارة المحافظة والبوسطة والتلغراف

اما مدير الزراعة فانه يسخر بالفلاح العربي ويزدري به ولا يعتبره شيئا مذكورا وكل عنايته مصروفة لما يهم المعمرين خاصة. بقي المتجر وهذا ما فاتنا الكلام فيه والتعريج عليه

الدخيل

ان هذا لعسف وظلم لم يقدم له نظير حتى في تواريخ الامم البائدة اشكو ولا تسأموا الجبار طغى وعتى ولتعلموا ان في رجال فرانسا من ياخذ بيدكم ويفدي حقوقكم بالنفس والمال وها انا ذاهب الى باريس لاشخص حالكم هناك فلتبقى بخير ودعة بال

الشهامة خير من الجبن

عدد ٢٠ في ٣٠ جماد الثاني سنة ١٣٢٥

الشهامة والجبن خلتان متناقضتان لا يسلم احد من البشر من الاتصاف باحدهما بيد ان الاولى المعروف بها دائما تراه مهابا في النفوس محبوبا في القلوب مبجلا بين الناس مصدوق الاراء مسموع الانباء نافذ الكلمة مرموقا بعين ملؤها الرفع والاعتبار

ولو كان ابن جزار والعكس بالعكس . يذكر التاريخ ان نابليون بونبارت بطل اروبا جميعا ما احرز المكانة بين قومه حتى مضى مدبرا لاعمالهم متصرفا في شؤنهم قابضا على صولجان سلطانهم إلّا لما اشتهر به من الجراة الزائدة والاقدام الغريب اذ ان والده فلاح صغير من جزيرة كرسكي . وعليه فحقيقة (ان الشهامة خير من الجبن) فهي البرج الذي يحله كوكب الغيرة والعين التي تغرب فيها شمس العفاف وناهيك بفضل من عرفوا بها ممن سلف كصلاح الدين الايوبي وخالد ابن الوليد اللذين ملا ذكرهما الارض بهجة وجمالا واضرابهما نجوم الفخر . اجل (ان الشهامة خير من الجبن) . فان المطالع لدواوين العرب المتصفح لاشعارهم ومنثوراتهم وسائر مز بوراتهم يجدهـا طرا طافحة باطراء البسلاء منهم وقصر الشان عليهم بل وبذم العلج وهجو الجبان كائنا من كان . روى ان سعد ابن الوقاص احد سادة قريش قيل فيه لمالم يحضُر وقعة الفرس الكبرى لمرض قام به وهو رئيس على الجيش

رجعنا وقد امت نساء كثيرة ونسوة سعد ليس فيهن ايم

حتى اضطر رضي الله عنه لكشف ما به من القروح الكائنة في مراق الاعضاء امام الجند دفعا لوصمة العار بالخوف الذي هو ضد الثبات . لذلك قلنا (الشهامة خير من الجبن) فان المنعوت به لا يكون إلّا جبئزا همازا لمازا مشاء بنميم خلوا من الكرامة خلوا من النزاهة خلوا من الادراك بعيدا عن مطارح الانسانية يفيض دماغه مكرا ويتدفق قلبه غدرا اسوة باخبث الحيوانات فلا بدع اذا ان تكون (الشهامة خير من الجبن)

قال الحكماء الدليل على علو منزلة الرجل عند باري السموات والارضين وجعل المراة دونه رتبة ما تشاهده في الفريقين من قوة صبر الذكر على الهلع وشدة جزع الانثى من الفزع وهو معنى قولنا (الشهامة خير من الجبن) زد ان الموسوم به ايضا يكثر تشابه افعاله بما يصدر عن ربات التبرج في الحارات وفي ذلك ما فيه من كراهية الامامة بل والاقتداء به مطلقا في صلاة او غيرها ولو الجنازة والارشاد . لان التحاقه باخته في الادمية من بعض الوجوه كما يمنعه ان يقود الجيوش في الحرب والنزال كذلك يابى دونه من الجهر بالمقال والصدع بالسؤال بل وعلوه ولو قيد شبر . فما سمعنا ولا نسمع ان نسوة اجتمعن على عبادة فقدمن منهن اماما يعظهن بجودة بيانه وذلاقة لسانه ثم

يركع ويسجد بهن حالة كونه متبوعا في الحركات والسكنات مقبول العمل

نعم ان في اروبا الراقية كثيرا من الخاطبات وذوات الاقلام ولكن كلامهن لا يحرك عاطفة ولا يثير حماسة ولا يدفع مضرة بل لا يتجاوز تدريب البنات على الوقاحة والسفاهة والازدراء بحقوق الزوج .. واين ذلك من منصب الشهامة الذي يقول الفلاسفة انه لا يدلي إلا السداد . دعنا من الخزعبلات الفارغة والتمويهات الباطلة والعن من لا يقول ان (الشهامة خير من الجبن) . ولنعلم انها ليست بتابع يعسر ابرازه في غير ملاقاة العدو والسباحة في بحور الكفاح بل الامر على خلاف ذلك فانها كما تعلم في المطاردة ومصارعة الكماة . كذلك تتجلى باجمل مناظرها حتى في رفع الدعاوي والاحتجاج على الخصم واقناعه بما يلزم حتى يصد عن غيه ويستقيم

امن الحكمة ان يلقى الرجل العصاة امام المعتدي وفي مقدرته دفعه لو تشجع وتكلم امام رجال العدل . امن الرشاد الرضى بالتسليم للمعنت وفي الطوق درءه لو توفق واستنجد ولاة الامور . أمن الكرامة الصبر على الضيم وفي الوسع تفريجه لو صال واستغاث ارباب المساواة . أمن الرزانة استعمال الظلم وفي الامكان رفعه لو ناح وشكى لاولياء النظر . أمن الاعتدال الركوس للاستبداد وتسويله في اعاين البسطاء وفي التاهيل ما يقضي بتقليع جراثيمه لو لم يضن به .

اجيبونا يا من اتخذ الخنوثة وسماها لباقة ادبية ونجابة عرفية لا يفقهها إلا اولى الابصار .. وقال ان المتذمر طائش جائش لعباب المهالك عادل عن قويم المسالك مائل عن سواء السبيل يوشك ان يقع في مهواة التالف

يا هؤلاء المعترضين (١) وان كانت لا تجمل مجاراتكم ومناقشتكم لكونكم تمثلون الطبقة السفلى من الامة في ابشع ازيائها والفئة الرديئة منها في اقبح اشكالها فانا نقول لكم كلمة شديدة عملا بقاعدة ان (الكلب تقرعه العصا) ......

(١) اثر محاكمتنا الاولى امام الدريبة التي كانت فاتحة عصر القضايا السياسية وكان الراي العام حديث عهد بالشريات الحرة كما اشرنا الى ذلك والى احساسه وشعوره الضئيل في مقدمة الكتاب . قد اظهر البعض سرورا بالحكم وقول تفسه بعض الاقاويل كالدخول فيما لا يعني وغير ذلك مما اوجب تسطير ردع المتقولين وافهام الجاهلين

وهي انكم خاملون جاهلون عاطلون مهذارون خطالون خلاطون ديدنكم الاخذ من الاعراض في قهوات الارباض وسباب الامجاد في شوارع البلاد والطعن على الكتاب في كل حائط وباب مهنتكم الفجور وغداءكم نمير الخمور لا وازع شرعي يزعكم ولا رادع عقلي يردعكم ولا زاجر عادي يزجركم ولا مانع حياء يمنعكم ما انتم فيه منهمكون وحبطت اعمالكم وخابت آمالكم وانكشفت سواة شقاشقكم وانفضحت عماراتكم وبانت دناءتكم . فهلا صبوتم للرتوع في مراتع الفضيلة والتخلي عن منازع الرذيلة وغالبتم فتنة الهوى رجاء الخروج من ربقة بهائم الانعام

هذا ما ننصحه لكم قبلتم ام رددتم : غضبتم ام رضيتم ومن انذر فقد اعذر ومن ارشد فقد استحق ان يؤجر والسلام على من قبل النصيحة واهتدى

لغـز

تحت طبقات الارض (١)

عدد ٢٠ في ٣٠ جمادى الثاني سنة ١٣٢٥

ساق القدر ملكا شريفا للمرور على عاصمة الشياطين (الجحيم) ولما دنى من اسوارها المتقدة نيرانا خرج عليه ابليسان صغيران اسم الاول منهما الفساد والثاني ابو الخبائث وابديا معه من ضروب البشاشة وانواع الحفاوة وصنوف الترحيب ما اذهله سرورا وادهشه حبورا . وقطع معه بنظارة اخلاق قومهما وسمو همم اهلهما . ولا غرو فالمومن غر كريم . . . فكم مومن موحد جر له حسن اعتقاده ما اودى به للهلاك . . . ومن ذلك هذا الرجل العظيم فان قصد ذينك الملحدين كانا يسعيا لغاية

---

(١) تعبيره او بيانه هو قضية القاضيين واجتهاد الادارة وتشدد في اثبات الدعوى واصدار الحكم . ثم اتضاح الحيف والميل لها ولتاييد دعواها من رئيس المحكمة الشيخ غفر الله له . . . بما ابداه من الاهتزاز والارتعاش ضد المطلوب حتى اوقع سخط العموم عليه . . . .

سافلة هي انزاله بعض وكائل المدينة ثم الطواف به في اسواقهـا ومعاملها التي ترمي بشرار كالقصر حتى اذا ما تم تفرجه على الخطة التي ارتسماها في الذهن طالباه في اجرة التجول شان كل سمسار سخاب وجن كذاب وفعلا وقع في حبائل مكرهما وانتابه شرهما فيما بعد واليك البيان . على اثر ما اعترضاه واظهرا له من العناية ما حببه فيهما سار به لدواخل البلاد حتى لمتوسط نقطة في البخت وثمت اكتريا له سكنا في فندق يقال له العذاب امام مطلع النكال باحدى شوارع سقر الكبرى

وبعد ان اخذ المفتاح ذهبا به ودسا له في اثناء ذلك ان من سننهم المعروفة وعاداتهم المالوفة قبل كل شيء انهمـا يريان الضيوف الوافدين لمحض التسوح والاستطـلاع على الاحـوال مشافهة الامراء وزورة الوزراء ومقـابلة القضـاة فلبى دعوتهما واجاب رغبتهما وعمد لمنازل اولئك الابرار . . . العـادلين . . . وناهيك بمن كان بينهم ممن خاطبه الرب سبحانه بقوله جل من قائل (ذق انك انت العزيز الكريم) وكان كل يكرم مثواه ويحبيه لمتمناه . إلّا متوظفين هناك . . . . فانه عند ما اقترب منهما عبسا وتوليا وقالا ما هذا شيطان مثلنا ان هو إلّا انسان حكيم او ملك كريم وامتنعا من اشرافه على نظاماتهما وسوء تصرفهما مخافة الحديث بخياناتهما والبوح بما انطويا عليه من الظلم والعناد ناسيين قول الشاعر الخبير

ومهما تكن عند امرء من خليقة   وان خالها تخفى على الناس تعلم

فان الزائر ما برح مكانه ينظر لهما بعين ملؤها الغيظ والغضب حتى استحال احدهما الى بشر بديع الطلعة طليق اللسان جري العزيمة من النزاهة بمكان والاخر الى صورة مفجعة مخجلة وعلى منكبه (فاشة) سوداء مكتوب على ذيلها بالحبر الاصفر تلك المرتبة التي اورثتموها بما كنتم تطمعون وعلى راسها كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الحاضرة . . . . . . فقال ذلك العابر في نفسه ويحي ما هذه الاشكال والى اي مطمح تنحو . وان يكن فما هو ان هذا إلّا امر خطير ثم خامرته خمرة الريب في كامن الغيب . فظن بصاحبيه خداعا فتجنبهما لحينه واخذ يفكر في تكوين مهنة يتمعش منها مدة بقائه بتلك الديار وكان شاعرا مفلقا وكاتبا مغلقا فخطر له انشاء صحيفة يتوخى فيها طرق الرشاد وينازل بها الاضداد فقدم طلبانه للهياة الحاكمة

هناك فاسرع ما قوبلت بالرضاء والقبول فصدر عدة اعـداد تعرض فيها لذم ذينك الزنديقين ...... متحاشيا عن نصب القرائن التي من شانها تسليط الانتقاد على شخص بعينه حتى اذا بلغ صدى تلك النشرية مسامع المنتقد عليهما فازبدا وارعـدا وقاما وقعدا وهاجا وماجا وولجا باب التشكي فرفع امرهما لديوان الهضم فتالفت لجنة الابرام من عضوية الارتشاء ومعونة الغبن ورئاسة الخراب وبعث برسول البين للاتيان بالمدعى عليه ولما حضر ادلى بحجج باهضة وبراهين قاطعة على برءاته مما نسب اليه فلم يجد إلّا التصامم والالغاء فصدر عليه الحكم بان يبصق على بكر ويلعب بذقن عمر بعد خسارة ما يساوي المليم ونصفه من مسكوك تلك العاصمة (اعني) ٣٠٠ فرنكا صرف هاته الديار ثم انشد ،

يا حسرة العدل رجل العدل قد عرجت　　وصفـوة الحق في اكفـانها درجت
أمـا المـروات لما روحهـا خـرجت　　غاض الـوفاء وفاض الجور وانفرجت
مسافة الفرق بين الخمر والعسل ......

الهمجية والنظام (١)

عدد ٢١ في ٧ رجب سنة ١٣٢٥

اقتضت طبيعة هذا الكون قديما وحديثا تزاحم ذينك النوعين على اخضـاع رقاب البشر من حين تمييزهم الى استقبالهم الباقية فكل تراه يهيء الخدائع وينصب المكائد للوقيعة بعدوه وخلعه من كرسي ملكه ليحل مكانه والناس على تباين نحلهم وتخالف مللهم وتفاوت عقولهم بين مغرم بالاول ومولع بالثاني هذا يزعم ان الفضل

(١) المقال خيالي اريد منه بيان حقيقة روعي فيه مقتضى الحال والاعتبار المناسب وهو اظهار فساد عقيدة غزاة قرن العشرين بذلك الاسم الذى ادعوا وجوب نشره حتى استباحوا حرق القرى وقتل العزل كما يقتل الفرا ، ثم الايمـاء الى الفرق بين دعوتين من امتين في تصريف مدلول ذلك العنوان مما هو مشاهد بالعيان

للمتقدم وان الاصل في الاشياء الوحشية وذاك يقول الحديث اشرف والتسيق طاري وتلك هي السنة المعروفة منذ برا الله الدنيا

ولم يكن الخلاف فيما مضى من الزمن مستحكما كما هو اليوم فانه كان قاصرا على المناقشات الظاهرية وبندر ان يجر للمناوشات الحربية والمعارك الدموية كما هو الديدن الان . نعم كانت تكثر الاضطرابات وتشن الغارات ولكن فيما بين المتحزبين لمذهب واحد لا كما هو الجاري في عهدنا هذا فان غالب الفتن التي تحتدم نيرانها في العالم فتذهب بالمال والرجال لا تقع إلّا بين المعنون بهما

والسر في ذلك والله اعلم ان النظام كان في الايام الغابرة في سن الطفولية والهمجية كانت في عمر نوح والاولى تصانع المنصف البالغ بها الثانية وهذه قليلة النظام للاجنبي منها كما هو المشاهد في كل مكان وزمان فلم يكن ماكان في هذا الوقت الذي قوى فيه ساعد ذلك الصبي حتى صار شيخا كبيرا وهزات فيه تلك المسكينة ودب في اعضائها ديب الهرم . ان خصم تلك السبية للعجز ماكاد ان يسمع بخورها لما دون الاوهام واذعانها لعصاة الاغنام وركوسها لشوكة الاستسلام حتى طاش باله وطمحت آماله للعمل لانخانها اولا ثم قتلها ثانيا تقليعا لينابشها واستئصالا لشافتها ليستبد بالامر والنهي في طول اليابسة وعرضها حتى اذا عنت وانتابه اللوم اعتل بخدمة الانسانية وتحرير بني حواء من عبودية الجهل والسفاجة اللذين هما الهيكل التي تحله الهمجية .... ولربما كان صادقا ومحقا في ذلك اذا عمل الحزم ونشر العلم واجزل الحلم ورفع الظلم من الاوطان الذي ينزلها بشان يعبر عنه بالحماية او الاستعمار وان كان لا فرق بينهما في بعض الاقطار ولربما كان الثاني اخف وطاة من الاولى ؟؟؟ لو انصفت الحال تلك المقعدة لوسمت بالساكنة البارة الواقفة عند حدها المتحاشية عن كل ما يشين . واذايتها لمن يجالسها ويساكنها لا تعد منها جناية كبرى توخذ عنها بالناصية والقدم لان الانيس اذا لم يتحمل من قرينه اصغر الهفوات وعظائمها كان انحس نديم اثيم سيما ان كان هو المتطفل على الوفود ولكن القوة تغلب الحق فقد سطا عليها مناويها وجعل يتربص بها الفرص حتى اذا ساعفت ابتلعها وقال هل من مزيد وهي المستكفية بما تنبته ارضها المستضيئة

بسراج نجومها النائمة في مضجع الاستكانة البرية من شوائب الاغراض ولكن قاتل الله الجور المتاصل في النفوس كم يجور عن المنهج الانجح وكم يعدل عن المسلك الاوضح

ان هذا المتساط او النظام وافى الثالثة من عمره على راس الاربعين من حياة خاتم النبيين لانه تلون في اثناء خلقه (صلى الله عليه وسلم) فهو مهبطه ومسقط راسه شبه جزيرة العرب وفيها رباه والداه (الاسلام) وابدع في تهذيبه حتى نشا مفطورا على حب الفتوحات وركوب الاهوال شان الابطال من الرجال فما كاد ان يبلغ اشده حتى قوض اركان ايوان كسرى واستوى على عرش قياصرة الروم وجلس على اريكة النخوت الافريقية واخذ ما جل من العواصم الاوروبية وبقي يحمي حمى الجميع الى بعيد الحروب الصليبية ذات البلاء العظيم . ويومئذ انحرف مزاجه السامي فنحل جسمه وتزائد غمه وتفاقم همه وعظم خطبه ولم يجد لبرءه من سبيل لفقد مكانه من مهرة الاطباء وحذاق النطاسين فارتحل يطلب الدواء الناجع خوفا من الموت الفاجع فكان اول بلد نزله (لندن) في اوائل القرن الثالث عشر بعد المسيح فلم يمر عليه بضع اشهر حتى استقامت بنيته واسترجم ما فقده من القوة فاختار الاقامة هناك وله الحق فاي شيء افضل للمرء من راحة الفكر وصحة الجسم والعزلة عمن يزدري به سيما اذا اضيف لذلك علو الجاه كما لاق المتحدث عنه فان البريطانيين احتفلوا بقدومه واكرموا مثواه حتى طاب له ان يتزوج منهم وهل بعد المصاهرة من دليل على تمكن حبه من اعماق قلوبهم واسترقاق اشباحهم وامتلاك ارواحهم فجدير به ان يمكث بينهم ينبئهم بانبائه ويرشدهم بحكمه الى ما يرفع بهم لاوج الكمالات وحري بهم ان يتلقوا نصائحه ويبروا اخباره ويقدسوا اثاره .. ولقد فعلوا ذلك حتى ذاع صيته وشاع ذكره بين جموع الربوع الافرنجية فرنسوية والمانية وايطالية بل تناول حتى اليابان فتقرب له الاولون بمطارحة الصلبان ومنابذة الاديان والاخر بالسخرية من الاوثان ... فكان لهم المعبود من دون الله ولقد انجحهم التعلق باذياله والتمسك باهدابه واوصلهم الى ما ترى وهو الذي يوحى اليهم الساعة بعد الساعة والدقيقة بعد الدقيقة بتقليع جذور الخمول والبساطة من احشاء البسيطة ولا غرابة فقد آن له الفتك بمن هو دونه باسا وحان له تجربة سم المنون وقد كثرت اشياعه وتعددت اتباعه واعتز جانبه اعزازا بعيدا يضمن له التاييد والنصر ولمنازله الخذلان والكسر

جريرة المعمر الفرنساوي

عدد ٢٢ في ١٤ رجب سنة ١٣٢٥

يسير المعمر الفرنسي سيرا حثيثا في طرق اعنات الاهليين والتلاعب بحقوقهم المقدسة وعدم المبالاة باحترام امتيازاتهم الحيائية التي خولتهم اياها الوطنية وتوارث البلاد اب عن جد من نحو اثنى عشر قرنا او يزيدون بل وبحسن انقيادهم للحماية وولائهم لرجالها الاحرار منذ حكمت الاقدار بالامتزاج بهم الى حتى اليوم

وما اكتفى ذلك الزميل الاثيم باستئثار بني جنسه بما سما من الادارات وجل من المزارع وصلح من مرافق هذه الديار

فهو صباحا مساء يتعب في فكرته ويشحذ في قلمه لتسطير وجوب اضطهادنا احيانا ولزوم التضييق عنا تارة وتحتيم الصرامة معنا اخرى علاوة على ما كان اجتهد في طلبه وفاز بنيله من قفل المكاتب في وجوه ابنائنا وسلبنا وظائف شؤوننا شيئا فشيئا الى ان نهاجر او نموت ممقوتين ولولا عدالة الجمهورية ذات الشان لاقترح ذبحنا بمدية الاغتيال كما فعل رهبان الاسبان مع مسلمي الاندلس ايام اذعانهم لدولتهم المنهمجة اذ طلبوا من حكومة مدريد يومئذ جبر المحمديين على اعتناق المسيحية او رميهم بالرصاص شنقا حتى سفههم الملك لذلك العهد وذهبت آمالهم ادراج الرياح

دكارنيار ولو كان قومه ينادونه بسقيم الاقوال ويلقبونه بعقيم الافعال اذ استرسل في الركض بفجوج الاعتساف ومصادرة المساواة والمنابذة على ابداء ما يشين سمعة امته الفخيمة بدون مهلة وفتور يشعر ان بنقهه من داء الحماقة التي ابتلاه الله بها ولا غرابة فقد قال الحكماء الاقدمين

لكل داء دواء يستطب به ... إلّا الحماقة اعيت من يداويها

فان دكارنيار لا يرى حطة في السخرية بفاسد ارائه ولا يبصر نقيصة في الازدراء باخباره ولا يهتز ابدا من العبث بانبائه بل لا يخال ذلك إلّا قصورا عن ادراك مغازيه ووقوف دون فهم مراميه، ولا غرو فالمجنون يضرب من لا يسوغ ضربه ويسب من

لا يجوز سبه واذا عوتب او عيب عليه ضل ضاحكا مستهزئا بلائمه ولربما هم به شرا يقول المومى اليه والخطاء ملئ فؤاده ان العرب سواء هم والاوابد العادية وما تدري ما مستنده في ذلك ولا يبعد ان يكون تاخرنا عن مجاراة الامم المتمدنة في ميادين الحضارة وافانين الرقي ولكن ان كان هذا احتجاجه فيما يجيب ان قلنا له تلك مشيئة ارباب الامر والنهي فينا وارادة الاحتلال . ثم الجرءة التي يرمينا بها في كل آونة لا يدرى من اين له استنباطها وهو يزعم ان ديننا لا يسمح بقتل الحيوان على الاطلاق . اللهم إلّا ان يكون هو ليس من نوع المتحركات ولو العجم وان كان هذا ينافيه نطقه ايضا فليتدبر عتوه ولينصف الحكم فيما نلقيه عليه من الاسئلة الهامة لعله يتذكر او يخشى . وهي هل الجور إلّا جزء من التوحش فان اثبت فهو متوحش لان جميع طلباته مملؤة هضما وانتقاما من التونسيين او المحجورين ... وان نفى يلزم ان السبع الضار اذا سطى على الانسان وسقاه ريب المنون كما هي عادته عند ما يلتقي بالادمي يقال فيه انه اكيس مهذب بعيد عن مزالق الوحشية وهو عين انكار المحسوس

فلنتامل حقادة المتهجم على متاع الغير بدون موجب عدلي وليعلم اننا نفقه جيدا القانون الذي اوجدته مخيلته وهو يعمل لتنفيذه خمسة وعشرين عاما وهاك هو بعد ان اخذناه من دماغه بفوتغراف الفراسة ونصه

باسم الكنيسة نحن دوكارنيار قيصر الاجحاف وامبراطور الاعتساف نامر حزب الخراب من تبعتنا ان يسعى وراء تنفيذ لائحتنا هاته المشتملة على عشرين فصلا قانونيا مقدسا وان لا يتخطاها قيد شبر وان ابننا (تريدون) مكلفا بنشر دعوتنا واذاعة رغبتنا وهو الوصي والوكيل على حزب الخراب

الفصل الاول

جدوا اخواني في وصم العرب بكل معرة ككونهم لا يالفون الطاعة ولا يبرون الجوار ولا يصادقون الدخيل بحال حتى اذا تمكنت هاته الوساوس من رؤوس (الرؤوس) حقروا وزحزحوا عن مواقع التوقير والاخذ بالناصر . فيسهل وقتئذ نهب اموالهم ومحق اطلالهم وبقينا منفردين ولا علينا في نوايا دولتنا نحوهم لانها تسعى لما يزين سمعتها ويرفع منزلها بين الامم المتقاطنة في هذا العالم وهذا شيء وقصدنا شيء آخر

الفصل الثاني

يجدر بنا معاشر الاتباع الاعتناء بصيرورة اراضي هذه الايالة الينا ولو بطريق الاغتصاب فاني رأيت فيها ما يخفى على الكثير منكم من رونق المناظر الطبيعية وبهجة البساتين النضرة والاشجار المثمرة وجودة الطينة وخصب التربة ووفرة المعادن والمناجم من كل ما يقضي علينا بصرف الهمة لامتصاصها من اربابها وتركهم فيها اجراء وطردهم الى حيث الخلاء والرمال عملا بقاعدة (قم لاجلس مكانك)

الفصل الثالث

لا يلقن العربي المعارف العصرية مهمى امكن مخافة رفعه من حضيض الغفلة وصعوده على صهوات التقدم بل والتحاقه بنا معرفة باحوال هذه الفانية فيتسبب على ذلك ما يتسبب من احاقة الخطر بمستقبلنا وناهيك بمزاحمة من يفقه اتيان بيوت الاسترزاق من ابوابها صنعة وفلاحة وتجارة وقلما بعد ان كان في هوة الحيرة دائخا تلوح على محياه بوارق الانذهال والدهشة لا يهتدي الى الرفاهية سبيلا وبعد ان كان يتيقن ان الحيف حقا وان الكذب ربما كان صدقا والتفضيل انصافا

الفصل الرابع

من المصلحة ابتعاد الذين اختط اوائلهم مدن هاته الايالة عن الخدمات الدولية اسوة بصنع ادارة الاشغال العامة والبوسطة والمحافظة إلّا ما الجأت له الضرورة كاقامة حراس الابواب منهم حيث لا يوجد بيننا من يتنازل لذلك لضعف الجراية . وان اسهل مسلكا موصل لهذه الغاية فيما يظهر تعويض من يموت منهم على وظيفه بفرنسي وكذلك المعزول الى ان نستاصل شافتهم اجمعين اما حرمانهم من ذاك مرة واحدة تخفيفا لعناء الانتظار وتعجيلا للفائدة فذلك ما يتمناه كل رجل مثلي ذاق حلاوة الاستبداد

الفصل الخامس

ان احسن وسيلة تدعو مساكنينا للنزوح من هذه الامارة الى قارة اخرى حتى نظفر بالمغنم الذي ما بعده مغنم تفايض الضرائب عليهم مع تكررها في العام عدد اصابع اليد على الاقل واكراههم على دفعها موسرين او معسرين حتى يعمهم الفقر

المدقع فيولون وجوههم شطر السفر والبروح وليس ما عليه ادارة المال اليوم بكافي لبلوغ تلك الامنية في الوقت القريب فان محتويات بندنا هذا اكفل بلثم كفي المرام بسرعة عجيبة ومن يرتاب في ذلك فليتخذ التجربة له دليلا . . .

الفصل السادس

على ذوي الحل والعقد من دائرة العدلية او غيرها ركوب متون الشدة فيما يصدرونه من الاحكام على مشاغبي العرب فيما بينهم او خصوم المسيحيين منهم ظالمين او مظلومين والامل من العدلية النزوع لهدر دم الاهلي والاخذ بثار الاجنبي ولو من آل اسرائيل واسئله سبحانه ان يرزقها الوثوق التام بعرى التفرقة بين الجبالي والوطني وقهر هذا وتاييد ذاك ما دام الليل ليلا والنهار نهارا

الفصل السابع

الحذر الحذر من سماع ما تتفوه به تلك الطائفة (الجون تونزيان) فانها ترمي الى ما يناقض الاغراض المتقدمة ويهدم ما شيده البوار من كل ما يطير صيت فرنسا حرية وفخارا ولا يتسنى معه للنزلاء الاحراز على تلك المثارب العزيزة التي هي معنى الثرا الطائل والغناء الواسع لان النقطة التي يحومون حولها اولئك المعارضين هي نشر المعارف بين طبقات بني جنسهم واعتبارهم شيئا مذكورا ازاء معترك البقاء وفي ذلك ما فيه من العطب العظيم على سياسة الخراب

الفصل الثامن

يجب عليكم معاشر الاتباع الاعزاء ان تصرفوا دائما همتكم في كل ما يعود عليكم بالغنى الطائل والثروة الواسعة وان تضائقوا الاهلي ما استطعتم ولكم اسوة حسنة باخوانكم معمرو طبربة فانهم بحزمهم جعلنا الله واياهم في حمى الاب الاعظم قد امتلكوا تلك الاراضي في اقرب وقت وشتتوا شمل العرب من هنالك حتى اضطرت الحكومة الى محو العمل وانزاله الى خلافة حيث لم يبق من اثر الاهالي إلّا اسماءهم في دفاتر القيادة وهو امر يسر خاطري ويطفي عني لوعة تكاثر السوسياليست

الفصل التاسع

يجب على كل فرد فرد منكم ان لا ينسى من دعائه الصالح ادارة الفلاحة التي اصبحت لا هم لها إلّا شراء الهناشير وتوزيعها بكيفية مرضية عليكم مع اسعافكم بكل اعانة وتنشيط وما نصيب العرب منها إلّا ضرب الاجال المضيقة لهـم في وجوب الرحيل من تلك الاراضي الخصبة الطيبة التي سكنوها القرون الطولى وتركها لكم واسعة كما وقع ذلك اخيرا في طبربة من ترحيل مشيخة كاملة تقريبا

الفصل العاشر

لا يثني عزائمكم عن مقاصدكم عويل العرب ولا ياخذكم الحنان الانساني بهم فان في ذلك الطامة الكبرى على مستقبلكم وما اتيتم لاجله من بلاد الاباء والاجداد من الحصول على الرفاهية والثروة وسعة الرزق ورغد العيش والتهيمن وان عم الخراب غيركم وحل العذاب بسواكم واياكم ثم اياكم من فهم كلمة سياسة التشريك وسدوا اذانكم دائما عن سماعها ولو اذن بها في عاصمة الجمهورية المؤذنون او دقت بمنارات الكنائس بها النواقيس

الفصل الحادي عشر

يتحتم عليكم معاشر الاتباع الاعزاء تكثير الجرائد الكنيسية واسعافها بكل مساعدة لاني اراها هي الوسيلة الوحيدة لمعاكسة من سموا انفسهم اشتراكيين وتضليل الحكومة عن محجة الانصاف والاخذ بارائهم السقيمة القاضية بمشاركة هؤلاء العرب معنا في خيرات بلادهم ومساواتهم معنا في الحقوق البشرية والحال انهم جنس تجب ابادته شيئا فشيئا ليخلو لنا الجو ونامن مضائقته في حال من الاحوال

الفصل الثاني عشر

اياكم والخوف من عواقب السياسة العوجاء في نظر السوسياليست بقياسكم اياها على ما اجراه الاسبان مع عرب الجزيرة وقد ءال امره الى ما هـو عليه الان فانه وان كان التخوف في بابه إلّا انه لا يلحق جيلكم ولا الجيل الذي يليه وما علينا ان سعدنا وشقى غيرنا مع انه فعل قد ارضى الكنيسة وأنا .. وهو ما احملكم دائما على مراعاة جانبه بغاية التحتيم

الفصل الثالث عشر

يجب عليكم فتح اكتتاب لاقامة تمثال لجناب مدير المعارف مسيو مشوبل الذي اعنت الاهالين في تعليمهم ثلث قرن لحد لا تجد فيهم طبيبا ولا مهندسا ولا ولا إلّا من يفهم بعض كلمات محرفة افرنسية لا تغنيهم شيئًا ولا تميزهم عن الحمالين من الجنوب الافرنسي وان وجد في السنقاليين من تاهل لرتبة لجنيور بفضل نصح التعاليم

الفصل الرابع عشر

بناء على خفوق مسعانا نحن معاشر المعمرين فيما استقر عليه راي اغلبية الشورى من عدم تنقيص الضرائب على الاهالي بدل تثقيل كاهلهم بكل ما يثخن قواهم واعفاء النازحين لهاته المملكة العزيزة ولو من ابناء صقلية ، وقد عملت الدولة بخلاف ما ارتاياناه وخففت شيئًا من المجبى وسددت العجز بضرائب اخرى ينالنا منها شيء يسير وبالمليون الذي دفعته شركة قفصة وحرمت الاستعمار من التمتع بـه فيجب عليكم العمل بالفصل الحادي عشر من قانوننا هذا وتنفيذه حالا

الفصل الخامس عشر

يجب علينا معاشر الاتباع الاعزاء وجوبا اكيدا ان نجعل همنا الوحيد هو المناداة بالحاق هاته الولاية الخصبة بالمستعمرات من اليوم لانه مبدأ شريف لنا من ورائه الراحة الدائمة والاطمئنان المستمر لان البوارق البسيطة التي تظهر احيانا من الخارجية في معاكسة نوايانا واغراضنا المبيدة لهذا الجنس العربي الوسخ ينذرنا ويحذرنا بان لا نستصغره ونهزؤ منه بل يجب الانتباه اليه وصده بسائر الوجوه

الفصل السادس عشر

ان سياستي (العوجاء في نظر الاشتراكيين الكاذبين) هي سياسة مثلى لكم ومبدأ شريف فاقتفوها ولنا الفخر بالثبات عليها نحو من ربع قرن ولاهم لي إلّا اسعاد النزلاء واشقاء الاهالي وسبهم وثلبهم وقد نلنا بفضل التعصب والناب ثروة عظيمة ومركزا لا يتزعزع ولم اعبأ بعويل الناعين لي سواء كان ذلك هنا او هناك فاقتفوها فاقتفوها

الفصل السابع عشر

كونوا مطمئنين ايها الاتباع ولا تحزنوا من شيخوختي واحدداب الظهر مني

ودنو نجمي من السقوط قبل ان نصل بكم الى المقصود ونتركها لكم كما تشاءون ونشاءها لكم فانني تركت لكم موارد الثروة بهذه المملكة بايديكم من فلاحة وزراعة وادارة وما للتونسيين إلّا الوقوف بالباب في هانه وفي تلك تشغيلهم واستخدامهم عندكم بابخس الاثمان ، فترحموا عني وابكوني اذا حل الاجل

الفصل الثامن عشر

يطمن خاطركم ويسليكم عني وجود مقيمنا المحبوب اطال الله ايامه فان تصريحاته في خطاباته اولا وثانيا تبشرنا باعتنائه الزائد وميله المتزائد نحو الاستعمار فانه حفظه الله اكثر من ذكرهانه الكلمة الجميلة (الاستعمار الاستعمار الاستعمار الاستعمار) مبتهجا بتقدمه الباهر ولم نشعر بذكره كلمة (المسالة الاهلية) او (السياسة التشريكية) فحولوا بينه وبين محبة الاهالي بسائر الوجوه الممكنة وغير الممكنة وهذا مع كل كبير

الفصل التاسع عشر

نكرر القول بان ابننا تربدون وامثاله يجب عليهم نشر هذه اللائحة وحفظها وافهامها للاتباع

الفصل العشرون

الجور مكلف بتنفيذ ذلك من الان الى منتهى السنة الماضية

حرر في غرفة البلاء سنة ١٠١٨٩

الامضاء دكارنيار قيصر الشقاق

الجهل والعلم

عدد ٢٣ في ٢١ رجب سنة ١٣٢٥

الجهل والعلم هما الاساس الذي برا الله عليه هذا الكون واقام فوقه دعائم الوجود فما من دابة من متقاطني هذا المعمور إلّا ولاحدهما ملكها والتصرف فيها امرا ونهيا دون ان يشاركه الاخر في جزء من اجزائها

ولم تكن هيمنتهما على الشياع والمسامحة للضدية الحاصلة بينهما والتنافر المتولد من التباين في الفطرة والاختلاف في المطمح فان الاول مطبع على حب الوحشة والتحيز والثاني على الانس والتسلية وغاية هذا ترويج بضاعة الدهى والظهور ونهاية ما يرمي له ذاك اتفاق سوق السذاجة واعلاء راية الخمول ولكل وجه مقبول وقيل معقول يصدقه الخارج ويشهد له العيان واليك الحجة والبرهان

(الجهل) باصل طبيعته ميال للمسالمة صبور على مؤثرات الكوارث مقناع بما افرغ عليه ربه من ميازيب الثراء ولو الحشيش والماء مطواع لعوامل العزلة والانقطاع لحد الزهد تابى نفسه احتمال الضيم من غير بني جنسه بل تكره حتى مرور ذكرها على لسانه ولو عن غير قصد اما مواددته فعندها من اكبر الكبائر

لذلك ترى القسم الاعظم من الامم الخاضعة لجبروته كالطيور بجميع انواعها وما تبدى من الحيوانات الاخرى لا يصفى لها حال ولا يهجع لها بال إلّا اذا استوطنت قمم الجبال وهضاب الربى وبطون الاودية والمغاور والكهوف المنقطعة عن العمران حتى لا تسمع للمناوي حسيسا يزرع في افئدتها بذور الحيرة ويلزم لاجفانها السهاد اذ تتوقع ان يسطو عليها عادي الهلاك والفناء او الذلة والعناء مثل ما جرى لبقية العجم التي غرها العلم بزخرف تملقه الكاذب وتسويل تمويهه الباطل لان تقبله على الرحب والسعة كما يصلح ما فسد منها بحكمه الباهرة وانواره الساطعة وفقهه اساليب السعادة والكمال حتى اذا ما شرب مياهها العذبة وتغذى من مآكلها اللذيذة ونام في مضاجعها المنبسطة وتفسح في بساتينها النضرة جعل يضائقها ويزاحمها في كل ما منه التمعش والاقتيات بل ويعمل لابتعادها عن ديارها وطردها من مراقد ابائها الى حيث الزوال والوبال ناكثا عهده خالفا وعده زائغا عن الصراط المستقيم قائلا تعسا لمن خدع

تلك العلة في اساءة جوارها للدخلاء من مواطنها . وعدم اختطاطها السكك الحديدية باراضيها . وتسهيلها الطرق بنواحيها وبنائها المواني بشواطيها ومدها الاسلاك البرقية ببراريها وتمهيدها الامن بين اهاليها

قال باز لمكاتب العرفان اننا معشر الوحوش نروا الخيرة في الوعورة والمنعة في الصعوبة والاطمئنان في المحافظة على العتيق ونعتقدوا ان الشر كل الشر والبلاء

كل البلاء في ايجاد ما من شانه تكوين العلائق مع من يضمر انصراعنا ويصر على افزاعنا ولا يتم إلّا بنقيض قصدنا وخلاف مرادنا من كل ما يمس ذوق الاستقلال بالمشية والوحدة في الراي . انتهى كلامه وهو صريح في انه لا شيء اجلب للمخاوف والاخطار من تيسير تلك الاسباب التي ربما تفتح للنوائب بابا يعسر سده فتتوالى الرزايا وتتفاقم النكبات فيوهي النفوذ ويبيد السلطان وتنقلب الظلمة ضياء والارض سماء فتنكشف اعشاشها وتنفضح وكناتها فتسي افراخها وتصبو هي الى البراح فتخلي البلاد من اهلها

يؤيد هذا ما تفوه به احد وزراء الاوابد في جلسة خصوصية تحت رئاسة السرحان اذ خطب بما خلاصته تاخذني الرعدة والدهشة عند ما تتذكر ما نزل بالخيل والبغال والحمير ومد يد الطمع لها تحت ستار هاتيك المقدمات السيئة (اعني البخار والتلغراف وبقية شرائط النظام) حتى اذا تمكن من انصياعها له سخرها للرتوع في قبافيها ثم حملها ما يلزم لترميمها من الصخور العظيمة والادوات الثقيلة الخارجة عن الطرق حتى اذا انهت على اتم شكل اركضها في جوانبها لقضاء حوائجه وسيرها في شوارعها تئن تحت عبء مآربه الى ان يعييها الكلال وينهكها الملل حتى لا تعود تقدر على النهوض فيعمد لاشجار كانت تاوي لها مقيلا ومبيتا فيفتت اكبادها ويكسر اعوادها وياخذ منها ما صلب ملمسه ومر طعمه ويظل يضرب به في ذلك الطريح من التعب حتى يمرضه او يموت وهو البري من الاثام البعيد عن الاجرام الراضي بالمسكنة حظا المتازر بالخنوع المجبول على السكوت ولو ريق دمه وهدر واحرم من سائر الامتيازات الحياتية ولو وضع في عنقه السيف ولو جوع الشهور المديدة ولو اضمي الايام العديدة ولو اصلي النار الحامية . لا غبار ان تلك المزاعم من الوجاهة بمكان فلا تتطرقها وصمات التهم كيفما يتفلسف الانسان في فهمها ، وتاويلها بالحماقة بعيد وتفسيرها بالطيش غير سديد . فلم يبق إلّا اعطاء الحق لصاحبها والتسليم لما ادلى به وليظهر ما يظهر من المكابر المختال فان ملاحظة هذا النوع الشريف من السوائم صواب في صواب لا تقبل الخدش بحال . اما العلم فمكلاف بالفتوحات مقراع لابواب المشاغبات جزاع من النكبات والحوادث الملمات حريص على اقتناء الارض والسموات

وسيادة ما فيها من المخلوقات مفتونا بالحفلات والاجتماعات عشاق لاقتحام لمشاق في سبيل الرغبات فلا تصده العقبات ولا يهاب الورطات ولا يبالي بالزلات حتى بين قومه وذويه وعشيرته التي تاويه فلا يقر له قرار إلّا اذا انشأ مشكلة او اثار فتنة او احدث مقتلة تسير بذكرها الركبان عملا بقول الشاعر الحكيم

اذا انت لم تنفع فضر فانما * يراد الفتى كي ما يضر وينفع

لا كما عليه الصنف الاول من الهدو المتوالي والسكينة المسترسلة فما روى ولا يروى ان سربا من القطا تنازع حينا مع ابابل من حمام او ان فئة من الاسود واقعت يوم الخنازير مثل ما يتطلع له العلم الذي لا يثبت على غير ما يوليه السمعة المهيبة ويزيد في نطاق سيطرته حتى يعم سيله الربى ويفيض كاس نصرة على جميع العناصر فيسوقهم بسياط من عذاب فيتقلص ظل مناظره فيرث الدنيا بما رحبت ويصبح القائل الفاصل في جميع نقطها على تنائي اطرافها .

هذا الامل وان كان خارجا عن المقدرة ما دام الطير له جناح يساعده على الركون الى حيث النجاة والظبي له ارجل تمده بالفلاة والذيب له حكمة تحول دون العثرات والليث بظفره ينجح في الهجومات والحشرات لا تامن دون انفصال الهامات فان صاحبنا العلم ليس بمخطي في كل ما يدبره ولن يبرح عاكفا عليه فان ما يجهد فيه لبه ويعصر له قلبه مما لا يكون المرء مرء إلّا به وهل من باعث على خلقه غير ذالك واي مرتبة تشراب لها الاعناق اسمى من تلك المنزلة منزلة الاستواء على عرش الحياة على ان المدنية والانسانية لا يهشا إلّا لتاييده فمن يرميه بالشطط في سياسته فانه فاقد للنهي جاحد للمحسوس لا يقول بجواز تعدد الحق بين المتنازعين في شيء واحد كمسالتنا هذه (والله اعلم) فتدبره بلب حاضر وعقل صقيل . . . . .

لاجل الصحافة العربية

عدد ٢٤ في ٢٩ رجب سنة ١٣٢٥

في الحسبان اجتماع مديري الجرائد العربية بادارة جريدة الحاضرة الزاهرة والقصد من ذالك اعمال الفكر في ايجاد قانون لائق يكون عليه سير اولئك المنزاملين

حتى لاتعود تتفرق ارائهم في النقط التي يجدر الاتحاد عليها وحتى لايخلف احدهم التعرض لما يجمل البحث فيه اسوة بالرصفاء الفرنسيين واجابة لداعي السداد ، فان الراشدين لايكون لكلامهم موقع ما داموا هم غير فاعلين لما به يشيرون على الغير ورحم الله امرء اطلق وثاق عبده من قيود الرق ثم قام يخطب باستحباب العتق وبيان ما يترتب عليه من الثواب والاجر ترغيبا للناس في تحرير الرقاب للقطع بتاثير مقاله على العقول وتمكن وعظه من الرؤوس دون ان يقال فيه (ايامن يداوي الناس وهو سقيم) او (تامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم) او (لا تنه عن خلق وتاتي مثله) مثل ما تسرد تلك الحكم بعينها عند ما يقترح احدنا التعاضد على امر مفلح لانه ما احد الا بما عمل عكس ما نحن عليه في عهد الانقسام

اجل قد ارتكبنا اثما في زمان مضى غير ماسوف عليه اما اليوم وقد ادركنا الحاجة لما نحن به احرى فقد اتخذنا التواصل صديقا والالتئام رفيقا ابتداء لمن الجلسة المنوي عقدها في اليوم المزمع عليه فصاعدا وان شاء الله ستكون مواد الموضوع المزموع على تصنيفه شبه ما ياتي

الفصل الاول

رفع الضغط عن القلم فيما يكتب جدا او صدقا تخفيفا لويلات التضييق السخيف وترويجا لمذهب الوزارة الخارجية السامي وتحقيقا لنواياها السديدة

الفصل الثاني

مقاومة ادارة المعارف واكراهها على نشر العلوم بين الطبقات الاهلية بعد استمالة الحكومة لارادة ذلك تزيينا لسمعة الجمهورية الفرنسية ، فاي مهم تاتيه دولة من دول الفتح افضل من اخراج ابناء البشر من الظلمات الى النور ان لم يكن هو الذريعة التي تتذرع بها اوربا لقتل الانسان وخلاء البلدان

الفصل الثالث

وهو المهم

تعديل الضرائب الدولية او قلب هيكلها بالمرة تبعا لما عليه ذوي الحياة عسى ان ينقص كيلو عناء من قناطير الهم المقنطرة على كاهل الشعب التونسي اذ يصبح الغني

يؤدي على قدر ما ملكه ربه من الرزق بدون ضجر والفقير على نسبة حاله فيراح نوعا، وبهذه الطريقة المثلى يمكن ايضا ان يتوفر ايراد الحكومة اكثر من ذي قبل فتعم الفائدة الراعي والرعية، اما بقاء ما كان على ما كان فلا اخال عمرانيا يوطن نفسه على رضاه ان لم تقل على عدم التسرع لتلافي خطره المظلم وبلائه الثقيل فليس من الصواب ان تكون ثروة شخص تربو على مئات الالاف وآخر لا يملك قوت يومه ثم توخذ منهما الجباية على السواء بل ذلك محض غلط وخطا تجب التوبة منهما والاستغفار من اجلهما

الفصل الرابع

مراعاة حقوق الوطنيين في التملك والمتاجرة والوظائف والجرايات لاعلى معنى تبجيلنا بجلائل المناصب بدعوى (وقدم رب منزل) او الجامع بين اللغتين غالبا او دافع الدرهم ومنفق الخزينة بل القصد قسمة جميع ما تقدم بين الاحمدي والمسيحي بقسطاس العدل المصنوع في معامل باريس حتى لا يبقى لاحد الفريقين تذمر يذكر

الفصل الخامس

تنظيم الدواوين المختلفة حتى لا تحنق علينا الحماية لانها ترى من العار الصبر على الاعتلال سيما في النظامات العتيقة الغير الصالحة التي افنت المدنية بنسف معالمها منذ زمان

الفصل السادس

بناء القضاء على قاعدة الانصاف من غير التفات للجنسيات والملل جريا على ما حكم به الاسلام النصرانية الاونة الطوال او اقتداء بحكم النزلاء بعضهم بعضا

فالناس من قبل التمثيل اكفاء * ابوهم آدم والام حواء
فان يكن لهم في اصلهم شرف * يفاخرون به فالطين والماء

الفصل السابع

الغاء النقيصة التي عمت بها البلوى بيننا (مناقشة الصحف لدرجة التشاتم والسباب تلك الخطة العوجاء والشيمة الشوهاء)

الفصل الثامن

الدعوة لانشاء الشركات النافعة والتحزبات المفيدة رجاء ان نصل الى الشان

الذي بلغته الامصار المهذبة والاقطار الراقية التي لا تخلو حتى من الفوضيين

الفصل التاسع

الانتقاد على الذين افضى بهم حب النفس والكلف بالذات لاثار الصالح الشخصي ولو بتضحية سعادة الجمهور ولا اقول مثل الفلانيين اولئك الذين طلبوا التماق من غير بابه وراودوا التزلف بلسان السذاجة والخمول حتى فاجاءهم التقهقر بجحافله « وباغتهم الفشل بمعاوله » وحط عليهم الخذلان بكلاكله « واستقبلهم الخسران بقنابله » فاصبحوا كعصف ماكول (من في الحي حتى يذكر)

الفصل العاشر

رد الشبهات التي يردها المغرضون على ولائنا لولاة الامور وحسن انقيادنا لهم حتى لا تقرن مطاعنهم بتاثير ولا اخص دوكرنيار او مسيو موجو فالله يعلم والناس تفهم

الفحل الحادي عشر

الانفاق على ذم البدع التي احدثها غلاة الامة ثم عدوها من اصول الشريعة وهي من ذلك ابرى من ذيب يعقوب تطهيرا للمعتقدات من ادناس الاوهام والزيغ عن الصراط السوي

الفصل الثاني عشر

تقبيح المفاسد بجميع انواعها قمارا وسكرا وخيانة وغدرا ولو السرف في الماكل والملبس حتى لا يبقى للفجور اثر بهذا الانحاء

الفصل الثالث عشر

اشهار مثالب الطغاة وتعنيت العوتات تقليعا لينابيش الرشوة من قلوب ماؤها الظلم والاستبداد « والعوج والعساد »

الفصل الرابع عشر

المناصرة على سلب ارباب النظر تخويل الانتخابات الشورية ان هم اولوها لعديمي الكفاءة وذوي العلائق معهم

الفصل الخامس عشر

قصرما ينوبنا من الخدمات الادارية وغيرها على ذوي اللياقة والعلم فينا لا الجهلاء

ولو كانوا من الناسكين تنشيطا لاولياء التلاميذ على موالاة الجهد في سبيل تثقيف اذهان ابنائهم بالعلوم والمعارف

الفصل السادس عشر

الاعتدال في اللهجة وعدم الخروج عن المبدأ الى ان نظفر بالضالة المنشود (الاستقامة والنجاح)

انسطوا يرحمكم الله

عدد ٢٥ في ١٣ شعبان سنة ١٣٢٥

ايها الناس لا يهمنا اليوم ما يجرى في (الدار البيضاء) وضواحيها من حوادث الكر والفر والظفر والقهر والعسف والجور. فالمتورط في امر ادرى بخلاص نفسه على ان العائدة لا تغنينا فتيلا سواء كان خيرا او شرا فما هي الفائدة ان اندحر المغاربة في مارج الهيجاء وما هي المنفعة ان ولت فرنسا على اعقابها خاسرة تتعثر في اذيال الندامة وان كنا نأسف لنفس اقتتال الفريقين ونتحسر لمصاب العنصرين لكون هذا مسلم قبلتنا قبلته وديننا دينه وذاك حامي فالتوجع لتوجعه من اقدس الواجبات الحياتية . .

ايها الناس لا يعنينا ايضا من انكلترا وما تبديه من التلاعب السياسي في ساحة المشاكل المراكشية التي اصبحت شغلا شاغلا لفكر العالم باسره فان مكرها المعروف وكيدها المالوف لا يتجاوز حفظ مياه جبل طارق لتعويم اسطولها خاصة وان كان هناك شيئا آخر فلا يكون غير جر دولة مغفلة لتجشم اخطار حرب هائلة فيها لها الهلاك المحقق والبلاء العظيم . ولا جدوى لنا في كلا الحالين غير الدربة على الاحتيال ونكث العهود . . . . .

ايها الناس لا يحسن بنا ايضا الاعتناء بوثوق المخزن من الالمان ويقينهم باصراره على بقى استقلالهم واحترام سلطانهم كيفما تنوعت الاحوال وتلونت الاشكال وهب انهم على هدى وان غليوم بالغ قصده لا محالة لجبروته وسطوته من جهة وبعد نظره

في المعاضل من الجهة الاخرى علاوة على امتلاك قلوب العروش فان الاجدر نبذ تلك الخزعبلات الشيطانية والمزاعم الخيالية ان صدقا وان كذبا ضرورة ان برلين اكبر خصم لدود للقابضين على ازمتنا الذابين على بيضتنا المحصورة فيهم الامال ..

ايها الناس اولى بنا ايضا اراحة البال مما يظهره الاسبان من السكون وعدم الالتفات لمنازلة القبائل لقطعه بوخامة العقبىاو لتشككه في النصرلكونه ذا دراية بمرارة باس الشاوية وثبات جاشها في الملاحم او لمجرد الشفقة والرافة بالانسانية وان كان هو ابو الخبائث المريد . فما وقت اضطهاده للاندلسيين واخراجه اياهم من ديارهم ببعيد

على اننا لا نخشى له شرا وان تطاولت يده الى اقصى الافلاك والتخرص بانبائه من باب تضييع الوقت سيما وان علائقه معنا انصرمت بانصرام القرن العاشر

ايها الناس لا باس ايضا بمتاركة ما يرويه القصاصون من ان الجرائد الروسية تنصح للجمهورية الفخيمة ان تنفض يديها من غبار النزاع مع التحذير من سوء المئال فان نائبها يربنا في صحة ما تدعيه من ان الحكمة في الاحجام والدائرة في في الاقدام على ان اوطانها اشقى بقاع الارض حظا فلو كانت ذات خدمة راسخة في التدبير لانتشلت امتها من وهدة العناء المحيق بها فها اخبار بطرس بورغ بين ايدينا كلها طافحة بتفاقم السلب وتزائد النهب مع الفوضى الدائمة والقتال المستمر فما احرى تلك الصحف بقول من قال

الا ايها الشيخ المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم

ايها الناس لا تعتبروا ايضا ما تكنه ايطاليا من الاستيلاء على طرابلس الغرب وسوق اهلها بعصاة الذل والهوان فحاشاكم ان يذهب بكم الخور مذاهبه حتى تتوقعوا الخوف من ذلك وتركيا كما نرى جنود باسلة ونظام محكم على ان هزيمة السيسليان في عدوى ما زال صداها ترددة الاذهان وحديثها في صماخ الاذان نعم لو كانت القضية قاصرة على الترميم وكسر الحجارة وتقليد الفاس وحمل المسحة لكان للظن مجالا تتسابق فيه جياد اليقين

ايها الناس لا تعجبوا ايضا من انكسار السياسة الاروبية في مقدونية بعد ما طمى تعصبها وعظم خطبها فان دهاء (عبد الحميد) لا تدركه الالباب ولله در بعض الاضراب اذ قال فيه ما يستطاب . لكونه عين الصواب

مليك اذا عدوه في الذات واحدا ففي رايه عدوه جيشا عرمرما

اكتب هذا واغض الطرف عن شهادة بزمرك الشهير بان جلالة الخليفة الاعظم افضل رجل يدير الامور

ايها الناس اعلموا ايضا ان الظروف لا تسمح باتقاد نار الحرب بين الممالك المتحدة واليابان لمجرد ذلك الخلاف الطفيف (هضم حقوق الجابونيين في كلفورني) لنزاهة ضمير الدولتين من نوايا السيطرة على بعضهما وتطفل هذه على التحكم في رقاب ذاك اذ لا ارجحية لاحداهما على الاخرى في القوة والنظام وبزوال ذلك السبب سبب الطمع في الامرة على الغير تستحيل الفتن بين البشر وقد بينا ذلك في اعداد مضوا على ان جون الاقيانوس يحرم علينا صيده على طول المدى فلما التساءل عن شانهما وشرعنا يقول (من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه)

ايها الناس ما لكم وانشاد تقدم الصين وانتم متاخرون جامدون شيئا من تخاذلكم واشياء من تكاسلكم لمضاد للدين والعقل اتخالون ان نهوض الوثنيين من سباتهم العميق واماطتهم حجاب الجهل السفيق ، وهبوبهم الى الرقي الانيق ، تكون لكم فيه مآرب العظة البالغة لا والله اتتوهمون ان اصلاح ياجوج وماجوج الناشيء عن الفساد المتاصل في النفوس يسترجع لكم ما اضعتموه في جنب البغي او يحمي ظهوركم في معترك الفلاح كلا والله ، فلماذا اذا تتقاعسوا فيما لا يستقيم اود العيش إلّا به وتلعب بكم الاهواء ملاعبها غير مفكرين فيما يتهددكم من الكرب الاسود والكدر المخطر

ارجوكم اخواني ان تقلعوا عما ابتليتم به وتقبلوا عن شانكم عمر المعمور ام خلا فما هذا القرن إلّا يوما من ايام البعث لا يوازر المرء إلّا عمله (وان ليس للانسان إلّا ما سعى)

(سؤال وجواب)

س متى يرتقي الانسان

ج اذا نزع للعلم ورغب عن الظلم

س هل يمكن اجتماع هذين القيدين في الشخص الواحد

ج المقدرة البشرية لا يعجزها التحلي بحليتهما إلّا التقصير

س كاني بالشرط الثاني عزيز المنال لكون الشيم مجبولة عليه فما هو التخلص من حبائله يارعاك الله

ج او ماعلمت ان الانفكاك مسيطر على سائر العناصر الطبيعية

س فكيف ذلك ومن الاغراض ما هو لازم لانتهاك القوى حرمات الضعيف اينما وجده

ج او ما تدري ان ذلك متولد من التباين في الاديان والنحل

س اذا الخطب سهل اذ يمكن انتفاء المسبب بانتفاء السبب

ج ذاك ما لا شك فيه اسال هل بين افراد الهلانديين اعتساف تجاب بان لا أثر له ثم كرر السؤال عما ياتونه في جاوة تجد قيامة الظلم قد قامت بين البتاويين هناك وان لا داعي لذلك غير الاختلاف في المذهب والجلدة

س المفهوم من كلامك هذا انه لولا التغائر في المعتقدات والاجناس ماكان لاحد ان يجني على احد قط

ج وهو كذلك فان جميع القلاقل التي تضطرم نيرانها في الكون لا محرك لها غير التشيع للاوطان والانبياء

س وحينئذ ما دام اليهودي يهوديا والوثني وثنيا يعسر حصول المستفهم عنه

ج فلا تكن اسير الريب فلو اتحد الادميون على عبادة الصليب او اتفقوا على تكسيره لا يمكن لابناء الدنيا الاستواء على دست الكمالات

س هذا المامول بعيد ولكن هل يوجد طريق آخر موصل لتلك البغية

ج اما انا فلم يبد لي وجه أثبت معه بالبلوغ لهاتيك الغاية السامية غير ما قررته لك وام الاروباويون فقد اذاعوا ان الالتفاف حول عرشه المسمى بالمدنية كافل للظفر بتلك الامنية وان كان رايهم هذا الى اليوم لم يقم دليل على صحته فان ماجريات الاحوال على خلاف زعمهم ناهيك بحضارة الالمان ومستعمرتهم كمرون لا تكاد تمر عنها سنة بدون ثورة وهذا حجة على ابطال تلك الدعوى الزائفة لان الهرج غالبا لا ينتجه إلّا الاضطهاد الاعمى والهضم المميت وكلاهما تاخر وتقهقر

س كانه لم يبق لنا رجاء فى صيرورة الانسان كمعناه

ج إلّا اذا افضى الحال لعقد مؤتمر ينظر في الشرائع ثم يقع اختياره على التدين بدين واحد اما والحالة هذه فان ارتقاء الانسان ابعد من عود الشباب

الجزائر

عدد ٢٦ في يوم الجمعة ٢٠ شعبان سنة ١٣٢٥

هي احدى العواصم الافريقية المشهورة من قديم الزمان بصحة الهواء وجودة التربة وحسن الموقع الى غير ذلك من اواصر النخوة والترف وقد كان اهلها الاصليون في دعة وهناء ، وسعة وثراء ، وبسطة وغناء ، ونعمة ورخاء ، جوامع عامرة ، وسماء ممطرة ، وارض عاشبة ، واحياء متقابلة ، وامصار متقاربة ، وخيول صاهلة وسيوف لامعة . لاكماهم عايه في هذه السنين الاخيرة من الجهالة المهلكة، والاعوام المخبطة ، والفيافي السحيقة ، والجموع المتلاشية ، والمسالك المتنائية ، والفاقة المبيدة والحال الموذنة بالانقراض ، فلا تجارة تذكر ، ولا زراعة تؤثر ، ولا ارض تحرث وتعمر ، ولا معارف تنشر ، بين اولئك الاقوام الكثيرين ، حتى ان المتجول في انحائهم والمستكشف لارجائهم ، لا يرى الارواج البضاعة الاجنبية ، وبوار المهناة الوطنية ، في حين الفائه اماكن البذر مساجة ، باعواد مقامة فوقها الواح منقوشة ، باحرف دائرة ، بين (البارون) (والكونت) (والسنيور) (وقاقو) . . . . . . اما معاهدة العلم فلا يكاد يوجد لها اثر في تلك الربوع الاهلة إلّا ما هو خاص بالدخلاء وسواء ذلك شرقها وغربها وجنوبها وشمالها

واغرب من ذلك انك لو بحثت عن وئامهم لالوى بك اللغب ، واضرك النصب ، دون الحصول على ذلك ولو بين شخصين اللهم إلّا على ما لا يعني ولا اقول القمار ونحوه مخافة ان نرمى بالتحامل مثلما جرى لبعض الكتاب الغيورين الذين مال بهم

النصح عن الاكتتام ، في موضع الكلام ، نعم نلومهم على اذعانهم للقهقرى ، واعتناقهم للتاخر ، وهم بكفالة دولة ترى الهلاك غنيمة ، وراء الصالح البشري وتوفير دواعيه .... على ان لمداركهم التخيل البديع والذوق السليم والقريحة الواقدة ، والشجاعة الفائقة ، فما اقعدهم عن مجاراة مساكنيهم في السعي والوحدة ، والعلم والنهضة ، حتى يفوز بجلباب السبق في مارج الحياة وما الذين اودى بهم الرزوح تحت نير الغفلة السنين على السنين فهل ذلك لا ياس تمكن من قلوبهم ، ام البله خامر عقولهم ، ام الانخذال استولى على النفوس ، والتقاعس سكن الرؤوس ، ام استبداد اولي النظر فيهم اوقعهم في شراك ذلك

ذلك ما يطلب من الفكر شرحه ، ويجب على اليراع تسطيره ، حتى يتميز الصحيح من الجريح ، اما عن الاول (فلا يقنط من رحمة الله إلّا القوم الكافرون) وهم اكثر الناس ايمانا وتمسكا بالعروة التي لا انفصام لها واما من الثاني فان طبيعة طقسهم تقضى على اذهانهم بالفطنة المفرطة ، والفراسة المبهتة ، والنباهة العجيبة ، وكم فيهم من المعي عزيز النظير ، وكم بينهم من لوذعي كبير ، ناهيك بمنثورات علمائهم رقة ، ومنظومات ادبائهم كياسة ، واما عن الثالث والرابع فذلك ما يحكم به الخارج وله على ذلك حجج دامغة ، وبراهين قاطعة ، منها عجزهم المستهجن وخورهم المميت فاي عار اغزر ، وشنار اكثر ، من ركوسهم لشوكة الاستكانة وصبرهم على الضيم الطويل وفي مقدرتهم اماطة غشاوة الجهل عن ابصارهم ، ورفع براقع الخمول عن اعينهم ، ودفع طارق الوبال ، والزوال ، اما بمطالبة ولاة امورهم ، بتشييد المدارس لتعليم ابنائهم واما باستبضاع كيسهم في جدوى ذلك واما بمعاضدة الطرفين كما هو المعارف عند تكوين المشاريع المفيدة لدى الشعوب الناشدة اسباب السعادة والرقي ، بقى الثاني وهو ما لا يمكن الجزم به لتوحيدنا واياهم في الادارة والجمهورية لا تعاملنا إلّا بالتي هي احسن وان يماطلنا به نوابها في بعض الحاجيات كتعميم التعليم والتسوية بين التونسي والفرنسوي في التملك والوظيف والضريبة

على ان اخواننا الجزائريين ربما فضلونا عند الحماية بمزيد السبق للاستظلال برايتها ، ثم باقتحامهم مشاق الحروب لاجلها ، فلطالما فتحوا لها المدائن ودوخوا

لسلطانها الممالك . (وو) من كل ما يقضي على عدالتها انقاذهم من غريق السذاجة الذي به سابحون (فهل جزاء الاحسان إلّا الاحسان) على ان فرنسا قد انالت مجاوريهم اليهود امتياز الجنسية دون غيرهم وناموس انصاف ينادي باحقية الجزائريين وائرتهم على الاسرائليين اذ لا منفعة في هؤلاء سوى المزاحمة والمضائقة عكس الاولين اولئك الذين يستعذبون طعم الحمام وراء صيانة شرف (قلبية) ويرون مناصرتها من اجل الفروض علاوة على ان جدهم مختط البلاد وواضع اليد

ومما اهوى بالجزائريين ايضا ما يدس لهم الدجالون من التزهيد في الاولى ووجوب الاعراض عنها طورا بمصافحة الكسل . واخرى بمنابذة العمل . وآونة بالتوكل والاكتفاء بما تقوم به البنية بدعوى (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر) وغير ذلك من الاحاديث الموضوعة . والاثار المكذوبة . ليكون لتضليلاتهم الموضع والمكان

فيلاقون ما لاقاه الرهبان احيان الهمجية الاروبية من الاستيلاء على المال . والتحكم في رقاب الرجال . في مقابلة الاخبار باقتراب الساعة . وتشخيص اهوال القيامة . وكيف يكون (الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو) ولقد ادرك ذلك المتعصب (بيدبدو) فرفع العرائض للبرلمان يطالب فيها الاعتناء الزائد بمشايخ الطرق لقودهم الراي العام . وامتلاكهم الارواح والاجسام . وانه لمن الصادقين فقد حكى لنا من يثق به انه نزل زاوية سيدي فلان بجهة كذا فاذا بقاعاتها غاصة بوفود الزائرين من العرب ورئيس تلك الزاوية او المفسدة متجليا في ثياب العزة تلوح على محياه بوارق الهيمنة والوقار يامر بالجلد والتنكيل . ويبرم العفو وتخلية السبيل . ويغضب على هذا ويرضى على ذاك والناس من حوله يكاد ان يسجدوا له من دون الله حتى خيل لي انهم يعتقدون ان لو شاء صعق الثقلين لفعل ثم قال ولم نسمع بين اولئك الجماهير المتجمهرة إلّا حديث الصوفيين . ورواية العابدين . وقصص الناكسين . ن كل ما يثني الهمم . ويحل العزائم . وينبت الفتور في الصدور . ولقد تجاسرت على بعض المريدين فسالته اشياء جدية طيها الكد والنشاط فقابلني بالاستعاذة والغضب واظن الذي زاد في سخطه علي عدم اصطحابي الهدايا النفيسة لشيخهم ذلك الملك المطلق الارادة والتصرف وهنا انتهت انباءه وهي واضحة في تاييد ما قلنا وتحقيق ما قدمنا .

وتقرير ما سطرنا ، وتدعيم ما كتبنا ، فويل ثم ويل من المشعوذين الذين اتخذوا تثبيط المهج ذريعة لتنفيذ اغراضهم ، وتتميم مآربهم ولاعيان الجزائر النصيب الاول من هذا التعنية لاشتغالهم باقتناء الجياد المسومة ، والسروج المزركشة ، والبساتين النضرة حالة كون اتباعهم في عناء مظلم وبؤس محيق حالة كون جميع الامم هبت من رقادها واستيقظت من سباتها تطالب الالتحاق بذوي الشأو والشأن وفي كل نقط المعمور الناس على دين كبرائهم اذ انهم المسئولون امام عالم الانتباه

التمدن

عدد ۲۷ في ۲۷ شعبان سنة ۱۳۲٥

التمدن عند المقلدين او حضرات المتفرنجين ، هو لبس الطربوش بدون عمامة ، ورفع الخيزران بكل ضخامة ، فالتأزر بالمحدد من العباب السود الكائنة من حرير ليون لا من منسوج الدود ، فتحلية الصدور بالسلاسل الذهبية ، والساعات السويسرية ، فانتعال احذية الاوروباويين ، فحلق الخدود والعثانين ، فهجر لغة الابوين ، وقصر التخاطب على لسان الاجنبين ، سيما امام من لا يفقه له معنى ، ولا يعرف له مبنى ، ثم اكل الطرائف بانيق المغارف ، (الفراقط) فوق الحوائل والرخام ، على ممر الخاص والعام ، مع اتخاذ حاجيات المنزل ، ولو المرود والمغزل ، من دكاكين الاحرار ، لا من محل المختار ، المهجور بغير اوزار ، الخانع للجبار ، الذاكر اسم القهار ، لكون اوانيه فخار ومهاده صوف واوبار ، وخشب تتخطاه الاغيار ، على انه لا يشطح بمقدار ، .... فالجلوس في القهوات الافرنجيات فشرب عتيق المعصورات ، فمغازلة الغانيات ، ومداعبة الفتيات ، ولو في محاج الطرقات ، استغفر بديع السموات ، بل ولو في مجامع الصلوات ، اذ انهم ينكرون العبادات ، وما شيد لها من البناءآت ، ويحتقرون الواجبات ، ويستهانون بالمسنونات ، ويلعبون بالمندوبات ، ويسخرون بالمطلوبات ، لان حالهم ناطقات

بقولهم ، ارحام تدفع ، وارض تبلع ، ودنيا باقية غير متناهية والجنة المال ، والحرام الحلال ، والنار الفقر ، والعذاب العسر ، والايمان الكفر ، والطول العرض والسكون النبذ ، ولا فخر إلّا بالزنا ، ولا مجد إلّا في الخنا ، والسعادة في القمار ، والنعمة في سماع المزمار ، والبسطة في مشاهدة الطار ، مرفوع على اكف الابكار ، يلتقطن به الدينار ، من جيب الدنف المحتار ، في تجلي ناحلات الخصور ، من سماء القصور ، لافتتان البشر ، بعيون في حور ووجوه كالقمر ، ولم يقف اتباع هذا المذهب ، ومشاة ذلك المسرب ، عند ما ذكرنا ، وحد ما قدمنا ، بل يحكمون ايضا ببغض المتزملين ، ومناداتهم بالمتوحشين ، في كل آن وحين ولهم عوائد اخرى ونوادر نكرى ، لم تحضرني الان ، وسناتي عليها في بعض الاوان ، ان ساعد الزمان ، فان التنديد ، من واجبات العبيد ، حتى يفك من قيود الاسر ، ويجحون في كل امر ، والله يتولى كيد الجاحدين النصح للمسلمين

التمدن في الاصطلاح

واما التمدن في الاصطلاح فهو الخضوع لاوامر الشرع والوقوف لدى نواهيه وله اركان منها العلم اخرويا كان كالتوحيد والفقه والتجويد وآلة ذلك ، او دنيويا كالمعارف الحربية والفنون الطبية والكيماوية والهندسية والحسابية والتاريخية والجغرافية والفلكية ونحو ما ذكر حتى لا يحتاج المتصف به لغيره في شيء من الاشياء ولا يبقى لسلطان الجهالة على العقول من سبيل

ومنها الحرية بان يكون الفكر مطلوق العنان يقبح القبيح ويحسن الحسن بدون ان يخشى وشاية الرقيب وزجر التانيب لان بذلك تنكشف اسرار ، وتفتضح اعوار ، وتنهتك استار ، يعلم الرب ما وراها من الفساد المستحكم والعوج المبين فيخاف الظالم وينجزع الجارم فتخف وطاة الجور وتسود الشورى ويموت الاستبداد بالراء ذلك الداء المكين والمرض الدفين والسل الكمين المتاصل في نفوس كافة الخلق

ومنها المساواة تلك الاساس المتين الذي اقيم عليه هيكل العمران ومعنى ذلك ان يكون الشخص في ذاته غير مغموط الحق ثم هو في نفسه حكم عدل لا يميل للاستيثار لا بالمراتب وما اتصل به ولا درس اسباب الحياة ولا الى داعي القضا ولا

غير ذلك ، ومنها الاخاء بان يحب المرء لاخيه ما يحبه لنفسه حالة كونه مجردا عن عوامل البغضاء والحسد ناهجا مناهج التواصل والايتلاف متجنبا مظان الضغائن والاعتساف شدادا لحزم بني جلدته معينا لهم في السراء والضراء لا يرتضي بينهم نزاع ولا يشح عليهم بمتاع ويابى ان يكون سهما يصيبهم او نبلا يبنهم او باترا بضرب اعناقهم او لما يثخن قواهم اسوة بماكان عليه السلف الصالح إلَّا الخلف الطالح

ومنها السعي بان يكون الرجل حازما نشيطا في روحه الكد وبين جوانبه الجد لديه البطالة حرام والتقاعس من اكبر الاثام يواصل ليله بنهاره فيما يكسبه النخوة ويسمو به على ذرى الشرف يخدم الارض حق خدمتها ويربي الحيوانات حق تربيتها وينمي التجارة حق تنميتها وينظم الادارة حق تنظيمها وينمق الصناعة حق تنميقها لتحظى بالاقبال والرواج وتبعد عن ساحة الكساد والاعجاج فينتفع وينتفع به ويعاذ من الدين وما يترتب عليه من المقت والفقر وما ينشا عنه من الهم

ومنها الاقتصاد بان لا يسرف المنفق في عيشه ولا يتغالى فيما يلزمه من القماش المنشستري والقرمسود الهندي والكور المكي والبرنس البردي بل لا يتجاوز ما عليه الاوساط فان البذخ من اسباب الخراب والتبذير من مقدمات الدمار ولنا العظة البالغة في تاريخ الاندلس المنبي بان لا باعث على انقراض اهل الجزيرة غير الانغماس في الشهوات والملاذ على انهم لم يصلوا الغاية التي وصلناها فلم نجد في اخبارهم ما يثبت ان احدهم بلغ به التفاني في تبديد الحطام لان يرهن عقاره او يبيع داره لوليمة الختان او العقيقة المعروفة حتى لا يعود بتلك قوت يومه كما وقع لبعض التونسيين لاعوام خلين بل ولا ما يفيد ان ارباب الثراء فيهم ينوعون الغذاء الى عشرين صنفا من الطعام والادام والخضر والبقول والعشاء الى خمسين ضربا من ذلك طبق ما هو جار عند الكثير فينا مما يقضي بالعجب لبقشا مع هذا الحد وسقوطهم لذلك العهد

هذا قليل من كثير اوردناه في هذا المقام لا لقصد الانتقاد والانتقام بل عمل بقول باري الانام (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين)

تاسيس الجمعية الشورية

عدد ٢٩ في ١٩ رمضان سنة ١٣٢٥

من الصعب العزيز المنال . والمعسر البعيد الوصال . فهم الكليات قبل الجزئيات وفقه النهاية بدون علم البداية والوقوف على السرائر مع جهل الظواهر . وتطلاب المراد على غير استعداد . ولا غرو فان استنباط اولبات الامور شرط في درك اخرياتها لان التدريج من الحقير للكبير والتنقل من الصغير للكبير طبيعة من طبائع هذا الدهر وقاعدة من قواعده القديمة وهو ما حمل حكومتنا الجليلة على انشاء نيابة اهلية يعين افرادها احد رجالها الفخام تحت عنوان اسم بلا مسمى لانها وفقها الله لا تريد ان تحملنا ما لا طاقة لنا به ولا ان تكلفنا ما عساه ان يضيم واي شيء اثقل على النفس من الزامها بحفظ لفظ الشيء وتحقيق معناه في آن واحد ...... فدولتنا الرؤوفة قد احسنت فيما عملت حيث بدات باعطائنا الشورى الاسمية حتى اذا ما اتقنا سردها وجادت الالسن بترددها من غير استعانة على ذلك بتلقين ملقن ولو بعد الايام العديدة والسنين المديدة حولتنا فهم معانيها في اجمل مبانيها جريا على ما قدمناه من وجوب مسائرة السنن الكونية القاضية بعدم البلوغ للامنية اذا لم تكن شيئا فشيئا وهذا قبل ذاك وذاك قبل هذا حتى لا نخالف تراتيب مبدع العالم ومقتضيات الاحوال وتحق علينا يومئذ كلمة النضال اذ تنشل ءآربنا من هوة الغفلة ويكون لمقترحاتنا ضرب من الاعتبار فنماش الرقى جنبا لجنب والتقدم قدم لقدم وتخفق بنود التسوية بيننا وبين ضيوفنا الفرنساويين فلا تعود تهب لنا ارضا ولا توصد في وجوهنا ابواب الادارات ويصدق علينا ساعتئذ لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ......

وهي لعمري طريقة مثلى لا ينكرها إلّا من طبع الله على قلبه او جعل على بصره غشاوة من البله سيما اذا اثبت ما اذيع من ان المنتخبين سيكونون من جملة البلغاء .... لتكون هيئة المجلس شكلا عدمي في صورة الوجود لان في ذلك

منتهى التحري في رقة اسلوب التمرين وسرعة تمكنه من الباب المبتدئين وان كانت ملاحظة ولاة الامور في ذلك يستقرب ان تكون اعتبار اصالة العدم وطرو الوجود وهو راي شريف في بابه يستحقون به كامل الثناء . . . .

من بديع هذا النظام المحكم اجتماع السادة المزمع على ترشيحهم مرة واحدة في السنة لا لطرح هامة المسائل على بساط النظر وجعلها محل النقد ولا لاكراه اولياء الحل والعقد على احترام ما يشعر بسعادة الامة مثلما عليه البرلمان الفرنسوي بل القصد من التئامهم تفقد بعضهم بعضا مخافة ان تخترم احدهم المنون دون ان يعلم الباقون ثم ابداء النكات المستملحة والافكار الصالحة لمستقبل الجمهور

فعرض ما يقر عليه القرار على اعتاب ارباب السلطة والنفوذ ليمحوا منه ما شاءوا ويثبتوا منه ما شاءوا اسوة بصنع الله مع عبيده ولو المخلصين لان الرب سبحانه غير ملزوم بقبول ما طاب من افعال الانسان ولا هو بالمسئول عما يفعل

فليعش الحاميون والمحميون ما قاسوا تصرفاتهم في الرعية على تصرف الباري في خلقه وليذكر الذين اهملوا الحدود الشرعية واعتلقوا بالقوانين الوضعية بدعوى الجديد خير من القديم فما بعد هذه العظة البالغة من موعظة اخرى لقوم يعقلون

وقد ناسب الان ان نسدي عاطر الشكر للعادل الامين حبيب المسلمين المسيو دوكانبار رئيس الاستعمار اذ لولاه ما صدر الامر العلي على الصفة التي شرحنا ولا كانت كذلك الميزة التي منحنا فلنرجع ويرجع الحصافيون على التنويه بخفوق مسعاه يوم ولى وجهه شطر باريس العامرة في شان ابطال شورى الوطنين

فاراحة نوابنا من عناء المبارات وغل ايديهم عن ولوج ابواب المقاومات من انتاج تدبيره وبر تشميره عن ساعد المعاكسات ومن هو صاحب الباع الطويل في قصر امد تعليم ابنائنا والاكتفاء منهم بمعرفة ما تيسر من لغة الدخلاء حتى لا يتوالى افادهم على المدارس الاعوام على الاعوام فينتابهم الالم ويبريهم السقم وينهك قواهم المرض لان الممارسة على القراءة معدودة من اسباب الاخطار المبيدة التي لا ينجع فيها دواء . . . . بل ومن الذي اوقف نفيس حياته على مواصلة الجد في سلبنا موارد الارتزاق والتمتع بزخرفات العاجلة كيما يفصلنا عن متقاطني العالم

السفلي ويخرطنا في سلك الملائكة الكرام فيكون قوتنا الذكر وموعدنا الحشر لا نعبؤ بالدنيا وحطامها الفاني ولا تهزنا خزعبلات البشر ولا ترهاته المقلقة

ولسوف ينجح ان لم تنجلي غياهب المسعى بالعمران ويمد الخراب رواقه على هذه البلاد ضرورة اننا في قطر اصبح مناخا للعجائب وهل يوجد في عاصمة من عواصم الدنيا شورى بدون استشارة وشن بلا اغارة كما هو واقع في تونسنا الخضراء لا والله

فان الثقة في فلاح دكارنيار فيما تنبينا به تقف دونها ثقة الشيطان بقوة تمرده فلننتهيا لمغادرة الادميين والنزوح لجوار ابن مريم

وليجدر بنا ان نقيم تمثالا لذلك الرجل الهائل ابو المثائل والشمائل . جزاء له على توسطه لنا في الحرمان مما تتناوله الافات بل واعتبارنا كساكني السموات

البلاد المغربية

عدد ٣٠ في يوم الجمعة ٢٦ رمضان سنة ١٣٢٥

اثنى عشر قرنا خلين على هذه البلاد المهمة كانت ابناءها تختال في ديابج المنعة والاحترام بدون ان يطرا عليها ما يهدد استقلالها او يحقق زوالها او يوجه لها انظار الطامعين في احيان تلاشت فيها ممالك الاسلام شرقا وغربا وفرخ في ارجائها طير الوبال

اثنى عشر قرنا مضين على تلك الاقطار الشاسعة ذات الامصار العامرة والبيداء الاهلة والاراضي الرابعة والجو الصقيل لم يحدث خلالها ما يجرعها المر او يسومها الضر او ينبو بها عن الوقار حتى تتهافت عليها الكوارث فينادي في ارجائها منادي الهلع والفزع ويغدو ظل سلطانها في تقلص مستمر الى ان يبيد مع البائدين

اثنى عشر قرنا تعاقبن على هاتيك البقاع العزيزة الموقع الجليلة الشان واهلها في هدو وسكون لا يروعهم شيء ولا يخيفهم غزو الصائلين مطمئنين متواصلين لا تنازع بينهم ولاهم من المشاكسين . ذلك عند ما كانوا يوقنون بالوحدة الملية

ويخضعون للرابطة القومية ويستميتون في حب الولاء وما كانت لتنفك عرى جامعتهم او يهوى جانبهم لدرجة الاحتضار والنزع لولا انكباب ملكهم على الملاذ وتفانيه في الترف الذاتي وتعاليه في البذخ والتبذير لغاية لم يلف لها نظير في تواريخ الاقدمين والحاضرين وليست الطفولية له بالعذر المقبول لان الفاتح التركي اغتصب الاستانة من ايدي قياصرة الروم فيما دون سن ذلك الفتى الطائش العابث بسنن جده الامين

هذا الثمل بخمرة الصبا السادر في غلوائه قد اهلك الحرث والنسل ايضا في اجتباء من يعينه على الفجور والفساد حتى انك لا تجد احدا من بطانته السيئة ولا يكون لاعماله من المسئولين فلا رحم الله من عهد له بهذا الملك العريض وهو على يقين من قصوره عن ادارات الامور وتقويم المعوج منها كعبد العزيز المغفل بطل المناكر والفسوق . ذلك الرجل الذي اوقع بلاده في قبضة الاضمحلال والانقراض ولا غرو .

فمن رعى غنما في ارض مسبعة ❁ ونام عنها تولى رعيها الاسد

إلى هذا النهار لم يشعر حاكم الغرب بحرج موقفه ووخامة عقباه فلم يكن له من التخمين غير الوصول لجلب الاموال من البنوك الاجنبية ليسد بها حاجة امانه واتباعه الخونة الطغام حتى انتهى به الحال لتجريد الحريم من الحلي ونزع الجواهر من السيوف لتكون رهينة لثمن المدام واولاد الحمام .

ليته استهوى قلوب امته وشمر عن ساعد الجد والسعي في قطع دابر الفتنة وارضاخ عصا الطاعة في وجه النحيس . بل وبنشر الوية العدل بين الرعية والضرب على ايدي عماله البغاة ووزرائه الطغاة اولئك الذين سببت سفاهتهم البلاد ما سببت وجرت لها من البلايا ما اودى بها للهلاك فاين وجدتهم الغنا واين دارهم البيضاء واين مغادور . الم يكن منشؤ ذلك سوء تصرفهم وتزائد تعجرفهم واطلاقهم العنان للاشقياء يفتكون بمن ظالمهم ويقتلون من سالمهم بدون خشية عقاب ومخافة عتاب فما كان الفرنسويون ليخترقون الاتلانتيكي باسطولهم العتيد وجيوشهم الجرارة الى تدمير تلك الديار وترك صنمواها غبارا بالمدافع والنار لولا اعتداء المغاربة على ابنائها بالذبح غيلة والسلب عنوة والوقيعة بهم جهارا .....

على ان المخزن يفقه جيدا ان لا باعث على استعمار الجزائر غير مجاسرة حاكمها وتطاوله على قنصل فرنسا بلطمه وتانيبه في موضع المجاملة والملاطفة ولكن اذا حم القضاء على امرء يعمي الرب بصره ويصم سمعه حتى لا تفيده الايات والنذر شيئا ولا تؤثر على حاله المواعظ بحال فيستمر على غيه ويثابر على بغيه الى ان يلاقي حتفه او يموت وكذلك يفعل القدر بالجاهلين

كانت مراكش محط العلم ومهبط العرفان مصدار لدواوين الشريعة السمحاء ومظهرا للفخر والوقار فاصبحت اليوم مرسحا للغباوة وملقى للفجار فمتساكنو انحائها المقدر عددهم بما ينيف على الاربعة عشر مليونا من النفوس هم والجاموس سواء فلا ترى بينهم من يبر في تبيره ولا من يضرب للمستقبل حسابا

وقد دلت الوقائع الاخيرة ايضا على انهم خبثاء النفوس لا صحاح الرؤوس كما يؤثر فكم هزموا من هزيمة شنعاء وكم من مرة دحروا للوراء كبر الجند المنازل او صغر ولولا وجوب الوقوف عند اميال محدودة لطردهم العدو الى اسوار فاس ولا اخذهم اخذ عزيز منتقم ولكن هل تكون لهم هذه الحوادث درسا وذكرا فينبذون الاعتماد على الاوهام وينهضون لتطبيب امراضهم المزمنة قبل ان يستفحل الداء ويعز الدواء فيصبح الفلاح عسيرا والمطلوب بعيد المنال

لا غرابة ان كانت طبائعهم كطبائع البشر فان اليابان كان من دواعي ترقياته السريعة احتقار اوروبا له ودوسه بسنابك المسيحيين وكذلك الصين فما كانت لتهب من رقدتها وتستيقظ من سباتها العميق لولا مصادمة حملة الصليب لها وضربهم اياها الضرب المؤلم الوجيع . واظن ما حل بالمغاربة لا يبقى للشك مجالا في ان غزو القبائل بعضها بعضا وكرها وفرها فيما بينها لا يسوي خردلة امام العساكر النظامية وكتائب المتمدنين بل وان الفنون الحربية وملائمات العمران لا تستقيم الحياة بغيرها فلا وجه للمكابرة في هذا الشان بعد المشاهدة والعيان على ان دينهم يحثهم بالاستعداد لطواري الزمان وسليقتهم من الجودة بمكان فلا يخصهم الا الاذعان لقوانين الحكمة والتنكر عن مظان الزلل وفقنا الله واياهم في القول والعمل وايد شوكتهم انه القدير المهيمن

خطبة السنة الثانية

للجريـدة

عدد ۳۱ في ٢٤ شوال سنة ١٣٢٥

ايا من ايد القوى مع تكاثر ظلمه، وهضم الضعيف على تزائد حلمه ، وجعل النظام عنوان البوار ، والمدنية برنامج الدمار ، وافرغ لهـذا الوطاب ، ورزق ذلك بغير حساب ، لسر يفهمه وامر يعلمه (ق) والعبد ياذا الحول والطول ، من بطش جائر يصول ، وشر جبار طغى ، وفرعون بغى ، فانك الفعال لما تريد ، وان نسج على منوالك العنيد ، وادعى مشاركتك اللحيد ، ثم لتوفر لنا من الغيرة، مالا نرضى معه ببيع العشيرة ، بثمن بخس ، لرجل نحس ، لان الاهواء ساد سلطانها، والمحن غن جرانها ، حتى لازمت الرذيلة الارواح ، ملازمة الظل الاشباح ،

واسئلك اللهم

صلاة على صاحب المعجزات ، تفوق ما لدى المعمرين من الهكتارات وكمية من التحية ، تزيد على ابناء الفرنسوية ، بالادارات التونسية ، لا على عدد الانكليزيين ، بين اظهر المصريين ، لقلة سوادهم ، وقرب معادهم ،

وارضي بهيمنتك

على الصحابة الابرار ، رضا الشطط على دكارنيار ، وآثرهم بالرحمة ، استئثار الاحتلال بالنعمة ، ثم لتجعل طالع عامنا الجديد ، مباركا سعيد ، على الموحـدين ، والجمهوريين ، بان يعدلوا في المشيئة ، ويرفقوا بالرعية ، ويشددون العقاب على قادة العذاب ، حتى لا يتسنى للؤماء العمـال ، تشبيه الحرام بالحلال ، ولا يبقى للامراء ، من مسلك للمراء فتموت الرشوة ويموت اربابها ، وتعم الحرية وترفع قبابها ، ولا تقع امثال تلك النازلة المعلومة ، بين جدران الحكومة، فيختل ناموس الدولة ، المستسنى في اعين الامة ، وينتشر الفساد ، في ارجاء البلاد وناهيك بسرقة الشريف وخيانة المنيف ،

اذا كان رب الدار للطبل ضاربا ❁ فلا تلم الصبيان فيها على الرقص

انا لا تسوءني خسارة المال ، ولا تحيرني صعوبة الحال ، ولا توالي النوائب ، ولا استرسال المصائب ، ولا نزول الحوادث ، ولا تكرار الكوارث ، ولا رزايا الفتون ، ولا ظلام السجون ولا معاكسة الوقت ، ولا مصادرة المقت ، بل الذي يكدر خاطري ، ويبدد ضمائري ، ان نرى مرجعا عالي غير مبالي ، بتعاطى الحرام ، وارتكاب الاجرام ، وآخر سامي شره متطامي وضره مترامي ، ان لاح له النقش من الاصفر يهش (لان السيئة في نفسها سيئة ولكن من بيت النبوة اشين) سيما في اكناف هذا العصر ، الذي لا نصير لنا فيه سوى القهر وهل من درجة ثانية للصغار ، ونقطة باقية للاحتقار ، بعد ان اعلن سيري في مجلس الشورى ان التونسي اجنبي لا حق له في الاستخدام في الهيأة الوطنية الواقعة في قبضة الفرنساويين خاصة وبعد ان رفضت مطالبنا وقتلت رغائبنا على تفاهة قدرها وطفافة امرها فقد اقترح نوابنا وممثل مآربنا توظيف اهليين بالبوسطة العامة فكان الجواب لا لا على رؤوس الملا

ويحنا ان ثابرنا على هذه الخطة ووطنا النفس في مرابض الاعوجاج ، ولم نعدل على هذاك المنهاج ، في آونة رمونا فيها الاضداد بكل ما قدروا عليه كيما يثبتوا مخازينا ليقضوا على امانينا بدعوى عدم الكفاءة والامانة وكم احبطت هذه العلة من مساعي ، وفق الله ارباب النظر منا للتدبر والتبصر والقيام باعباء ما انيط لعهدتهم فانهم اولى من يحافظ على شرف المنصب ويعض على النزاهة بالنواجذ لانهم عنوان مليون ونصف اصبح ولا يالوا جهدا في استجداء المساواة من ابناء نجدتها رجال الحماية الاعلام واربما كان على مقربة من الظفر بها والتمتع بفضلها الجليل

هذا ما نسديه لكل من يؤمن بالله واليوم الاخر عسى ان يقلع على الذم ويجعل الهم كل الهم في مجافاة العار والحذر من العثار ليحفظ صيانة عرضه ويكسب شعبه بعض الفخار بدل المساوي والشنار ، وفي الختام بكل جوارحي نرفع عاطر الثناء على الذين وازرونا في السنة الماضية من مشتركين كرام وقراء فهام ، فما كان لنذلل صعوبات البداية ونخرج من مرائر تلك المشاق لولا التفات ذوي الحمية الينا واخذهم بايدينا ، لا جرم فقد ادركوا ما لقيناه من العقبات التي لا منشا لها في الحقيقة غير

تجاسرنا على غزاة المستضعفين اولئك الابالس الماردين الناهبين السلابين الخطافين الخوانين الخداعين المكارين المحتالين الغرورين الهمازين اللمازين الكاذبين الفاسقين الجارمين الاثمين الغاويين المعتادين القاصبين الباغيين الغاصبين الاليمين القسيسين الدجالين الضالين . ومحاربة هؤلاء السفلة عبادة ثوابها محقق ومائرة ذكرها مستطير فتجب المعاضدة عليها والتكاتف تلقاء انذارها المخطرة وهلاكها المحيط ولذلك كان ما كان بالامس وسنكون كذلك في الغد لاننا لا نحيد عما عاهدنا عليه الراي العام ولو قيد شبر تلون الدهر او صعب الامر

فانا لقوم لا نرى القتل سبة * اذا ما راته عامر وسلول

ولكن في الصالح العام والذب على بيضة الاسلام لا لغرض النفس واقتناص الفلس ولا لاثرة بالشهرة قوانا الله على الفتك بالاشقياء ما ارتفع الجهل وقوى العدل

من السماء الى الارض

في اذار سنة ١٢٥٩٠

عدد ٢٣ في ١٦ قعدة سنة ١٣٢٥

اخي العزيز الخالص خلوص الذهب من الابريز صاحب جريدة المرشد الغراء دام عزه السلام عليكم اما بعد

فقد مضى على الفقير زمن لم يراسلكم اثناءه بنبأ عن احوال ساكني الكواكب وما يجري بينهم من الحوادث الهامة والمسائل ذات الشان التي لو نزل عشر معشارها بابناء البسيطة لصار النهار ليلا زاحفا والهواء سيلا جارفا والماء العذب اجاجا بل ولتصدعت الجبال من هوله واصبح المعمور خلاء من اهله

اخي لم يكن ذلك منا لنكث عهد او ابطال وعد وانما هي الايام تفعل ما تشاء والاقدار تحكم كما تريد فقد طرات على العبد احوال لم تخطر له ببال واليك نبذة

مما جرى منزهة عن الزيغ والمرى رجاء ان تكون بها المعذرة فتواجهني بالمغفرة

غادرت ناسي وفارقت مسقط راسي لثـلاثة اشهر خلين واربعة ايام آخرين فحدث لي في اثناء هذا التجوال وغضون ذلك الترحال ان نزور قارة الاستبـداد وعاصمة الاضطهاد للاشراف على سير حماة العناد وما ياتونه من البغي والفساد لان النفس كما لا يخفاكم تتطلع لانباء الشر كما تتوق لذكر البر فامتطيت قطار الاصيلان المتوجه من زحل الى الكيوان فلم تكن إلّا عشية او ضحاها وساعة من سواها حتى ظفرنا بالمرغوب ووصلنا للمكان المطلوب

وثمت

طفقت اجوب اعماق البلاد لابلاء العباد وكشف الاسرار واستقصاء الاخبار فـاقني المرور الى حيث شامخات القصور فاقتربت من باب فاذا بقعقعة كصوت السحاب او هي اجزع وانزع فدق قلبي وطار لبي وخيل لي ان جاء الزلزال واذنت الدنيا بزوال وما زلت بين هذه الاخطار وعلى هذاك الانذعار حتى خرج علي رجل زنجي وبيمناه بطاقة خضراء وفي يسراه ورقة حمراء هذه مكتوب بطرفها (ادخل لتحظى بالمثول بين يدي القيصر وتسعف بما تشتهي من الميسر) وعلى واجهة تلك (لا ترتاع مما تبصر واياك وتغيير المنكر كي لايطرقك الردى ويذهب سعيك سدى وتكون كالساعي بظلفه لحتفه . فمكثت هنية اتدبر في عاقبة هذا الخطب المنذر ثم تقدمت والخوف ينهب الكبد والفؤاد في كمد فما جاوزت المراقي حتى بلغت الروح التراقي . واذ ذاك الفيت قاعة فسيحة وخميلة مايحة ذات انهار منهمرة ونسيم تلين البشرة فازيح بعض الوجف مني وشعرت براحة في بدني فتماشيت في ذلك البلاط البهي والروض الشهي فتم اطمئناني وتحقق اماني ولم يبق لي إلّا الم الاتعاب ووحشة الاغتراب . وبينما انا على هذا النشاط وذلك الانبساط اذ ظهر السلطـان في اقرانه للتنزه ببستانه ثم لانتصاف المظلوم من الظالم والمكلوم من الكالم فما كدت ان نشاهد المشهد يؤم ساحة المقعد حتى اخذني الخجل وخامرني الوجل وبقيت على حالة القبض انتظر برهة العرض الى ان حان الوقت المعلوم لفصل القضايا والخصوم فتشكل المجالس

من قسيس وعضوين ورئيس اسم الاول النعيس وكنية الثاني النحيس ولقب الثالث ابليس فلم تكن إلّا لحظة عين حتى دس لي بعض المعربدين بان اولئك الزعماء والقادة العظماء فتهيئت للتفرج وجعلت اتدرج بتماهل طويل وخطو ثقيل الى ان انتهيت لامكنة المجتبين ووقعت العين على العين فالفيت بينهم شبحا طرفه كطالع الصبح ووجهه في غاية القبح وبعينه احورار لكنها كشعلة من نار فاستفهمت من هذا فقيل لي لماذا فصحت ما هجرت الاوطان إلّا في سبيل النجدان فاوجبت بان هذا المقدس المشهور حضرة الامبرور فدنوت من رجليه وقبلت نعليه واستمنحته العفو على ما صدر مني من التقصير في التذلل لمقامه الكبير فالتفت التفات الخالع ونظر نظرة الاسد الجائع وفاه (بانا الجبار انا القهار ومن يكرم الشقي ويظلم البري ويواصل الفجار ويقطع الابرار) فوقعت ضجة وهزيز ورجة وازيز ثم اشار الحراس على جميع الناس ان اسكتوا وابكتوا واوعزلي ان تقعد في الحاشية فقعدت لاكتب ما نشاهد فامتثلت وهيئت المحبرة والقلم والمسطرة وبقيت اترقب ازمنة الابرام وآونة الاحكام الى ان اعتراني الظما واوشكت الشمس ان تقف في كبد السماء

وقتئـذ

نشرت نازلة غريبة ذات ادوار عجيبة وهذه صورتها ورمتها

لزم الدولة تصدير امرين وتوظيف شخصين فجـاءها ثلاثة رفاق كل يدعي الاستحقاق فكلفت من ينتخب جمابهم ويفحص وطابهم ليجتبى الاكثر علما ويرقي الازيد فهما اسوة بما عليه الامم الفائقة في الكليات الراقية

فلما كان الامتحان وآن الاكرام والاهان افتضح واحد لفهاهته وقلة نباهته وفاز بقصب السبق اثنان واحرزا على جائزة الرجحان ثم رفع ما عليه الحال استقر لاولياء التصرف والنظر وكان بين هؤلاء الاخرين كثير من الشرة اللحيديين فاوحوا لذلك الجاهل الطريد والخامل الفقيد ان افرغ علينا ما شئت من العين فتقلدوك احدى الخطتين والضامن على بلوغ الامل فداحة الحيف المخل فما سمع الغمر مقالة الظفر حتى رهن الضياع وباع المتاع وفعل الحرام واستجمع الحطام وكان على ما روي العارفون الف درهم او يزيدون ثم ركب رتل العشا وجاء ماوى الرشا

واسلمه ذلك المال بدل تحقيق الامال فما انساخ ربع عام حتى بلغ هذا السافل المرام وقهقر فارس الرماية وواجب الولاية اعني احد الاولين والسادة الناجحين - هنا -

بهت الحضور وحشرجت الصدور وانقطع اللجاج وابعد اللذيف الى خارج الرتاج للمفاوضة في كيفية القضا وعقاب صاحب الاقتضا وتبرية الاخيار والتنكيل بمن كان عن بذل العرف قصار . ثم دارت بينهم كؤوس اللمز واشهروا على بعضهم سيوف الهمز واستقبلوا ذوي النزاهة ببنادق السعاية فكانت نتيجة الفصل البعث برسول العز العشرة من الوزراء وما ضل رايهم وما افترى سوى اتقائهم اسباب المهالك وابتهاجهم واضحات المسالك والتجافي عن مظان الخيانة والتغالي في حفظ الامانة

اما السارق اللئيم والجارم الاثيم مكون الفعلة وناشي الشنعة فقد بقي في المنصب على ما له من المرتب بدون ما لحقه عتاب او تناوله مر الخطاب . لكونه .....

فليفقه الاريب وليتدبر اللبيب في فهم هذا الحكم العجيب وما احتوى عليه الرمز من طرائف الغمز فان التلويح ابهر من التصريح والحقيقة يفضلها المجاز والاشارة لها ينتهى الاعجاز

مكاتبكم الخصوصي
بالسماء الرابعة

المجلس الشوري

عدد ٣٤ في ٢٣ قعدة سنة ١٣٢٥

ايفاء بما وعدنا به في احد اعدادنا السالفة من الاتيان على زبدة ما دار بين ما يسمونهم بنواب الامة نذكر ما يلي

المتعارف بين الامم الحية حتى فرنسا نفسها ان نواب الشعب قبل ان يجلسوا على منصة الحضور في ميادين البحث يعرض عليهم قانون ما هم من اجله مجتمعون سيما حديثي العهد بهذه الخطة الخطيرة . لان الخوض في امور ذات شروط تلاحظ وقيود تراعى عن جهل فيها لا يسلم غالبا من التخليط اللهم إلا ان يكون الراكض

في هذا المضمار الذي نحن بصدده من اصحاب الوحي وعهدي بهم انقرضوا منذ قرون . وقد عين من وقع اختيارهم للقيام باعباء هذه الوظيفة في يوم وفى النهار الرابع بعده امروا بالوقوف على منابر الجدال مع زملائهم الفرنسويين ذوي الدربة على التنوع في افانين المناقشة والتلون في اصناف النضال مع عدم الخروج عن دائرة فصول ما من شانه التحديد بدون تلقين اولئك الذين لم يسبق لهم الجري في هذا الطراد العنيف والموقف المخيف فما معنى ذلك يا ترى . ذلك ليصح ادعاء عدم تاهيل العربي لابداء الاراء النافعة والاقتراحات الصائبة مهما استشير في شيء من الاشياء ليتسنى للاضداد الاستئثار بالقول والاستبداد بالفكر واثبات سمة الخور والعجز لابن البلاد

تلك الاموت التي طالما الصقها بنا الاضداد ليعيثوا في الارض فسادا ويقبضوا على مرافق البلاد من غير خشية انتقاد ارباب النظر والسداد

حسبك برهانا لتايد ما اسلفنا قضية نشر التعليم بين متساكني هذا القطر فقد اقتضت الشورى على ابقاء ما كان على ما كان ولولا عدالة المسيو بيشون لوقع التصديق عليها بدون ترداد . فلتحيا فرنسا ما اتحفتنا بالاحرار والانسانيين الاخيار كامثال ذلك الرجل العظيم والسيد الفخيم الذي شب على حب المساواة وما يولي امته عاطر المجد ويا ليت جنابه استوعب مهمة اقسام الوظائف بين الحامبين والمحميين بصفة لا تخل بناموس الانصاف كالحال التي افترق عليه المجلس المتحدث عنه فانه اعتساف واجحاف وهل من درجة باقية للشطط بعد ان ابى مدير البوسطة قبول متوظفين وطنيين بادارته على انه في حاجة لايجاد اشباههم لكونهما يحسنا اللغتين اللذين هما المحور الذي تدور عليه رحا الاعمال . هذا فضلا عما توجبه العهود وتقضى به البنود المسطرة بقلم الصفا على مداد الوفى . اظن جنابه لم تسمح له كثرة الاشغال بالتامل فيما فوق مشكلة تعميم المعارف او لكونها اجل ما ينبغي الاهتمام به فبدأ بها في هذه السنة ثم اظهر على متابعة السعي في معاكسة المتطرف ومطالبة المتعجرف حتى تحصل التسوية في جميع النوازل التي رفع فيها الخلاف قبابه وكان الفوز للهاجين والا فجنابه قطعا لا يركن لتفضيل زيد عن بكر في رفع المرتب واعلاء المنصب مثلما استقر عليه القرار في مجلس شورى هذه الديار . حقيقة لا يعقل ولا يجمل باولياء

المروءة والشهامة كابناء الجمهورية الفخيمة ان يحرموا المستظل برايتهم من سائر الحقوق البشرية او بعضها وهم يوقنون ان لا ملجا له غيرهم ولا امل له في سواهم

اجل فالحنق الذي يتبجح به دكارنيار واضرابه لا يرتضيه باريسي الولادة والنسبة ولا يعرف به في اصقاع المدنية ابدا ولسوف يضمحل اثره ويطمس قبره فقد مالت شمس التعصب للغروب واذنت رياح القسط بالهبوب وليتهأ مستخدمونا بادارة المال لقبض الخمسة وعشرين صاتيما التي شح عليهم بها رئيسهم ولو ان ذلك بعد حين فكل آت قريب واول الغيث قطر ثم ينسكب

اما معضلة توزيع الاراضي على المعمرين خاصة فستفصل على وجه مقبول حتى لا يتميز جنس على جنس في التملك المباح لدى سائر النحل والملل

اقول هذا اعتمادا على اناس شط مزارهم لا على اقوام ساء جوارهم وجاهروا بوجوب استعباد الضعيف ومضائقته في المشرب والرغيف حتى يهجر مسقط راسه غير آسف عليه ولكنه غبين . فقد وضح لنا تواطي النزلاء على استعمال الشدة والميل للاثرة ما وسع الامكان وناسب الزمان . كما اني افوه بذلك اتكالا على عدالة جناب المقيم العام المسيو الابتيت هذاك الرجل الكبير والسيد الخطير صاحب الايادي البيض والجاه العريض في هذا المصر فلولا باعه الكامل وفضله الشامل لمات المسود ورمي النار ذات الوقود . و ناهيك بما قام به غير ما مرة من مكافحة اشرار المدمرين وبذل المجهود في ايقافهم عند حد محدود علاوة على ما لاقى به الاهليين الذين استدعاهم النظام والانخراط في سلك المستشارين ليعبروا عن مقصودنا الجدير بالالتفات ويشكوا ضرنا الحري بالتلافي طبق ما ادوا ذلك بافصح لسان وامثل بيان بالرغم عن ضيق الوقت الذي صورته المباغتة والمباجاة حسبما اشرنا في طالع المقال على سبيل الاجمال

كلمة

في محاكمتنا الثانية امام الدريبة بدعوى ادارية

عدد ٣٥ في ٢٠ حجة سنة ١٣٢٥

مهما تطول حياة الانسان في هذا الوجود ويتباقى عمره ولو الى ما عاشه نوح عليه السلام لا يامن حادث يكرب ولا يستغنى عن نبأ يطرب لان استغراق ما تلده الاقدار من رابع المستحيلات

ولذا قال الحكماء ان مثابة المرء في دنياه هي اشبه شيء بما عليه الفطيم لاول يوم من تمييزه من حيث طواري الخفض والرفع والضر والنفع وامثال ذلك مما تتعود الادمان حديثه من قبل

لا جرم فان جهل الطفل اياما كان لا يفرق بين السراء والضراء ثم اتصافه بالادراك لحد الدراية والتدبر والفهم والتصور هو الذي سبب له الاعجاب مما يترى له في بادي امره ومن امعن النظر في احوال بني آدم طرا يرى كل فرد منهم يتوقع احيانا خطوبا تحاول النزول به فيظل في حيرة واندهال وآونة يخال مسرات تتحفز للاقبال عليه فيمشي في الارض مرحا ويكاد يطير فرحا الى ان ياتي ما ياتي فيواجه النائبة بالصبر والنعمة بالشكر وهو بهذا وذاك سواء هو والاحداث او ساكني الاجداث بالنسبة لازمنة النشر ووقفة الحشر لان سلطة الانبهار ثابتة للجديد في الطبقات الثلاثة فالكهل والميت ومن دون الارهاق عقولهم عرضة للاندهاش واعضاؤهم فريسة للانكماش من غير تفضيل صنف على صنف وكلنا في جملة ذلك . فمن كان يخطر بباله ان الحكومة على نزاهة سرها وضخامة قدرها تتنازل لمشاغبة واحد من رعاياها اذا هو انكر عليها فعلا وشدد معها قولا او ناقشها الحساب فى شيء من الاشياء فضلا عن كونه من المجلين لقدرها والممتثلين لامرها ولو كان المحق بعينه والمقت بعينه كصاحب هذه الورقة الحقيرة

فقد اتهمته الدولة بانه طوى على التلميح لحادثة مضت والتلويح لواقعة جرت

استغفر الله بل على الخدش في احكامها والانتقاد على نظامها رغما عما عرف به من سلامة النية ونزاهة الطوية نحو امير البلاد وملك السداد

اجل فان مجارات السيد لرفيقه في ميادين المبارات ومطاولته اياه ولو لمخالفات لغاية يتحقق معها تضرر العبد ربما كانت بالهزو انسب وللمعرة اجلب لان ظفره هذا كان فمن هو في اسره وتحت كلكل حجره

واي شيء اسخف من مخاشنة الكبير للصغير والجليل للحقير ولو صح اعتداء الاخرين على عظمة الاولين لان المراتب منها ما يزري بها الوقوف مع من هو دونها عزة وسلطانا . ذلك كله اذا ثبتت معاندة الضعيف للقوي اما في صورة العكس فان الحال اقبح وافضح وابشع واشنع

فاذا اضيف لذلك نصب حكم ايس من نعله كانت الرزية اوفر والبلية اكبر لانه لا يؤمن من ان تكون حيثياته خبطا ومستنداته خلطا وملاحظته خبالا ونكايته ضلالا . لا كمجلس الدربية لحذاقة عمدته وشهرته بالفضل والنبل والعلم والعدل الى غير ذلك من صفات الثقة ونعوت الكمال حتى كانه دام بقاءه لا يصدر عنه شيء الا بالالهام من مكون رجليه سبحانه ولا بدع فمن لا يعتقد انه معصوم من الزلل في القول والعمل . ولا يضير الامة ما وقع له معنا من انتهاج سبل الشطط والركوب على صهوات الغلط لدرجة ان طبق ما لا ينطبق واثبت ما لا اثر له في الخارج

فان ذلك منه لبيان انه يجوز في حقه ما يستحيل في جانب الرسل لان تنزهه من جميع الوجوه موجبا للريب في انقطاع الوحي المعهود انتهائه بانتهاء عمر خير الورى . وان كانت فعلته تلك دونها التعمد على هدر الدماء وتفويت المتاع على رشف اللما وقد زادها غاضا نزولها في عصر مات فيه الجور بموت اهله وتشامخت اثناءه الحرية لغير حد . يا اولياء النظر ناشادتكم الانسانية إلّا ما اجبتموني على اسئلتي هذه

اي ذنب اقترفه الفقير حتى يساق الى السجن قهرا ويغرم مائتين جبرا ؟

هل نبش رمسا هل اغتصب فلسا هل شن غارة هل اثار فتنة هل ظلم هل ثم هل جرم هل جاهر بسوء بلى كل ذلك لم يقع وانما هو كتب اسطرا قلائلا على لسان احد الرصفاء تهنئة بدخول الجريدة في السنة الثانية وما تلك العجالة الا

اطراء مجردا عن التعريض لا يتنوع لفنون ولا يدخل تحت قانون حسب ما صرح بذلك وكيلنا الاحزم المسيو بيترا الموسوم برقة الذوق وحرية الضمير

ذاك عند ما وقف مناضلا عنا امام رئيس الاستئناف ذلك القانوني الماهر والانصف الطاهر السيد صالح عباس . فقد برهن المومى اليه على ان ما نقشه باعنا وخطه يراعنا لا يقبل التاويل بحال ولا يفهم منه غير الغلو في مديح جريدتنا وهو امر لا يوجب عقابا ولا يلزم عتابا حتى على مذهب نيرون وقد سلم جناب المجلس المشار اليه ان مكلف الدريبة قد هفا في تهئية الحكم على انه ابتدائي واخر النظر في هل البند السادس من قانون المطبوعات القاضي بالحبس وتخطية من يتجاسر على مقام سمو الباي بما يضارع الثلب يصدق على تلك النشرية المستفرغة في قالب البراءة من الغمز واظن امد الفصل قريبا . ومما يحسن ذكره هنا ان سماحة رئيس المجلس العالي لما لم يظهر له وجها في تبقيتنا في السجن فكر قليلا على عادته في اعمال التدبر مهما يعن له الازماع على شيء سيما في دهم المسائل . ثم فاه بكلمة تمثل القسط بجميع معانيه و لحق بكل مبانيه وهي (لا مانع من اطلاق سبيل هذا الصحافين) فوقع تصفيق عام من جميع الحضور وكان عددهم زهاء الالفين نفس فريقا بقاعة بيت الابرام وفئة بداخل القصبا واخرى خارجها اذ ضاقت على ايوانهم الرحاب

وقد دل ذلك على ان الفكر الاهلي تغير كثيرا وان القوم شعروا بوقوعنا في سياق الرزايا الكائنة لا عن سبب لانه لم يؤثر فيما سلف ان ثلة منا صفقت استحسانا لقضاء في نازلة اصلا .. ففخرا لهم وشكرا للجرائد العربية والفرنسوية الذين شاركونا في التوجع فيما حل بنا كالطان ترجمان الفرنسويين والتونسي زعيم الوطنيين وناهيك بهما رفعا واعتبارا وبعد صيت وفي الختام صلاة وسلاما على الدولة ما اتخذت اللين رفيقا والاعتدال صديقا

(فكاهة)

في الغيب صندوق من المساخر وكاني باوان انفتاحه حان فيالله للضحك ان ازيحت عليه المغاليق وسارت مخبآته بين ابناء هذا المعمور

في عالم الخيال

محادثة بين الوطن ودكارنيار

عدد ٣٧ في يوم الجمعة ١٢ محرم سنة ١٣٢٦

الوطن ـ مرحبا برجال العلم والحزم ابناء ام الحضارة باريس

دكارنيار ـ سمعنا وسخرنا وللطفك ما شكرنا وسنستأثر بخير امصارك ان كثرت امثالي ونفذت اقوالي .

الوطن ـ عهدي بكم دعاة العرفان ومبشري العمران لا تقصدون من الاستعمار . الغنيمة والادخار . بل صفوة آمالكم وخلاصة اعمالكم القضاء على الهمجية حيثما حللتم وطرد الوحيشة اينما نزلتم فماهذه اللهجة المقلقة يا ابن التمدن والنظام

دكارنيار ـ ان ما نقلته عن ابي وعليه اليوم مذهبي سلب المستضعف من سائر الحقوق البشرية وان لا تسمع له شكوى ولا تقبل له دعوى

الوطن ـ تالله لم ار ما احمق منك يا هذا الرجل أ انت لست من امة تشين سمعتها القساوة ويحط من كرامتها التظلم فما هذا التجاهر الدامي اكبادي والجارح لعواطف اولادي وهم لحمايتكم وتحت رعايتكم فان كان هذا فكر شعبك وراي عنصرك فيا بقائي على جهلي ويا شقاوة اهلي ....

دكارنيار ـ من سوء طالعي وحسن حظك ان انتهجت معك مناهج العناد لتكون هدفا لسهام الاضطهاد فلم يصحب سعي نجاح وذهبت رغباتي ادراج الرياح وبقيت انشد (اذا عظم المطلوب قل المساعد)

الوطن ـ عجيب الك بغية بعد الاستبداد بمرازقي والاستقلال بمرافقي واثقال كواهلي بضرائب لا تدخل تحت حد ولا تقف عند عد

دكارنيار ـ نعم . لان جوار قومك ضرر والاختلاط معهم خطر ولا خير انا معاشر الدخلاء من اجلائكم لخلاء الصحراء ومنقطع الغبراء

الوطن ـ مهلا ايها المحقاد فلقد اخطات في اقتراحك واعتسفت في مطاحك فان الاسبان ما جرهم للهبوط واودى بهم للسقوط إلّا ابتعاد الاندلسيين عن الجزيرة الخضراء . حيث ذهبت لذهابهم صوالح واقبات بفراقهم طوالح افضت الى كساد التجارة واندثار الصناعة وتوقف دواليب الانتفاع . بل واستلال حكومة مدريد من مصاف الدول العظمى وقعودها في المنزلة الاخيرة منهم . بعد ان كانت ذات الهيبة والسلطان في العالم الاوروبي . وعلى العكس ساست انكلترا مستعمراتها بسياسة اللين والمساواة فاصبحت افضل الامم قوة ونظاما وارسخها قدما في ساحة البقاء . أترضى يا عدو الانسانية ان تقتدي فرنسا المتمدنة بالاسبانيين ضعفاء العقول

دوكارنيار ـ لو كان لي راي من الجمهورية لا احب لي من تسخير مالك ونهب اموالك ولكن نصرائك اكثر من اعواني واصدقائك اوفر من اخواني فلا اقدر الان إلّا على ثلب فضائلك والاخذ من اعراض اجلائك والتحرش بهم صباحا مساء ولسوف تفلح ان لم يباغتني الفوت ويفاجئني الموت

الوطن ـ متى تصحوا من هذا الخمر وتنتبه من ذلك السكر فنعيد معك الخطاب علك تهتدي للصواب فلا تعود تتسرع لتبكيتي ولا تتساهل في تعنيتي على احقيتي وقوة حجتي ازاء ضلالك وشنع اقوالك

دوكارنيار ـ اني صائب وانك غائب ومن الاسف ان تشارك في الشورى وان توهب الحرية في ابداء ما تريد ثم تمنح التعليم وتقول هل من مزيد

الوطن ـ فيا لكثرة احزاني وتوالي اشجاني احنقك انخراطي في سلك الحكام والتفرج على صادرات الاحكام . فالقول قولك والفصل فصلك والامر امرك والنهي نهيك فما حضوري معك إلّا حضور الذئب مع الاسد في قصتهما المشهورة وقضيتهما المسطورة . واما مسالة التعليم فغبني فيها اكثر وهضمي منها اظهر . لان الدولة ازمعت فيما روى عن تلقين صناعتي التجارة والحديد دون الضروريات الاخرى من الفنون السامية كالكيميا والطبيعة والهندسة والطب والحقوق واشباه ذلك مما لا رقي للحياة بغيره ولا دعة للعيش بسواه

دوكارنيار ـ ما اعطيته ونلته مما سبق تفسيره وتقدم تقريره فيه ما فوق الكفاية لك لانه يصيرك ذا متاع وفهم وبه تتميز عن العجم والبكم وتلك غاية ما يرمي له

الاخذ بيدك والجد في تمكينك من مرادك فان جنحت لغيره فتكون مرتكبا شططا وناهجا غلطا ولربما يملص منك ما تضمرت من صغره وجمحت لكبره

الوطن ـ اواه لقد حلفت النفس الخبيثة ان لا تخرج من الدنيـا حتى تسيء لمن احسن اليهـا انفطر كبدي من محاورتـك واهاجت همومي مناقشتك رغما عما واجهتك به من الحفاوة والمواساة حتى انقلب حالك من العسر الى اليسر وبدل ثراءي بالفاقة والفقر أأنتم قوم تقابلون النعمة بالنقمة والمزية بالكران

دوكارنيار ـ لا لا وسرة العذراء فقد افدنا اكثر مما استفدنا افلا تنظر الى الطرق كيف سويت والى السكك كيف بنيت والى التلغرافات كيـف نصبت والى الادارات كيف شكلت والى المدائن كيف باطت والى الضرائب كيف جبيت والى النفوس كيف اصبحت في اطمئنان وامان بعد ان كان هذا القطر خلوا من جميع ذلك

الوطن ـ بالحـق ذللتم المسالك الوعرة ولكـن لتساعـد عرباتكم على السير والجولان والركض والطيران وصدق انشاتم القطارات ولكن لجر منقولاتكم بابخس ثمن ولتعبية جنودكم في اقل زمن . وثابت اقمتم بهمة الاسلاك البرقية ولكن للتخابر في شئونكم والتشاور في اموركم على ايسر وجه . وواقع نظمتم الدواوين وابدعتم في تنسيقها ولكن لتقليدكم مناصبها واختصاصكم بمراتبهـا . وصحيح هذبتم الشوارع ولكن لوقاية احذيتكم من الطين ونجـاتكم من الوحل المهين وحـري توصلتم لاستخلاص الاداءات باتم انواع الحكمة ولكن لتصرفونها في مساكنكم وملابسكـم ومشاربكم ومنازلكم ثم ما بقي على ما ترون فيـه سداد ولا جحود في سيادة الراحة بانحاءي والسكينة بارجاءي حتى الحسب والنسب ولكن كيف يخاف من لا ذنب له سوى التغالي في الطاعة والمبالغة في الولاء

دوكارنيار ـ على كل حال انت تابع لنا والتابع قد يشارك المتبوع مدة كونه لم يقطع

الوطن ـ دعنا من هذه الخزعبلات الفارغة والمغالطات الباردة واستمع لما يتلى عليك مما تشده في الايام القابلة من امتك العادلة . .

(١) نرجو نشر المعارف بين الاهالي وتشييد المدارس اللازمة لذلك حتى لا يكون للجهل على التونسي من سبيل

(٢) نرجو التخفيف من المجابا فانها ضريبة فاحشة لا يحتملها ضمير ولا يحمدها الجليل ولا الحقير لكونها على خلاف ما هو جاري حتى لدى فرنسا نفسها

(٣) نرجو رفع الضغط عن القلم ليتسنى له استنهاض الهمم وتعنيف المجرم ونقد من يستحق النقد بدون ما يخشى رقيب اقتداء بالصحافة البارسية او المصرية على الاقل .....

(٤) نرجو التسوية بين المسلم والاجنبي في الخدمات من غير تفضيل جنس على جنس وصنف على صنف وعفى الرب عما سلف

(٥) نرجو تماثلهم في الجراية لتماثلهم في الخلقة والحاجة والعمل

(٦) نرجو مراعاتنا في مخلفات اجدادنا وابائنا الارض وما اتصل بها لكونها السبب الوحيد لارتزاقنا

(٧) نرجو الرفق في القضاء ان ابتلي احدنا بمنازعة اجنبي ورفعت نازلته للمحاكم الفرنسوية لان تاريخ هذا الباب غير مرضي ....

(٨) نرجو احترام شعائرنا وتوقير ديننا ما دام فينا ودمنا متمسكين بحبله المتين

(٩) نرجو الاقلاع عما يحل العزائم ويثني الهمم في كل مشروع عام مثل ما نزل بالوكلاء لما رغبوا من الدولة المصادقة على قانون اجتماعهم لان المقام مقام تشجيع وتنشيط لا مقام احباط وتثبيط اللهم الا ان تكون ارادة فرنسا على خلاف ما تزعم وحاشا ان يكون ذلك وهي الخرزة اللمعة في تاج الحرية والوفاء ...

(١٠) نرجو تتبع اعمال العمال واعطاء الموضوع حقه من التدقيق حتى لا يشاطر العامل معموله في انتاج الانعام ومهر الاسلام وحتى لا يمكن لهذا المتفرد بالنفوذ ان يتسلط على من عرفوا بالثراء من رعيته فيستنزف ارزاقهم ومن لا يذعن لذلك يعد مشوشا للراحة فيلحقه من العقاب اشده والعذاب امره لان صوت المرؤوس ازاء صوت الرئيس هو اشبه شيء بالعدم ازاء الوجود

الشيء بالشيء يذكر

حدثني رجل من جزائر الاقيانوس ان العامل لديهم يجبر شيوخ الجباية على ان ينقدوه كذا وكذا وألا يخابر من هو فوقه بانهم فاسدي السيرة عديمي السريرة

فاسرع ما يعزلون فيبيع وظائفهم بثمن معروف وعدد مالوف وهكذا الى ان يجد من يرتضي فعله الردي واثره السيء فيثبته على تلك الخطة ذات الصغار والحطة... انا ما صدقت بما اسلفت ولكن ذكرت ذلك حذر الوقوع فيه فان الحزم اولى من سلامة النية ....

(١١) نرجو تلقين المعمرين ندب مجاملة العرب وملاطفتهم وبعبارة اوضح وقيل افصح حتى لا ينتهج الاولون مع الاخرين مناهج الغلضة والفظاظة الموجبان للوحشة الدائمة والتنافر المستمر بل وسفك الدماء البرية وضرب الخطايا الفادحة على ذوي الجوار من التونسيين لاقل مخالفة تصدر كدخول حيوانات الوطني ارض الدخيل لغير قصد الري والرعي وانما لغفلة الراعي واشباه ذلك مما يعسر التحرز منه والتحيز عنه

(١٢) نرجو تقديم اليد الاهلية عن غيرها متى كانت ذات اقتدار على القيام بالاشغال الدولية كالترميم وكسر الحجارة المقصور نفعهما اليوم على ابناء ايطاليا بعيدي الدار والفائدة فانا اولى بمرافقنا على ان بؤسانا في حاجة لذلك وفيهم من صحيحي المزاج المعتدلي البنية القادرين على ان ينجزوا في الساعة مالا يتممه الاجنبي في اليوم كلهم مئات والوف فما اضطر الصعاليك للبغي واللصوصية الّا عدم التجر والبطالة الناشئين عن اختصاص السيسليان بخدمات الاشغال العامة ولولا اولئك (البيلوش) لاصبحنا في غنية عن نصب المحافظة واقامة القصور الشامخة لايواء العسكر الكثيرة خشية انصداع اركان الامن العام

(١٣) نرجو بناء دار خاصة تحشر فيها جماهير الفلتاء من الايتام الفقراء ومن هو في حكمهم وتعليمهم وتهذيبهم لان ترك هؤلاء المعوزين على تلك الحال حال الجهل والاهمال حفاة عراة موذن بايلولتهم عتاة جناة لا يكفي لدرء ضررهم تضاعف البوليس عاما فعاما او شهرا فشهرا ولا تؤثر عليهم الزواجر بحال لانهم اذا وصلوا حد الحلم يجدون انفسهم على اسوء حال من الفاقة فيكبر عليهم يومئذ السؤال واراقة ماء الوجه في سبيل ما يقتاتون فيلجئون طبعا للحرابة وقطع الطريق ويزيد خطرهم بتزائد الايام وتكرر الاعوام لان جزء كبير من الناس من هذه الطبقة طبقة الشقاء والعناء

فاذا جمع اولئك الشرد في مكان مخصوص وتثقيف اذهانهم بشيء من اداب الحياة من المصلحة العامة الواجب مراعاته في آن وحين

(١٤) نرجو الاعتناء بما نتوفق له من الاجتماعات الجليلة ذات المقاصد النبيلة لان النفات اولياء الحل والعقد للمشاريع من اسمى المنشطات على المثابرة واعمال الحزم والسلام

رجال الاصلاح

عدد ٣٦ في ٥ محرم سنة ١٣٢٦

في حاضرتنا المحروسة قسم كبير من المسلمين الموسومين بالتفكر فيما يمكن معه تخليص وطنهم من ورطة الجهل المبيد ولكن مع كثرتهم وتزائد عددهم يوما فيوما لم يوجدوا في البلاد رقيا يذكر فما العلة في ذلك يا ترى

بادى بدء يظهر انها الكلف بالذاتي لغير غاية . ذلك ان اولئك العرفاء او المتنورين كما يعلم الناس متهالكين في السعي وراء نيل الالقاب والرتب حتى بلغ ببعضهم الحال ان يمجد نفسه بيراعه ثم يبعث بذلك لارباب الصحف كيما ينوهوا بامره ويتمدحوا بخبره تغريرا للحكومة بانه من ذوي اللياقة والمكانة وتمويها على الامة بكونه ممن تنزهت مقاماتهم عن النقائص فيختلس من بين هذه الاسم والشان ومن تلك المنزلة والنيشان فيكون محبوبا لدى الجمهور على خلوه من النفع ومرموقا بعين الدولة مع عدم كفاءته لاي منصب كان واين هذا من النهوض الموهوم في شعبنا والتقدم المنسوب لقطرنا فان حب النفس شيء والعمل للصالح الاهلي شيء آخر لصحة اختلافيهما وثبوت تنافيهما فلقد حكم السياسيون في كتابهم (استقامة البقاء) بوجوب تجرد المرشدين عن الوظائف وتطهير افئدتهم من ادناس الغايات وقالوا لا خير في حشم الاغراض لبعدهم عن البر وقربهم من الشر . . . لا جرم فان المتشبثين باذيال

الخطط والباحثين وراء تفاصيلها لا بد لهم من الانصياع لاوامر الاستبداد والانطياع لنواصي الاضطهاد سيما في الممالك المتاخرة والعواصم المتقهقرة وهذا وذاك صريح في مصادرة التقدم . وعليه فيجب على من يدعي الاصلاح وبث دعوة الرقي ان يخاطر بمستقبله وان لا يكبر نزول العناء به وان لا يهش إلّا لما فيه فائدة الجميع اقتداء بمن سلف من رجال الاصلاح . روى قدما ان خديوي مصر استحضر لديه المرحوم جمال الدين الافغاني واشعره بانه ساعي له في الوسام العثماني . فكان جواب الامام له ان هذا الصدر لا ينشرح بالجمادات وانما هو ينبسط ليوم يرى فيه الاسلام مسترجعا جده الماضي ومجده القديم . بمثل هذا تسمو الشعوب ويكون لاراء قادتها الاثر الحسن في القلوب . لا بالخداع والمكر والنفاق والغدر وبيع الملة بشق تمرة مثل ما عليه الجل من ابناء هذه الديار اولئك الذين اتخذوا النصح ذريعة للغش والارشاد مسبارا للضلال حتى غدوا وكل اعمالهم خدمة لامالهم وما هي الا طلب الامارة او ربح لا تتخلله خسارة وما شاكل ذلك من المستحيلات فما حملهم على تشييد ما اشادوه الا حب الظهور والشهرة لاتثقيف الاذهان وتهذيب العقول كما فهم البسطاء منا والسذج فينا اذ لو كان ذلك كذلك لدبروا في توسيع نطاقها وراقبوا تلاميذها بل ولما تقاعدوا عن مباشرة تعليمهم ومزاولة تفهيمهم ليثمر ما تسببوا في غرسه ولا ينتج العقيم المستنكر والثقيل المستقذر مثل الخروج من الدين طلبا للالتحاق بالمتمدنين وو . . .
فيحبط العمل في الحياة الدنيا ويذهب سدى في الاخرة ايضا

يا هؤلاء ان امثالكم في الامصار الاخذة في الاسعاد حينا فحينا انتهت بهم الغيرة الحقة والحمية الصادقة لارسال مجانسيهم للتعلم باروبا على نفقة كيسهم ووصل بهم ثبات العزيمة لنشر الوية العرفان بين احبائهم حتى قوبلوا بالنصر وباءوا بالظفر او ليس الاليق بكم اقتفاء اثرهم كيما تفوزوا بفخرهم فتتقاسموهم في الذكر وتشاطروهم في الشكر فان ما اقترحناه عليكم ليس بالشيء العسير فما هو الا التخلي عن طلاوة العلانية وخبث النية والتردي برداء الاخلاص لتزدادوا رفعا بين الناس ويحفظ لكم التاريخ انباء تترى واوصافا تجل عن النظير فتكونوا واسطة بيننا وبين الحماية لانكم ادرى بكلامها وافقه بنظامها بل ولانكم افضل من تناط له عظائم الامور فيغرب فيها ويجيد

فاعدلوا يا بارك الله فيكم عن انتهاج سبل التدجيل وركوب ما يهوي بوكركم الشريف وقودوا قومكم الى حيث النجاح والفلاح بنقاء ضمير وامضاء جاش وفي انحرافكم عما فات ما يضمن غفران السيئات ويزيد في عزكم علوا وفي جاهكم سعة

اما ان دمتم على تلك الحال حال الاعتناء بالشخص بعنوان خدمة البر فالخطر الخطر على عنصركم وانتم على ما تقول شاهدون وبوقوعه موقنون

من يرقى البلاد وينهض

(بالامة)

عدد ٤٢ في يوم الاحد ١ جمادى الاولى سنة ١٣٢٦

رب معترض يقول ما لي اراك قد اجهزت في حملتك على تلك الفرق وهي في مستوى الزعامة وبيدها قيادة الافكار ؟ وكان عليك ان تصانع في الاقل الفريق الاكثر تاثيرا في الراي العام ليكون لقولك في مجاراته بعض الاثر النافع في تلك النفوس التي لم تتعود سماع مثل هذه الصراحة في النقد حتى يتسنى لك ان تستعين بذلك الفريق على ما تبتغيه من الاصلاح . فاقول مهلا ايها المعترض عن غير بصيرة فسانبئك بتاويل ما لم تحط به خبرا . ان المصانعة هي في اجماع الاخلاقيين خلق فاسد ونكث في فتل القلوب ونغل في النفوس ما وجدت في امة من الامم الا ومنيت بالكذب والنفاق والغش والرياء والدهان والختل والدجل والصبر على المكروه واحتمال الاذى وناهيك بها من مهلكات فاتكات قاتلات .

فهذه هي ادواء المصانعة وما تستتبعه من الافات قد شرحتها لك تشريح خبير ولم اترك لك مدخلا الى الشك ومخاتلة الحس المخدر بالتقاليد والعادات الناشزة عن حكمة الاسلام . وما قلته عن تلك العناصر التي تتعاور ملالة ادعاء النهوض بالامة فهو الحقيقة بعينها التي لا ريب فيها والحقيقة لا يجوز ان تكتم بل يجب ان تذاع

لان كثيرا من الادواء الاجتماعية في الامم التي اندغمت في غيرها بتاثير التغلب او الامتصاص ما فشت فيها فاشية تلك الادواء إلّا وقد كان للمصانعة النصيب الاوفر في تقويض كيانها وارتجاج ايوانها وانصداع اركانها وما وصل المسلمون الى ما وصلوا اليه من التدلي والانحطاط إلّا بعد ان تسرب الى نفوسهم ذلك الاثر الفاسد من احتكاكهم بالمقهورين لما اهتبلوهم ولم يضعوا ما نقلوه اليهم من الاخلاق والعادات في بودقة الاسلام ولذلك اختار ان يكون قولي مجفوا من ذوي النفوس الصغيرة وان كثروا من أن نكون مصانعا فيه لامتي او يشوبه مني غش اورياء ما دام لي شفيع في ذلك وهو التصريح بما اعتقد فيه النفع والخير للمسلمين .

عفوا ايها القاري الكريم فاني قد اسلست عنان القلم في مناقشة معترض غير حكيم في مسائل تكاد تكون خارجة عن الموضوع وعذري في ذلك ان الشيء بالشيء يذكر والعذر عند كرام الناس مقبول . ولكن قبل ان نغدق السير في الاستقصاء والبحث عمن يرجى منه ان يرقي البلاد وينهض بالامة ونعرض راينا في ذلك على العموم او ندخل في غمار كفاح عنيف بين دعاة الفرق الاخرى يجب علينا ان نبحث في الوسائل التي يحصل بها ذلك الرقي وتاتي منه تلك النهضة وان كان هذا البحث قد اصبح شغلا شاغلا لاولئك النفر القلائل من المصلحين ومصرعا للالوف من متهافتي المدعين المبطلين فنقول ! ان النفوس البشرية كالالة المرنة تتاثر بالضغط فيتخفض مسطها قليلا ثم لا تلبث ان تعود ولا تزال كذلك حتى تقوى عليها الانفعالات التي تحدث عن التهذيب فيتخفض ذلك المسطح بقدر ما يدوم ذلك التهذيب ولذلك قال بعض الحكماء تجب العناية بتهذيب الامم قبل العناية باعدادها لاي شيء اخر من تكاليف الحياة ولكن قبل ذلك يجب اختيار نوع التهذيب الذي يلائمها لان التهذيب في الامم هو كالبذر لا ينبت في ارض إلّا اذا كان مزاجه موافقا لمزاجها ويتغذى بعناصرها ويتنفس بهوائها وإلّا ماتت البذرة وذهب كد الباذر ضحية الجهالة والتوى القصد عليه . وكل من يحاول ادخال تهذيبا جديدا في امته بدون ان ينظر في ذلك الى قابليتها واستعدادها وما يلائم فطرتها يكون حاله كمن بذر بذرا في ارض غير صالحة للانبات فيه وهو حال اولئك الخياليين الذين انعكس الى

افكارهم كلما شاهدوا من ظواهر التربية الافرنجية فحسبوا ان الاصلاح والتقدم لا يكونان إلّا في احتضان تلك التربية وفاتهم ان الشواهد المحسوسة في اغلب الممالك الاسلامية هي قائمة على فساد هذا الراي ودحض اقوال مخترعيه

فقد سبقنا الى احتضان تلك التربية الغربية المصريون والاتراك والهنود واخذوا باطراف المعارف ولكن هل انتفعوا منها قبل ان يتراجعوا في نصف الطريق ويقفوا حيارى تائهين لا يهتدون الى الرجوع سبيلا بدون ان تغني عنهم معارفهم فتيلا لو لم يستانفوا رجوعهم الى الاسلام. فكيف بنا نحن لا نحتاط لانفسنا ونقصر عنها هذا التعب ما دمنا في بداية الطريق . ان المعارف كالالات لا يجوز لنا ان نغتر بظواهرها وهي لا تستطيع تكليف نفسها مالم توازن التربية الملية بسائر مميزاتها وخواصها ومن يحاول غير ذلك فهو انما يحاول بامته الى الخطر وبذاته الى التلف

اما نوع التهذيب الذي نريد ان تلقح به افكار المسلمين ونحاول ان نجعله الحجر الاول في اساس نهضتنا فهو المبني على اصول الدين وصرف الاذهان عما وقر فيها وتطهير النفوس مما علق بها ووقاية الفكر من الحيرة والاخلاق من التزلزل والعقل من الجمود .

عدد ٤٣ في ٢ رجب سنة ١٣٢٦

قلنا في المقال السالف ان التهذيب الذي نحاول ان نجعله الحجر الاول في اساس نهضتنا هو المبني على اصول الدين وصرف الاذهان عما وقر فيها الخ وذلك كي يكون ارتقاؤنا مبنيا على الشعور بالوحدة الملية وتوجيه وجهة القلوب الى غرض واحد مشترك في البحث والتدقيق عما يلزم لحياتنا الاجتماعية بدون توقف على الاستعانة بتلك النظارات المصطنعة التي اخترعها متاخرو المتكلمين والفقهاء والمتصوفة او التي وضعها الملاحدة اخذا من القول بالجحود المطلق وانكار النبوات وتعاليم الخلاق العليم . اذ كلاهما معطل لناموس البقاء ومناقض للفطرة التي فطر الله عليها الوجود . والخلاصة ان ما قلناه في المقال الماضي كان مجملا يحتاج الى تفصيل وذلك ما سنبينه في هذا المقال وما يلي رجاء ان يجزي به القراء او يعرضوه على محك النقد حتى لا يحرم من فوائده العموم فنقول

نريد ان يكون تهذيبنا الملي مبنيا على الاقناع بان الدين الاسلامي هو ملاك السعادة واساس الارتقاء والعروة الوثقى لارتباط قلوب الملايين من الموحدين الذين اكتظت بهم القارات وان احكامه المنزلة وتعاليمه الحقة هي شاملة لاشتات المصالح ولم يشذ عنها ما يلزم لتدبير شؤون عموم البشر . فمن اصوله النظر وترويض النفوس واداب السلوك الى حفظ الصحة وتدبير المنزل ونظام الممالك وسياسة العمران

نريد ان يكون تهذيبنا الملي مبنيا على التوسع في فهم معنى توسع الحياة توسعا لا يجعلنا نرضى بها على الصورة التي نحن بها الان وان تحفظ الميزات الخاصة بنا وان نجعل الفضيلة والاستقامة محببتين الى النفوس وان نهجر كل ما خالف تقاليدنا وشعائرنا الكريمة وان نصرف حماسنا في التفاضل باخلاق الكرم والشجاعة والايثار والفداء وان نفضل الاستقلال على الحياة وان نتوسع في الحرية الذاتية في كل فرع من فروع الاعمال . نريد ان يكون تهذيبنا الملي مبنيا على نبذ التقليد جانبا وان ناخذ من كل مذهب ما يلائم مصالحنا بشرط ان يكون الماخذ مخرجا من السنة والكتاب وان نلتمس للضرورات احكاما اجتهادية يكون مدارها المقتضى وقصارانا ان نكون مسلمين سلفيين لا ان نكون تونسيين او مراكشيين او جزائريين او تونسيين او مصريين او عرب او اتراكا او فرسا او هنودا او افغانيين او تاريين او جاويين

نريد ان يكون تهذيبنا الملي مبنيا على تقاليد خاصة بنا بعيدة عن روح العداء والجفاء مبراة من كل هوس وجشع وفحش وان نتغالى في الاحتفاظ بكل امر ندبنا اليه الاسلام وان نجعل دستوره هو المرجع الاعلى لتدبير شئون مستقبل المسلمين

نريد ان يكون تهذيبنا الملي قاضيا بالسعي لترقي شئون المسلمين المادية والادبية واللغوية والاجتماعية والصناعية والزراعية والتجارية والادارية والاقتصادية والسياسية وان نترك الزهد والغرارة والتنطع في الدين وان نفضل الاشتغال بسائر المهن الحرة على الاتكال والاعتماد وان لا نجعل الوظائف في الحكومات وسائل للارتزاق بل مساند للنابغين من ذوي الاثراء لخدمة الامة وتفريج كرباتها

نريد ان يكون تهذيبنا الملي مبنيا على كراهية الحكم المطلق ومجافاة الظلم وان نحترم الشريعة والنظام وان نقدس الجمال والاتقان وان لا نعلق رجاءنا باحد سوانا

وان اس نجاح مشاريعنا هـو تكافلنا على الاعمـال وان نثق ببعضنا ولا نتنازع على الرئاسة فنتخاذل عليهـا . نريد ان يكون تهذيبنا الملي مبنيا على اكمال نواقصنا بما وصل اليه علم غيرنا وان نعتبر شيئا إلّا متى روضناه وعرضناه على شعائرنا وان نصرف اهتمامنا الى تحصيل العلوم العملية ولا نجتزي منها بالوشل فنضل كما ضـل غيرنا وان نعتمد في دفاعنا وهجومنا على العدد السلمية واعني بها الخطابة والاقـلام والجمعيات وان نخلص الولاء لـكل من يشترك معنا في اعادة مجدنا القديم

نريد ان يكون تهذيبنـا الملي مبنيا على اتحاد رجال قادرين على استخـدام الظروف وتحويلهـا لنفع المسلمين وان نبعث في ادمغة الاغنيـاء روح النخوة التي تجعلهم يفضلون مجد البذل على الاكتناز وان تحول التـنافس في الملاذ الحيوانية الى الملاذ الروحية وان تجعل لنا حداة يتغنون بمجد الاسلاف كما كان يتـغنى به سعد وحسان وان تكون لدينا المعارف والاعمال هو الميزان لاقدار الرجال

تلكم هي المطالب الاولية التي يجب الاعتماد عليها لقيام الجامعة الاسلامية وانهاض سائر المسلمين ومن حاول غير ذلك فهو اما ان يكون ضالا عن سواء السبيل واما عدوا في ثياب صديق يريد ان يقضي على المسلمين بالضمور والانكمـاش وهو يعمـل على انتكاث فتلهم وتفريق جمعهم حيث لا يكونون إلّا عشائر متنافرة ومذاهب متـباغضة وطرق متعاكسة وفيئات متدابرة كما بدا يظهر من حالهم بعـد ان تقاسمتهم الامم الاوربية نظرا لاختـلاف مناحي التربية وطرائق التعليم ووسائل التهذيب وجدير بالمصلحين المسلمين ان يلفتوا ابصارهم الى هذا الخطر الذي ينذرنا بالويلات والهناة

نعم ان هذه المطالب ليست بالهينة او انها سهلة المنال يكفي فيهـا عرضهـا على الراي العام في فصل او فصلين تدبجها يراعة كاتب من الكتاب وانما يلزم ان تتناولها قرائح الاخصائيين في كل فن وعلم حتى تنضج بها الافكار ويقتنع بها الـكافة ليكون آخر القول بداية العمـل خصوصا وانه يوجد كثيرون في الامة يسمونهم بالخواص لو عرضت عليهم هـذه الاراء فانهم لا يلبثون حتى تعروهم الدهشة ويحلق عليهم اليأس والقنوط لان اول ما يخامرهم من امر تلك المطالب وكاني اناجي منهم الارواح ان تنفيذها يتوقف على قوة قاهرة تحمل المسلمين على قبولهـا سواء كانوا يريدون

او لا يريدون حتى يتم تحضير الجيل الجديد ثم انهم اذا القتوا ابصارهم يرتسمون مواقع تلك القوة فلا يكاد يجدون لها اثرا في بلاد المسلمين ولو المستقلة والله ولي الاعانة والتوفيق

راي جديد في التقليد

عدد ٤٤ في ٢٧ رجب سنة ١٣٢٦

وقفنا في جريدة الطان الفرنسوية على فصل لكاتب تونسي متستر اعتاد نشر اراءه احيانا فيها وقد جاء فيه ما معناه :

« ان المسلمين التونسيين ينقسمون الى فريقين فريق متشبع للكنيسة الاسلامية (متعصب) ومنه الصحافة العربية وهو بورة التقهقر والجمود وفريق الاحرار وهم القائمون بحرية الاصلاح العقلي والمؤسسون للجمعيات النافعة والمشاريع المفيدة الخ ......

***

قلنا ولا زلنا نقول ان من اعظم الادواء البشرية الاجتماعية داء التقليد لان من شانه توطين النفس على الخنوع وحملها على متابعة اهواء وميول مقلديهم ومسائرة اعمالهم بدون ان تكون لهم الخبرة في ادنى امر من امورهم

والمقلد في عرف الحكمة هو الافن الضعيف الفاقد لميزات النفس الناطقة الذي لا يستطيع ان يكيف نفسه او يعتمد عليها بحال من الاحوال ولذلك جاء الاسلام ناعيا على التقليد ناحيا على الجمود حاثا على التدبر والاجتهاد داعيا الى النظر في دقائق الكائنات مخلصا للعقل من اسر الاوهام قاطعا لاواصر الاستبداد ولكن لما سلك المسلمون سنن من قبلهم واضلوا الصراط السوي واستوحشوا روح الاسلام وقعدوا في حمى التقليد اصيبوا بما لم يصب به احد من العالمين . اصيبوا في اخلاقهم ففقدوا الهمة والنشاط والشجاعة وبقية الفضائل النفسية اصيبوا في حلومهم فاهملوا

كل ما كان لديهم من آداب وعلوم وفنون اصيبوا في عزائمهم فاخلدوا الى السكون واضاعوا كلما امتازوا به من حرية واستقلال وشوكة فوقفت حركة ترقيهم وضعفت عوامل النهضة فيهم ولكن وقوف تلك وضعف هذه جعل للمستبدين في السياسة والدين سلطانا قويا على اوهام الامة فاقتادوها من اضعف ملامسها ورجعوا بها القهقري حتى عميت عنها المسالك فعمد الى التقليد ولكن تقليد ظالميها ومضليها

استمرت الامة الاسلامية قرونا طوالا رازحة تحت حجر حكامها وعلمائها وذوي المظاهر الدينية فيها وهم لم يبلغوا مبلغهم من ذلك باسم الدين او بتأثير خاص به او ملازم له وانما كان بمخالفتهم للدين ونكوبهم عن سننه ومخالفتهم لاحكامه ومنابذتهم لتعاليمه غير ان اولئك المغالين في الاستبداد بشؤون المسلمين كيفما اختلفت نحلهم واعمالهم وتباينت اقوالهم واحوالهم لم يستطيعوا في عصر من اعصار تحكمهم على المسلمين ان يبرروا اعمالهم او يجعلوا لها صفة دينية مقدسة كما صنع الاكليروس الكاثوليكي مع المسيحيين بل تراهم على العكس يعترفون بان ما افسد الدين والدنيا الّا الملوك واحبار سوء ورهبانها وما ذلك الّا لمتانة الاسلام وملائمته للفطرة ونفوذه في القلوب وضعف المسيحية وتناقض مباديها

المسيحية قابضة على خناق السلطتين الروحية والزمانية تكيفهما كما تشاء لها ان تحلل وتحرم وتبيح وتحضر وتهب وتمنع وتشقي وتسعد الى غير ذلك من مظاهر السلطان المطلق في تينك القوتين العظيمتين

ولكن الاسلامية جاءت بعكس ذلك فهي ذات كتاب سماوي ملائم لنظام وطبائع الكائنات وهو المرجع الاعلى للمسلمين في الاخذ بالعقائد وتلقي الاحكام وهو لم يترك لاحد سلطانا في ان يحلل او يحرم او يقرر او ينفي او يشفع او يغفر وما العلماء في الحقيقة الّا مبلغون والخلفاء والقضاة الّا منفذون ووازعون وحينئذ فقياس طبيعة الدينين على بعضهما هو قياس مع وجود الفارق والتنظير بين حال اهل الملتين في النتائج مع تباين المقدمات هو تنظير غير صحيح يدل على الجهل باصول وتاريخ الدينين وماضي وحاضر الامتين

تعرضنا في هذا المقال لبيان الفرق بين طبيعتي الدينين وبعد ما بينهما من النتائج

لنمهد بذلك ردنا على صاحب نشرة الطان واضرابه الذين مني بهم المسلمون في هذا العهد الاخير وعلى الخصوص مسلمو هذه البلاد لانهم ادعيا في العلم وطلاب شهرة وهم يحاولون ان يمجدوا انفسهم في اعين الاروباويين بالمروق من الدين كي يقال عنهم انهم احرارا يحتقرون الدين ويستصغرون شان القابضين عليه وفاتهم انهم مقلدون ينتحلون اراء الفلاسفة الاروبيين التي كتبوا بها عن المسيحية والمسيحيين فيكتبون بها عن الاسلام والمسلمين ولا يبالون ان كانوا يصيبون الشاكلة في ذلك او يخطئون ما دام الاروبيون الذين يكتبون لهم هم على جهل فاضح بحقائق الاسلام والمسلمين ومحرر نشرة الطان لا يستطيع ان يبرر نفسه من غمزة هذا الغرض الممقوت لانه اراد ان يفهم الاروبيين بمقاومته للدين واستنقاصه للمتدينين وإلّا لما كان هناك من باعث لتكدير خواطر المسلمين في اعز شيء لديهم وهو دينهم ولكن فات هذا الكاتب (في زعمه) ان تلك التقاليد التي ينعي بها على المسلمين المحافظين لا يكفي في انتقادها مجرد التقليد للاروباويين في انحائهم على المتدينين منهم نظرا للفوارق الجسيمة الموجودة بين الدينين والامتين التي اشرنا اليها في اول هذا المقال ولكن ما الحيلة والمنتقد اشد ممن ينتقدهم تقليدا وجمودا على ما يرى ويسمع لا على ما يدرك ويعقل ولم يصدق دوكارنبار في كلمة على المسلمين في عمره إلّا كلمة قالها عن هذا الكاتب بمناسبة هذه المقالة حيث فند زعمه في انتمائه الى الاحرار لان من لوازم الحرية سعة العقل وغزارة العلم ومطابقة الاقوال للافعال وان هذا ممن يجازف في كل شيء ويلقي الكلام على عواهنه ويظهر للناس في كل ساعة بثوب جديد فيكون متعصبا متى شاء وحرا متى وجد الباعث وجمهوريا ان توقع مغرما وملوكيا اذا ادرك مغنما . . . .

والخلاصة فان للكاتب وجهان وجه يظهر به للمسلمين انه من المتدينين المحافظين ووجه يظهر به للاروبيين انه من الاحرار المفكرين

وهو يريد بذلك ان يجمع بين النقيضين ويحتوي على قلوب الامتين ولكن بطريقة الختل والجمود والاستغفال وبئسة الطريقة طريقة الماذقين

وفي الختام نرى في هذا المقام من الواجب علينا ان نسدي نصيحتنا لهذا الكاتب

(ولو ثقلت عليه) ان يعدل في كتاباته عن غمز المسلمين ولمز الاسلام بالمطاعن التي يعرف فسادها حتى بسطاء المستشرقين فضلا على المحققين من المسلمين لئلا يقبر تلك الشهرة التي حصل عليها من وراء التحريض على الكسب .... واجدر به ان شاء ان ينتقد المسلمين انتقادا نافعا ان يكتب في مواضيع كسل المسلمين وضعفهم الادبي وعدم اشتغالهم بالمهن الحرة وتوانيهم في تحصيل العلوم ونحن نعاهده عهدا صادقا اننا نشد ازره في ذلك ونعقد معه اواصر الاخاء ونكون معه يدا واحدة على تحريض المسلمين

واما المواضيع العالية التي لا شان له فيها فليتركها لاهلها فان ذلك اولى به واحفظ للشهرة التي اكتسبها قبل ان تلتوي القلوب عليه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

حياة اللغة العربية (١)

عدد ١ من الجزء الثاني في ١٤ جمادى الثانية ١٣٢٧

لقد نشأ لهذه اللغة الشريفة في مقتبل شبابها ونهضتها الاولى اخصام يدعون بالشعوبية انكروا فضلها وساءتهم سيادتها يسوقهم لمرتعهم الوخيم سائق الحسد لها على

(١) خطب مستشرق فرنسي يدعى مسيو نويل بنادي قدماء الصادقية لذلك العهد بدعوة من مجلس ادارتها المتكون من افراد يعرفون بالنابتة الجديدة .....
فكان خطابه خطبا في البلاد . اذ نعى فيه اللغة العربية وحرج صدرها عن ايواء مدنية العصر وعلومه ومستحدثاته ومستجداته . نادبا الى الاعراض عنها وموجبا صرف الهمم عن الاشتغال بها الى تعليم اللغة الفرنسية لغة المدنية والعلم والابداع .
قد زاد التكدير اتساعا والاستياء شمولا تاييد بعض النشء الجديد للخطيب باقرارهم له على غباوته اذ كانوا هم معه في صعيد الجهل بها على السواء وان انفردوا بالجرم الجسيم .
لذا ما كاد ذلك الصدى السيء ان يسكن حتى قوبل بعاصفة قلمية ارجعت للراي العام رشده واودت بالاراء (النويلية) الى الرداي والزوال . وعلم وان في ابناء اللغة التي ينعيها رماح مرهفة في حدها قطع اعناق المغرضين الجاهلين .

سعة صدرها وقبولها لعلوم الامم الاخرى مع الاستغناء عن اسمائهم وانقلابها من لغة جافية ينطق بها الاعراب في الفيافي والقفار الى لغة علمية تتنزل بها الوحي وقد ملات ما بين الاسفار . فعاب اولئك على اهلها وعليها ما شاء لهم التعصب الذميم واختلقوا عليها من المطاعن ما يضيق به صدر الكريم ولئن وجدت في ذلك العصر كراما من ابنائها نهضوا بها نهضة رفعتها فوق الافلاك فانها لم تعدم يومئذ منهم ابطالا ارهفوا الحد لهاته الفئة الباغية وشرعوا لهم اسنة الاقلام مصقولة بجلاء (البيان والتبيان) وما لبثت تلك الفرقة ان تلاشت . واصبحت اللغة العربية بعد اهلها ظاهرة على من ناواها مرفرفة بين المحيطين قد ضمت بين اجنحتها حكمة الهند وصنائع الفرس وعلوم الكلدان وفلسفة اليونان وكل سفر غريب قديم . وقد صبغت الكل بصبغتها وحولتهم الى جنسيتها على وجه لو رأته طسم وجديس لما شكوا في كون تلك العلوم ابتكرها ابناءهم ولفتنهم وشي ما ارتدت به بعدهم من ذلك الثوب الجميل

كذلك بقيت العربية في مكان من الشرف لا تنازع فيه وضمن لها الاسلام حياتها ما بقي القرءان العظيم محفوظا من رب العالمين . ولقد اخذ لطفها بمجامع البعداء عنها فكانوا بعد ان دالت اليهم الدولة وءال امر بنيها لا يحدثون انفسهم بابتزاز مركزها بل ربما نسوا بها لغتهم اذ كانوا علماء بآدابها ولطفها الذي يكاد يختلب العقول . فلم تجد اللغة فرقا بين عهدها في بني اميه وعهدي بني بويه والايوبيين وسوقها نافقة بين ملوك زناتة من الموحدين كحالها في عصر الخلفاء العباسيين وذلك كان شان من عرف جمالها في اللسان وفضيلتها في البيان وما ابدع فيها ابناءها من التفنن في الاساليب ونفوذهم الى التاثير على الافئدة من اقرب طريق وانقياد المعاني جمعاء لبلاغتهم العديمة المثال . ذلك ومثله كان يحمل الاغراب عنها الى ارتشاف رحيقها وتغذية ابنائهم بلبانها ورضائها لهم بدلا من لغة الاجداد وكانوا يكرهون النقص فيها ويعدونه ثلمة في كمال المرء وقد قال يحي البرمكي لابنه جعفر وهو يهذبه يا بني خذ بكل طرف من الاداب فاني اكره ان تكون عدوا لشيء من الاداب . فيشير لما عرف من ان المرء عدو ما جهل . هكذا كان انعطاف الاعاجم اليها في عصر تغلبوا فيه على الدولة وقلبوها الى شكل فارسي فلو اتبع

الجيل قبل هاته الوصية الحكمية في ابنائهم وعملوا بها فيهم لما نشأ بيننا طائفة من هؤلاء الاحداث الذين لا يكادون يفقهون قولا والذين اعجبوا بما لديهم من بضاعة في العلوم مجزاة وحملتهم العداوة الناشئة عن الجهل على مثل ما حمل عليه الحسد طوائف الشعوبية في القرون الاولى ثم هم اليوم يتداعون للقضاء عليها بالموت ويؤيدهم الاجانب العجم وكذلك يستقبح الاعشى ضوء الشمس ويؤيده المكفوف الاعمى (وما يستوي الاعمى والبصير ولا الذين يعلمون والذين لا يعلمون)

زعموا اولا ان العربية يضيق صدرها بالمستجدات ولا تكاد تبين المحدثات ولو علموا ان كثيرا من العلوم لم يتخيلها العرب الاولون قد دخلت في لغتهم من ابواب واسعة لا تجد فيها دخيلا لا نعقد منهم لسان الحياء ان كانوا يخجلون . واني لهم بذلك وقد صرحوا بموت اللغة العربية واخذ نظراءهم من الاجانب يستمدون بفكرهم ويستدلون برائهم السقيم .... فقد نطق في هذه الظروف الاخيرة ناعق اعجمي (يدعى نوبل) ينعي هاته اللغة الشريفة بين ظهراني قوم وفي نادي طائفة كل ما يقال عنهم انهم بقايا الناطقين بها وخلف لهم وان كانوا لها عاقين

يقول هذا الاعجمي الذي لا يحسن من العربية سوى اسمها على لكنة فيه وتحريف ان هاته اللغة عتيقة ينبغي ان تهجر في نوادي العلوم وتغيب عن لحد الاثار . ونحن لولا العلم بان ما القاه كان مزودا به قد لقنه من طرف من نخجل من صنيعهم ومن الاشارة لاسمائهم اذا كانوا يقتلون امهم بلسانها وهم كيفما تردوا هم ابناءها ولن يجدوا من دونها بدلا . ولولا اليقين بذلك لكان الرد يشبه فكره في الانحطاط وان استفز الغضب واحدا فنهاية الحجر الذي يلقمه اياه ان يقول له انك تتكلم عن شيء تجهله . ولن يقبل حديث من جاهل . ولكنا نوجه الخطاب على قوله عسى ان يرتدع به الذين يؤيدون فكره من قومنا جهرة او من وراء حجاب ....؟

ان هاته اللغة كانت لدى فرقها الثلاثة (البادية والعاربة والمستعربة) مجموعة مفرداتها موضوعة بازاء مدلولاتها يلتزم في تراكيبها اساليب خاصة مجمع عليها من القوم كتقديم المضاف وخلوه من التنوين وغير ذلك من القوانين العامة التي لا تجد

فيها خلافا نحويا ودون ذلك كانت لهم اساليب اخرى يختص بها قوم دون آخرين ولهم في النطق بها اسلوب خاص اجمعوا عليه ودعاه النحاة بعدهم بالاعراب . . فمن كان ينطق بتلك المفردات على الاساليب المجمع عليها ملتزما ما التزموه في الاعراب فلا اعلم احدا في الكون يخرجه عن العربية ويسمي لغته بغير ذلك الاسم ولم يكن اول عربي لينطق بكل ما حواه لسان العرب ولم يكن ليرى كل المسميات حتى يضع لها اسماءها ولكن من جاء بعده التزموا خطته وتقفوا الى تسمية المستجدات على قانونه من باب الاشتقاق والاستعارة والاصطلاح وغير ذلك . وما كان لاحد ان يجعل الداخل فيها من تلك الابواب خارجا عنها وهي قد وسعت مادتها الى امثال امثالها ولم تستنكف العرب الاولى عن ادخال مفردات من لغات من جاورهم من الامم فيما ينطقون به وربما لم تجد لها في لغتهم مرادفا ولكنهم اخضعوها وحرفوا ما لم يوافق مخارج حروفهم منها الى ما يوافقه ولم يقدح وجودها في كون اللغة عربية . ثم هم فيما تطاول عليهم من القرون ربما هجروا بعض المفردات واستبدلوا بها غيرها لهجنة او استثقال فكان المهجور لدى الاخرين غريبا . لعدم الفهم لسماعه وما كان جهلهم بالغريب قدحا في عربيتهم ولا الاتيان به قدحا فيها ولكن ربما كان قدحا في البلاغة وهي كما لا يخفى وصف كمال

وقد شاهد العرب الصميم من ينطق بلغتهم على غير وجهها فكانوا يعيبون اللحن ولا يسمونه لغة خاصة وانما كانوا يطلقون على العجز عن النطق ببعض الحروف عجمة ويقولون فصح الاعجمي اذا قدر على النطق بالحروف العربية واتبع اساليبهم في التركيب فكان الركن الرئيسي للغتهم وضع المفردات بازاء مدلولاتها كما هي لديهم والنطق بها من مخارجهم وتركيبها على اسلوبهم ويعدون اللحن ثلمة ووصفا معيبا. وذلك ما حمل النحاة على تدوين قوانين الاعراب معتمدين فيها على من كانت السلامة من ذلك العيب سجية فيه تحفظا على القرآن والسنة كي تنقل على وجهها آمنة من تطرق ذلك العيب لنظمها . وما كان ليخطر على بال احد من العرب في القرن الاول وتاليه ان تنعى اللغة العربية لتفشي اللحن بين الناس والحالة يومئذ على ما هي عليه الان وما كان لاحد ان يقول ان الوليد ابن عبد الملك يتكلم بغير العربية وهو

من اشهر اللحانين . اذا علمت كل هاته القضايا ايقنت ان اللغة العربية لا تزال الى اليوم لهجة الامم الكثيرة المترامية على ضفاف ما بين المحيط الغربي والمحيط الهندي يدلك لهذا عدم احتياج المغربي لتعلم لغة الحجازي حينما يقابله كما يحتاج لذلك مع التركي او نحوه ولئن اختلفوا في بعض الاسماء فقد كان ذلك موجودا بين عرب العراق وحضرموت ولهجة المصري غير لهجة اليماني والكل عرب لا يختلفون . غير ان هاته الامم قد عم فيها عيب اللحن فشوه وجهها ولن يستطيع احد ان يقول ان اللغة العربية ميتة بين هؤلاء الاقوام ما دامت منزلة القرآن بينهم غير منزلة القداسات اللاتينية بين الافرنج ولدى هاته الامم مظهر غير هذا تتجلى فيه لغتهم عربية جميلة الرواء لا تختلف عن بعضها ولا عن ما كان ينطق به العرب الاولى . وذلك هو مظهر الكتابة فان كل هاته الامم يتوافدون في الكتابة على مورد واحد وهو اطراح اساوب التخاطب العربي المشوه والتزام السالم منه كل على مقداره في البلاغة يتدرجون فيه بين طرفيها ويتحرون فيه الصواب ويرون الاخلال به عيبا وان لم يروه في الخطاب ولن يستطيع معاندان يفرق بين اللغة والكتابة والخطاب

فقد عرفت الامم التمييز بينهما وما عرفت التفريق وان ابن رومة الاديب اذا كتب لا يكتب بلغة التخاطب عند الصقليين وان اطلق على الكل اسم الطليانية وان لغة المجمع العلمي الفرنساوي التي يكتب بها لا تساوي ما يتخاطب به الرعاة في جبال الالب والبريني وتجمع الكل الجامعة اللغوية واصدق من ذلك بيانا واوضح برهانا ان من يستنطق الحروف من هاته الامم ويعرف الكتابة وان لم يعان النحو ولم يعالج الادب يقرأ الجرائد وهي عربية اللغة بلا خلاف ثم يطويها وقد وعى ما حوته من الطرائف والاخبار . فمن اظلم ممن افترى وحكم على لغة من اعظم لغات العالم اشتهارا وانتشارا بالموت كاللغة العربية . ولا دليل معه سوى جهله بها والجهل يجعله موضوع الحكم . وعلى فرض صحة دعواه افيجمل بنا الاستسلام له . وتلك اللغة دليل مجد غابر طالما تغنينا بذكراه ومنطق اسلافنا ورابطة ما بيننا واللسان الذي خوطبنا به من طرق الخلاق العظيم . حسبك في الشر بدعوة نتخزل لها عمن يدعونا باخوانهم ويستعجم بها علينا كتاب الله ونتنازل بها الى غير اصل نرجع اليه

ونحرم من مجد تاريخي لم تقوى على محواه العصور . افتريدون الخير بهانه الدعوة ايها المغررون بل انتم قوم تجهلون

لتعلموا ايتها العصابة المفتونة الجاهلة . فوذمة العربية لقد اربيتم في الذنب على قابيل معلم القتل لبني الانسان فانه قتل اخاه وانتم تقتلون امكم وهو قد سن قتل الافراد وانتم تسنون قتل الشعوب . ليتكم علمتم قبل ان تكلمتم ان اللغة روح الشعوب كما ان الدين حياتهم . فكيف عمدتم الى روح شعبكم تزهقونها واستعنتم عليها بمن لا يهمه امرها ان لم يرق له مصرعها الرهيب .

حافظت اسبانيا في عصر توحشها على اثار ءابائكم ولم تقرر هدمها وقمتم في عصر تمدنكم . . . . تقتلون لغتكم فخبروا اي الفرقين احق بمقت التاريخ وكونوا الحاكمين . اليكم عن العربية ايها الاغراب فانها لا اشد مما تظنون وارقى مما تعتقدون وان لها ابناء بررة لا يزالون يعيشون في احضانها وان حرم تلك اللذة العاقون . افحسب الذين اتوا نصيبا من المدنية الغربية انهم يبصرون الخير في كل ما يرتاؤون او يصيبون في كل ما يفكرون . كلا بل نرى كثيرا منهم يسرعون الى الخطا ويهرفون بما لا يعرفون ولو انهم ردوا علم الامور الى اصلها وتبينوا قبل البت فيما يجهلون لامنت اقدامهم مزالق الغلط ولكفاهم ذلك امر الخجل حين يبدو خطأهم مشوها اقبح من لحن العوام الذي شهروه سيفا على العربية فهل لنا ان نتخذ خطأهم في الراي سيفا نشهره على المدنية كلا فانا لا نرضى بمساواة الخاطيين ولنترنم في الختام بقول شاعر الشرق حافظ ابراهيم في شعبي مصر وسورية

ام اللغات غداة الفخر امهما   وان سالت عن الاباء فالعرب

القوة العقلية وتربيتها

عدد ٢ في يوم الجمعة ٢٠ جمادى الثانية سنة ١٣٢٧

ان الله خلق الانسان واوجد فيه روحا حية ومواهب سامية يمتاز بها عن سائر المخلوقات وهذه المميزات هي الادراك والاحساس والارادة

فهذه القوى الثلاث قد اتحدت بالجسم الادمي خلقا وجعلته بان يكون كاملا لاقتباس العلوم والمعارف . ولكل واحدة من هذه القوى تربية خاصة واصطلاحا في العمل . لانها ليست باجزاء من النفس بل قوات نفس واحدة . وهي تشترك في كل الاعمال العقلية وذلك مما يدل على اهميتها وانها بالنظر الى تلك الاهمية يجب تدريبها وتهذيبها في الطرق المستقيمة لئلا تتيه وتصبح في مهامه الضلال ضالة تائهة . وما هي إلّا القيادة في السبيل القويم الى الغاية القصوى في شان التربية

فالتربية اذن ليست سوى قيادة القوى العقلية الى غايتها بالارادة الحرة . فاهميتها ظاهرة ولا يجب ان نتعجب اذا رأينا الوفا من البشر يكرسون حياتهم ويؤلفون المجلدات المختصة بالتربية لانهم يفعلون ذلك لغاية حسنة نبيلة ألا وهي توسيع نطاق القوى النفسانية وتدريبها على حب الخير والصلاح بالتربية

تربية الاحساس

الاحساس هو احدى القوى النسفانية القائمة بالشعور والانفعالات والاميال وهذه الاميال لها النهاية الطبيعية عليها ولان تسير في طلب تلك الغاية . ولكن من جراء ضعف الطبيعة البشرية التي تحول غالبا هذه الاميال عن مجراها الاصلي وتحيدها عن غايتها القصوى فتصبح سافلة وعوض ان تطاب الغاية مع اللذة المتعلقة بها تهرول وراء اللذة وحدها نابذة الغاية ظهريا كانه يمكنها ان تدرك تلك اللذة بدون الغاية وهكذا تحاد هذه الاميال عن مجراها الاصلي وتصبو للشهوة بالبواعث الطبيعية . كالميل الى الطعام مثلا . فغايته الصحة وحفظ الجسد لا الغاية منه شعور بارتياح ولذة وسرور . وهذا يكون حقيقيا لانه جرى المجرى الطبيعي او قارب اللذة بالغاية .

تربية الادراك

الادراك هو قوة فينا تجعلنا ان نعرف . وهذه المعرفة يمكننا ان نتوصل اليها بثلاث وسائط وهي الضمير والحس والعقل . وبعد الاتصال الى هذه المعرفة يجب الاشتغال بها بالتجريد والتعميم والحكم المنطقي والانتباه . ولا يكفي للانسان ان يصل الى هذه المعرفة فقط بل يجب ان يحفظها ويجعلها راسخة في ذهنه وهذا الرسوخ هو فعل الادراك الذي عرف به الانسان . فينتج اذا مما تقدم ان وسائط المعرفة كثيرة وان

الاعمال العقلية المتعلقة بها متنوعة فاذا كانت القوى التي يقال لها الاحساس محتاجة الى مدرب ومرب حكيم فالقوى المدركة تحتاج ايضا الى ذلك المربي ثم الى مدرب يتعهدها في الصراط المستقيم لئلا تعثر في سبيلها بصخور الضلال ولينشلها من طريق صعبة المراس محدقة بالاخطار العديدة التي لم تدركها القوى البشرية ولا عرفتها وان تعرفها والتي يقال لها الحقيقة . أي التي هي الخير والجمال والغاية القصوى فكم من عقل سامي حاد عن محجة الصواب اذ انه تغافل عن تربية قوته المدركة باهماله احدى الاعمال العقلية المتعلقة بها فسار به اهماله الى عاقبة وخيمة فندم عند ما لا ينفع الندم . كالفلاسفة الماديين الذين عرفوا المعرفة بالعقل والضمير وتعلقوا بالحس فقط فانهم انكروا النفس والوجود المطلق قبحهم الله تعالى)

لذلك كانت التربية اكبر مساعد وانفع فائدة . وان تربية الارادتين ايضا هي القوى النفسانية التي مع العقل تميز البشر عن الحيوانات وترفع شانهم والتي بدونها لا ينفع الانسان عقله . فالحيوان مثلا لا ارادة له لانه ليس بعاقل ولو ان الانسان كان عاقلا فقط وخاليا من الارادة لما كان وجد . لان وجوده وعدمه سيان والحكمة تخالفه فلنفرض مثلا انسانا عاقلا وجد اخاه في عمق الفقر المدقع وانقذه فهذا الانسان يستحق المدح والاطراء لانه انقذ رجلا بارادته الحرة ولهذا نفرض القصاصات على مخالفي القانون ونعطي الجوائز للسائرين بموجبه . فهذا يكون بارادتهم ولكن ان كان خاضعا لحكم القضاء الاعمى كما كان يعتقد الارشيتون القدماء فاين يكون استحقاقه للاطراء والمدح . اذا انقذ اخاه بداع القدر . . . أليس بارادته الحرة التامة انتشله من تلك الهوة المظلمة ومن عالم الفقر . لانه لم يكن خاضعا لحكم القضاء المطلق وإلّا قتل اخيه كان يجب ان يكون اراد او لم يرد . فالارادة اذا هي قوة طبيعية تجعلنا ان لانفعل شيئا الا بعد التفكر واعمال الروية . واما طرق تربية الارادة فهي متنوعة ترجع الى ثلاث الحرية المطلقة وحصر الارادة واعطاء الحرية اللازمة للارادة . فالطريقة الاولى لها منفعة واحدة ومضارجمة . فهذه المنفعة قائمة في تمرين الحرية الادبية التي تنتج غالبا رجالا ذوى ارادة ملية وثبات عجيب في مباديهم ولكن المضار كثيرة منها فان الحرية التامة تعود الولد على الاستقلال فلا

يسمع نصائح اهله فيتبع في كل شيء هواه فتتغلب امياله السافلة على امياله الشريفة وتستبعدها وهكذا انجز ارادته اذ انه يصبح عبدا لشهواته التي تفسد عقله وتحطه من درجة الى ادنى الدرجات والطريقة الثانية هي سلب الحرية ولهذه الطريقة منافع ومضار فمنفعتها اكثر ومضارها قليلة ولهذا يستلزم لها قائدا خبيرا لاجل ان يدل الانسان على الطريق الحسنة وتوصله الى غايته وتقوده الاعتماد على نفسه

وانما رجل الدنيا وواحدها ✽ من لا يعول في الدنيا على رجل

واما الثالثة فهي اكثر انتشارا وفائدتها اعم مما تقدم وهي المعول عليها في تربية الشبان الاحداث واجبارهم على الطاعة ليكون نافعا في مستقبل حياته لنفسه ولوطنه ولاخرته (ف)

عبر الايام

او خلع السلطان عبد الحميد

عدد ٢

لا رعى الله عهدها من جدود ✽ كيف امسيت يا ابن عبد المجيد
مشبع الحوت من لحوم البرايا ✽ ومجيع الجنود تحت البنود
كنت ابكي بالامس منك فما لي ✽ بت ابكي عليك عبد الحميد
فرح المسلمون قبل النصارى ✽ فيك فرح الدروز قبل اليهود
شمتوا كلهم وليس من الهمـ ✽ ـة ان يشمت الورى في طريد
انت عبد الحميد والتاج معقو ✽ د وعبد الحميد رهن القيود
خالد انت رغم انف الليالي ✽ في كبار الرجال اهل الخلود
لك في الدهر والكمال محال ✽ صفحات ما بين بيض وسود
حاولوا طمس ما صنعت وودوا ✽ لو يطيقون طمس خط الحديدي
ذاك عبد الحميد ذخرك عند الـ ✽ له باق ان ضاق عند العبيد

اكرموه وراقبوا الله في الشيخ * ولا ترهقوه بالتهديد
لا تخافوا اذاه فالشيخ هاو * ليس فيه بقية للصعود
ولي الامر ثلث قرن ينادي * باسمه كل مسلم في الوجود
كلما قامت الصلاة دعا الداعي * لعبد الحميد بالتاييد
فاسم هذا الاسير قد كان مقرونـا بذكر الرسول والتوحيد
بت اخشى عليكم ان يقولوا * ان اثرتم من كامنات الحقود
كان عبد الحميد بالامس فردا * فغدا اليوم الف عبد الحميد
يا اسيرا في (سنت هيلان) رحب * باسير في (سالونيك) جديد
قل له كيف زال ملكك لم يعـ * ـصمك اعداد عدة او عديد
لم تضنك الجنود تفديك بالار * واح والمال يا غرام الجنود
قل له كيف كنت كيف ملكت الا * رض كيف انفردت بالتمجيد
فثلت العروش عرشا فعرشا * وصعدت الصعيد بعد الصعيد
كلما نلت غاية لم تنلها * همة الدهر قلت هل من مزيد
ضاقت الارض عن مداك فارسلـ * ـت بطرف الى السماء عنيد
قل له جل مالك الملك لا ملـ * ـك لغير المهيمن المعبود
انت مهما شقيت ارفه حالا * من اسير الجزيرة المكمود
واسير الاقفاص قد كان اشقى * منه في الاسر والبلاء الشديد
كان لا يعرف القرار بليل * لا ولا يستلذ طعم الهجود
حذر يرهب الظلام ويخشى * خطرة الريح او بكاء الوليد
نفق تحت طابق الارض اخفى * في تدجيه من ضمير الكنود
يعجز الوهم عن تلمس ذلك الـ * ـباب باب الخليفة المرصود
اصحيح ما قيل عنك وحق * ما سمعنا عن الرواة الشهود
ان عبد الحميد قد هدم الشر * ع وازرى على فعال الوليد
ان بريئا وان اثيما ستجزى * يوم تجزى امام رب شهيد
اصحيح بكيت لما اتى الوفـ * ـد ونابتك رعشة الرعديد

ونسيت الاباء والمجد والسو ❊ دد والعز يا كريم الجدود
ما عهدنا الملوك تبكي ولكن ❊ علها نزوة الفؤاد الجليد
علها دمعة الوداع لذلك الـ ❊ ملك او ذكرة لتلك العهود
غسل الدمع عنك حوبة ماضيـ ❊ ـك ووفاك شر يوم الوعيد
شفع الدمع فيك عند البرايا ❊ ليسَ ذاك الشفيع بالمردود
دمعك اليوم مثل امرك بالامـ ❊ ـس مطاع في سيد ومسود
كان عبد العزيز اجمل امر ❊ منك في يوم خلعه المشهود
خاف مأثور قوله فتعالى ❊ عن صغار ومات موت الاسود
ضم مقراضه اليه ونادى ❊ دون ذل الحياة قطع الوريد
حي عهد الرشاد يا شرق وابلغ ❊ ما تمنيت من زمان بعيد
قد تولى محمد الخامس الملك ❊ فاعظم بتاجه المعقود
وتجلى في مهرجان تحلى ❊ سيف عثمان فيه بالتقليد
وقف الدهر خاشعا اذ راى السيـ ❊ ـفين في قبضة العزيز المجيد
طاطئي للجلال يا امم الار ❊ ض سجودا هذا مقام السجود
علم الله ان عهد رشاد ❊ خير فال بيرد عهد الرشيد

(حافظ ابراهيم)

نبذة تاريخية

او

معلومات سواح في الجنوب الافريقي

عدد ٧ في ٢٧ رجب سنة ١٣٢٧

قال ان احد اصدقائي الافاضل بهذا القطر السعيد قطر تونس المحروس طلب مني ان اكتب شيء مما وقفت عليه بسياحتي وتجولي نحو الستة اعوام في اشهر

المستعمرات الافريقية الجنوبية وعلى الخصوص فيما يتعلق بشان الدين الاسلامي وانتشاره والمسلمين واحوالهم في تلك الجهات الشاسعة وبراس الرجاء الصالح العظيم

وحيث ان سادانا اهالي تونس المحروسة بل وكل مسلمي الشمال الافريقي يسرهم ان يقفوا على احوال اخوانهم مسلمي تلك الجهات بادرت لاجابة هذا الطلب . وبتاكيدي ان جريدة (مرشد الامة) الغراء الذي لها من اسمها اسمى نصيب من هي في مقدمة الجرائد اعتبارا وانتشارا . وان حضرة مديرها النابغة الشيخ الفاضل ذو همة عالية واقدام سامي على القيام بخدمة وطنه العزيز باحساس جليل . قد عولت على نشر ما لدي من المعلومات على صفحات جريدته المعتبرة وقبل ان اشرح حال مسلمي تلك الجهة نبتدي بشرح حال هاتيك البلاد على وجه الاختصار فاقول

راس الرجاء الصالح وما هو :

هو اشهر من ان يعرف وهو جبل عظيم الارتفاع مشرف على البلدة التي اشتهرت باسم ذلك الجبل الواقعة على نحو الخمسة وثلاثين درجة على البعد من خط الاستواء الى جهة الجنوب وعلى حد اخر قطعة من القارة الافريقية الواقع مرساها على الاقيانوس الجنوبي وفي سفح ذلك الجبل المذكور البالغ ارتفاعه نحو الالف ميترو عن سطح ماء البحر

واول من طرق تلك البحار وسلكها من البشر سواح العرب وهم الذين سموه بهذا الاسم العربي اعني راس الرجاء الصالح وفي ذلك اشعارا بالاستبشار لرؤيته والاستدلال به على الخلاص من اخطار البحر المحيط الاطلانتيكي الغربي الى القرب من الدخول في المحيط الهندي الشرقي لمن اراد المرور من ذلك الموضع والعكس بالعكس . وكان ذلك الاكتشاف المذكور في اواخر القرن التاسع من الهجرة ثم ان الافرنج منذ احتلوا ذلك الموضع وتلك البلاد سموها مدينة الكاب (او كيبتون) كما هي عليه الان وهي الان مدينة عظيمة يبلغ طولها الستة اميال في عرض يختلف من نصف ميل الى ميل كامل باختلاف بعض مواضعها متصلة العمران عامرة بالسكان عالية المباني منظمة الشوارع والطرقات على الطراز الاوروباوي الحديث في غاية من النظافة والنضارة جيدة الهواء عذبة الماء خصيبة المرعى صيفها ابرد من تونس وارطب

وشتاؤها لا يخلو في البرودة ان يكون منها اقرب ، منتظمة المحاكم مرتبة الاحكام بكمال الضبط والربط وتمام المساواة في الاحكام تجاه المحاكم في الحقوق بدون ادنى تمييزا ومراعاة لنوع او جنس دون آخر ، حكومتها اقليزية لكنها ممتازة تحت نظر وتصرف قونيير اقليزي ولها مجالس نيابية مجلس عمومي ومجلس عالي تحت رئاسة القونيير المذكور واعضاء تلك المجالس ينتخبون باغلبية الاصوات لكل خمسة اعوام يجدد انتخابهم وهم ينقسمون في المجالس الى حزبين متباينين في المصالح والاغراض حزب منهم الوطنيون من الترسواليين رعايا الانقليز والحزب الاخر الوطنيون الانقليز ومن تجنس بجنسيتهم وكل حزب مع جنسه يدا واحدة على الاخر ولذلك يتزاحمون لدى الانتخاب على نيل اغلبية زيادة العدد لحفظ النفوذ في المجلس ، اما تجارة تلك البلاد ومواردها الاقتصادية ومركزها السياسي فقد كانت منذ سبعة اعوام هي المرسى الوحيد التجاري والاداري لتلك المستعمرة وما جاورها من بقية المستعمرات ثم تضعضع مركزها التجاري حتى كادت ان تشرف على خطر الافلاس وبقيت على ذلك واما مركزها الاداري فقد تقدم عما كان عليه بحيث انها اضحت هي المرجع لاهم قضايا الخمسة المستعمرات بتلك الجهات

عدد سكان مدينة الكاب مع ما اتصل بها مما لا يعد منفصل عنها يبلغون نحو الخمسمائة الف نفس من السكان وهم ينقسمون الى ثلاثة اقسام اجمالية وطنيين ومستوطنين ومجاورين فالوطنيون منهم ينقسمون الى قسمين متباينين متباغضين قسم منهم وهم الاكثر مالا ونفوذا واقل نفرا وعددا وهم البوير من نسل الهولانديين الذين كانوا في الاصل قد احتلوا تلك البلاد قبل ان يحتلها الانقليز من ايديهم فلما احتلها الانقليزيون منهم هاجر من هاجر منهم الى داخل القارة الافريقية بتلك الجهات وقد كانت قبل ذلك بلقعا فعمروها واستوطنوا بها واسسوا فيها جمهوريتين احداهما جمهورية الترسوال وعاصمتها (بورتوريا) وهي على نحو الف ومائتين كيلوميتر على البعد من بلدة الكاب او راس الرجاء الصالح المذكورة ومن اشهر مدن هذه المستعمرة مدينة (جهانس برك) ذات المناجم الذهبية التي كانت هي السبب الوحيد في تلك المذابح والحروب الطمعية والجمهورية الثانية جمهورية (الفرستان

الحرة) وعاصمتها (اورنجتسان الحرة) واراضي هذه الاخيرة زراعية محضة وهي على مسافة سبعمائة كيلوميتر تقريبا بعدا عن الكاب

هذا خبر من هاجر منهم حين احتلال الانقليز واما من بقي من بقايا الهولانديين في مدينة الكاب وضواحيها فقد انخرطوا في سلك الرعايا الانقليز واقاموا في تلك المستعمرة الانقليزية سوى انهم اشد الناس حرصا على حفظ جنسيتهم ولغتهم وذلك رغما عن ان اللسان والقلم الرسمي هو الانقليزي وقد امتاز هذا الجنس ايضا بثلاثة خصال وهي من اجل الصفات الانسانية الوفاء والشجاعة والكرم ولو انهم سلموا من ثلاثة خصال لما غلبوا قط وهي القسوة والكبر والخيلاء وبناء على هذه المبادي وضعوا مميزات بينهم وبين مواطنيهم من بقية السكان وتمسكوا بذلك المميز غاية التمسك حتى بالغوا في ذلك حد الافراط وهو تمييز من لونه ابيض من الناس عمن لونه احمر واسود من بني الانسان مهما بلغ قدره ومداركه من الحضارة في عالم المجتمع الانساني وبما ان سياسة الحكومة الانقليزية التي امتازت بها دون غيرها مبنية على مراعاة الوطنيين وصيانة حقوقهم المدنية ومصالحهم الاقتصادية بصفة مناسبة لدرجاتهم المركزية فلذلك تمسك هؤلاء بذلك المبدإ المذكور حتى كاد ان يكون ذلك الفارق اللوني امر مقدس واجب احترام كل من اتصف به ولو كان وضيع الاصل او سخيف العقل على شرط ان يكون من ابناء جنسهم او دينهم فقط وربما لا يخلو ان ينجم عن ذلك خطر عظيم في المستقبل وذلك بما ان كافة بني الانسان في سائر انحاء المعمورة اخذت تشعر وتعرف واجبات ما لها وما عليها في هذا المجتمع البشري الراقي . اما القسم الثاني من الوطنيين بتلك البلاد اعني بلدة الكاب وعمالاتها هم الوطنيون الاهليون سكان تلك الجهات الجنوبية منذ قرون عديدة قبل اكتشافها واحتلال الدول المتداولة لها وترجع اصولهم الى قبائل كانت متوحشة تسكن تلك الجبال والغابات بعضهم حمر الالوان والبعض من السودان اما الحمر فهم في الاصل من قبيلتين او جنسيتين احدهم تسمى (البوسمن) والثانية تسمى (الهاتنق) سكان الجهة الغربية من تلك الجهات واما السودان فكذلك يرجعون الى جنسيتين احدهم يسمى (البسوته) والثانية تسمى (الزولو) سكان الجبال من الجهات الشرقية الجنوبية

وقد تناسل من بين مجموع الوطنيين وبين الحمر والبيض غير الجنسية الترنسوالية وذلك التناسل اكسبهم صفاء في الالوان وصباحة في الخلقة ومن مجموع الجميع قد دخل في الدين الاسلامي عدد وافر وذلك منذ اعوام زهاء المائة عام كما سنذكر الاسباب التي دعت لدخولهم في الدين الاسلامي بعد وقد امتاز من اعتنق الدين الاسلامي الحنيف عن غيرهم لترفعهم وقيامهم عن المناكر والفجور والمفاسد وذلك لتحليهم بمدنية الدين الاسلامي القويم وتخلقهم باخلاقه الكريمة وتعاليمه القويمة حتى صاروا بذلك مرعيين الجانب وخصوصا في نظر الحكومة الانقليزية كما سنوضح ذلك بعد تمام الكلام على بقية الاقسام من السكان المشار اليهم المستوطنين والمجاورين

هذا وقد اسلفنا في الذكر من ان سكان مدينة الكاب على اقسام ثلاث وطنيين ومستوطنين ومجاورين وذكرنا بيان ارباب القسم الاول منهم وبعض ما هم عليه من الاحوال والعوائد والان نذكر بيان اهل القسم الثاني منهم وهم المستوطنون الذين اموا تلك البلاد في ازمان متفاوتة وذلك بعد اوان الاحتلال الانقليزي لذلك الموضع وكانوا من اجناس مختلفة وامم متنوعة فسكنوا تلك البلاد الاستعمارية واستوطنوا وتجنسوا بالجنسية الانقليزية وتزيوا بزيهم وقد اعتنق الدين الاسلامي الحنيف منهم عدد يذكر وتخلقوا باخلاقه الحميدة بهداية من الله تعالى رغم دعاة النصرانية ومبشريها الذين لم يفلحوا في دعوتهم ولن يفلحوا ابدا

القسم الثالث من سكان الكاب وضواحيها هم المجاورون الذين وفدوا اليها اخيرا من زمن غير بعيد وهم ايضا من اجناس عديدة وامم مختلفة من الهنود ومن الشيناويين ومن السوريين ومن اليهود وافراد من العرب اهالي اليمن وحضرموت والحجاز وغالب هؤلاء المجاورين يشتغلون هناك باسباب تجارية وقليلا منهم يشتغلون بحرف صناعية اما المسلمون من الهنود فيبلغ عددهم نحو الاثنى عشر الف نفس سكان الكاب فقط لا غيرها من المستعمرات الاخرى وهؤلاء المذكورين تراهم اشد الناس حرصا على التمسك بامور دينهم والمحافظة على جنسيتهم وعوائدهم الاسلامية وذلك رغما عن احتكاكهم بارباب الاجناس والاديان الاخرى ولهم من

الغيرة الايمانية اتم المساعدة الى كل ما من شانه يقوي الدين الاسلامي ونشره على اساس مكين في تلك الجهات ومن جملة مآثرهم الجليلة الاسعاف بالاعانات المتواصلة لبناء المساجد والمدارس حتى انه ما من مسجد او مدرسة اسلامية هناك إلّا وقد اعانوا فيها وقد اسسوا هنالك مسجدا خاصا بهم وهو ارفع مسجد وضعا وموقعا في تلك البلاد وقد قام بعمارته جملة من اماثلهم وكان ذلك باعانة وتدبير اكبر الايمة وشيخهم الامام الشيخ محمد طلاب الدين ابن الامام ابراهيم من افاضل علماء تلك البلاد ومن الوطنيين هناك وقد اوقفوا على ذلك المسجد رباعات يصرف دخلها في مصالح ذلك المسجد . ومما يحسن ذكره ايضا انه منذ خمسة اعوام انشأوا مدرسة ابتدائية هناك شانها تعليم قراءة القرآن الكريم ومبادي الدين الاسلامي تسع تلك المدرسة نحو الثلاثمائة صبي من ابناء المسلمين يقيمون بتلك المدرسة ليلا ونهارا ويعطى لهم كل ما يحتاجون اليه من طعام ولباس ومكان وكل ذلك مجانا على نفقة صندوق الخيرية التي يتبرع له عموم الهنود الكرام على الدوام بتلك البلاد

واما الوطنيون من مسلمي تلك البلاد المعروفون هناك (بالملايو) المحمديين وذلك التعريف لهم بلفظ الملايو نسبة الى الافاضل الذين قاموا بدعوة الناس هناك الى الدين الاسلامي ونشره في تلك الجهات وذلك من زمن بعيد زهاء المائة عام وكان قيامهم بتلك الدعوة رغما عن انهم اسراء قد جيء بهم الى ذلك الطرف مبعدين عن بلادهم واوطانهم لاسباب منها ان الدولة الهولاندية مذ كانت مطامعها قائمة في ابان صولتها وقوتها البحرية نحو المراسي والجزائر الاسيوية الجاوية المعروفة بممالك الملايو وكانت تلك الممالك اذ ذاك الحين تحت نفوذ سلاطينها المسلمين ورؤساء الدين الاسلامي من مشايخ وعلماء تلك الاقطار الجاوية فضائقتهم تلك الدولة حتى احتلت تلك الاراضي وافتكت حكمها من ايدي اربابها بعضها بحرب وبعضها بالحيل وكان في احد تلك الاراضي رجلان من الصالحين يخشى منهم فاحتالوا على اسرهم وابعادهم الى مستعمرة الكاب واقامتهم آبدين بتلك المدينة احدهم يسمى (توان قورد) والاخر (توان سيد) فقام المذكوران يدعون الناس الى الدين الاسلامي الحنيف وبث تعاليمه الصحيحة وبراهينه الجليلة الساطعة الانوار . حتى شاع امرهما

بتلك الاقطار وعبدا الله وحده في تلك الامصار وهدى الله تعلى باسبابهما في ذلك الاوان الى الدين الاسلامي جملة من السكان ولذلك لقب المسلمون هناك بالملايو

ثم انه لما بلغ مسامع الدولة العلية العثمانية خلد الله ملكها شيوع الدين الاسلامي في تلك الاصقاع وذلك على عهد المرحوم مولانا السلطان عبد المجيد خان فامر ببناء مسجد هناك وهو موجود الى الان وتبرع بثلاثمائة ليرة عثمانية لاكمال مسجد آخر كان قد بدا المسلمون في عمارته فختمه واتمه السلطان

وكان قد بعث برجل عالم من علماء الاستانة يسمى ابو بكر افندي وعهدت له الدولة العلية ببناء مدرسة اسلامية هناك غيران ذلك الرجل كان فظا شرس الاخلاق حاول ان يحمل اولئك المسلمين على ترك المذهب الشافعي وتقليدهم المذهب الحنفي رضي الله عنهما في حين كان الاسلام حديث عهد بتلك البلاد فلما لم تنجح مساعيه اهمل امر المدرسة ولم يجر ذلك الخير على يده واقام هناك يتقاضا مرتبا شهريا نحو الخمسة وعشرين ليرة الى ان مات غير ماسوف عليه ، ثم قام هناك رجل من الوطنيين وهو الامام محمود افندي واسس مدرسة ابتدائية فامدته الدولة العلية لتلك المدرسة مرتبا شهريا اثنى عشرليرة عثمانية وهي جارية الى الان وقد انعمت الدولة ايضا على ذلك الامام وعلى جملة من الايمة بنياشين ولم تزل احساناتها تشمل مسلمي تلك الجهات وغيرها على الدوام والاستمرار ايدها الله بالنصر والفتح المبين

اما احوال مسلمي تلك البلاد الوطنيين وعوائدهم الاسلامية وعقائدهم الدينية وموادهم الاقتصادية فهم في غاية من حسن السيرة وصفاء السريرة وقوة اليقين والقيام بامور الدين وكانت الرغبة الى طلب العلم وحفظ القرآن الكريم بالاحكام التجويدية وكان الاعتناء لذلك والانقياد الى ايمتهم ومشايخهم والميل الى تلاوة المولد النبوي الشريف والاعتناء به والاجتماع له بكيفية غريبة تدل على كمال شعورهم ومحبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وقل ان يقام عرس او يعلن فرح او يكن حزن هناك إلّا ويكون ذلك مقرونا بتلاوة المولد النبوي الشريف واقل ما ينفق على المولد هناك نحو الخمسمائة فرنك ولهم رغبة شديدة الى قصد بيت الله الحرام لاداء واجب فريضة الحج وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ويبلغ قدر من يخرج منهم لقضاء

الحج في كل عام نحو المائة وخمسين نفرا ويقدرون نفقة لكل انسان قاصدا الحج نحو الالف وخمسمائة فرنك واقل من ذلك القدر لا يكفي لهم وعادتهم يصحبون نسائهم واطفالهم معهم الى الحج ويعظمون كل من حج منهم كما انهم يكرمون اهالي الحرمين الشريفين ويتبركون بهم

اما عدد سكان تلك البلاد من المسلمين الوطنيين فيبلغ عددهم نحو عشرين الف نفسا خلاف باقي البلدان من المستعمرات الاخرى وغالبهم صناع محترفين وقليلا منهم يشتغل باسباب تجارية ولهم مهارة واتقانا في صنائعهم وحرفهم ونشاطا في اعمالهم وصدقا في معاملتهم ومسالمة لجوارهم وعطفا على مستجارهم وعلى رقي في علومهم الدينية وجامعتهم الاسلامية ومعارفهم العصرية وفق الله المسلمين شرقا وغربا لصالح الدنيا والدين آمين (احمد مفتي المكي)

التهاني الفائقة

عيد الدستور العثماني

عدد ٧

اجل هـذه اعلامه ومواكبـه — هنيئا لهم فليسحب الذيل ساحبه
هنيئا لهم فالكون في يوم عيـدهم — مشـارقه وضـاءة ومغـاربه
رعى الله شعبا اجمع العدل شمله — وتمت على عهد «الرشاد» رغائبه
تحالف في ظل الهـلال امـامه — وحاخامه بعد الخلاف وراهبه
خذوا بيد الاصلاح والامر مقبل — فاني ارى الاصلاح قد طر شاربه
وردوا على الملك الشباب الذي ذوى — فاني رايت الملك شابت ذوائبـه
فمن يطاب الدستور بالسـوء بعدما — حمتـه يد الفـاروق فالله طالبـه
اذا شوكت الفـاروق قام منـاديا — الى الحق لباه نيـازي وصاحبه
ثلاثة آسـاد يجانبهـا الـردى — وان هي لاقاها الردى لا تجانبه

يصارعها صرف المنون فتلتقي   مخالبها فيه وتنبو مخالبه
روت قول بشار فثارت واقسمت   وقامت الى عبد الحميد تحاسبه
اذا الملك الجبار صعر خده   مشينا اليه بالسيوف تعاتبه
وسار على اعقابها كل سابح   على متنه برج مشيد يداعبه
يصيح به « لا ري » او نابغ المنى   و« لا شبع » او يرجم الحق غاصبه
هنالك فانهل واتخذ ثم مربطا   بيلدز واحمد في الوغى من تصاحبه
رجال من الايمان ملا نفوسهم   وجيش من الاتراك ظمأ قواضبه
صوالجه سمر القنا وكراته   رؤوس الاعادي والحصون ملاعبه
اذا ثار دكت اجبل وتخشعت   بحار وامضى الله ما هو كاتبه
وثلت عروش واستقرت ممالك   ولو ان ذا القرنين فيها يناصبه
فمن لم يشاهد يلدزا بعد ربها   وقد زال عنه الملك واندك جانبه
واسلمه احبابه لقضائه   وفر ولم يخش المعرة كاتبه
وقلمت الاقدار اظفار بطشه   ودل على ما تجهل الجبن حاجبه
فما شهد الدنيا تزول ولا راى   بلاء قضاء الله في من يحاربه
ابيح حماها وانطوى مجد ربها   وقامت على البيت الحميدي نوادبه
ولم يغن عن عبد الحميد دهاؤه   ولا عصمت عبد الحميد تجاربه
ولم يحمه حصن ولم ترم دونه   دنانيره والامر بالامر حازبه
ولم يخفه عن اعين الحق مخدع   ولا نفق في الارض جم مساربه
اقام عليه مهلكا عند مهلك   يمر به روح الصبا فيوائبه
تحاماه حتى الوهم خوف اغتياله   فلو مسه طيف لدارت لوالبه
واسرف في حب الحياة فحاطها   بسور من الاهوال لم ينج راكبه
ففي كل قفل للمنية مكمن   وفي كل مفتاح قضاء يراقبه
وفي كل ركن صورة لو تكلمت   لما شك في عبد الحميد مخاطبه
تماثيل ايهام انيمت واقعدت   تراى بها اعطافه ومناكبه
تمثله في نومه وجلوسه   وتخدع فيه الموت حين يقاربه

اقام عليه الف موت محجب ... ايغلب موتا واحدا عز غالبه
ساوه اغنت عنه في يوم خلعه ... عجائبه او احرزته غرائبه
وقد نزل المقدار بالامر صادعا ... وضاقت على شيخ الملوك مذاهبه
واخرجه من يلدز رب يلدز ... وجرده من سيف عثمان واهبه
واصبح في منفاه والجيش دونه ... يغالب ذكرى ملكه وتغالبه
يناديه صوت الحق ذق ما اذقتهم ... فكل امرىء رهن بما هو كاسبه
هم منحوك اليوم ما انت مثته ... فرد لهم بالامس ما انت سالبه
ودع عنك ما املت ان كنت حازما ... فلم يبق للامال فضل تجاذبه
مضى عهد الاستبداد واندك صرحه ... وولت افاعيه وماتت عقاربه
الك الله يا تيموز انك باسم ... لجرحى الاسى والدهر تعدو نوائبه
فكم رعت جبارا وارهقت ظالما ... وانصفت مظلوما توالت مصائبه
فديناك من شهر اغر محجل ... اوائله ميمونة وعواقبه
تقابله الاعياد في الارض كلما ... تجلى هلال الشهر او لاح حاجبه
ففي الغرب عيد ينظم الغرب حسنه ... فتهتز من وقع السرور جوانبه
وفي الشرق عيد لم ير الشرق مثله ... تدفق في دار السلام مواكبه
يطيفون بالعرش الكريم وربه ... تطيف بهم الاؤه ومناقبه
لتهنيء امير المؤمنين محمدا ... خلافته فالعرش سعد كواكبه
ستملك امواج البحار سفينه ... كما ملكت شم الجبال كتائبه
ممالكه محروسة وثغوره ... ركائبه منصورة ومراكبه

(حافظ ابراهيم)

اللغة العربية

كيانها محاسنها فوائدها

عدد ٩ في ١٩ شعبان سنة ١٣٢٧

من المعلوم لدى كل من ينظر ولو نظرة اجمالية في تاريخ الامم ان من اعظم البواعث على التغيرات التي تحدث في الامم وفيما هو من مظاهر حياتها كادابها واخلاقها ولغتها هو استيلاء بعضها على بعض بسبب الحروب الناشئة عن تقدم الامة في مدارج الحضارة والمدنية والعلوم او ظهور قائد نجيب او غير ذلك حسبما دونه التواريخ . واليك ايها الناظر الكريم ما وقع بالامة السامية فانها لما تفرق افرادها ونزح كل فريق الى مكان اختلفت لغة كل فريق منهم بحسب المكان الذي هو فيه وامتازت واختصت بامتيازات وخصائص لا تشاركها فيها لغة اخرى وهذا بحسب اذواق تلك الافراد وما لهم من الذكاء الفطري الامر الذي يرجع الى طبيعة الارض . فان الذين اقاموا بجزيرة العرب امتازوا بلغة متنوعة تنوعا مناسبا لعاداتهم وإخلاقهم وآدابهم ومدنيتهم فامتازت باشياء خاصة بها هي خصائص اللغة العربية . وبهذا نعلم ان تكون اللغة العربية انما هو من اللغة السامية وهي اعظم اللغات المتكونة منها واوسع دائرة كما سيعلم . وهذه اللغة تقلبت في اعصر اربعة وفي كل منها تزداد نموا وتتسع دائرتها بالنسبة لما كانت عليه إلّا عصرا واحدا سيمر عليك ـ وهذا التقلب منشاؤه ارتقاء الامة ودخولها في دائرة المدنية واقبالها على العلوم والمعارف حتى انها لا تحتاج الى الفاظ تستعملها لما تخترعه بسبب العلوم او تترجمه من كتب اخرى كما سأتكلم عليه . اول هاته العصور من كينونتها الى ظهور الاسلام وهذا العصر مجهول ما وقع فيه من الحوادث بسبب زمن مر على التاريخ . وثانيها ن ظهور الاسلام الى اثناء الدولة العباسية وهو من ولاية المتوكل ونعتقد ان هذا العصر احدث تأثيرا كبيرا في اللغة العربية بسبب ما طرا عليها من الالفاظ الاصطلاحية عند ما اراد المسلمون ترجمة الكتب الفلسفية والمنطقية الى العربية

وكذلك ايضا الاصطلاحات الفقهية وتوسع العرب في التشابيه بسبب المخترعات وغير ذلك . وثالثها من زمن المتوكل العباسي الى عصر النهضة الحديثة وهو زمن تقهقرت فيه اللغة حتى كادت ان تموت فبلغت لدرجة صار فيها الخلفاء من بني العباس لا يحسنون التكلم الا بلسان ملحون . رابعها من عصر النهضة الحديثة الى يومنا هذا وهذا العصر يبتديء من نحو عام ١٣١٤ ولهذا العصر تأثير قوي على اللغة العربية بسبب كثرة المخترعات الناشئة على العلوم المنهالة انهيال السيل ولعمر الحق ان هذا الزمن لتتزيا فيه اللغة العربية باجمل المناظر وتكمل فيه محاسنها حتى تكون كالعروس تتجلى للناظر بابهى ملبوس .

محاسنها

اللغة العربية هي اللغة الوحيدة التي يمكن للانسان ان يخبر بها عن اي غرض كان بدون ادنى تكلف او احتياج الى ادخال لفظ اجنبي عنها ولو كان المتكلم بها طبيعيا او فلسفيا او معلما طبيا او او او بخلاف بقية اللغات الاخرى فان المتكلم بها يحتاج في بعض الاحيان الى ادخال لفظة من لغة ليست المتكلم بها فيها ليحصل للمتكلم تأدية مراده واقوى دليل على ذلك ما نشاهده من ان الانسان اذا اراد التعبير عن لفظة (القبجي) مثلا باللغة الفرنسوية فانه ينطق بها على حالها ولا يغير منها شيئا سوى ابدال القاف كافا لعدم وجوده فيها مع ان هاته اللغة من احسن اللغات الاجنبية وارقاها حتى انها صارت بين دول اروبا اللغة الوحيدة التي تعقد بها المعاهدات وبعبارة اوضح انها اللغة الرسمية بينها بخلاف اللغة العربية فانه اذا ورد على الانسان لفظ فرنساوي يسلك في التعبير به طريقتين الترجمة والتعريب على سبيل البدل وهذا من محاسن اللغة العربية من جهة اتساع قواعدها

ومن محاسنها كثرة المترادفات بين الفاظها حتى يتسع للانسان مجال التعبير ويتسنى له ان يعبر عما في ضميره من غير تكرار المفردات الداعي الى اشمئزاز المخاطب ولا يكون المتكلم في ضيق من عدم اعرابه عن مقصوده

ومن محاسنها التشبيهات والكنايات والمجازات والمحسنات البديعية حتى يمكن للانسان تأدية المعنى المقصود له بعدة طرق متفاوتة في الوضوح فيعبر بها المتكلم

بحسب المقامات فتكون المعاني في الالفاظ كدر مترصف على بساط من لجين مموه بالذهب . وبذلك يكون الكلام مؤثرا على النفس اشد تاثير وهذا تختص به اللغة العربية فقط . نعم هناك في بقية اللغات الاخرى بعض ما ذكر ولكن بالنسبة الى نفسها فقط فاذا فرضنا خطبتين عربية وفرنسوية في موضوعين مختلفين بالتضادد تكون الخطبة العربية اشد تاثيرا من الاخرى قطعا

انظر يا حياك الله الى قوله تعالى (وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين)

بعيشك حدثني هل اذا عبر عن هذا المعنى بلفظ غير عربي تجد فيه تلك السلاسة والبلاغة والاعجاز الذي بهر العقول ؟

كلا ثم كلا — وانظر الى قول الشاعر

اريني مكان البدر ان افل البدر * وقومي مقام الشمس ان اخر الفجر
ففيك من الشمس المنيرة نورها * وليس لها منك التبسم والثغر

وقول الاخر :

ومهفهف راقت نظارة وجهه * فالعين تنظر منه احسن منظر
اصلى بنار الخد عنبر خاله * فبدا العذار دخان ذاك العنبر

فهل ان عبر عن هاته الابيات بلفظ غير عربي ترى ذلك المعنى الذي سحر الالباب؟

ولاثبات هاته الايات بلفظ غير عربي نسوق دليلا لا مرية معه فنقول لما كان القرآن الكريم المعجزة العظمى الباقية الى الان والى الابد الداعية الى تصديق الخلق بالنبيء عليه الصلاة والسلام فيما اتى به وكان اعجازه من بلوغه الدرجة القصوى في الفصاحة والبلاغة وكان انزاله باللغة العربية وعجزت عنه في المعارضة جميع فصحاء العرب وبلغائهم دل ذلك على ان لا ابلغ ولا افصح من اللغة العربية ولو وجد ما افصح وابلغ منها لنزل القرءان به ليعجز البشر . قال تعالى (وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين) ولا يتوهم الناظر ان القرآن انما انزل بلغة العرب لان النبيء (ص) ارسل اليهم وكان منهم بل ارسل لكافة البشر لا لامة دون اخرى فلم يبين في سبب انزاله بلغة العرب الا الاعجاز

ومن محاسنها انها تشتمل على نحو ٥٥٢٥٠٠٠ مفردا بخلاف بقية اللغات الاخرى وذلك يدل على اتساعها وعدم افتقارها الى من سواها

فوائدها

اللغة هي احدى الروابط التي تجمع بين افراد كل امة وهي تلي رابطة الدين ويليها رابطة الوطن . وذلك لان الامة اذا لم تكن فيها الا رابطة الدين تجمع بين سائر طبقات افرادها او بينها وبين امة اخرى فان افرادها يكونون على اتم وفاق واتحاد ويكفي شاهدا على ما نقول اتحاد دول اوروبا مع اختلاف اوطانهم وتعدد لغاتهم . ومن هنا تعلم فائدة بذل دولة فرنسا بل وبقية دول اوروبا النفس والنفيس ومقاومة كل صعوبة دون بث ديانتها خصوصا في البلاد التي اهلها كثيرو التمسك بالوثنية مع قلة نتائجها من ذلك . وهذه الرابطة من اقوى التاثيرات على ابناء اي امة كانت حتى ان الاختلافات التي تكون في ديانة امة ربما احدثت ضغائن بين ابنائها واليك واقعة صان برتلمي التي حدثت في عام ١٥٧٢ مسيحية على عهد شارل التاسع التي قتل فيها عدد كثير من البروتستانت لم يعهد مثله قتل في التاريخ بسبب اختلافات دينية بين الكاثوليك والبروتستانت

ورابطة اللغة تليها فانك ترى تلك الواقعة وما سال فيها من الدماء مع اتحاد اللغة والوطن ولكن مرتبتها جليلة ومقامها رفيع اذ لولا اللغة لما امكن للانسان الافصاح عن جميع مآربه وملتزماته الحيائية التي يحتاج فيها لمجاذبة اطراف الحديث مع غيره ولما رايت هذا الترقي الذي سرى بين الامم حتى اضحت الناس هائمين في بحبوحة عيشه الرغيد ولعمر الحق ان هذا لمن اعظم فوائد جميع اللغات ولكن لكل منها فوائد امتازت بها عن سواها واليك هي ايها الناظر حياك الله ورعاك في لغتنا العربية . اولا المحافظة على فهم كلام الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم اللذين هما منبع ديننا الحنيف الذي علمت انه اعظم رابطة بين افرادنا معاشر المسلمين . ثانيا المحافظة على ما سطرته وخلدته اجلة علمائنا العظام في بطون المجلدات والتي استنارت بها ممالك اوروبا حتى صارت لما عليه الان ولم تزل مستنيرة من العلوم الدينية والفلسفية والطبيعية والرياضية والعلوم التاريخية التي

تكسب الانسان شعلة في قلبه تبعثه للجد والاجتهاد في اتخاذ الاسباب التي يحرز بواسطتها على مجد امته من الرقي والعز والشهامة والبذخ . ثالثا بمحافظة الامة على لغتها تكون عزيزة بين بقية الامم لما في ذلك من حفظ وصيانة عوائدها ومدنيتها من التلاشي وتمييزها عمن سواها وعدم افتقارها الى غيرها (والامم الاخلاق ما بقيت) واللغة من الاخلاق . ولله در شاعر مصر حيث يقول (وكم عز اقوام بعز لغات) وعليه فان الانسان مهما بذل من الوسائل الفعالة للمحافظة على حياة اللغة التي يجب عليه الاعتناء بها الا ويكون مقصرا في جانبها ولا ننظر لمن يرميها بسهام الانتقاد لان اولئك اناس ليس لهم نصيب من العلم سوى عبارات يلوكونها بالسنتهم اخذوها من افواه الجهلاء المدعين بالعلم لا يعرفون من معانيها الا التكلم بها على وجه ينفر منه الحمار . وكفاك ايها الناظر باعثا عن الاعتناء بها ان كانت لغة نحو مائتين مليونا من المسلمين حتى تكون الرابطة بينك وبينهم حيث كانت رابطة الوطن مفقودة وتتقوى بها رابطة الدين وبذلك نكون معاشر المسلمين كما قال صلى الله عليه وسلم (المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا) والله ولي التوفيق (ط)

التجنس الاسرائيلي

او

احدى العبر

عدد ١١ في يوم الاحد ٢٦ رمضان المعظم سنة ١٣٢٧

ما كان في الحسبان ان يقوم متطرفو الاسرائليين ويمثلوا التطرف ونكران الجميل فيعقدوا اجتماعا عاما ويتحدوا فيه على طلب الجنسية الفرنسية والخروج عن سلطة الحكومة التونسية والحماية الفرنسية ويحرضوا بني جنسهم على الالحاق ولو ءال الامر الى ما ءال سعيا وراء الحرية التي يظنون انهم حرموا منها ونالها المسلمون مع ان الحظ قد ساعدهم حتى استحوذوا على كل وسائل الكسب والرفاهية واسباب

السعادة الحيوية واستقلوا بالحركات التجارية والاعمال الصناعية الاثرائية وضاع المسلمون وتقطع بهم حبل الوريد وضاقت ابواب الارتزاق في وجوههم حتى اضطروا للتسليم وتنازلوا عن الزحام في معترك الحياة وفوتوا مصالحهم المعاشية ولوازمهم الاولية التي بها قوام حياتهم وما تنبهوا نوعا وعقدوا الجمعيات واسسوا الشركات ليرفعوا شيئًا من الملمات ويخففوا بعضا من المفتكات حتى وجدوا المسالك وعرة والعقبات متوالية والعوائق متكاثرة لان روح التعامل بيد الاسرائيليين ولا سبيل للورود والمشاركة ولو في المسائل الطفيفة لان المسلمين لا ذكر لهم امام الاسرائليين

هذه النعم كلها ما كفت الاسرائليين وما رضوا بها وما اقتنعوا بالسعة في الرزق وطيب العيش والرفاهية والاثراء العام بل طلبوا قوة سياسية فوق القوة المالية يتملصون بها من حكومة سمو الباي ورجاله المادلين ليمتازوا بين مواطنيهم في كل الجزئيات والكليات ويصيروا هم ارباب كل سلطة ونفوذ في الاموال والرقاب

رايناهم في هذه السنين يكتبون في هذا الشان كل ما يمليه عليهم الوهم ويخيل لهم الفكر الساقط والراى السافل بل يشكون لبعض نواب الجمهورية ليستميلوهم ويحولوهم عن سياستهم مع البلاد المحتمية بهم . وسمعناهم يقولون انهم مضطهدون لا تراعى لهم ذمة ولا تعتبر لهم منزلة في الوجود ولا تساوي بينهم وبين المسلمين في المحاكم الوطنية وانهم ضاقت صدورهم من الاحتقارات التي نالتهم والاهانات التي لحقتهم وهكذا يختلقون ويفترون ويشكون ويبكون ويتوجعون ويستغيثون والحق يكذب ما يدعون . ولكن ما ظننا ان الاقوال تعقبها الاعمال فما ذاعت تلك الرغائب المنامية حتى اخذوا في الاجتماعات العمومية وما استحوا وما هابوا ولا رجعوا ولا استتابوا . قامت قيامتهم وعلا ضجيجهم وتئامروا على خرق سياج الاداب والخروج عن طورهم القديم بحجة حب الحرية الشخصية . الم يرق في اعينهم الجنس اليهودي حتى يخرجوا منه ولم يرضهم الدين الاسرائيلي حتى يعدلوا عنه ولم توافقهم السياسة حتى يبدلوها ولم تناسبهم الحكومة حتى يغيروها ولم تقنعهم القوة حتى يجسموها ولم تكفهم الثروة حتى يضعفوها وما هم في الحقيقة إلّا يهود اسرائليين تونسيين ولئن تطوروا مع الظروف وتقلبوا مع الازمان . ان حكومة الجمهورية قد اتفقت

مع الحكومة التونسية يوم ابرمت معاهدة قصر السعيد بان تحمي اهالي البلاد مسلمين واسرائليين على السواء بدون ميز ولا فرق ولم نر الى اليوم ما يخالف هذه المعاهدة ولا ما يناقض ذلك الاتفاق . ثم قد تكفلت بحماية سلطة سمو الباي على جميع الوطنيين فلا يمكن تغيير التكفلات والمواثيق الصحيحة والسنن المتبعة في جميع البلاد المحتمية بدول اجنبية . فبترضية هؤلاء المتناهين في الشطط تسير دولة الحماية على نقيض ما جاءت لاجله وهو حفظ سلطة سمو امير البلاد

زعم الاسرائليون ان البلاد التونسية كالجزائرية فما جاز اجراءه هناك يصح ان يقع هنا لان النظر في البلادين يرجع الى الجمهورية الفرنسية وهي صاحبة النفوذ وبيدها النقض والابرام . نعم ان النظر لفرنسا والنفوذ بيدها ولكن هناك فرق بين البلاد المستعمرة والبلاد المحتمية ولا شبه بين تونس التي يمثلها امير يقضي ويمضي مستقل في داخليتها ولا معقب لاعماله ولا مناقض لقوانينه إلّا منه والجزائر التي كل ما يجري في داخليتها بالنيابة عن فرنسا وهي تعد كمقاطعة من مقاطعتها

اليست الاوامر والقوانين التي تصدر هنا من الامير وباسم الامير المعظم وهناك باسم الجمهورية الفرنساوية .

اليست الاحكام لا تستانف هنا وتستانف هناك

اليست الهيئة الحاكمة هنا غير الحاكمة هناك

تغافل الاسرائليون عن كل ذلك وتجاهروا بالعدوان قبل ان يعرفوا منزلتهم وسياسة موطنهم وتطاولوا حتى طلبوا المستحيل وعلقوا امالهم على ما لا طمع فيه

قدموا على هذا المطلب المعوج بدعوى ان المحاكم الاهلية لم تنصفهم في دعاويهم على المسلمين ولم تحكم بينهم بما توجبه العدالة والانسانية

ولو كان صحيحا ما يقولون لما عوقب الجاني ابن الربي على جنايته الفظيعة بنصف شهر سجنا مع انه اسرائلي بل يغلظ عليه الحكم حيث كان ثم الميز بين المسلمين والاسرائليين « كما يدعون » ولكن العقاب جاء على نقيض ما يرمون به المحاكم ويفترون . فما اشد الاسرائليين عداوة للمسلمين وما انكرهم للجميل

نسوا يوم اطردوا وقبلتهم حكومات الاسلام ومنهم حكومة تونس وعاشوا تحت ظلها قرونا عديدة ودهورا مديدة

نسوا كل ذلك وتطاولوا الى رميها بالظلم والجور

نسوا احترام دياناتهم وعوائدهم

نسوا كل ذلك وما نسوا التعصب الذميم والعداوة الكامنة في صدورهم والاحقاد الناتجة عن التخالف في الاعتقاد والدين

دعهم يفشون ما يتمنون ويطلبون ما يرغبون ولكن لا ينالون ما يرجون ولا يحصلون ما يبتغون ٠

عـــدد ١٢

تبين من الحقائق الثابتة المتقدمة ان لا شبه بين سياسة البلادين (تـونس والجزائر) وظهر من الادلة السابقة التي لا تقبل الطعن بوجه من الوجوه ان هناك عوائق متحتمة تحول دون نيل المتطرفين المتعجرفين الناكرين للجميل تلك المطالب الشاذة عن جادة الاداب والمنافية للسياسة الفرنسيه وان هي الا رغائب خيالية ومتمنيات استئثارية ٠ على ان التجنس اليهودي بالجزائر صار اليوم لا يرضي الحكومة الفرنسية نفسها ويعتبره بعض رجالها من الهفوات السياسية التي صدرت والجمهورية الثالثة في دور الطفولية وقتئذ وبودهم تغيير تلك السياسة التي تناقض الاصول الاستعمارية والتي تقالل من نفوذ الفرنسيين بالبلاد الجزائرية وتؤيد المطامع اليهودية بتلك البلاد ٠ اذ مسالة التجنس ما وقفت عند حد التساوي بين اليهود والفرنسيين فقط بل تجاوزت الى تكدير فرنسا من المشاكل التي حدثت بعدئذ من الثورتين (الاهلية والاجنبية) وهاك البيان : على اثر الحرب السبعينية بين فرنسا والمانيا دخل يهود الجزائر دفعة واحدة في الجنسية الفرنسية وكان ذلك سنة ١٢٨٨ هجرية بطلب من (كريميو) احد النواب بمجلس الامة الفرنساوي واصله يهودي ومن ذلك العهد صار ليهود الجزائر ما للفرنساويين من الحقوق والامتيازات في الانتخابات العمومية والوظائف السياسية والعسكرية

وكان من نتائج التجنس ان حدثت فتنتان عظيمتان مشهورتان في تاريخ استعمار فرنسا بالجزائر وهما اولا الثورة المقرانية التي سببها جسارة اليهود وسوء

معاملتهم للمسلمين حتى اورثوا الضغائن والاحقاد في صدورهم وبالطبع آل الامر الى الشقاق وايجاد القلاقل المثيرة للفكر العام من كلا الفريقين واهراق الدماء من الجانبين وذلك لا يرضي الحكومة الفرنسية

وثانيا الثورة الاجنبية اي حركة (الانتيسيميتسم) وهي عداوة ابناء سام (اليهود) لما شعر الفرنسويون بضعفهم السياسي واصبحوا يتذمرون من هذا الانقلاب وترامي الاسرائليين على المصالح العمومية وترجيحهم كفة الانتخابات السياسية مع انهم بفطرتهم وتربيتهم لم يكونوا مترشحين وشكوا لحكومتهم من ذلك ولم تعرهم اذنا صاغية فحدثت الثورة وتغلب جانب الفرنساويين ولحقت اليهود من ذلك اهانات واحتقارات واضطهادات لا زالت الى اليوم

ولولا دهاء رجال الاستعمار الفرنسي لما انحسمت تلك الثورتان الطائلتان اللتان سالت فيهما الدماء وضحيت في سبيلهما نفوس كثيرة والى اليوم لازالت بذور الاحقاد مغروسة في طبيعة كل الطوائف الاهلية بالقطر الجزائري كما يظهر من كتاباتهم في الصحف . ثم ان من قواعد الاستعمار التحري في الاعمال خشية ان يصير المحكوم حاكما وهذا محور سياسة فرنسا اليوم بخلاف الامس . هذه حقائق تاريخية لا شبهة فيها ولا مراء في صحتها

والخلاصة ان التجنس الاسرائيلي الجزائري قد عاد بالعواقب الوخيمة التي تتحاشى منها فرنسا اليوم . فكيف يمكن ان تغير السياسة التونسية بعد ان عرفت فرنسا نفسها صعوبات حل مسالة التجنس الاسرائيلي الجزائري

لا ريب فان كفاءة رجال الحكومة الفرنسية وتمكنهم في السياسة مما لا شك يجعلهم دوما متنبهين للعواقب التي لابد ان تولدها الايام خصوصا وان يهود تونس ارقى من يهود الجزائر واعلى درجة في العلوم وبالطبع ما يجرونه هنا ضد فرنسا يكون اعظم مما يجرونه هناك من التضييق على الفرنسيين في الوظائف الدولية والعسكرية على الاخص . واذا كانت الجنسية لا توافق الحكومة الجمهورية والامة الفرنسية فكذلك لا ترضى الطائفة اليهودية التونسية بتمامها

فلن يقدر اليهود على ابتزاز اموال المسلمين إلّا متى لم يخرجوا عن طورهم

القديم اما ان ظهرت منهم قوة فان العامة تبتعد عنهم خشية ان يوقعوهما في المحذورات بالخداعة والمكر الطبيعيين لهم وتخاف ان تعجز على قطع ايد قوية ظالمة

وان عقلاء اليهود يصرحون بهذا الفكر كل آونة وحين ويقولون ان مساعي الشبيبة هي من محض الطيش والخفة وانها لم تحنكها التجارب حتى تعرف كيف تجمع القناطير المقنطرة من الذهب والفضة بطرق المسالمة واظهار الذلة والمسكنة ونهاية الخشوع والخضوع ويثبتون ان القائمين بهاته الدعوة افراد قلائل لا منزلة لهم بين بني جنسهم وكل من حضر الاجتماع في الغالب جاء ليكون من جملة الحاضرين في مجلس عام. وما حكى التاريخ ان مثله قد وقع في حكومة بني اسرائيل المستبدة المنقرضة منذ قرون وليرى ابناء جنسه متعاضدين متحدين (ولو توهما)

ثم ان المدركين منهم قالوا اننا نعارض تلك المطالب العبثية وان لانرضى بها ابدا لانها هي القاضية على ثروتنا المالية التي نكتسبها من جيوب المسلمين ومن الصعب علينا ان نتحول الى الفقر العام من الاثراء العام تضحية في حب الاماني الاشعبية والنتائج الوهمية حتى نضيع مستقبلنا

ثم بعد ذلك كله ان في معنى الحماية الفرنسية ما يكفي لان يحكم بـان من الحيف اختلاف المعاملة بين اجناس الجامعة التونسية واحترام بعضهم واهانة الاخرين وهذا مناقض لسياستها التي من اصولها المساواة بين كل الافراد

وهل ترضى فرنسا بان تغلب طائفة قليلة العدد على امة قاطبة لا ذنب لها الا الاذعان التام والتسليم . حاشاها من ذلك وهي بعيدة بمراحل عن سلوك هـذا المسلك المخوف والطريق المعوج والحال انها مشهورة في العالم اجمع بشدة ميلها للمساواة . . .

ومن جهة اخرى ان نفرا من المسلمين الذين لم تنصفهم بعض المحاكم يلتجئون اضطرارا الى التجنس مع انهم اشد الناس محافظة على جنسيتهم وشعائر دينهم لولا الضرورة احوجتهم لذلك ومع هذا فمطالبهم تلغى وتضرب عرض الحائط وهذا دليل على ان فرنسا غلقت باب التجنس اتقاء من الاخطار

فمن العجب اذا كانت لا تمنحه لفرد تونسي فكيف يتصور الان ان تتساهل فيه مع طائفة كاملة

وقصارى القول ان مسالة التجنس الاسرائيلي لا تتم ابدا لما سبق من الادلة القطعية والحجج الثابتة . فاذا طلبها ضرب من العبث (اسير الوجدان)

حول مطلب تجنس اليهود

عدد ١٤ في ٢٣ ذي القعدة سنة ١٣٢٧

لقد اعتاد المحامون الذين يدافعون عن الظالم والمظلوم تصوير الباطل بصورة الحق ودحض الحق بالخلابة والمغالطة ومن كان منهم اقدر من غيره على تغليط الحكام وتضليلهم بسرقة عقولهم وجذبها لما يريد بتزيين البرهان المخطيء واستعمال الحجة الشعرية في بسط نفس الحاكم وقبضها كان هو المتضلع المشار اليه بانه البارع المجيد . ولليهود في طبائعهم استعداد لذلك دون تلقين ومن عرف السمسرة وانهم فائقون فيها على غيرهم بتلك الخليقة الغريزية لم يبق عنده ريب في ان من كان من تلك الطائفة وعانى صناعة المحاماة عمرا يصعب التمييز بين حقه وباطله ويجب الفرار من كلامه على ضعيف العزم حتى لا يؤخذ بذلك السحر والضلال . ذلك مثل الافوكات فيتوسي النائب الاسرائيلي بالمجلس الشوري واقتراحه الذي طلب به الحاق اليهود بالمحاكم الفرنسوية واباحتها لمن ارادها من المسلمين وابطال مجلس الاحبار تصريحا والتلويح الى ابطال العدلية التونسية وتبديل شكل الاحتلال وتقويض الاستقلال ومحو نفوذ صاحب البلاد وان يظهر في الارض الفساد

عرف ان الامة الفرنسوية مباديها اشتراكية حرة لا تحتاج لسلطة رجال الدين فاجتذب عواطفهم بانكار الحكم الديني وابتدا بالانكار على مجلس الاحبار حتى لا ينسب للتعصب الذي لا يوجد إلّا عند اليهود ثم جاء في تقريره ان العدلية التونسية ينتخب حكامها من رجال الدين الاسلامي الذين تلقوا علومه في الجامع الاعظم عواما

فهم في العدلية يطبقون ما تعلموه من علوم الدين على ما يصل اليهم من النوازل وذلك لا يلائم اليهود ثم ذكر ان بعض الفروع الفقهية لا يصح استعمالها في هذا العصر وانكر ان يكون الحكام يعتقدون ان شهادة الكافر لا تصح الخ ما هذى به في ذلك المجلس ولقد اكتسب بيانه هذا اغلبية عظيمة وبقي النواب المسلمون يحتجون على هذا الصنيع بكونه مخلا بالمعاهدات وبحقوق امير البلاد ونحن في هذه العجالة آتون بالرد عليه من الجهة الحقوقية ثم من الجهة السياسية ثم من نفس جوهر العدلية الفرنسوية هنا. ولا تروعنا الاغلبية التي نالها اذ هي اغلبية جائرة كونها سوء الفهم وبغض الجنس العربي واغاضته باي وجه كان

اولا ان الاحكام التي تقضي بها العدلية التونسية ليست اسلامية بل فيها ما يوافق الاسلام وفيها ما يخالفه وان الاحكام المدنية تصدر مطابقة للمجلة التونسية التي حررت بمعرفة رجال من التونسيين والفرنساويين ومن جملة ما جاء فيها الحكم بالربا الذي حرم في الشرع الاسلامي اشد تحريم

ومعلوم ان سمو الامير لم يحكم بالربا إلّا لمصلحة رعاياه اليهود كما هو مصرح به في المجلة اذ لا يوجد لحضرته رعية غير مسلمة إلّا اليهود وامير يخالف ما يقتضيه الدين لمصلحة جزء من رعيته يكون جزاءه منهم هذا العقوق ؟ بل ان المحكمة الشرعية التي هي دينية محضة قد تساهلت فيما لا تجيزه مقتضياتها مراعاة للاحوال ولو علم صاحب التقرير المومى اليه ان القاضي لا يجيز مذهبه توكيل امثاله وقد رافع لديه فيما يربو على الحصر، لعلم مقدار التساهل الذي ارتكبته المحكمة الشرعية على انا لا ندعو اليهود للمحاكمة امام الشرع بل امام العدلية وليسا بالسواء اما الاحكام الجنائية فانها تصدر بمقتضى اوامر من سمو الباي تعرض عليه بعد تحضيرها على يد رجال من الفرنسويين يراعون مقتضيات الاحوال ولم ينكر سموه منها شيئا ومعلوم انه لا يحتوي واحد منها على القطع او الجلد او الرجم او القصاص في الاطراف وكل ذلك مخالف للديانة الاسلامية بل ربما تجد في بعضها الاحالة على القانون الجنائي الفرنساوي

فيتمحض من ذلك ان القوانين التي بيد العدلية ليست دينية ولا هي فرنسوية

بل يصح ان تسمى قانونا تونسيا حرر بمعرفة رجال الحماية وموافقتهم ينبغي ان يتناول كل تونسي ومروق البعض منه لا وجه له إلّا التشهي . اما انتخاب الحكام من شيوخ الجامع الاعظم فلان الجامع لا يدرس العلوم الدينية فقط بل علوم العربية والرياضية وحيث كان لسان الكتابة في البلاد عربي وبه تكتب الرسوم والقوانين والاوامر العلية وبه تصدر الاحكام احتيج في ذلك لقوم يحسنون العربية فهما وانشاء وليس هم غير متخرجي الجامع الاعظم وقد اعوز الحكومة وجود افراد من الفرنساويين يساوونهم في معرفة العربية حتى يقيمهم رقباء على المجالس وعملت لذلك امتحانا فلم تنجح في مشروعها واضربت عنه وليس ذلك ليطبقوا ما تعلموه على ما يصل لديهم من النوازل بل يتعلمون ان الربا حرام لا يقضى به ثم يقضون به ويتعلمون ان الخمر لا يصح العقد عليه ثم يحكمون بصحة عقوده ويتعلمون ان شهادة الكافر لا تصح كما قال ثم يقضون بمقتضاها وربما كان لديهم اقرب الى التعديل . افبعد هذا يصح ان يقال ان الحكام يتعلمون الدين ليقضوا به على غير المسلمين . نحن لسنا نعارض في الحاقهم لابقائهم تحت سيطرتنا اذ لم نجعل لهم قانونا خاصا احط من قانوننا بل نعارض لنبقى واياهم تحت قانون واحد لانا جميعا نشانا في ارض واحدة وتكلمنا بلسان واحد وخضعنا لامير واحد ينظر اليهم مثل نظره الينا اعفى من المجبى منهم مثل ما اعفى منا وزادهم منة باعفائهم من الخدمة العسكرية دون عوض واتخذ منهم مقربين كما اتخذ منا وشملهم عدله في عصر الاطلاق حتى كانت امرأة منهم ترافع امام الباي في مجلس حكمه ايام كان يباشر بنفسه الاحكام

اما من الوجهة السياسية فان فرنسا وجدت يوم الاحتلال سمو الباي ملكا مستقلا بالبلاد يبرم المعاهدات مع الدول ويخاطبها راسا ولديه منها نواب يحمون مصالح رعاياهم متمتعين بالامتيازات القنصلية وهو في رعيته مطاع مؤيدة سلطته بجيوشه تتكون رعيته في شعب واحد يدينون بدينين الاسلام واليهودية فبسطت حمايتها عليه وعلى البلاد بداعي تاييد سلطته وحفظ مملكته من يد عادية . . . . وتكفل لها هو في مقابلة ذلك بمساعدتها فيما تراه من الاصلاحات اللازمة للبلاد سواء في الاستعمار او في العدلية او النظامات العامة فقيامها اليوم بطلب اخراج اليهود من سلطته هو

حذف من سلطته التي تعهدت بتاييدها كما انه اعتراف بعجزها عن الاصلاح الذي وعدت به والذي جعلته سببا في نشر الحماية على هذه الديار . وليس من الاصلاح الاعدام كما يفهم النائب فيتوسي ولو كان كذلك لصح للطبيب ان يقتل المريض رغبة في الاصلاح فاذا كان اليهود يلحقون بالعدلية الفرنسوية وينظر في اباحة ذلك للمسلمين فلمن العدلية التونسية وعلى من الباي واين الحكومه واذا خرج اليهود فقط فلا احتياج للعدلية راسا لان المسلمين لهم شرع يدينون ويخضعون اليه وما انتصبت المجالس الا لما كانت الرعية مختلفة في الدين ولا يمكن حمل طائفة على دين الاخرى اما وقد بقوا مسلمين صرفا فلا احتياج للعدلية ولا للمجالس بل الشرع حكم بينهم ثم اذا الحق اليهود وكان النزاع بينهم وبين المسلمين وهو اغلب نوازلهم فهل يجلب المسلم امام التريبونال والحال انه لم ينازع اجنبيا وهو انما انتصب للاجانب او يتحاكمون امام المحاكم التونسية فما فائدة الالحاق حينئذ .... على ان فرنسا اذا اجرت ذلك فانها تعرض بهذه البلاد للقلاقل والاخطار وتنشأ عداوة مستحكمة بين العنصرين وربما افضت الى ما نحن في غنى عنه وهي انما جاءت لتقرير الراحة لا لتحييرها

وانا نتعجب من خوض الجمعية الشورية في هذا الموضوع الذي هو من حقوق الدول لا الافراد ولا نرى ان فرنسا تصغى اليهم وهي لم تجز للكريتيين الانضمام الى اليونان اليس في كل طلب الخروج من سلطة لاخرى على ان اولئك يطالبون الانضمام لشعبهم وليس لليهود التونسيين هذا العذر واعجب منه ان صاحب هذا الاقتراح انتخبته الحكومة التونسية ثم هو يعمل لتقويضها والتملص من سلطتها وهي التي اجلسته مجلسه وخولت له التكلم فيه فلقيت منه هذا الجزاء . نحن لا نلومه على الانتقاد ولكن نلومه على شق عصا الطاعة في وجهها والعمل لاسقاطها وعلى كل حال فان على رجال الدولة التونسية ان يعضدوا جناب مسيو روى الوزير المفوض وكاتب الدولة التونسية العام الذي عارض بحكمة وصدق ضمير هذا المشروع الجائر وعليهم ان يشددوا لهجة الانكار ولا استثني منهم حضرة مولانا المعظم فانه هو صاحب الحق الاول والقول الفصل والاغضاء منه على هذه التعديات على حقوقه المقدسة يجرىء ارباب المطامع على عرشه الفخيم

اما جوهر العدلية الفرنسوية هنا فانها لا تساعد على هذا الالحاق لانهـا ليست فرنسوية محضة وانما هي محكمة مختلطة اقيمت عوضا عن المحاكم القنصلية التي كانت موجودة قبل الحماية يدلك لذلك انها تقبل في المرافعة امامهـا الافوكات الطلياني والانكليزي والالماني والاهلي كما تقبل للفرنساوي وتستمد قوتها التنفيذية من الحكومة التونسية في الغالب وليست كذلك في الجزائر او فرنسا فليست صبغتها هنا هي صبغتها هناك وليس لها ان تنظر الا في قضايا الاجانب الذين لهم امتيازات في هذه البلاد قبل انتصابها فهي لا تقبل النظر في قضايا المغاربة والاتراك والمصريين لانهم وان كانوا اجانب لم تكن لهم امتيازات من صاحب البلاد فكيف يمكنها قبول اليهود بصفتهم تونسيين ولولا تلك الامتيازات ما سمحت النظامات المعروفة لهذا العهد بالتفريق بين السكان في القوانين ولكان كل من وطيء هذه الارض داخلا تحت قانونها وما سبب هذه الامتيازات التى احرزها الاجانب ومنحها إلّا خلو البلاد من القوانين والنظامات العدلية واستفراد الامير بالحكم حسبما يشاء وانما كان حكام هذه المحكمة فرنساويين إلّا لان فرنسا تكفلت الدول الاجنبية يوم الاحتلال بحفظ امتيازاتهم القنصلية فكان لها الحق وحدها في تنفيـذ تلك الكفالات ورعايتها . اذن فما هي الشبهة التي يخطب بها يهود تونس الحكم الفرنساوي ان كانت هي بعد تلك المحكمة على الدين فالمحاكم التونسية مثلها كما سبق في ذلك البيان وان زعموا انهم يلاقون فيها عدلا فهم يلقون في المحاكم التونسية العدل والاحسان وهذه قضية ابن الربي التي سجن فيها نصف شهر قد ارتكب مسلم اخف منها فسجن اربعة اشهر وتلك القلاقل التي حدثت منذ نحو من عشرة اعوام بسبب تعدي اليهود على تلامذة مدرسة الحفصية قد حكم فيها بالحكم الشديد على المسلمين وخفف ما امكن على اليهود وكان المحكوم عليهم من الاولين اضعاف الاخرين مع ان اليهود كانوا هم الجناة البادئين . فلم يبق إلّا كونهم كرهوا ان يقف احدهم امام مسلم ثم يصدر عليه حكما وتلك نيران التعصب الديني التي تغلي بها الصدور . ثم ما للافوكات فيتوسي يعتن بصنيع بني جلدته بالمغرب وسرورهم بلقاء جيوش فرنسا ويشاكل بينه وبين صنيع المسلمين . ابلغت به الغباوة الى هذا الحد ام براعته في المغالطة سولت له هذا التنظير . ان سرور

اليهود بجيوش فرنسا سرور مضطهد بلقاء نصير وهم في ذلك مثل اخوانهم الروسيين يوم شاهدوا الحرس العثماني ووطئوا ارض تركيا آمنين . وعلى كل حال فهم فرقة بعيدة عن المتحاربين اما المسلمون فانهم حاربوا ابناء دينهم وفارقوا اوطانهم لمرضاة فرنسا . وفي الختام نعلن عن كافة السكان المسلمين لحكومة الجمهورية الحامية لهذه الديار انا لا نرضى بالتمائز بين فريقين متساويين في الجنسية لاختلاف الاديان ونسجل على ذلك اشد تسجيل ونشعرها بان ارتكاب مثل هذا الامر مما يوغر صدور مسلمي شمال افريقيا الذين اكتسبت اخلاصهم بمساعيها المشكورة وانه لنكث للعهود التي تعهدت بها لسمو الامير المعظم من دون ان تدعو لذلك حاجة او يسوغه قانون

المظاهرة الوطنية

ضد تجنس اليهود

عدد ١٥ في ٥ ذي الحجة سنة ١٣٢٧

عرفت المظاهرات عند الامم الحية والشعوب الراقية يوم تمكنت الحرية وتقلص ظل الاستبداد والاستعباد وتيقنت الافراد ان قوة الاتحاد فوق قوة الاحاد وان التظاهر بالاحتجاج والفزع والغضب لابد وان يستميل رجال الانصاف الى الانصاف ويخفف من ويلات المظالم والاعتداء . وبقدر الشعور والاحساس تتكرر المطالبة بالحقوق العامة وتكون الانتباه لوجوب التحفظ على الشرف والمركز في المعترك البشري والتزاحم القومي . وقد كانت الامم تعتمد عند اشتداد الازمة على المحاربة وسفك الدماء وايقاد لهيب الثورات لتصل الى نصر الحق وازهاق الباطل . ومن حين ان رفع علم العدل وقضي على الجور وانتشر العلم استغنت عن الفتن بالمسالمة واظهار التشكي لعلمها ان ذلك احسن وسيلة لنيل المرام بهدو وسلام .



الاستاذ الشيخ عبد العزيز الثعالبي
مؤسس الحزب الحر الدستوري والزعيم الاكبر في الحركة الوطنية

وان التاريخ يخبرنا ان الهمجية والوحشية كانتا اقوى ذريعة تستعملها الطوائف البدوية ولما انتشرت المدنية وعمت الحرية عدلوا عنهما الى المطالبة باظهار الغضب بصمت وسكوت . وبلا شك ان القوة لا تتخذ إلّا عند الشدة ومظنة الخيبة فعند ما كانت الجبابرة مستولية على زمام السياسة وماسكة له بيد من حديد احتيجت الامم الى ارتكاب اعظم المشاق ذبا عن مصلحتها ولكن لما توقف تيار الظلم وانكسرت شوكة الظلمة عرفت ان قوة التظاهر بالمسالمة فوق قوة حمل السلاح للمحاربة

نعم ان بعضها لا يزال يجهل الانفع له والاصلح فاما ان يتظاهر بالعدوان في غير مكانه او يتساهل في غير محله . ولكن الامة التونسية اظهرت من الدراية بمقتضيات الاحوال ولوازم الظروف ما اكسبها محمدة وبها اعجابا . فلم تبد اقل تكدير لصفاء الراحة والاخلال بالامن العام عند مظاهرتها التي وقعت يوم الجمعة ١٠ دسانبر بما فازت به بين الامم المتمدنة ومثلت نفسها على غاية من ادراك واجبها بين الشعوب . على ان في البلاد الغربية الى اليوم قل ان تقع مظاهرة او يعقد اجتماع ولم يحصل فيه ما يعكر صفو الامن العام ولكن بحمده تعالى كانت مظاهرة التونسيين على غاية من الهدو والسكون . وقعت هاته المظاهرة لما رأت الامة ان موقفها في خطر وان اهوال المستقبل تهددها وان احزاب المحاباة بالمجلس الشوري جاءت ضدها وان اصوات النواب الاهليين على قلتهم عكست ولقيت معارضة عنيفة وتيقنت ان لحوق اليهود بالمحاكم الفرنساوية والانسلاخ عن العدلية التونسية ربما كان ضربة قضية على الحقوق الشرعية التي في تصرف سمو الباي ولا حق لغيره ان يتداخل فيها بوجه من الوجوه اللهم إلّا اذا انتهكت حرمته وضعفت قوته وقل نفوذه

اتحدت القلوب الاسلامية حين كثرت المخاوف وعم الفزع وتكدرت الخواطر وذهب الناس مذاهب شتى فمن قائل ان اقتراح نائب اليهود كما صادف قبولا بالمجلس الشوري كذلك ستصادق عليه الحكومة الفرنسية ومن قائل ان الشطط الذي يرتكبه المتطرفون لا يروج على ساسة فرنسا ودهاء رجالها ومن قائل ان المسئلة متشعبة اذ انحاز كل النزلاء الى شق والوطنيون الى شق آخر الى غير ذلك من الاقوال والافكار . فلم يسع الامة التونسية إلّا ان لبت دعوة التعاضد والمواخاة

وحضر الاجتماع فوق العشرين الفا نسمة ، منهم من امتلا به (البالماريوم) والباقي عمر شوارع فرنسا وباريس وقرطاجنة وجول فري حيث لم يسع المكان المعد للاجتماع وغص بالخلائق والكل على غاية السكينة والاستبصار

وعند تمكن الوقت المعين رفع الستار على مرسح الخطابة فتليت الخطب الاحتجاجية على مسامع الحضور (وقد نشرت بالجرائد اليومية) ثم انقض المجتمع ولم يحدث ادنى حادث يكلف اعوان الضبط اقل عناء او تعب ، هذا وقد كان في الامال ان يظهر على مرسح الخطابة عديد من فطاحل الخطباء الذين يلبسون المجتمع بهاء ويزيدونه فخارا وفي اقتدارهم التاثير على النفوس والافكار واسماع ما جاء لاجله ذلك الجمع العظيم ، ولكن سوء تصرف بعض صغار لجنة الاجتماع حال دون ذلك وانما يوجه الملام على مكوني ذلك الامر الهام كيف القوا مقاليد تسييره لمن لا يحسن تدبير الصغائر فضلا عن المهمات ، ولكن الذي يقال ان ضعفاء العزيمة ووهني الارادة لا قبل لهم للقيام باعمال الامم وعظائم الامور كما اننا اذا نظرنا وانه اول اجتماع سياسي وقع في شكله الرهيب فربما لمن قصر لحداثته كان له بعض العذر . . . .

هذا واننا يومئذ قد استحضرنا جملا خطابية كان في الحسبان ايجاد مجال لالقائها على مسامع الحضور فلم يمكن ذلك للاسباب التي منعت غيرنا المذكورة آنفا

وعملا برغبة الكثيرين وتعميما للغرض المطلوب ننشرها على صفحات مرشد الامة وهذا نصها باختصار

ايها الشعب الكريم

كاني بفريق النزلاء تسأل عن النباء العظيم الذي ازعج الامة التونسية وحشر وفودها لهذا المحفل الحاشد والنادي المشهود (نعم وبالذمة انه لعظيم)

ما ازعج هاته الامة إلّا نغل في عضو منها طلب بسببه التفكك ، افهل يصبر الجسد على البتر او يتداعى اذا تداعى عضو منه (نعم لا يصبر على البتر ويألمه القطع ويداعيه الانفكاك)

سادتي

ما ذاك إلّا طائفة منا تجردت عن الاحساس الوطني وفقدت كل عاطفة كريمة

فقامت تطلب الانسلاخ عنا وطلبنا حفظ جامعتنا وكرهت ان تكون عضوا مكملا لنا وكرهنا انفصالها عنا افهل نحن في الاحساس سواء (كلا وذمة الوطن وبنيه)

تلك طائفة من شعب اسرائيل كرهوا سيطرة امير البلاد وتساويهم معنا في الحقوق وما نقموا منه ومنا الّا ان كنا محتمين مسلمين شان هذا الشعب وما طبع عليه من التلون والتطور ونكران الجميل

وكاني بهم لم يبد لهم كم اواهم الاسلام واحسن جوارهم وحفظ حقوقهم وحمى ذمارهم على انهم الى اليوم يفيئون في الشرق الى ظله ويلتجئون من جور اروبا الى عدله . (وعند روسيا تجد الخبر اليقين)

(ولكن ماذا تغني الايات والتذكير عن ناكر الجميل)

زعموا ان منزلتهم منحطة امام المسلمين لانه لا ينتخب منهم الحكام او حري بنا ان نسالهم افيطمعون في العدلية الفرانساوية ان يكونوا حكاما محكومين . او يمكن لامريء منهم بعد ان يقول منا امير ومنكم امير . عجبا كيف قالوا انهم يلقون منا ظلما ومن محاكمنا الرحيمة بهم جورا وهضما . وعلى الجميع من رجال الحماية رقيب عتيد

سادتي

فلمن السلطة والنفوذ المطلق بهذه البلاد	(لرجال فرنسا)
من وضع محاكمنا واسس عدليتنا على هذا النظام	(نواب فرنسا)
من سن لها القوانين التي هي جارية بيدها الان	(ممثلو فرنسا)
من وظف رؤساءها واعضاءها	(ابناء فرنسا)
من هو الرقيب عليهم	(موظفو فرنسا)
من اصلح المحاكم المصرية واوجد رجالا اكفاء للقضاء في امد يسير حتى اصبحت محاكم مصر ومحاكم لندرا من باب لا فرق	(الانقليز)
ومن اسبق للنظام واعرق في الحرية والعدالة ووضع اساس القضاء من الدولتين	(فرنسا)
وبلادنا	(تحت فرنسا)

ومحاكمنا (تحت سيطرة فرنسا)

ونحن (مساقون طوع امرها وحيثما تريد)، وعلى الخصوص الى وجهة الاصلاح

اذا فاليهود يشكون من فرنسا الى افرنسا في الحقيقة وفى الظاهر من ظلم المسلمين ومن فساد قوانينهم الفقهية (كما يزعمون) ومن قرآنهم المحكم المبين (فيا لله للزمان ما اقدره على الاتيان بكل عجيب)

سادتي

هاجرت هاته الطائفة الى بلادنا منذ قرون واحقاب والحكومة وقتئذ حكومتنا والسلطة بايدينا والنفوذ في قبضتنا والقوة لنا فاكرمنا وفادتها بان احسنا معاملتها حتى استولت على خيرات البلاد واحتكرت اموال اهاليها واحترمنا دياناتها وشعائرها وعوائدها وتساهلنا معها طبق ديننا الاسلامي الحنيف وتعاليمه الحكيمة فاقامت محاكمها الدينية وأجرت شريعتها التوراتية بغاية الحرية والاحترام

طائفة اضطهدتها اروبا واطردتها من بلادها فرضينا بمهاجرتها الينا وتوكلها علينا والتجائها الينا اعزازا في الحق ومحبة في الصدق ومقاومة في الباطل كما توجبه ذمتنا الطاهرة وناموسنا العادل ، طائفة لم تقتنع باموالنا التي نالتها والثروة التي حصلتها فتريد ان تمتاز علينا بالقوانين الاثرائية والسياسية مع رمينا بما نحن متنزهون عنه لتصل الى اغراضها ومطامعها وبدعوى ان محاكمنا ظلمتها ونحن اسأنا معاشرتها ومعاملتها الى غير ذلك من الدعاوي الخالية عن الدليل والمجردة عن كل برهان

سادتي

ان لم تؤثر اصوات نوابكم بالمجلس الشوري وكتاب صحفكم فتشفيعكم اليوم بهاته المظاهرة والاحتجاج على سوء المقاصد وخبث النوايا لابد وان يعود عليكم بما تؤملون من حفظ شرفكم ومنزلتكم بين قطان وطنكم المحبوب

فان مظاهرة الالاف ليس كاحتجاجات العشرات وليست مدافعات الافراد كتظاهرات الامة باسرها فاجتماعكم اليوم يبرهن عن شعوركم واحساسكم بموقفكم الحرج وما سينالكم بعده من الازمة المحزنة وقت ان تصبح طائفة مواطنيكم اليهود من حزب دوكارنيار فتمسون بين مئات الالاف من دوكارنيار

سادتي

ان كان في تهويلات هاته الطائفة ما يحمل بعض المعمرين على موافقتها في مطالبها وتاييد اقتراحاتها فان في انصاف الاشتراكيين المحافظين على قاعدة المساواة ما يحملهم على رفض كل مرغوب يئول الى التميز بين افراد الجامعة التونسية وتفضيل البعض على البعض . طائفة ان عاضدها بعض الفرنساويين الذين يودون كل وسيلة تؤدي الى الحاق بلاد الحماية بالمستعمرات عند ما تسمح الفرص فان الراي العام الفرنساوي لا يرضى بسقوط سمعة الحكومة الجمهورية ووصمها بالمحاباة والميز والفرقة ونقض العهود بلا مسوغ . طائفة ان طلبت نقض العهود وحل الاتفاقات بين الحكومة التونسية والدولة الفرنساوية يوم ابرمت قوانين الحماية بالقصر السعيد فان فرنسا لا يروق في اعين رجالها الاحرار القليل من سلطة سمو الباي واخراج قسم من رعاياه عظيم . لان سلب الثقة منها عندها ركن لا يعوض مدى الدهور . طائفة ان كان غرضها الوحيد ان تنقم منا فان في اقتدارنا ان نقاومها ونقضي على قوتها ونميتها جوعا بمقاطعة بضائعها وتوقيف اعمالها وحركاتها التجارية مقابلة للصنع بالصنع وطبقا لقاعدة (المجازاة من جنس العمل)

طائفة تزعم انا نعارض لابقائها تحت سلطتنا ونحن لا نطلب إلّا المساواة معها امام فرد قانون . عجبا والله اتريد ان تنتهك الاعراض وتخرب البيوت بدون جزاء أو ندعى عندها بالظالمين

سادتي

ما لمناقشتها اجتمعنا وما موقفنا هذا محتملا لجدّهم اذ لم يبق في قوس الصبر منزع للجدال . ولكنه موقف احتجاج من شهد هذا المشهد ضد الاغلبية التي نالها نائب هذه الطائفة في نادي الشورى وضد التمييز بينها وبين مواطنيها المسلمين

نرفع هذا الاحتجاج لجناب الوزارة الخارجية وللجمهورية الفرنسوية التي تكفلت بحفظ نفوذ اميرنا المعظم وتاييد سلطته ثم هاته الفئة تريد ان تحملها على نكث العهود . وفي الختام اهتف باسم هذا الجمع الموقر ان تبقى جنسية التونسيين محفوظة الى الابد عن التنقيص والتغيير وان نكونوا محكومين ولو اختلفوا في الدين لفرد قانون وان تستمر فرنسا على حفظ العهود

المجلس الشوري

وتعميم اداء المجبى

عدد ١٣ في ١٤ ذي القعدة سنة ١٣٢٧

يقولون ان في ماضي التاريخ عظة للمستبصرين نعم ونقول ان في تاريخنا الحاضر لعبرة للناظرين

تفتح نوادي الشورى ونوادي المجالس النيابية في سائر الممالك والاقطار بين اصوات الهتاف وضجات السرور لما تترقبه تلك الشعوب من نتائج افكار اولئك النواب العائدة على الامة بصلاح الحال ورخاء البال وهم يعلمون ان لو خان الامة خائن منهم او قصر في ماموريته لكان عقابه السقوط الحسي والمعنوي اذ الامة هي التي اجلسته مجلسه وهو خادم لمصلحتها لا يسعه في ذلك تهاون او تقصير

ولكن لكل عموم تخصيص ومن كل استغراق يكون الاستثناء فقد يصح لك ان تستثني من تلك القاعدة ندوة الشورى التي مني بها التونسيون فانهم استبشروا بها اولا وناضلوا عنها ظنا منهم ان سيكون لهم فيها من الشان بعض ما لغيرهم من عواقب الشورى ونتائج الحكم النيابي ولو علموا انه سينالهم منها ما لم ينلهم وقت خلوها منهم لانضموا للمتطرفين من حزب الاستعمار الذين كرهوا مجالسة الاهلي لهم واستنكروا ان يكون له حظ في سماع مناقشتهم في ذلك النادي الغريب الهيئة والنظام . ما الشان في المجالس الشورية إلّا ان تكون ماحية للظلم والجور بقدر الامكان مشربها العدل ودعوتها الاخاء ودينها المساواة لا تنظر الى الكافة إلّا بنظر واحد لا يستميله عنصر ولا دين كذلك تنال الامم حقوقها وتنام آمنة لا يخشى افرادها بخسا ولا ارهاقا فهل لا تسئل تونس ما ذا جنت من شوراها

(نعم وعلى الخبير بها) وانها بصدد اجتناء تخفيف رعيتها بعض الاداء وتثقيل كاهل الباقين حيث ان المجلس الشوري يبحث اليوم في تعميم المجبى وقبل للنظر اقتراح اليهود في الانسلاخ عن التبعة التونسية

اما المسالة الاولى فقد جاء في خطاب جناب المقيم انكار ضريبة المجبى وعدها جورا اذ هي اداء على النفوس الحرة مقابل وجودهم فوق الارض وتحت السماء وذلة لم تعهد في شرائع التمدن لهذا العهد ، وهذا الانكار جر بعض نواب الاهالي على اقتراح اسقاطها في العام الماضي فارجت النظر فيها الى العام الحالي

وكان جل ما اهتدى اليه نواب النزلاء تخفيفها نوعا ما وتعميمها عملا بقاعدة (ان المصيبه اذا عمت هانت) كانما المنكر منها كثرتها او تخصيصها بقوم دون آخرين واياك ان تفهم انهم اقترحوا تعميمها على سائر العناصر المتساكنة فوق اديم هذا القطر كلا بل انهم انكروا اشد الانكار مشاركة النزيل الاهلي فيها ولو بجزء تافه قليل ، وهم بصدد النظر في سلخ اليهود عن التبعة التونسية فهي عامة على السكان خاصة بالمسلمين ، وقريب مما ارتاه فريق من الاهالي الذين يدعون قيادة الافكار ناضلوا في هذا الموضوع وانكروا هذا المنكر ولما سمعوا حديث التعميم قاموا يطلبون ابقاء ما كان على ما كان اتباعا لشيخ مطاع وما هكذا يقتضي شرف الذمة ولا صدق الضمير

ان ضريبة المجبى قد اعترف كل من عرفها بارتكازها على اساس الجور والظلم وان الامر الصادر في تعميمها وان خففت يساوي الامر الصادر بوضعها من كل الوجوه إلّا ان هذا وقع في عصر الاستبداد والحكم المطلق والاخر سيقع في عهد حماية فرنسا الحرة وبراي الجمعية الشورية بعد مساندة الانظار

ولربما صح لقائل ان يدعي فوق ذلك اذ يرى ان الحماية ايدت مظلمة سبقتها وابتدات وضعها على الناجين ، وفي ذلك يوم الافتخار باعمال الحماية ما يقيم الريب في الصدور اذ اداء قيمة بغير حق يصدق عليها اسم الظلم سواء في ذلك التافه والجليل

اي قانون في شرائع العدلية يميز بين العناصر التي تعيش من ثمرات ارض واحدة وتحت سقف واحد مرفوع ، ما للنزيل يسعف بالاعانات ، والوطني يلتزم في حقه الاعنات ، اكل هـذا جزاء الخضوع والخنوع ، ان كل جبار يلين بهذين الوصفين اذ تخلق بهما عبيده فاين عدالة الجمهوريين الاحرار

أ اعجب النزلاء ثروة الاهلي او رواج بضاعته او يده العاملة حتى لم يستثقلوا على كاهله هذه الضرائب وهم بالامس يرونهم زمرا يتسولون الارغفة التي جـادت

بها عليهم الحكومة في العام الماضي افيريدون ان يؤدوا اثمانها مضاعفة اضعافا كثيرة ما دام الدم المتحصل منها يجري في العروق والايطالي وغيره ياتي هذه الارض بخرج مفقود النعل فيحمل خراجا لا يؤدي عليه خرجا

ايدعو الى اقتراح التعميم داعي الشفقة على الاعراب ولا يدعو الى الشفقة على من سيعمم عليهم وهم مثلهم ان لم يكونوا اسوأ حالا واشر مثالا ثم لا ينسى ذلك الداعي حب النفس والتمييز في الجنس ان هذا لهو البلاء المبين

نحن نقدر ان نبين لادارة الحماية والحكومة ان المبالغة في اكرام الاجانب والاحتفاء بهم وتيسير سبل الثروة لهم واعفائهم من الضرائب وتمييزهم عن الاهلي في كل شيء لما يدعو الى كثرة سوادهم ومكاثرتهم للحاكم المحكوم حتى يكون لهم في هذه البلاد الشان الاول قبل الفرنسويين انفسهم ولربما لا تقدر الحكومة حينئذ على السلب بعد المنح وبقدر مصالح الرعية يقوى نفوذ الدول وما عرقل مساعي الدول في بعض الممالك إلّا كثرة مصالح الشعوب المختلفة . وانما نطوي النظر عنه لعلمنا ان الفرنسويين تهمهم هذه المسالة اكثر منا وهم يعوزهم التعليم في مسائل الاستعمار وانا نقتصر على بيان ان سلوك هذه السياسة تزرع بغض الوطن في قلوب اهله وهجره مهما امكن وذلك يعود بالسمعة الفاسدة على استعمار فرنسا الاسلامي الذي تخطب وده وتريد ان تجعل شطوطه منبعث نور للتمدن تصل اشعته لواحات الصحراء ومهامه السودان . وغاية الامل من هذا المبحث ان اختبار الاهالي فيه منحصر في وجهين خيرهما اسقاط هذه المظلمة (المجبى) التي لا توجد إلّا في هذا القطر وتوزيع متحصلها على بعض الواردات فينتفع الاهلي بذلك مرتين بخفة ظهره من ذلك الثقل وبتقليل المزاحمة الاجنبية عنه وتخلد للحماية بذلك محمدة ترددها السنة الشعوب الافريقية وتنفتح لها بذلك الصدور ويفوق ذكرها في الشرف حديث تقدم الاستعمار ، اذ استعمار القلوب هو الذي لا يتايد بالمدافع والحصون والجيش الجرار بل هو الذي يرسو بنفسه على اثبت اساس

وزد ذلك في الاختيار تخفيضها وتعميمها على السكان من غير تمييز في الجنس او تفرقة في الدين اذ هي في اصلها اجر على السكنى والانتفاع تحت ظل الامان

وكل من وطيء هـذه الارض ساكن منتفع امين . ولا ننسى في هذا الموقف ذكرى ذلك الرجل الحر الذي يحق لفرنسا ان تفتخر به لما عليه من شرف النفس ونزاهة القصد وصـدق الضمير ألا وهو المقيم الاسبق الذي لم يرضيه انفراد الاهـالي باداء السخرة حيث اباها النزلاء وراى ان التمييز بين العناصر المتساكنة جرم فظيع لا يؤتى بامره وتحت انظـار ادارته . ولا يصح ان يدعى ان الاجانب اعفوا من هذا الاداء من وقت صدور الامر به لانه اعفى معهم كذلك اهل المدن الخمس . وحيث دعت الحاجة الى الغاء الاستثناء فليلغى بتمامه اما الغاء جزء منه فلا يرضى الاهالي اذ لا يوجد في الانصاف ما يقتضيه والانصاف كل ما يطلبون

صدى المفاوضات الشورية

بالديار الفرنساوية

عدد ١٦ في يوم الجمعة ١٩ ذي الحجة سنة ١٣٢٧

ما رجعت هياة شورى منذ عرفت بمثل ما رجعت به اعضاء الشورى التونسية وما تكشفت عواقب البغي والطغيـان بمثل ما تكشفت به لحزب الفلاحين من الفرنساويين بهذه الديار الذين يريدون منافع المملكة خاصا بهم على وجه الاحتكار .

اجل لقد رجعوا بخيبة المسعى والسمعة الفاسدة وسقوط الاعتبار . ولو جعلوا المساواة مبداهم والاصلاح غايتهم لكان خيرا لهم واقوم ولفازوا بحسن الاحـدوثة والراي المطاع تلك عقبى الذين ابتغوا الاصلاح وعقبى ذوي الاستئثار العار

لقد تمثلوا لاولي التمدن مفترسين في مسلاخ انسان تهش نفوسهم الى القساوة وتنصب على غمط حقوق الضعيف انصباب السيـل لا تلوي على شيء ولا يثنيها عن مقصدها شرف مضيع ولا مؤل وخيم . كل ذلك ساقهـم اليه الجشع فضيعوا كل عاطفة ونسوا كل ذمام . فبئس ما ساقهم اليه ان حط من كرامتهم فكانوا البغيضين .

سعد من سعد بالشورى من الامم والاقوام فالتقوا على مجمع سبل الرقي في مرج الامن والرخاء يمرحون وقد حمدوا المغبة ان تطهروا من الاغراض وكانت وجهتهم الاصلاح بلا ضرر ولا ضرار تلك عقبى الذين ابتغوا الاصلاح وعقبى الفلاحين العار . باعد التفرق في الاديان زمنا بين بني الانسان ثم تقاربوا من بعضهم وان اختلفا في مناجاة ربهم فايقنوا ان غاية ما يشنأ به الفكر واقبح ما يتخلق به الشخص التعصب الديني فتالفت المجالس النيابية من مجموعة الاديان محترمة لبعضها تعمل كليا لمصلحة السكان سواء العريق منهم في الشورى او الحديث ودونك شاهدا على ذلك مجلسا الدوما والمبعوثان . لكن المعمرون هنا بقيت لهم حزازات ضد المسلمين تغلي بها الصدور كلما سنحت لهم فرصة لاظهار اثارها فاذا هي تفور

ولو ساعدهم الحظ وكان التنفيذ يتبع رايهم لاخلوا البلاد إلّا منهم واصبح سكان القطر يعدون آلافا بعد الملايين .. غيرهم يسعى لتعزيز الامن والعمران فينجح ويفوز بالذكر الجميل وهم يسعون للخراب وارهاق السكان فيفشلون غير ممدوحين . تلك عقبى الذين ابتغوا الاصلاح وعقبى الفلاحين العار

ألا وابيك ان الحرص والشره لحمى تصيب الفكر فتترك صاحبه يهرف بما لا يعرف ولا يدري ما يقول ذلك مثل القوم الذين ركبوا عارا تخجل به العائلة الفرنساوية اذا انتسبوا اليها وقد علم العالم المتمدن ان هذه الامة الكريمة جعلت الحرية شعارها والمساواة دثارها والعدل ظلا تتفيء اليه وصورت من مجموعهم مثالا يرفرف في انحاء المعمور . فما ظنك بمن تصل اليه اخبار الشورى بقطرنا بين اعمدة الصحف فيرى العجرفة باكمل معانيها والغطرسة باتم مبانيها تصدر من افواه قوم فرنساويين فلا تقابل من الاهالي إلّا بالمجاملة واللين . افتراه ملوما اذا تردد فكره بين امرين خيرهما شين او بين ... نعم انه لا يحدثه فكره إلّا بان الحكومة الفرنساوية ضغطت على الافكار وساست الشعب بالعنف والجبروت حتى راضتهم على سماع ما يكرهون دون ان ينطقوا بما يحبون او يبرر الحكومة الجمهورية من هذا الوصف الذميم الذي ينافي مبداها وهناك يندهش من طيش من تربوا في مهد الحرية جيلا بعد جيل بقدر ما يعجب باعتدال الاهالي وكمال تربيتهم وحفظهم للعهد

واكرامهم للنزيل . وكذلك لا يعاق سمة شرف للاهالي إلّا عاق ضدها على حزب الفلاحين فهل رايت فريقا من العقلاء يرهق شخصه او قومه على التردد بين وصفين خيرهما ذميم . لكن الذين يقراؤون الصحف الباريزية اليوم لا يبقى لهم مجال للريب في نزاهة الامة الفرنساوية وشدة تمسكها بمباديها الحرة وكراهتها لما ياتيه هؤلاء المتطرفون كما انه يعلم كيف يصرع الباغي وينتصر الضعيف اذ قد سمعنا من هؤلاء الفلاحين في نادي الشورى اذى كثيرا وعاكسونا فيما لا يبيح معاكسته قانون ولا نظام فكان جزاء معاكستنا رايا معاكستهم تنفيذا وجزاء ما اذونا به ان سجلت عليهم الجرائد المعتبرة جهلهم باصول الشورى وابتناء اعمالهم على الفساد وجرها الى الاخطار . كل ذلك ليكتسبوا صداقة اليهود ويبالغوا في ايذاء ابناء البلاد فما باءوا باعقم منها نتيجة ان كانوا في نظر الاهالي مبغضين وعند اولي الراي والتنفيذ جهلاء غير مصلحين وفي نظر اليهود اصدقائهم ضعفاء لا ينصرون كذلك يجني محموم الفكر ثمرات طيشه والحرص المشين

تنفض المجالس النيابية فتمتلىء الجرائد بحديث ما تفاوضوا فيه مستهلة بمدح خدمتهم واحترام هياتهم ويتباهون ايهم اغزر نفعا واكثر انجازا للمشاريع العظيمة والمصالح العميمة فهل كان سبيل جمعيتنا الشورية ذلك السبيل ؟

كلا بل انها حصلت على اعمدة من جريدة الطان وهي اكثر جرائد فرنسا اشتهارا وانتشارا وغيرها من صحف فرنسا المعتبرة ضمنها انكار ما اتته من سوء الصنيع فاحصت عليها اعمالها ونعت عليها مبداها ولقد اتت الطان في ذلك بمقال مسهب يتدفق نصحا واخلاصا ويبرهن على ما لرجال فرنسا من الخبرة والدراية وحرية الضمير ونبه فيه الحكومة الجمهورية الى سوء سيرة هذا الحزب المتطرف بابلغ بيان . ولقد تسابقت الصحف الوطنية اليه فانثلجت صدور الاهالي بترجمته اذ علموا من خلال تلك السطور ان على ضفاء (السين) رجالا غير دوكارنيير واشياعه بل هؤلاء لديهم ممقوتين وانه ليحملنا على نقل فقرة مما جاء في ذلك المقال لموافقتها تماما لما كنا صرحنا به غير ما مرة في صحيفتنا هاته من ان اميال المعمرين هنا تعاكس النفوذ الفرنساوي وتقلل من ظله فلا يتايد الّا بالقوة وان تأييده باللين

والمعاملة بالحسنى اثبت رسوخا واطول امتدادا وان توارد فكر جريدة تونسية مع مثل تلك الجريدة المعتبرة ما يحملنا على نقل دليله من ذلك المقال فقد جاء فيه بعد اسهاب وتنديد بسلوك المعمرين ما ترجمته . (ان الانظار في خلال هذه النهضة التي اخذت تغير هياة كافة الممالك الاسلامية متجهة نحو بلادنا طبعا لانها اصبحت كالوطن للافكار الحرة وفي ذلك اوثق وسيلة لاعلاء شاننا اليوم بالمشرق فكيف نستديم تلك الاحساسات الودية اذا لم نكن صادقين في افكارنا بمستعمراتنا وفي المملكة التونسية نفسها على الخصوص اذا توطدت العداوة بين المعمرين والاهالي فان النهضة السلمية التي ظهرت بين رعايانا المسلمين لا تنجح . ان سلوك الجمعية الشورية قد اساء كثيرا للطبقة الوطنية التي اشرابت النفوذ الاوروباوي وستنفصل هذه الطبقة عنا ولا تبقى لنا عليها سلطة سوى الضغط) . ولقد ايستهم قبل هذا من نجاح امالهم اذ قالت (فكيف يتعامى المعمرون بتونس حتى لا يدركوا ان من المستحيل ان تتركهم الحكومة الفرنسوية يقاومون مقاصدها بالسلاح الذي وضعته بايديهم) . ذلك ومجموع الفكر القيم بفرنسا ينبؤ عن ان الجمعية الشورية بتونس قد فقدت اعتبارها وضيعت نفوذها بالتزامها خطتها العدائية نحو العنصر الاهلي ونحن نأسف لذلك ونراه نتيجة طبيعية اذ كثيرا ما كررنا ان مبادئهم لا يستقر عليها نظام . وانما اسفنا ان يجتمع فريق من نخبة الامة الحامية ثم لا يعدلوا مشربهم حتى تضطر الحكومة الفرنساوية لرفض مطالبهم وهنا نلاحظ ان قد عرف الكل مبادي هاته الجمعية التي التزمت السير عليها وان الاضراب عما ترتائيه نتيجة طبيعية حيث كان مناقضا لمبادي الجمهورية على خط مستقيم وان اعضاء النزلاء قد اخذوا الاغلبية معهم في الاصوات وانهم وان كانوا في داخليتهم احزابا متفرقة فهم في وجه التونسي صوت واحد معاكس

فالمامول من اولي النظر بدولة الحماية ان لا يعتمدوا اراءهم ما لم يضعوا معهم في كفة اخرى راي الاهالي الذي تمثله الجرائد العربية المخلصة ثم النواب ولا يكون المُرجح بين الكفتين إلّا مراعاة المصالح المشتركة وتضحية المنفعة الخاصة في سبيل الصالح العام بل وعدم اعتبار هذه الجمعية هياة شورية وانما هي شركة لاحتكار

منافع القطر بين المعمرين فلا يكون لها من النفوذ ما للهيئات الشورية إلا اذا عدلت مشاربها وتبرءت من الاغراض والعداء وكاني به وهو بعيد جدا ....

ونحن نود لو غيروا اليه مبداهم فانهم يعينوننا على الرقي وزيادة القرب من الامة الحامية في عمر مختصر وامد قليل كما انهم يعينون امتهم على انجاز مقاصدها الشريفة (وان ذلك على حزب المعمرين لشديد) هذا وان سلوك الحكومة الفرنسية في مسئلة تعين نواب الاهالي (على قلتهم) وتخفيف المجبى ورفض مطلب اليهود ما يزيدنا ثقة بوعودها لنا وحسن سيرتها فينا ويبشرنا بانها لا تبتغي مندوحة عن تلك الخطة وذلك ما يزيدنا بها تعلقا وان اغضبنا المعمرين وما دامت لا تحابيهم ولا تتبع رايهم فيما يعود علينا بالوبال وسوء الحال . وفي الختام فانا نشكر من وازرنا من صحف فرنسا ونخص بالذكر جريدة الطان المعتبرة ونرجو ان لا يثنيهم عن مشربهم وسوسة المعمرين

كيف تستعمر الممالك

وتساس الشعوب

عدد ٢٠ في يوم الجمعة ١٥ صفر سنة ١٣٢٨

الاستعمار كلمة جاء بها وبمعناها التمدن الحديث كسائر ما جاء به من كل مزين الظاهر رائق المراى يضم باطنه قبائح الاضرار ويحمل معه كبائر الاخطار فليس في صورته الظاهرة سوى تصيير الخلاء عمارا والبلقع ثمارا . وكل ذلك تهش له النفوس ويتقبله الصدر السليم باحسن قبول لولا انه يحمل المغلوبين حملا ثقيلا ويطوي لهم بين جناحيه شرا ووبيلا . فاذا استطار شره ونمى ضره علم العقل انه قد خدع في الحكم فاستحسن اردى القبيح . ولو علم ان مسمى الاستعمار هو الاستئثار وسلب الضعيف بيد القوي وحكم المغلوب بسياسة الخسف لا تراعى له

ذمة ولا يعصم له دم ولا مال ، وان دلالة الالفاظ على المعاني لم تكن وضعا لغويا فقط بل ومن حيث الاصطلاح ايضا وانه لا مشاحة فيه . لا ايقن بان لا فرق بين سياسة القبط لبني اسرائيل وسياسة اوروبا لهذا الجيل وان البشر لم يرتق في الاخلاق عن ذلك العهد وان اظهر من المخترعات كل جليل وعجيب

نعم غريزتان ما انفكتا عن امرىء (إلّا من عصم الله) ولا تنفكان إلّا بوازع نفسي تبعثه الهداية الالهية . ولولا هما ما سفك دم ولا انتهك حرمة ولا تأصلت عداوة بين افراد عائلة ابوهم واحد وامهم . ولما تأنقوا في اصطناع المهلكات واختراع المدمرات كل يبذل الوسع في استئصال شافة اخوانه ويرجو من يوم لاخر سوقهم بعصى الذل والهوان ولاصبح الناس في مراتع الاخاء يتقلبون ولباتوا على ارائك الهناء مطمئنين . ولولاهما لما ذهبت اعمار قسم كبير من البشر تحت السلاح يتحفزون للوثبة كانهم اسود خادرة وهم في ذاك اشد توحشا من سباع الاجام اذ هؤلاء يقتلون الفريسة لياكلوها والذين يلبسون الذهب والفضة يقتلون ابناء طينتهم ليتمتعوا بمرآهم وهم في دمائهم يتخبطون

نعم لقد ركب البغي بين جناحي المرء وحب الاستعلاء على مساويه حتى اذا لم يجد مساعدة وتسلط عليه غيره ثارت في فؤاده نار الانتقام ولا تبرد إلّا بالزيادة على ما لقي متى وجد لذاك سبيلا . ولولا البغي اولا والانتقام ثانيا لما دالت الدول وتقلبت بالشعوب الدهور ولكن الله لذلك خلقهم وابتلى بعضهم ببعض لينتقم من العادين وعسى ان يحذر الناشئين مصرعهم فيكون المصلحين

لقد علم الكافة ان العدالة كافلة بدوام السلطان وان البغي سيء العاقبة شؤمه سريع ولكن انى للمنتبذ بنشوة الانتصار والحول والطول ان يفتكر في هذا المعلوم عظيم على من ساد واستولى ان يفتكر ان للمسود عليه حقوقا وان الله غير تاركه حتى يؤديها اليه وان هناك قوة اعظم من كل قوة تكون بها ادانة الظالم من المظلوم . ولئن ذكر بذلك من قبل غيره لعظمت عليه الاستكانة للنصح واجاب غير هياب (انما اوتيته على علم من عندي) فيا لله ما اشقى الانسان

خذ لك الحكم على البشر ببقائهم بين البغي والانتقام يترددون إلّا من رحم

ربك . اولئك الذين قمعوا النفوس عن سلوك سبل الغي واثروا بقاء السلطان محروسا بالعدل والاحسان على التلذذ بالبغي والعدوان فانصفوا من انفسهم وفهموا المساواة حق فهمها وطهروا بذلك ذكرهم وزينوا بسيرتهم عصرهم فكانوا غرة في جبهة الايام يعظمهم اعداءهم قبل ابنائهم ويغبطون اخلاقهم وتتلذذ المسامع بذكراهم فهم وان كانوا رفاتا احياء بين مظاهر الاحترام والتبجيل وغيرهم وان كانوا احياء ممقوتون يتربصون بهم السقوط والزوال والتنكيل وما تسنم اولئك ذلك المقام إلّا ببغي تركوه وظلم اتقوه وانصاف اقاموه بينهم وبين العالمين قسطاسا فلم يخالفوه اولئك الذين نهضوا من بعد ضعف فانزلوا اشد الملوك باسا عن اسرة ملكهم وكراسي عزهم ثم لم يغرهم البطر على انتهاك حقوق المغلوبين ولم يستجرهم الحرص الى استئصال منافع المحكومين بل اولئك الذين دانت الامم لصولجان قهرهم فلم يخلعوا اكتافا ولم يقتلوا صبرا ولم يحرقوا بالنار ولم يكتسحوا الارض بدعوى الاستعمار ويكتبون لمن ظللتهم رايتهم بمداد الصدق على ورق الاخلاص (لكم ما لنا وعليكم ما علينا) منزلتهم من عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ان كان يوصي بهم الخليفة من بعده وجرحه يثعب دما وهو يجود بنفسه ويقول (واوصي الخليفة من بعدي باهل الذمة خيرا وان لا يكلفهم ما لا يطيقون) كذلك وكانوا للامم المحكومة بهم محسنين في عصر كان الاحسان عند غيرهم مجهولا

دع عنك ذكر (الراشدين) فليس للالتحاق بهم من سبيل واذكر جيوش المسلمين اذ فتحوا اسبانيا فبروا باولاد ملكها الذي سلبه (رودريق) ملكه واقروهم على عزهم في بسطة العيش وواسع الضياع والمنزلة العليا وقارن بين ذلك وبين ما لقي اعقابهم من (فرديناند . وشارلكان) من المصادرة والابعاد والقتل والتحريق بل قارن بين صنيع هذين المليكين وصنيع السلطان محمد الفاتح (صلوات الله عليه) هذا يمسك لجام جواد بطريرك الاروام حتى يركب كما يفعل لامبراطورة القسطنطينية تالفا لرعيته وتعزية لهم . وملكا اسبانيا ينفذان قرارات مجلس التفتيش المقدس .. وياتيان تلك الفظائع وما عصره من عصرهما ببعيد

وكاني بساسة اوربا اليوم يفتخرون بخلاصهم من ذلك العار ويتشامخون

بانوفهم ويظنون انهم براء مما كان يرتكبه سلفهم ويمنون على المجتمع البشري بانهم اماتوا مسئلة التفريق في الاديان واناطة سلامة الحقوق بها وانهم اليوم ينشرون راية الحرية في كل صقع و واد وانهم لا يهتكون من اجل ذلك سترا ويرون انهم احق من حكم بالشكر والامتنان . كلا وابيك انهم ما وصلوا منزلة القوم الذين سلفوا منا ولا قاربوها وما هم الا في منزلة اصحاب القرون المظلمة او ربما تجاوزوها الى اسفل منها وان ظنوا انهم من المقسطين

ذاك بان سياسة الفتح القاسي الذي كان في تلك القرون هو اجبار الامة المغلوبة على اعتناق دين الغالب او حكمه بالعسف والجور فاذا قبلوا بدينهم نالوا المساواة او شارفوها وذلك كان شان اسبانيا مع من قبل بدينها من المغلوبين وهؤلاء اليوم قد جعلوا الجنسية مناط التساوي واختلافها داعيا للتفاضل وتركوا مسئلة الدين حرة وان هذا المنفذ الذي فتح في هذا العصر للتسوية لاضيق مما فتحه اولئك السابقون اذ يمكن حمل الاجناس المختلفة على دين واحد ولكن لا يمكن ادخال الناس في جنسية واحدة ولا يسمح مثلا انكليزي ان يتساوى مع قبطي ولو كان في كنيسة واحدة وعلى مذهب وحيد . . والقبطي يجد سبيلا لتساويه مع الروماني في الاعصر الغابرة وانى له اليوم بذلك وهو في القرن العشرين . الا ترى انهم اغلقوا بابا للمساواة وتركوا اضيق منه فهل يستحق فاعل ذلك التمجيد !!

ولكن بحقك لو سالت القبطي عن خير اعصره التي مرت عليه وهو محكوم بغيره لكان خير عصر لديه ولا ريب هو عصر يقتص فيه من ابن عامل مصر اذ ظلمه ويشفي منه غيظه بيده بأذن من امير المومنين ويقول له الخليفة (اضرب ابن الاكرمين) ثم يسمعه يقرع ذلك العاعل الفاتح بقوله (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا) لا العصر الاروبي الذي يسويهم مع الحمام فاني لهم بلوغ ذلك الشأو وتلك المنزلة القصوى والتمدن لم يجاوز منهم الظواهر ولم يخترق القلوب بل لو سالت اليهود من عهد سقوط مملكتهم وتشتتهم في اطراف الارض اي مملكة نزحوا منها واي حكم فروا من وجهه هل بين ما يسمون مملكة اسلامية او حكم اسلامي بل تراهم بالعكس اليه يفرون

وهل تدري الفرق بين السياستين وما يأتيان به من النتائج

لعمرك ان سياسة العنف والجبروت واضطهاد المغلوب لضعفه تبشر بتزعزع اركان النفوذ وتنبيء بزوال السلطان وان طال الزمان وذلك شان من سلك تلك السياسة قديما وحديثا وفوق ذلك تنسج عليه عند سقوطه عناكب النسيان وتحشر الامم الاخذة بها في زمرة من باد عينا واثرا ولا يبقى منه إلا ذكر سيء يخجل الانسانية ويقترن بالعار وان شئت البيان فسل عن بقايا الكلدان والماديين والفندال وسل عن لغة الرومان مع لغاتهم يجيبك الكل من وراء سور العدم انهم عتوا وبغوا فقضوا ولم يبقوا فعلا جميلا ليذكروا ولم يتحببوا لرعاياهم بالعدل والاحسان فيحفظوا مركزهم في الوجود

الشعر البديع

(شكوى الى الدستور العثماني)

لشاعر الشرق معروف الرصافي

عدد ٢٠

شكاية قلب بالاسى نبض العرق ❊ الى قائم الدستور والعدل والحق
ملوك على كل الملوك ثلاثة ❊ لها الحكم دون الناس في الفتق والرتق
واقسم اني لا اكون لغيرها ❊ مطيعا ولو من اجلها ضربت عنقي
فهل ايها الدستور تسمع شاكيا ❊ بك اليوم يرجو ان يرى نهضة الشرق
لقد جئت من افق الصوارم طالعا ❊ علينا طلوع الشمس من منتهى الافق
فصادفت منا امة قد تعشقت ❊ لقاءك حتى جاوزت مبلغ العشق
ولم نبد عنفا حين جئت وانما ❊ هتفنا جميعا بالوفاق وبالرفق
وظلنا نرجى منك للخرق رقعا ❊ ولكن تراخى الامر متسع الخرق

بك اليوم اشقانا الاولى انت مسعد ۞ لديهم فيا لله للمسعد المشقى
نراك بايديهم على الخلق حجة ۞ وانت عليهم حجة لا على الخلق
قد استأثروا بالحكم وارتزقوا به ۞ وسدوا على من حولهم منبع الرزق
كانا لهم شاة فهم يحلبوننا ۞ وكم مخضوا اوطاننا مخضة الزق
وهم يأخذون الزبد من بعد مخضها ۞ ولم يتركوا لساكنيها سوى المذق
اترضى ان تختص بالحكم معشرا ۞ وتصبح للباقين جبرا على رق
وهم يردون الصفو منكم ولم نرد ۞ سوى نغبة من بعض سؤرهم الرنق
فما نحن إلّا كالظماء وانهم ۞ كساق يرينا الماء عذب ولا يسقى
الم تر انا طول عهدك لم نقم ۞ نسابق اهل المجد في حلبة السبق
ولم نستفد إلّا سقوط وزارة ۞ وتاليف اخرى مثل تلك بلا فرق
وما ضرهم لو اسقطوا نهج سيرهم ۞ وساروا بمنهاج التبصر والحذق
الم يبصروا للعدل غير طرقهم ۞ فان طريق العدل من اوضح الطرق
وما ذا عسى يجدي سقوط وزارة ۞ اذا لم تقم اخرى على العدل والصدق
مضى كامل من قبل حلمي وان جرى ۞ كما جريا حقي فمثلهما حقي
وما الهم عندي بالذي قد ذكرته ۞ وان كان يشجيني ويدعو الى الزعق
ولكن وراء الستر كف خفية ۞ تزحزح من شاءت عن الامر وتبق
ولولا يد شدت لساني بنسعة ۞ لبحت بسر كالشجا هو في حلقي
فيا ايها الدستور فاقضي بما ترى ۞ وابرق ولكن لا تكن خلب البرق
ولسنا نريد اليوم حكما عليهم ۞ ولكن نناديهم وندعو الى الحق
تعالوا الى امر نساويه بيننا ۞ وبينكم في الجل منه وفي الدق
فان يفعلوا هذا فيا مرحبا بهم ۞ وإلّا فيا سحق المعاند من سحق
سنطلب هذا الحق بالسيف والقنا ۞ وشيب وشبان على ضمر بلق
بكل ابن حرب كلما شد هزها ۞ بعزم من السيف المهند مشتق
تراه اذا ما عبس الموت وجهه ۞ بوجه يلاقي الموت مبتسم طلق
من العرب مطبوع الطباع على العلى ۞ بديع معاني الحسن في الخلق والخلق

الى الملتقى يا مستشفى (۱)

عدد ۱۸ في ۲٤ محرم سنة ۱۳۲۸

كل حين تظهر لنا بوادر بل حقائق لا مراء فيها ولا نزاع في صحتها تنبئنا بان بابا الطمع والرجاء قد غلقا في وجوهنا وان كل التغيرات الحديثة قد جاءت لتكون قاضية على الامال وبرهانا على قطع الرجاء وان الحال لا تزداد إلّا تعاسة. وقد تحققنا من الان انه لم يبق لنا صدر يحمل الضيم وقلب يصبر على الالام حتى كادت اصوات التطرف تنفجر من افواهنا لنطالب بكل شدة حقوقنا المهضومة وامتيازاتنا المغصوبة ولم يرضها النداء باستلفات والتماس حسب عادتها القديمة وترى ذلك من استعمال اللين موضع الشدة وطلب المستحسنات في مقام طلب الواجبات وإلّا كيف تسلب منا خصوصياتنا ونحن لا نزال نترجى تحسين الحال والتخفيف من الاثقال والعكوف على ما بقي بايدينا قناعة وزهدا وتساهلا وتنازلا شان المغلوب على امره مع ضعف الادراك والتفكير . نعم اننا لو حاسبنا انفسنا على تفريطنا لكنا الجانيين وإلّا ما سبب تقاعسنا وتناعسنا وتنازلنا ونحن على شفا جرف الانقراض وقد غلت ايدينا عن تكسبنا وارتزاقنا وقيامنا بلوازم الحياة ولو البسيطة

(۱) استصدر كاتب الدولة العام لذلك التاريخ امرا عليا في فصل المستشفى الصادقي عن جمعية الاوقاف باعطائه ذاتية مستقلة تحت ادارة كبير اطبائه وجعل ميزانية له خاصة به . فانزعج الراي العام من هذه الاجراءات التي في طيها صبغ ذلك المعهد الخيري بغير صبغته الاصلية خصوصا بالنظر الى سوء سلوك ذلك الطبيب الذي استبد فيه قبل هذا التعيير بالنفوذ . لحد انعدام النفع فيه للفقير وانقلابه الى عيادة طبية تتوارد عليها الاغنياء وذوو اليسار حتى ضاقت على الفقراء رحابه !

وفعلا وقع ما توقعه الراي العام وتغيرت ادارته وتبدلت دفاتره واستبدل لسانه العربي بفرنسي وعدوله ووكلاؤه بفرنسيين فكان اصلاحه مسخا ونفعه العام قاصرا على الوكيل . وتحقق بذلك مدلول العنوان اعلاه وهو (الى الملتقى يا مستشفى)

فلا نكاد نقرا الاخبار او نسمع المتواترات على الالسن إلّا ويعترينا الاياس من مزعجاتها المؤذنة بانصباب وابل من المقت المميت

كم نسرد وكم نعدد وكم ننتقد مع ان مصائبنا التي حلت بنا او على وشك الاحلال لا يفيها حصر ولا يكفيها تعداد وكان التعرض لما هو معلوم ومشهور من باب فناء الاوقات فيما لا يجدي نفعا ضرورة انه قد رسخ في الاذهان فلا فائدة في إعادته خوفا من اشمئزاز النفوس وانكسار القلوب ولكننا الان لا غرض لنا إلّا بسط مسألة هي من الاهمية العظمى ولئن كان وراءها حرجا للافئدة واحراقا للاكباد إلّا ان واجب الاصداع بالحق يحملنا على ان لا نغفل عن المهمات ليعرف شعبنا انه في موقف حرج ولتحقق الحكومة نفسها ان لابد لها من مراعاة ذممنا وصيانة حقوقنا

اما تلك المسالة فهي الاشاعة المتواترة (واشاعة السوء محققة) من ان ادارة المستشفى الصادقي بجميع حيثياتها ستسند الى كبير اطبائها ليكون هو المسئول عنها وله الحق في ان يبعد التونسيين ويوظف الاروبيين وينيط اعمالها بمن يشاء ولو من السافلين اذ العهدة عليه

وفي مقابلة ذلك سبعين له ربع مليون في السنة يتقضاها مشاهرة جزاء قيامه بهاته الوظيفة المتشعبة ومع ذلك فقد لاقى احسان الحكومة والتفاتها اليه بمزيد الترحاب واعرب عن خلوص نيته باقتصاده في مصارفها وذلك انه اعلم وصرح بان الادارة آلت اليه وهو عازم على تاخير غالب موظفي الاهالي مع الوعد بانه سيكون في اعانتهم حتى يدمجوا في زمرة مستخدمي جمعية الاوقاف وغاية ما في الامر انهم ينتقلون من ادارة الى ادارة كي يتسنى له بعد ذلك ادخال تنظيمات حديثة للمستشفى وتلك التنظيمات هي

اولا ـ تكليف احد افراد البوليس الذي كان يحرس العاهرات (الفرنسي بلا شبهة) بان يكون وكيلا للمستشفى عوض الوطني الذي كان يشتغل فيه ومات منذ زمن

ثانيا ـ ابطال القلم العربي وتاخير العدول

ثالثا ـ اجراء تحسينات داخلية لم يبينها ونحن ايضا نجهلها ولربما كانت ادهى

وامر لان هذا الرجل له مساوي مع الاهالي لا تعد ولا تحصى فلا يفكر في امر إلّا وفيه الوبال لهم ناهيك به يوم كان طبيبا ولا قوة بيده ولا نفوذ لديه يعامل المصابين والمبتلين معاملة وحشية فيراهم مترامين امام المستشفى على قارعة الطريق ولا ياذن لهم بالدخول حتى كادوا ان يجلبوا الوباء لاهل العاصمة وفوق ذلك لم ينصت لاقوال الصحافة المنددة عليه في ذلك الحين وقد كنا انتقدنا عليه ولم يزده ذلك إلّا طغيانا فكيف تكون مجرياته اليوم بعد ما يصير صاحب القوة والنفوذ

نعم امن الانصاف ان يجازي المسيء بمثل هذا الاحسان وينال مثل هذا الانعام وتتوجه اليه الانظار فاذا كان محبوبا وعزيزا عند احد رجال الدولة فانه مبغوض عند الاهالي الذين يتضجرون من فساد صنيعه احيانا . اما رجال فرنسا المنصفون فيعز عليهم الجنس الاهلي اكثر من معزة طبيب ولئن كان ماهرا في صناعته ومتضلعا في حرفته لان توفر معلوماته الطبية لا تؤهله الى وظيفة ادارية ومالية وتنفيذية ومراقبية في آن واحد زيادة عن كونه غير محترم السلوك عند التونسيين وان الاوقاف اوقافهم والمستشفى مستشفاهم ومن الغبن ان يتداخل في خصوصياتهم ويثرى من ارزاقهم وهم لا يريدون . ومن جهة اخرى كيف تتعدد الوظائف في شخص واحد لا يمجده إلّا الجنس الفرنسي وباقي اوصاف الكمال فهو خال منها وبعيد عنها باطلاق . وهل تسمح الحكومة باخراج الاهالي من المستشفى ترضية لخاطره وتتميما لمرغوبه ولو اقترح ما يناقض العدل ويعاكس الانصاف وتوافقه على رايه لتزيد في ويلاتنا ولتكثر في تشكياتنا ونضيف هاته المصيبة الى اخواتها التي سبقت

والله ان هذا العمل لا يهون علينا وقعه وانا منه لمتضجرون . سلبت الوظائف الدولية منا واعطيت الى غيرنا ونحن شاخصون متحملون كان البلاد ليست بلادنا والدولة ليست دولتنا وصرنا صغارا لا رئاسة لنا وغيرنا يسومنا سوء العذاب ولم يقف الخطر عند هذا الحد حتى تفاقم الامر وآل الى ان تكون اموالنا الخاصة ـ الاوقاف ـ يتصرف فيها ويتمعش منها من ليس منا مع ان فينا من توفرت فيه شروط الكمال بغزارة المعارف مع حسن السيرة وخلوص الضمير .

فبحياتك انظر ـ ربع مليون ـ تعين لفرد اجنبي وتحرم منه عشرات العائلات

الاهلية ـ ربع مليون ـ ينفق على طبيب حقه ان ياخذ كامثاله عشرات المئات فقط ـ ربع مليون ـ من مال الاسلاف لو بني به مأوى ثاني لكفى ـ ربع مليـون ـ لو اسست به تكية ثانية لكفى ـ ربع مليون ـ لو احدثت به مدرسة صناعية لكفى ـ ربع مليون ـ لو صرف في تربية وضبط المتشردين لكفى ـ ربع مليون ـ من مال الاجداد والمستشفى وما حوى يعطون لابرانسفيك وهو طبيب وجراح

فالى هاته الحالة وصل التبذير في اموالنا ونحن فينا الفقراء العاجزون والمستضعفون المتوكلون ، نحن لا نرضى ابدا ولا نوافق ابدا ولا نسكت ابدا

وفي الختام فان اغفلتنا يا جناب الكاتب العام وسيرك فينا على مقتضى الحكمة والعدل فستحوجنا لان نرفع اصوات نداء في صومعة باريس (يا رجال الانصاف نحتمو كم) ....

عدد ٢٠ في ٢٩ صفر سنة ١٣٢٨

لقد اسمعت فيما سلف ان سياسة العنف والجبروت واضطهاد المغلوب لضعفه تبشر بتزعزع اركان النفوذ وتنبيء بزوال السلطان وان طال الزمان واستطلعت اخبار بقايا الكلدانيين والماديين والفندال ولغة الرومان مع لغتهم وعلمت كيف غمر جميعهم العدم لعتوهم فبادوا ولم يحفظ لهم التاريخ ذكرا جميلا

فسل عن العرب الذين تفرقت عشائرهم وزال الملك منهم منذ قرون هل اتى عليهم ما اتى على الذين من قبلهم ، كلا بل هم كما كانوا في عصر ملكهم دعوتهم قائمة ولغتهم محفوظة ومن غلبوهم على امرهم يودون الانتساب اليهم ومنزلتهم في قلوب من استعمروهم مكينة فهم بسياستهم تلك قد صيروا الجزيرة العربية الى امثالها الافا ونشروا لغتهم بين المشرقين وبين المغربين فهل لقيت امة من امم اروبا على سعة نفوذها وامتداد سلطانها ان توجد امة في غير ارضها جعلت لسان التخاطب لسانها وان عز ذلك على امم التمدن اليوم فقد اتيه العرب بحسن السياسة منذ قرون ، مهلا ايها الحريصون على استعباد العباد والاستئثار بخيرات البلاد فالعاقل من اشترى العاقبة بحظ من العاجل قليل ، ولا تسرفوا في غمط الحقوق

ثقة بقوتكم وزهوا بحولكم فما العمران الا بالعدل والمساواة وما الفتح الا فتح القلوب ولا تخفى عليكم الشهوات فما من شهوة الا الى ثقل والى ضير تصير

جاء العرب بآيات البراعة في الاستعمار وما هو الا الرفق وبسط الاء العدل بين سائر الطوائف المستظلة براية واحدة وبالجملة اعتبار الحاكم نفسه اجيرا على اقامة القسطاس وعليه من مؤاجره رقيب عتيد دون ان تحدثه نفسه بانه القاهر المتسلط وانه عند ظلمه للضعيف ما عليه من سبيل كما هو شنشنة اقوياء الغرب اليوم الذين لا يدور بخلدهم حديث عقبى البغي الا قليلا . افلا تنظر بعد ذلك ما يعاني اليوم هؤلاء من جراء الشره وما اجتنى اولئك من فراغ البال

ان الجيوش التي فتحت الشام والعراقين ومصر وافريقية هي التي تشاجرت بعد بضع سنين مع بعضها واتقدت من اصطدامها حروبا تسعرت نيرانها فالتهمت قسما كبيرا من قوتهم وكان بالظن ان ينتهز اهل الذمة الفرصة وهم حديثو عهد بالفتح وسلب الملك فيسهل اسعار الثورات ويقرب الحدس نجاح اجلائهم عما افتتحوه . نعم ذلك يكون لو كان للمحكومين اضغان عليهم من جراء سياستهم لهم بالعسف والشجع في احتكار الاثمار . اما والمصري وغيره يجد تلك المعاملة ممن غلبوه على امره فانه يكون معذورا اذا حارب قومه لتاييد سلطان من متعوه بالمساواة باكمل معانيها وتمثل في الخيال لو ثارت حروب داخلية تشبه حروب اهل البيت والامويين في امة استعمارية واتصل استعارها قرنا او حواليه هل تسكن المستعمرات تلك السنين الطولى ولا تسمع منها صوتا . وهل لا تحسب تلك السنين الطولى الامة حساب مستعمراتها ولا تفكر انها تنتهز اول فرصة لخلع نيرها . كلا بل ذلك اول فكر لاروبا فيما استعمرته من الداني والقاصي كل ذلك لعلمهم انهم لم ينهجوا في استعمارهم نهج السراط السوي وانهم لم يمتعوا الامم التي احتفظوها بما يشتهون ارايت لو اوقف هؤلاء الحرص عن المد والنفوس عند الحد اليسير يخففون عن انفسهم قسما كبيرا من التجهيزات ويريحون كثيرا من عناء المرابطة والاغتراب ويكون العدل الحق حارسا لسلطانهم والرفق ذائدا عن حماهم كل حائم

انظر الى وقت قيام العباسيين في وجه بني امية وملكهم يومئذ ممتد الى حدود

فرنسا ترى العرب وقتئذ قد امتشقوا السلاح في اوجه بعضهم وثارت اليمانيـة على المصرية وامتدت تلك الثورة الى حيث انتهت رايات العرب . هنالك ترى الخـلافة ملقاة بين الشامي والعراقي يتنازعهما من يرى ان له فيها حقا والجيش الـذي هو قوة الامة وسياج سلطانها قد انفرد لبعضه وولى المستعمرات ظهره حتى بقيت بلاد الاندلس ثلاثة اعوام بلا حاكم وبلا نصير ولكن مع ذلك ترى المستعمرات هـادئة واهلها مقبلون على الاشغال لا يبتغون عن اولئك بديـلا وبلاد الانـدلس التي هي حديثة عهد بالفتح يومئذ والتي كانت دار الملك على بعدها من مقر الخـلافة وقربها من ممالك المسيحية تبقى امام تلك الفتنة ساكنة حتى تلقي لعبد الرحمـن الداخل بالقياد ويؤسس فيها مملكة على انقاض مملكة الاجداد . فبعيشك انبئني هـل تجد لمثل هذا في تاريخ استعمار اوربا من مثيل . ولا تقل كما قال المـؤرخ جورجي زيدان من ان الانكليز شبه ذلك فان الفرق بعيد . ارى ان هؤلاء قد جعلوا للسياسة مدارسا وتلقوها دروسا وكل ذلك لم يمنعهم من القلق على مستعمراتهم ولم يهدهم الى وجه يخففون به عن كواهلهم ما اثقلها ويعقدون المؤتمرات للسلام فلا يجدون اليه سبيلا . اين هم مما اوتيه اولئك الرحل الذين تعشقوا البوادي ووطئوا طرف الحضارة ونعيمها فما اغراهم ذلك عن انتهاك حرمة الانصاف

اما وعيش اولئك لوكان لهؤلاء رغبة في دوام سلطانهم ما تكلفوا له بعظيم وليس إلّا قمع من يريد التهجـم على الحقـوق منهـم والزامه جادة القسط وبسط الرفاهية على سـائر البشر الذين لنظرهم من غير تفريق في جنسيـة او مذهب بل النظر الى الغالب والمغلوب من الوجهة البشرية فلا تسمح القوة الحاكمة بايلام احـد اياكان ومن اي وجهة خوفا من ان ينال المؤلم مثل ذلك الايلام ولا يكون عنصره الغالب شافعا له بل بالعكس يكون معظما ذنبه اذ المقصود من استعمار الشعوب القوية للضعيفة انما هو محو اسباب الضعف عنها والاخذ بيـدها الى مرتقى الاقوياء ذلك ما كلف الله به من رفعهم على بعض عباده درجات . ولوكان المقصود تسليط القوي على الضعيف ليمتص قوته وينهش جسمه ويزهو بالاستعلاء عليـه لكان الكواسر من الوحوش احق بمنصب الحكم واجدر بالاستعمار

هذه ذكرى اتينا بها ليتدبرها من اغفلها ممن يهمهم بقاء نفوذهم وسيطرتهم حتى يستيقنوا ان سياسة العنف والخسف واحتكار المصالح وعدم الاحتفال بالاهلي في مطالبه وحاجياته ومنافعه سياسة لا تعاني العمر الطويل ولا تثبت إلّا بالعدد الوافرة والتجهيزات المثقلة ووفرة السلاح والبنود واقل منهـا كلفة واطول عمرا واحسن احدوثة سياسة الرفق واللين واشتراك المصالح واقامة العدالة بكل معناها بين اصناف الافراد المستظلة براية واحدة وان اختلفت المذاهب والشعوب فتلك التي اصلها ثابت لا تفتقر لمهلكات ولا لمدمرات ولا تفنى وان مرت الاجيـال وهي مزدوجة النفع يطمئن بها الغالب ويرتاح لها المغلوب وان الاعراض عن اقتفائها لمشين لفكر المعرض ومموله في التاريخ اسوأ قرين

حديث الاصلاح

بالمعهد الزيتوني

عدد ٢٢ في يوم الجمعة ٧ ربيع الانور سنة ١٣٢٨

ماكان حديث الذ في المسامع وقعا واشهى للنفوس وقوعا من يقظة الزيتونيين لما يعوزهم من اصلاح ذلك الروض الزاهر الذي انبت قدما كثيرا من جلة العلماء وكان مفخرا للقطر التونسي عظيما والذي اصبح اليوم بسيئات التكاسل وقلة العناية مشرفة زهوره على الذبول . وماكان ذلك حظ الجامع الاعظم ممن نالوا منه اسمى المناصب واقتعدوا بفضل العكوف بين عرصاته ارائك المراتب لو ادوا الحق لاهله وبذلوا النصيحة لخلفهم ولكن شآء الله ان لا يفكر في ذلك اولوا الامر والنظر وان يقتصروا على قبول الحديث من التقبيح دون ان يبدوا رايا او يبتكروا مشروعا حتى شعر التلامذة قبل الشيوخ وتجمع الصغـار قبل الكبار وواجه التلامذة الحكومة بمطالبهم وكان الاحرى منهم بذلك النظار . اجل لقد طفح البشر على قلوب الذين

عرفوا الجامع الاعظم وما يغذي به ابناءه وتسرهم الامال في مثاله اذ رددت الاصوات صدى مطالب الزيتونيين واتحادهم جهرة على رفعها وباركوا لهم جمعهم المشهود . فحبذا ما اتوه ولنعم ما ارتاؤه ولعل الفوز لهم محقق بذلك فليفرحوا فهو خير لهم مماكانوا يؤملون . ألا واني اليوم لست بمقتصر على شكر سعيهم او مدح جدهم فان المدح والشكر ربما ارتاحت لهما النفوس ففترت عن العمل وهم اليوم قد طرقوا بابا مرتجا ولهم في ولوجه مرتجى فأخوف ما يخاف عليهم ناصح امين ان يفشلوا او يقنعوا بالدون ولكني سأطرح بين ايديهم ما يعن لي في مبداهم الخطير واني وان كنت على غير يقين من الاصابة فاني لم اكن متطفلا اذ تلك هواجس مني بها خاطري مذ كنت اتجرع ما هم اليوم يتجرعون وما كان الناي بمذهب ذلك عني فان ذلك المعهد الجليل له ما لمسقط الراس من الحنين .

لقد رفعت الصحف على اعمدتها مطالب الزيتونيين وان تلك المطالب في جملتها تشبه مطالب المضطر في مخمصة وهي ادبية اكثر منها مادية ولعلها بعضها يحتاج الى التنقيح . ذلك بان الجامع الاعظم محتاج لاصلاح دروسه واصلاح هيأة القائها واصلاح تهيئة متخرجيه وتأمين مستقبل اولئك النابغين وهم بالتقريب ادخلوا الكل في (اصلاح التعاليم) او عرجوا على القسم الثالث وشيء من الرابع اذ طلبوا ابطال الدروس الاختيارية التي تقع اثر شبح الممتحنين للمقالة واعفاء المتطوعين في الخدمة العسكرية ولقد اتوا على شيء من القسم الاول فطلبوا بعض الكتب وانتقدوا بعضها وحيث قد تشكلت لجنة للنظر في مطالبهم فالمامول ان تتبع كل ما يقال بشان ما تشكلت له والمرجو ان لا تالو جهدا في اقتفاء الصراط السوي وذي النفع العميم

ان الجامع الاعظم مدرسة دينية ولا ارى احدا ينازع في ذلك . وان المدارس اليوم في سائر الاصقاع المتنورة تسير في كل عام على ترتيب خاص (بروقرام) تهيأة اللجنة القائمة عليها اثر العطلة السنوية وعليه يكون سير ادارة المدرسة وفي كل اوقات العام تكون الدروس معرضة للتفقد من طرف اللجنة تفقدا كافيا يعرف مقدار سير التلامذة وتحصيلهم ومبلغ علم اساتذتهم في تلقينهم وتوخيهم في ذلك طرق ايصال المسائل للفهوم . ان الجامع الاعظم من ذلك محروم ولماذا ؟

ثم من وظيفة اللجان العلمية ان تبحث عن الكتب ايها احسن تحريرا واسهل اسلوبا واكثر للمسائل جمعا فتراها تغير الكتب في كل فرصة ممكنة ولا تسمح فيها بكتاب لا يتغير قرونا اذ قد علمهم العلم الحديث ان اسلوب افهام هذا القرن غير ما يفهم به اهل القرن قبله وانه يجب تغيير الاساليب في التعليم على ممر الازمان وفي ذلك من الفوائد دون ما قرر في تنشيط الهمم وبعث العزائم على التاليف والجهد في البحث عن الاسلوب المرتضي وبدون ما يحصل ما نشاهده من جمود الهمم عن التاليف وكل يعلم ان كلا من اساتذة الجامع الاعظم بل ومن التلامذة من يقدر على شرح الاجرومية مثلا بشرح مناسب للعصر اقرب من شروحها الموجودة للفهوم بل ابدال المتن باقرب منالا واسهل مساغا ولكنه اذا كان يستيقن انه لا غنى عن الشيخ خالد بمقتضى القانون فالتلميذ لا يرغب في الجديد لكونه لا يغنيه والشيخ لا ينبعث للتاليف لانه لا يعنيه وهكذا ابقيت دروس الجامع اسارى بايدي الكتب التي تضمنها قانون مر عليه جيل وعليها قرون . ان المصريين الذين نسير اليوم في كليتنا الدينية والادبية بكتبهم العتيقة قد القوا ما بايديهم منها إلّا قليلا واقبلوا على التاليف بالاساليب الحديثة فالفوا في النحو والصرف والبلاغة والاداب فاختصروا الطريق للطلاب وخففوا عنهم كثيرا من الاتعاب افهم يكتبون الخطا ويعلمون الخطا ام لهم ما ليس لنا من الاستعداد والتفكير . فلماذا لم يدخل شيء من تلك الكتب في برنامج التعليم بالجامع الاعظم ولم لا يسعنا ما وسعهم من تغيير الاساليب وفيه ما تقرر من النفع العميم ان الجامع الاعظم من ذلك محروم فلماذا ؟ الم يأن للذين تهمهم حالته وعقباه ان ينظروا في تراتيب المدارس المرتقية ثم لا يقصروا به دون بلوغ تلك الرتبة عسى بذلك ان ينسد العوز الموجود ويتحقق المبتغى المفقود فما التراخي بمفيدهم شكرا وما كان الجمود على عتيق التراتيب لهم عذرا فالنسخ قد نزل بكل قانون وتحدث للناس اقضية بقدر ما يحدثون

ان الترتيب (الخيري) لم يحجر فيه الاستنباط والتنقيح والتبديل وانا لا نرى في الاعمال الجارية ما يناقضه وما لا يتضمنه وذلك علمنا انه قابل للتبديل والتاويل . اضر امر في الجامع الاعظم اسلوب التعليم وهو اول ما يعتبر في المدارس

اليوم ولقد جعلوه مما يدرس وآتوا فيه الشهادات ولعمري ان ما ارتاءوه لحق فان المعلم فاتح للافكار بان للمعارف في ساحة الفهوم فاذا كان بالفتح والبناء غير خبير فربما تبدل خيره شرا واتى من حيث اراد النفع ضرا، وكافي بمشترط الدروس في امتحان التطويع قصد اختبار التلميذ في كيفية القائه للمسائل يوم يصير استاذا ولقد فكر خيرا لو توخى القائمون على الامتحان مقصده ولكنهم قد مضوا ردحا من الزمن على اكتفائهم بسماع دروس كتب عالية منسقة اجمل تنسيق بليغة العبارة طويلة الحصة تكون نتيجة لتحضير يدوم يوما وليلة الى ان نقح هذا الترتيب بالاكتفاء بدرس واحد وتعويض الباقين بتحرير فقهي واسئلة في تسعة علوم وعلى ذلك مضى عملهم منذ من نحو عشر سنوات حتى زادوا درسا يحرر وقتيا يلقي التلميذ حاصل ما فهمه منه لدى لجنة انتصبت لهذا الغرض ثم هم يباحثونه فيما فهم بحث مختبر في هيأة استرشاد وهذا الدرس بعض ما ينقمه جماعة الزيتونيين ولا يكبر على اخواني الاعزاء بان كراهتهم لهذا في غير محلها اللهم إلّا للاستغناء عليه بالاختبار السنوي العمومي وها هم قد طلبوا اسقاطه على ممتحني التطويع كما ان الجاري اليوم من ترتيب الامتحان غير مفيد . كما اني وان اراهم لم يركبوا متن الشطط في طلبهم تغيير اللجنة في كل عام فلهم بذلك الحق والمطلب العدل غير انهم تجاوزوا الحق اذ طلبوا تسميتها بانتخابهم فان تسمية لجنة الامتحان من حقوق الادارة لا من حقوق التلامذة في كل معاهد العلوم واولى لهم او طلبوا تسمية نائب عنهم لدى النظارة بانتخابهم تكون وظيفته الدفاع عنهم وطلب الصالح لهم اسوة بالمدارس حتى التونسية لكانوا في ذلك اعدل طلبا . عفوا فقد استرسلت القلم في خطاب اولئك الاعزاء آمال المستقبل وحماة اللغة والدين انسا بمساجلتهم التي عهدتها في عصر الصبا خير العصور فلنثني عنانه نحو العطفة التي مال منها وهي اصلاح سبل التعليم . فاقول لقد اثبت العلم باساليب التعليم وايده العقل والتجريب انه لا يصح التساوي في الترتيب بين افراد المعلمين في مدرسة تعلم العلوم الابتدائي والثنوي والعالي فهم قسموا التعليم الى هاته الاقسام وقسموا عليها المعلمين ومايزوا بينهم في الشهادات والرتب والمعاشات وانك لتجد التعليم في الجامع الاعظم مقسما الى هذه

الاقسام والاساتذة على ثلاثة رتب ولكن لا تجد ما به الحاجة من التوزيع العدل بين مراتب الاساتذة والتعليم .

كلمة مع جريدة التونسي (۱)

عدد ۲۲ في ۷ ربيع الاول سنة ۱۳۲۸

الا من تكن قد ساته فكرة الشعب الاسرائيلي التي اوحت اليه طلب التملص

(۱) (التونسي) هي الجريدة التي كان يصدرها فقيد الوطن المرحوم السيد علي باش حانبة دفين دار هجرته الاستانة العلية

وهي من الصحف الوطنية الصادقة بالنظر لمبدأ مديرها الفاضل رحمه الله تعلى ولكن بالنظر الى بعض محرريها كمن يدعى قلاتي فانها تتيه احيانا الى ان تصل لسواحل الذبذبة والضلال . ومن ذلك المقال المتعرض له المعنون (بدار الباي) الذي هو من مبتدعات المشار له ومن انشاءاته فانه قد انتقد فيه بعض حكام قصر القصبا اعني الكتابة العامة لوقوع اختيارها لمنصات القضاء العدلي على متخرجي الجامع الاعظم عمره الله تعالى بعلمه وتقواه في حال انهم غير اهل لذلك . لقصورهم وخلوهم (في زعمه) من معرفة القضاء وفقهه . وناعيا عليها عدم ترجيح متخرجي المكاتب الفرنسية ذوي الشهادات الحقوقية . فاحدث فتنة بين الوطنيين لا غاية منها سوى التوصل لنقد (دار الباي . . . .) وشخصية حكامها واحداث انقسام بين نابتة تجمعهم رابطة الدين والوطن لا غير . . .

وقد زاد القضية وحشة كتب المقال المشار له وقت ان طلب نائب اليهود فصل امته عن تبعة المحاكم العدلية التونسية بعلة ان حكامها من شيوخ الجامع الاعظم المشرأبين حب الفقه الاسلامي والمغترفين معلوماتهم من كتبه العتيقة . وان الضمان للحقوق شيء غير المعيار وخليل . . . . وبهذا الفصل وبتاريخه يعلم سلوك المشار له في غاياته منذ اعوام . فتامل وقل ما اشبه الليلة بالبارحة وما اقرب راي محرر التونسي ومقترح نائب اليهود في المدلول

من السلطة التونسية بلسان عميده لدى نادي الشورى فليعلم ان من بين سواد الامة المسلمة من ابرز تلك بشكل امر من الاول مذاقا وابشع منظرا . ويا للاسف ان كان ذلك بلسان عربي بين اعمدة جريدة تدعى الوطنية وبامضاء من لا يظن انه على فكر اليهود . اي وايم الحق لقد تم ذلك على صفحات التونسي في مقالته المعنونة (بدار الباي) ولا يكبرن عليك هذا التصريح فسالقي اليك من البيان ما يحمر له وجه صاحب تلك المقالة خجلا ان كان بين افراد من طرح به الطيش واغمى الحسد فؤاده حتى لم يجد ما يطلب ولا ما يقول . الم تسمع لعميد اليهود وهو ينتقد اعطاء وظائف العدلية لمتخرجي الجامع الاعظم فان تكن الامة قد ساءها انتقاده ففي مقال محرر جريدة التونسي موافقته تماما . ثم الم تسمع له وهو يتذمر من تسلط الفقه الاسلامي على ابناء جلدته ويطلب تعويضه باحالتهم على القانون الفرنسوي ان يك قد ساء الامة ذلك فمقال (التونسي) يوافقه في الطلب اذ هـو يرشح للقضاء العارفين بالحقوق الفرنسوية وهم بالضرورة اصفار غبارية في الفقه الاسلامي ويتذمر من اسناد الحكم للمبرزين في العربية والفقه الاسلامي ولا ذنب لهم لديه إلّا خلوهم من معرفة الحقوق الفرنسوية التي هي غير القانون التونسي اليس ذلك طلب محو القوانين التونسية واحالة الحاكم والمحكوم على القوانين الفرنسوية وهل تستطيع فرقا بينه وبين مطلب اليهود سوى انهم طلبوا ذلك خاصا بهم صراحة (والتونسي) يطلبه عموما ويستحي من التصريح وان كان بينهما تفاوت فكاني باليهود اعدل طلبا لانهم في الحالين يحكمون بغير شرعهم اما محرر جريدة التونسي فانـه يطلب دفن البقية الباقية من مظاهر السلطة لقومه واحالتهم على قانون لا يعرفونه وليس لهم بملائم وهو يود بمطلبه هذا ان يجعلهم مذبذبين وحقوقهم موكولة الى اجتهاد المبرزين في الحقوق الفرنسوية لا يحكمونهم بشرعهم لانهم لا يعرفون ولا بالقانون الفرنساوي اذ ليس لهم قوة التشريع وربما فاق مدير التونسي زميله اليهودي اذ طلب هـذا الطلب بعد القضاء برفضه اما عميد اليهود فانه طلبه وقت المناقشة او بالحري في وقته وكذلك المبرز في الحقوق يعرف اوقات الطلب !!!

حقيق بامة تظاهرت ضد مطالب اليهود ان تقابل من ايده بالمقت والازدراء

وجدير بمن مس امته في اكرم عضو منها ان يرجع بالتحقير والازدراء . وما على من انتصر لنفسه اذ ظلم من سبيل . كذلك نقم ابناء المعهد الزيتوني غفر الله لهم على هذا الكاتب وتداولوا معه ابناء طائفته وما كان لهم بذلك من حق لولا حدة التغيض اذ المجرم هو المسئول وحده عن جنايته وودنا لو فطن بما ارتكب من الطيش فاستغفر واناب ولكنه اخذته العزة بالاثم وجادل بالباطل ليدحض به الحق واتى بسانحة سائمة ما ان لها في الخبط من مثيل وودت ارتباط جملها حتى يتمكن الناظر من نقدها او التسليم ولكن تابى طبيعة سقيم الفكر ان تاتي بشيء مستقيم واني سالقي ما تضمنته بين الايدي عسى ان يتوفق احد افهم الغازها فربما دعي كاتبها بالنبيل

يقول مخاطبا للزيتوني ان علمك بالنحو والصرف والاصول والفقه وعدد له علوما اخرى لا تهيئك للقضاء اي بين امتك ولكن المهيء للقضاء معرفة قوانين الامم الاخرى اى لتقضي بها بين قومك وهبك عرفت وعدد له القوانين التي وضعتها الحكومة التونسية فان معرفتك لا تضمن العدالة في حكمك لان الحكومة لم تسن للمرافعات قانونا وجعلت الامة في قبضة اعوانها فاخلال الحكومة بهذا المهم يلزمك ان تعتزل القضاء ليتقلده المبرزون في الحقوق ... وذلك يكفي ضمانا للعدالة . ثم اتدري من جعل الكفيل للعدالة نعم (وهو اغرب ما يسمع) ان من كان عالما بالاقتصاد السياسي والمالي هو الذي لا يسمع سوى صوت الضمير . وما كفيل العدالة بالحقيقة سوى الوازع النفسي الذي تتاصل جذوره مع التربية الدينية التي يعلم بمقتضاها انه مسئول امام ديان عظيم وهل يوجد لها منبع اصفى من المعين الذي يتفجر بين عرصات الجامع الاعظم دام عمرانه امين

ليت شعري هل يصح لامريء ان يخاطب فرنسويا بقوله ان معرفتك للقانون الفرنساوي لا تكفي لنزولك منازل القضاء ولكن دعها لمن يحسن قوانين الامم الاخرى . وان لم يصح هذا فكيف يصح لك ايها الكاتب (الباسل) او المغوار كما قلت ان تخاطب التونسي باعتزال القضاء لانه يحسن قوانين امته ولا يحسن قوانين غيرها من الامم ثم تقول غير خجل انه يعتزل القضاء لان الحكومة لم تسن قانونا للمرافعات وجعلت الامة بيد الاعوان . فهل ثم فوق هذا الاديم وتحت ذلك الرقيع

من يلقي ذنبا على من لم ياتيه ويعلل بمثل هذا التعليل . رحماك اللهم لملقي السانحة فانه مغرم بتعديد الاسماء دون نظر الى المعاني والمسميات فهو يجمع الالفاظ ويكثر العطف وللناظر البحث عن المناسبات والارتباط اذ ذلك شيء لا يهمه ولا يحاسب عليه . او تظن ايها الكاتب ان غيرك لا يناظرك فيما قلت ويقول لك ان معرفة اللغة الفرنسوية والجغرافيا والطبيعة والكيميا والجماستيك ونشيد لافونتين ومعرفة الفرائض في عهد الرومان لا تكون عدة للقضاء بن التونسيين ولكن عدته معرفة العربية والفقه الاسلامي . وهبك عرفت ترجمة نص عربي الى افرنسي فكيف يكون حالك عند التامل في رسم لعقد لا تعرف ركنه من شرطه ولا مفسدا من مبطله ولا مفهومه من مداوله . ثم انبئني عن وجه نقدك لمن وضعتهم الحكومة للتمرين لدى محكمة الاستئناف وما كرهته من ذنبيك الشابين اللذين قلت أنهما مرتديين وكاني بحضرتك المتردي اما هما (فمرتديان) هـل ارتداءها بالزي العربي . ام سكوتهما وهدوهما وجلوسهما ذلك المجلس . وكل ذلك لا يكرهه عاقل افتريد ان ياتيا هناك بالالعاب الرياضية التي يجهلونها وتلقاها جنابكم دروسا قتلت وقتا كبيرا في تحصيلها تحسبها علما جليلا فزت به على ابناء المعهد الزيتوني وكاني بمعلوماتك الباهرة التي تاهلت بها بحسب رايك لمنزلة القضاء صوبت لك قياس محكمة الوزارة على محكمة الاستئناف بالجزائر فاشرت متهكما على وكيل الجمهورية باتباع هذه الخطة في المعاونين بقضويات الصلح وما علمتك وقد رافعت في محكمة الوزارة كثيرا وقرات نظام محكمة الجزائر دروسا تغلط مثل هذا الغلط في الحكم فتسوى بين محكمة تصدر الاحكام واخرى لا تتجاوز سماع المرافعات ولا تعدو بيان اوجه الاستئناف حتى يتحراها المترشحون للقضاء . اني اخشى عليك ايها الحقوقي اذا وسد اليك القضاء ان تغلط مثل هـذا الغلط في الحكم والقياس ولا تكون معرفتك بقوانين الامم الاخرى عذرا لك اذا ناقشك المدير او الوزير . ثم انبئني عن تلك القوانين الوضعية التي سردتها من اين علمت ان الزيتوني لم يطلع على نصوصها وهي سهلة التناول محكمة التنسيق لا يصعب معرفة خاصها من عامها ومقيدها من مطلقها على من قرا العموم والخصوص والاطلاق والتقييد دروسا وميز بين ذلك في كتب هي اعسر اسلوبا واقل تنقيحا من تلك القوانين الوضعية ولكن يصعب عليك فيما يظهر التمييز بين ذلك

اما والذي لا يحلف بغيره لقد سرنا مبداك الذي كنت فيه مساعدا لمن تقدمك لا مؤسسا كما تزعم وسرنا احتفال بعض جرائد باريس بنفثات قلمك . ولكن ما كان يخيل لنا ان ذلك سيعود عليك بالضرر ، ويحملك على ما جنيت البطر ، فنفخ في معاطسك وظننت انك تسامي بتلك المنزلة رؤوساء الاحزاب وقادة الافكار وخيل لك السكر بالشكر انك تخدم مبدأ مبتكرا وتؤم حزبا (وان الحق في غير ما تظن) حتى اذا دخلت قاعة المحكمة بالوزارة ورايت فريقا لا يعلمون ما علمت ويجهلهم من عرف اسمك وهم مع ذلك ارفع منك مجلسا واعلى منصبا تاججت نار الحسد بين جوانحك وتصاعد الى الرشد دخانا فاضعته ونزلت بما كتبت منزل الطيش والخفة وما انتبهت الى ان لدى اولئك من المعلومات (ما هواوسع بكثير مما قتلت الزمان في تحصيله) وان ما حصلته ليس بشيء في جانب ما اوتوه من غزارة العلم وتوقد الافكار وانهم اعضاء عملة في هيئتهم الاجتماعية وليسوا مثل حضرتكم اعضاء متشنجة ان تحركت يوما كانت غير مستقيمة .. اولئك هم نبغاء الجامع الاعظم الذين لم تعرف مناصب القضاء غيرهم قديما وحديثا والذين تدرجوا بمعلوماتهم الضيقة في نظرك فبلغوا اسمى الدرجات وازدانت بهم الوزارات وساروا بالحكومة في زمن كنت فيه بعيدا عن الكون سيرا عرفه لهم رجال الحماية وباهى بهم فضلاء الشرق ابناء الازهر المعمور (١)

مهلا ايها الحدث (الدخيل) فغير الاغراض اولى بك في مبداك ولا تكن كالتي نقضت غزلها من بعد قوة فان ذوي البصائر من اولي الامر ربما فطنوا لما ترمي اليه فيكون انتقادك لديهم منتبذا ويرونك في النصح مغرضا وما لك وللزيتونيين والصادقيين فشانك مع الحكومة ان تطالبها بالكفالات للعدالة وايجاد ما ينقص المحاكم التونسية من دوائر الاتهام والمدعي العمومي واستقلال القضاء وسوى ذلك ، وما ابعد هاته الاشياء عن المساس بكرامة فريق من امتك هم اعزها ، ولا تقولن لمن هو ارسخ منك في المعارف قدما وارفع مكانا واجل منصبا مثل ما ساف منك من

(١) راجع ما كتبه الاستاذ الشيخ محمد رشيد رضى في مجلة المنار الاغر سنة ١٣٢٦ في ترجمة الوزير الاسبق بوعتور والوزير بعده الشيخ جعيط

الهذيان فان معلوماتك وان اعجبتك ليست بشيء بجانب ما اوتيه ابناء المعهد الزيتوني من سعة المدارك وبعد الغـور في الافكار ولا يكونن جهلك بها مستندا لحكمك بانكار فضلها فالحكم اذا كان مستنده الجهل كان بالخطا حقيقا وبالازدراء خليقا

وحسبك ان تناقش الحكومة على ما لها من التراخي في كفالة حقوق الاهـالي فهي الى اليوم لا يوجد لها مجلة تجمع الاحكام الجناحية والجنائية وليست بها اصول مرافعات ، واين ما تناقش عليه هو صدور الاحكام منها لـدى المحكمة العايا بغير الطريقة العلنية وتنازع الاحكام بين المجاس والادارة والطابع السعيد

انا لنرى مثل هذا الراي ونود لو وجدنا من امثا لكم مساعدة دون انتقاص احد او توهين ساعد او اطراح عضد معين

النفائس الشعرية

(وقـفة عند قصر شراغان)

قال فرزدق هذا العصر الاستاذ معروف الرصافي في رثاء قصر شراغان مقر مجلس المبعوثان بدار السعادة لما احترق ونصها

اصبحت اعـذل نـوابا واعيـانا ❊ عـذلا كـنـار تلظت في شراغـانا
قصر اطل على البسفور مرتفعـا ❊ اليه يشخص طرف العـز حيرانا
ذو زخرف يبهج العين التي نظرت ❊ حتى تـراه لها نـورا وانسـانـا
راقت مبانيه اتقـانا وهـندسة ❊ مستوقفا صنعها من مر عجـلانا
كـل القصور عبيد وهو سيـدها ❊ اذ كان اتقنها في الحسن بنيانا
يمشي المهنـدس فيه وهو ينظره ❊ مشي المقيـد يستقصيه امعـانا
يضم كـفيه للابطين منبهرا ❊ مقلبـا في الاعالي منه اجفـانا
عرش به تعرف الناس الجلال اذا ❊ لاح الجمـال على مبناه الوانـا
لو كان عرشا لبلقيس لما خضعت ❊ للامر حين اتاهـا من سليمـانا

فيه الحوادث امست وهي ناطقة * بالسن دلعتها فيه نيرانا
فلو رأيت به النيران مضرمة * والريح تصفق للنيران اردانا
رأيت ملك كبيرا ثم محترقا * تذيب منه لظى النيران عقيانا
طالت به السن منهون تلحسه * لحسا يدق قوى البنيان ايهانا
يا درة في فم البسفور ضيعها * قوم وكان بها البسفور مزدانا
كم قد تجلت بوجه البحر مشرقة * ورصعت في رؤوس الهضب تيجانا
لما انهدمت بشط البحر محترقا * ابكيت في البحر اسماكا وحيتانا
لم يبق منك لهيب النار باقية * ولا من القوم ابقى عنك سلوانا
معاول من شواظ النار هادمة * يا للعجائب كالاطواد جدرانا
قمنا أمامك والنيران صائلة * تدك منك على الاركان اركانا
كم هدة لك بين النار تفزعنا * حتى نظنك منها صرت بركانا
يهتز فيك لهيب حين نبصره * نهتز بالحزن ارواحا وابدانا
فانها تملا صدر الجو ادخنة * ونحن نملاء صدر الارض احزانا
ما اشرف القوم لو كانت مدامعهم * مطافئا لك تجري الدمع غدرانا
يا ويل راى امرء قد قام مجتهدا * يسعى بجعلك للنواب ديوانا
حتى اذا كنت للنواب مجتمعا * بانت عواقب ذاك الراءي خسرانا
للنار فيك حسيس كنت احسبه * ضحكا على من بسوء الراي ابكانا
اشكو الى الله قلبا لا يطاوعني * ان لا اكون على الاوطان غيرانا
يا قوم ان بصدر الشعر موجدة * لا يستطيع لها سترا وكتمانا
ما بال نوابنا امسوا نوائبنا * اذ لا يبالون مكروها تغشانا
اما كفى انهم لم يعملوا عملا * حتى ارادوا اجتماعا في شراغانا
هم يطلبون قصورا ينعمون بها * ونحن نطلب للاوطان عمرانا
ليس الجلوس ببهو القصر مفخرة * لمن هم اليوم اشقى الناس اوطانا
قد ضيعوا الحزم حتى انهم ندموا * على الذي كان منهم بعد ما كانا
يعيش ذو الحزم مسرورا ومغتبطا * وتارك الحزم لا ينفك ندمانا

واحزم النـاس من ان نام بات له ۞ طرف على حدثان الدهر يقظانا
اين الطريق الى العليـاء نسلكهـا ۞ فاننـا لم نزل يا قوم عميـانا
لا الشعب يخلع اثواب الخمول ولا ۞ نوابه يلبسـون الصـدق قمصـانا
النـاس تسعى لدنيـا نحن نهملهـا ۞ ما اسعد الناس في الدنيـا واشقانا

المسالة الزيتونية

عدد ٢٥ في ١ رجب سنة ١٣٢٨

لقد كان مرشد الامة اقرب ذي حق للقيام في المسالة الزيتونية التي ثار قتامها ثم بردت جذوتها وهو من الموانع في حجاب

فلقد كان غيابنا عن العاصمة قاطعا عنه الظهور وما كان لولا ذلك ليهمـل امر مسئلة هي له من المسائل الرئيسية التي وقف لاجلها الحياة وانشيء للذود عنهـا ولقد كان فوات تلك الفرصة عليه عزيزا ولئن فاته حكاية ادوار تلك المسئلة وفصولها التى كانت تبرز حيا فحينا فماهو بتارك البحث فيها من الوجه المفيد وما دامت الوسائل لم تنتج نتيجتها الطبيعية فهي موجودة في الاعتبار وان طوى بساطها الاهمال ولا بـد يوما ان تبين النتائج . عهدنا بالتلامذة الزيتونيين وقد حرروا عريضة يشرحون فيها ما يشكون ويشكون فيها مايشرحون ويبينون فيها فساد الحال وسوء المئال ورفعوا بها اصواتهم وايمانهم الى الحكومة فاخذت يومئـذ منهـم باليمين وقابلت شكواهم بالانصات ووعدتهم بالانصاف وشكلت لجنة للنظر فيما قدموا لكنها سارت في ماموريتها سيرة سلطان المغرب في تنفيذ شروط القرض فضاق لذلك الصدر منهم كما ضاق صدر الجمهور من سياسة التسويف ووقر في نفوسهم ان الحكومة ستسير فيهم على مبـدا الامهـال ان لم ترض قاعدة الاهمال خصوصا وان من بين تلك المطالب ما يتعلق الامتحـان السنوي الذي اظلهم زمـانه لذلك عيـل الصبر منهم وذهب عنهـم اليقين

فقاطعوا الدروس واعلنوا الاعتصاب وابلوا فيه بلاء عظيما وكان (ويا للاسف) مع ذلك عقيما فهم في اعتصابهم يومئذ بين مشرد وسجين ومن الشر منه بالمرصاد ثم اقلعوا عن الاعتصاب بعد تأكيد الوعد الاول وعود من جنسه وثقوا بها وفرحوا بما اوتوا فاخذوا بغتة وكذلك يقع من لم يجرب الامور . ظنوا بانفسهم الفلاح والانتصار وعمهم بذلك الاستبشار واقاموا الزينات ودعوا الى الحفلات وتليت الخطب والمقالات فبأي شيء كانوا فارحين

لعمرك انهم لم يرجعوا إلّا خاسرين افرادا من نبغائهم كان محل تقتهم بهم ونوابا عنهم فاخرجوا من الجامع وحرموا من ثمرة اينعت وحان قطافها وخسروا وقتا كبيرا في اثبات اصولها وما كانوا مجرمين وانقلبوا ايضا بحفظ (الحالة الراهنة) إلّا جزء قليلا من المسائل الثانوية ليس لها اثر كبير . بهذه النتيجة رضوا ولها اطمأنوا او رجعوا مسرورين ولهذه النتيجة استب المصلحون (رغما) وخرقوا سياج الاداب وتجاهروا بالعداء يتنازعون ايهما بذلك زعيم

وما اولئك إلّا من انفسهم زعماء وما هؤلاء إلّا كمن على الاثر ولم يسقهم مساقهم ذلك سوى شغف الزعامة ومرضه العضال وانى لهم بها وهم دونها لو يتفكرون على انها نتيجة شوهاء سيئة الوقع كريهة في السمع ذات شؤم ووبال فليدعها من شاء ممن يلتذ بالبشع ويتهافت على الكريهة ولقد عرف الفكر العام بها قيمة الجامع لدى الحكومة وما اعدته لاهله من عناية او اهمال كما عرف مقدار التصلب في الاغراض لدى النظارة شان متغلب على الدواعي الدينية والعقلية، وفوق الحكمة والاناة يحملها على القسوة البعيدة اللين

وماكان هذا الشان شان الحكومة او وقعت تلك المسئلة في مدرسة كارنو او احدى المدارس التي تحت وقاية ادارة الحماية وما كانت لتتساهل مع اعوانها او ساموا اولئك من الخسف بعض ما لحق الزيتونيين الذين شهد لهم سائر اصناف السكان بالهدو والسكينة والمحافظة على النظام . اما وقد راينا المجامع تعقد رغم معارضة الحكومة وعدم رضاها على مبداها ثم لا ينال احد ممن ضمته بادنى سوء ولا تقام على احد من زعمائها ادنى قضية ولو ارتكبوا من الطيش والتشويش ولكن بالعكس كانت

معاملة الزيتونيين في تلك الاثناء فان نصيبهم من ذلك ان سيقوا مع المجرمين الى مأوى اللصوص واهل الحرابة والجرائر الشنعاء وهم من ابناء العائلات الذين يسمعون بالسجون كما يسمع غيرهم بالبلدان النائية والاقطار القاصية فحكم القدر عليهم بالسجن لانهم كانوا طلبة للعلم والاصلاح وافترشوا حصير الحصير

وليس امر الحكومة في ذلك باعجب من امر النظارة العلمية فانهم نسوا ان رحم العلم احق ان توصل وانهم في مقامهم ذلك ابناء لكل من ضمته دروس الجامع الاعظم وغير خليق بالوالد العالم ان تنسيه المحافظة على حقوقه للواجب الذي عليه نحو ابنائه فانهم مكلفون ببذل الجهد في تحر الطريق الاقوم للسير فيهم من الوجهة الدينية حتى يقوموا بما عهد اليهم خير قيام ومن الوجهة الادبية يحرصون على فخار ينالونه باعتنائهم لينالوا بذلك ذكرا في تاريخ العالمين جيلا

ذلك لم يكتفوا به بل اعرضوا حتى عن سماع المطالب واكبروا ان يكونوا غفلوا عن شيء ينبههم اليه صغار التلامذة وهم يعلمون ان المنفرد بالكمال واحدا لا شريك له واكبروا ايضا ان يعزل من اقاموه وان تتعقب اراءهم فيه وقد علموا ان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه عزل سعد ابن مالك وهو احد العشرة لشكوى اهل الكوفة مع كونه لم يبدل فكره في صلاحه حتى جعله عند الموت من اهل الشورى ومثل عمر خير قدوة لممثلي الشرع في هذه الديار ولو انهم صرحوا لهم اول مرة بقبول ما طلبوه من تبديل لجنة الاختبار والذي فعلوه بعد ان نال السوء التلامذة كل النيل لاخمدوا تلك الجذوة التي ثار في وجوههم دخانها وتسبب عنه غلق الجامع الاعظم الذي لم يحفظه التاريخ منذ اقامة جدران ذلك البيت العتيق

كبر عليهم ذلك واعظموا ان يجيبوا الطلب او يسمعوا شكوى ابنائهم او يرجعوا فيما قرروا وانشأوا لهذا الاعتصاب جمعية قالوا انها دبرته وطلبوا من الحكومة ابعادهم عن الجامع وحرمانهم من ثمرات التعلم والتعليم فما هي الجناية التي استحقوا بها صارم العقاب . الاعتصاب وقع من كامل التلامذة والمكاتيب حررت من جميعهم والخطب القيت من كثير منهم فما بال اولاهم المجرمون . وان يكن شيء من الذنب لهم في اعتقادهم فليس إلّا انتخاب اخوانهم لهم لينوبوا عنهم في ابلاغ الحكومة

شكواهم ان كان هـذا ذنب فهو مزدوج بين المنتخبين والمنتخبين ، وكيف يكونون مذنبين في طلبهم هذا والحكومة تشكل لجنة لما طلبوه فهي شريكتهم في الاثم فليحكم عليها مثل اولئك بالابعاد ، مضت كل تلك الادوار بما فيها من سداد او فساد وفتح الجامع بعد غلقه واسترحم التلامذة الحكومة لاخوانهم المرفوتين فاحيلوا على النظارة العلمية واعلموا ان حق الرفض والقبول عندها فما كان صنع القوم عند القدر يا ترى

لم يعفوا ولم يكظموا الغيظ ولم يريدوا بالانتقـام بديلا

وكانوا كمثل من يرغب في العفو عند القدرة والحلم عند الغيـظ والصفح عند الذنب (على فرض وجوده) ويسعوا جهد الطاقة ان يدخلوا ضمن (واذا ما غضبوا هم يغفرون) ولكنهم رغبوا عن كل ذلك مقابل الانتقام من احد عشر تلميذا لانهم طلبوا الاصلاح وجاهروهم بما لا يريدون

من للعفو اذا ومن للاستهداء بهدي الدين بعد اولئك الاعلام اللهم غفرا فانك عفو تحب العفو والعافين ولقد الهمت اصفيائك العفو وكرهت لهم الانتقام فادخل اللهم النظارة العلمية ضمن من احببت ووفقهم حتى يكونوا المحسنين

الضرائب الجديدة

او

الازمة الشديدة

عدد ٢٣ في ١ ربيع الثاني سنة ١٣٢٨

الشعب لا تستقيم اموره ولا تعمر بلاده إلَّا متى سلم مقاليد مصالحه العامة الى هيئة خاصة منتخبة من بين افراده لتدبر شئونه وتدبر لوازمه طبق درايتهـا وخبرتهـا بمقتضيات الاحوال بعد نظرها بعين البصيرة والتروي في كل مهمـاته الضرورية وبعبـارة اوضح عليه ان يفوض اليها كل سلطة ونفوذ لتذود عن شرفه

وتحافظ على بيضته وبهذا التوكيل يكون مطمئنا لانه كلف اهل اقتدار يرفعون عنه الاضرار ويوقفون ما يعتريه من الاخطار ودابهم خدمة مرغوباته والوفاء بواجباته وفي مقابلة ذلك يتكفل لها بأداءات تنقد لمن يحفظون ماله ويصونون احاده ويؤمنونه من الاعتداءات البشرية ويخففون عنه الاخطار الطبيعية . وهذه الهيئة يعبر عنها بالحكومة وبدونها تتلاشى الحقوق وتقهر الاقوياء الضعفاء وتسير المجريات على نقيض العدل والمساواة . فالناس في اشد الاحتياج الى الحكومة التي تتكفل باحترام الناموس العام وتعطيل كل تيار يضر بالجامعة القومية الا انها قد تغالط احيانا فتسير في الطرق التي تظن فيها الصلاح حتى تقود الشعب الى تحمل ما لا يطيق وتوقعه في مزالق عاقبتها وخيمة عليه . فمثلا تسعى الى التحسينات الزائدة وتجبره على قبول ما يلزمها من النفقات . فالمشاريع التي تستدعي الاداءات يجب ان تكون على نسبة دخله ومقدار ثروته وليس من الممكن ان تشاطر الافراد الخاصة (وهم الموظفون) الجامعة العامة (وهي الشعب باسره) فيما يكتسب بالتعب والمشقة ومن اللازم ان لا يعطى الا الجزء التافه للحكومة لتصرفه في نفقات اصلاحاتها ومرتبات موظفيها والجزء الاعظم يبقى للافراد يتصرفون فيه كما يشاءون

وليس من وظيفة الحكومة تعاطي الاعمال العظيمة الا متى كانت حركة الشعب متوفرة وثروته طائلة نامية واذا كان يعجز بفقره عن مصاريفه الشخصية فلا يتم لحكومته بحال ان تجمل بلاده بالزخارف السطحية وتدخل عليها بهرجة المدنية التي بالطبع تحتاج الى توفر المال وهو مفقود والشعب لم يفهم بالواجبات الاولية فكيف يتكفل بالتحسينات الثنوية

نعم ان غلط الحكومة كثيرا ما يكون بالخطا في معيار حالة الامة ووزن ماليتها بقسطاس غير معتدل تنزل احدى كفتيه المرجوح عوض الراجح او تمييز البعض عن البعض في الموظفات بما ينافي التوازن كالتثقيل على جنس والتخفيف على ءاخر حتى تحتكر الخيرات في طائفة دون سواها وهذان الخطئان قد اعتريا الحكومة التونسية لما ارادت تنزيل المجبي والرفق بالافراد الذين اثقلت كاهلهم بحمل اداءات ثقيلة لا يستثنى منها صغير ولا كبير ولا غني ولا فقير وترفيع معاليم الاعشار والزياتين والنخيل والمراجع والعقارات الخ

اما الاعشار (اعشار القمح والشعير) فقد صار اصل القمح كله نعمة في جميع الجهات بدل دراهم في بعضها وان اداء النعمة يقدر بنحو السبعين فرنك والدراهم بثلاثين محددة على الدوام واصل الشعير اضيفت اليه خمسة عشر فرنكا في المائة في كل البقاع سواء التي كانت تدفع نعمة او دراهم

واما الزياتين والنخيل والمراجع والاداء العقاري الخاص بجزيرة جربة فقد ضم اليها اثنين وعشرين في المائة

واما العقارات فقد زيد في ادائها فرنكان وعشرون صانتيما

وفوق ذلك قد تحولت الصانتيمات الاحتياطية الاختيارية الى حتمية اجبارية وتوحيدها بتصييرها ـ ٨ ـ على الفرنك في جميع اعمال الايالة

وبهذا يتبين ان العوز المالي الناشيء عن تخفيف المجبى قد سدد بتثقيل الاداءات القديمة واحداث الجديدة . هذا وانا لا نسلم ان المداخيل لم تتوفر في الخزينة الدولية ولم تتضاعف عن ذي قبل ضرورة ان الذين ربحوا في السنة نحو الثمانية فرنك بعد تنزيل المجبى هم بين فلاحين وخماسة وملاكة . وبلا شك ان الفلاحين خسروا بسبب الزيادة اكثر مما ربحوا . والخماسة الذين ينوبهم الخمس من ربح الفلاحين قد قل دخلهم وخسروا اكثر مما ربحوا . والملاكة لما زيد في اداء عقارهم خسروا اكثر مما ربحوا . هذا بالقياس على الذين يدفعون المجبى فان الحكومة قد خسرتهم اكثر مما ربحتهم اما اهل المدن الخمس فكل ما زيد في موظفاتهم قد رجع للخزينة الدولية وكذلك المليون فرنك الماخوذ من شركة مقاطع الفسفاط بقفصة

فيظهر من هذا التدقيق والتتبع الجزءي ان الحكومة قد ربحت ووفرت في خزينتها من حيث تخاف العجز المالي بالنسبة الى مداخيل السنة الماضية

ويتبين جليا ان الشعب قد احدقت به نوائب جديدة وما كاد يقبل بارتياح التفات الحكومة الى حالة فقره وما اصبح عليه من توقيف مصانعه ومتاجره ومزارعه بسبب الزحام التي قد تعاظم والتضائق الذي قد تكاثر حتى كان محروما من خيرات بلاده وثمار وطنه بينما ياتي النزلاء فارغو اليد ولا يلبثون حتى يستغنوا من مكاسبه

لان الاحياء الناشطين اذا تمتعوا بالتسهيلات الدولية لا بد وان يمتصوا دماء الاموات الذين لا ناصر لهم . وعليه فقد توقف دولاب الصناعة وتعطلت وسائل التجارة وماتت الفلاحة . لان الصناعة قضت عليها الجالية السيسيلية والايطالية . والتجارة تحتاج الى رؤوس اموال والفقر قد عم . والفلاحة قد استحوذ عليها المعمرون الذين ملكوا الاراضي الواسعة واشتروا الهناشر الشاسعة الاطراف ولم يبقوا بايدى الاهالي الّا الاراضي الجذبة . ولذلك فان الموظفات الجديدة جاءت في وقت اشتدت ازمته على التونسيين وبالتنقيص من الجزء اليسير الذي لم يسلب منهم بعوامل التحاكك الحاضر قد اوقعوا في الاخطار التي لا تطاق مصائبها

بهذا اشتد تذمر الشعب من هذه الازمة المحزنة وقدم شكايات مقبولة الى من لهم النظر يدافع بها عن حقوقه الشرعية واوفد الى الحاضرة مئات من كل الاعمال ليمثلوا للدولة شكوى الفكر العام ولم تتقاصر سكان الحاضرة عن التجمهر بالزوايا وتقديم العرائض وبالاخص للزيادة الفادحة في المعاليم البلدية التي وطأتها اكثر على اهل المدن . وبما ان النزلاء والاهالي يعيشون من موارد البلاد التونسية ويستغلون خيراتها الطبيعية ويربحون من مكاسبها العمرانية فمن الواجب على الحكومة ان تشارك الكل في الاداءات على نسبة معقولة ولا سيما وان الاجانب هم اسعد حظا ولم تقفل في وجوههم الادارات ولم يحرموا من الوظائف الشريفة وان الاهالي لا محيص من افلاسهم لو تبقى معاملتهم جارية على هذا المنوال ويتلاشى من جيوبهم كل درهم ودينار ويصبحون غدا في موقف اعظم من اخطار اليوم

ومما يخجل ان الزيادة الحديثة تساوي الثلث بحساب ما كان يدفعه المزارعون واصحاب الزياتين والنخيل والمراجع . ان الشعب اصبح اليوم متنبها وقد زالت عنه الغفلة ويود ان يشارك الحكومة في الراي ويطلع على كل الاعمال التي لها علاقة بشؤونه الاصلية والحال ان العالم الناهض بأسره منح حرية النظر في مصالحه على ان هذا الشعب تحميه دولة عظيمة من اول دول العدل والانصاف

نعم قد يقال ان لنا مجلسا شوريا تعرض عليه الامور الهامة ولكن اذا تاملنا نجد جل اعضائه اجنبيين متعصبين لا يراعون الذمم ولا يحترمون الانسانية والاعضاء

الاهليون لا اغلبية معهم ما لم ترجح اقوالهم دولة العدالة وامتها الفرنسية ، زد على ذلك هم منتخبون لا على راي الامة بل بواسطة الحكومة بانفرادها ولذلك فغالبهم لم تخوله الكفاءة والدراية الى النظر في عواقب التنقيحات المالية ولو كان لنواب الاهالي ما لنواب النزلاء من الكلمة في المجلس لعمت الخيرات ونمت الارباح ولسعد الكل .

النزلاء لم يتكفلوا بشيء من الموظفات الجديدة ولو كان للاهالي صوت في المجلس لكان التثقيل على الجميع . ومن المغالطة ادعاء ان المجبى ضريبة اهلية يجب ان تسحب تعويضاتها على الهيئة الاهلية لانها احدثت لاستخلاص الديون وتصفية القروض على انها لم تنفق في هذا السبيل بل صرفت في بهرجة المدنية الكاذبة واستفاد منها النزلاء في الاكثر . وقصارى القول ان الشعب بلسان واحد يصرح ويلح في العدول عن هذا المسلك ومراعاة جانبه لان الوقت قد حان لتحسين حالته بدل الزيادة في اداءاته وتضعيفها بما لا توافق عليه شريعة من الشرائع ط . ع

مسيحي يتكلم

على بلاغة القرءان

عـدد ٢٤

لم ار مرشدا يبعد الانسان عن التعصب ويدنيه الى مرتبة الكمال كالعلم فانه يهذب النفوس ويصقل مرآتها ولا غرو (فالناس موتى واهل العلم احياء)

ولم ار اضر من الجهل على الانسان فانه يقصيه عن درجات الكمال ويقعد به عن كل محمدة ويدفعه الى التعصب فيجني على نفسه وغيره

العلم والجهل هما ككفتي الميزان اذا ارتفعت احداهما انخفضت الاخرى ولولا العلم لكان بعض الحيوان ادنى الى الشرف من الانسان واذا اردت برهانا على نزاهة العلماء عن التعصب فاقرأ فيما يلي ما كتبه حضرة العلامة الشيخ سليمان افندي البستاني مبعوث بيروت والرئيس الثالث لمجلس المبعوثان العثماني فقد قال

حفظه الله ، اذا ثبت ان لعكاظ ونظائرها فضلا في تمحيص الفاظ اللغة فالفضل العظيم في استحيائها واستبقائها انما هو للقرآن الكريم فهو الذي احكم تراكيبها وابدع في تنسيق اساليبها وصعد بالبلاغة الى اوج مراقيها بل هو الذي جمع جامعتها وهذب عباراتها . ولما ارتفع منار الدين الاسلامي كانت اللغة العربية تنتشر بانتشاره على وتيرة واحدة في مشارق الارض ومغاربها . ولا عبرة بما كان يعتور لغة العامة من الركة واللكنة بمخالطة الاعاجم وبعد عهد الجم الغفير من الجالية العربية بالانقطاع عن اصولها فان القرآن كان ولا يزال رائد الكتاب يرجعون اليه في مواضع الاشتراك ويتمثلون بعبارته ويتفقهون ببلاغته فكان من معجزه حفظ اللغة العربية الفصحى على اسلوب واحد منذ ثلاثة عشر قرنا مع تفريق حفظتها وتشتت المتكلمين بها

وفضل القرآن على الشعر العربي يكاد يضاهي فضله على لسان العرب لان بلاغة الكبيرة تهيج الفطرة الشعرية سواء كانت نثرا او شعرا ولهذا اكثر لغط القائلين في اوائل الاسلام ان القرآن كلام شعري فجاءت الاية بتكذيبهم (وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو إلّا ذكر وقرآن مبين) فلذلك اجمع ائمة العرب على ان الشعر لا يعد شعرا ما لم يكن مقصودا بالوزن . فان جاءت العبارة موزونة على غير قصد فليست من الشعر في شيء . وامثال ذلك كثيرة في القرآن والحديث . فمن الايات القرآنية (من كان منكم مريضا او على سفر) و (واخرجت الارض انقالها) و (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ومن الحديث (هل انت إلّا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت) . وان للافرنج اسلوبا نثريا في الكتابة يتعمدون فيه تنميق العبارة بما لا يجوز اتيان مثله في النثر البسيط ويتوخون فيه اثارة العواطف والخوض في عالم الخيال ومذهبهم فيه بخلاف مذهب العرب اذ يعدونه من فنون الشعر وان تجرد من القالب الشعري ولم يقصد به الوزن والتقفية . واذا كان اللسان العربي خلوا بعرف العرب من هذا النوع من الشعر فان في القرآن من البلاغة ما لم يجتمع له نظير في نثر ولا في شعر . فلا غرو اذا ان يكون هو الناهض بهذا اللسان تلك النهضة التي وطدت اركان فصاحته وهذبت مقول الشعراء حتى اربت بلاغة التركيب وجزالة اللفظ في المخضرمين والمولدين ممن اكثروا من تلاوته وسماعه على مثل من

تقدمهم من فحول الشعر الجاهلي ـ قال ابن خلدون (وكلام الاسلاميين من العرب اعلى طبقة في البلاغة من كلام الجاهلية لانهم سمعوا القرآن وحفظوا الحديث ايضا . ولذلك تجد شعر حسان والحطيئة وجرير والفرزدق وذي الرمة والاحوص وبشار ابلغ من شعر امرء القيس والنابغة وعنترة وابن كلثوم وزهير ونحوهم)

وخلاصة القول ان لغة الاعراب في البادية ومنطوق سائر العرب في حواضرهم ما زالا يتراوحان بين الصعود والهبوط والتقارب والتباعد حتى هذبهم شعراء عكاظ واتى القرآن فكان فيه القول الفصل والمنهج القويم والحجة الكبرى والاساس الوطيد واذا كانت عكاظ بين نخلة والطائف في الحجاز فلقريش في الحجاز منزلة لا تعادلها منزلة بين العرب ولهم سدانة الكعبة كان الشعراء الوافدون من اليمن وبادية الشام وهضاب نجد وبرق تهامة وسائر اطراف البلاد العربية يتشبثون جهدهم بلغة قريش المضرية وكانت اذاك اللغة المعول عليها بين اكثر قبائل الحجاز ونجد فقويت وما لبثت ان فازت بالغلبة في منظوم الشعراء

ثم جاء القرءان فاحكمها ذلك الاحكام الذي يدهش له الاعجمي فضلا عن العربي وهجر ما سواها من لغات سائر القبائل في النثر والشعر إلّا بقية من الاصول النحوية والاصلاحات التركيبية

وكانت لغة قريش تزداد رسوخا في اذهان الشعراء وشيوعا بين العرب كلما دانت قبيلة منهم بالدين الاسلامي بعد سماع آي القرءان ولا سيما بعد ان قاما الشعراء القريشيون فاخذوا باطراف البلاغة وكان لهم القدم المعلى في الشعر كما كان لهم من قبل في رفعة القدر . وهو غير خاف انه كان لقريش قصر في الشعر في الجاهلية فلم تكن لهم فيه مقامات عالية ولم يرتفع شعراؤهم بطبقتهم الى طبقة نوابغ الشعراء من سائر القبائل لان العرب كانت تقر لهم بالتقدم في كل شيء إلّا الشعر ولما استنهضتهم بلاغة القرآن واقبلوا على النظم فيه فاجادوا ايما اجادة ونبغ منهم الفحول كعمرو بن ابي ربيعه كبيرهم والحارث بن خالد المخزومي والعرجي وابو دهبل وعبد الله بن قيس فقد اقرت لهم العرب بالشعر ايضا

واما سائر قراء العربية والمتكلمين بها بعد حين من ملل ممن دان بالدين

الاسلامي او انتشرت بينهم قبائل العرب فما عرفوا إلا لغة القرءان والحديث وما تبعهما من كتب الفقه وعلم الكلام مما استمدوا جميعا منها ومعظم ذلك في لغة قريش

واذا رجعنا الى علم النحو الذي يقوم عليه عماد التركيب والتعبير في اللغة راينا انه انشيء بفضل القرءان لانه وضع قبل كل شيء لضبط القرءانية . ثم لما كتبت اسفار اللغة وسائر العلوم العربية وغير العربية كان القرءان والحديث مرجعا للاستدلال على التعبير واحكام التركيب وضبط المفردات فكانت لغة قريش في كل ذلك هي اللغة السائدة فحفظها الشعراء واصبحت في شعر المخضرمين والمولدين انقى منها في شعر ابناء الجاهلية اذقل الخليط فيها من سائر لغات العرب وهكذا صارت لغة جميع كتاب العربية من عرب واعاجم ولا عبرة بما طرا عليها من الخلل والانحطاط وزوال الاعراب بين عامة المتكلمين بها فان الفسا يتطرق بمرور الزمان الى كل لسان . وحسب العربية مزية على سائر اللغات الحية ان ليس بينهن لغة غيرها حفظت اصول شعرها وكتابتها منذ اربعة عشر قرنا وبقيت واحدة في جميع اطراف الارض بين العرب وغير العرب والمسلمين وغير المسلمين

الى الامة العربية

عـــدد ٢٥

هو الليل يغري بي الاسى فيطول ويرخي وما غير الهموم سدول

ابيت به لا الغاربات طوالع علي ولا للطالعات افول

وينشر فيه الصمت لبدا مضاعفا فتطويه مني رنة وعويل

ولي فيه دمع بلذع الخد حره وحزن كما امتد الظلام طويل

بكيت على كل ابن اروع ماجد له نسب في الاكرمين جليل

يلبح من الضيم المذل بغرة لها البدر ترب والنجوم قبيل

من العرب اما عرضه فموفر مصون واما جسمه فهزيل

له سلف عزوا فبزوا نباهة ولم تعتورهم فترة وخمول

وساروا بنهج المكرمات تقلهم ... قلائص من سعي لهم وخيول
وكانوا اذا ما اظلم الدهر اشرقت ... به غرر من مجدهم وحجول
اولئك قوم قد ذوى روض مجدهم ... فلم تسر فيه نسمة وقبول
وقد اعطشته السحب حتى اقد علت ... على الزهر منه صفرة وذبول
رعى الله من اهل الفصاحة معشرا ... لهم كان فوق الفرقدين مقيل
ترامى بهم ريب الزمان كانما ... له عندهم دون الانام دخول
فامست من العمران خلوا بلادهم ... فهن حزون قفرة وسهول
وعادت مغاني العلم فيها دوارسا ... تجر بها للدارسات ذيول
وقوضت الايام بنيان مجدها ... فربع المعالي بينهن محول
نظرت الى عرض البلاد وطولها ... فما راق لي عرض ولا راق لي طول
ولم تبد لي منها معاهد عزها ... ولكن رسوم رثة وطلول
نظرت اليها من خلال ذوارف ... من الدمع طرفي بينهن كليل
فكنت كراء من وراء زجاجة ... بعينيه كيما يستبين ضئيل
ولم اتبين ما هنالك من علا ... لكثرة ما قد دب فيه نحول
هناك حنيت الظهر كالقوس رابطا ... بكفي على قلب يكاد يزول
واوسعت صدري للكئابة فاغتدت ... بارجائه تحت الضلوع تجول
وارسلت دمع العين فانهل جاريا ... له بين اطلاع الديار مسيل
أأمنع عيني ان تجود بدمعها ... على وطني اني اذن لبخيل
فان تعجبوا ان سال دمعي لاجلها ... فان دمي من اجلها سيسيل
وما عشت اني قد تناسيت عهده ... ولكن صبري في الخطوب جميل
وان امرا قد اثقل الهم قلبه ... كقلبي ولم يلق الردى لحمول
افي الحق ان انسى بلادي سلوة ... وما لي عنها في البلاد بديل
اقول لقومي انني حيران جازع ... تهيج به اشجانه فيقول
متى ينجلي يا قوم صبح ظلامكم ... وتذهب عنكم غفلة وذهول
وينطق بالمجد المؤثل سعيكم ... فيسكت عنكم لائم وعذول

تريدون للعليا سبيلا وهل لكم ... اليها وانتم جاهلون سبيل
اناشدكم اين المدارس انها ... على الكون فيكم والحياة دليل
واين الغني المرتجى في بلادكم ... يجود على تشييدها ويطول
بلاد بها جهل وفقر كلاهما ... اكول شروب للحياة قتول
اجل انكم انتم كثير عديدكم ... ولكن كثير الجاهلين قليل
ولو ان فيكم وحدة عصبية ... لهان عليكم للمرام وصول
ولكن اذا مستنهض قام بينكم ... تلقاه منكم بالعناد جهول
واي فريق قام للحق ضده ... فريق طلوب للمحال خذول
وان كان فيكم مصلحون فواحد ... فعول والف في مداه قؤول
على ان لي فيكم رجاء وان اكن ... الى الياس احيانا اكاد اميل
الستم من القوم الاولى كان علمهم ... به كل جهل في الانام قتيل
لهم همم ليس الظباة تفلها ... وان كان منها في الظباة فلول
الا نهضة علمية عربية ... فتنعش ارواح بها وعقول
ويشجع رعديد ويعتز صاغر ... وينشط للسعي الحثيث كسول
فان لم تقم بعد الاناة عزائم ... فعتبي عليكم والملام فضول

(معروف)

فكاهة

في
مجلس القضاء

عدد ۲٥ سنة ۱۳۲۸

علم فلان وكان شابا من شبان الخلاعة واللهو وقاضيا من قضاة المحاكم ان المنزل الذي يجاور منزله يشتمل على فتاة حسناء من ذوات الثراء والنعمة والرفاهة والرغد فرنا اليها النظرة الاولى فتعلقها فكررها اخرى فبلغت منه فتراسلا ثم

تزاورا ثم افترقا وقد ختمت روايتها بما تختم به كل رواية غرامية يمثلها ابناء آدم وحواء على مرسح هذا الوجود . عادت الفتاة الى اهلها تحمل بين اجنحتها هما يضطرم في فؤادها وجنينا يضطرب في احشائها . ولقد يكون لها الى كتمان الاول سبيل اما الثاني فدر مذاع . وحديث مشاع . اذا اتسعت له الصدور لا تتسع له البطون . وان ضن به اليوم لا يضن به الغد . ذلك ما اسهر ليلها واقض مضجعها وملك عليها وجدانها وشعورها فلم تر له بدا من الفرار بنفسها والنجاة بحياتها . فعمدت الى ليلة من الليالي الداجية فلبستها وتلفعت بردائها ثم رمت بنفسها في بحرها الاسود فما زالت امواجها تتلقفها وتترامى بها حتى قذفت بها على شاطيء الصخر فاذا هي في غرفة في احدى المنازل البالية في الاحياء الخاملة واذا هي وحيدة في غرفتها لا مؤنس لها إلّا ذلك الهم المضطرم وذلك الجنين المضطرب . كان لها ام تحنو عليها وتتفقد شانها وتجزع لجزعها وتبكي لبكائها ففارقتها . وكان لها اب لا هم له في حياتها الى ان يراها سعيدة امالها مغتبطة برغباتها فهاجرت منزله . وكان لها خدم يقمن عليها ويسهرون بجانبها فاصبحت لا تسامر غير الوحدة ولا تساهر غير الوحشة . وكان لها شرف يؤنسها ويملأ قلبها غبطة وسرورا وراسها عظمة وفخارا ففقدته وكان لها امل في زواج سعيد بزوج محبوب فرزتها الايام في املها

ذلك ما كانت تناجي نفسها به في صباحها ومسائها وبكورها واصائلها فاذا بدا لها ان تصرف علة مصائبها وسبب احزانها علمت انه ذلك الصئر الذي وعدها ان يتزوجها فخدعها عن نفسها ثم لم يوف بعهده فقذف بها وبكل ما تملك يمينها الى هذا المصير . فلا يكاد يستقر ذلك الخاطر في فؤادها وياخذ مكانه من نفسها حتى تشعر بجذوة تتقد بين جنبيها من الحقد والوجدة على صاحبها لانه قاتلها على المجتمع الانساني لانه لا يعاقب القاتل على جرمه ولا يسلكه في سلسلة المجرمين .

وما هي إلّا ايام قلائل حتى جاءها المخاض فولدت وليدتها من حيث لا ترى بين يديها احدا ياخذ بيدها ويساعدها على خطبها غير عجوز من جاراتها المت بشانها فوفدت اليها واعانتها على امرها بضع ساعات ثم فارقتها تكابد على فراش مرضها ما تكابد وتعاني من صروف دهرها ما تعاني

ولقد ضاق صدرها ذرعا بهذا الضيف الجديد وهو احب المخلوقات اليها واكثرهم قربا الى نفسها فجاست ذات ليلة وقد حملت طفلتها النائمة على حجرها واسندت راسها الى كتفها تقول في نفسها . ليت امي لم تلدني وليتني لم اكن شيئا لولا وجودي ما سعدت ولولا سعادتي ما شقيت . ان كان في العالم وجود افضل منه العدم فهو وجودي . لقد كان لي قبل اليوم سبيل الى النجاة من الحياة . اما اليوم وقد اصبحت اما فلا سبيل . اقتل نفسي فاقتل طفلتي ام احيي بجانبها هذه الحياة المريرة . لا احسب الموت تاركي حتى ياخذ بيدي فماذا يكون حال طفلتي من بعدي . انها ستعيش عيشي وتشقى شقائي لا لذنب جنته ولا لجريمة اجترمتها سوى انني امها . ايتها الفتاة . هل تعيشين حتى تغفرلي ذنب امومتي حينما تسمعين قصتي وتفهمين شكايتي لم يبق في يدي يا بنيتي من حلاي إلّا قليل سابيعه كما بعت سابقه فكيف يكون شاني وشانك بعد اليوم . محال ان اعود الى ابي فاقص عليه قصتي لانه لم يبق لي مما يعزيني عن شقاء العيش وبلائه إلّا ان اهلي لا يعرفون شيئا من امري فهم يبكونني كما يبكون موتاهم الاعزاء ولان يبكوا مماتي خير لي ولهم من ان يبكوا حياتي . وكذلك ظلت تلك البائسة تحدث نفسها تارة وطفلتها تارة اخرى بمثل هذا الحديث المحزن حتى غلبها صبرها على امرها فارسلت من جفنيها قطرات حارة من الدموع هي كل ما يملك الضعفاء ويقدر عليه البؤساء

دارت الايام دورتها وباعت الفتاة جميع ما تملك يدها وما يحمل بدنها وما تشمل غرفتها من حلى وثياب واثاث ولم يبق لها إلّا قمصانها الخلقان وملاءتها وبرقعها ولم يبق لطفلتها إلّا ثياب باليات تنم عن جسمها نميمة الوجه عن السريرة فكانت تقضي ليلها شر قضاء حتى اذا طار غراب الليل عن مجثمه اسدلت برقعها على وجهها وائتزرت بمئزرها وانشأت تطوف شوارع المدينة وتقطع طرقها لا تبتغي مقصدا ولا تريد غاية سوى الفرار بنفسها من همها وهمها لا يزال يسائرها ويترسم مواقع اقدامها واتفق ان عجوزا من عجائز المواخير راتها فالمت ببعض شانها فاقتفت اثرها فهجمت عليها ثم سالتها ما خطبها فانست وهكذا يانس المصدور بنفثاته والبائس بشكايته . . . فكشفت لها عن نفسها والقت اليها بخبيئة صدرها ولم تترك خبر من

اخبار نعيمها ولا حادثا من حوادث بؤسها لم تحدثها به فصرفت الفاجرة محنتها ورات بعينها ذلك الماء من الحسن الذي يجول في وجهها جولان الخمر وراء زجاجته وعلمت انها ان احرزتها في منزلها فقد احرزت لنفسها عز الدهر وسعادة الصحة .
فلم تزل ترسل اليها عقاربها وتبث في نفسها عزائمها ورقايتها حتى غلبتها على امرها وقادتها الى منزلها فما هي إلّا عشية او ضحاها حتى بلغت الغاية التي لا مفر لها من بلوغها . عاشت تلك البائسة في منزلها الجديد عيشا اشقى من عيشها الاول في منزلها القديم لانها ما كانت تستطيع ان تزدود لقمتها التي هي كل ما حصلت عليه في دورها الثاني إلّا اذا بذلت راحتها وشردت نومها واحرقت دماغها بالسهر واحشاءها بالشراب وصبرت على كل من يسوقه اليها حظها من اشرار الرجال وذئابهم على اختلاف صورهم وتنوع اخلاقهم ولكنها لم تر لها بدا من ذلك فاستسلمت استسلام اليائس الذي لم يترك له دهره الى الرجاء سبيلا . ولو ان الدهر وقف معها عند هذا الحد لالفت الشقاء ومرنت عليه كما يالفه ويمرن عليه كل من اصيب بمثل ما اصيبت به ولكنه ابى إلّا ان يسقيها الكاس الاخيرة من كؤوس شقائه فساق اليها رجلا كان ينقم عليها شانا من شؤون شهواته ولذاته فزعم انها سرقت كيس نقوده في احدى لياليه عندها ورفع امرها الى القضاء واستعان عليها ببعض خصومها كشهود عليها

جاء يوم المحاكمة فسيقت المراة الى المحكمة وفي يدها فتاتها . وقد بلغت السابعة من عمرها فاخذ القاضي ينظر في القضايا ويحكم فيها بما يشاء ويشاء له قانونه او ذمته حتى اتى دور الفتاة فادناها منه فما وقع بصرها عليه حتى شرهت عن نفسها والم بها من الاضطراب والحيرة ما كاد يذهب برشدها

ذلك انها عرفته وعرفت انه ذلك الفتى سبب شقائها وعلة بلائها فنظرت اليه نظرة شزراء ثم صرخت صرخة دوى بها المكان دويا وقالت . رويدك مولانا القاضي . ليس لك ان تكون حكما في قضيتي لان كلانا سارق وكلانا خائن والخائن لا يقضي على الخائن واللص لا يصلح ان يكون قاضيا بين اللصوص فعجب القاضي لهذا المنظر الغريب وغضب لهذه الجراءة العجيبة وهم ان يدعو الشرطي لاخراجها فحسرت قناعها عن وجهها فنظر اليها نظرة الم فيها بكل شيء فشعر بالرعدة تتمشى في

اعصابه وسكن في كرسيه سكون المحتضر على سرير الموت وعادت الفتاة الى اتمام حديثها فقالت : انا سارقة المال وانت سارق العرض والعرض اثمن من المـال فانت اكبر مني جناية واعظم مني جرما ، ان الرجل الذي سرقت ماله يستطيع ان يعزي نفسه عنه باسترداده او الاعتياض عنه ، اما الفتاة التي سرقت عرضها يا مولانا القاضي فلا عزاء لها لان العرض الذاهب لا يعود ، لولاك لما سرقت ماله ولا وصلت الى ما اليه وصلت ، فاترك كرسيك لغيرك وقف بجانبي ليحاكمنا القضاء على جريمة واحدة انت مدبرها وانا المسخرة فيها ، اي شريعة تعلم اننا شركاء في الجريمة ثم تاتي بنا الى هذا المكان فتوقف احدنا في اشرف المواقف وتوقف الاخر في ادناها ، شريعة ظالمة لا علاقة بينها وبين العدل ، رايتك حين دخلت الى هذا المكان وسمعت الحاجب يصرخ لمقدمك ويستنهض الصفوف للقيام لك ورايت نفسي حين دخلت والعيون تزدريني والقلوب تحتقرني فقلت يا للعجب كم تكذب العناوين وكم تخدع وكم يعيش هذا العالم في ضلالة عمياء ، وجهالة جهلاء بخ بخ لاولئك القوم الذين منحوك هذه الشهادة شهادة العلم والفضل والاخلاق والاداب ، ومرحى مرحى لاولئك الذين اقعدوك هذا المقعد ووضعوا بين يديك هذا القـانون واوقفوا امامك هذا الشرطي ياتمر بامرك وينفذ حكمك ويجري على هواك

ان تحت هذه الثياب التي تلبسونهـا معشر القضـاء نفوسا ليست باضعف من نفوسنا شرا ولا باقل منها سقوطا وربما لا يكون بيننا وبين الكثير منكم فرق إلا بالعناوين والالقاب والشمائل والازياء ، اتيت بي الى هنا لتحكم علي بالسجن كانه لم يكفك ما اسلفت الي من الشقاء حتى اردت ان تجيء بلاحق لذلك السابق

الم احسن اليك بساعة من ساعات السرور فترعاها ، الم تكن انسانا فترثي اشقائي وبلائي ، ان لم تكن عندي وسيلة اتقرب بها اليك فوسيلتي اليك ابنتك فهي الصلة الباقية بيني وبينك ، فرفع القاضي راسه الى ابنته الصغيرة نظرة شفقة ورحمة وقد قرر في نفسه ان لابد له من ان ينصف لتلك البائسة وينتصف لها من نفسه غير انه اراد ان يخلص من هذا الموقف خلوصا مستترا فاعلن ان المرأة مجنونة وان لابد من احالتها على الطبيب فصدق الناس قوله ، ثم قام من مجلسه بنفس غير نفسه وقلب غير قلبـه وما هي إلا ايام قلائل حتى هجر القاضي منصبه بحجـة المرض وما زال

يسعى سعيه حتى ضم اليه ابنته واستخلص حبيبته الاولى من قرارتها وهاجر بها الى بلد لا يعرفهما فيها احد فتزوج بها وانس بعشرتها واحترف في دار هجرته بحرفة لولا ان ادل عليه اذا ذكرتها لذكرتها . ولا زال حتى اليوم يكفر عن سيئاته الى زوجته بكل ما يستطيعه من صنوف العطف والوان الاحسان حتى نسيا ما فات . ولم يبق امامها إلا ما هو آت (المعري)

حول المجلس الشوري

وخطاب السفير (١)

عدد ٢٧ في ١٦ ذي القعدة سنة ١٣٢٥

في هذا الشهر تفتح الممالك الدستورية مجالسها الشورية للبحث في صالحها

(١) ان الخطاب الموجب لاثبات هاته الملاحظات الطافية حوله هو الخطاب السفيري الذي افتتح به القسم الاهلي من الجمعية الشورية عند قسمتها الى قسمين اجابة لداعي تسكين غضب الجالية الاستعمارية التي استرسلت في النفور من مشاركة النخبة الصورية الاهلية في الحضور وجها لوجه . حتى علا صخب زعمائها وفي مقدمتهم دوكارنيار الذي شق عليه مشاهدة تلك الاشباح المحتقرة في نظره تتبادل معه الاراء والافكار فجد في ارسال وفد الى المراجع العليا بباريس لاظهار التشكي وتشخيص الاستياء الحاصل من ذلك التاسيس الممقوت الواجب الاعتراض عنه والغاء مشاركة الوطني في الشورى على اي حال من الاحوال ...

فكان من حذق المقيم (الابتيت) ان وجد سبيلا لاسترضائهم بذلك التقسيم الذي مكنه من ابعاد مقاعد الوطنيين عن مقاعد الفرنسيين واقامة حاجز بين القسمين غير شفاف ...

ومن الغريب ان جاء في طالع الخطاب المشار له ما يشعر بان ذلك التقسيم هو اصلاح ومنة توجب لمخترعه الشكر والامتنان ....

لهذا ولغيره قد اثبتناه هنا بحذافره ليعلم المطالع منه معنى تدرج الادارة بنا في مدارج التقدم والاصلاح المطلوب عند ما يضعه في كفة ويضع خطابا فتح به المجلس الكبير في كفة اخرى ولا يظفر برجحان ما من حيث المعنى في الخطابين ولا يجد الا الخلف في العناوين رغم الازمنة التي مرت على الاول وهي عشرات السنين ...

والمناقشة في طرق الاصلاح ، وهذا قطرنا يتاسى بتلك الممالك الراقية وينسج على منوالها فقد كان يوم الاثنين الفارط موعدا لافتتاح سلسلة جلسات الجمعية الشورية للنظر في شئون الميزانية التونسية وقد كان اعضاءها طبق الامر العلي منقسمين الى قسم أهلي يناظره قسم فرنسوي في حجرة اخرى وقد افتتح كلا من القسمين عمدة الجمهورية الفرنسوية بهذه الديار فالقى خطابا على مسامع النواب الفرنسويين وتليت ترجمة خطاب آخر له على مسامع النواب الاهليين وفى الخطابين نقط متحدة في المعنى وهي تعداد آلاء الحماية على هذا القطر وما قامت به فرنسا فيه من جلائل الاعمال وما اظهرته فيه من آيات الرقي والمدنية في مدة وجيزة مما يغني فيه العيان عن البيان حتى لو ان نائما نام قبيل الاحتلال وصحا اليوم لجزم بانه نام قرونا لا ما دون الثلاثين

وان كلام جنابه صحيح لا شك فيه من حيث الادلة المحسوسة التي ابدتها دولة الحماية في هذه الاعصار ولكن ربما لا يجد المستفيق اليوم فرقا كبيرا في الاهالي بين ما تركهم عليه وبين ما هم عليه اليوم فان هذه المدة التي كفت لتمدين إيالة لم تكن سائرة على نظام لم تكف لايقاظ اهاها من سبات الكسل والجهل العميق فلم يتشبثوا بالوسائل التي يتمكنون بها من مجاراة النزيل ولم تكف التمارين التي يشاهدونها ويرون نجاحها كل آن لبث عامل التقليد بينهم فكانوا اولع خلق الله بكل عتيق

بودنا لو شاهدنا على العنصر الاهلي من آيات المدنية والرقي ما شاهدناه على ارض يسكنها وفضاء يعيش فيه ولا ندري هل ذلك امر خارج عن الوسع لا تقدر ان تاتي به فرنسا او يلزم له من الوقت اكثر مما يلزم لتصيير المستنقعات رياضا نضرة وتبديل الظلام الحالك بالانوار التي تحاكي سراج النهار ذلك ما لا نعلمه ولعل المستقبل يكون باظهاره كفيلا . . . . لا يمتلك الناظر من الاعجاب بما تم على يد الحماية من المشاريع العظيمة كما لا يملك نفسه من التعجب لبقاء الاهلي خاليا من تلك الادلة ويظن لاول وهلة ان هذا الشعب انزوى عن النزلاء فلا تجمعه بهم اي رابطة والقائم عليه تركه في زاوية انفراده دون ازعاج فهو غائب في صورة حاضر لا يالم مما هو عليه ولا يؤلم له ويرى الفوائد ولا يستفيد .

ويخيل لنا انه في الامكان ان تكون حالة التونسي ارقى مما هو عليه الان وان

لو اتي من العناية حظه ومن المعارف حقه لتحققت تلك الامنية وخيل للمستفيق اليوم انه يجد بلادا غير التي تركها وشعبا غير الذي تعرفه وهذا الظن نتركه لاولي الشان في سياسة هذا القطر فهم يعلمون مكانه من الضعف والقوة

ولقد سرنا ما جاء في خطابه من الاعتراف بثقل وطأة الاداءات الذاتية على كاهل الاهلي ولكنه يتبرا من تبعته ويلقي مسئوليته على عاتق ملوك الاطلاق الذين اسسوه نعم لم تكن فرنسا واضعة حجر اساسه ويصعب ايضا حملها على نقضه اذ كان كما قال ركن المداخيل الرابع ولكن ربما لا نرى مانعا اذا ظننا ان في امكان دولة الحماية ان تخفف ثقله وذلك باسعاف الاهلي بنفس الامتيازات التى يتمتع بها نزلاء الفرنسويين ويكفي للتمييز بين العنصرين بقاء الاهلي تحت نير تلك الاتاوة بينما يكون النزيل سالما منها فان لدى ادارة الفلاحة تسهيلات واسعافات طالما تمتع بها الفرنسويين وخلفهم فيها الاجانب كالايطاليين حتى اصبح هـذا العنصر يكاثر عنصر الحامين والمحتمين في ميدان الفلاحة بما منحته الايدي الفرنسوية مما لها من الحقوق على ادارة الفلاحة كما ان اليد العاملة الاجنبيه تجد من العناية والاسعاف ما يتمنى بعضه الاهليون فلو عاملت الدولة صغار الفلاحة من الاهالي بمثل ما تعامل به صغار المستعمرين من اعطاء الاراضي لهم كما تعطي للاخرين وتساعدهم في اثمانهـا وتستغني ادارة الاشغال العمومية عن اليد العاملة الايطالية مثلا بايدي الاهـالي التي كثر امتدادها للسؤال . لما كان الاهـلي تحت ثقل الضرائب ولكان يؤديهـا شاكرا عناية الحكومة به وذلك كان شانه يوم كانت تختص به ثروة البلاد

نحن اليوم لا نطاول عنصر الحماية في امتيازاته ولا نطلب ان تحتفي بنا الحكومة اكثر منه فذلك عنوان البله والطلب الغير المعقول . ولكن متمنانـا ان نضرب معـه بسهم فيها ولو لم يساوي نصيبه وان لا يكون الاجنبي اسعد حالا من الاهلي واحتفاء الحكومة به اكثر من احتفائها بالاهلي الذي هو كيسها ومصدر ثروتها علاوة على ان حالته تستدعي الالتفات والثقل الذي يحمله جدير بالذكر يستحق معه نظر الشفقة والاسعاف . ثم تعرض جنابه للصائيمات الاضـافية التي كثر تشكي الاهالي منها وافاضوا القول فيها فابان ان مجموع ما حمل على الاهـالي قد خف بعض الثقـل على الملاكة وذلك ما تقتضيه العدالة

وغير مستطاع لذي اللب انكار تلك الحقيقة فاذا كانت الاداءات ضرورية لاقامة اود حكومة منتظمة فالاحرى ان يكون توزيعها على نسبة الثروة والاستفادة غير ان هـذا الاداء لم يكن توظيفه اغتباطا بل هو في مقابلة ما تقوم به الحكومة للسكان من صد الاطماع داخلا وخارجا ونشر العدل على كافة الايالة ..... ولقد كان من الكياسة واللطف اعفاء الاجانب منها اذ كانوا بمنزلة الضيف وتكليف الضيوف غير موافق للاداب ....

ولكن بعضهم اليوم صاروا اصحاب الحق الاول في هـذه البلاد واشغلوا في المجالس البلدية ونوادي الاستشارة المقاعد وكان منهم المشرفون على سياسة البلاد فلم تبق من محل لاعتبارهم ضيوفا فلو شاءوا ان يساهمونا فيما نقوم به من التكاليف والاداءات لكان ذلك من مقتضى الانصاف . نعم ان الحكومة قد وظفت اداءات اشترك فيها الكل ولكن لا معنى للتمييز بين تلك الاداءات لماهي ضرورية للدولة ولازمة لقيامها بوظيفتها وبودنا ان نرى المصلحة الاهلية في نظر اولي الامر توازي ما يقومون به من التكاليف ولهم ان يحققوا هذا الرجاء

ولقد اشعر الخطيب نواب الاهالي في خطابه بثقل المسئوئية التي يتحملونها اذ كانوا منفردين بالراي قد امنوا شر التعنت وارتاح سمعهم من العبارات المسيئة الجارحة فهم اليوم مسئولون امام الامة التي مثلوها في ذلك المجلس . كما هم ايضا مسئولون امام الحكومة اذا لم يبذلوا الجهد في التوفيق بين المصالح بدلالتها على الوجه الاكثر ملائمة للحاكم والمحكوم ولهم فيما وجد في هذا العام امثولة حسنة فقد فكروا مع غيرهم في المجلس السابق في تخفيض المجبى دون ان يفكروا في طريقة ملائمة لجبره فوافقوا على ما تم واتعبوا بعد ذلك الحكومة في تلقي الشكايات حتى كان بعض النواب من المتشكين غافلا على ان واجبه الملاحظة وقت المناقشة لا التشكي بعد تمام الامر بموافقته . ولو كان النواب الاهالي على علم من افكار مواطنيهم ولهم معرفة بتطبيق القوانين لعلموا الحرج الذي يلحق الاهالي في تطبيق اداء العشر والصائتيمات الاضافية وذلك اوجب تكرار التقارير والافاضة فيها ولو صرحوا للحكومة وقتئذ تذمر الاهالي من تلك الاجراءات لوفروا عليها وقتا كبيرا وعلى الوفود الذين وافدوا للعاصمة مالا وتعبا كثيرا

وان لديهم اليوم مسالة القرض المزمع على عقده وضمانه الذي يقتضي توظيف اداءات جديدة فعسى ان تكون مسائل الماضي لهم درسا مفيدا فلا يتساهلون بما يثقل كاهل الاهلي ولا يغفلون عن المنافع التي ينبغي ان ينالها منه بينما يسعون مع الحكومة في عدم توقيف سير المدنية التى تسعى لاعلاء شانها بهاته الديار . . . .

وان هذه المسالة التي طرحت اليوم على بساط المناقشة لهي جديرة بالاهتمام من الوجهين اي من جهة توظيف اداءات جديدة لضمانه ومن جهة صرفه فلا ينبغي ان يغفل باحث عما هو ملم اليوم بالصنائع الاهلية من الكساد والانحطاط وهي موضع التجارة الاهلية فاذا لزم توظيف اداء على التجار فلا يغفل النواب على ان التجارة الاروباوية ليست كالتجارة الاهلية بل هي قابلة للنفاق في كل سوق اما التجارة الاهلية فغالب موضعها الصنائع الاهلية وهي اليوم لا تقوى على مزاحمة الصنائع الاجنبية فاذا وظف عليها ما سيوظف على التجارة دون التفات الى احيائها وترقيتها فانها لا محالة آيلة للزوال والاضمحلال وبذلك ينقطع جملة ما هو باق منها اليوم . نحن لا نريد ان نوقف سير المدنية التي تسعى اليها دولة الحماية ولكنا نبحث عن وجه لا ضرر فيه ولا اضرار فان الحكومة اذا اعتنت باحياء الصنائع الاهلية وترقيتها تقوى على البقاء مع البضائع الاجنبية وتكون عنصرا للتجارة قويا وبالعكس يحمل التاجر عليها ما سيدفعه للدولة ولا يجد الصانع بذلك فيها مرتزقا فيضرب عنها آسفا على وقت مضى كانت فيه مورد عيشته الراقية . ولذلك ينبغي للنواب الاهليين ان ينتهزوا هاته الفرصة لابداء ملحوظاتهم فيما تسعف به الحكومة الصنائع الاهلية حتى تحميها من الزوال اذ صارت بهذا الاعتبار موردا جديدا لخزينتها كما ينبغي لهم ان يتذكروا في صرف هذا القرض وما للاهالي فيه من الحقوق فان القرض اذا كان لصالح المملكة والذين سيضمونه هم سكان المملكة فلا ريب فان من سيدفع هو الاحق بالاستفادة واذا كانت ادارة الاشغال العامة هي الطالبة لهذا القرض فانه ينبغي تذكيرها بان هناك عنصرا سيقوم بتوفية معظمه فلا يليق اهماله وكذلك تتعلم الحكومة تشغيل اليد الاهلية عوض عن يد تستفيد ولا تفيد ذلك وامثاله يجب ان يتفكروا فيه فاذا اريد توظيف شيء على قسم من الاهالي

فينبغي مراعاة حالته وان نعارض في اصل الاداء معتذرين بما اثقل كاهلنا ونسال الحكومة تحسين حال الثروة الاهلية حتى تتمكن بالقيام بالمفروض اذ ان المعارضة في اصل الاداء لا يسمع ولا يرضي دولة الحماية التي تراه معارضة لسير الترقيات في هذا البلاد . . . . .

فتح الجمعية الشورية

وخطاب المقيم بالقسم التونسي

قال : سادتي

هذه اول مرة دعيتم فيها للقيام بالمهمة المنوطة بكم طبق الشروط المقررة بامر سمو الجناب العالي مليككم المحترم المؤرخ في ١٧ افريل سنة ١٩١٠ التي اتاحت لدائرتكم ذاتية خصوصية وسمحت لكم بعدم اندماج اصواتكم في اصوات الدائرة الفرنساوية وذلك ما يجعل تداخلكم اوضح ومسئوليتكم اعظم في تحضير قانون الميزانية الذي ستترتب بمقتضاه الواردات والمنصرفات العموميين ويهم كثيرا الوطنيين . وفي هذه الحجرة يمكنكم ان تبدوا سائر ما لديكم من البيانات المرغوبة لعرض احتياجات ومطالب مواطنيكم بارتياح تام

ان المشروع الذي دعوناكم اليه يشتمل من جهة على عدم تاخير سير المدنية الاروبية بهذه المملكة ومن جهة اخرى على توفير الفوائد الحقة التي يجدر بالتونسيين ان يستخرجوها منه بسائر الوسائل الممكنة

لو ان الطاعنين مكنتم في السن عرفوا القطر التونسي قبل عهد الحماية وامكنهم ان يناموا في ذلك العهد ثم استيقظوا الان لعجبوا وخيل لهم انهم ناموا قرونا طوالا . .

واني مصمم على ان لا اجرح عواطف اي جنس واي دين واني اعرف ان بعض الملوك لهم نوايا حسنة كانوا ساعدوا في اثناء القرن التاسع عشر على محاولة

ادخال بعض اصلاحات لكن بسبب فقدان ترتيب اداري حقيقي وبالاخص ترتيب مالي كانت الترقيات قليلة ولم تدم ، ان السير الى الامام قد ازداد بتاثير البواعث الفرنسوية بكيفية عجيبة بحيث ان القطر التونسي قد ارتقى في اقل من ثلاثين سنة الى درجة الممالك الاروبية فله الان مواني صناعيـة وسكك حديدية وطرقات وحراسة ومدارس وادارات صحية واسعافات عمـومية وصيته المالي كاد ان يكون عظيما مثل صيت فرنسا لان ماليته قد صارت قوية هذا ومما ينبغي للشرق ذي الصفات الجليلة ان ياخذ عن الغرب فنونه المالية . . . . ؟

ان التعود بالاحتساب والمناظرة المستمرة بين الايرادات والمقبوضات والاعتناء باوقات آجال الدفع والعزم البات على عدم استلاف ما لا يمكن تحقق ترجيعه وعلى عدم اختبار المقرض الـذي يفتح كيسه اكثر من غيره وعلى اختيـار من يطلب مقابل قرضه اقل مجازاة وبعبارة اوضح جميع ما يقي الامم والافراد من الربا والخروج من المكاسب والافـلاس ذلك هو سر الرفعة في زمننا وهـذا السر لا نريد حفظه لانفسنا ولكننا ناتي به الى كافة من كان اهلا للامتثال للحقيقة ومراعاة لسلامته

فان الميزانية التونسيـة خلافا للقطر الجزائري الذي صار ارضا فرنسوية ويكلف الخزينة الفـرنسوية ملايين اكثر مما اخذت منه قد قامت وحـدها بايجاد انقلاب في الايالة التونسية بواسطة وارداتها الخاصة بها ومع ذلك فان طريقة وضع الضرائب الغير المقررة هي بصورة عمومية اخف وطاة من غيرها في غالب الممالك الاروبية . يمكننا ان نفتخر بهذا التعديل المالي لو ان الضرائب المقررة التي اثقلت كاهل الوطنيين على الخصوص المقدرة بربع الواردات كانت اخف وطاة

نحن لم نكن مؤسسين لهذه الضرائب التي كانت اهم واردات الحكومة قبلنا في هـذه الايالة وهي التي تركت لنا كلفة توريدها مع التحمل بدفع الـديون التي اكثرت منها تلك الحكومة وكانت الضرائب المذكورة تشمل مـع الاداءات المؤسسة على قاعدة العشر والمجبى او الاداء الفرادي

ان مبلغ ضرائب التعويض في كافة الاعمال عدى عمل الاحواز الـذي جل ملاكته من الذين يقطنون بالعاصمة ولا يدفعون المجبى لم يعـادل ما وقع تخفيضه

من هذه الاتاوة . لا شك ان مجموع الوطنيين صاروا يودون ضرائب اقل غير ان اصحاب الاملاك قد ازداد الاداء عليهم ولكن كيف يمكن ان يندهش من ذلك من له شعور بالعدالة . وهذه القاعدة هي التي تسير عليها الممالك المتمدنة لتغيير اساليب ضرائبها واتاواتها . وعليه فيكون تعديل العشر من اعدل ما يمكن تصوره وهذا التعديل لا يتم إلّا اذا كان الاداء الموظف على كل شخص مناسبا للصابة التي حصل دليها وصار القدر المبذور والمساحة المزروعة مجرد وسائل لحزر قيمة الصابة المذكورة

وليس في الامكان البلوغ الى الكمال من اول وهلة في هذا القطر المتعود بالضرائب الاستبدادية والاعلام فيه من جهة المطلوب امر جديد كما ان اتساع التحقيقات وصعوبتها يوجبان احتمال متاعب شديدة للموظفين المكلفين بذلك مدة تدريبهم على العمل . ان اطراد الزيادة في واردات الضرائب الغير المقررة في كل عام كان وسيلة لتخفيض الضرائب المقررة على الوطنيين الى مقدار اشد انطباقا على الانصاف . ففي هذه السنة استعمل مليون ناتج من اداءات جديدة على الفسفاط توصلا بذلك للحصول على التخفيض الذي اقترحه مجلس الامة الفرنساوي كما اقترحتموه انتم ايضا لكن حيث اريد اسقاط ٨ فرنكات تقريبا من المجبى فان ذلك الاسقاط يبلغ ٢٫٤٠٠٫٠٠٠ فرنكا من اصل ٣٠٠٫٠٠٠ مجبى حينئذ وجب البحث بشان ايجاد ١٫٤٠٠٫٠٠٠ طاب توظيفها على الوطنيين على نسبة مكاسبهم وهو عين الانصاف . ان الزيادة المتوقعة من العشر كانت في الحسبان مقدرة ٨٧٠٫٠٠٠ فلو جاء محصول السنة جيدا لكان الحصول على ما ذكر سهلا ولامكن بالوسائل التي اتخذتها المالية لازالة المظالم وللاطلاع على مقدار مساحة الاراضي المزروعة اسقاط معين الضرائب على الاراضي الغير الجيدة بدون ان يقع اضطراب في تعديل الميزانية

لكن من سوء البخت ان كانت السنة مجدبة لا سيما في مزارع الوطنيين بحيث ان بعد التنقيحات الكثيرة التي تعطفت بها الحكومة لم تبلغ جرائد الاعشار المستخلصة الى غرة نونمبر المبلغ المقدر بالميزانية ومع ذلك وقع التخفيض من المجبى على الوجه المطلوب تماما . ان الادارة مستعدة للتامل بانهى ما يكون من التدقيق في جميع ما لديكم من الملاحظات والاقتراحات التي تعرضونها عليها مع مراعاة مصلحة مواطنيكم

لتخفيف اي جانب من ضرائب التعويض التي بسبب توالي قلة المحصولات الغير الكافية تظهر مضرة بالفلاحة وهي تدعوكم ايضا لامعان النظر بدقة في الضرائب الجديدة المعروضة لضمان القرض التكميلي الذي ظهر لازما للجمعية الشورية في جلسة سنة ١٩٠٩ ومع ذلك فاننا لا نالوا جهدا لنذكر في هذه الساعة ان فرنسا هي جمهورية كريمة وانما اسمعت صوتها لا يمكن لها ان تهمل حالة البؤساء والضعفاء وهي ترى ان المثريين هم الذين يجب عليهم دفع الضرائب اكثر من الفقراء وانها تقضي بصرامة تامة على اعتراضات الذين يتذرعون بسبب غنائهم فقدرتهم على تحصيل اسقاط تسعة اعشار الاداء بشرائهم المحاريث الفرنساوية والحيوانات اللازمة للعمل كيلا يدفعوا ولو مع السانتيمات الاضافية العشر الذي اتى به (القرآن) والذي تجاوز الحد بالنسبة الى الفقراء . يستفيد الاغنياء بالجائزة التي اتى بها الاروبيون للتنشيط على الرقي الزراعي ويحصلون من وراء ذلك على المحصولات العظيمة الوافرة ويدفعون ضرائب اقل من الفقراء ومن الغريب ان يكونوا هم المشتكون

اننا ننتظر من مجموع الطبقة الوطنية المتنورة سيرة احسن من التي سلكها بعض الممتازين ليكونوا قدوة لغيرهم وانتم تعلمون ان الاداء المقبوض يستعمل لخدمة الوطن وان الاشغال العجيبة التي تم ايجادها تشهد بذلك وتعود بالفائدة عليكم وعلى ابنائكم ويمكن لكافة الوطنيين الافتخار بان كانوا من الذين قاموا باحياء القطر التونسي من خاصة اموالهم . ولا يعزب عنكم ان حكومة فرنسا لم تات لهذه الايالة لمجرد بناء الطرقات وانشاء الابنية او ان الميزانية متحملة لمصاريف اخرى كثيرة نافعة . بل ان حكاما اعلم واوفر جراية يضمنون عدالة حسنة وقوانين مسطرة تحفظ حقوق المتقاضيين من التلاعب في تطبيق الشرائع المسنونة ومنذ ثلاثة اعوام تم صدور قانون العقود والالتزامات وهذا قانون المرافعات المدنية الذي عنى به كثير من ذوي الحنكة سيجري به العمل في العام المقبل وستاتي بقية القوانين الاخرى التي لم تزل الخدمة متواصلة فيها .

وقد خولت فرنسا للتونسيين بمقتضى قانون وامر صدر منذ عهد قريب الدخول في الجنسية الفرنسوية بدون فرق بين المسلمين واليهود واول شرط يطلب

منهم في ذلك هو العلم ولا سيما معرفة اللغــة الفرنسوية وانكم على علم مما وقع اجراءه لنشر ذلك . وفي الاعوام الثلاثة الاخيرة فتحت الدولة ١٧١ معهدا جديدا للتعليم وقد بلغ مجموع من به من الطلبة المسلمين من ٣٥٧٣ الى ٦٥٦٤ واليهود من ٢٤٦١ الى ٣١٩١ وعند زيارتي لهذه المعاهد تيقنت بنفسي انه يوجد في كثير من احداث الوطنيين ذكاء نادر ولا اشك في قابليتهم للمعارف المدرسية وكذلك المعارف الفنيــة وهي التي تمكنهم من كافة الصنائع التي فاق الاروبيون فيها آباءهم جبرا لما فاتهم وتحصيلا على معيشة سهلة بثمرة عملهم وتمكننا عن الاحراز على صفتي الجد والاتقان المخولين لعملهم جميـع ما يستحقه من القيمة

هذا وان الفن التجاري يجد لدى المسلمين معارضة عنيفة مع انه اكيـد وبه يقدرون على معرفة الحساب والبيع والشراء والفرار من الربا والتمييز بين وسائل المعاملة المستقيمة فكم من منافع استفاد من المدرسة التي تعلم هذا الفن

ان الصائيمات الاضافية العائدة للشركات الاحتياطية الوطنية ظهرت ثقيلة لكثير من المطلوبين لكن كم من فرد وقته هذه الشركات في سنة ١٩٠٨ من الموت جوعا . وكيف يمكن ايضا في هذه السنة للشركات الذين لا يقلون عن ٣٨٠٠٠ نسمة الحصول على البذر ان لم يعطوا السلفات من الشركات المذكورة

وللاسعافات العمومية ايضا وارداتها الخاصة فقد انشئت العيادات والمستشفيات بكيفية متوالية في سائر المدن ينقل اليها المرضى الذين كانوا في الماضي يموتون في اماكنهم بدون معالجة ولا اسعاف . فان الهواء الاصفر قد اهلك منذ نصف قرن نصف سكان الكاف ومنذ اربع سنوات وقعت مقاومة امراض الوباء والحميات بنجاح غير معهود واظهر الاطباء واعوان الصحة بدون فرق حزما يستوجب المدح ونرجو ايضا ان يحفظونا بتيقظهم من هجوم الكوليرة المحدقة بنا ونحن نتيقن انه اذا بلغ هذا الداء لهذه الايالة فانه يقع حصره ومحقه مثلما وقع للامراض التي انتشرت حديثا ولكم ان تضعوا ثقتكم في ادارتنا العامة مثلما نضع ثقتنا في حكمتكم وخبرتكم وتضلعكم في معرفة مصالح الوطنيين الذين تعيشون بينهم ويعظمونكم وباعتمادنا على اعانتكـم يمكننا زجر الحركات العدوانية التي تحدث ضد فرنسا وذلك بقدر ما تاتي من الحزم لجمل رعايتها اكثر منفعة ونسعى لاعلاء شان الامة التي تحميها فرنسا ماديا وادبيا

بدائع المدائح الشعرية

عـــدد ٢٧

بعث الينا عالم جزيرة العرب وشاعرها الفـذ حضرة الاستاذ شرف الدين صديقنا الشيخ عيسى بن القاضي صالح بن عامر الطيواني من مشاهير علماء مسقط بقصيدة مدح بها امام المفسرين وخاتمة الاعلام المجتهدين حكيم الانام وشيخ الاسلام شيخنا الشيخ سيدي محمد بن يوسف المصعبي نفعنا الله تعالى بعلومه امين

فبادرنا لادراجها خدمة للادب الغض ولذوي العلم والفضل قال :

هل نسمة بالغـرب طيبة الشذا ﴿ تحي فؤادا ذاب من حر الجوى
لله صب في عمـان متيـم ﴿ اضحى اسير هوى باجفان المهى
دنف اذا ذكر الغضا وقطينـه ﴿ اورى الغرام لهيبه وسط الحشى
لي في حمـا الوعساء حب نازح ﴿ حيا حمى الوعساء منهل الحيا
لله يا حادي المطايـا موهنا ﴿ في هودج كمنت به شمس الضحى
فلئن ناوا عن مقلتي فبمهجتي ﴿ ضربوا الخيام وطنبوها بالصبا
فالقلب اضحى عامرا بودادهم ﴿ ابدا وربع الصبر مني قد عفـا
انا بابي افـدي غزالا منهم ﴿ حلو الوصال لذيذه مر الجفـا
ظبي قد اتخذ القلوب كناسة ﴿ بدر وفي افق الفؤاد له سرى
دبت عقارب صدغه فتكفلت ﴿ بحفـاظ در الثغر منـه واللمى
لله كـم وقف بمعصم زنـده ﴿ مثل الهلال اذا تضاءل وانحنى
ولكم له في الجيد عقد مشرق ﴿ وكأنه الماريخ في افق السما
سقيا لعلواء الشباب وشرخه ﴿ اوقات انس قد مضت بالمنحنا
قسما بسين سواد مسكة خاله ﴿ وبصاد صارم ناظريه المنتضى
وبسحر مقلته واس عذاره ﴿ وبغصن قامته الرطيب اذا مشى
وبكاف كافور لـه بجبينه ﴿ ما ضل قلبي في هواه وما غوى

والله لا اصغو لقول عواذلي ❊ ابدا ولو ذاب الفؤاد من القلا
يا عاذلي دعني اموت بحبه ❊ شغفا فذلك ما اروم من المنى
رعيا لايام لنا في عالج ❊ ولت فكانت مثل احلام الكرى
يا حبذا عيش تقلص ظله ❊ في رامة عوضت عنه بالاسى
تبت يدى من لامني في شاذن ❊ اما يذق طعم الهوان من الهوى
فاذا رنى فضح الغزال تلفتا ❊ واذا بدا فضح الغزالة في السنا
خفر الدلال له قوام اهيف ❊ رشا كحيل الطرف معسول اللمى
يا ايها الظبي الذي في طرفه ❊ حور يصول به على اسد الشرى
ودواء اسقامي اذا ما عدتني ❊ خشيت عني الموت من فرط الضنا
جد بالوصال لمغرم بك مدنف ❊ صاد الى ماء العذيب به ضمى
واستبق مهجتي التي غادرتها ❊ هدفا لرشق سهام بينك والنوى
لله ظبي ان تبسم ثغره ❊ خلنا به برقا حدى عيس الحيا
رشأ محا الليل البهيم بوجهه ❊ فكانه البدر المنير اذا سرى
او انه بدر العلوم (محمد) ❊ شمس الكمال وبدره علم الهدى
نجل المفدى يوسف اطفيش ❊ غوث الطريد ملاذه عالي الذرى
انسان عين المجد بيت قصيده ❊ رب المعارف والعوارف والحجى
باهي المحيا وفي اسرة وجهه ❊ للبشر آيات تطرز بالبهى
سمح ابي لوذعي اصيد ❊ كم راض جمح الدهر لما ان ابى
مولى تخال الشمس في قسماته ❊ علامة طود المهابة والوفا
يشدو على دوح الطروس يراعه ❊ فصريره صوت الهزار اذا شدا
وله التصانيف التي سجدت لها ❊ كتب الغزالي الذي بهر الورى
فالزم قراءتها وكرر درسها ❊ لترى من النكت المفيدة ما خفا
ورع تقي ماجد من معشر ❊ قد احرزوا قصب المفاخر في الصبا
قوم اذا نضب النوال بارضهم ❊ اجروا ينابيع المكارم والندى
قوم يمج السمع غير حديثهم ❊ واذا هم ذكروا تشنف بالمها

لهم الجحافل والصوارم جمع ❁ والصافنات نشورها ملئن الملا
قوم اذا دعيت نزال رايت في ❁ اسيافهم صور المنايا والردى
فهم الاولى لولى جبال حلومهم ❁ مادت بما فيها البسيطة من نبا
قوم اذا ركبوا الجياد رايت في ❁ صهواتهم اسدا براثنها الظبا
اعلا الورى قدرا واكثرهم ندى ❁ واقلهم لغوا وابعدهم خنا
واعزهم جارا وارجحهم حجى ❁ واشدهم باسا وامنعهم حمى
اخضرهم مرجا وابيضهم يدا ❁ انداهم راحا واحمرهم قنا
(امحمد) اظهرت دين الحق في ❁ (هميانك)(١) الزاهي على روض الرجا
وغدوت مجتهدا تشيد صرحه ❁ وسلكت منهاج النبيء المصطفى
زاكي الخلال حميدها ذو همة ❁ قعساء تزري بالثريا وبالسها
متلفعا بالحلم متازرا به ❁ برد المكارم والسماح قد ارتدى
شهم محا داج الخطوب برائد ❁ واباد شمل المشكلات اذا عرى
روح الزمان وبدره وربيعه ❁ كف السماح وساعداه بلا مرا
في وجهه سيم الهدى وبغمده ❁ كمن الردى وبكفه بحر طما
فرع زكى من دوحة المجد التي ❁ ما انبتت إلا باثمار العلا
غيث اذا ما الجود طوح نبته ❁ يهمي بنوار النظار على الورى
قرن اذا الهيجاء طار شرارها ❁ تروى صوارمه النجيع من الطلى
قداح زند المكرمات فناره ❁ اما قرى للضيف او نار الوغا
ضخم الدسيعة مشتر حسن الثنا ❁ ومقيل عثرات الكريم اذا هفا
ندب اذا التقوى دعت ابناءها ❁ لبى النداء وكان اوفرهم نهى
طب اذا صاغ القريض بفكره ❁ واخجلنا شعر الحكيم ابى العلا
علامة سهل الكلام وجزله ❁ طوع البنان له على ما قد يشا

(١) يشير الى تفسير القرآن الكريم المسمى (بهميان الزاد الى دار المعاد) وهو من اجل التفاسير العصرية به ٢٠ جزء في الكامل طبع بزنجبار . وللامام تفسيران دونه وغير ذلك من التصانيف التي لا تحصى في سائر العلوم جاءا طبعت بمصر

كهف الارامل حصنها وثمالها * سيف على اعداء (احمد) ما نبا
فنشرت عندئذ لواء الدين في * هذي البسيطة بعد ما كان انطوى
جابت اليك العيس كل تنوفة * من غير انساع لهن ولا برى
يحملن من اقصى عمان الوكة * مني اليك يزفها حسن الثنا
مولاي اني لم اوشي بالثنا * برد القريض لنيل مال او غنى
لكن حبك في الفؤاد دعى به * والمرء موقوف على سبل الهوى
فاسئل لي المولى الكريم بفضله * علما يبلغني الطريق المرتضى
واسئله لي حظا عظيما رافعا * ووقاية وهداية طول المدى
وتقبلن خريدة عربية * لعبت بافئدة الورى ايدي سبا
جاءتك ترفل في برود جلالة * خود يضرج خدها ماء الحيا
عذراء ذات قلائد في نحرها * ما ان رآها راهب إلا صبا
فاسلم على كر الزمان وصرفه * بالنصر يكلأك الذي سمك السما

الناس معادن

عدد ١٤ في ٢٨ ذي القعدة سنة ١٣٢٨

خلق الله الخلق وقدر الرزق وشابه بين عباده بالخلق والخلق ولم يجعل بين مخلوقاته توافقا في شيء من الامور فكانوا مخالفين لبعضهم في الصور والاشكال والطباع والعادات فسبحان الخالق الحكيم الفعال لما يريد

انظر الى الاخوين التوأمين تجدهما متخالفين في العقل والخلقة ، ويتباعدان احيانا حتى يعدم التشابه من بينهما ، وانظر الى التلامذة ذوي العقول المتقاربة فانهم ينشأون على يد استاذ واحد في زمن واحد بحالة واحدة ثم يخرجون وقد تباينت عقولهم او كادت ان لا تتشابه وهكذا قضت حكمة الله في بقاء العالم ، فلولا اختلاف

في العقول او تباين في الطباع ، وتخالف في المقاصد والاهواء لما بقي العالم على حالته الحاضرة من الانتظام والترتيب لان الاتفاق من البشر على عادة واحدة وطبيعة واحدة يميل بهم الى اتباع خطة واحدة في طعامهم وشرابهم وحاجياتهم فتفقد الموجودات الدنيوية الاخرى فائدتها وتعدم الناظرين لشأنها وتذهب ضحية عدم الاعتناء والالتفات . ولا نبعد بك اذا قلنا ان الالة البخارية لا تقوم بعملها المفيد ويجني الانسان منها ثمرات طبيعية إلّا اذا تخالف سير ادواتها وذهب دولاب منها شرقا وآخر غربا وعلا هذا وسفل ذاك . ولو سارت دواليبها على وتيرة واحدة لفقدت انتظامها المطلوب باتباع خطة منفردة ووقفت عن الخدمة الى ما شاء الله

ولو امعن الانسان النظر لوجد ان الطبيعة الانسانية اشبه شيء بطبيعة الارض ولا غرو فقد خلق الانسان منها وسيعود اليها ويندمج فيها مرة اخرى فاذا شابهها فلم يشابه بعيدا . هذه الارض ذات تربة واحدة تسقى بماء واحد وتظهر عليها شمس واحدة وقمر واحد وبردها وحرها في كل اقليم واحد . وخالقها واحد وكل شيء امامها واحد ولكنها تختلف عن بعضها بالشبر والذراع فهذه الاذرع تنبت نباتا طيبا ولصيقتها تفسد الزرع وتهلك الحرث والنسل . وهذه البقعة تخرج الفواكه الطيبة والثمرات الجنية وجارتها لا تخرج الّا خبيثا مرا زعافا . وهذه الحفرة تخرج معدنا ذهبيا يساوي الملايين وجارتها تخرج الفضة فتساوي الالوف ولصيقتها من الحفائر تخرج افسد المعادن فلا تساوي فلسا ويكره صاحبها ان يراها مخافة ان يخسر عليها بردمها وستر معدنها وامحاء ضررها فما هذا الفرق ؟

أليس الناظر ايضا تاما بين البشر في فهم مدرسة العالم ناشئون وتحت سماء واحدة يعيشون وبيد واحدة مخلوقون فما هذا الفرق الذي نراه بينهم ؟ فما اجل الحكمة واجمع الكلمة التي قالها نبيء الامة صلى الله عليه وسلم « الناس معادن »

اي كلمة يمكننا ان نجدها دالة على ما تضمنته هذه الجملة الخفيفة على اللسان الحلوة في الاذواق الجليلة في المعنى ؟ افهمتنا هذه الجملة النبوية معنى التباين في الخلق وكشفت لنا حكمة دقيقة وسرا عميقا وهو ان اعمال الانسان وافعاله تنشأ عن طبيعته التي فطر عليها ولا دخل لمخلوق بمعروف يعمله واذية يصنعها فهو انما يجريها

مدفوعا اليها بعامل طبيعته التي فطر عليها ولا دخل للانسان الا باختيار الصنع والانقاذ وهذا ما ينالنا بواسطته من الجزاء والمكافاة فاذا كان الانسان مفطورا على حب الخير واسداء المعروف فلا يمكنك ان تلفته عن طبيعته واذا قضي عليه بمجازاة شخص انفاذا لامر إلهي او حكم بشري فانما يمتثل الامر على مضض وينفذ الحكم كارها . وبالعكس فان المفطور على الشر والخبائث يردعه طبعه وتربيته عن الاذى ويسوقانه احيانا الى عمل الخير ولكنه يعمل مكرها ويحسن منزعجا . . فهو لا لذة له الا بالضرر والاذى . وما يعمل من خير وصلاح فهو كاره له وليس بعد قوله عليه الصلاة والسلام (الناس معادن) جملة ابلغ من هذه في اداء المعنى

ليس قصدنا الان ان نبحث في اضطرار الخلق الى العمل واختيارهم . وليست غايتنا البحث في وجه الشبه وانما القصد ان نمثل ثم ننظر في معادن البشر فنميز بين المعادن النفيسة والخبيثة فيهم فقد سمح الوقت وحان الزمن الذي يكشف فيه الغطاء وتتمزق حجب التمويه والايهام . لا يعدم الباحث ان يجد بين المعادن الانسانية معدنا ذهبيا قيمته ثمينة وفائدته جسيمة وشذوره كثيرة لا يتعبك البحث عنه والظفر به واذا وجدته سهل عليك جلاؤه والربح منه . واذا ذهب من يدك فانما ينتفع به غيرك فهو مفيد على كل حال واذا خبأته لا يتغير مهما طرأت عليه الاحوال وتناوبت عليه شدائد الطبيعة . وجدير بك ان تتفق بمن يشبهه من البشر فهو ينفعك ولا يضرك ومعدن الذهب قليل . . . .

ويجد الباحث معدنا فضيا بين البشر فالاوقية منه تساوي شذرة ذهبية صغيرة فلا تجد من عملك الطيب في سبيله سوى فائدة صغيرة . وتحتاج للوصول اليه الى عناء كبير وتعب كثير وينتفع به غيرك كما تنتفع به انت ويشبهه من البشر الاصدقاء الناقون من الاضرار فاذا اردت الانتفاع منهم احتجت الى عمل كثير امامهم حتى تجد فائدة من صداقتهم وهم اكثر من المعدن الذهبي واقل منه نفعا

ويجد الباحث بين البشر معدنا زئبقيا قيمته ثمينة ووجوده قليل . ولكن الحصول عليه صعب فهو مفيد ما دام بعيدا عنك واذا اردت القبض عليه فر منك وهو يشبه اولئك الذين لا يعدمون فضيلة ولكنهم يفرون من الجميل فرار

الزئبق من يد الصانع . ويصنعون ذلك لا حبا في الاذى ولكن فرارا من المعروف ويدعوهم حب الذات . ويجد الباحث بين طبقات البشر قوما اشبه الكل بالفحم الحجري فان شكلهم رديء والوصول الى معروفهم صعب ولكن فيهم فائدة للانسانية ولا يمكن الوصول اليها الّا بالحرق . اما اذا تركتهم وشأنهم فلا ثمرة منهم الّا الاذية البسيطة من نشر الروائح الكريهة واثارة الغبار الرديء فاذا احرقتهم استخلصت منهم فائدة واذا شددت عليهم النار قلب عينهم الى الماس والوصول الى هذا صعب جدا دونه خرط القتاد . . . .

ويجد الباحث بين البشر قوما اشبه بالسم فهو ظريف الشكل قتال بالفعل لا يصل اليك ضرره الا اذا استعملته في جوفك ووضعته على جريحة فيك . فان سميته تسري بالعروق فتقتل الانسان وتعدمه الحياة . وهؤلاء قوم فطروا على الضرر المحض ولكن لا ينالك منهم اذى الّا اذا اتخذتهم بطانة لك واطلعتهم على ضميرك فلا تأمن شرهم واحذر اذاهم مهما حسن لك شكلهم وسرتك هيئتهم

ويجد الباحث بين البشر قوما اشبه بالمعدن الذي يسمونه حجر جهنم . فهو كالحية الرقطاء شكله الظاهري خلاب للنظر براق في العين ولكنه لا يمس ظاهرا او باطنا من الانسان الّا احرقه واتلف عضوا منه . ومهما اكرمه الانسان واحله مقاما كريما منه فهو يقابله بالاذى المحض . وهؤلاء قوم فطروا على الضرر المحض ان اسديت اليهم بالمعروف قابلوك بطبيعتهم . وان دافعت عن نفسك واجنبتهم حففت نفسك منهم . ويجد الباحث بين البشر قوما اشبه بمعدن الكربون المنتشر فهو مضر للنوع البشري سواء قرب منه او بعد فهو يوصل ضرره اليك بانتشاره اناء الليل واطراف النهار . واذا قابلته بالاحسان وآويته في احسن مكان كان ضرره اعظم وفتكه اكبر . ومهما حسن شكله وتبهرجت صورته فهو قتال لا محالة . فابتعد عن ذلك الضرر المنتشر بين انوف العالم كافة

لا نطيل القول على القراء ونسهب بالتمثيل بين معادن الانسان ومعادن الارض فاللبيب من امعن النظر واستخرج الشبه ولا يعدم فرد من الخلائق مثالا من بواطن الارض سواء كان نافعا او ضارا ومن اصدق واحكم من قال (الناس معادن)

الحكم الشعرية

الدهر

هل الدهر إلّا اعجمي اخاطبه ﴿ فمالي الى فهم المرام اجاذبه
ايثني الى وجه اللئيم بوجهه ﴿ ويرتد مزورا عن الحر جانبه
اراه اذا طارحته الجد لاعبا ﴿ وما انا يا اميمة لاعبه
ويضرب اطناب المنى لي هازلا ﴿ وما انا مخدوع بما هو ضاربه
وبيناه يبدي ابتسامة خادع ﴿ يقطب حتى لا تبين حواجبه
لقد اضحكت غير الحليم شئونه ﴿ وابكت سوى عين السفيه نوائبه
فيا ادباء القوم هل تنقضي لكم ﴿ شكاية دهر حاربتكم مصائبه
يشد عليكم بالسيوف نكاية ﴿ واقلامكم وهو الاصم تعاتبه
هو الدهر لم يسلم من الغي اهله ﴿ كما الليل لم يسلم من الشر حاطبه
اذا انسوا نور الحقيقة رابهم ﴿ فتجثو على الابصار منهم غياهبه
تضاربت الاهواء فيهم فناكب ﴿ عن الشر يقصيه وآخر جالبه
غرائزهم شتى على ان بينهم ﴿ كريما تواليه ووغدا تجانبه
لعمرك حتى البرق خالف بعضه ﴿ فقد خولفت بالموجبات سوالفه
ابت حركات الكون إلا تباينا ﴿ دوافعه فعالة وجواذبه
ولولا اختلاف شاءه الله في القوى ﴿ لما دار في هذا الفضاء كواكبه
سبرت زماني بالنهي وهززته ﴿ بتجربتي حتى تجلت عواقبه
ولم استشر في الناس غير تجاربي ﴿ وهل يصدق الانسان إلّا تجاربه
فلا ترتكب قرب اللئام فانهم ﴿ كما البحر محمول على الهول راكبه
الا رب شيطان من الانس قد جرى ﴿ ليختلني خلسا وعيني تراقبه
فقلت له اخسا انما انت خائب ﴿ وقبلك اعيا الجن ما انت طالبه

فولى على الاعقاب يحبو وقد درى * ولله درى انني انا غالبه
فاتبعه منى شهاب تسامح * يشق ظلام الجهل بالحلم ثاقبه
ولو شئت ارسلت الخديعة خلفه * تطارده حتى تضيق مذاهبه
ولكن ابى منى الخداع مهذب * تعود فعل الجد مذ طر شاربه
وما عجبي في الدهر إلّا لواحد * وان كثرت فى كل يوم عجائبه
وذلك ان العيش فيه مطيب * لمن خبثت بالمخزيات مكاسبه
ولو كان في اعماله الدهر عاقلا * لما كان مثلي في الورى من يحاسبه
ولو لم يكن في كل ما فيه خادعا * لما ام فيه صادق الفجر كاذبه
ابى الدهر إلّا ان نرى الحق مجدبا * مشارقه مغبرة ومغاربه
فما ان جرت إلّا عقيما رياحه * ولا ارتكمت إلّا جهاما سحائبه
وذى سفه اغضيت عنه تكرما * فدبت على رجلي غدرا عقاربه
فقمت له بالنعل ضربا فلم ازل * بهامته حتى اطمأنت غواربه
وجنبته السيف الجرار لانه * تعالت عن الكلب العقور مضاربه
لقد عابني جهلا ولم يدر انه * اقل فداء للذي هو عائبه
له نسبة مجهولة غير انه * مغامزه معلومة ومعائبه

(معروف الرصافي)

هل من سبيل

الى النهوض

عدد ٣٠ في ٧ ذي الحجة سنة ١٣٢٨

لقد اصبحت الامم سوانا تمرح في مرج الرقي وتسحب مطارف العز تتفيأ ظلال السعادة وتتطلع الى معارج الكمال واصبحنا وراء الجميع ليس لنا منهم إلّا

آثارهم ولا تصل الينا إلا اخبارهم والسواد الاعظم منا يسمع اقاصيصهم كما يسمع الاكمه عجائب ما يأتي البصير. وقنا ان قد حيل بينه وبين الاتيان بمثله بحائل طبيعي غير داخل دفعه في كسب الانسان . وقليل من هؤلاء يتذمرون من صغر تلك الانفس ويتناجون بشان ذلك في كل ناد وان بحثت عم يتساءلون فهم يقولون هل الى النهوض من سبيل . هؤلاء فارقوا الدهماء فلم يخنعوا لتيار اليأس ولم ينقادوا تحت صغار الاستسلام وايقنوا ان القنوط للانسان اردى قرين وانه للفكر الموت الزؤام وان الحركة دليل الحياة والموت علامة السكون. اولئك الذين استنارت بصائرهم بنور الامل وان كان ضئيلا ونبض فيهم عرق الحياة وان كان ضعيفا وذلك مجمع سبلهم الذي التقوا فيه واجمعوا عليه ومنه تفرقوا في كل واد يهيمون وشعار كل هل الى النهوض من سبيل. يقول فريق منهم ان المسلمين جسم واحد اصيب بعلة فما صلح بعضهم يلبق بالباقين واذا انتعش فريق منهم فالبشرى للاخرين ولعمري ان هذا الفريق غرته الظواهر وخدعه حسن الظن وليت الحقيقة مثل ما يقول . ولكن المسلمين امة تفرقت واتخذوا دينهم شيعا كل حزب بما لديهم فرحون واصبحوا ضمن دوائر ضيقة متدابرة قضت بفصل اجزاء هذا الجسم العظيم عن بعضه ووقر في نفوس بعضهم وجوب التنكب عما ياتيه الاخرون حرصا على بقاء ذلك التنافر وخوف الحشر في زمرة من يرونهم ضلالا وهكذا كانت المسافة بين اولئك تبعد بكر السنين ويحدث تطاول الزمان دوائر اضيق يفرق بها بين من ضمتهم الدائرة الاوسع حتى بات المرء منهم منزويا حول نفسه لا يهمه من امر اخيه الم او سرور وشعر حينئذ كل فرد بالعجز اذ اصبح في هذا المعترك الحيوي وحيد لا يرجو نصرا ولا يتكلف بانتصار ولم يكن للدين اثر عظيم في صدره فلذلك لا يشعر بثقل المسئولية ولا يرى نفسه مدينا لاخيه بالانتصار له حال كونه ظالما او مظلوما وبالاعانة له في السراء والضراء اولئك لم يكونوا جسما واحدا ولعلهم في المستقبل يكونون

ومن الناس من يقول ان اصحاب الجناية على الامم الاسلامية هم القادرون على اصلاح ما افسدوا وهم احق من اخذ بايدي اولئك الاقوام فاقاموهم من مزالق العثار الذي اوقعوهم فيه وخير كفارة لمن خرق ان يرتق ثم هم اضطربوا في تعيين الجاني هل هم اهل العلم او اولوا الامر فهم من ذلك في امر مريج

وماكان لهم في ذلك صائب الراي اذ المفسدون كثير وقليل من ذوي الاقتدار المصلحون وجلب الداء في وسع كل ولكن الانقاذ منه لا يعلمه إلّا قليل وكل يمكنه اضناء جسمه وما كل واصف حكيم

ويرى فريق هو اقوم قليلا ان المسلمين سعدوا بهدى القران الحكيم قديما فاقامهم على المحجة وسلك بهم سبيلا امينا كان لهم فيه رائد الخير ودليل السعادة التي ليس وراءها مطمع للطامعين وامنهم اصدق البشر الذي اتى به صلوات الله وسلامه عليه من الضلال ما بقوا بعروته مستمسكين ثم اذ لووا عنه رءوسهم واضلوا طريقه وقعوا حيث نراهم اليوم في اسفل الدركات ممتهنين وان حبل الله على مقربة منهم تناله ايديهم ومن يعتصم به فقد هدى الى صراط مستقيم . ومابينهم وبين استرجاع ما فقدوا سوى نبذ ما بايديهم دونه والاستقامة على سبيله ولعمر الحق انه لـراي رشيد جاءت به الاخبار الناطقة من الطرق الصادقة واعان به القرآن لكافة المنذرين « وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذالكم وصاكم به لعلكم تتقون » ومع كون هذا الراي لا يقبل جدالا اذ كان محض الصواب فهو قاصر على الوصف دون كيفية الاستعمال ونحن معه لم يعوزنا حكيم واصف ولكن اعوزنا العارف بالاجزاء والتركيب والداء فهل اليه من سبيل . ومع ذلك فان الرقي المقصود للباحث من هذا الطريق ان كان هو رقي الاخلاق وكمال الانسان النفسي وغسل الخبائث والرعونات البشرية فحقيق على من طلبه ان لا يلج اليه من غير هذا الباب اذ هو لذلك خير دليل وليس ذلك كل ما يقصد طالبوا الاصلاح فكثير منهم فتنتهم المدنية الغربية وراوا تلك الامم وقد سحروا اعين الناس واسترهبوهم فقالوا ليت لنا مثل ما اوتي هؤلاء انهم لذوو حظ عظيم

فهل يكون الالغاء نصيب ما فكروا ام يصح ان يكون ما خلب عقولهم من ذلك رقيا حقيقيا وعلى الامم الاسلامية ان تسعى اليه واذا قصدته فهل تكفل استقامتهم على ذلك السبيل بنيل ما يبتغون . ذلك ما لا يسع متوخي الاصابة ان يجيب عنه بجواب واحد ولا مندوحة له في ذلك عن التفصيل فان لتلك المدنية الفاتنة بروائها .قبائح تضاهي ما هو مخبوء في الانسان تحت بشرة ناعمة وجسم لطيف وود الكثير من اهل

الراي منهم ان يتخلصوا منها لو استطاعوا لذلك سبيلا فهم يتوجسون منها شرا ويزعمون ان تفاقمها مؤذن بسقوط عظيم . وغني عن البيان تنزه الكتاب المبين عن ان يكون لها دليلا بل انه واقي من اعتصم به من الشر كيفما كانت صفته ومهما قلت اخطاره ومنها كثير لا غناء عنها ولا رقي بدونها علم ذلك الكافة واستقر في انفسهم فهم فيها لا يمارون . وهذه اذن فيها للمسلمين على الاجمال ولكن الاخذ بها والاستفادة منها يتوقفان على طرق لا يسلكها إلّا كل ذي شجاعة وشعور فهل ترى لهم من باقية من ذلك هل يستطيعون بها اقتحام تلك السبل ان ذاك اليوم عليهم عسير وعسى ان يكون في المستقبل يسير . وكثير من تلك الاسباب التي اخذ بها الغربيون تفرقت فيها الافكار واختلفت عندها الاراء فمن الناس من يقول انها اساس الاصلاح ودعائم يقام عليها هيكله وتوسع في تقرير ما ارتأى بقدر ما له من قوة في الجدل او الخطابة او البرهان ومنهم من يراها دون ذلك فلا يجعل لها المقام الاول ويحسب ان المراء فيها سابق اوانه كما حدث في مسالة تعليم المرأة وهتك الحجاب ومن الناس من يجادل في ذلك ويزعم انه ينتج عكس ما قصد الباحث وانه تنجم عنه المفاسد والشرور . ولا يزال كثير منهم في مرية من امر تعليمها . ودون ذلك كثير من المشاريع الاقتصادية التي هي اليوم عند الغربيين مصدر القوة ومنبع الثروة ينظر اليها مدعو الاصلاح نظر مجتهد تعارضت لديه الادلة فلم يقو على الترجيح بما هو منشأ الخلاف . وانا لنرى (كلا) يزعم انه يستهدي بهدي الدين وان الدين ناصر ما ادعاه فهم اليوم يمثلون الامة في ثالث قرونها بما احدثوه من المنازعات وما ظهر فيهم من النزغات غير انهم استبدلوا مسائل القدر وخلق القرآن واشباهها بتعليم المرأة والحجاب والشركات المالية والمعاملات التجارية ونظائرها مما جاء به التمدن العصري واستبدلوا اسم اهل الاهواء بابناء النشأة العصرية وكل يحصر الفرقة الناجية فيمن تاخذ برايه وتستهدى بهداه واجتهدوا جميعا في الاجتهاد فمنهم فاتح ومنهم مغلق وكل ينعي على سواه هذا بالجمود وذاك بالالحاد . وكانهم راق لهم ذلك العصر وشاقهم ما وصف التاريخ فيه فعمدوا الى اقبح فصل فيه ومثلوه فمثلها بانفسهم في ذلك التمثيل . ولقد عنت الفرق بتوسيع خرق هذا الاختلاف حتى يصعب على ذي اللب

الحكيم وتقه فسفهت احلام بعضها في كثير من المسائل التي لا دخل لها فيما هم عنه يبحثون واصبح البون بينهم شاسعـا وقليل من هؤلاء تـقـاربوا وادركوا انهم في غنى عن كـل ما يستوجب شقاقا او نفورا وسعوا في تايبد ماهم عليـه وكان سعيهم مشكورا . بيد انا لم نصل بعد الى النقطة التي طال البحث عنها وهي حمل الامة الاسلامية على التشبث بالوسائل التي تقف بهم على آكام الرقي حيث تتدفق ينابيع الحياة

تونس في مجلس الامة

او

ملاحظتنا على تقرير العضو م. بوج

عدد ٣٢ في ٦ محرم الحرام سنة ١٣٢٩

كلف في هذه السنة المسيو بوج احد اعضاء مجلس النواب بوضع تقرير عن الميزانية التونسية يطلع عليه اعضاء المجلس جميعا ويطلعون من بينه على سير التنظيمات بهذه الايالة ومبلغ الرقي فيها وقد قام هذا النائب بعمله واضاف الى ما راى شيئا مما لم يره فكانت نتائجه وافكاره منتهى ما يصل اليه المصيب في نظر حزب الاستثار او الاستعمار وربما كانت غير ذلك في نظر الوطنيين . وقد تناقلت الصحف مجمل تقريره ورأينا ان نلاحظ على مواضع منه ظنناها غير ملائمة لمن يتطلب الاصابة في الراي والقسط في الاقوال . اقدمنا على ذلك وان كان يبعد في نظرنا ان يكون لصوتنا صدى ازاء هذا الصوت الندي ولكن لئلا تبقى الحقيقة محجوبة ونكون نحن المحجوجين . يهمنا ان يتمحص الصدق ولكن لا يهمنا تغلبه على غيره اذ ان ذلك يتبع ترجيح اولي القوة واصحاب الشان . على انا لا نياس من ان يتبين ذي السمع الصحيح انة ضعيفة بين جلبة وضجات . وعسى ان يكون هذا بين رجال الجمهورية موجودا

كثيرا . جاء في هذا التقرير ان الجمهورية لا تسمح عند اطلاق الشركة بالمناصفة بل ان سياستها التفاوت في الانصبة نظرا لراس المال الذي وضعت فرنسا القسط الاوفر منه وهو الجند والمال في حين ان الايالة التونسية لم تقدم لهذه الشركة رأس مال سوى خيراتها الطبيعية وان الايالة قد نالها نصيبها من الفوائد الاشتراكية .....

فقد انشئت بها المواني وامتدت على سطحها شرايين السكك الحديدية واضاءت ارجاءها بالانوار الوهاجة واحيي مواتها الى غير ذلك وهو اوفر نصيب تناله من شركة كهاته . ولكن الاهالي لم يحسنوا ادراك هذه المحسوسات والحقائق الخ . وقد ظهر من هذا التقرير ان فرنسا عقدت الشركة مع الارض فقط لا مع السكان ومن يعلم اذا كانت الارض مسرورة بما نالها من فوائد الاشتراك او انها لم يرق لديها وهج الانوار وصفير البخار واستفراغ احشائها وقلبها بطنا لظهر فعهدي بالارض لا تنبيء عن سخط او رضى والمقرر جعل معها التشريك . والحقيقة انا كنا نظن ان سياسة التشريك هي مع الاهالي لا مع الارض بمعنى ان الاهلي ينبغي ان يستفيد مما يبدو من آيات الرقي على يد الاحتلال . فينال من العلوم حظا وفيرا ويعطى من العناية به جزءاً كبيرا فان الارض التي تفتحت اليوم عن كنوز ماكانت لتجود بها قبلا لولا مفاتيح العلوم التي افترعتها قد فارقت صاحبها يتكسع في ظلمات جهله على الطور القديم وخرجت هي في ثوب كنوزي جديد . ونحن نظن ان صاحبها هو شريك فرنسا بما يدفعه من الضرائب وباخلاصه الذي لا حد له نحو الاحتلال وبتلقيه تلك الجيوش على اكف الترحاب .....

واذا الحقيقة على دعوى المقرر ان الشركة بين فرنسا وارض تونس وهي لم تغمط لها حقا فاذا ايدت الجمهورية هذه الحقيقة باعمالها فانا نرجع عن فهمنا القديم ونشكر المقرر حيث افهمنا . ثم بعد سرد كثير مما تم على يد فرنسا من المشروعات الجليلة كتنظيم البريد واحداث معامل الصناعة لخدمة المعادن وترقية الفلاحة والتجارة والصنائع واصلاح المالية واستخراج ما ضمه بطن الارض من الخيرات سأل هل قابل ذلك الاهالي بامتنان ووداد صادق . ونحن احق من ان يجيب عن انفسنا اذ كنا المسئولين . قابل الاهلي تلك المشروعات باعجاب عظيم لما اتاه الشعب الفرنسي من

آيات الرقي الباهرة وكانه لا يوجد في هذا القدر مجادل . كما قابله ايضا باخلاص يفوق حد الوصف بخضوعه لكل ما يوجده من التراتيب وما يحدث عليه من الضرائب التي هي قوام تلك المشروعات . وقابله ايضا بالاستياء تلقاء تلك المشاريع من حرمانه فوائدها واقصائه عن ثمراتها . كما قابل بالاستياء التام ان يكون جزاءه عن خضوعه واخلاصه العظيم توجس شعب الحماية منه الشر ورميه بانه يتربص بالمحتلين الدوائر وذلك اقصى ما يصاب به الانسان . هذه ادارة الفلاحة قامت بمشاريع عظيمة لترقية اساليب الفلاحة وانماء ثمراتها بما بذلته من المساعي والاعانات فهل اصيب الاهلي منها نصيب الخماس من الفلاح

هذه ادارة الاشغال العامة اقامت مشاريعها العظيمة على كاهل الصقليين والطليان (مع قطع النظر عن وظائفها) فهل على الاهلي تحجير صحي خوف عدائه

لا يتمالك الاهلي عن الاعجاب بهذا الترقي المادي ولا يجد مندوحة عن دفع ما افترضته الدولة عليه للقيام به . افيراه احد في الكون ملوما اذا ظهر عليه الاستياء لكونه محروما . على ان المعارف لم يبذل الوسع في ايصالها اليه بل بالعكس كانت تقام العراقيل في طريقه اليها وما عهد ماشويل ببعيد بل ولا يزال الى اليوم بعض من لا يستهان بهم ينادون بحرمان الاهلي من الترقي في العلوم وان كنا على يقين من ان ادارة المعارف قد تحسنت سيرتها نحو الاهالي منذ استلم زمامها مديرها الحالي الموقر . وقد احتوى تقريره على حقائق لم ندر لايرادها موجبا وتلك هي معاملة الحكومة الجمهورية لسكان هذه الايالة . من كونها لم تزحزحهم عن اماكنهم ولم تصادرهم في ممتلكاتهم ولم تحكمهم بالخسف والجلاء ولوكان قصده من ايراد هاته الحقائق الامتنان على السكان بهاته المنن فربما كان غير مصيب اذ الحكومة الفرنسية عند سلوكها هاته السياسة لم تشعر بانها تثقل كواهل الاهالي بالمنن بل انما كانت تشعر بقضاء واجب نحو شعب خاضع لسلطانها واطمأن لاحتضانها فلم يغرس نارا ولم يبذر عداء ولم يوقد نار الفتنة ولم يضطجع في مراقد الضلال . فشعب هذا مقدار اخلاصه وخضوعه لا يكون جزاءه سوى ما عدد من حسنات الحكومة الفرانساوية . اللهم ان تلك تعد منا من مثل حكومة نيرون وتيمور واسبانيا في اواسط القرون الغابرة . اما فرنسا

الجمهورية ذات السمعة العالية في القرن العشرين فانها تفعل ما اتته مما بينه (المقرر) من حسناتها إلّا قضاء للواجب وهو في نظر الغربيين لا يصح به الامتنان . بل لو اختبر فكر الاهالي لدلوه على ان لفرنسا مكانا ساميا في القلوب تعالت منازله يوم جعلت في اذنيها وقرا عن سماع شكايات حزب المعمرين من تشريك الاهالي معهم للنظر في ميزانية وصممت على اتمام ما ابتدات به من جعل هيئة للاهالي في نادي الشورى رغما عن الغارات الشعواء التي شنتها صحف اعداء الاهالي ضد هذا التدبير وعن ارسال الوفود منهم للديار الفرنساوية لاحباط هذه المساعي فان الجمهورية يومئذ برهنت باجلى برهان للعالم المتمدن على شدة تمسكها بمباديها التي شيدت صرح مجدها عليها كما برهنت بوجه خاص على توددها للاهالي ومنة قلدتهم اياها اذ سارت بهم خطوة في سبيل الحكم الذاتي او ما يسمونه بالدستور

وان هذه المكانة الرفيعة التي احرزتها في القلوب زادت تمكينا ورفعة يوم اغضت عن مطالب هذا الحزب المتطرف المتعلق باخراج اليهود التونسيين عن نظر محاكمهم والحاقهم بالمحاكم الفرنسية فهي في تلك الازمة التي زاغ لها بصر التونسي قد سمعت صوته وايدت مطلبه وبرهنت له في ذلك الموقف الحرج على مساعدتها اياه (ولا عبرة بامر التجنيس) . تلك منن تقلدها كل تونسي من حكومة الجمهورية وهيهات ان يمحى نقشها من فؤاده ما بقي منقوشا على الصفحات .....

وذلك يذكرنا بما جاء به المقرر في تقريره عند الكلام على افتتاح نادي الشورى المختلط اذ قال ان النواب الفرنساويين رحبوا بزملائهم من الاهالي ايما ترحاب وقابلهم على ذلك هؤلاء ببرودة وفتور (دعى الى الانقسام بعد الالتئام)

فان ما ذكره مما يؤدي هذا المعنى يصح ان يكون غير الحقيقة لا عينها فانه ما كاد يظهر الامر العلي القاضي بتعيين ستة عشرة عضوا من الاهالي حتى قابلته صحف المتطرفين ممن عناهم صاحب التقرير بالصخب والشغب وطلبوا توقيف العمل به واوفدوا وفدا لوزارة الخارجية كي يتفاوض معها في هذا الشان وتذمروا عند الافتتاح من تلك المقاعد التي جمعتهم مع فريق ممن يرونهم متوحشين

وظهر اثار استيائهم في مناقشات ذلك المجلس فكانوا لا يالون جهدا في احباط

مساعي الاهالي وقتل اقتراحاتهم عند الاقتراع . وقد ظهر ذلك جليا في مسالة زيادة اجور المستكتبين وفي مسالة اليهود والعدلية التونسية وقذفوا من افواههم على الاهالي جوارح التعبير حتى عبرت بافصح العبارات عن الاستياء من سلوكهم جريدة (الطان) واعقب ذلك الامر بالفصل بين هيئتي الجمعية خوف قدح الشرر من هذا الاحتكاك . كل ذلك حقائق سارت بها الصحف فى ابانها بين المشرقين وبين المغربين فما كان لمعتمد مثل هذا المقرر (الموقر) ان يجهلها او يتساها وان ظهورها مخالفة لما سطرت يداه ربما يوقع من اعتمدوه في حيرة وارتياب . . وكأني بحضرته وقد زين له حزب الاستئثار زخارفه وسدل بينه وبين مقاصد ذلك الحزب الفاسدة حجابا من الخلابة والتضليل فظن انهم لا يعبرون إلّا عن الحقيقة ولا جرم فهو اذا مخدوعا في تصوره وواهما في حكمه . او كان من المحافظين

ونحن يعز علينا ان نرى لدينا نائبا من نواب الجمهورية عظيما يحل بين اظهرنا ثم لا يتعمق مع الحقيقة حتى يصيب كبدها ويكتفي بأوائل الفكر وشارد النظر الذي لا يثق بما يبدو معه حكيم ثم يبت حكما في مسائل هي اكبر مما كان يظن ويحسب شأنها هينا وهو لدى التحقيق عظيم . كمثل الانخداع الذي أستسلم له في مسالة الاحباس الخاصة مقتنعا بان اصلها حماية الاملاك من جور الملوك الظالمين ولا شأن لها مع الدين وذلك غلط فادح من كلتا الجهتين منشاه عدم تشبع المقرر بالقول الفصل في هذه المسالة واستقائها من مواردها والاكتفاء بالنظر السطحي والظنون . ولو طالع فكر الاهلي الخبير بها لتبين له ان اصلها ليس كما يظن وان لها تعلقا بشعائر الدين متينا . فان قصد المحبس اولا هو وقاية اعقاب ذريته من شر الحاجة وبلاء الفاقة والاعسار . وخوف وجود مبذر في عقبه لا يحسب للمستقبل ولا لذريته حسابا فيمنع عنه بالتحبيس تفويتها ويجعل غلتها ثمرة باقية في عقبه كي لا يحتاجون ثم انه يعتقد طبق ديانته ان قبره يكون مهبطا للرحمات كلما سد ريع حبسه خلة لذريته وهم عند ما خلفه الجد اليهم يبتهلون الى الله باكرام نزله ومقيله . وتلك فائدة اولى دينية يعتقدها المحبس يوم حبس كما يؤمن بيوم الحساب . ويعتقد ان بانقطاع ذلك الحبس ينقطع ما يرجوه من ذلك الثواب . فالعبث بعدئذ بملكه هو

عبث بالاعتقاد وتعلق هذه المسألة بالاعتقاد مكين ثم من جهة اخرى يظهر جليا تعلق المسألة بالدين تعلق لا مراء فيه . ذلك بان كل الاحباس الخاصة معقبة لمرجع ترجع اليه غلة ذلك الوقف بعد انقراض من خصهم المحبس بالريع وتلك المراجع هي ما انتصبت جمعية الاوقاف للقيام عليه من جامع او مدرسة او سبيل او غير ذلك فهو حبس خاص موقتا وحبس عام بحسب المئال وهذه المراجع التي تقوم جمعية الاوقاف على رعايتها لا يجادل احد في انها شعائر اسلامية ومواردها هي قوامها والعبث بالموارد عبث بالاصل وقد امنتنا حكومة الجمهورية رسميا من العبث بالشعائر الدينية وحق عليها اتمام الوعود .....

وانه لما يدهش استغرابا معرفة ما ينتجه راي المسيو بوج المقرر على فرض صحة ما القي اليه من البيان في السبب الحامل على التحبيس فانا اذا فرضنا ان المحبس يوم حبس كان الحامل له على ذلك الخوف على املاكه ان تعبث بها ايدي ملوك الاستبداد وقد تحقق ما ارتاءه فبقيت املاكهم الى هذا العهد يستمتع بها ذريتهم ويقتات من ثمراتها دون ان تجول ايدي الظلم في اخرابها او اخراجها عن اصحاب الحقوق فيها . ثم هو اليوم يشير على دولته ان تخرج تلك الاوقاف عن اصولها ارضاء لحزب المعمرين فلا مندوحة للناظر في ذلك عن الوصول الى نتيجة تتبرا منها الجمهورية وهي من سياستها على خط مستقيم وتلك هي حمل دولته على امر عفت عنه ايدي الظالمين في تلك القرون المظلمة ... فاذا كان التحبيس يمنع الايدي الظالمة التي لا تقيد بقانون ولا تحفل بنظام عن العبث بالاوقاف . فرعايتها من دولة الحماية احق واوجب وهي دولة الحرية والقانون . واذا كان عفاف اولئك المستبدين عن تلك الاحباس لوازع ديني يمنع من وصول يد التغيير اليها فذلك ما نفاه المقرر في اول كلامه عنها اذ قال ان لا علاقة لها بالدين وقد يعلم من مراجعة ما مر من علاقتها المتينة بالدين اولا ومئالا . ولا يغفل عن ذلك إلّا كل مقتنع بالتمويه والتضليل وليس بذي راي نقاد ولا بذي نظر متعمق في التنقيب والبحث

ولعمري ان اعجب ما حواه تقريره استصوابه الحاق اليهود بالمحاكم الفرنساوية فان هذه الثائرة اثارها فريق نزق من هذه الطائفة التي لا تزال الى اليوم تعامل في المحاكم

الوطنية باقصى الجهد في العناية والرافة مما يتمنى كثير من المسلمين ان يلقاه وطرح مطابهم بهذا الشان في نادي الشورى فاحتج النواب المسلمون على هذا الاقتراح وبينوا بالبراهين المختلفة شكلا المتحدة صوابا فساد هذا الاقتراح وانه مخالف لاصول الشرائع واساس الحماية . وان الحق ابقاء المتحدين في اللغة والوطن الخاضعين لملك واحد يتحاكمون امام محاكم متحدة ولا اسوة للحكومة في هذا الميز لتقلدها فتبرر اعمالها . ولقد عرضت هذه المسالة في نادي الشورى للاقتراع فكانت الاغلبية لجانب اليهود لقلة عدد النواب المسلمين وسير اغلب الاعضاء الاخرين على مبدى معاكسة اولئك الذي سماه المسيو المقرر ترحيبا . واذ ذاك قام المسلمون بمظاهرة ضد هذا القرار وارسلوا الاحتجاجات للحكومة الفرنسوية فاعارت تلك الاصوات جانب الالتفات واطاعت صوت الحق فابدت بفعلها مطالب الاهليين . ومن ثم هدات تلك الثائرة التي كاد يتطائر شررها بين العنصرين . فما الموجب اليوم لاعادتها وابداء الراي فيها وهي لم تعد هذا العام في جلسات الشورى

لا جرم اذا قلنا ان ذلك مما يدع الافكار في حيرة وارتباك وانا لناسف اشد الاسف لسوء التفاهم الذي يجتهد حزب الاستثمار الفلاحين في ايجاده بيننا وبين رجال الحكومة الفرنسوية حتى يتوصلوا بذلك التضليل الى تمثيلنا بصورة اعداء لفرنسا ناقمين على الاحتلال . كما انه يتضاعف استياءنا اذا راينا رجلا كصاحب التقرير واقعا في شباك ذلك الحزب منقادا لارائه فان مثله في سامي المقام اذا ملا فكره من جهتنا بتلك التصورات الوهمية الكاذبة ربما وسع الهوة التي احدثها حزب المعمرين بين الحامين والمحتمين وذلك ما يكدر كل تونسي اشد التكدير

وان انتقادنا لكلام المقرر في كثير مما جاء به لا يمنعنا اسداء الشكر الجزيل لحضرته على ما ابداه من حرية الضمير في مسالة استخدام الاهالي والاقرار بانهم لا يتمتعون بما يتمتع به الاناميون اخوانهم في كفالة الراية الفرنسوية . وناملوا معه ان تسعى دولة الحماية لازالة ما اوجب اسفه واستياءنا وان سعيها في ذلك يكون مشكورا ..... ؟

هل الى الرقي من سبيل ؟

عدد ٣٤ في ٧ محرم الحرام سنة ١٣٢٩

لقد اسفر حديث مضى لنا وكان لهذا الحديث صدرا عن حقيقتين لا مراء فيهما بل مقدمتين لا قضية سنفيض الكلام فيهما هما شعور عموم المسلمين بما حاق بهم من سيئات ما كسبوا واختلافهم في الراي اي سبيل للنجاة يسلكون . ولقد حدى بنا الحديث الى الافاضة في ولع المسلمين بالخلاف حتى في احرج المواقف واضيق الاوقات وكذلك حقت عليهم الكلمة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك فانهم يعلمون ان الرقي على ضربين مادي وادبي وان الرقي المادي نتيجة السعي والاخذ بما اخذ به الاقوام ولا يعصم من شروره إلّا التحرز بحرز الاداب الدينية التي ارشد لها الكتاب المبين . فهل بعد هذا لاحد هذين النوعين توقف على الاخر او بالحري هل يكون نصيب كل منهما من الاهتمام في الوقت الحاضر على السواء او ان احدهما الاحرى بالتقديم . الا لا يجادل احد في ان الافعال مهما كانت قيمتها لا تصدر إلّا عن وجدان نفسي تابع للتربية العامة والتلقين بالتعليم وان التعليم ليجمع بين المختلفين في اساليب التربية فيجعلهم اشبه ببعضهم من كل شبيه . ولما كان المسلمون قد اصابهم من سيئات الشقاق والتدابر ما اصابهم وهم اليوم احوج ما يكونون الى باعث يبعثهم على سلوك سبل الارتقاء الحق متحدين . فهل لذلك من واسطة غير توحيد التعليم . وبذلك يتضح جليا توقف احد النوعين على الاخر وان سلوك طرق الرقي المادي قبل الوصول الى غاية في الرقي الادبي عسير وان كان ممكنا وبعكس النتيجة ان لم يكن عقيما . بقي النظر في هذه القضية وهي توحيد التعليم بين المسلمين هل للنفس في تحقيقها من طمع وهل اسبابها مهيأة وهل يقوم دون الوصول اليها من عائق عتيد . لا اتوقف في الجواب عن جميع تلك الاسئلة بايجاد وشرح بيت القصيد . ذلك بان الله ورسوله يامر ان جميع المسلمين بالائتلاف والاتفاق ويحذرانهم

مزالق التفرقة وقد جمع الله المسلمين في اليوم وما قبله على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فهم وهم بضع وسبعون فرقة تدين بما ذكر تطأطئ الرؤوس اذعانا وهذان هما جماع الخير ومنبع الرشد واذا وصل الفكر الى هذا الحد يرقص طربا اذ يرى فواق الناقة ابعد من رقي المسلمين ولكن تجاوزه هذا الحد يحدث له رد فعل يخور معه عزمه فيسقط في اليأس واهيا حيث يقف امامه عائق عتيد وذلك هو كثرة الاعداء وقوتهم الفائقة الحد وتيقظهم لكل بادرة ينتج عنها صلاح المسلمين

ان المسلمين في سائر الاقطار قد تقاسمهم غيرهم فهم بين استقلال مستبد او استيلاء غريب وكل من هذين ضنين بما غنم منهم فلا يغفل عن اقل شيء يضعف ضغطه عليهم حتى يستاصل شافته ولا يدع سببا اوقعهم في يده حتى يحرص على استدامته حرصه على سيادته . وما المستبد إلّا حافظ امين على تلك الغنيمة التي وقعت بين يديه حتى يستلمها من يده للغريب وهي على تربية العبيد

وهذه الحكومات بين مستبدة وغريبة قد اتخذت لها اعوانا قلدتهم اوسمة العلم ونياشين (المعارف) وابرزتهم للعامة حتى يكونوا مقام التقليد فكان هؤلاء حربا للمسلمين ومانعا من ائتلافهم ومشنعا على كل من جاهر بهذا القصد بانه ملحد عدو للمسلمين . فلا تلبث الحكومات ان تؤيدهم لانهم يؤدون لها اجل خدمة ولا تلبث العامة ان تزدري بما القى اليها لانه ضد ارادة سادانهم من اولي الامر واهل الدين . وهكذا تذهب صيحات المرشدين ونصائح المصلحين دون صدى ويذهب جهدهم سدى وما خصمهم إلّا من عرفت . وربما بحث الناظر عن سبب وقوف هؤلاء سدا في وجه كل اصلاح وهم احق من قام بدعوى الاصلاح لمكانهم من الدين . فاقول ان لذلك سببين اولهما الاعتقاد بان شكر المنعم واجب وان الذي اجاسهم على الوثير والبسهم من الحرير ورفع منزلتهم وجعلهم يعيشون عيش المترفين لخليق بان يكونوا حراس عرشه وحفاظ عيشه الذي هو اصل عيشهم ولعلهم برجوعهم الى الحق يرجعون الى العيش الضيق والشظف الذي كان يكابده السلف وذلك ما يرجفون لذكراه وربما خرج بعضهم عن منصبه لسبب فرايت منه من الافكار ما سرك وتمنيت ان يكون ذا منصب حتى يكون للاصلاح خير ظهير . هذا اضعف السببين واقواهما

شعور اكثر هـؤلاء بالقصور عن درجة العلم الحقيقي وصعوبة اعترافهم بالحقيقة ما داموا علمـاء رسميين فغالطوا انفسهم كما غالطهم اولي الامر وانـفوا من ظهور ذي حجة لقصورهم مبينا

اقول ما اقول غير قاصد فردا او جمعا خاصا ولكن هو وصف لمن اتصفوا بالعام قديما وحديثا إلّا اهل العلم من خير القرون فاقد كان العلم على عهدهم غير رتبة يمنحها الولاة للذوات ولكنه حكمة يختص بها الله فريقا ممن جاهدوا في سبيل تحصيلها وكانوا يطلقونه على اهل الرواية واسرار التنزيل وكذلك كان العلماء احرارا في الاستنباط والفهوم وكان العوام احرارا في الاتباع والتقليد ولكن ملوك الاستبداد لما راوا ان الدعاوي السياسية لم ترتكز إلّا على اصـل ديني اضطروا الى ايجاد قوة تؤيد ما هم عليه من جليل الاشياء وحقيرها فتجعله للدين اصلا وبوفق بينها وبينه ولو بالتمحل في التاويل ولن يرضى بهاته المنزلة الـدنية إلّا ذو البضاعة المزجاة في العلوم فان العالم الذي اشربت نفسه عزة العلـم لا يرضى ان يخدم غرض جاهـل تلقاء قليل او كثير من الحطام وانه ليلقى اشـد صعوبة اذا رام ان يخالف ضميره ويأت امرا نهاه عنه ما تلقاه ، ولم يخل قرن من الايام الخالية بعالم يقـوم بانكار ما يرى ويجهر لتلك الفئة انهم على ضلال وما هو إلّا ان يرن صدى مقاله في اذان الملوك الذين يضرهم قوله فيجردون عليه جيشا من اولئك الـذين البسوهم العلم وقلدوهم تاج (المعارف) اذا كانوا يوقنون انه لا يغني عنهم في تلك الغارة سيف ولا سنان ولا ينفك اولئك عن مطاردة الحق حتى يخفت صوته ويستقر في اذهان العامة ان اولئك العلماء يجاهدون في سبيل الدين وهم يجاهدون في سبيل شهوة الحاكمين ويقوم لديهـم في بعض الاحايين الباعث الاخر على مطاردة اولئك المحقين وهو خوف رجوع اولي الامر والعامة الى مرجع اولئك النابغين فيفقدون منزلتهـم التي تبوأوها عن غير حق ويظهر جليا عليهـم القصور فارهفوا الحد استعدادا لتلك الطواري ونصبوا الاسلام على اسنة اقلامهم وقالوا اما التقليد لكل ما ترون وإلّا فليس إلّا الحاد وزيغ وضلال ، دون ان يكلفوا انفسهم مشقة الاستدلال ، ولئن سألتهم عما يقصدون من اشهار تلك الحرب العوان ليقولن انا حماة الدين وانه ليوجب علينا

تغيير منكر رايناه . ما لهم لا يغيرون ما بين ايديهم من المنكرات بل بالعكس تراهم قائمين عليها وبها يأمرون . الم تر انهم يبصرون الشموع كالاساطين والمصابيح الالوف تسرج ونور السراج الوهاج يضيء ما بين اللاتين . الم تر انهم يبصرون المباخر الفضية توضع في مجالس احاديث الرسول (صلوات الله عليه) وهو ينهي عليها وهم بها راضون . ولكن هذه المنكرات الصريحة لا تسيئهم مثلما يسيئهم من ينادي بان الخلاف بين فرق المسلمين يمكن تسويته وانهم لو احسنوا المناظرة لما اختلفوا وان تنديد بعض هذه المذاهب ببعض في غير محله ولا ينبغي الاقرار عليه. وان من قام بهاته الدعوة وقرع بها اسماعهم وهي كما رات اقصى ما يتمنى المسلمون لا يكون جزاءه منهم (اي من هؤلاء العلماء) سوى رميه بالاعتزال بل بالمروق والزيغ والالحاد . والاستدلال على ذلك لديهم هين اذ لا يتجاوز حكاية منامة رآه فيها مسود الوجه متغير الحال كما بلي جمال الدين الافغاني (بسميه) وكما بلي به الشيخ محمد عبده وبمجنون بيروت وكما بلي من قبلهما الغزالي بمن لا يصلح ان يكون شراكا لنعاله فرموه بالزندقة والالحاد والكفر والاعتزال (لاعتقادهم وان الاعتزال منقصة) ويطلقون كل هاته الالفاظ على شخص واحد مع علمهم باختلاف معانيها ولكن حيث كان الباعث على قذفها الغيظ والعداء لا يرون جرحا في جمها في كنانة واحدة اذ جعبة الغضب اوسع من جعبة الحق ويجرأهم على ذلك مركزهم الذي يجعل كلامهم مقبولا ويأمنون به مناقشة الحساب

الا لقد سار القلم شوطا بعيدا في هذا الميدان حتى اشفق الفكر على القاري السآمة والتشتيت وماكان القصد سوى التعريف بان السبب الذي يقف في وجه رقي المسلمين هو قوة اعداء ذلك الرقي وبيان ان اهل الامر هم اصحاب الفائدة من تقهقر الامة وهم الذين اوقفوا لسعيهم حدودا ولافكارهم جنودا ممن ذكرنا فهم المؤاخذون الاصليون وان جندهم من اولئك ليعملون على قدر عقولهم ولم يصلوا الى مرتبة تعرفهم بالحق حتى يكونوا اذا لم ياخذوا به مؤاخذين . بل ذلك مبلغهم من العلم والحياة الدنيا وغاية ما يطلبون . وان منهم لفريقا يكتمون الحق وهم يعلمون وما اولئك إلّا قليل

ذلك العائق الذي شرحناه هو الذي حجر بين المسلمين وبين ما يبتغون فهل من مطمع في زواله وهل الى الرقي من سبيل ؟

صوت الحرية

للشاعر التركي الحكيم نامق كمال بك

وتعريب الاستاذ محي الدين الخياط

عدد ٣٥ في ٤ صفر سنة ١٣٢٩

مطالب تدعوني وادعو المطالبا * فلا زلت مطلوبا ولا زلت طالبا

***

رايت زماني عن هوى الصدق ناكبا * فصنت مقامي واعتزلت المناصبا
ومن كان « انسانا » ويعرف نفسه * فلا ينزوي عن خدمة الخلق جانبا
وما المرء إلّا من يمد يمينه * لينصر مظلوما ويرحم صاحبا
الا ايها الانسان ان شمت امة * ضئيلة شان لا تكن قط عائبا
فليس يضر الدر ان كان ساقطا * على الارض يوما بعد ما كان ثاقبا
ومن كان معجونا بطينة ارضه * ويدري بان الجسم كان اثالبا
ايجزع ان يقضي ضحية مجدها * ويانف ان امسى الى الاصل آيبا
وليس يعين الظالمين بظلمهم * سوى ادنياء تستلذ المثالبا
فهم مثل كلب الصيد يتبع ربه * ليلتذ لا نفعا جنى بل متاعبا
ومن آثر الدنيا على حسن سمعة * وذكرى له يبقى ويبقي المناقبا
فذاك كمن عاف النعيم مخلدا * بلذات دنيا برقها كان خالبا
بني آدم واها وآها فما الذي * دهاكم فزدتم في الحياة راغائبا
ويا ايها الانسان ما تستفيده * اذا كنت في حفظ الامانة راغبا

ومن كان يدري انه شر سافل * فلا يستحي بالعيب ان كان عائبا
وخير اذ تمام للنهى من زمانها * ندامتها ان لم تستحي العواقبا
فتلك لها درس مفيد ونقمة * من الفلك الساري تهز الكواكبا
وما النصر الا ان يرى الجمع واحدا * وما الفوز الا ان يرى الراي شاغبا
هو العزم ان صحت عزيمة ربه * يدير به الدنيا فتهتز جانبا
كذلك تهتز البلاد اذا رست * بها قدم المقدام تبغي المطالبا
فهو الذي يطوي كل لطف ورحمة * لوقت يرى الاظهار فيه مناسبا
فلا تيأسن ان شمت بالشعب فترة * ولا تك للاوطان بالحزن ناعبا
فهل يتهم الرئبال وهو مقيد * بان قد خوى عزما وخار مخالبا
على ان نفس الدهر تخجل اذ ترى * كبار نفوس سهمهم كان خائبا
على ان بعد النور عن اوج افقه * يعد اضطرابا وما النور غائبا
الا فاخجلي يا من دعوها طبيعة * من الارض او ما كان في الارض جاذبا
فنحن بنو عثمان نسل سلالة * قد اختمرت بالدم قلبا وقالبا
ونحن بنو عثمان كنا كتيبة * ابى الله الا ان تكون كتائبا
فسدنا وشدنا دولة ذات صولة * وعدنا وعاد الدهر اصلع شائبا
ونحن بنو عثمان عزت نفوسنا * نفضل عن ذل الحياة القواضبا
نفضل ترب القبر في حفظ مجدنا * على تربة الذل المخيم دائبا
فلا تخش من حرب لتحرير موطن * ولو صبت الدنيا عليك مصائبا
وهل رجل من اجل روح ضئيلة * عن الذود للاوطان يجفل هاربا
اذ ما اصاب الطير سهم بحادث * واصبح مجروحا واصبح لاغبا
يطير وقد سالت قوادمه دما * كما سال من اماقي الدم ساكبا
واسود حبل القتل عندي مرجح * على القيد الفا فادري ان كنت حاسبا
فيادهر داهمني بجيشك وانتظر * اكن عاهرا ان كنت يا دهر هائبا
ليعلم دهري ان احقر لذة * اراها بامالي تفوق المراتبا
فلا تذكروا لي عندها من وزارة * ولا تذكروا صدرا ينيل المناصبا

هو الوطن المعشوق يشبه غادة * لعشاقها تولي الاماني كواذبا
تتيه عليهم وهي تسخر منهم * وما انقذت من شقة البين نادبا
تنزهت لا خوفا لديّ ولا رجا * ولكن قمع الظلم القاه واجبا
فيا ظالما حاذر بنفسك ان ترى * لفتياننا الابطال ويك محاربا
فسيفك ان جردته في دمائهم * تجده بنيران الحمية ذائبا
فلا تتصور محو (حرية) امرىء * بظلمك الا ان محوت المواهبا
وكنت قديرا ان تجرد بعدها * من البشر الادراك والعقل غاصبا
فحبك يا « حرية » شبه ماسة * وما الضغط يا «ماس» بعزمك ذاهبا
فأواه يا (حرية) كم سحرتنا * وجئت من السحر الحلال غرائبا
نجونا من الظلم العجيب واسره * فشمنا باسر العشق منك عجائبا
فاواه يا (حرية) كم جذبتنا * وليس قلوب الناس غيرك جاذبا
سالتك ان لا تجعلي الدهر بيننا * وبين عيون الحسن منك حواجبا
سالتك ان تبقي جمالك ظاهرا * لانظار هذا الشعب ما دام شاغبا
ويا امل المستقبل اليأس كم سرى * على الناس او اسرى عليهم غياهبا
فانقذتهم من اسر هون ومحنة * وصبرتهم حتى استلذوا النوائب
فحكمك انفذه على الكون كله * فامرك هذا اليوم اصبح غالبا
وصان اله العرش مجدك والعلا * (ولا زلت مطلوبا ولازلت طالبا)

الحكم على رئيس الحزب

* الوطني المصري فريد بك *

عدد ٣٦ في ١١ صفر سنة ١٣٢٩

وافتنا الصحف المصرية وكلها ناقمة على السياسة الجديدة التي اتخذتها الحكومة

لترهب بها حزبا يضم بين اجنحته نحو الخمسة ملايين من ذوي الشان من ابناء النيل وذلك بصدور الحكم على فريد بك بالسجن ستة اشهر لتقريظه كتاب (وطنيتي) بجعل مقدمة له . ومن تلك الصحف من يندب العدالة بعد كرومر والحرية التي ذهبت بذهابه ويأسفون على القضا المصري الذي كان يضرب به المثل في الاستقلال فاصبح والى جانب القاضي صورة سياسية تملي عليه حيثيات الاحكام وتلعب بضميره لعب الرياح بالهباء . وتقول الصحف المعتبرة ان سجن فريد كان اثقل على الامة المصرية من قضية دنشواي ويذكرون حذو هذا ان الامة ستستفيد من هاته القضية ضعف ما استفادته من دنشواي وقد اشتد بها بغض الانكليز وحب الاستقلال ايها وزادت في العمل . وبامثال هذه المجاريات القاسية اخذ التسامح الانكليزي ينحط في الفكر العام الاسلامي ويزول . ويعجب القاري اذا علم بما قابل الحزب الوطني ما دهى رئيسه الخطير . قابله بارسال تلغراف الى الخديوي يطالبه الانجاز في ارجاع الدستور واليك نصه : باسم وكيل الحزب الوطني علي بك فهمي كامل

« اتشرف بان ابلغ سموكم ان اللجنة الادارية للحزب الوطني المجتمعة امس اجتماعا فوق العادة كلفتني بناء على قرارها ان اكرر على سموكم طلب رد الدستور الى الامة التي تشعر بانها في اشد حاجة اليه »

هذا ولننقل الى القراء حيثيات ذلك الحكم على يبسها والقلب كاسفا آسفا من زمن اصبح فيه المغلوب على امره كما شاءت القوة وشاء له الاقوياء لا قانون ولا عدل وهي : حيث ان النيابة العمومية اتهمت فريد بك بانه حسن كتاب وطنيتي الذي طبع ونشر من ٢٤ يونيو الى ١٠ يولية ١٩١٠ والذي هو في حد ذاته مشتمل على جملة امور معاقب عليها قانونا وذلك بانه امتدح الكتاب المذكور بمقدمة فيه بامضائه تحت عنوان (تأثير الشعر في تربية الامم) وهذه الامور هي تحريض الناس على كراهة الحكومة والازدراء بها والعيب في حق ذات ولي الامر وتحسين جريمتي دنجرا والورداني واهانة ناظر الحقانية بصفته موظفا عموميا وبسبب وظيفته وتحسين جريمة الشيخ عبد العزيز جاويش الذي حكم عليه من اجلها في ٢٥ اغسطس ١٩٠٩ وهذه الامور معاقب عليها بالمواد ١٤٨ و ١٥١ و ١٥٦ و ١٥٤ و ١٥٩ من قانون العقوبات . والفعل المسند الى المتهم معاقب عليه بالمادتين ١٤٨ و ١٥٤ عقوبات

وحيث ان بجلسة هذا اليوم المحدد لنظر الدعوى طلبت النيابة عقاب المتهم بالمادتين ١٤٨ و ١٥٤ عقوبات والمتهم قرر اقواله المدونة بمحضر الجلسة بانكار التهمة

وحيث ان محمد بك فريد المتهم المذكور قد كتب بالقاهرة مقالة تحت اسمه عنوانها (تاثير الشعر في تربية الامم) بناء على طلب علي الغاياتي وهو طبعها في مقدمة كتابه المسمى وطنيتي الذي تضمن قصائد شعرية يشتمل بعضها على امور معاقب عليها قانونا وقد طبع علي الغاياتي المذكور هذا الكتاب في مطبعة بالقاهرة ونشره من تاريخ ٢٤ يونيو الى ١٠ يوليو ١٩١٠ وصدره بهذه المقالة لاجل ترويجه والتاثير على عقول العامة بها . وحيث ان محمد بك فريد قد حسن ومجد بهذه المقالة ما تضمنه كتاب علي الغاياتي البادي الذكر لانه بعد ان حض الشعراء على العدل عن المدح الى الشعر الحماسي السياسي قال (وقد لاحت وطنيتي في طلعة هذه النهضة الميمونة الرشيدة) وقد قال المتهم في التحقيق انه كتبها وسلمها لعلي الغاياتي صاحب الكتاب في اواخر يناير او اوائل فراير سنة ١٩٠٩ . وحيث ان المتهم المذكور زعم ان مقدمته هي عامة ولكن يظهر ان قصده منها هو مدح كتاب وطنيتي على الاخص كما يلوح ذلك من سابق عبارته التي لم تخرج ما اشتمل عليه ذاك الكتاب عن الخطة التي رسمها للشعر

وحيث ان وضعه هذه المقالة بالكيفية البادية مما يفيد علمه بما اشتمل عليه الكتاب الذي يحسنه بمقالته ويبعد عن التصور انه لم يطلع على ما جمعه علي الغاياتي في كتابه من الشعر خصوصا السابق نشره في جريدة اللواء وما انذرت من اجله سيما وان مركزه وما له من الاشراف لا يتصور معهما عدم اطلاعه على ما نشر في جريدة تخص الحزب الذي يراسه اللهم إلّا ما نشر بعد سفره وهو ما يتعلق بالحكم الصادر على الورداني وليس هذا داخل في تهمته لانها متوفرة بما عداه

وحيث بهذه الحالة ترى المحكمة ثبوت التهمة المسندة الى المتهم وعقابه على ذلك يدخل تحت نص المادتين ١٤٨ و ١٥٤ لانه قد حسن ومجد بالقاهرة في التاريخ السابق كتاب وطنيتي الذي وضعه ونشره علي الغاياتي في شهر يونيه الى ٢٤ منه والى ١٠ يوليه الذي ثبت انه في حد ذاته حاو ومشتمل على جملة امور معاقب عليها قانونا وقد عوقب فعلا بالحكم السابق صدوره من محكمة الجنايات منها التحريض على كراهة

الحكومة والازدراء بهـا نمرة ٣٤ من الكتـاب حيث قـال في طيف الوطنية

(وولاة اقسموا ان يسجدوا ۞ كلما رام العـدا منهم مراما)

وفي صحيفة نمرة ٥٦

(الا امطر الله الوزارة نقمـة ۞ ولا بلغت معـا تروم مرامـا)

الخ وفي صحيفة نمرة ٦٧

(حتى تحاربنـا الحكو ۞ مة عنـد مـا تتـالم)

(وتسومنـا سوء العقـو ۞ بة حينمـا نسترحـم)

الخ وفي صحيفة نمرة ٧٤

(فزلزلت اقدامكم من هولها ۞ وهرعتمو فزعا الى الابواب)

(ورضيتمو الهرب المعيب لانه ۞ خير من الافلاس عند حساب)

الخ وصحيفة ٧٥

(عار عليكم ان يقال وزاوة ۰ لم تدر ان سئلت بيان جواب) الخ وصحيفة نمرة ٧٧ (ظلمات من المظالم اودت بضياع الحياة من الحياة) الخ وهذا لا شك تعريض بالحكومة الخديويه والازدراء بها ويعاقب عليه في المادة ١٥١ عقوبات ومنها ايضا انه في حق ولي الامر الخديوي الافخم في الصحيفة نمرة ٥٥ و ٥٦

حيث قال : « أعباس هذا آخر العهد بيننا » الى ان قال : « ونيأس من آمالنا كلما قضيت علينا ان نكون غضابا » ۰ (وارضيت اعداء البلاد واهلهـا ۰ واصليتنـا بعد الوفاق عذابا) ۰ الخ وهذا معاقب عليه في المادة ١٥٦ عقوبات ومنها ايضا انه حسن جريمة دنجره الهندي لقتله ضابطا عظيما في صحيفة نمرة ٦٠ و ٦١ بقوله (هنيئا فقيد الهند نلت مدى المجد وخلدك التاريخ في مصر والهند) الخ وهو معاقب عليه في المادة ١٥٤ عقوبات ۰ ومنها انه اهان سعادة ناظر الحقانية بصفته موظفا عموميـا وبسبب وظيفته بصحيفة نمرة ٦٤ و ٦٤ حيث قال موجها كلامه اليه : « حكمت فلم تنصف وقلت فلم تصب ۰ ورمت مراما دونه الله والناس » الخ وهذا معـاقب عليه بالمادة ١٥٩ عقوبات ۰ ومنها ايضا انه حسن جريمة الشيخ عبد العزيز جاويش الذي حكم عليه من اجلها في ٢٥ اغسطس سنة ١٩٠٩ في صحيفة نمرة ٦٨ بقوله :

« يا ساكن السجن الكريم وانت نعم الاكرم » الخ وهو معاقب عليه بالمادة ١٥٤ ع

وحيث اشتمل كتاب وطنيتي على هذه الامور المعاقب عليها قانونا فالمتهم محمد فريد بك قد حسنها ومجدها بمقالته المنشورة في صدر الكتاب قاصدا بذلك ترويجه وقد طبعه علي الغاياتي مؤلفه ونشره على العامة وكان ذلك جميعه من اواخر يناير ١٩١٠ الى ١٠ يولية ١٩١٠ كما يوخذ من قول المتهم وسياق التحقيق فلا شك ان يعاقب على ذلك بالمادتين السابقتين ١٤٨ و ١٥٤ عقوبات ولا يلتفت الى تعلله بان الحكومة لما غفلت ما نشره من ذلك الشعر بجريدة اللواء ظن انها لا تريد المؤاخذة عليه فكتب له ما كتب ولكن الحكومة قد انذرت اللواء بسبب هذا النشر المخدش للافكار ثم رأت التمادي في السوء فعمدت الى القانون ومحاكمة من اعتدى

وحيث لا نشك ان المتهم لم يكتب هذه المقالة ولم يسلمها لصاحب الكتاب إلّا لاجل طبعها في كتابه ترويجا وتحسينا واطلاعه على ما فيه لا يتوقف على اتمام الطبع لوجود الاصل المنوي طبعه وعدم تعجيل الحكومة بالمحاكمة القانونية لا يعفيه منها ولا يسقط الحق في المحاكمة ما دامت المدة القانونية لم تمض

وحيث انه من جهة اخرى فان هذه الوقائع تدل على ان المتهم على الاقل مشترك مع علي الغاياتي في تحسين جريمة دنجرا الهندي في كتابه الذي يضم هذه المقالة اليه ونشره يكون جزء متمما للغرض المقصود من ذلك الكتاب الذي من ضمنه تحسين هذه الجريمة فهو على كل حال داخل تحت طائلة القانون ومعاقب بالمادة ١٥٤ عقوبات المذكورة . وحيث ان المتهم المذكور بسبب معارفه وتجاربه القضائية السابقة اشد تبصرا وتقديرا للمسؤلية الجنائية من خلافه الذين ليسوا بهذه الصفة لان كتابته هذه اكثر تاثيرا على عقول العامة ولذلك ترى المحكمة تقدير العقوبة بما يناسب اهمية ما ذكر

فلهذه الاسباب

وبعد الاطلاع على المادتين ١٤٨ و ١٥٤ عقوبات

حكمت المحكمة حضوريا بحبس المتهم المذكور مدة ستة شهور حبسا بسيطا

هذا ما حكمت به المحكمة بجلستها العلنية المنعقدة في يوم الاثنين ٢٣ يناير ١٩١١ الموافق ٢٢ محرم ١٣٢٩

حب الوطن من الايمان

عدد ۳۷ في ۲٥ صفر سنة ۱۳۲۹

جدير بالعاقل ان يعرف ما هو قادم عليه من المطالب وان يقصد لما هو متصد له من الرغائب حتى يكون على بصيرة تامة ، وخبرة عامة، والغرض الوحيد هو الاشتغال بما يهم الوطن العزيز ، فيودع ليله ، ويستقبل نهاره ، بالتفكير والتدبير ليتخلص من يد الـذل والتقهقر والانحطاط ، ويرسل فكره يسرح مع افكار الاحياء ، ويربؤ من الذين توكوا على عصاة الاستبداد وهشوا بها على الاحرار ، ويرون حياتهم في ملئي بطونهم الخاوية ، وجيوبهم النابضة ، وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا، وذلك كالرجل الذي اجتمع مع الاستاذ « جمال الدين الافغاني » « بباريز » واخبره بانه تحصل على شهادة « البكالورية » فقال له ما اردت ان تفعل بها ، فاجابه : نلتقط بها الدرهم والدينار ، فقال له اذا لا خير فيك تعيش لنفسك ، فقم ؟ ، فعليه اذا سار العبد في طريق رقيه المادي والادبي ، اكتسب المعالي ، وخلد له التاريخ اسما حسنا بين الاجيال ، وتصير كلمته هي النجم الذي تهتدى عليه بواخر الرؤوس في ظلمات البر والبحر ، وفكرته تجلب الالباب وتقود جيوش المفكرين ، وليس له سوى حب الوطن ، لان حب الوطن آية كبرى على وجود روح في قلب محبه، وهذه الروح تركته جالسا امام وطنه جلوس القرفصاء ، مستمعا لما يوحيه عليه من الايات الباهرات التي متى تحلى بها العبد يصير بؤبؤ القصاد ، ومنهل الصاد ، مكروم الجانب تطوف به الامال

فمحبه اذا قام بين امته قيام الهزبري الكمي لا يهزه صرير الاقلام ، ولا عاصفات الاوهام ، يخمط قلوب اعدائه وتعضده جيوش تسري كالليل وتجر كالسيل اينما حل ملك ، واينما قاوم فتك ، وكفى دليل لو استنطقنا الجماد لنطق (بلا اله إلا الله سيدنا محمد رسول الله وان حب الوطن آية من آيات الله) ، وكذلك دعوة ابراهيم عليه السلام لمستوطنه تثبت حب الوطن

قال ابراهيم لربه (رب اجعل هذا البلد آمنا وارزق اهله من الثمرات)
وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم دعى ربه وهو يصلي الى البيت المقدس ان يوليه الى بلد مسقط راسه . فاجابه الله بكل رافة ورحمة « قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام »

وكذلك الصحابة رضوان الله عليهم . اقتفوا باثر سنته وساروا على نبراس شريعته . فملؤا البسيطة حضارة وعدلا ومدنية . حتى صار لهم مقعدا صدقا بين العالمين : وامدهم الله بروح منه جزاء بما عملوا . ولا سيما اعتناؤهم بما تساءل عنه الناس من ان حب الوطن من دعائم الايمان وعلى هذا النمط سارت الاحياء من كل الملل إلّا امشاج منهم . قد اخذتهم العزة والجبروت بما اقتنوه من القوة والمال ....

ومن معاني حب الوطن . هو انبعاث الانسان نحو شئونه المادية والادبية . واخذ الوسائل اللازمة الموصلة الى ضائعته المنشودة . لا فرق في ذلك بين مساكني الوطن الواحد وهم سيان في وحدة الضمير . يقودهم زمام التعاهد والاتحاد . متساعدين على حب الوطن . وعليه يجب علينا من الحقوق لوطننا ما لو تركناه كفريسة بين وحوش تتناهشها او كاوراق تسلطت عليها قوة نارية فاحترقت لاصبحنا واصبح في العدم .

ومن حقوقه علينا اعتبارنا في مائه . وهوائه وناره وترابه . لان هاته العناصر هي مدد اجسامنا التي هي مراكز تدور عليها الحياة

واذا اعتبرنا ايضا نجد الزراعة هي الركن الاول فلنتحد على تقويمها بعقد الشركات . شركة تعمل للمحافظة على الاراضي . بحيث من اراد اخراج ارضه من ملكه . فيجد شركة وطنية تسلمها لمن كان كفؤا لها من الوطنيين وبالطبع ان الشركة تجلب آلات الزراعة بكل لوازمها . وتوزعها على المستحقين لها كل على حسب حاله . بحيث يديرون شئونها كما يدير غيرهم ان لم يكونوا مجتهدين وإلّا قلدوا من ظهرت نتائج افكاره كظهور نار القرى على علم

ومن منافع الشركة بث التراتيب الفلاحية بين رجال الفلاحة وارشادهم الى نتائجها . الى ان ينجذب الفلاح نحوها انجذاب العاشق الى حسن معشوقه بحيث

يرى الفلاح في اعتناه بقيام الفلاحة حافظا لدينه الذي حفظه وانه ينجيه من غضب الرب سبحانه . لان من خان وطنه ببيع ارضه لعدوه فقد خان دينه ومن خان وطنه فقد خان نفسه في الاجل والعاجل

ومن واجبات الوطن

اذا انت لم تزرع وابصرت حاصدا * ندمت على التفريط في زمن البذر

اناشدكم الله ايها الوطنيون . لو فرض اننا تنبهنا في الوقت الذي تنبه فيه من حاز ميادين السبق في المدنية . لكنا في غناء عنه . ويعتقد مساواتنا له فيعاملنا معاملة الاخ لاخيه والصديق لصديقه . واذا لم نتنبه الان ونقف اثره وعملنا لسعادتنا كما عمل لسعادته كيف يكون حال ابنائنا وابنائه . هل في حيز العبيد ام في حيز الاسياد . او في دائرة الاخوة والحرية والمساواة

على المرء ان يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه في نجاح المطالب

فيا اهل البادية . وارباب الخيام ويا عشاق البدو . اين اغنامكم التي كنتم تستنتجون منها اللبن الخالص . والصوف والسمن . والتناشد بنغماتها « الفونغرافية » وتكرمون بخروفها الدخيل والنزيل

اين خيلكم اين سروجها اين الجمتها اين ركابها بل اين الرياضة التي كنتم تعشون بها ازواحكم التي باحيائها عاش الوطن في جذوة العز والاجلال

تالله لو انصف الاقوام انفسهم * اعطوك ما أدخروا منها وما صانوا

فمن هنا ادعو ارباب الوجدان الطبيعي الى الدخول تحت راية الاخوة والتمسك بعرى المساواة لقطع سلاسل الاستبداد ولا نتخالف وان لا نجعل اختلاف المشارب والمنبت والنسبة موجبا للتباغض ونترك هذا الطيش الاعمى الذي لا يجدي نفعا ونعز الصحافي ونكرم الكتاب . والمرشدين والناصحين . ونرأف بالغريب . ونقذف من قلوبنا علة التقاطع والخداع فما الوقت إلّا سيف بتار وفلك دوار والناس اسوار واسعار

فدوموا كفرد يحفظ الله شملكم * وكونوا رجالا لا تسر الاعاديا

فقوموا وهبوا وانهضوا لرقيكم * فما تجمع الافكار إلّا النواديا

فيا ايها الاقوام لبوا لمن دعى • فلا فخر في عظم بلته الليايا
فهذي شئون قد تداعت رسومها • ونحن على حب الفراق فوانيا
(ص٠ق)

من هو
اعظم رجل في العالم

عــدد ٣٨

اختلف احرار الباحثين في اعظم رجل ظهر في العالم وقد سبق لبعض الجرائد الاروبية الاقتراح على قرائها ان يكتبوا اليها آراءهم في ذلك وكان منهم من صرح بان رايه ان اعظم رجل ظهر في البشر هو سيدنا محمد خاتم النبيئين والمرسلين . وقد اقترحت هـذا الاقتراح وآخر في معناه من عهـد قريب جريدة الوطن الدمشقية وصاحبها مسيحي وكان اول من اجابه كاتب من احرار الطائفة المسيحية قالت الجريدة :

سألنا فريقا من العلماء عمن هو اعظم رجل في العالم ولماذا ؟

فورد لنا الجواب الآتي ننشره بحروفه وهو :

﴿ من هو اعظم رجل في العالم ولماذا ﴾

اعظم رجال العـالم على الاطلاق رجل وضع في عشر سنين دينـا وفلسفة وشريعة اجتماعية وقوانين مدنية وغير شريعة الحرب وانشأ امة ودولة طاولت الدهر وكان اميـا ذلك هو : محمد بن عبـد الله بن عبـد المطلب القريشي العربي صاحب الشريعة الاسلامية ونبيء المسلمين . وقد تدارك النبيء لمشروعه العظيم كل حاجاته فوفر لامته ولتابعيه وللملك الذي انشأه اسباب الانتشـار والخلود بحيث اذا انقطع المسلم الى القرآن والحديث وجـد فيهمـا ما يهمـه من امور دينه ودنياه وجعـل للمسلمين مؤتمرا ينعقد كل عام في مكة (المكرمة) ومن تنبه الى فرض الحج على

من يملك الراحة والنفقة واسقاطه عمن لا يملكها ادرك ان الغاية من الحج اجتماع الموسرين والوجوه من الامة للبحث في شؤون جامعتهم وامور سياستها واجتماعها وتعاونها . وتدارك امر الفقير بالزكاة المفروضة على كل مسلم بحيث اذا اداها المسلمون على حقها لم يبق في الامة فقير . وجعل نبوة ابدية للاسلام ويكون القرآن كتابا عربيا يتحتم على كل مسلم ان يتفهمه بلغته العربية واذا لم يكن في هذا غير ان فهم العربية حتم على كل عالم وامام يكفي به جامعة لسان للمسلمين

ومهد طريق النبوغ لافراد الامة بكون المسلم لا يفضل المسلم إلّا بالتقوى فكان الاسلام جمهورية حقيقية يختار المسلمون رئيسها الذي هو الخليفة

وقد ساروا على هذه السنة حينا من الدهر ولن تزال المبائعة بالخلافة رمزا من رموزها . وسهل اعتناق الاسلام لغير العرب بقوله لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي إلّا بالتقوى . ويسر لغير المسلمين العيش برخاء في بلاد الاسلام بقوله « الخلق كلهم عيال الله فاحبهم اليه انفعهم لعياله »

ونظر في امر « العائلة » فرتب امور الزواج والتناسل والتوارث ورفع من شأن المرأة . وعاد الى الامور المدنية فوضع قوانين وقضاء للنظر في شؤون الافراد ولم يهمل مالية الدولة بل وضع سننا لبيت المال

وكان للعلم من همه نصيب وافر فجعل الحكمة ضالة المؤمن واوصاهم بان يطلبوا العلم ولو في الصين فكان لهذه الوصية شأن عظيم في اقتباس المسلمين العلم من كل ابوابه وازدهاره في ايامهم . افلا يكون الذي فعل كل هذا في ذلك الامد اليسير اعظم الرجال في العالم

الاجتهاد والذكاء

عدد ٣٨ في ٢ ربيع الاول سنة ١٣٢٩

ليس لنا وللقراء من فائدة في بيان ما يتناوله الاجتهاد والذكاء من المعاني الشريفة

السامية ولم يلفت نظرنا ان نخط هذه الكلمات الموجزة حول هذا الموضوع الشريف إلّا رؤيتنا المرة بعد المرة كثيرا ممن وهبوا مزية الذكاء فاهملوا مزية الاجتهاد ظنا منهم انهم بذكائهم يبلغون ما يؤملون

مزية الاجتهاد تستدعي صدورا رحبة وقلوبا ثابتة وعقولا لا تملوا من الدأب عن استفاء ما من شانه ان يفيد النفس ويربأ بها الى مستوى الفضائل ومستقر الابهة والمجد ولكن فتور الهمة وضعف العزيمة وخور الطبيعة وموت الامل الساطع . كل هذه الاسباب اصبحت لازمة للمسلمين لزوم التحيز للجسم والتعجب للانسان ففقدوا بذلك كثيرا من المميزات التي تنهض بالبشر الى حيث الرقي والى حيث يعدون في مصاف الامم المتحضرة وفي مقدمة الناجحين في بني النوع الانساني

للحكومات الراقية مدخل كبير في اعداد الرجال الناهضين وتنشيطهم في سبيل ابلاغهم الى الدرجات المطلوبة . واما الحكومات المستبدة لا ترى من خير إلّا في استعباد شعوبها وبالاحرى المولى عليها من غير امرها

فقد فترت العزائم وماتت الامال في تلك الشعوب فظهرت بمظهر المستكن الخامل . وكثيرا ما يكون ذلك لتاثير التربية في محيط عشش فيه الاستبداد وفرخ . فتكون تلك الاستكانة اشبه شيء بالغرائز الذي ليس في وسع المرء ان يتغلب عليها . ولما ظهر الشرقيون ظهورهم الاخير انشأ الغربيون ينظرون اليهم شزرا ويتوقعون شرا بهم لانهم قد علموا ان كل الوسائل التي تحول بينهم وبين آمالهم مفقودة من بني الشرق لان الاستبداد الذي تولى ويتوالى عليهم قد احرج صدورهم واوشك ان يطفي شعلة الذكاء من رؤوسهم ولان الاستبداد قد فرق جمعهم وادخل في قلوبهم العداوة والبغضاء وصار من السهل على الطامعين امتلاكهم ولولى ذلك الخمول الذي تمكن من نفوس الشرقيين ما سمعت من افواه الغربيين كلمة (مسألة شرقية) او اسلامية كل يوم تبرز من الغرب الى مرسح الشرق بشكل جديد

لا اطوح بالقراء الى شاسع صحراء ما يسمونه السياسيون بالمسألة الشرقية بل لا ازيد عما ارتسمناه في صدر المقال . لانني وجدت ان الانحطاط الذي الم بنا وكان من ورائه تسرب الضعف الى قلوبنا لم ينشأ إلّا بعد نبذنا الاجتهاد بالعراء

واتكلنا على ما وهبنا من الذكاء . فالمسألة سهلة جدا فان من ينظر الى التلميذ الذي يتكي على الاجتهاد غير ملتفت الى فطنة وذكاء يظهر اليه مرامي هذا البحث

يجب تحذير المسلمين من آفة الخمول التي ما اصابت امة إلّا تطاولت الى ازدرادها اعناق الطامعين فان هذا العصر عصر التغلب على الضعيف لا ينفع فيه ذكاء اذا لم يكن مقرونا بالاجتهاد الذي يعلمنا كيف نذود عن اوطاننا وندافع عن حقوقنا ونسترجع مجدا فات . الاجتهاد الذي يتناوله البحث تضامن المسلمين ولا يمكن ذلك ما دامت حكوماتهم لا تنظر الى هذه النقطة الهامة بعين الانتباه فان التفرق اساس كل بلاء وقد احدث للمسلمين ما احدثه اهل من متنبه ومجتهد بعد

لا ابالغ اذا قلت ان الاجتهاد الحقيقي لم يزل مفقودا بيننا وان لنا صفاء القريحة وهي لا تكفي في احياء ذلك المجد المندثر والشرف الغابر

قد اعتادت كتابنا وخطباؤنا بذكر ما احرزناه قبلا من المجد ويطرؤون الاباء على ما كانوا متصفين به من الخلال النبيلة والمزايا الفاضلة وكأني بهم وقد وجدوا بذلك سلوانا لنفوسهم وراحة لقلوبهم مما نزل بهم شان الذين الفوا الخمول وتعودوا العجز عن مجاراة الامم الناهضة

واكتفينا بقولنا وهو عجز * كان منا اولئك الاباء

ان ذكر الاباء وتحبيب الاعمال العظيمة التي كانوا يجرونها مما لا يشفي غليلا ما دمنا لا نقرن ذلك بتمهيد السبيل لاصلاح حالنا الاجتماعي وغيره

نحن لا زلنا في غفلة عن مزية الاجتهاد وما لها من التأثير الحسن في المجتمع البشري حتى وصلنا الى حالة نحن عليها بعد ما كنا متصفين بتلك القوة التي دوخ بها الاوائل العالم وشربوا من المحيطين . واصبحنا والاياس يحاذينا . ونؤمن بتلك القاعدة الفاسدة (اذا نزل الوهن في امة لا يرتفع) او ذلك شاءه القدر ولو علمنا ان الاباء لم تبلغ السؤدد إلّا بالعمل لخلعنا من على عاتقنا نير الكسل وبالاجتهاد بلغنا المراد

(ط)

استعداد المملكة التونسية

لزيارة رئيس الجمهورية

عدد ٣٩ في ٩ ربيع الاول سنة ١٣٢٩

ان من يطالع الصحف الدورية وجوائب الاخبار من ابناء هاته الديار يسوءه ان لا يرى لبلاده شانا في الاندية السياسية والمحافل الكبرى فيرى كل يوم انباء بلاد جديدة مهما كان شانها في الرقي ومهما كانت اهميتها ولا يرى حظ القطر التونسي حظ غيره من الاقطار فلا يجد له ما لها من الشان إلّا اذا حدث به حادث الهلع والفزع . هنالك يكثر ذكره وتردد الالسنة البرقية اسمه وتشعر الامم بمركزه في الوجود . ولقد يصادف فرصا يكون فيها مكررا في المحافل مذكورا في النوادي كفرصة زيارة ملك له او عظيم . فبحلوله بمغناه يكتسب من اهمية الزائر كما مر لقطرنا يوم زاره رئيس الجمهورية السابق (لوبي) وسيكون له يوم في الشهر المقبل يصبح به جدير بالذكر وموضوع الاحاديث . ذلك يوم يستلم مقاليد النزول بساحته عاهل فرنسا ورئيس جمهوريتها المسيو فليار

لذلك اليوم تعد حكومتنا المحمية ما استطاعت من بهرجة وزينة وتنميق وتنسيق وتنفق ما تشاء في سبيل ذلك بغير حساب ..... وودت لو استطاعت ان تخلع على العاصمة حلة باريسية حتى تنسى فخامته انه في غير عاصمة بلاده ولكن انى لها ذلك وهو فوق المقدور ووراء المستطاع وانها لمصيبة كل الاصابة في الاحتفاء بضيف اميرنا العظيم . ولكن الذوق ينقصها في اسلوب الاحتفال فان من علم ان زائرنا ارفع رجل يسكن باريس جنة الغرب بغير نزاع ايقن ان هذه الزخارف مهما بلغت في الاتقان لا تستوقف النظر منه ولا يظهر امامها في مظهر الاندهاش ومن علم ان جنابه يشغل اهم مركز بين الامة الفرنساوية التي تتفانى في احراز الفخار وتستفرغ الوسع وتعمل اقصى الجهد لتصيير اسم فرنسا مبرء في التاريخ من كل نقص مشين

لا يمترى في ان هذا الرئيس له من الاحساس القسط الاوفر لكونه موضع الثقة التامة من كافة طبقات امته العظيمة وان اعظم ما تقر به عيناه وتشرأب له نفسه ان يرى شعبا من شعوب بني الانسان بعد ان رزح تحت المظالم دهرا طويلا قد تخلص من تلك الاثقال وافضى الى مرج الحرية يمرح شاكرا اليد الفرنساوية التي انتشلته من هوته وبوأته مبوا الصدق والرفاهية والهناء . يروق لديه ان يرى قطرا حكى التاريخ عنه ظلمة الجهل قد صار نير الارجاء باشعة العلوم التي حملتها فرنسا اليه اكثر مما يروقه منظر شارع جول فري وقد تدلت من اغصان اشجاره قلائد الانوار . فلو كان للحكومة من حسن الذوق في الاقتبال ما تبرهن على عظيم مكانة زائرها فهيأت له من هذا النوع ضروبا وافانينا ولكن ما العمل وهي ترهب جانب حزب الاستثمار (الفلاحين) الذين تهمهم الفوائد المادية والقاصرة عليهم . وهم بالفوائد العامة والادبية هم يسخرون . الم ترالى الزيارة الرئيسية السالفة كيف اكتسبت ثوب مجد لا يبلى وذكرا جميلا لا يفنى اذ اقيم بمحضر الرئيس السابق احتفال اقامة معهد علمي اظيف الى اسمه وتجديد ملجأ خيري للضعفاء العاجزين . افترى اسم لوبي ينقطع ما دامت التكية ومكتب الصنائع قائما الذات كلا بل الكفيل باحيائه بعدهما التاريخ ولو ارادت الحكومة ان تعرض على فخامة الرئيس الحالي نتيجة المعهدين لكان الامر سهلا بسيطا وهو عمران التكية بالعاجزين وغيرهم وبعد النتيجة على الوطنيين في المعهد الثاني . ولكن ذلك لا يسر حضرة رئيس جمهورية فرنسا وان كان يرضي حزب المعمرين . وقد ذكرنا ذكر الزيارة الرئيسية السالفة صحيفة من ماض قريب دالت فيه دول وتبدلت ايما تبديل . فان المسيو فليار سيستصحب حاشية غير التي كانت مع سلفه ويجد ملكا يستقبله غير من استقبل سلفه ويرى بعض التغيير في نظام البلاد وكل ذلك تم في بضع سنين وانه سترحب به صحافة وطنية ليست بذات العدد القليل نشأت بعد زوال قيد الضمان الثقيل ولم يكن للامة على عهد الزيارة السالفة سوى ام الصحائف العربية ذات السبق في الوجود . وانه ليستقبل بين وفود المهنئين هياة الجمعية الشورية وقد ازداد عدد اعضائها بضم افرادا لهياتها من الوطنيين وقد كانت لدي الرئيس السالف فرنسوية بحتة لم يتكدر اعضاؤها بالالتصاق مع

الاهليين . سيرى في ذلك حضرة الزائر خطوتين خطتهما الجمهورية الفرنسوية بهذا الشعب نحو الحرية في هذه الفترة القصيرة التي مرت بين الزيارتين . نعم ان في حرية الصحافة ثلما قد احدث مؤخرا وهو اطلاق الحرية في الالغاء دون ان يكون الموقف مسئولا . وفي الهيئة الشورية ثلم اكبر من اخيه وهو تنصيب نواب دون منتخبين وفي كل لغة يستلزم النائب منوبا عنه ومن ناب عن احد دون استنابة فهو فضولي . ولكن حيث كانت الزيارة الاولى على عهدها ما ذكرنا وجاء بعهدها ما اسلفنا فانا نتفاول بان هذه الزيارة سينجم عنها سد لتلك الثلمات وخطوات اثر تلك الخطوات حتى لا يمر مثل ما مر إلّا وقد اوتينا كثيرا من الحق وارتفعت حالتنا اكثر من ذي قبل ومن علم ان الرئيس الحالي ليس بقصير الخطى عن سلفه وانه يحب ان يكون اسمه مقرونا بجميل الذكرى وصحيفة زيارته لقطرنا منقوشة على صفحات القلوب يشاركنا في هذا التفاول ويقوى له فيه الرجاء وعسى ان يكون المستقبل بالتحقيق كفيلا . ذلك غيض من فيض مما تجيش به الصدور نحو حالتنا الراهنة التي تستحق من العناية بعض ما تبذله الحكومة عفوا للاجنبيين وللصدر كالبحر مد يفيض به على الاوراق ويجزل سيما عند ما تسنح فرص يغلب على الظن فيها رجحان كفة الاجابة وذلك شان من تساوره وتسامره الشجون

كلمتنا

على الرحلة الفليارية للمملكة التونسية

عدد ٤١ في ١٩ جمادى الثانية ١٣٢٩

لقد ارغمتنا الظروف على حجب الجريدة برهة وان لم تكن طويلة فانها ذات اهمية لما طوته سجلاتها من حوادث الايام . ولو كان المانع غير اعتلال الصحة لكانت مقاومته وان اشتدت امرا ميسورا في نظر ما يبديه مرشد لامته تلقاء امور لا تكرر

إلّا في بضع سنين . ولكن بدون صحة هـذا الجهاز الجسماني لا تتقوم القوى ولا تقدر ان تثمر طلعا نضيدا، وذلك ما اكرهنا على حجب هذه الصحيفة موقتا كما المعنا اليه في غير هذا . ولله الحمد ان جعل العود قريبا ولقد يكون مثل هذا الاحتجاب كبيرا على نقلة الاخبار وقاصيصي الاثار اذ هم يهمهم ايهم اسبق لما جد من الحوادث نقلا ، ولمن فاز عليه غيره بالسبق خسار يراه كثيرا . ولكن نقدة الافكار بعكس اولئك يرون المجال لهم مفتحا ما دامت جياد الاراء تسبح في ساحته . اولئك الذين وطنوا النفس على مجاراتهم والكون في زمرتهم وهم اجزل فائدة للامة وارشد طريقا . لذلك نرى ان ما جد من الحوادث في اثناء هذا الاحتجاب لم يطو بساط البحث فيه ولم تسكن النفوس اطمئنانا لما كتب عنه فكنا بعدم فوات الفرصة واثقين ولم يفتنا سوى القران بين الحوادث والاراء وكان ذلك علينا يسيرا

تخلل هذه المدة حادثان اهتز لاحدهما القطر التونسي وللاخر العالم الاسلامي وفرق كبير بين الاهتزازين فللقطر التونسي نشوة طرب واستبشار وللعـالم الاسلامي مصاب فيه عظة واعتبار . وحقيق بالاستبشار قطر امه عظيم الامة الحامية زائرا ومستطلعا احـوال سكانه حتى يبتهج بنعيمهم او يجتهد في درء البؤس عنهـم وحري بهم ان يثقوا بما يوعدون . وسنعلق الان على الرحلة الرئيسية ما يصلح ان يرتبط بما كنا كتبناه قبل قدومه من عقد الامال على رويته ورجال دولته لهذه الديار فان الجرائد المحلية قد افعمت انهارها بما قال وقيل بين يديه يوم حل ويوم ارتحل وايام التجوال إلّا قليلا عنوا بشرح مطالب الامة له واولئك هم الصـادقون . ولقد كان في الحسبان يوم رجم القطر صدى قوله المأثور (اني لم آت متفسحا ولكن لارى واسمع) وهو شان المستطاع ان لا يبقى لسان للامة إلّا ويترجم عن آمال هذا الشعب وآلامه حتى يشاهد مقدار العناية التي تبذلها الحكومة لمن ظللتهم برايتها في الاسعاف والاسعاد . ولكننا راينا صبيان البدو افصح في الترجمة عن حالهم من كهول الحضر اذ برهنوا لزائرهم على ضعف نور العلم بيننا لما سالهم عما يتعلمون فكان جوابهم بسيطا ومتحدا وهو السلب (اي لا شيء) وبذلك ترجموا عن ان الامة لم تزل في ظلمات الجهل لم تفتح ابصارها لانوار العلوم اولئك هم الناطقون بلسـان الصدق لم

يدنس نفوسهم دجل ولا نفاق وهم الذين لا يحسنون التمويه والتضليل وغيرهم ممن يدعون لانفسهم احلاما يظنون الاطراء الكاذب شكرا ثم يظنون ان المشكور يرى مثل رايهم وبئس الراي الافين . ان تلك القصائد والاطراآت التي هي بعض ما يستحقه ذو منصب كرئيس الجمهورية الفرنسوية لا تزن شيئا امام ذلك السؤال البسيط والجواب البسيط من اولئك الصبيان . وان المادحين مدحوا شخص زائرهم واولئك الصبيان شكروا من ولاة الامور لعظيم امة الحماية بلسان لم يتعود المواربة ولم يتمرن على النفاق وكم يكون صيت فرنسا عظيما في اقاصي الاقطار لو صادف رئيسها في كل قرية ناشئة مهذبة مستنيرة بالعلوم سواء من ابناء الاهالي او المحتلين ورجوعه بذلك الفخر يحمله اجل قدرا واحسن وقعا لديه من قصيدة تقربه من صف ملوك الاستبداد . ثم اوهن براي اولئك الذين اهدوه سيفا ملاحظين له انهم استغنوا عنه بحماية فرنسا اياهم .... ولو كان لهم ادب وظرف لما جعلوا تحفتهم لزائرهم ما فضل عن حاجاتهم ثم يصرحون بانهم انما اهدوا ما لا حاجة لهم به وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا . نعم اننا لا نحتاج الى السيوف ولا للبنادق ولكن نزلاء الصقليين يحتاجونها في بلادنا للذود عن عنبهم وكرومهم ... ولو بقتل الصغار . ولو علم هؤلاء الضعاف الراي ان دولة السيف ولت وخلفتها دولة العلوم وان الهدية يلزم ان تكون ذات حظ عند مهديها وذات فائدة لمن تهدى له لاهدوا له كتابا فنيا او طرفة صناعية او تحفة نادرة المثال ولكن يستطيع ذلك اولوا المعارف الجمة والصناعات المستظرفة والذوق السليم ومن اين نصاب تلك الاشياء واسباب الثروة لدينا في نضوب ووجه المستقبل امامنا في قطوب ونحن في مقاساة الوان الخطوب . وكاني بهم قلدوا من اعتنى باستقباله بنصب الرايات وتزيين الواجهات وانارة الطرقات مقتصرا على ما يبدو للعيان دون اهتمام بما وراء تلك الصور مما يلذ للحكيم الاعتناء به وتحسينه ولا يحتفل به ذو النظر السطحي والغرض البسيط

الم يكن الاولى لاولي الالباب وقد سمعوا كلمة هذا الزائر التي تنفخ الروح في ميت الامال وهي انه لم يات متفسحا وانما اتى مستطلعا وعرفوا فكره الذي يرمي الى سياسة ائتلاف الوطنيين واكتساب قلوبهم بالاحسان وانالتهم ما لم يصل

لايديهم من حق مهضوم او امر لزومي لرقيهم ان يكاشفوه بما اليه في حاجة وبما تنوء به ظهورهم من الاحمال . فهم تلقاء كلماته تلك اما ان يكونوا قد اصبحوا وليس ينقصهم شيء فتادية الشكر والسكوت عن الطلب بهم جميل وذلك غير معقول ولو سطحي امره على الامة التونسية او يكونوا ناقصين في كل شيء فما الذي الجم الافواه عن الطلب وعقل اللسان عن البيان

ان الجالية تعلمت من مقرر الميزانية نغمة ترنم بها خطباءهم امام هذا الزائر العظيم . تلك هي المن على الايالة التونسية بما اكتسبت ارضها من حلل الخيرات وسوي الطرقات وما تجلى فيها من آيات التمدن التي تبهر الابصار حال كونهم يطؤون ذكر السكان وما لهم من حق في هذا الاحسان فاذا عددت مزايا الاستعمار والحكومة ترى اوصاف الارض تتابع كانها في قرعة شاعر سرح خياله في محاسن الطبيعيات . واذا ذكرت المغارم والاتاوات تنبهوا لوجود قطيع من البشر يشغل بعض هذا الفراغ

نبئونا بعلم ايها الخطباء الحقوقيين هل سويت طرق العدالة بين الاهالي مثل ما سويت بينهم طرقات السلوك . خبرونا بيقين هل ارتقت ثروة الاهالي مثل ما ارتفعت مداخيل الكمارك والمراسي . هل استنارت افكار الاهالي بانوار العلوم مثل ما استنارت الطرقات بما يغشي الابصار . هل نال الاهالي من العناية بعض ما نال تلك الجمادات . هل تذكرون ارتقاء الثروة في المداخيل العامة اذا ارهق الاهلي لاداء مجباه وصانتيماته التكميلية ومعلومه الذي يؤديه على بعض صنائعه المحالفة للكساد

دعونا من المغالطة وصناعة الشعر وتزيين الخيال واجيبونا بصراحة هل الذي دعى دولة الحماية لوضع هذا القطر تحت كنفها هو تزيين الارض وتسوية طرقاتها واصلاح مرافقها فقط ان كان ذلك فقد قامت به خير قيام وان كتبت على نفسها مع ذلك الاخذ بيد هذا الشعب وانقاذه من ظلمات الجهل وويلات الفقر ووهدة التعاسة واظهاره للعالم المتمدن بعد ان كان خاملا وعالما بعد ان كان جاهلا ومثريا بعد ان كان فقيرا فذلك الذي لم يحل الى الان اوانه وهو الذي يات بالمفخرة الكبرى والذكر الجميل ولا يفخر البناءي بما اقامه من المصانع امام معلم يثقف العقول ويصلح من بني

الانسان ما افسده الجهل والاهمال . ذلك يقيم بناء يخرب ويشيد هيكلا ينهدم وهذا يقيم من الفضائل ما يزداد على ممر السنين علوا ويشيد من المجد كل فخيم مقيم

نحن نعلم مستندنا فيما نعلم التصريحات الرسمية المتكررة ان لدولة الحماية رغبة في اسعاد هذا القطر باسعاد اهله وايصالهم الى ما مر من منازل التقدم اكثر من رغبتها في اسعاد ارضه اذ هي تقوم البشر بقيمة اغلى من الحجر والتراب ....

وقد شوشت عليها الجالية الجائعة مسلكها واطالت بصخبها عليها انجاز وعودها

ولو ان هؤلاء ساعدونا بالراي وامدونا بالمعونة في مطالبنا بصدق نية واخلاص ضمير لنفعوا امتهم نفعا مزدوجا احد شقيه مادي وهو الوصول بسرعة الى الضالة التي تنشدها الحكومة الفرنسوية التي هي ازالة الحواجز بين العنصرين وتقريبهما من بعضهما تقريبا يكاد يكون امتزاجا وشقه الاخر ادبي وهو الحرص على ان تظهر هذه الدولة العظمى في اقرب وقت امام العالم رافعة يدا بيضاء مسطورا بها رعاية العهود وانجاز الوعود

نبذة تاريخية

عن اليمن

عدد ٣٩

بمناسبة الحوادث اليمانية الجارية نذكر شيئا عن طبيعتها من الوجهة التاريخية من جزيرة العرب فنقول

ان اليمن وقد سماها اليونان والرومان قديما (العربية السعيدة) هي مهد الجنس السامي في الراجح ومركز تمدنهم القديم ومنشأ الدول العربية العظيمة قبل الاسلام وقد شفت الاثار مؤخرا عن وجه خواطر كثيرة من اهل البحث ومن جملتهم الاستاذ سايس الى القول بان اليمن سابقة في تمدنها على مصر وبابل وانها هي

بلاد بنت افوط التي هاجر منهـا الى مصر اسلاف الفراعنة العظام وحملوا معهم اليها العلم والحكمة والزراعة والصناعة والتجارة ، ومنها ايضا في الراجـح كان اسلاف البابليين والشوريين الذين حملوا في مهاجرتهم الى تلك البلاد ما حملوه الى مصر من العلم والصناعة كما ان منها ومما جاورها من بلدان الجزيرة كان معظم الجاليات التي استعمرت شواطيء المتوسط في سوريا وآسيا الصغرى وبلاد اليونان وايطاليا وفرنسا وشطوط افريقيا مما يقابل جبل طارق حتى تصل الى مصر والسويس وبالاجمـال لا يستبعد ان تكـون شبه جزيرة العرب وبالاخص العربية السعيدة اي اليمن ام التمدن القديم في كل آسيا الغربية واوروبا وافريقيا

هذه البلاد هي الان جزء من المملكة العثمانية وكان ممكنا ان تكون من اهم اجزائها وافضلها واغناها لانها تجمع الى طيب الهواء وجـودة التربة وكثرة المعـادن والحجارة الكريمة واجمل المناظر الطبيعية وافخمها ، بها جبال شاهقة من افخم الجبال واغربها اشكالا وهيئات لا ينقص ارتفاع بعضها عن الاربعة عشر الف قـدم فوق سطـح البحر واودية عميقة لا اعمق منها ، ولا اغرب واعجب مما يجري فيها من المظاهر الجوية فانك ربما تنظر الى بعضها وانت على اسناد جبالها فتراها مملوءة سحبا وترى البرق يتوهج تحت نظرك بين هذا السحب وتسمع قصيف الرعد ثم لا تلبث الغيوم ان تنقشع عن تلك الاودية فتراها تسيل مياها يحمل تيارها الشجر والحجر ولعل القائل اشار بقوله :

كاني حيث ينشـأ الدجن تحتي ✽ فما انا لا اطـل ولا اجاد

الى هذه الظاهرة اليمنية الغريبة والجميلة ايضا . ليس جمال المناظر الطبيعية وان بلغ مهما بلغ ولا ارتفـاع الجبـال وان زادت على ارتفـاع حمـلايا ولا عمق الاودية وان بلغ قراره الهاوية ـ ليس شيء من كل ذلك بالامر الكبير لولا ان غنى البـلاد الطبيعي في معادنها وزرعها وضرعها ونشاط اهاليها ايضا يناسب ما المعنا اليه من فخامة جبالها وجمال اوديتها وروعة جلالها

مساحة اليمن واقسامها

لا تقل مساحة اليمن بما فيه تهامة فيما ارجـح عن المائة والعشرين الف ميل

مربع ولا تزيد فيما اظن عن المائة والخمسين الفا منها بلاد جبال وخصب وهواء طيب ما يزيد عن الثمانين الف ميل مربع في اقل تقدير والبقية بلاد رمال وحر شديد إلّا بعض الواحات على جوانب اوديتها العظام المسماة مورر وسردد وسهام وزمع وزبيد والموشج والموزع وعديم وعلصان وزغادة ومنيف والصهيف ويافع وهي اودية تسيل ماء غزيرا زمان المطر الا ان معظمها تشتربه رمال تهامة قبل ان يصل الى البحر ، وتقسم اليمن اجمالا الى قسمين كبيرين تهامة والجبال . وتهامة تهامتان تهامة الغربية وتهامة الجنوبية اما تهامة الغربية فتمتد على موازرة شطوط البحر الاحمر بينه وبين الجبال عرضها في الاكثر لا يقصر عن الثلاثين ميلا ويتسع احيانا فيبلغ الخمسين والستين وقد يبلغ ما فوق ذلك وهو نادر . ومن مواني تهامة هذه لهيا والحديدة ومخا واشهر مدنها زبيد على متوسط المسافة بين البحر والجبال وربما سميت باسم الوادي المبنية الى جانبه ومياهه عذبة لا تنقطع

واما تهامة الجنوبية فتمتد من بوغاز باب المندب على شواطيء خليج عدن ما يزيد عن المائتين ميل ومن اشهر موانيها عدن وهي الان في يد الانكليز اختلفوا مع حاكمها سنة ١٨٣٩ فباغتوا حاميتها ودخلوا حصنها عنوا فراوا معقلا لا احصن منه وموقعا تجاريا لا اهم منه فادخلوها في عداد املاكهم فاصبحت اليوم وحصونها من امنع حصون الدنيا وميناها من احسن المواني واوسعها فتحولت اليها من ثم معظم تجارة اليمن بعد ان كانت ترد الى مخا والحديدة . اما مخا فماتت تجارتها واندرس عمرانها او كاد يندرس واما الحديدة فانها ابقيت على عمرانها لا انها مركز حكومة تهامة وميناء صنعاء الحربي وان البلاد التي هي ميناء لها بعيدة ايضا عن عدن بعدا شاسعا . ويقال في تهامة اجمالا انها مرعى جيد ايام الشتاء والبرد الشديد في الجبال ولكنها في ايام القيظ تنور متوقد . واما اليمن الجبلية فتقسم الى اقسام كثيرة تعرف قديما بمخالف اليمن كل قسم منها مخالف لاخر وكان عليه في الغالب امير او شيخ يخضع لامير اذا كان هذا قويا ذا حول وطول والّا فيستقل عنه اذا وجد من نفسه قوة ومن متبوعه ضعفا

ويقدر الجغرافيون نفوس جزيرة عموم العرب بعشرة ملايين ونصف منها مليونان ونصف في اليمن وعسير ومليون ونصف في سواحل حضرموت ومليون

ونصف في عمان ومسقط وثلاثة ملايين في قطيف ودرعية والحسا ويوجد عدا ما ذكر في الخطة اليمانية بلاد مارب وسبا والاحقاف الذين كانوا مقر حكومات العرب القديمة وهي لم تدخل حتى الان تحت ادارة ولم تشغلها حكومة وتقدر نفوسها بمليون وبعدها عن مركز الولاية (صنعاء) ثلاثة ايام غير ان اكثر اطراف هذه القطعة غير مسكونة كصحراء دهنا التي هي خالية من السكان والمعادن في القطر اليماني

يخرج غواصو العرب من سواحل قمران وفرسان ولحية ومن الجزر المجاورة لهم اللؤلؤ والمرجان والصدف ويصنعون من الصدف علبا للسيغارة والمجوهرات ويوجد في اطراف مخا وجزان ممالح يخرجون منها الملح ويوجد مملحة جسيمة في خليج عدن . ان المد والجزر في الخليج المذكور يسبب حصول الملح بصورة طبيعية وهو انه يوجد في الساحل اوعية مخصوصة فارغة وعند حصول المد يدخلها الماء وتصبح مملوءة ولما تنقص المياه بالجزر تنشف المياه وتتحول ملحا ويوجد ايضا الملح الحجري المعدني في جزان وبلاد مارب وفي جبل اسمه جبل الملح وهو شفاف للغاية كالبلور الجوهري ويوجد معدن الحديد في جبل النقم الذي يبعد نصف ساعة عن مركز الولاية ويوجد هذا المعدن ايضا في محل اسمه الرضراض بين همدان وخولان ومعدن الذهب موجود في جبل صبر داخل لواء تعز ومعدن الحديد في جوار وصعدة ومبذول وتفعل الاهالي منه قامات (جنبية) وسيوف ومعدن الرصاص في اراضي القنفدة كثير وتخرج احجار العقيق الاصلي الخالص بالوان مختلفة من جبل هرات المحدود بضوران وآنس وزمار ويصنع في بني حشيش وبني الحارث اواني من الفخار ويوجد معدن آخر في قرية حدة شفاف ناعم اللمس تستعمله العرب في تزيين نوافذ البيوت والجوامع ويوجد في جهة اعشار وعسير وصنعاء معدن الفحم الحجري ومعدن الرصاص يخرج في بلاد تهم والفضة في بلاد سارع وكان الامام شرف الدين والمظهر اجتهدا في تشغيل هذه المعادن واقتطاف فوائدها ولكنها قد تركت بعدهما

واما حدودها فيحد بلاد اليمن شط بحر القلزم من جنوبي تهامة الى باب المندب ومن ثم يحدها البحر الهندي الى مدخل خليج العجم ومن ثم تتبع هذا الخليج الى حد البحرين فيحيطها البحر من ثلاث جهات ويليها من الرابعة ارض تهامة واليمامة

والبحرين . واقسام اليمن خمسة (١) حضرموت (٢) شحر (٣) مهرة (٤) عومان (٥) نجران . قالوا وانما قيل لها اليمن لوقوعها عن يمين الكعبة المشرفة اذا استقبلت المشرق وقال بعضهم لا بل سميت اليمن يمنا ليمنها وخيراتها كما سنذكره وتاريخها طويل جدا نجتزيء منه باهم ما تجب معرفته فنقول

اقدم ما عرف من امر اليمن ان اولاد سام بن نوح (عليه السلام) استوطنوا العراق وطردهم من هناك بنو حام فذهب بعضهم شمالا الى اشور وبعضهم ذهبوا غربا وتسموا عربا لهذا السبب لان اللغة السامية الاصلية لا غين فيها فلفظة عرب اصلها غرب .

ملوك اليمن الاقدمون

واما ملوك اليمن الاقدمون فاول من ملك فيها قحطان ويتصل نسبهم الى عابر ابن شالح بن ارفخشد بن سام بن نوح (عليه السلام) وقحطان اول من لبس التاج سنة ٢٠٣٠ قبل ميلاد سيدنا عيسى عليه السلام

والذين ملك اليمن من نسل قحطان هم : يعرب بن قحطان ويشجب بن ايوب وعبد شمس بن يشجب وهو الملقب بسبا واولاده حمير وكهلان وعمرو واشعر ومن هؤلاء العرب العرباء بعدهم . واما يعرب بن قحطان فكان من اعظم ملوك العرب وكان يسمى (يمنا) وبه سميت اليمن كما المعنا آنفا وهو اول من حياه ولده بالتحية (ابيت اللعن وانعم صباحا) وقيل انه اول من نطق بالعربية . ومن ملوك اليمن التبابعة بنو حمير وسموا ملوكهم تبابعة لكونهم يتبعون بعضهم بعضا كلما هلك واحد قام آخر . اما حمير فيعرف بالعرنجج ايضا وتولى الملك سنة ١٤٣٠ ق . م . وزعم انه اول من تتوج بالذهب واخرج ثمود من اليمن الى الحجاز وبنو ثمود اول من نقب الجبال والرخام وبنوا الف وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة

ثم ملك بعده ابنه وائل ولم يزل ملكهم في اليمن حتى مضت قرون وصار الامر الى شداد فغزى البلاد وبنى المدن وخلى الاثار العظيمة

ثم اضطربت احوال حمير وصار ملكهم طوائف الى ان استقر في الحارث وهو تبع الاول وفي بنيه التبابعة . ثم ملك ابرهة ذو المنار ثم افريقس سنة ١٠٩٨ ق.م.

ثم ملك بعد افريقس اخوه عمرو ذي الازعر ولم يحسن السيرة ولما ضاقت حمير من جوره خلعت طاعته وقلدت الملك شرحبيل فجرى بينه وبين ذي الازعار قتال شديد قتل فيه وكانت الغلبة لشرحبيل فاستقل بالملك

ثم تولى بعده ابنه الهدهاد سنة ١٠٦٥ ق ٠ م

ثم ملك بلقيس ابنة الهدهاد وكانت على عهد سليمان عليه السلام ووفدت عليه بنفيس الهدايا وبقيت في ملك ناشر النعم ثم ملك بعده ابنه شمر ابن عش سنة ٨٥٠ ق ٠ م وسمي مرعش لارتعاش كان به وهو تبع الاخر وهو المشهور من ملوك التبابعة ذو المغازي ٠ ثم قام بعده ابنه ابو مالك وهلك في بعض غزواته

ومن ثمة تعاقبت الملوك على اليمن دهرا طويلا حتى ملك عمرو بن عامر الازدي ـ سنة ١٠٢ ق ٠ م وقيل له من يقيا لانه كان كل يوم يلبس بدلة فاذا اراد الدخول الى مجلسه رمى بها فمزقت لئلا يجد احد ما يلبسه

ولم تزل تتوالى الملوك على حمير حتى صار الملك الى ذي نواس سنة ٤٨٠ بعد ميلاد سيدنا عيسى عليه السلام وقد اضطهد المسيحيين في تلك النواحي لانه كان يهوديا وكل من لم يتهود رماه في اخدود من نار وهو اول من خد الاخدود من ملوك حمير حتى قتل منهم خلق كثير وقد نجا منهم رجل يقال له دوس ذو يعلبان فقدم على قيصر صاحب الروم يستنصره فبعث قيصر الى ملك الحبشة يامره بنصره فارسل ملك الحبشة جيوشا لانقاذهم من شر هذا الظالم فانتصروا عليه فساق فرسه في اليم ومات ٠ ومن ملوك اليمن ذو اصبح وهو اول من عمل السياط فقيل لها السياط (الاصبحية) نسبة اليه وهو جد الامام المجتهد مالك ابن انس رضي الله عنه

واول من بنى المنائر على طريق مغازيه ليهتدي بها اذا رجع ابرهة ابن الحرث احد ملوك حمير وسمي لذلك ذو المنار

وسنة ٥٢٩ ب ٠ م وطيء ارباط ملك الحبشة اليمن واذل حمير وبعد قتال بين ارباط وابرهة الاشرم قتل به ارباط فاقاموا ابرهة ملكا

وسنة ٥٧١ ب ٠ م هلك ابرهة فملك ابنه يكسوم ثم هلك فملك بعده اخوه مسروق فساءت سيرته ولما طال البلاء من الحبشة على اهل اليمن وجرح سيف ذو يزن

الحميري بعد حروب طويلة انقطع ملك الحبشة في اليمن بعد ان توارثه منهم اربعة ملوك في اثنين وسبعين سنة . وسنة ٦٠١ ب ٠ م اقيم سيف ذي يزن ملكا على اليمن وكان عليه فريضة يؤديها الى الفرس حيث استنصر كسرى وبعث معه هزار الديلمي وهو اول من قال مرحبا واهلا . ولما انفرد ابن ذي يزن بسلطانه وتمكن من اليمن جعل يعتسف الحبشة ويقتلهم حتى لم يبق منهم إلّا القليل وجعلهم كالخدمة يسعون بين يديه بالحراب فخرج يوما وهم بين يديه فلما انفردوا به عن اعين الناس رموه بالحراب فقتلوه . فارسل كسرى عاملا على اليمن واستمرت عماله الى ان كان اخرهم الملك باذان فاسلم وصارت اليمن للاسلام

هذا وقد قال بعضهم انه في اوائل القرن العاشر من الهجرة استولت دولة البرتغال على البحر الاحمر وحاربت الدولة العامرية في كثير من سواحله وبقوة المدافع استولت على ركن منه وبعض البلاد من جهة وتهامة وعمان وحينئذ استنجد السلطان عامر اليمني صاحب اليمن بالسلطان الغوري صاحب مصر على دفع دولة البرتغال فامده في سنة ٩١٠ هـ بعمارة بحرية مؤلفة من ٥٠ سفينة وبجيش كامل العدد والعدد تحت قيادة الامراء من الجراكسة . فاستخلصوا البلاد من البرتغاليين ولكنهم طمعوا فيها وشحت نفوسهم عن تركها لاهلها فصدق فيهم المثل (كالمستجير من الرمضاء بالنار) فنشبت الحرب بينهم وبين الدولة العامرية وكانت القوة الغالبة لهم فثبتوا في البلاد التي استخلصوها من ايدي البرتغال ومنها امتدوا الى داخل الجزيرة فملكوا الحديدة ولحية وزبيد وقمران وباقي جهات عسير وتهامة وفتحوا صنعاء وكل البلاد التي دخلت في حوزة الدولة العثمانية اخيراً . على ان اولئك الجراكسة بقوا في حروب وقلاقل مع الاهالي والامراء العامريين الى ان انقطع عنهم المدد من مصر حين زوال الدولة الغورية واستيلاء ساكن الجنان السلطان سليم خان الثالث على مصر على ان العصبة العامرية ضعفت ايضا بتوالي الحروب والمحن وكادت تنحل ولذلك ثبت الجراكسة عدة سنين في اليمن بعد ان انقرض اصل دولتهم في مصر الى ان قام في اليمن شرف الدين ابن الحسيني وبايعه الناس على الامامة وانبثت دعاته في انحاء اليمن وعدن وتهامة وبايعوا له الامراء والقبائل فاجتمعت عليه الكلمة وانعقدت له القلوب فنادى

بالحملة على الجراكسة وساق عليهم جيوشه واخرجهم من البلاد كلها فتم له الاستقلال في جميع انحاء اليمن ونجران وتهامة وعمان . ثم فشى الطاعون في مكة المكرمة وهو المعروف بالطاعون الكبير وبقي عدة سنين مات فيه خلق كثير حتى خلا ثلثا صنعاء قاعدة الامامة من السكان وامسى كثير من المدن والبلاد قاعا صفصفا لا ساكن فيها

وفي خلال ذلك ارسلت الدولة العثمانية جيشا واسطولا الى البحر الاحمر واستولت على سواحله بلا معارض وتم الاستيلاء على عسير وتهامة بكل سهولة . وفي حدود سنة ٩٥٤ هـ دخلت العساكر العثمانية صنعاء بعد محاصرة وعناء ويروى ان القائد العثماني اوزدمير باشا دخلها امنا . ثم تجرد الامير مظهر لاسترداد البلاد واضافها الى ـ حضرموت ـ واستولى اخوه على معظم تهامة من جهة اخرى وبقي والدهما الامام في صنعاء معتزلا الامارة الى سنة ٩٧٥ هـ حين اتم الامير مظهر استرداد سائر البلاد بحيث لم يبق في حوزة العثمانيين سوى الساحل الاسفل من عسير وذلك الى سنة ١٠٤٥ هـ وحينئذ تركت الدولة العثمانية الخطة اليمنية كلها واستقل الامراء الحسينيون في الولاية على البلاد واحدا بعد واحد وفخذا بعد فخذ . اولهم الامام محمد المؤيد بن قاسم من سنة ١٠٤٦ الى سنة ١٠٥٤ هـ

ثم الامام المتوكل اسماعيل الى سنة ١٠٧٨

ثم الامام المؤيد الثاني ابن المتوكل الى سنة ١٠٩٧

ثم الامام الناصر الى سنة ١١٢٧

ثم الامام حسين بن قاسم الى سنة ١١٣٠

ثم الامام قاسم بن حسين الى اوائل سنة ١١٣٩

ثم الامام منصور الى نهاية سنة ١١٣٩

ثم الامام عباس بن الامام ناصر الى سنة ١١٨٩

ثم الامام منصور بن عباس الى سنة ١٢٣٩

ثم الامام عبد الله المهدي الى سنة ١٢٤٦

ثم انتقلت الامامة الى ابن المهدي فخلع وبعده الى ناصر بن عبد الله فقتل وبعدئذ الى محمد بن المتوكل الى سنة ١٢٦٢

ثم اختتل امر الامامة والامارة بدخول العساكر العثمانية الى تلك الجهات وبعد محاربات امتدت الى سنه ١٢٨٨ استتب الامر للعثمانيين في البلاد كلها على ان اهلها لا يزالون ينادون بالامامة وكان زعيمهم الامام حميد الدين ثم ابنه الامام يحي القائم الان باليمن ، ولما كانت بلاد اليمن ءاهلة بالزيديين فهم يسوقون الامامة في اولاد فاطمة (رضي الله عنها) قال في كتاب الملل والنحل ما خلاصته : الزيدية تباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (رضي الله عنه وكرم وجهه) ساقوا الامامة في اولاد فاطمة ولم يجوزوا ثبوت امامة غيرهم إلّا انهم جوزوا ان يكون كل فاطمي عالم زاهد شجاع سخي خرج بالامامة اماما واجب الطاعة سواء كان من اولاد الحسن ابن الحسين الخ وعلى هذه القاعدة جرى الزيديون في بلاد اليمن منذ القديم ولا زالوا على ذلك الى اليوم ، اما نفوس جزيرة العرب كلها فاثنى عشر مليونا على التقريب وكلهم مسلمون وبعض مقاطعات في الشرق والجنوب لم تزل تابعة الى حكام يلقبون ، بالامام والشيخ والسلطان » (الرغائب)

مصر وتونس

(هذه على اثر تلك)

عدد ٤٠ في ١٢ جمادى الثانية سنة ١٣٢٩

الامة فرد تعدد ، والفرد امة مهما علم ، والعلم سلاح يجلوه العمل ، والعمل ثمر يولده الاحساس ، والاحساس شعور توقظه الحاجة ، والحاجة مس يمخضه الخوف ، والخوف تهوس يهوله عزلة الامة ،

حقائق ناصعة ، واسس ثابتة ، لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها شجرة مباركة اصلها ثابت وفرعها في السماء توتي اكلها كل حين باذن ربها مثل نورها كمشكات فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة كانها كوكب دري

يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم . ـ من ينكر ان الامم فرد تعدد والبشر من واحد والدين ياتي به في كل زمان واحد والتاريخ ما شيد بناءه الّا الواحد والنظام اول بان له واحد والعلم خلق واحدا ولا يزال واحد والحق جوهر لا يقبل التعدد والانقسام بل ولا التلون والاستخدام ؟

فلله الواحد ما اجدى فرديته . ولله الفرد ما اقدره على العجايب وما ابدعه في الغرائب ما تاسست فردانيته إلّا بعلم واسع يحفظ به من قواه ما يتسلط به بسلطة حكمية على جمهور فيه الجاهل والعالم والباحث والناقد ويكون من فرداته وجود امة يستطيع ان يذهب بشرارة قوتها الى السماك الارفع كما يقدر ان شاء ان يلوي اعنتها باصبع . ـ من ينكر ان الفرد العالم امة وقد يتمكن بما وهب من قبس نور الله من ان يقيم الملوك العانية والجبابرة الكاسرة ويقعدها في لحظة واحدة فيثلم شرفات ظلمها ويطفيء شرارة بطشها وينسف ما ادخرته من العدد والعدد نسفا فيصير كهشيم المحتضر ؟ . من ينكر ان العمل صقيل العلم وهو كل يوم يرى في العالمين الذليل المتمسكن . والابله المتبلد والجبان المستعبد والمنافق المتملق والمخدوع المستخدع وبجانب هؤلاء قوم في العالمين اتخذوا من ذلهم عزة ومن مسكنتهم شهامة ومن بلههم حذقا ومن بلادتهم بصيرة ومن جبنهم اقداما ومن عبوديتهم سيادة ومن نفاقهم اخلاصا ومن تملقهم صدقا ومن مخادعتهم رشدا

بل من ينكر ان علم الاولين كان شرا من عدوهم وان عمل الاخرين ابر لهم وانفع منهم لانفسهم ؟ مثل العلم والعمل مثل اليدين تغسل احدهما الاخرى في كل يوم يفقد فيه الانيس والجليس الجليس . العلم والعمل اخوان ابوهما الاحساس وجدهما الشعور وامهما الحاجة . فلا عمل للرجل ما لم يحس بجاذب يجذبه له او دافع يدفعه اليه فمن لم يحس بكلب الجوع يكتض امعاءه ولا من راحم ولا من مغيث او من لم تتحرك في نفسه شاهية الاكل ويحس بها احساسا بينا لا يرى من موجب للعمل ولا فائدة تاتيه من وراء النصب والتعب ويكون ابعد العالمين عن العلم والعمل واسامهم للشغل والاشتغال . ان شعور المرء بسوط الاحساس يضرب وجدانه ويغمز

حياته هو الذي يحدو به للحصول على غنيمة او الهرب امام مصيبة عظيمة فيلتجئ لحصن العمل. وما حد به الى تكلف المشقة إلّا رغبة في رغبية او خشية من مصيبة - هو كذاك الشعور ابو الاحساس والاحساس ابو العمل ولكن بماذا يشعر الانسان ؟ يشعر الانسان عن ضغط بشقي رحى الوجل والرجاء على فؤاده تطحن كبده فيشعر عند ذلك بوجوب الاعتماد على النفس واستجماع قواه الضعيفة ان تبددت الغريزة المقتدرة ان اتحدت وائتمرت وانتظمت وبذا تعلم ان الحاجة ليست ام الاختراع فقط كما يزعمون ولكنها ام القوة والمنعة والعزة والصولجان

نعم هي الحاجة تولد كل شيء ولكن من هو ابوها ؟ اتاتي هكذا عفوا وتتولد من غير صلب وفي غير رحم ؟ ابدا !! ان الحاجة لا تتحقق إلّا اذا تمخضت نطفتها بصلب الخوف الشديد ودفق بها في رحم العزلة فمخضها الاحتراز والتدبير ثم ولدها جوهرا محقق للوجود لا ريب فيه اما ما دام في النفس منفذا للتوكؤ الباطل والتوكل العاطل فلا اثر للحاجة ولا لوجودها . تلك حقائق الهمتها الفطرة للانسان وانجبتها التجارب في سائر القرون والازمان

وما من دين حق بعث ولا من نظام ابتكر ولا من علم علم ولا اجتماع ائتلف ولا من حروب وقعت ولا من اموال خزنت وادخرت ولا من ظلم دمر ولا من عدل عمر إلّا وهاته الاصول محور الجميع .

فهمت هاته الحقائق اشلاء القبط بمصر فهما معكوسا حسبما صورته لهم السياسة الانكليزية فرفعوا عقيرتهم على اخوانهم المسلمين المصريين وهتكوا حرمة الجوار والاخوة ومزقوا رحم مصر المحبية ولم يفطنوا لما يقصده الانكليز من الصيد في الماء العكر والتمسك باذناب سياسة (فرق تسد) فاجمعوا امرهم وائتمروا باسيوط من مدن مصر الكريمة مؤتمرا اظهرت فيه رعونتهم وبلاغتهم في مظهر العداء على مرسح الهجاء فثلموا اخوانهم في الوطنية ثلما كادت ان تنفطر منه عرى الوحدة الوطنية المصرية لولا ما اشهره المسلمون من الكياسة في الانتقاد وحسن سياسة البلاد

كانت صيحة القبطي بالهجاء والثلب مزعجة حد الازعاج حتى بعثت نفوس اخواننا مسلمي مصر على الاطلاق من قبور الانقسام والاختلاف في السياسة الى ما

هو اضمن لاستقلال الوطن وخروجه حرا من بين مخالب جيش الاحتلال ، حشر ذلك الصوت المهول اخواننا المصريين على صعيد واحد تنوسيت فه الاحقاد والامن وائتلفت فيه على مصلحة مصر الاسلامية ومن هم في ذمامها من ذوي العقول والفطنة

ائتمر المصريون بعد ذلك الصوت الناعق بينهم نعيق غراب البين مؤتمرا اسلاميا ولم يحرموا منه غيرهم ارضاء للمخلصين وتبكيتا للمشاقين وعملا بمبادي دين الاسلام وشرعة الاخوة الانسانية والوطنية فكان مؤتمرهم حكومة دستورية من ارقى الحكومات النيابية بحيث اخرس السنة حزب الاحتلال باعتداله وادهش العالم الاروبي بلياقته وارضى الامة الاسلامية قاطبة باخلاصه وغيرته ، حقيقة ان مؤتمر يبحث في الشئون العامة ولا يترك صغيرة ولا كبيرة من مصالح البلاد إلّا واتى عليها ويستطيع ان يرضي الكل لخليق بان يكون حكومة دستورية لا مؤتمرا مصريا فقط

بحث المؤتمر فى الزراعة في الصناعة في التجارة في العلوم في الفنون في التربية المدرسية في التربية العائلية في التربية العامة في الاقتصاد الزراعي والصناعي والتجاري والاقتصاد السياسي وفي السياسة والدستور وفي القضاء والمصارف والبنوك والنقابات الزراعية والتجارية والصناعية وفي الدفاع عن الحرية والوطنية وفي انشاء وزارة معارف اهلية مستقلة ثم اخذ يسعى في تنفيذ مقرراته فهل بعد هذا يعد مؤتمرا ولا يقال انه حكومة ، فلتحي مصر والمصريون ! فلتحي مصر والمسلمون !

اما تونسنا فانها في ظروف هي احوج فيها الى المؤتمر من مصر واقل ما يحوجها اليه هو تسلط اعداء الله على برنامج تعليمها تسلطا ابى ان يجتمع فيه القرآن والنفاق على صعيد واحد ! ، كل عرق من عروق جسد امتنا سرى فيه سم ناقع حتى اخذت تموت منها رابطة الدين فرابطة اللغة فرابطة الاداب فرابطة العوائد فرابطة الجنس فرابطة الوطن وعن قريب سندرج في غير مروم ونصبح كامس الدابر ، فهل لنا رجال نأتمر معهم لاصلاح العباد والبلاد لا لنياشين الشرف وزرع بذور الفساد ، يقولون انهم يفكرون لمؤتمرا فنحن نستبشر به بل ندعو اليه ولكن ليكن خال من شوائب الرياء والمداهنة ووسيلة لاصلاح شان امتنا المسكينة لا للتوصل به الى الانانيه او الى الوجاهة العارية ، ان كل شريان من شرايين امتنا قد وقفت حركته الدموية

او كادت واعظم هـذه الشرايين فسادا هو شريـان التعليم الفـاسد سواء بمـدارس الحكومة او بالمدارس القرآنية ذات الصبغة الفرنسوية الذات الاهلية اسما الاجنبية قلبا ورسما، فلنأتمر لاصلاح ما افسده الادعياء عبيد المظاهر والظواهر ولنذد عن حياضنـا وحياض مؤتمرنا كل حطيط لوث صدره بدماء وطننـا المحبوب ولا ندع الاخدان محليات الصدور بانواع اليواقيت والذهب الوهاج وان شئت رؤساء مساخر العبيد (بوسعدية) لئلا ينقلب المؤتمر مرسحا للفجور ومحشرا للشياطين

لناتمر تونسيين او افريقيين ولا نمانع من الاختلاط بنا إلّا من لم يتب عن خيانة شرف الانسانية باضطهاد فريق من ابنائها من غير ذنب جنوه إلّا الاحسان . لندع مواطنينا اليهود وانبحث باخلاص جميعا عما يالم منه الجميع ، لناتمر لحياة الوطن لناتمر للشورى ، لناتمر لاصلاح القضاء ، لناتمر لتامين الامال ، لناتمر للحصول على الحرية الشخصية الخالصة ، لناتمر لاصلاح الصناعة والزراعة والتجارة والسياسة ، لناتمر لرحمة الضعفاء والفقراء ومصادمة الرباء وتضييق خناق المسكرات ، لنـاتمر لاصلاح التربية العامة ، لناتمر لنعلم الامة ما هي الامة ، لنـاتمر لحرية الصحافة ، لناتمر لخدمة الاسلامية باخلاص وامان

ولكن حذار ان تلعب السياسة بمؤتمرنا ويستفيد منه اعداء الانسـان باشـد ما يستفده الانسان

تفصيل لما سبق

عدد ٤٢ في ٢٦ جمادى الثانية ١٣٢٩

« يايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبايل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين » (قرآن شريف)

« راس العقل بعد الايمان التودد الى الناس » (حديث كريم)

لنأتمر تونسيين او مسلمين او افريقيين ولا نمانع من الاختلاط بنا
إلّا من لم يتب عن خيانة شرف الانسانية باضطهاد فريق من ابنائها
من غير ذنب جنوه إلّا الاحسان !!!

لندع مواطنينا اليهود ولنبحث باخلاص عما يالم منه الجميع !!!

وجد ابن آدم على وجه البسيطة العارية عن ثياب الانس المظلمة من نور العقل الخاوية من روح العلم العاطلة من حلية النظام وهو هو ذاك الملاك الكريم وخليفة الناموس الالهي العظيم انس الانس وعقل العقل وروح الروح وآية نظام النظام

هكذا وجد وكذلك وجد العالم : ولكن هل يستطيع ان ينام على ذلك المهاد المزعزع وبين تلك المجاهل العمياء والوحوش الضارية وكل ما فوق الثرى وتحت الثريا يهدد حياته ويناصبه العداء ؟ ابدا !! وانى له بذلك ؟

علم ابن آدم من لدن برز لهذا الوجود انه يحتاج الى ما به يدفع ما هيىء له امتحانا وابتلاء ووثق بانه ان لم يعمد للعمل واجهاد النفس لا يستطيع ان يستمر بهذا الوجود المظلم وان يقطن بهذه الدار دار البلاء .

فهم ذلك ولكنه وقف مدة من الزمان هائما لا يدري اي سحر يسحر به هذا العالم حتى يدر عليه من شآبيب خيراته ما يخفف عنه وطئة الوحشة والاعتزال : بل لا يعلم على اي وتر يحدو بنات افكاره حداء يسبي برقته وحسنه قلب غادة الفطرة المعجبة بنظامها والمزدهيه بحشمة مندامها . ـ وقف يمعن بنظره فيما حواليه مراي السباع المفترسة والطيور الخاطفة تثب على ذلك الجمال الرايع فتفتك به فتكا ذريعا ارضاء لنهامتها وتبطش به بطش اوروبا بالاسلام طوعا لانانيتها وحبا في البرور بغول التعصب المهول ! ...... راى ذلك كله فقدت له كبده وود لو يتمكن يوما من الايام من الحيلولة بين المفترس وفريسته حيلولة يفهم منها القتيل والقاتل والمظلوم والظالم ان في قلب الفطرة كلوما دامية من مخالب القوي وحشرجة الضعيف وانهما اذا لم يتنبها لوخامة عقبى اعمالهما سينفطر وجدان الفطرة منهما غيظا وتنحرف امزجة جسمها الغض النظر فتفقد رواءها وتحمر يدها الخضراء السخية فتعبس في

وجوه كل من دب فوقها عبوس المنتقم القادر وقد ظفر بالمفسد العائث المتردي في هلكته ترديا لم يترك للعفو بابا ولا للشفقة والرحمة سبيلا . ود الانسان ذلك ولكنه مع ذلك حس بكلب الجوع يعض امعاءه ووسوس له شيطان الشره بان يطفيء سورته باشلاء الفساد ويعده بان للضرورة احكام توجب على المرء مخالفة مبادي الرحمة والحنان والعمران . فرغب عن تلك الوساوس لمضادتها لما فطر عليه من حسن التقويم وقنع من مجاهدة خصاصته ودحض حجتها بما تنبته له ارض الفطرة وتبسط به يدها اليه بابتسام - نعم انه لم يشا ان يفجع الفطرة فيلطخ وجهها بدم افلاذها ويهتك ما لا تحمله له او لا ترخص له فيه ولكن ما زال شيطان الشره يستنهض شهوته ويستفزه على تلك المخلوقات العاتية التي كانت تواثبه حتى قابل جراة المخالب والناب بسوء العذاب . وما خطى اول خطوة في حياته الحيوانية حتى تمكن منه الشره وانغرست بذور الافتراس في ارض شهوته فاينعت شوكا وقتادا - ثار غضب اعدائه عليه وادرك وخامة العقبى وسوء مغبة الوحوش المتوثبة له في كل آن وفي اي مكان فألف من نوعه عصابة توافقه في المبادي والاميال سواء كانت اصلية طيبة او دخيلة شيطانية وربطهم بالحاجة للدفاع واستئناس بزباط يعبر عنه الان في قرن العشرين برابط العمران والاجتماع . هكذا تحوط الانسان من انتقام الفطرة المغضبة عليه لانانيته وشرهه بسور العصبية والجماعة ولما لم يجده ذلك التحوط الجدوى التي يامن بها الانتقام اضطر للاستيطان بوطن معين يمكنه ان ينفرد فيه عن تلك الوحوش الضارية ويتخذ فيه مأوى محدودا وحيزا معلوما يمكنه ان يحصنه تحصينا يدفع عنه كل الغوائل . ولكن هل امنها ؟ ؟ ابدا !!!

ان الفطرة لا زالت تطالبه بتطهير يديه مما تلوثت به من دماء افلاذها وتنذره بقرب الانتقام . علم الانسان الكنود انه لا قبل له بمطاولة تلك اليد التي كم نال منها من ندى وكم راى لها في غيره من سلطان فخنع لها وجداته وخضع وصالحها على ان يكف عن الفساد والافساد ويرضى بما اباحته له وسخرته لمشيئته ووقع تحت قيد اسره وان تجود هي عليه بما يغني كل خصاصة مما يشتهيه : فاشتغل بالزراعة وقنع بالغنيمة واتخذ من اسرى الحيوان بقوة تمكن بها من المحافظة على عهود الفطرة

بقدر الامكان حتى نال من رفدها ما يستغنى به القنوع الشريف النفس عن رذالة عيش السوايم والهوام . اما هو : وهو ذلك المخلوق الكفور بكل نعمة فما سل يده من يد الفطرة مخضرة عـامرة بالنعم مغمورة بفواضل الرحمة حتى لدغت نفسه عقارب البطر والكبرياء ونفخ في معاطسه مس الانفة والجبروت فالتفت الى الفطرة ربة ولائه ولسان حاله يقول : ـ « حقا ايتها الفطرة اني قد عاضدتك على الرحمة والحنان بالحيوان : ولكنني لم اعاهدك على تركي آفتك بضعفاء الانسان ! فليس لك ان تمنعني من البطش بهم بدون رحمة ولا حنان فحافظ ايتها الفطرة على عهدك ولا تمنعني من فريستي الجديدة وانا اضمن لك سعادة بقية الحيوان . ـ انك تعلم ايتها الفطرة ان من سننك في ابنائك بقاء الاصلح وها انا ذا كما علمت شمائلي وتكرمي فاني ذلك الاصلح القوي وبقية ابناء آدم قطيع من العجموات الانسانية لا يصلح إلّا لان يكون غذاء لي انا الغني العالم الجميل » هذا ما ردده الانسان بقحة هائلة امام الفطرة التي بسطت له الرزق فبغى : وتلقاء اخيه الذي طالما تحصن به من هجمات الوحوش الكاسرة ولاذ بحمى انسه يوم كان وحشيا محاربا وكل ابناء الفطرة اعداؤه . من هذا ابتدا سم الشقاق يفعل فعله باوصال الرابطة الادمية ومن ذلك الحين سكن قتاد الحقد وتغلغل بفؤاد الانسانية التي قضى عليها الشره والاثرة والانانية بان تبقى في عناء وبلاء . . . .

ضاقت رحمة الفطرة ذرعا وتولاها الضجر من عبث الانسان باخيه الانسان بدون شفقة ولا حنان فمدت يدها الى رحمة مبتدعها ودموع الحنو مغدقة تفيض على وجوه الضعفاء البؤساء وسالته ان يلين قلب ذلك الانسان القاسي على اخيه الضعيف البائس ويرشده لحقيقة الانسان وكيف يسعد بموالاة اخيه ويشقى بمناصبته العداء . وماكان اسرع اجابة دعاء المضطر . فلم تكد الفطرة المسترحمة تمد يدها للطلب حتى بعث الله رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل واغدق من فيوضات علمه على قلوب الحكمة في صدور الحكماء غيثا مدرارا اخضرت به سهول العقول البشرية والافكار الانسانية وارسل من نسيمات الحياة الروحية نسيما لقح رحم الحكمة بروح الدين والارسال وكانت نتيجة هذا الزواج

الميمون سرا مباركا رجعت الى سدرة منتهاه غاية اصلاح الدين وابحاث الحكماء ، الا وهو ، ـ « احبب لاخيك ما تحب لنفسك » ولد هذا الوليد المبارك فخدمه كل مصلح وجافاه كل مفسد شرير حتى انك لو بحثت عن غاية كل رسالة وزبدة كل حكمة لوجدتهما هو ـ ولو نقرت عن مرمى كل فساد ومغبة كل شر لالفيتهما في مجافاته هو ـ ثم لا زال هــذا الروح الزكي الذي هو روح العمران والاجتماع والمدنية والرقي بالانسانية يتقلب بين هذا وذاك ولم يستطـع ان يبلغ اشده مع مر الزمان إلّا حين ابده النبيء الامي العظيم والقرآن الالاهي الحكيم والجنس العربي الكريم ، فنقر في التاريخ واخاص وفتش في الاثار عموما واخص تجد ان القرءان هو اول نظام رفع من شان الاخوة الانسانية الى اعلى مقام وسوى فيه بين طبقات افراد الانسان ، الحف في السؤال ودع التحزب فانه عدو الحقيقة ومضطهدها وانظر هل تجد عظيما من عظماء الانسان في كل زمان ومكان تنازل عن مقامه وهو الاعز الارفع والقوي المنع الى مواساة الاعداء الالداء ومن كتبوا على انفسهم مناوانه وقتله ويسرون بذلك سرارا ويصرون عليه جهارا : ولا من داعي لتنازل محمد (صلعم) ذلك التنازل إلّا قوله « رب اهد قومي فانهم لا يعلمون »

ثم لج في السؤال عن ذلك الجنس الشريف الطاهر الذي سوى اميره واسيره في الحقوق والواجبات بل وحتى في الاسماء والالقاب وما مقصده من ذلك إلّا احكام روابط الصلاة الفطرية الانسانية العمرانية فهل تجده غير ذلك الجنـس العربي الانساني الكريم ، ثم ان المدنية الاروبية رغما عما وصلت اليه من العلوم والمعارف والرقى العلمي وان شئت قلت كل مـا يخطر ببالك لم تستطع ان تعاصي انانيتهـا وشرهها وبطرها وتكف عن اظلام دور علمها ودواوين نظاماتها بكل ما من شانه ان يكتسح بني الانسان ويجعل بعضهم يدوس بعضا بحدافير التعصب الذميم والكبر العقيـم والعجب الوخيم والشره والبطر المليم

واذا عجزت هاته المدنية عن ربط الاخوة الانسانية بمثل ما ربطت به المدنية الاسلامية فلا ريب ان من سواها من مدنيات العصور الدابرة اضعف واعجز

واذا كانت المدنية الاسلامية بهاته المنزلة العليا في خدمة الحرية والاخوة والمساواة

خدمة بسيطة حقيقية لا مواربة فيها ولا دخل فهل يليق بالمصري وهو ابن تلك البجدة وفرع تلك النبعة ان يحمله كفران القبطي لايادیه وايادي ءابائه واباء ابائه على مجاراة اروبا في تعصبها الممقوت ويترك سنة اجداد يسري دمهم في عروقه الشريفة حتى الان ويتخلى عن السبيل القويم الذي اختطوه له في خدمة الانسانية ويمنع ذلك القبطي من كان بالامس يهجوه ويقذفه باسان لا يراعي حرمة الولاء التالد من ان يبادله رايه في مؤتمر مصر الاسلامية حيث لا ترى إلّا الكياسة ودماثة الاخلاق ؟

لقد علم المصري المسلم حقيقة بان لا ينبغي للاحقاد ان تذهب به عن سنن رشاد الانسانية الاسلامية التالد التي تحتم عليه ان لا ينظر الى من قال ولكن ينظر الى ما قال : علم المسلم المصري ان الاجتماع ضروري للدفاع ومولد لملكة الاختراع في ميدان وسائل تحرير الانسانية المضطهدة تحت مناسم اروبا العشواء فالتزم نكران الذات ازاء الحقوق العامة وتمكن بحسن التدبير من اتحاد المقصد في الخير العام ووزع العمل على حسب الطاقة واصغى بكل اعتناء لبيان المميزات الاجتماعية وحيثياتها وانقاد اليها الانقياد التام وعمد الى حفظ بقاء الوحدة الوطنية وحصنها بسور حسن التفاهم فكانت لها المجادلة بالتي هي احسن وقاية من مخالب التزاحم ارضاء لمحبة الذات فنجا بمؤتمره الدستوري من كل الهوات التي اعدت له وسلم من الهلكات

والتونسي والمصري اخوان في كل شيء في السراء وفي الضراء - ومجتمع الاول باعتبار مواطنيه اليهود هو مجتمع الثاني باعتبار مواطنيه الاقباط . وكما هددت رابطة المصريين الان هددت رابطة التونسيين من قبل : على ان الداء الذي اصاب الجسدان سواء والذي تشكوه الاقباط الان هو الذي تشكو منه يهودنا الان وقبل الان : وعليه قد صار من المتحتم على التونسي ان يمد يد الاخوة الى اخيه التونسي ويختلي به في مكان سماؤه الاخلاص وارضه حسن الظن وجوه الاخوة والحرية والمساواة ويساجله الراي ويبحث معه فيما يخفف وطئة العذاب الذي حل بالمسلمين واليهود . ليعمل التونسيان المسلم واليهودي على احياء ارض الصفاء والاخوة الدارسة عمل اخوين كريمين تتوقف حياة كل منهما على الاخر . وليقتديا بالمصريين ولا يمانعا مؤتمرهما على احد من بني الانسان « إلّا من لم يتب عن خيانة لشرف

الانسانية باضطهاد فريق من ابنائها من غير ذنب جنوه إلّا الاحسان » ...

ليكن قلب المسلم التونسي قلب احسان ورحمة وصفح عما مضى كما كان قلب اخيه المصري بل وليكن اقوى على العمل بتينك الايتين الكريمتين والحديث الشريف منه على العمل بواجب الرحمة والاحسان . ـ انه بذلك يكشف عن قلوب شعوب من العار عليه ان يجهل مضمراتها ويتعرف بقوم لم يعرف منهم مع طول الزمن إلّا الصور والاجسام ويتشرف بان يحيي سنة سلفه في ارواء قلب الفطرة المصدوع من عناء ابنائها المضطهدين من سلسبيل الاخوة والمساواة فيكون اكرم الناس بتقواه، ليبر بقوم يشاركونه في حياته الوطنية والنوعية والجنسية وليقسط اليهم لان يكتسب بذلك حب الله . ليجعل ثاني اساس عقله بعد الايمان التودد الى الناس ودعوتهم الى ما كانت تدعوهم اليه اباؤهم الذين ادركوا سر حياة الاجتماع وقوة الاخوة الانسانية فخضعوا لقوانين الجدال بالتي هي احسن في جلب القلوب وحصول المرغوب

ليتباعد المسلم عن الحقد والحسيكة فان كل منهما رجس ينجس القلوب الطاهرة وان قلب المؤمن طاهر لا ينجس . ـ ان تلك الفذلكة العمرانية التي قدمتها له ليست من قبيل الخيال ولكنها حقيقة تبين له مقدار احتياج الانسان الى التئاخي الذي تتوقف سعادته عليه في جميع ادوار حياته من لدن الخلق الى الان ويد الله على الجماعة والسلام

لنا تمر لحياة الوطن

عدد ٤٣ في ٤ رجب سنة ١٣٢٩

« رب اجعل هذا البلد آمنا وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الاخر » (قرآن شريف)

« حب الوطن من الايمان »

ـ حديث كريم ـ

بحب الاوطان عمارة البلدان

ـ اثر لعمر ـ

بلادي وان جارت علي عزيزة   واهلي وان شحوا علي كرام

يقال استوطن الارض اذا اتخذها سكنا له . او مستأنسا يستأنس به . او مجتمعا يجتمع فيه مع غيره . او مشهد يوطن نفسه فيه على الثبات امام ويلات تنازع البقاء

واذا تامل البصير في هاته المعاني اللغوية وجدها كلها ترمي الى السبب الذي حدى بالانسان الى وضع سلسلة الوطنية الذهبية المحببة في عنقه واختار لنفسه ان يكون اسيرها المخاص وفضلها على حريته المطلقة بين الحل والترحال

من منا من لا يدرك اسباب بنائه لبيته واعتنائه بتقويمه ونظافته وفرشه وتعهده وتحصينه وصيانته والغيرة عليه ؟ . من منا من لا يحس من نفسه انه مدفوع الى اتقان بناء البيت بدافع الخوف من هجمات اللصوص والوحوش الكاسرة سواء من بني الانسان او من معجم الحيوان ؟

من منا من لا يرى ان اعتناءه بتقويم بيته واتقان ترصيص اسسه وتشييد جدرانه يؤمنه من ان يخر عليه السقف من فوقه وياتيه العذاب من حيث لا يشعر ؟

من منا من لا يدرك ان توفيقه لاطلاق الهواء حرا يمرح ببيته في وقت تعفن هوائه غب سواد ظلام الليل الحالك وامتزاج هواء البيت بالهواء الغير العفن يكسبه خفة في نومه ونشاطا عند نهوضه وصحة وسلامة لبدنه ؟

من منا من لا يدرك انه بتنظيفه لبيته ومطاردته للجراثيم الدخيلة فيه المتصة لدمائه مصا الناخسة لبدنه نخسا يقدر ان ينام ببيته آمنا سعيدا هنيئا مريئا ؟

من منا من لا يعلم ان فرشه لبيته وتعهده حسبما يعلم متوليا ذلك بنفسه انه ينفعه ويخفف عنه وطأة الحر في اوانه وينقص له من سموم الندى في أبانه .

من منا من لا يعلم انه متى حصن بيته ووثق من ابوابه فلا يخشى ان يكون حينا ما مغيلا للرعاع ونخيسا للمفسدين ؟

من منا من لا يدري انه ان حرس بيته وحمى حماه ودافع عليه بدافع الحب

الصميم والغيرة الصادقة المتناهية يأمن من غـائلة اللصوص والمردة المحتالين الذين لا يستحون ان يروا انفسهم منتظمين بسلك المجرمين الخائنين الـذين كتبوا على انفسهم ان يعفنوا وجوههم بصديد الشلاء اسراهم ويلطخوا وجوههم المسودة باعمالهم بدماء الانسانية التي طالما يخادعونها بزخرف اقوالهم وخلابة ضلالهم ؟

ليس احد منا ينكر ذلك او يجهله او لا يدريه

كل الناس حتى الجهلاء والبله تستوى في ادراك تلك المقاومات البيتية لانها من ضروريات الكل التي لا يستطيعون الحياة بدونها ولا غرابة ان قلنا بمشاركة سائر الحيوانات للانسان في الشعور بالحاجة لتلك المقومات الحيوية

ولكن الذي يخفى عن جل الناس سيما فى مثل هاته البلاد هو شدة المشابهة بين الحياة البيتية والحياة الوطنية على ان الحياتين سواء من جميع الوجوه

اذ ما البيت في الحقيقة إلّا قطعة من جملة جسد الوطن الشريف .

وما الوطن إلّا بيت كبير يضم شتات امة واحدة والانسان ببيته الخاص ما هو إلّا عضو من اعضاء تلك الامة التي قضت عليه روابطه بها ان لا يسعد إلّا اذا سعد مجموع امته كما انه لا يشقى الا اذا شقى ذلك المجمـوع . ـ ورب سائل يسال عن سبب خفاء اتحاد الوطن الخاص والوطن العام مع شدة ظهوره . ولكن ما الجـواب على من تدبر في مقالتنا الاولى في هذا الموضوع بعزيز

وذلك لانا قلنا ان الانسان لا يكاد يستطيع ادراك شيء وعمله إلّا بعد ان يشعر بشدة اضطراره للتفكير فيه واحتياجه له احتياجا يوقظ شعوره بوجوب العمل لجلب منفعة او دفع ملمة . ولما كانت رفاهية الامة العريقـة من شانها ان تجعل افرادهـا واعضـاؤها في غنى عن بعضهم بعض في غالب الاحيـان لا يجب ان ذلك الاستغناء الموهوم ان ينسى كلا شعوره بحاجته لبقية الامـة ويذهله عن ذلك حتى يقضي به الامر الى العبث بالروابط العامة التي من شانهـا ان تصل عائلة البيت الخـاص بعائلة الوطن تماما ولقد صدق جـل شانه اذ قال « ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير » وليست النعمة والرفاهية العريقة وحدهما هما اللتان يبعدان بشعـور الانسان عن احساسه باحتياجه لاخيه :

بل هنـاك سم آخر يفتت بهـذا الشعور ايضا وهو شـدة وطئة الاستبداد والجهـل واليـاس والقنوط والكسل والجبن والظلم

فالامة متى استبد بامرها من لا يخاف الله ولا يرحمها وجهلت سبل حياتها كما تاهت في بيداء هلاكها ويئست من النجاة من مخالب المستبد واستولى القنوط على سائر قلوب اعضائها وساء ظنها بآمالها وخملت وتثاقلت عن العمل للنجاة من البؤس والسياسة الخرقاء التي يسير بها فيها ذلك المستبد وتمكن الرعب والرهب في عامة من يكـون هيكلها وعسف فيها الظـالم عسفا لا يجتمع هو والشرف على سدرة واحـدة ولو توغلت في الذل والهوان وتنازلت عن كرامة الانسان وجهلت قواها وخواصها بل وتشككت في وجود ذاتها وقطعت الرجاء فرادى ثم عممت وحرمت على نفسها حتى الامل وجافت الجهاد والعمل واخلدت الى الكسل وأثر فيها الظالم بمكره الشيطاني على طريق الوشاية والجوسسة تاثيرا يجعل الابن لا يطمئن لابيـه والاب لا يطمئن لابنه وتيسر للمستبد الظالم حفر قبر الشقاق الذي يستطيع ان يقبر فيه الامة ويبتلعها بلعا فلا تسمع لحياة البيت ولا الوطن حسا ولا هجسا : هذا فضلا عن ادراك صلة البيت بالوطن وهي قد لا تكون عند بعضهم من الضروريات

انى للامة المصرية الكريمة وهي في مثـل عهد اسماعيـل ان تعلم ان الوطن المصري المفدى هو بيت كل مصري صميم غيور على الشرف والفخار وهو فداء للنيل المبارك بكل ماله وبين يديه من مال ، من علم ، من وجاهة ، من سؤدد ، من سعادة ، من هناء ، مر على مصر العزيزة حين من الدهر وهي العوبة بين يدي الرحمة والشقاء حتى وهنت قواها طورا بعوامل البطر واخرى بعوامل الظلم والاستبداد والزعنفة الى ان انحلت وحدتهـا انحـلالا غير محسوس وحصرت كل فلذة من افلاذ مصر المحبية همها في خوبصاتها ولم يعد المصري يفكر إلا في انانيته وتناسى في حبه لنفسه حب مصر المفداة امه وقطع من غير ان يشعر حبل الاخوة الذي يربطه باخيه المصري من حيث يجب الوصل والالتحام والاتصال

هكذا ظل المصري الكريم لاهيا عن مصر امه وما الهاه عنها إلّا افراط المنعم وبطش المستبد حتى اصبح وهو لا يدري واجب البرور بامه مصر الاسيفة عليه

وغم عليه انه يجب عليه ان يعتني بالعائلة الوطنية باشد مما يعتني بالعائلة البيتية فشيد الدور الخاصة للعائلات الخاصة ورفع سمكها وزركشها بمبتكرات التنميق وزخرفها واتخذ لها من الحرير والسندس فراشا ومن كرايم المعادن ومنقات الصنائع اثاثا واسكن قصوره المنجدة حورا واستوثق من اقفال نوافذها وابوابها واتخذ لوقايتها جيشا من الخدم والحشم وجعله من حرسها بالمرصاد : وترك مصر المسكينة تنحب والنيل المسكين يزبد ويندب . وما انتحبت مصر ولا ندب النيل غير سوء مغبة ذلك الذي ترك وطنه مزعزع الاسس مهددا بالخراب محشرا للمفسدين ومقيلا للعائثين مكفهر الوجه مقتم الاجواء تنخره الدخلاء والاجانب ويمتصون منه دماء آبائه واجداده وفي كل ركن من اركانه اسد كاسر قد شمر قنابه عن مخالبه واستعد لقبض روح مصر الكريمة وافلاذ مصر الاحرار المساكين

طال على مصر الامد وهي ترسف في هاته الاغلال اذا نست حكم الفاطميين تذكرت جور المماليك وهكذا كلما نست ظاما ذكرت باضطهاد الى ان اتى دور الباشا محمد علي ذلك الذي كان اول من وضع الحجر الاول من اساس النهضة المصرية الان . نهض في مصر رجال ادركوا الخطر المحدق ببلادهم فسعوا الى تداركه بما في الوسع ولكن لم تكن تلك النهضة عامة بل لا يزال اذ ذاك في مصر قوم من مخذولي مصر واعدائها من اغوار ابنائها يسعون لانانيتهم وذواتهم فاتخذهم الدخلاء آلة فساد وسوط عذاب ساموا به احرار الوطنيين ما سولت لهم السياسة الخرقاء وهيئوا به مهيئات الدسيسة الاعرابية التي مكنت الانكليز من نواصي البلاد وخنق ارواح العباد . لم يكن احتلال انكلترا لمصر الاسيفة بالذي يقضي على حركة الوطنيين المخلصين للنيل الباكين على ضياع حريته واستقلاله بل نبغ فيهم رجال شبوا على مبادي الوطنية الصادقة والاخلاص فاوقفوا حياتهم على حمل بتار الاقلام في وجوه المغتصبين وتجريد سلاح الحجة والبرهان على رؤوس المحتلين فابانوا للعالم خيانة الانكليز لعهود الشرف والذمة ووضعوا التاج الانكليزي في المحل المناسب له امام العالم اذ ابانوا له مقدار تعصب الانكليز على الاسلام

جاهد بطل مصر المأسوف عليه مصطفى كامل في سبيل تحرير بلاده الى ان

استشهد في جهاده وترك البلاد تصيح بصياحه : لتحي مصر رافلة في ثياب الحرية والاستقلال !!! . كل ذلك وجواسيس الانكليز في مصر والادعياء من ابنائها قد تمادوا في سعيهم لتأييد سلطة الانكليز على بلادهم شأن الذين يخربون بيوتهم بايديهم وما مؤتمر الاقباط منا ببعيد (١)

ولكن مع ذلك لم تفقد مصر العزيزة جمهورا كبيرا من خلاصة ابنائها المخلصين لها والمستعدين لافتداء حريتها واستقلالها بالانفس والاموال والثمرات

واما ذلك المؤتمر الذي برهنوا به على انهم اهل للزعامة واشبال اولئك الابطال الذين كانوا تسلية مصر الاسيفة وعزاءها في ساعات المضيق

ادرك اولئك الرجالات المقتدرين ان اسعاد مصر امهم المفداة لا تنال إلّا اذا كان للامة راي عام صالحا ناضجا شجاعا جوادا غير هياب . وكان عمله اكثر من قوله : فلبوا دعوة المؤتمر لانه الكفيل لهم بحياة وطنهم وعلموا ان المؤتمر لو لم يكن فيه إلّا تعارف زعماء الامة والناهضين لحياة الوطن المصري المشتتين في انحاء القطر وبث الشكوى من الكل الى الكل والبحث العام عن طرق سلامة وطن الكل وحياته الحياة الطيبة لكفى . نعم الراي العام هو حياة الوطن . ولعلم المصري بان الراي العام منزلته من الوطن منزلة الروح من الجسد صاح واستنجد بابناء الوطن للائتمار لحياة الوطن بتكوين روح الراي العام بين اضلاعه لتعمل عملها في حياته بكل الوسائل الممكنة فلبوا النداء الحيوي وابرزوه ووحدوا مركزه فازداد نموا ورسوخا وثبتت قدمه ولا يلبث بعون الله ان يبلغ اشده وياخذ مركزه تحت الشمس كما ياخذه كل حر كريم . فلله صيحة المصري كم احيت نفوسا .... وكم انعشت افئدة .... وكم قرعت الاذان فاثملت بعضها بمقدار ما كانت وقرا في آذان الاخرين

اهتز العالم اجمع لصيحة المصري بمؤتمره ومكث ينظر الى تلك البلاد شزرا : اما التونسي فقد ابتهل وبارك وصفق لتلك الصيحة المباركة

---

(١) قد اتفقوا اليوم وزال كل خلاف وعملوا لمصر جميعا بعد ان اماتوا دسائس الغاصبين وقتلوا وساوس المحتلين وقد ساروا خطوة عظيمة في سبيل استقلال مصر والسودان .

وما ذلك إلّا لان تونس هي مصر ومصر هي تونس وهما اشبه بعضهما من الماء بالماء والغراب بالغراب . قد قدمنا ان مصر وتونس طالما جمعتهم رابطة الاخوة والولاء وما افترقتا عن بعضهما إلّا في احايين معلومة من الدهر فمن الضروري ان تكون اسباب سقوط الاولى هي بعينها اسباب سقوط الثانية كما ان موارد سعادة الثانية هي نفسها موارد سعادة الاولى وهما كفرسي رهان في السعادة والشقاء حتى كان القضاء آخذ على نفسه ان يجمعهما رغما عن طيش المستبدين من الملوك والسلاطين

ومن ذلك لا حاجة لنا في ان نرجع الى ذكر ما اودى بتونس من الاستبداد والفجور على عهد مصطفينا وجهاد الوزير خير الدين الماسوف عليه لتدارك سقوط البلاد على مهاد الاحتضار . ولكن الذي ينبغي ان ننبه عليه هو ان التونسي كان مع منجديه من الاستبداد اكرم من حاتم عوض ان كان المصري مع الانكليز ابخل من مادر !!! . فاكرم بها من منقبة تسطر للتونسي في خدمة وطنه وبلاده وكيف لا وهي هي التي فتنته بما تشمره له من ظواهر الحب والانعطاف حتى خرج فيها من كل طريف وتالد اللهم إلّا بقية من الطمع الضئيل

وان كان للانكليز فخر في استهواء قلوب المصريين حتى قاتلوا اخوانهم المصريين بالسودان مع عساكر الانكليز راضين من الغنيمة باقتسام اخوانهم - فان للفرنسويين فخرا اعظم في اغواء قلوب التونسيين حتى خرجوا مع اخوانهم في الانسانية يقتالون من شاركهم في اللغة والجنس والدين والانسانية لا يريدون على ذلك جزاء ولا شكورا ولا متاثرين من هجمات حزب الاستعمار حتى في وقت دفاعهم عليه ومطالبته لهم بالجلاء عن ارض ورثوها من ابائهم واندحارهم امامهم الى ما وراء صحراء تونس من رمضاء الرمال . الله يعلم ان جل التونسيين تقريبا سيما الطبقة العالية لم تكن تعلم من امر فرنسا ببلاده إلّا مقدار ما يعلمه ذلك العسكري العامل تحت اللواء الفرنسي بالمغرب او ما يعلمه ذلك الصبي الذي يرى بالبحيرة يصيح لكسب قوته من وراء رواج جريدتي (تونس الفرنسوية - والمعمر الفرنسي) اللتين يحملهما بيديه الى من لا يزيدهم الاطلاع عليهما إلّا عبثا بحياته واضطهادا لبلاده واسراعا للاجهاز عليه وما الفضل في ذلك إلّا لمهارة السياسة الفرنسية في استعمار

البلدان بمحض الاماني والوعود وعدم مصادرة الناس في خصوص المعتقدات التي تزيد التونسي بلاهة على ما ورثه عن الاستبداد . ولقد كان يمكن للتونسي ان يستمر على بلاهته سيما مع استقامة المصلحين لشانه ولسيرهم الحثيث لانماء تلك البلاهة لولا ان كان ذلك الرجل القاسي المعمر دوكارنيير يرسل عليه من براعته في شتمه وانذاره وتهديده ووعيده صواعقا ذهبت بذهوله وبلاهته فاستيقظ وقد وجد نفسه في معترك صعب وملاحم اجتماعية عمرانية لا قدرة له على النزول الى ميدانها ونزال ابطالها وهو من العلم منفوض الجراب ومن المال خاوي الوطاب وعلم انه لا قدرة له على المقام بهاته الارض التي لا يلبث بفضل مساعي حزب الاستعمار ان يخرج منها صفر اليدين

علم ذلك وايقن بوخامة العقبى فعمد الى مغادرة الاوطان التي فرضت عليه شريعة ابراهيم ان يدعوا لها ويقول « رب اجعل هذا البلد آمنا الاية » ولم يستوقفه حنين ابيه ابراهيم لبلاده وسعادة وطنه ولا قول النبي (صلى الله عليه وسلم) « حب الوطن من الايمان » ولا اثر عمر في حبها ولا قول الشاعر في التفاني فيها رغما عن اساءتها وما ذلك إلَّا لانه ما استفاق من عيشة الاستبداد حتى دخله الياس وايقن انه الغريب وان كان القريب المجيب .

انتشرت فكرة الهجرة في التونسيين لان الياس حقق لهم ان البلاد غير البلاد والعباد غير العباد ولكن مراحم فرنسا ابت ان تتركهم شعثا غبرا يفارقون اوطانهم وعلى وجوههم مسحة من محاسن سياستها فيم يقرا فيها من يصادفهم وفرة العدالة واتساع نطاق المساواة واطلاق عنان الحرية وشدة البرور بواجبات الاخوة الممدنة والانسانية الفاضلة ..... فمانعتهم من الهجرة ضنا بنعيمها على غيرها ولم تشأ إلَّا ان تحلي جيد تاريخ حياتهم معها بحلية الفتح والنصر ونشر المدنية وتعميم ما نالهم من فضلها على اخوانهم المغاربة المتوحشين ....

رضى التونسي بذلك رضاء زبيدة على المامون ولكن صوت المصري الان نبهه الى تدارك ما فاته من امر الهجرة بواسطة الاقتداء باخيه المصري في دعوة اخوانه الوطنيين الى مؤتمر عله يكون له رايا عاما يقرع بصوته آذان الانسانية والعدالة فتنظر اليه نظر راحم وتبقي على ما بيديه من ضروريات الحياة

فليأتمر التونسي لرفع صوته لاعتاب محكمة العدل والانسانية بصفة عامة

وليكن موتمره رايا عاما حقيقة ليكون حقيقة روح الوطن والبلاد .

والحذر الحذر ان يغلب ما قد تراءى لنا من الاستبداد وحب الانانية كي

لا يصير راي المؤتمر راي افراد في قالب راي عام وكمال الكلام كلام الكمال

لنأتمر للشورى

عدد ٤٤ في ١١ رجب سنة ١٣٢٩

« فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر

« قرآن شريف »

في الصحيح انه لما نزلت هاته الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اما ان الله ورسوله لغنيان عنها ، ولكن جعلها الله رحمة لامتي ، فمن استشار منهم لم يعدم رشدا ، ومن تركها لم يعدم غيا . »

(حديث كريم)

ما خاب من استخار ، ولا ندم من استشار .

(حديث كريم)

عقل الفتى ليس يغني عن مشاورة * كحدة السيف لا تغني عن البطل

ان المشاور اما صائب غرضا * او مخطئي غير منسوب الى الخطل

(للطغرائي)

قلنا فيما سلف ان الانسان قد ادرك ضعف قواه مهما انفردت عن بقية اخوانه في النوعية وانه ضعيف بنفسه قوي باخيه وانه عند ما هددت حياته وتزعزعت اركان بقائه لم يلف ترسا يدفع عنه شر الوحدة والانعزال غير العصابية النوعية

والوحدة الوطنية ففزع اليهما فاورثاه منعة وحماية . ولكن كيف تسنى له ذلك ؟ وما هو نوع القوة التي غذاه بها الاتحاد وامتص لبنها الرائق من ثدي الوطنية الكريمة ؟ . وهل تتفاوت تلك القوة في نفسها ام كانت على معدل واحد في جميع ادوار حياته ؟ . وما كان تاثير تلك القوة ـ سواء تنوعت وتفاوتت ام لا ـ على حياته الاجتماعية وعلى جميع العوالم ؟ . هاته اسئلة خطرت لي حال الكتابة وربما تكون بغية القاري الباحث او من يهمه اخذ الاشياء من الموارد الحكمية بقدر الامكان . ولما كان بحثنا في الشورى ومولدها ونشئها وارتقائها وما تقتضيه من الخصائص والاسس الثابتة لتؤثر تاثيرها الخاص في حياة العائلة الانسانية بحيث يتسنى لجهازها الهضمي ان يهيء لنا بواسط البحث ومبادلات الافكار لبنا خالصا سايغا للشاربين . فجدير بنا ان نلم بالجواب عنها الماما تحصل منه باذن الله الفائدة المرغوبة فنقول :

ما تسنى للانسان ان ينتفع باخيه الانسان إلّا بعد ان تنازل عن مظاهر التعالي عليه والاقرار بالعجز والضعف اليه ونسيان مصالحه الذاتية تلقاء مصالح اخيه

بهاته الوسائط امكنه ان يؤلف مع طول الزمان هيكل الجمعية البشرية ويتدرع بها الى النجاة من مزالق هاته الحياة النكدة الى الفوز بنزر من السعادة وان كان ينمو مع نمو علمه واعتدال مداركه إلّا انه كان مبعثرا في مجاهيل الدهور ومشتتا في ارجاء المعمور . تكرور ان الذات امام المصالح العامة هو روح حياة الاجتماع الانساني وهو الذي وصل بالانسان الى تعزيز قواه الفطرية فيه سواء كانت تلك القوى جسدية مادية عاملة في المواد الكونية او روحية عاملة تستخدم العقول والفكر

ولما كان العلم الحادث عبارة عن تجارب متنوعة هدتنا اليها الحاجة كان يتسع شيئا فشيئا اتساعا مناسبا لتلك التجارب والمخترعات السائر نموها ايضا على وزان الحاجة اليها وكانت اعمال الانسان المادية في المادة تنمو كذلك على نسبة نمو افكاره وتجاربه واختراعاته واقتناعه بضرورة تقوية ما هدي اليه من ضروب تلك التجارب بتجارب غيره . لاريب ان الحقيقة بنت البحث المشترك المتداول المنتج غاية خير من اعمال الفرد مهما بلغت سائر قواه . قوى الانسان كما سبق نوعان مادية وروحية والاولى منهما تابعة للثانية التي كان لها القدح المعلى في التاثير على حياته الاجتماعية كما لا تزال تنهض

بالعالم اجمع من سحيق الوحشية ومهاوي الدمار الى رياض المدنية وسهول العمران

هكذا كانت تلك القوى المشتركة الفكرية تعمل على ترقية الانسان ماديا وادبيا الى ان مس اعضائها البطر واستبد كل بفكره وبخل بمشورته لغيره واشارته عليه حتى سقط الانسان من درجات رقيه الاشتراكي الى دركات استبداده وخذلانه وحبه لذاته وانانيته .

وكذلك استمر بين النهوض بفضل الشورى التي تضطره اليها شدة الحاجة والغبطة وسقوط فضيع من جراء استبداده الذي يولده في نفسه من حين لاخر البطر والاياس .

واذا ادركه غيث الشورى عبثت به اعصار الاستبداد ولم يجده في اصلاح ذلك ملك الابوية ولا سلطة شيخ القبيلة ولا قوة الدولة ولا جبروت السلطان

وما ذلك إلّا لانه لا غنى له عن الشورى ولا صبر له على الاستبداد حتى انه في كثير من الاحايين يجهد نفسه كل الاجهاد للحصول على وازع جمهوري ولكن لا تكاد اعضاء جمهوريته ان تلتئم وتنتخب ويحصلوا على رضائه حتى تميل بهم الانانية والميول الغير الانسانية الى مصبغ التعصب للراي او الفريق او الدين او الانتصار وهناك تصبغ قلوبهم بسواد الاغراض وتنقلب انسانيتهم شرا من الشيطان الرجيم وعلمهم وتجاربهم احبولات ومكائد ينصبونها في طريق المدنية والحقيقة والعدالة والانسانية ليوقعوا بها من يوقعون في الدمار وخراب الديار ويحولوا بها بين المدنية وبين القلوب المتشوقة اليها فيكونون اعوانا للوحشية من حيث يتغالون في حب المدنية ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وان هم إلّا في ضلال بعيد

سل القرون المظلمة وقدماء المصريين والاشوريين والكلدانيين والاكاسرة والاثينيين واليونان والفينقيين والرومان وممالك القرون المتأخرة الاسلامية المتقهقرة بل والممالك الاروبية حتى الان سواء كانت ممالك مستبدة او ما لم ياخذ منها من الشورى والجمهورية إلّا الاسم ينبئك جميع ما تقدم ان الغالب الاغلب في تلك الدول ان تكون مستبدة لفرد منزل منها منزلة المالك المطلق من ملكه الخالص وما بقي اغلبه قد نال من الشورى الاسم لا الرسم اذ ما هو في الحقيقة إلّا استبداد تعاظم وتعدى من فرد الى افراد او فوضى سائدة بقوتها على الحق

واقل القليل من الدول هم خضعوا لقوانين الشورى والدستور والجمهورية واقاموا اركانها وتوفرت فيهم شروطها ومن سوء حظ اوربا عموما حتى في عصرها الحاضر عصر العلم والعرفان ان لم يتركها الشره والبَطر والايغال في اضطهاد الانسانية بجيوشها واساطيلها واسترقاق العباد وتدويخ البلاد بقوة عددها وعديدها ظلما وعدوانا تكون من ذلك القليل !

وهل يبلغ ذلك الشرف السامي من تعتقد علماؤهم وحكماؤهم وسواهم ان الحق في جانب القوة وما هو إلّا خديم خاضع لمشيئتها ثم هم مع ذلك لا يستحون ان يبرهنوا على ذلك بتوالي انتصارهم على الضعفاء واضطهادهم للمساكين البؤساء مسوقين لذلك بسائق العصبية والحمية الجاهلية ؟

ام هل ينال ذلك الفخار الاقعس قوم اينما حلوا خربوا الديار ودمروا الامصار وحطموا الاقلام واغلوا الايدي وكمموا الافواه واخرسوا الالسنة ونفذوا كالسم الى اعماق القلوب ومقفل الضمائر فاوقفوا الحركات والخطرات ؟

ابدا والله !!!!

اذا كيف ينالون ذلك وهم قد اتخذوا اسم المدنية والانسانية ذينك اللفظين المقدسين مطية لامتصاص دماء الضعفاء والتعساء ؟

ولو لم يكن لهم ذنب غير امتهان الانسانية والمدنية واتخاذهما منديلين يمسحون بهما ايديهما الملوثة بدماء بني الانسان ووجوههم المغبرة بغبار تقويض العمران لكفى لقطع ايديهم ومنعها من ان تعبث بشرف الانسانيين المخلصين . - قد يقول قائل انك اعرقت في الحط من كرامة اوربا على العموم وكل الناس يعلم ان اوربا هي سماء العلم في هذا العصر وغالب ممالكها دستورية او جمهورية فما دليلك على ذلك ؟

الجواب . ان بلدا كلندره فضلا عن روما وبترسبورج تموت فيه غاية القوم جوعا وعراء بينما ترى فيه الحفاة العراة العالة على العمال يتطاولون في البنيان لادل دليل على ان اوربا لم تسعد بعلومها ولا بدستورها

ان ارضا يمكنك ان ترى بها آناء الليل واطراف النهار انشقاق الشعب الواحد على نفسه وتصيح جرائدها العظمى بقولها « من واجب الحكومة ان تسعى لتنفيذ

برنامجها ولا تلتفت قطعا الى الحزب الاشتراكي » لاحق بوصف الاستبداد من الدستور . ان بلادا تبخل بنعمة الرقي الخالص من شوائب الاغراض وتعمل لابتلاع الشعوب ومسخها الى جنسها ولا تزال تضايق حريتها الشخصية وتعبث بحقوقها القومية المقدسة في شرعة المدنية والانسانية وتعين الحكومات المستبدة على التنكيل بامهما الساعية الى النهوض بالشورى وتحمي باساطيلها وسياستها الملوك الظلمة وتقرر سلطتهم على العدالة والانصاف وتعينهم على الامم المتوثبة لمطالبتهم بمشاركتهم في شؤونها لهي ام الاستبداد وجرثومة الفسوق والافساد

ان حكومات تاتي الملوك الجهلة البله فتمدهم بالمال ليشتروا من معاملها انواع الملاهي وتعينهم على انزال تلك الزخارف المموهة التي لا تمدهم باقراض الاموال إلّا بعد شرط اشترائها من معاملها لترجع ثروتها اليها وتوضع تلك الالاعيب في صنادق حربية لتوهم الامم المغرورة انها عدد اشترائها من ملوكها لتدافع بها عن حوزة اوطانها . — ثم هي تاتي الى رعاع الامم فتمدها بالمال والسلاح مدا وتوشي بملوكهم اليهم وتوغر صدورهم عليهم بصفه تجعلهم يتربصون الفرص للثوران وشق عصا الطاعة في وجوه اولئك الملوك الذين لم يكادوا يلتهون بالاعيبهم حتى وجدوا ذلك المدين المخادع قابضا على اعناقهم قبض البخيل على ماله يريد الاجهاز عليهم غيلة فيلتفتون لاممهم التفات الجزع الهلع ويستدرونهم اموالا لم ينلهم منها إلّا هجمات المرتشين ومظالم الظالمين الخائنين وحينما يلتقي الجمعان على محشم العداء والقتال الذي لا اساس له إلّا فتنتها بل ودسائسها الموافق عليهما من قبل مجالس دساتيرها « على ما تزعم ...... » او عصابات الاستبداد فتقلب ظهر المجن للملوك والرعايا جميعا وتنصف نفسها بقوتها ومقدرتها على اضطهاد حكامها وتتردى برداء المدنية والانسانية تضليلا للحقيقة والحق والانسانية والانسان وتاخذ بيد الملوك لتقرر سلطتهم على ما تعلم من فسادهم لتتخذهم صنيعة لها وواسطة لاذلال اممهم وتصييرهم مماليكا ورقاء لها يخدمون وفيها يموتون لهي اعرق الامم في طريق الاستبداد وانآهم عن مروج الدستور ومسالك الشرف والرشاد ! ! !

ان للشورى والهيئة الدستورية اركانا وشروطا لا بد منها لقوام هيكلها قواما

يكفل حصول الفائدة التي خلقت من اجلها وتلك الاركان والشروط لا تتجاوز عدد العشرة وهي :

(١) الاستقلال في العمل عن الحكومة وغيرها والحرية المضمونة فيه

(٢) نسيان الذات امام المصالح العامة وعدم الخضوع للشخصيات

(٣) التجرد عن الاغراض والميول لطلب الحقيقة اين كانت ولاي كان

(٤) الكفاءة العلمية من غير نظر للتمول والاحساب والاقامة ببلد دون بلد وحرية الانتخاب

(٥) الاقرار بمميزات الاغلبية التي يتكون منها هيكل جمهور مصالح الامة مطلقا

(٦) عدم التهاون بحقوق الاقلية ارضاء للاغلبية ما دام الاصلاح في جانبها

(٧) ان لا يكون المنتخبون من جماعة وان كانوا يرون انفسهم من الامة فانهم منفصلون عنها باعتبار الحيثيات

(٨) ان لا تكون القلة والكثرة النيابيتين مخصصة من قبل الحكومة الاجرائية

(٩) ان يكون عدد النائبين نسبيا في الامة وفي الفرق التي تتكون منها تحصيلا لشقة العامة

(١٠) لتحقيق الاغلبية والاقلية الانتخابيتين ينبغي ان لا يلتفت لاختلاف الدين والجنس والسياسة والفتح والانتصار وانما ينظر لمصلحة البلاد والمتساكنين بها بحيث يكون فارق المصلحة العامة هو ركن الاقلية والاغلبية وركن اعمال الهيئة الدستورية وهذا لا يتم إلّا بتظليل سائر العناصر الخاضعة لامر الحكومة بظل الامن على الحرية الشخصية والحرية العامة والعدالة والمساواة

تلك اركان الشورى التي لا ينخرم واحد منها إلّا وتمسخ الى استبداد متعدد الرؤوس كالتنين او فوضى لا رائد لها غير السلب ولا فائدة فيها غير النهب

عدد ٤٥ في ١٨ رجب الاصب سنة ١٣٢٩

اذا قلنا ان برهان صحة القول هو الفعل وفائدة العلم انما هي العمل ونظرنا الى اعمال اوروبا العامة لا الى نظاماتها الخاصة المهجورة بمقاصير دواوينها نجد بين

القول والفعل بعد ما بين اعداء الحق والباطل وبين علمها وعملها بعد ما بين مدنية الاسلام في عصوره الذهبية وبين افتراس اروبا للانسانية بالانسانية في القرن العشرين

حرر وجدانك من ربقة العصبية الممقوتة والحمية الجاهلية الذميمة وكن انسانا قبل ان تكون من اي طائفة واحبب الحقيقة في جانب عدوك كما تحبها وهي في جانبك ثم خذ القرآن ءاية ءاية والاحاديث درة درة وسيرة النبي الكريم واصحابه والتابعين لهم من الامويين والعباسيين والاندلسيين والعثمانيين في العصور الاولى الاسلامية سيرة سيرة وانظر هل ترى اروبا قدرت ان تصل الى تنجيز قول الله تعالى « فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب » وقوله فاعف عنهم » ولمن يعفو ؟ . واستغفر لهم » ولمن يستغفر ؟ « وشاورهم في الامر » وهل علمت من يشاور ؟

بل هل قدرت اروبا ان تعمل على الانسانية المعذبة وتهون عليها ما حل بها منها من النكال والوبال من غير ذنب اقترفته غير اغترارها بحبها الكاذب ونصحها المموه ؟ وهل تسمع من عظماء اروبا وحكمائها كلمة تسلية لتلك الامم المغلوبة على امرها بينما ترى النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول وقد وقف بين يديه عدو مشرك يرتجف خوفا وفزعا . هون عليك فانما انا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد . » وعند ذلك تتشخص بعد الثرى عن الثريا والسماءِ على الماء

بل تأمل سير اروبا في مستعمراتها وتأمل افراطها في محاباة ابنائها واعانتهم على استرقاق اهاليها وانظر اليها كل يوم وهي واقفة على منابر الخطابة مفاخرة بأنها قد احيت دولة الرومان . وهل علمت ما قال روسو في الرومان ؟ - ثم ارجع نظرك والق سمعك لهذا الصوت الكريم الذي لا يزال يرن صداه في بطون التاريخ واسمع ما قال عمر لاحد عماله بعد معاقبته له هو وابنه انتصافا لقبطي مسيحي « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا » . واحكم حكمك على اروبا بأنها لم تبلغ ما بلغ الاسلام وكن قرير العين بهذا الحكم مطمئن الجنان والوجدان

لا . بل اسال عن مقدار احتيال اروبا على ابتزاز اموال اهالي مستعمراتها بحق وبدون حق وكيف احتكرت اراضيهم وديارهم بعوض وبدون عوض وكيف

تركتهم عالة عليها لها منهم الدر ولهم منها الصفع والاهانة . وانظر كيف جبى عمرو ابن العاص من المصريين الذميين عشرة ملايين بعد ان كان الرومان من تفتخر اوربا الان باحيائها لدولتهم يجبون منها عشرين . ثم لما بلغت الخلافة لعثمان وتولى على مصر سعد ابن ابي سرح على اثر عزل عمرو ابن العاص وفاخر عثمان عمرو بن العاص بحرص سعد على اموال الجباية حتى بلغت اربعة عشر مليونا وقوله له « يا ابا عبد الله قد درت اللقحة باكثر من درها الاول » فاجابه عمرو « قد اضررتم بولدها ثم قال هذا اذا لم يمت الفصيل » فلم يسع عثمان تلقاء هاته الاشارة والموعظة الحسنة والمبرة الانسانية العالية إلّا ان امر عامله على مصر ان يرفق بأهاليها . ثم قل بعد ذلك اين الانسانية والوحشية واين الاستبداد والدستور واين الخراب والدمار واين العمران وسعادة الانسان . دع اوربا تملا الدنيا صراخا بادعائها وخذ خبر العجائز القبطية في عهد المامون العباسي ولا تعجب ان تسمع باحداهن تندب وتصيح لا لظلم تعانيه ولا لاضطهاد تقاسيه ولا لاحتياج تشتكيه ولكن لكون امير المومنين مر ببيتها ولم يشرفها بشرف الضيافة عندها لتبقى مكرمة وفخار لها ولابنائها حتى لوى المامون عنان فرسه لبيتها ونزل به نزول الضيف الكريم عند الصديق الحميم واكل هنيئا وشرب مريئا مما لا يستطيع هو ان يهيئه لنفسه في قصره واسمع ما قالته تلك العجوز في آخر وقفة لها مع المامون « كل هذا من خير مصر ثم من عدلك يا امير المومنين وقس ما سمعت على ما ترى وتسمع عن مستعمرات اوربا من الشكاوي المرة البالغة عنان السماء ثم احكم لمن يكون الفوز والشرف بخدمة المدنية الحقة والانسانية الفاضلة الخالصة أ للرومان واوربا ام للاسلام

علم المصري المسلم بمثاثر اسلافه في تدبير الملك على امتن قواعد العدالة والانصاف وعلم مع ذلك مقدار فوائد الشورى المامور بها دينا ودنيا وعلم ان الحكمة ضالة المومن يلتقطها انى وجدها وان الله ليصلح هذا الدين بالرجل الفاجر . وعلمه على ان لا ينظر الى من قال ولكن ينظر الى ما قال فلم يانف من مشاركة القبطي اخيه في الوطنية له في تدبير شئون المملكة المصرية واقر رغما عن كفران القبطي لنعمه عليه بان لهذا الكفور حق شائع في لفضة « مصر » لا يقبل الانقسام فاكرم به من شبل

لاولئك الليوث ولكن ليوث الرحمة والعدالة والانسانية والانصاف ! . . ولما هيا القدر لمصر ان تنـال مجلسا شوريا ابت مبادي المصري العادلة وانسانيته الفاضلة ان يرفض مشاركة اخيه القبطي له وابى إلّا استشارته وانتخابه للشورى وعاش هو واياه مدة من الزمن لا غنى لاحدهما عن الاخر ولما توسطت بينهما دولة انكلتيرا قلبت ودادهما بغضا ومحبتهما حقدا والرضاء عن بعضهما سخطا الى ان كان ماكان من امر القبطيين باسيوط ورفعهم عقيرتهم على اخواننـا المصريين المسلمين شاكين ظلمهم لهم واستبدادهم بالامر الذي سلبوه من الرومان آبائهم وارباب ولائهم وانساهم دهاء الانكليز ما ذاقوه من الخسف والهوان في ادوار رضوخهم لسلطة الرومان

ومما اشتكى منه القبطي وادعاه انه اكثر كفاءة علمية من اخيه المسلم وان اعضاءه في مجلس الشورى المصرى لا تمثل الاقلية تمثيل يضمن له اعـادة السلطة المغصوبة اليه ولم يدري ان في بني عمه رماح تفل دعاويه وتذرها رمادا تذروه الرياح فخاب فاله وطاش سهمه ووجد من اخواننا المصريين من فند دعاويه في الكفاءة العلمية فضلا عن تفوقه فيها واقام له البرهان على انه نال بمجلس الشورى المصري فوق ما يخوله له قانون تمثيل الاقلية الصحيحة بل العـدالة والمساواة والقى عليـه درسا كان يجهله وعلمه ان الاقلية في الشورى لا ينظر فيها الى اختلاف الاجناس والاديان والدسائس والاغراض وانما ينظر لها ويقبل تمثيلها اذا كانت مؤسسة على كفالة الصالح العام

وانذره بالرجوع الى الاضطهاد الروماني بل والاوربي اذا هو حاول الرجوع الى عصور العصبية الدينية واتخاذها دعامة لتمثيل اقليته بمجلس شورى القـوانين ولم يقف اخونا المصرى الكريم عند هـذا الحد من انتقاد ادعاء اخيه القبطي بل اغتنم الفرصة واوضح له ان كل المصريين وليس القبط وحدهم يشكون من النقائص والامراض التي يرونها تؤدي بهيئتهم الشورية وبلادهم مصر الكريمة

واكبر داء يشكوه المصرى في ذلك هو داء سلب اعضاء مجلس الشورى حريتهم وركون اولئك الاعضاء وخنوعهم امام اقتراحات الحكومة المتصرفة فيهم بدل ان يكونوا المتصرفين فيها ، ثم عبث الحكومة بالكفاءة العلمية وتضييق الخناق عليها سواء بالضريبة المفروضة على العضو المنتخب واشتراط مقامه بالمديرية التي انتخبته

وهذان الداءان طالما نهكا حقيقة حقوق مصر والمصريين لانه بالداء الاول تمكن الانكليز من اقامة الحجة على المصريين برضاهم بجميع اعمال من انتخبوهم ليدافعوا عنهم ويحموا مصر من كيد الاحتلال فاصبحوا منفذين لكل ارادة مستبدة وبالداء الثاني لم يلف الغيورون على الوطن وبنيه منفذا يلجون منه للانتخاب ونيابة الامة نيابة حقيقية تأبى الضيم وتأنف الهوان لان فيهم من لا يستطيعون دفع الضريبة وفيهم من لا يستطيعون مبارحة المراكز العامة التي تحتم عليه مصلحة مصر الاسيفة الاقامة بها سيما وان ارتكاب اخف الضررين مما ترغب فيه الحكماء

ذلك شان الشورى بمصر وهذا غضب المصريين عموما عليها وهي على ما هي عليه اهون بكثير من المجلس الشوري التونسي بل بين الاول والثاني بعد ما بين المشرقين . اذ مجلس شورى القوانين بمصر وطني بحت اعضاؤه نسبية منتخبة من قبل الامة بقدر الامكان وفي امكان الاحرار الوطنيين المخلصين لمصر ان يكونوا مستقلين في ارائهم عن الحكومة اذا لم يطمعوا في فتات موائد الاحتلال واغلبهم محصل على الكفاءة العلمية او ما يقاربها والاغلبية فيه ممثلة تمثيلا وان كان ناقصا إلّا انه قريب من جادة الاعتدال والاقلية فيه محترمة من الامة والحكومة وللمجلس النظر في ميزانية الدولة والرقابة على اعمال الحكومة وملاحظته على ذلك ملاحظات وان كانت تعبث بها اهواء الاحتلال والخونة انصاره وصنائعه من ابناء مصر الاسيفة منهم عليهم سواء كانوا بالمجلس او في رجال الصحافة المصرية النسبة الانكليزية الوجهة فانها قد تكون في كثير من المواطن اكبر شهادة للاجيال المصرية المقبلة على ما لنوابهم من الوطنيين من الشهامة والبسالة والاخلاص في الحرص على حفظ شرف المصري التالد امام مكائد وهجمات الاحتلال

وبالجملة فان المجلس الشوري المصرى على ما فيه من الاختلال والاعتدال يستطيل بفضل بسالة الوطنيين المخلصين ان يكفر عن سيئات بعض سراة المصريين عبيد المستشارين وعشاق الوكالات والرتب والنياشين امام محكمة مصر المستقبلة المشكلة من اشبال مصر والاسلام القابلين

اما مجلس شورانا .... فما هو إلّا سلسلة ذهبية مموهة خرجت حلقاتها من

بين مطارق السياسة . ولذلك كانت اعضاء هاته الشورى .... اقرب الى الفوضى منها الى النظام وابعد عن العدالة منها عن الغلو في الانانية والمظاهر

وما ظنك بشورى لم تطمئن لها الامة قاطبة ولن تطمئن لها سرمدا ما دامت ترغم على الرضاء بها وكيلة عنها ولا تستطيع ان تنتخبها هي نفسها لتكون لها السلطة عليها عوض ان تكون تلعابة او بضاعة تباع وتشري ومركز القبول والايجاب والتسليم والرضاء بيد من لا يهم احد منهم امرها ولا يعز عليهم مصابها ما دامت الصدور تحلى بالنياشين والمراكز محفوظة برحمة قهار العادلين ومسخر المخادعين لمصلحة المعمرين . بل ما ظنك بشورى تسب اعضاؤها علنا وتحقر امتهم امامهم وترمى بصواعق الشتائم ولا تجد في باب العدالة حكما إلّا فصلها عن ماقتها شان البكر تحجز عن الرجل بخدرها حتى لا تفزعها مظاهر رجوليته وشهامته في مراميه من حركاته الرابعة وسكناته المهولة في وقت يوجد فيه من يدعي سياسة التشريك ؟

بل ما ظنك بشورى تغلبت فيها الاقلية على الاكثرية بسلطة السياسة العادلة حتي اكلت اكلا لما وابقتها اشباحا بلا ارواح ؟

بل ما ظنك بشورى اغلب اعضائها ممن لا يعرفون للمدنية معنى إلّا الجهل او التقليد الاعمى ونسيان الذات والنسب والامة امام زخارف هاته المدنية الفاجرة

بل ما ظنك بشورى التفاهم بين اعضائها عموما ابعد من السماء على الماء لان الافرنسي فيهم لا يفهم العربي كما لا يفهم هذا المتفرنس البربري

بل ما ظنك بشورى اضطهدت فيها الكفاءة العلمية ان لم نقل فقدت في سائر اعضائها بالكلية ؟

بل ما ظنك بشورى تجعل همها اثقال كاهل العباد للحصول عن رونق وزخرف البلاد ؟ . بل ما ظنك بشورى توافق على الاقتراض للاقراض وتتناسى فقر العمار في جلب سعادة ورفاهية وبذخ الاستعمار ؟

بل ما ظنك في مجلس هو ابن مجلس في صلب ادارة من حكومتين السلطة فيها مظهر من مظاهر سياسة اكثر غموضا وخفاء من ـ اليد السوداء ـ في ظلام المدنية الحالك ؟ . واخير قل ما ظنك بشورى لا تفهم من رغائب الامة إلّا ما يرغب فيه

شخصها وحتى اذا رغبت في ذلك فانها لا تستطيع الوقوف عليه لجهلها بلغة البلاد المبنة بحكمها ومثل رحابها لا تحله الاموات

هذا قليل من كثير من الاعتلال الذي ينهك قوى شورانا نهكا حتى صارت به او كادت تصير سيفا باترا لجز رقابنا وحجة علينا لا لنا

ومن ذلك تفهم الامة مقدار الفرق الذي يوجد بين شورى القوانين بمصر وبين المجلس الشوري بتونس وطننا العليل المدنف

فلتأتمر الامة وترفع شكواها لقاضي التاريخ العادل وتبرهن على احتياجها الشديد لشورى حقيقية تامة الشروط راسخة الاسس مشيدة الاركان مكفولة بكفالة احترام حقوق الانسان . ان صوت الامة قوي مهما بح وان ارادة الشعب العادلة مضاءة لا تقبل الحل والانفلال . ولذلك فلتأتمر الامة مؤتمرا يكون اول شورى نظامية يرجع اليها فخرها وتكون درة لتاجها في جبين هذا القرن قرن نهوض الانسانية بنهوض الاسلام

لنأتمر لاصلاح القضاء

عدد ٤٦ في ٢ شعبان الاكرم سنة ١٣٢٩

« فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما ءاتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون

افحكم الجاهلية يبغون . . ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون »
(قرءان شريف)

« قاضيان في النار وقاض في الجنة قاض عرف الحق فقضى به فهو في الجنة وقاض عرف الحق فجار متعمدا او قضى بغير علم فهما في النار »
(حديث كريم)

اختلاف الناس ضروري لابد منه لقوام حياة الامم والشعوب لانه مثار الغبطة وباعث الامل في قلوب سائر الطبقات على الحصول على ما امتازت به كل طبقة عن غيرها . وما الغبطة والامل إلّا ناموس زوجية نتاج لقاحها الحرص على تنازع البقاء تنازعا يحرك من اعضاء الجمعية البشرية الاشل الجامد والابله الكاسد .

ولقد كان تنازع البقاء في اول نشاة الانسان ضعيفا لا يحس وخفيا لا تدركه الابصار ولا البصائر نظرا لقلة افراد بني الانسان على سطح هاته الكرة الرحبة الفسيحة الارجاء قلة لم تصل بهم الى التحاكك ببعضهم والتزاحم

مرت دهور لا يعلمها غير خالقها والعائلة مشتتة الاعضاء في انحاء المعمورة لا يشعر كل عضو منها بوجود اخيه إلّا في القليل النادر ولئن شعر بوجوده فهو لا يشعر بمزاحمة تفضي بهما الى المنازعة والمخاصمة والملاكمة والتداعي والانانية الى ان قضت سنة التوالد والتناسل الدائم بنمو اعضاء هاته الجمعية حسبما يقضي به حكم الرقي التدريجي الفطري شيئا فشيئا حتى اصبح وليد العمران يافعا وداست قدم ابن ءادم اطراف البسيطة سعيا وراء مقومات الحياة الضرورية وهناك ولد ايضا وليد تنازع البقاء وترعرع وتقلب في اوضاع متباينة واطوار مختلفة ونال العالم من جميع ادوار نشأته مايعلو به شيئا فشيئا الى معارج الرقي العمراني العال

وكما استفاد العالم من تنازع البقاء وليد الغبطة والامل تضرر به ايضا اضرارا جسيمة لما تدنس به من الغلو والحرص على ارضاء نهامة الانانية في بعض الاحايين

ولذلك كان من الضروري الطبيعي للبشر الاستعانة على تخفيف وطأة التنازع وتعديل سيره بنظام او قانون دينيا او وضعيا حتى لا ينطبق على الهيئة البشرية مصداق قول الشاعر ،

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم * ولا سراة اذا جهالهم سادوا

ولقد اختلف العلماء قديما وحديثا في اي النظامين اكفل بسعادة البشر وايهما سبق الاخر في الوجود اهو النظام الديني ام الوضعي ؟

واني وان كنت اعتقد ان النظام الديني هو ابو النظام الوضعي وكافله وولي نعمته فاني لا استطيع ان انكر ما لذوي المدارك العاليه والعقول الكبيرة من خدمة الانسانية والعمران والمدنية بنظاماتهم الوضعية سواء وافقت الصواب وتابعت الدين ام لا . لانها حتى اذا لم توافق عين الصواب ولم تعتمد على الدين الذي لا قوام لها بدونه فانها تفيدنا ولا ريب بضعفها في غالب الاطوار . وان الدين هو النظام الفذ الذي يصل بالانسان الى السراط المستقيم والجادة المعتدلة في فيافي جهاده الحيوي وسط ميدان تنازع فيه البقاء ويمكنه من العادة الابدية الدائمة

واذا تقرر عند العلماء ان العدل قديم ازلي لا مبدا لوجوده وثبت بالاستقراء ان القوانين الوضعية محدثة بعد وجوده وان تاثير الدين في النفوس وجداني فطري لا يعلم له اول افلا يكون من الانصاف ان تقول ان الدين هو اس النظام الوضعي وانه لا بقاء له بدونه واذا نحن تتبعنا مسالك العدل وما يقتضيه ورأينا ان الدن اتى بنفس الاسس التي اسس عليها النظام الوضعي وما هو اكمل منها افلا يكون من الانصاف ان تقول ان الاكمل هو الاصل وانه اوفى بما نطلبه من مطلق مفهوم النظام

خذ لك مسالة القضاء مثلا . وانظر ما عسى ان يرى فيه النظامان وما هو اثر كل واحد منهما في الجمعيات البشرية منذ احتمائها بسور النظام حتى الان

لا شك انك تلقى ان قوانين المصريين الاقدمين لم تنفع سائر الطوائف الانسانية بجزء قليل مما نفعهم به شرع التورات وان حقوقي الرومان لم يسعدوا الجمعية البشرية بما اسعدتهم به تعاليم الانجيل وان قوانين الاروبين في هاته العصور العلمية لم تخدم الانسانية والعدالة والحق بجزء من الف جزء مما خدمتها به الديانة الاسلامية والتعاليم القرءانية رغما عما اثبته اجلة العلماء من ان اغلب تلك القوانين مبنية على القانون المسمى كود نابليون الذي استنه نابليون الاول من الفقه الاسلامي . والقانون الروماني . ولا يغرنك ما ترى عليه حالة المسلمين في هذا الاوان من الانحطاط

في سائر انواع القضاء لان مبنى ذلك على الانحطاط الذي اودى بالمسلمين وسقاهم من الظلم كؤوسا لو حل سائلها بقلب نيرون او مر خيالها بخاطر (كليغولا) لحادا بهما عن مسالك اضطهاد العباد وكانا لهما مواعظا وعبرا هو الاعتماد على اقوال بعض العلماء في فهم الشريعة الاسلامية والاكتفاء بما قالوه من القوانين الوضعية القابلة بطبيعتها للنقصان حسبما تشهد السنة اصحابها به ويؤيده انحصار العصمة في الانبياء ومحاولة تطبيقها على سائر العباد في كل البلاد والاباد

حقا اننا اذا تأملنا فيما عليه القضاء الاسلامي مطلقا نجده مخالفا لمعنى القضاء الذي فسروه به واسمه تخالف اسمه وتاثيره يعاكس على خط مستقيم تاثيره

بل نستطيع ان نقول ان القضاء الاسلامي الان لو قوبلت نتائجه بنتائج الدين الحنيف في القرون الاولى يوم كان الاعرابي الجلف يقف امام النبيء (صلى الله عليه وسلم) أو احد اصحابه او خلفائه ويشكوه امره ويطلب حكم الله ويحاج النبيء او احد اصحابه او خلفاءه بحسب ما يؤديه اليه اجتهاده في الدفاع عن حق مغتصب او ظلم ناله ولا يلبث اكثر من زمن في شكايته حتى يصدر حكم الله مؤيدا بكتابه اوسنة نبيه او اجتهاد اصحابه فيقتنع الشاكي والمشتكي به ويخرجان من عند حكمهما وهما رغما عن كونهما من الاعراب اشد كفرا ونفاقا مؤمنان يرتلان قوله تعالى « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » ويسئل كل واحد منهم جميعا حاكما او محكوما له او محكوما عليه المغفرة لصاحبه لوجدنا بين الاول والثاني بعد ما بين قانون استنه جاهل بالبلاد واخلاقها وعوائدها وطبائعها وغرائزها واوساطها وتكونها وانتقالها وبين شرعة من يقول « لن يشاد احدكم الدين إلّا غلبه وان الله يبعث في هاته الامة على راس كل مائة سنة من يجدد لها دينها وتحدث للناس اقضية بقدر ما يحدث فيهم من الفجور »

وإلّا فما الموجب لخروج الاعراب من امام النبيء او خلفائه على تلك الحالة التي شرحناها وبين خروجنا من بين يدي القضاء مطلقا في هذه الايام وكل منا يلعن صاحبه ويود لو يجد فرصة يوقعه بها في الدمار سواء كان حاكما او محكوما له او عليه او عونا أو كاتبا او وكيلا . لا شك ان ذلك من اعوجاج قضائنا عن جادة قضاء

الدين ومخالفته له في جوهره واسسه وسيره ونتائجه باشد مما خالف به زماننا وسيرنا وتقصيرنا زمان النبيء واصحابه وسيرهم واعتنائهم بالقيام بالواجب المفروض عليهم ، ودونك حقيقة القضاء عند العلماء واسسه واركانه ثم احكم بعد ذلك اين القضاءان من بعضهما ، حقيقة القضاء في الزمان الذهبي : هو الحكم بين خصمين بحق معلوم من حقوق معلومة ولو بتحكيمهما ، وحقيقته الان هو ارضاخ احد الخصمين لخصوص قول مجهول الماخذ والدليل من جملة اقوال ،كذلك ايضا ومتضادة في الغالب بدون مرجح يرجحه غير الظن بجواز تطبيقه على الحادثة

واسس القضاء عند الاولين يمكن ان نلخصها بما ياتي

(۱) التقوى والنزاهة

(۲) العلم بشرف القضاء وناموس العدل ومركزهما وتاثيرهما في الهية الاجتماعية

(۳) العلم باصول القانون ومبانيه علما يجعل فهم القاضي ومراد القانون سواء او متقاربين

(٤) العلم بالحقوق العامة والخاصة التي لا بد منها لقوام الجمعية البشرية الانسانية

(٥) العلم بعيوب الامة النفسانية والدينية والادبية والمدنية والعادية

(٦) العلم بفلسفة الحوادث المدنية والجنح والجنايات

(۷) العلم بالمسئولية القضائية العامة

(۸) العلم بالمسئولية الشخصية

(۹) العلم بمركز المسئولية والشخص المسئول عن القضاء المخالف للقانون

(۱۰) علم الممنوعيات بانواعها

(۱۱) القدرة على تطبيق تلك العلوم تطبيقا يوافق روح العدالة ويقاربه بدون تاويل

(۱۲) الذكاء والفراسة

(۱۳) الاجتهاد

(١٤) الاكتفاء الشخصي

(١٥) الاستقلال القضاءي

(١٦) حمايته من كل ما يؤثر عليه

(١٧) تحديد وظيفة الوكلاء مطلقا وتقدير ما تفرضه لهم العدالة من الحقوق

(١٨) صيانة الترافع من استعمال الطرق الجدلية لتضليل القضاء

(١٩) توزيع العمل على حسب الاستعداد وتطبيق القانون على الحاجيات .

الى غير ذلك مما يطول بنا شرحه . ولكنك لو فحصت القضاء الاسلامي في اغلب المعمور لوجدته آلة يتوصل بها الجياع الى ابتزاز اموال الخصماء حتى صارت المحاكم الاسلامية اشد اقلاقا للامن من عصابات اللصوص وقطاع الطريق تلعب بها الاغراض ويضحى فيها الحق قربانا للهوى والاغراض والمؤثرات السياسية وتدنس القضاء وعبث بناموس العدالة وعم الجهل باصول القوانين ومبانيها والحقوق العامة فضلا عن الخاصة وعذبت الانسانيه باسم العدل ايما عذاب وكلفت عبء قوانين لا تلائم دينها ولا آدابها ولا عوائدها ولا بيانها بل هي مزيج من مذاهب واقوال لم تراع فيها حاجيات الامة ولا زمانها ولا مكانها ولا ما هي عليه من العلل والامراض في اي مكان وزمان

نعم اصبحت تلك المحاكم اقرب الى الفوضى منها الى النظام ظاهرها رحمة وباطنها عذاب فكم افقر التقاضي من غني واذل من عزيز وخرب من ديار حتى فر منه اهله ورغبوا في التحاكم امام المحاكم الاجنبية ورضوا بها حكما بدل الاسلام

والله يعلم ان الاسلام بريء من سياسة السلب والنهب والجدل والختل والمماطلة فالتنفير فالتفسيق فالتكفير ولكن المسئول عن ذلك هو القضاء الغير المسئول الجاهل بالمسئولية التي تناله امام الله والقرءان والعدالة او العاجز عن تطبيق ما من المعلومات التي هي في الغالب لا تسمن ولا تغني من جوع او الابله الغر او المقلد الاعمى او المتوكي على عصابة العوان والكتبة الذين لا احساس لهم ولا شعور ولا دين إلّا ما تعمر به اكياسهم من سحت الارتشاء من الامة الفاقدة الارادة والاستقلال المضطرة لتجيز امر ولي نعمتها المستبد الجابر مهما كلفها من مصادرة الحق وازهاق روح العدالة سيما ان الفى من شهادات الزور وتحامل الادارة السياسية وغير ذلك ما يعينه على عبادة الرئيس من دون الله الواحد القهار

عاش المصري مدة من الزمن وهو يتقلب على لظا الظلم كسائر اخوانه المسلمين ولما علم اي هوة سحيقة يريد القضاء ان يكفه فيها على وجهه نهض من كبوته واخذ يتلمس منفذا ينجيه من الهلاك وبعد اجهاد نفسه الاجهاد الاخير اتخذ قوانين اروبا اماما له واشتق منها قانونا راعى فيه حاجيات بلاده واسس المكاتب العالية لدراسته فتخرج منها فطاحل في علم الحقوق يشار اليهم بالبنان ونالت بهم مصر الكريمة نتفا مما فقدته من امن القضاء وصيانة الحق والعدالة

وبعد طويل التجربة وجدت ان ما نالته من النظام القضاءي لا يكفي لحاجياتها فاسست مدرسة الحقوق الشرعية الدينية لاصلاح هيئة القضاء الشخصي فاتى عملها هذا بنتائج وان تكن نافعة فانها ناقصة نقصانا يالم منه فؤاد المسلم الكامل

ولذلك اغتنمت مصر المؤتمر وجهرت بان سائر النظامات القضائية مختلة معتلة ـ سواء كانت اقضية جاءت بها المدنية العاهرة او تقليدية جامدة متعاصية عن سنة الارتقاء الفطري ومسائرة المصالح والزمان واكدت ان الرجوع الى نظامات الديانة الاسلامية الصرفة الموافقة لروح الاسلام الحق اضمن كفالة للقيام بواجب العدالة وان ما نشرناه من خطبة الاستاذ جاويش قليل مما قيل في هذا الباب

ومهما كان قضاء مصر ناقصا فانه لا يصل الى درجة انحطاط القضاء بهاته البلاد حيث لا قوانين ولا علم ولا وجدان ولا استقلال للقاضي ولا حرمة للقانون بوجه عام ولم يزل ما كان على ما كان . نعم قد اسست مجلة مدنية ومجالس افاقية ولكن من دون المجلة وما هي اعمال المجالس ونتائجها ؟! فيعلم الجواب عنها من اول نظرة او سؤال عما يقاسيه المتخاصمون من انواع البلاء المصبوبة عليهم من براكين القضاء وقد يعجب القاري من قولنا ان مؤسس المجلة الى ءاخره ولكن فلا يواخذنا على مجازفتنا بالتعبير بهاته العبارة التي ربما تشمئز منها نفس من هو واثق بها

فانا لم نصرح بهاته الحقيقة الوضاء إلّا ونحن موقنون جازمون بانا نجهل كما يتجاهل الواثق بها عن مؤسس المجلة ذلك المتشرع الحكيم .. ولا ندري من هو .. ولا ما هي جنسيته ولا معارفه ولا شهاداته في التشريع الاسلامي .. ولا من وهبه تلك الشهادات . ولا في اي بلد سكن او تعلم او قرا . ولا ما هي مباديه .. ولا

ما هو ضميره ولا ما هو اجتهاده .. ولا ما هي منزلته من الامة ولا وثوق الامة به حتى كلفته وانتخبته لهذا العمل الذي تشيب فيه رؤوس المبرزين وتفنى فيه نفوس المخاصين العادلين . ونزداد توغلا في ذلك المجهل كلما راينا ان دواوين قضائنا بو من المحرزين على شهادات التشريع من فطاحل المشرعين الاصوليين اروبيين كانوا او اسلاميين اللهم إلّا ما يمكن ان يظن ففي المدبرين لدولاب تلك الاعمال التي كم اثقلت كواهل المتداعيين بوفرة المصاريف الدولية وابادت اعمارهم في التراقم الذي قد لا ينتهي اجله إلّا بانتهاء عمر المتخاصمين او ياسهما من العدالة والانصاف

ولذلك نرى كل من وقع بين مخالب القضاء لو سئل عما لاقاه يقول ان المحاكم الشرعية بنظامها العتيق الحاضر نظام الشكوى وتقييد الدعوى وارضاء المماطل فيها والجواب عنها والتلوم عن ذلك واثبات الجواب او نفي الدعوى بحجة عادلة تثبت شهادة النقل والمكان والتامل في الحجج كمن يبحث على شعرة وقد اضلها منه جهله في قعر بحر مصطخب والتجريح في تلك الحجج واثباته او نفيه او قيام معارضة له او الفتاوي المتناقضة في المسلك الواجب اتخاذه في جميع تلك الاعمال او التمسك عند ضياع الحيل وقصر حبل المماطلة واستئناف النوازل من جديد بحيث يكون كل ما تعوطي في النازلة حقا وباطلا لغوا لا يعول عليه الخ هو الذي اضاع الارزاق وافنى الاعمار واورث الاحقاد واسال الدماء وحير الامن وحاد بالناس عن الجادة المثلى فاصبحوا سواء كانوا قضاة او معينين او متقاضين فوضى غير مسؤلين عما يصدر منهم من الظلم والعناء واضاعة الحقوق

هذا فضلا عن المؤثرات الادارية والعواطف الشخصية التي هي وحدها قد تكفي لان تعبث بالقلوب الضعيفة التربية الصالحة الراسخة والوجدانات الخاوية إلّا من مظاهر وظاهر الايمان . وكما ان النظام الشرعي العتيق المؤسس على التقليد الاعمى اثر في الامة ذلك التاثير السيء الذي ضجت من وطاته وهربت من تحت سمائه الى سماء القوانين الوضعية رغما عن اعتقادها نقصانها وفقدت به المحكمة الشرعية اغلب ما كان لها من النفوذ والتبعة فكذلك النظام الجديد نظام المجالس الابتدائية ومجلة الاحكام ويكفي دليلا على ذلك النظر الى المصاريف التي يتكبدها المتقاضون لديها

والزمان الذي تقدم فيه الشكوى للمجلس ونظر المجلس فيها وتوجيه بطاقات الاستدعاءات الغير المضمونة الوصول الى اربابها غالبا والنظر في الدعاوي والبحث عنها وتامل البحث واستعلام الادارة المركزية بواسطة العامل واعتماد هذا على الشيخ وابتناء معلومات هذا على ما يفضي به اليه ذو الاغراض ان لم يكن له اغراض او على معينه « محركه » الدكتور في الحقوق .. والاشهاد على ما يتحرر والتصديق على الاشهاد والنظر في البينات وتتبع الشهود والتامل فيما تحصل من تقرير العامل او السيد « البوليس » وعرض جميع ما تقرر بعد ذلك على المجلس والمرافعة وانتظار ما يطرا بعد ذلك من تاثير السلطة الادارية او ذوي المال والنفوذ والوجاهة والمماطلة في اصدار الحكم والمماطلة في تنفيذه بما وربما يضطر صاحب الحكم الى بذل اموال واوقات ووسائط تفوق ما تعاطاه قبل صدور الحكم وصعوبات الاستئناف للسلطة العليا وبعد زمن المراجعة بما قد تموت به النازلة وينطوي به ملفها « دوسيها » في قبور الاهمال او النسيان او الترجمة او التنكيل او تراكم الاشغال وما يرى صاحب الحكم بعد ذلك مما ذكرنا عند طلب التنفيذ الخ ما يجيب به كل من تجرع مرارات الاسى امام هذا النظام . فلناتمر لان نطالب بتاسيس قانون عام يوافق روح الاسلام دين المدنية والرقي ويوفي بحاجياتنا في هاته البلاد

ان مدون المجلة استاذ يجهل حاجيات البلاد ودينها واخلاقها وعوائدها وءادابها وطبيعة سكانها وهو مهما بلغ من العلم فانه لا يستطيع ان ينفعنا بما ننفع به انفسنا ولئن استطاع ذلك فقد تحول السياسة بينه وبين المراد

فلناتمر لان يكون تدوين القوانين بيد الامة توكله لمن تنتخبه من علماء ابنائها المخلصين ومن يغيظهم ان تظلم او ان تحقر او ان تهان

ان القوانين الطبيعية تقضي باستحالة ان يكون الشيء الواحد اثر لموثرين والحيز الواحد لجسمين من دون افساد للجواهر المكونة له او للذات التي تحله

فلناتمر لان نبين للامة والانسانية انه من المستحيل ان يكون الحق سليما والعدل قائما بين الادارة والقضاء ما دامتا متصلتين بعضها اتصالا ما ولا بد لصيانة الحق والعدالة من استقلال القضاء عن الادارة تمام الاستقلال

لناتمر لنبين للناس ان الجاهل او العالم البسيط او المقلد او الالة العمياء بيد الغير او الاغبياء او من لا وجدان ولا حرية لهم لا يستطيعون ان ينفعوا الامة بشيء من الانصاف

لناتمر لان نطالب باصلاح القضاء الشرعي حسبما ينطبق على روح الحياة العصرية ويوافق روح الشريعة الاسلامية التي ضمنت سعادة البشر في كل زمان وباي مكان

لناتمر ونطالب بوضع نظام اساسي لذلك القضاء الدنف الذي ما تركته السياسة يئن حتى الان إلّا لتوسع خرقه وتنهر فتقه وتعبث به يوما ما كما عبثت بغيره بدون ان تهب انتقاد الامة شيئا من الحسبان

لناتمر لنفهم العلماء ان لات حين خلاعة ولا ترف لان الوقت قد ضاق عن قيامهم بذلك الواجب المفروض عليهم واجب صيانة الشريعة الاسلامية من عبث الاجنبيين عنها بها ارضاء لرغيف بعده عار وذل وصغار ونقمة خالق قوي عزيز جبار

لناتمر لنفهم اولئك الغلاة في غلق باب الاجتهاد ان الوقت قد حان لالغاء قيد التقليد الاعمى ظهريا وان لهم ان يفتحوا ما اغلقوا بايديهم ويجتهدوا في حفظ ما بقي من سلطة الاسلام الشرعية بايديهم خير من ان يلجؤا الى فتحه الجاء يوم لا يسعهم إلّا فتحه مفرطين ومكرهين

لناتمر لنطالب مراحم الانسانية بدستور تشريعي يخولنا سن القوانين المدنية والجناحية والجنائية حسبما يلائم ءادابنا واخلاقنا وعوائدنا واولا وبالذات ديانتنا التي اخذنا ضمان حفظها ورعايتها وعدم مساسها شرف امة كاملة قد يوجد بين احرارها من يعز عليه الشرف والفخار

لناتمر لنطالب سلطان العلم ان يهبنا قسطا من اموالنا التي يبتزها من عرق جباهنا كل حين وان لنؤسس مدرسة حقوقية تستخرج منها قضاة لهم الملم تام بشرف ومنزلة ومنافع القاضي والقضاء

لناتمر لتكون لغتنا العربية الفصحى هي لغة التقاضي الضرورية والشرط الاول فيمن يصح ان تنسب اليه ادارة القضاء كالمدير والوزير

لناتمر لنحتج على التاريخ في محاولة محو لغتنا بمحو اعتبارها من كل دائرة

وطنية سيما دائرة القضاء حتى لا تكون التقارير والحجج والمرافعات إلّا بها لان اغلب المتحاكمين اعراب يتشرفون بانتسابهم للعربية لسان الحكمة والبيان ويشكون ما يعانوه من المماطلة المتسببة غالبا من توقف تنجيز الاحكام لاسباب عديدة ومن اهمها ترجمة شكاوي الخصماء

لناتمر لنعلن للملا ان قلم الترجمة قد لا يقوم بواجبه في نقل بيانات المتداعين كما هي وطالما حرفت الكلم عن مواضعها او اختصرت اختصارا مخلا لغرض من الاغراض حتى اضطر اغلب المتداعين للتحوط وترجمة دعاويهم عند مترجمين احرار اتقاء لصدمات التاثير الاداري او غيره من الاغراض لان هاته الحالة ان دامت ذهبت بلغتنا وءادابنا ولا شك ان التاريخ يخجل ان يذهب وبين دفاته مثل هاته الفضيحة المنكرة عند الغيوريين واولي الالباب

لناتمر لنصرح لسلطان الانصاف ان كان ولابد من اسناد رئاسة القضاء العلياء الى اجنبي كالمدير مثلا فلتسند الى من يحسن لغتنا حتى لا نكلف مصاريف قلم الترجمة راحة رجل وقتل بلاد وعباد

لناتمر ليكون القاضي حرا مستقلا لا سيطرة على وجدانه لغير القانون العادل والحق والانصاف

لناتمر لفصل القضاء عن السياسة والادارة حتى يامن الناس شر وشايات المغرضين وسلط المستبدين

لناتمر ليكون القاضي ءامنا على كرسي القضاء الذي ينبغي ان يكون ينبوع الامن على الاموال والانفس والثمرات

لناتمر ليكون سلطان القضاء فوق كل سلطة وسيفا باترا امام جميع المؤثرات

لناتمر لنذود عن حياض القضاء من سلطة (البوليس) الضال والشاهد المزور والعون المحتال والعامل الجبار والشيخ الزعنيف الطايش والمحامي الوجيه والسري المبطل والمرتشي الخائن

لناتمر لتهدئة روع الانسانية المعذبة من هذا القضاء الذي قضى عليها بان تكون البقة العناء وعلى الله قصد السبيل

لناتمر لتحقيق الامال

عدد ٤٨ في ٢٣ شعبان الاكرم سنة ١٣٢٩

« وليست حياة المرء إلا امانيا * اذا هي ضاعت فالحياة على الاثر

منفلوطي

الامال جمع امل وهو ما يرجوه الانسان ويتمنى الحصول عليه عفوا او بعد عناء وتعب على حسب الاميال والاهواء وما يقارنها من الحمق والتعقل والكسل والعمل

واقد تباينت آراء العلماء في تنزيل الامل المنزلة اللائقة به من حيث شدة تاثيره في الاعمال والاجتهاد فيها ونتائجها حتى وصل بهم البحث جميعا الى انه الباعث الاول لناموس مبدا حفظ النوع وتنازع البقاء وراس مال كل حي يعز عليه مساس جوهر هذه الحياة وهو ما يعبر عنه الان بالنظر للاستقبال

وكما علم العلماء منزلة الامل فقدروه قدره كذلك كان شان الديانات السماوية في اعلاء منزلته وعبرت عنه بالحياة الاخرة او نعم عقبى الدار

ولولا الامل في الفوز بالنجاة في تلك الحياة المرغب فيها لتسرب البطر والكفر او اليأس والقنوط الى اغلب اعضاء الجمعية البشرية واوصلتها تلك الخلال الذميمة الى مهاوي الدمار . ولقد كان الدين الاسلامي اعظم من اتى بتاييد نفوذ الامال على القلوب بضروب الترغيب والترهيب والحكمة والبيان وضرب المثل وتحسين الظن بالله وتقديم البشارة على الانذار وفتح ابواب التوبة لمن اناب والتحريض على الدعاء وتقريب الاجابة ونفي الاحتياج الى اي واسطة من الوسايط لضمان المستقبل الذي هو بيد الله وهو ارحم الراحمين . ولذلك كان المسلم المتمسك بدينه لا يهن ولا يحزن لاعتقاده انه يؤمن برب قوي قادر وعده بنصره وجعله اعلى الانام

وكان اعتقاده انه هو الشريف السري وان تصعلك وانه هو الغالب اذا اطاع امر ربه وان كان هو المغلوب وانه لا ينبغي له ان يبدي الضعف والخور لقرح اصابه

او دولة ادالها الله عليه بعد ان مس اقواما من قبله قروح اقوى من قرحه ابتلاء واختبارا ثم كانت عاقبتهم احسن عاقبة ونالوا بما صبروا له اعظم منال يتوج جهاد العاملين . نعم كان المؤمن يعمل لدنياه كانه يعيش ابدا ويعمل لاخراه كانه يموت غدا ويحسن ظنه بربه والله عند ظن العبد به ويعتقد ان الامل قائده والعمل جنده المدافع عنه فامل وعمل وساد وحكم وعدل . ولكن خلف السلف خلف افترق الى صنفين صنف بغض العمل وخرم الامل فسقط وفشل وصنف اخلد الى التوكل العاطل والامل الباطل فاندحر الى الوراء يجر ذيول الخيبة والكسل وساء مصير المسلمين بسبب الافراط والتفريط ووصل بهم الدهر الى ما يالم منه الجميع .

علم المصري تاثير الامل الصادق اذا وازره السعي والعمل والصبر والتجلد كما علم تاثير اليأس والقنوط والامال المجردة عن الاعمال فاستفاق من غشيته ونهض من كبوته ورغب في الاستقلال عن جمود تركيا كما رغبنا واملنا ان ينفصل عنها لتاسيس دولة ذات شوكة يسعى بها لتحقيق ءاماله كما املنا ولكن من سوء الحظ ان تغلب على الجميع غول المدنية الكاسر وافترسه قبل ان ينال من الاستقلال مناه . لم تكن عزيمة المصري لتفتر ولا ءاماله لتقصر يوم عبثت امراء مصر ووزراؤها بذلك الاستقلال الذي اتخذوه ءالة لتنفيذ اغراضهم من اللهو واللعب والاسراف والترف بعد ان مسخوه الى ما يبلغهم شهواتهم واغراضهم كما فترت عزائمنا وقصرت ءامالنا بل قام في وجه المواثبين للوطن ودافع عنه الى ءاخر نقطة من المستطاع غلب المصري على امره ولكنه حتى الان لم يطاطا راسه امام الدهر المحارب له ولا زال الامل بحصول الاستقلال والحرية يستفزه فينهض للعمل على الحصول عليه غير هياب ولا كلل . يلاقي السجن بثغر مبتسم والغربة والنفي بصدر منشرح مستانس والتشديد بوجه باش شان احرار النفوس كبارهم وشم الانوف الذين لا يبالون ان يتعبوا الاجساد في الحصول على الامال الكبيرة ولله در القايل

وإذا كانت النفوس كبارا * تعبت في مرادها الاجسام

وان ما مات به مصطفى كامل باشا من الوله بوطنيته وما سجن به الاستاذ جاويش والرئيس الوطني محمد بك فريد الذي لم يبارح السجن الذي تلقاه بوجه باسم إلّا في هاته الايام لاعظم دليل على ءامال المصري الا وهي الحرية والاستقلال

علم المصري ان المؤتمر القبطي باسيوط لم يكن إلّا لتفريق كلمة الشعب المصري على نفسه ليمكن عدوه ان ينال منه ما قد نالته بعض الدول من غيره او ناله هو بايقاظ فتنة عرابي باشا فصاح بابناء وطنه ان هلموا لنعبث بسياسة التفريق ونذلل عقبة الشقاق التي اثارها الاحتلال في وجوهنا ليحول بها بيننا وبين آمالنا . فاجابوا نداءه من كل فج عميق وقرروا باجماع الاصوات ان لات حين استبداد واستعباد ولابد من المطالبة بالجلاء والحرية والدستور والاستقلال . تلك آمال المصري وتلك اعماله واما التونسي فقد انامه الاحتلال بلطفه واسترق لبه بظرفه فاستلذ به كل طعم ... واستمر به كل مذاق ... وحيث كان كذلك فمن العبث ان ندعوه لان يأتمر لما ائتمر به المصري وانما ندعوه لتحقيق هاته الآمال وهي :

اولا ـ نريد ولابد من تنفيذ ارادتنا العادلة ان يكون لبلادنا دستورا شوريا انتخابيا نسبيا اكثر انطباقا على العدالة والانصاف مما نحن عليه الان

نريد الدستور العادل ولا نريده إلّا لرد حقوق الانسان الطبيعية المقدسة التي لا حياة له بدونها . نريد الشورى ولا نريدها إلّا لنسترجع حقوق الجمهور التي فتكت بها مخالب الجهالة والاغراض . ـ نريد الانتخاب ولانريده إلّا لنرفع الانسان الى مؤاخاة اخيه الانسان ايخاء يتمحض فيه شخص سياسة التشريك الحقيقية العادلة ضنا على سلطانها ان يبيده عواهل من خصومنا يبعثهم الشره والاستئثار الى قلب حقيقة الشرف والفخار الانساني الى الاشراف علينا من شرفات القطب الجهنمي والى سد كل سبيل في وجهنا . والى التضييق علينا حتى في طرق التنفس وقد كاد ان يتم لهم الامر وهم حتى الان يسعون بكل الوسائل لاتمامه . ـ اذ لاتزال امامنا حرب ضروس يشعلون نارها ويرسلونها الى هاماتنا لتلتهمها كالهشيم

والخصم الاكبر هو حزب الاستعمار الذيّ لا يرضى ابدا ان نجري على السير حذوه او نقف كما يعتقد امامه بل لا يرضى ان نرفع صوتنا بشكاية وبوده لو يحول بيننا وبين الانين حتى لا تنتقد له عملا . وانا ممن يذكرون رفضه لاعلان هذا الدستور وارغام الناس على محاربته بالقلم وباللسان وباليد والمال لمحوه . فلا كانوا ولا كانت ساعة ابرقت فيها انصار العسف والخسف والاستبداد والاستئثار

فليحي الدستور الانتخابي النسبي لانه ينفخ في البلاد روح الحياة :

ثانيا ـ الدستور حياتنا والعلم قوة تلك الحياة . ـ واحياء العلوم والمعارف التي حط عليها حزب الاسترقاق بكلكله وداستها عشواء الاغراض بمنسمها . وهو حياة شعبنا الاسيف لانه ينور قلبه ويوجد فيه حب الحرية ومتى نال الشعب الحرية هابته حكامه وجروا فيه حسبما تشير به عليهم تلك الشمس المشرقة التي ما سطع شعاعها في خلال ديار بائسة إلّا وحولت صواعق ظلمها وشقائها الى حرارة لطيفة تكون من اعظم مقومات الحياة . نريد احياء العلم وغرس بذوره في نفوسنا نفوس العلا ومهد الحكمة ومبعث الشهامة الانسانية والرحمة الملكوتية . ولن نجد منفذا ننفذ منه الى احياء تلك الروح العربية الكريمة إلّا اذا اخذنا بيد ابائنا وباسماعهم وبابصارهم نحو خدر عروس الحقائق العلمية وتوجيه وجوههم شطر جمالها الرابع الفتان علها ان تثير في نفوسهم ما كمن من الوجد نحو مراقي السعادة والمجد . نريد ان نخاطر في حومة وغى المزدحم العصري بنفوسنا ونغترف حقيقة المعارف ونبتر اغلالها ونفك عنها ما كبلتها به ايدي المغرضين من السلاسل الاستبدادية والغلائل او الاغلال الاستئثارية ونبرزها للعالمين عروسا استغنت بكمال حريتها الطبيعية عن جمال الحجب والاطواق الجنسية والاساور العصبية الجاهلية

انا نعلم العلم ابو الحرية يستحيل عليه ان يحجزه انسان لولاه لم يكن شيئا مذكورا . انا نعلم ان العلم هو السلطان ولا سلطان لاحد عليه هو الملك الرحيم الذي لا يلذ له إلّا بل صدى الظمئانين بسلسبيل عذبه الزلالي فلذلك نسعى اليه رغم انف كل عذول . نسعى للعلم ولا يضرنا ان نلقى في سبيله العناء الى ان نلفت انظار انصاره نحونا ومتى تم لنا ذلك فليبارك لنا العالم بالحصول على هاته الحرية الجديدة في خدر عزها وبيت مجدها . ـ وعند ذلك فلتمت الجهالة وليحي العلم ولتطرد انصار الجهالة من ساحة الانس والانسانية ويسعد انصار العلم بالعلم

ثالثا ـ السعي للعلم امر جميل . ولكن هذه الواسطة وحدها غير كافية ولا تضمن لنا النجاح ـ نحتاج مع احياء العلم الى احياء الامن ـ ولا نعني باحياء الامن الاحتفاظ بالنفوس لترهق من صنوف الذلة والمقت والحياة الدنيا شرابا مريرا بحالة

لا تحس معها بمرارته اذواقنا واحساستنا المخدرة بمخدرات الاماني الباطلة والتسويف والمطال واللطف المموه الذي يضمر لنا بين جناحيه كل شراسة ودناءة . ـ لا نعني باحياء الامن سوق نفوسنا بصواعق الرهبة وزعازع الحرس والزواجر لننـذل امام كل باطل وتخنع تلقاء كل صادر

نعني بالامن الامن على الامال . نقصد بالامن الامن على الاستقبال . نشير به الى سكون النفس واطمئنانها لكل ما تتحقق فيه العدالة والانصاف . نريد بالامن امنا يقلل من القضاء المحكم فينا حكما تركنا نتوجس الخيفة من ابناء ديننا ووطننا واجوارنا وعشائرنا واسرتنا واقربائنا واباءنا وامهاتنا وازواجنا وعشيراتنا وابنائنا وبناتنا واسماعنا وابصارنا وعقولنا وخيالتنا بما اصار حياتنا اسفل ذكر من حياة المجانين . ان الراقبة المخنسة والقوانين المنهوسة اعظم خطرا علينا من قطاع الطريق ولصوص المستبدين العتـاة . ـ واذا كانت حياتنا وشرفنا بيد من لا يعلمون للحياة ولا للشرف قيمة إلا تمزيقها للتقرب بها زلفى لمن يهمه ذلك وينال من لدنه الحظوة والمـال والوجاهة واذا كنا نساق بالقانون ونظلم بالنظام فمن اين لنا ان نحصل على الدستور والعلم وترتاح النفوس والافكار واخذ الناس يفكرون في الحضارة والمدنية والحرية

فليعننا العلم على الدستور الشرعي الفطري ولنفض سوابغ الامن الحقيقي النفساني والسلام الخالص على قبور الصدور ليطمئن روع البلاد

رابعا . ـ الدستور والعلم والامن لا يفيان بالمرغوب اذا لم يكن للامة رقابة عليها . وان وقاية الامة الساهرة على حفظ كيانها المجاهدة في اعلان شانها هي الصحافة الحرة المخلصة الرشيدة ـ ان الضربة العظمى على رؤوس الظـالمين والطامة الكبرى لكبار المجرمين والوبال الاعظم على ارواح استبداد المستبدين هي الصحـافة الصادقة الامينة التي طبعت على ضمائرهـا القيود واخرصت السنتهـا البنود ولوث وجدانها النفاق ودنس اعمالهـا الرياء ـ اقلام الامة حراب تمزق كل ستـار يعمـل وراءه المبطلون وكتـاب الامة عيون لا تاخذهـا سنة ولا نوم ورجالها نفوس مملوءة بحب الرحمة والانسانية . فلنفتحن على تلك الضمائر بفاتحة الحرية ولتنطقن السنتها بمشيئة العدل ولنطهرن وجدانها بزلال الاخـلاص ولنسفعنا باسمـال الرياء ولنفشن صدى

الاقلام بسلسبيل الامن ولنرفعن الكتاب الى منصات الاعظام والاجلال ولندرأن الغشاوة عن عيون الرجال باعطاء الحرية الطبيعية للصحافة المخلصة التي هي لسان صوت الجمهور الذي لا يجرا على تبكيته إلّا الغرور

ان الصحافة منيرة كشافة فلتحي ولتعش الصحافة

خامسا ـ بثوا العلم . احيوا المعارف . امنحوا الدستور . ـ احفظوا الامن . حرروا الصحافة . اطلقوا السنة المصلحين المفكرين . احترموا الاقلام . ـ كل ذلك حسن . ولكن الاستبداد في هيئة كهيئتنا بلغت عروقه الى ابعد قلب الارض ومرضه تفشى حتى لا يكاد يخلو منه الزارع في مزرعته والحكيم في بيت حكمته فضلا عن ذي الامر على منصته فهو كالتنين له رؤس كثيرة كلما قطعتم لها راسا بقيت حية بغيره . فلا فائدة ان ترفعوا نيره عن الصحافة وتبقوا عباءه يثقل كواهل الجمعيات . اذا فلتحرر الجمعيات ولتؤيد كل جمعية باخلاص . ولتنصر كل هيئة يولفها الاحرار . وهكذا تتوفق لاعلان كل صوت خافت واذاعة كل حركة اجتماعية تتوقف عليها حقيقة منفعة العباد قبل البلاد

وفي الاجتماع الخاص والجمعيات الحرة حياتنا وسلامتنا من الاخطار المحدقة بنا فليحي الاجتماع ولتؤسس الجمعيات !

سادسا ـ طلبنا احياء العلم والمعارف وإسدال ستر الامن واطلاق افواه الصحافيين وتحرير حرية الاجتماع وكل ذلك خير جزيل . ولكن لا يفوتنا ان ما عولنا عليه لا يمكن ان يوجد بمجرد رغبتنا وعزمنا عليه فهنالك الحكم الاداري يحول بيننا وبين رغايبنا ويمنعنا من وضع حد لا يتجاوزه ارباب السيف والحبوس والاغلال حيث تريد بدون محاولة ولا دفاع . ـ فلتنسخ احكام الادارة ولتفصل كل سلطة على حدتها ولتوجدن لنا طريقا يحفظ به الدستور من تاثير الاستبداد بما يفترله ثغره

ان الاستبداد القانوني خطر على الدستور خطر على العلم خطر على الامن خطر على الصحافيين خطر على الاجتماع والجمعيات خطر حتى على القانون نفسه . فلتصلحن المحاكم من خير طريق ولنسعين لان تكون بيد الصالح العام ونجعله محورها ونجعلها آلة في يد المستقلين اولي الضمائر الطاهرة والسرائر الناصعة يحركها الحق فتتحرك كعقربي

الدقاقة طبق ارادة الدفاع ثم لنستوثق منها باثقال كاهلها بسؤال كل عضو منها عن عمله رئيسا كان او مرءوسا ونجازه جزاء وفاقا حتى لا تحكم إلّا بما يريد العدل وان خالف ارادتها ولا تقضي إلّا بما يرضاه الانصاف وان خالف اغراضها لكي لا تقتل الحرية قتلا قانونيا . فلتحي الحرية والعدالة سائدتين على القانون . وليكن الحاكم اسير الحرية والعدالة .

سابعا – سؤال القانون امام الحرية والدستور لايكفي وتتبع حركات المستبدين بتدقيق البحث والتنقيب بطي لا يفي بالمراد فلنعمد للارهاب بعزم والى التهديد العام بحزم لمجرد اول بارقة تبرق او شرارة تطيرها لظى الاستبداد وليكن صوت الضعيف اعلى من القوي حتى يؤخذ الحق له . وصوت القوي اضعف من صوت الضعيف حتى يؤخذ الحق منه . ولنتبع القول بالعمل . فليحي الحزم لانه افيد من التدقيق البطي . واقمع وزبر لحكومة الجمهور .

ثامنا – الجاسوسية اكبر داء ينخر عظام هذه الاصلاحات . بها تقوى شوكة الاستبداد وتكثر انصاره وبها قد يخذل الباطل الحق ويحمله اوزاره وبها يتزلف ارقاء الاستبداد اليه ليرتعوا في مناصب الصدارة لا عن جدارة وبها يفرق بين الاب وابنه والام وابنتها والعائلة والقبيل والجنسية والانسانية . بها يامن المستبد على استبداده وبها لا يخشى الظالم وخامة عقبى ظلمه وبها تشتد وطأة ذوي الاحساب والانساب على اصحاب العقول الكبيرة والالباب . فلتمت الجاسوسية حتى ندرك ما يخوله لنا الاستحقاق ونامن شر المداهنة والرياء والنفاق . هاته مطالب الامة للجمهورية فهل سمعت ؟ وهاته رغائب الانسانية منها فهل وعت ؟ وان هي إلّا قطرة من يم وذرة من سديم وعسى ان يكون عند محكمة التاريخ والانسانية ما يليق بها من القبول والاستحسان المبين ولتعلمن نباءه بعد حين .

الحروب الطرابلسية

والعالم الاسلامي

عدد ٤٩ في ٢٨ شوال المبارك سنة ١٣٢٩

لقد برح الخفاء وظهر الصبح لذي عينين وتجلت مقاصد اوروبا العدوانية باتم الظهور فلم يبق للعثمانيين بعد اليوم عذر اذا احسنوا الظن بها في موقف مستقبل او استنجدوا بها لكشف مظلمة او سالوها رعاية عهود. فانها قد ملت المراوغة وانتحال الاسباب لاقتطاع املاك الدولة العلية واحرجها تحرزها من اسباب التداخل التي الفوها فطال عليهم امد تقسيمها الذي هو مقصدهم الوحيد. فارادت ايطاليا ان تسن لاروبا قاعدة جديدة تسعى بمقتضاها لمقصدها اذا سدت عليها ابواب الاحتلال. ومن العجب انها مع بساطتها لم تهتد اليها الا ايطاليا فهي مختصرة في جملة وجيزة لا تكلف عناء وهي (قم لاجلس)

بتلك القاعدة مدت ايطاليا يد الاثم لولاية طرابلس الغرب وسلت سيف البغي والعدوان على رؤس العثمانيين . ويكفي ان تسير اوروبا على مقتضى هذه القاعدة شوطا ليس بالطويل فتصل الى ما تقصده من محو اية راية الهلال. ولكن شلت ايمان اولئك الطامعين فسيقفون دون ما يبغون وقفة من احاط به اللهيب

ولقد ابان وقوفهم تجاه هذه المسالة موقف الرضى والتسليم بجانب ايطاليا خاذلين للدولة العثمانية وان لهم ارادة راسخة في اتمام ما شرعت بانجازه تلك الدولة الباغية وعسى ان يكون ذاك درسا كافيا للعثمانيين حتى يتحققوا ما تحققه سائر المسلمين من اوروبا التي لا تعرف ذمة ولا ترعى عهودا ولا تنتصر لمظلوم. فقد اغترت الدولة العثمانية كثيرا بما تزوقه اوروبا من جميل القول وما تنتحله لنفسها من حب السلم والعدالة وكراهة سفك الدماء والتجري على المستضعفين .

وتلك اقضية عرف الكثير كذبها وان تاخر عن معرفتها العثمانيون على انهم اولى الناس بالسبق لادراكها لان مواقف الغدر بهم قد اعيت العادين ·

فان اروبا التي تسعى سعيا اجاعيا لاضمحلال المملكة العثمانية مدفوعة بعامل الجشع الذي لا يشبع صاحبه مع عامل العداوة المتاصلة التي يحملها على الاخذ بالثار ممن اخافها قرونا طويلة وانزل كثيرا من ملوكها الى صف الرعية لا يوقفها عن غيها سوى قوة تدك من هولها الجبال فتقصر ايدي الطامعين · فهم قد تقرر لديهم إطاعة للشعور الديني ان البلاد التي تقاص منها نور الهلال لا يمكن بوجه ان يعود اليها كما ان طبيعة الممالك العثمانية قد صورها لهم الطمع والشجع انهارا تتدفق بالنظائر وذلك اوقفهم عن انجاز مشروعهم حتى يتفقوا على الاقسام · وعندهم ان ما بقي بيد تركيا لم يكن شانه الا كوديعة استؤمنت عليها ريثما تتم الخطة التي سيرسمونها لذلك ولا بد يوما ان ترد الودائع · وعلى هذه القاعدة فاتحت ايطاليا الدولة العلية بشان طرابلس الغرب بعد ان الحقت النمسا البوسنة والهرسك وبعد تسوية الخلاف الفرنساوي الالماني غير ان سلوك ايطاليا كان مجردا عن شبه الحق كما كان مجردا عن كل صفات الانسانية وخاليا من الاعذار المختلفة خلوه من الاداب · فكان بلاغا للدولة العثمانية يسومها خطة خسف وينذرها بالبلاء العاجل كما كان ماسا لكافة المسلمين وحبة اسكنتها السياسة الخرقاء في سويداء قلوبهم اذ كشف الستار عما يضمره المستقبل لهم من الشرور · فغير عجيب اذاعم الاسف طبقاتهم وكانوا على لواء الخلافة الاسلامية مشفقين

راى المسلمون كثيرا من ممالكهم قد سقطت بيد الاجانب فكانوا يالمون لكل سقوط ولكن يهون عليهم تلك الالام ما ارتكبه ذلك الساقط من الفوات ويعلمون مع ذلك انه لولا التحرش باولئك الضعفاء والحملة الدينية لما اتى على تلك الممالك ما اتى · فانهم يرون كثيرا من الشعوب غير الاسلامية قد تركتها اروبا وشانها بل ومن اروبا نفسها فلا يبعد في المدنية الاسبان عن الريفيين ولا الصقليون عن الطرابلسيين ولكن تلك الاعذار التي تخلقها السياسة تغر السواد ولا تجعلهم على دخائل المقاصد مطلعين

كما ان التعدي تخف وطاته اذا خطى الراس فاذا اصيبوا في راس جسمهم فلا عجب ان نرى منهم حماسا وهياجا ما كانوا منبع شره وانما اوقده من قدح زناد الشر وتجلل بالعدوان . المسلمون في كافة اقطار الارض يعلمون ان سلطان العثمانيين خليفتهم الروحي الذي تقام باسمه الاعياد والجمع ويعلمون انه يتقلد مهمة حفظ الحرمين الشريفين الذين يود المسلمون ان يدافعوا عنهما عوض الرصاص بحبات القلوب والعيون . فهم مع حفظ علائقهم السياسية مع الامم التي تحكمهم يرون ان التعدي الذي ارتكبته ايطاليا مع دولة الخلافة هو موجه الى كافة المسلمين وان سكوت اروبا تلقاء هذا الظلم الذي لو ارتكبت تركيا جزء منه نحو امة مسيحية لراينا الاساطيل قد ملات البحار واصمنا صراخ الجرائد التي تادي بالحقوق والمدنية والانسانية وحماية المسيحيين لما يحصيه عليها رعاياها المسلمون سيئة يشهد بها التاريخ لدى المستقبل من الاجيال .....

ومن التعصب ضد المسلمين ان يعد استياءهم من صنع ايطاليا تعصبا دينيا يلامون عليه فان اعمال ايطاليا اوجبت استنكار كافة المنصفين (وقليل ما هم) حتى من رعاياها الذين تبرءوا منها وساءهم ما اتته من التوحش الذي لا يحتمله انسان

ومما يشهد بالمقاصد السيئة تسمية منشور تركيا الى الدول استغاثة واستنجاد ليظهروها امام العالم بمظهر المستضعف الذي لا يدرء عن نفسه كيدا في حال كونها لم تقصد إلّا الاعذار لظالمه وعسى ان تجلب بالحسنى ما لا يكون إلّا بسفك الدماء وقد صنع غيرها من الدول قريبا مثل ما صنعت فلم يسم صنيعه استنجادا إلّا من خصمها . وعلى فرض صحته استغاثة فهل كان رفض الدول له لان تركيا ظالمة لعدم تسليمها طرابلس عن طوع واختيار ام عجزت عن خطاب ايطاليا رهبة ام ان تركيا اخطت في الاستنجاد بالمسيحيين على المسيحيين

ان تركيا لم تطلب من اروبا مددا ولا تطلبه وانما تفعل ذلك لقطع حجة الخصم وانها لتعبث في ذلك اذا الخصم يطلب حياتها وحجته اعتداده بقوته . فلتسحق تركيا تلك القوة التي اشهرت في وجهها وتكون بيدها الحجة البالغة ويكون لها الفلح المبين . وانه لسهل عليها الوصول الى مبتغاها اذا اظهرت في سياستها حزما وصرامة

وصبرت جنودها بطرابلس قليلا وولاها الوطنيون ودبرت في انجادها كما انجدتها لحد اليوم وذلك الذي ترضى به كافة الشعوب الاسلامية وتندحر به ايطاليا الى ارضها الجهنمية حاملة عارا وذلا مبينا . على انه بقطع النظر عما بطرابلس من القوات وعن عدم تكافؤها فاستبسال الغزاة العثمانيين الى الموت يضيف الى المجد الذي احرزوه في بليفنا قرنا ويكونون وان لم يبلغوا لما قصدوا (لا قدر الله) فقد باؤا بالعذر والشرف كما هي عادة العثمانيين . فما حفظ لهم التاريخ تسليما إلَّا اذا لم تبق فيهم ادنى باقية للدفاع . وعظيم ان يكون الدستور فاتحة لعصر ذل جديد

الحرب الطرابلسية

وشعراء الشرق

(الشعر الحماسي)

يا امتي

فيم الجمود وجرعاء الديار دم * الحرب ! الموت ! اين السيف والعلم
يا مال عثمان من ترك ومن عرب * هبوا فقد صرخت تحت الثرى الرمم
الله اكبر اني قد سمعت لها * صوتا تزلزل منه البيت والحرم
يا للخلافة قد ضاعت محارمها * يا للمروءة والمظلوم متهم
اين الصواعق ينشق الفضاء لها * حتى تغص لها القيعان والاكم
اين الفيالق تنقضي الحتوف بها * حتى تضج لها الاحقاب والامم
اجدادكم يا رجال الشرق ترقبكم * لا الغيب يحجبكم عنهم ولا العدم
تالله ما عودوكم ان يلين لكم * عزم ولا هكذا الاسلام والهمم
لا تسكنوا وبنو الطليان تطلبكم * هل بينكم صلة ام بينكم رحم ؟

صونوا (طرابلس الغرب) انصروا بلدا ❊ حامت على اهله العقبان والرخم
فالارض راجفة والشمس كاسفة ❊ والبر مضطرب والبحر مضطرم
لهفي على الشرق قد زالت مهابته ❊ لهفي على المجد كيف المجد ينهدم ؟
يا ايها العرب الاحرار هل وهنت ❊ تلك العزائم والاخلاق والشيم
متى يسد فضاء الارض عسكركم ❊ متى يهز اللواء المفرد العلم
فالجو اكدر والاوطان صائحة ❊ اين الاحبة والاخوان اين هم ؟
لم يبق اهل ولا دار ولا وطن ❊ إلا الوحوش على الاشلاء تزدحم
هل تحجمون وحبل الدين منصرم ❊ ام تجزعون وفيكم ذلك الشمم ؟
اخوانكم يا بني الانسان تسالكم ❊ عطفا وان تبخلوا فالله منتقم
لا تجعلوا القول عونا في الخطوب لكم ❊ اين الفعال وما ذا تنفع الكلم
يا صاحب السيف والاجال راصدة ❊ اسرع الى الحرب لا زلت بك القدم
يا صاحب المال والاموال بائدة ❊ بادر الى البذل لا ضاقت بك النعم
لا تطلبوا من بني الطليان صالحة ❊ ان الرزية في ارجائهم غمم
لو شاء ربك لم يجعل لهم رصدا ❊ في ارضهم كيف ساروا فوقها رجموا
آلوا على نفسهم الا تجاورهم ❊ إلا البراكين والنيران والحمم
هل يذكرون وقد سال البنان ندى ❊ منا عليهم ام الذكرى لها ألم
قالوا الحضارة والدنيا تكذبهم ❊ والعدل ينكرهم والفضل والكرم
تلك الممالك فانظر كيف ما صنعت ❊ معنا ومعهم اضاعت عندها الذمم ؟
فلا الشرائع والاديان ترجعها ❊ الى الصواب ولا الاخلاق تحترم
يا دهر فاشهد لدى التاريخ ان كذبت ❊ اهل السياسة واصدق ايها القلم

(فؤاد الخطيب)

فذلكة

او

الوطنية هنا وهناك

عدد ٤٩

حقيق ما قالوا من ان الالفاظ لا تدل على المعاني إلّا من حيث الاصطلاح ولذا رايت كلا يضع ويدون ما شاء وشاء له الاتفاق . ولا لوم ولا عتاب - نعم . قرر المنطقيون في دواوينهم في الدلالة وجوه اربعة وجعل المتكلمون من المعتزلة الاسماء تابعة للاحكام واصطلح البديعيون على جواز اطلاق الالفاظ على معاني يراد بها عكس المقصود . . . . كما تباينت اصطلاحات النحويين بتباين الخطوط وبعد المواقع كنحاة النجف الاشرف اذ قيست ببعض ما دونوه من القواعد على الكوفيين والبصريين . . .

اذا علمت ذلك فقس عليه نعوت الوطنية عندنا والوطنيين على الشرق وكن طاهر الذمة . . . واغفر لبعض صحفنا في تفننها بالوصف ولذ سمعك بنغمات ذكرتها للشبيبة التونسية . والنشئة الجديدة . والنابتة المفكرة . والهيئة الوطنية . وزعيمها العظيم . . . . ورهطها الكريم . . . . وكرر القول ولا تقل عن تلك الصحف ويحها فيما تكتب فانها تصاب في الامة على ام راسها بخلابة اللفظ . وهو ضرب من الاغرار والخداع وقد قرنوه فى التحذير بالشرك بالله

ولا تدع عنك ذكر النياشين والوسامات واحتفاء اولئك بذلك ورقص الجميع على تلك النغمات . . فاننا قدما تنبانا بان اولئك ذلك هو الغرض من اعمالهم ولذا كان سيرهم منذ زمان في ذلك السبيل ولطالما حملونا على صهوات الغرض وما غرضنا إلّا بيان ما يكنوه ورفع اللثام عنه ولا اقل بئس ما يسرون

نعم تقلدت افراد من ذلك الرهط كما قالوا وسامات الشرف فاهتزت اعطافه

فرحا وامتنانا واقيمت له المئادب في غير ما نادى وتليت الخطبَ في ذكر المزايا وعد الحسنات فقوبلت بالهتاف والتصفيق الحاد .....

وكاني بهم وقد غفل الخطباء لدى ذكر ءايات الزعيم ... فتوحاته ومعاهد العلم التي اشادها والمدارس الخاصة ... التي اقامها فانها لجديرة بالذكر وحرية بالتمجيد واكبر من ذلك تلك الوليمة التي قدم فيها لعساكرنا قصلع الكسكسي .. بعد ايابهم من فتح بيضاء الديار ... وعندي ان اغفالهم لذلك لجناية على الحقيقة لا تقبل التوبة فيها للمستتاب ، وهبهم انهم بالغوا في الموكب والحقوه بمواكب الفاتحين ....

وكجنايتهم على الزعيم في ذلك كانت سيئاتهم مع مصلح التعليم العربي فانهم سكتوا عن دحض تلك الشبه التي تلصقها بجنابه .... ذوو القرائح الجامدة والرؤوس المقرطة ... العدوة لكل جديد من انه باصلاحه هذا وبروغرامه ذاك يحاول ان يرفع القرءان الحكيم من الصدور واحلال محاه اشعار يزيد ابن الوليد وقصص مجنون .. فيخف على التاميذ قول عنتر العبسي

ولقد ذكرتك والرماح نواهل * مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لانها * لمعت كبارق ثغرك المتبسم

ويستعذب معناها عن قوله سبحانه وتعالى (قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون) الى قوله جل ذكره (لكم دينكم ولي دين)

ويسهل عليه التغني بقول الشاعر فيمن غرته الظواهر :

الم اقل لك أن القوم بغيتهم   في ربة العود لا في رنة العود
لا تاسفن على الشاة التي اكلت   فان سرحتها في مرتع السيد

وزد انهم اغفلوا حسنة كبرى لجنابه ودرة ثمينة افلوها من عقد محاسنه الثمين . الا وهي بروغرام التعليم في مدارس البنات المسلمات فان لهذا المصلح النصيب الاوفر في وضعه اثابه الله .. ولذلك حري بان يلقب بمصلح التعليمين ... رغم انف الجامدين الذين تشاءموا منه وادعوا انه قبر الفضيلة والعفاف . بل مرسح ستمثل فوقه روايات فساد الاخلاق والنزوق والطيش قياسا على البنين في زيهم وحديثهم وهوة للدين واللغة والعوائد

ولكن كيف بنا والاكتراث باهل الجمود فيما يقولون ويكتبون .... فدعهم في تدينهم وهوسهم وعوائدهم واخلاقهم وعفافهم وحجابهم وفكرهم العتيق وعش حرا .... واحتفل بالمصلحين .... ولا تنس قاموس اللغة الدارجة وتدوينها على نفقة المعارف فان ذلك من اكبر حسنات المفكرين ....!

ذلك ما ننعي اهماله على الخطباء ولنستدرك ما الذمة عامرة به من الطرب والفرح والارتياح لما صنعوا ونشاركهم في السرور . واستغفر الله من سوء فهم بان سرورنا كان لا عن وجدان .... او اننا بطربنا هذا نريد ان نغيض زعيم الاحرار احمد رضا بك فيتسرب له الندم من رده على كل من مليكي البلغار والصرب وساماتهم الكبرى وعن حكومته كسوة الوزارة بسيفها المرصع صونا للزعامة واحتراما لنعوت الاحرار متعللا بانه عاش حرا ويكبر عليه ان تسترقه المنن والمزايا وتستهويه نعم المنعمين ...... ثم حاشا لله ان نقصد تهييج شجون زعيم المصريين ووطنيهم الكبير (فريد) السجن وهو في وثاقه فيغبط نعم زعمائنا . ويندب حظه (استغفر الله) حيث كان تجمعه وهؤلاء وحدة الالقاب والنعوت

ولرفع هذا الظن السيء صدرنا كلمتنا هاته لمن يجهل ان الالفاظ لا تدل على المعاني إلّا من حيث الاصطلاح حتى يكون عن بينة من جزاف القول ويدرك الفرق هنا وهناك في المصطلحات ....

ما وراء الموت

عـــدد ٤٩

عثرت منذ ايام في مطالعاتي للمقالات العلمية على حادثة فكاهية في اسلوبها وخيالية في سردها وتسطيرها . غير انه اذا كان صحيحا ما تكتبه تلك المجلات وما ينشروه لنا من الاحاديث عن الاكتشافات العديدة فانا والحق يقال قريبون من معرفة معضلات

الامور . قد اتسعت المعارف وتفنن المخترعون في استطلاع ما يخبئه لنا العلم المغنطيسي من المدهشات في التنويم (الهبنوتسيم) وعادت الاخبار تردنا عنه متواصلة متزاحمة فان هذا الفن جميل في بابه ان لم تشنه الاكاذيب . ويا ليت شعري متى نرى من الشرقيين اضماما ومعرفة كافية ليست وهمية لتؤهلنا للتجارب وتكفينا مؤنة الشك في مثل هذه الاحوال والان احرر مقالتي هذه لاسمع القرا حديثا غريبا

كان الدكتور (د) محبا وولعا بالاشتغال في التنويم المغنطيسي وقد مارس هذا الفن ثلاثين سنة مع صديق له يدعي قرنز وكان يجري اكتشافاته العديدة في تنويم هذا الصديق القديم وقد عزم في سنينه الاخيرة ان يستطلع ما وراء الموت فعمد اولا الى ما يشعر الراس المقطوع بالة الاعدام (الجيلوتين) وهل يفكر بشيء ما بعد ذلك وقد عرض فكرته هذه على حكومته فاجابت طلبه في استطراد بحثه

قال الكاتب ففي ذات اليوم حضر الدكتور مع صديقه قرنز الى ساحة الاعدام وشاهدان اخران ليدونا ما سيبدو من هذا الاكتشاف المفيد وقد وقف الكل تحت الة الاعدام الكبير ازاء ساة القطع حيث يسقط الراس مقطوعا وبعد برهة من الزمن سمع الجمع وطيء اقدام الجلادين فاسرع حينئذ الدكتور في تنويم صديقه وامره ان يدخل في فكر المحكوم عليه بالاعدام ويشرح باعلا صوته عما يشعر به ذلك المجرم وان يتكلم واصفا تخيلاته واحساساته الحيوية . نام قرنز وبعد قليل اخذ يضطرب اضطرابا مخيفا مستغيثا طالبا من الدكتور ايقاضه من رقاده المشوم . كان خوفه شديدا يفوق الوصف ولكن ما عتم ان سقطت السكينة فقطعت راس المجرم

(ماذا شعرت وماذا ترى) (سال الدكتور صديقه قرنز)

سمع الشهود هذيانا ثم تبعه انة موجعة ... اه لمع البرق وقعت الصاعقة ... يا للمصيبة يتكلم ويفتكر

بم يفتكر وماذا يقول

الراس ... نعم لهو في الم شديد يفتكر ولكن غير دار بما قد جرى له يبحث على جسده المنفصل فيخاله انه لاحق به وهو ينتظر الاعدام ... ينتظر الموت ... الموت لا ياتي

وفي اثناء ذلك نظر الدكتور الى الراس المنزوي في منتهى السلة وشعره متدلى الى اسفل فراه فاتحا شفتيه مصطكا اسنانه ينظر لمن حوله بحدة وعروق رقبته وشراينها ترتج والدم يدفق ويرتفع فيتساقط كالنداء على وجهه وشعره، هذا وقرنز لم يزل يتاوه ويقول ما هذه اليد القوية الضاغطة على عنقي تلك يد جبار لا يرحم حالي فيخفف الامي ... ما هذا الحمل الثقيل الذي يسحق جسدي ... ماذا ارى نصب عيني ... غيمة حمراء ... حسبك ايتها اليد القوية ففي استطاعتي التخلص منك ... دعني ايها الوحش الضاري .. اه عبثا احاول ان امسكه بكلتا يدي ... اه ماذا ارى ياربا جرح متسع كبير .. هذه دماءي الجارية بغزارة ... تلك الحقيقة بعينها اني راس بدون جسد

في تلك اللحظة وبعد كل هذه الالام التي كان لدى المسكين عذابا ابديا شعر الراس انه قد فصل عنه جسده ثم سكت قرنز ودلائل الالم بادية على وجهه فساله الدكتور ماذا ترى واين انت . اني سابح في الفضاء شبيه بالاسهم النارية ولكن ... هل انا مائت وقد انتهى كل شيء ،اه لو يصغون فيعيدوا لي جسدي المنفصل ... ايها الناس اشفقوا علي وارجعوا لي جسدي لاعود الى الحياة ثانية اني لم ازل اشعر واذكر .. هؤلاء القضاة الذي حكموا علي بالاعدام واقفون بحللهم الحمراء يتهامسون ... اني اسمعهم يلفظون الحكم الرهيب ... اه يا امراتي الحزينة ويا ولدي العزيز مسكين انت في مهدك ... لا لا انتما لا تحباني لقد تركتماني وحيدا بعيدا عنكما لو كنتما تعيداني ثانية لجسدي المنفصل عني فارجع حالا اليكما . لالا ... اراكما ترفضون طلبي ومع كل هذا اشهد بحبي المتناهي لكما .. دعاني اقبلكما ايضا مرة واحدة .... ما ذا اسمع اتبكي ايها الطفل الصغير وعلام تستغيث ... نعم لاني قد لطخت يديك الصغيرتين بدمائي الجارية ... اه متى ينتهي هذا العذاب متى يشفقون ويرحمون ... قصاص المذنب يا ترى عذابا ابديا

نظر الدكتور ثانية الى الراس المقطوع فوجده فاتحا عينيه بحدة زائدة مما يبرهن عن منظر الالم والاستغاثة ثم اردف قرنز كلامه قائلا ... ان العذاب لا يدوم فالله شفوق رحيم جميع ما في هذه الحياة باطل فان الله محي كل شيء من



امامي . . هذه نجمة من بعد تتلالا كالجوهرة في الفضاء الواسع . . . اه ما احسن ساكني الاجرام . . . اه اني شاعر بالراحة دخلت السكينة في كل جسمي . . . ما احسن النوم الهادى اه ما هذا السرور

لفظ قرنز هذه الكلمات الاخيرة وظل مستريحا من عنائه الشديد والدكتور يعيد عليه سؤالاته فكان لا يجيبه بشيء ثم اقترب الدكتور من الراس ومسكه بيده فكان باردا هامدا (الصيحة)

صدى فاجعة العلم والدين

بالمشرق

في ١٠ رجب سنة ١٣٣٢ عدد

ماكاد نبأ فاجعة العام الكبرى ورزية الدين العظمى بوفاة حبر الامة وانتقال قطب الائمة فخر المفسرين وخاتمة الاعلام المجتهدين العارف بربه شيخنا سيدي محمد بن يوسف ءال طفيش رضى الله عنه ان يبلغ الديار الزنجبارية حتى ساد الدهش بارجائها بل واغمر الاسى اصقاع مطلع الغزالة ومشرق الاهلة ضعف ما حصل بمغربها الكئيب . حزنا على كسوف شمسه المشرقة التي كانت تضيء ما بين المحيطين (علما لدنيا) ضياء سراج الافق الوهاج لعوالم الحس والشهود

ولم نلبث ان جاءنا البريد منها يحمل الينا وصف ما داهم النوادي العلمية وصدع فزعه المعاهد الدينية هنا وهنالك من فقد ذلك الامام المجدد الذي كان ملجا لشد الرحال وفيضا في فتح غوامض كل اشكال . وقد تسابقت قرائح اهل العلم الى رثائه وذكر فضائله وتعداد كراماته وتدوين حسناته للعلم والدين بغرر من المراثي وفي بديع من القريض . فكان الذي نال اسمى المراتب في ذلك المضمار هو فضيلة عالم الشرق وحكيمه

مولانا ابو المعالي الشيخ سيدي ناصر بن سالم بن عدي الرواحي قاضي قضاة سلطنة الزنجبار العلية في مرثيته البالغة مائة وسبعون بيتا ، وبوصولها الينا ابتناها هنا خدمة لمبرات ذلك الطود الراحل واقرار بفضل صايغ درها وناظم عقدها الحكمي حتى كانت أية المواعظ والحكمة البالغة والقدوة التي يجب ان يسار على اسلوبها في ذلك السبيل الرهيب ، فالله تعالى اسئل ان يعوض عن الاسلام من ياخذ بيده ويجدد ما عفى منه ، فاننا في عصر اصبح الدين فيه كما بدى ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فانا لله وانا اليه راجعون

قال حكيم الشرق وامام القريض

عش ما تشاء وراقب فجعة الاجل ... سينقضي العمر في بطء وفي عجل
تلهو بتصويرك الامال مغتبطا ... وبين جنبيك ما يلهي عن الامل
تناقلتك ليال غير راجعة ... وما تجاهك يوم غير منتقل
ما ذا يغرك من دنيا نضارتها ... تهب المنون ومجراها الى زلل
قالوا دسائسها في طي زخرفها ... وقلت قد صرحت بالسم في العسل
لم تخف عيبا ولم تاخذ مخالسة ... ولا الهناء بها إلّا على عالل
هل في مصارع اجيال بهم فتكت ... عذر المحيل عليها شنعة العمل
فما التهافت منا في مهالكها ... جهل بماض ولا علم بمقتبل
ما باينتك عواديها مصادفة ... ولم تعاهدك منها غارة الغيل
أرى الركون الى آفاتها سفه ... وصفوها بين نابي مهلك جلل
ما شان صولتها البقيا على احد ... وانما اجل يتلو خطا اجل
بيس القرارة اهنى عيشها زنق ... يتنابه الحتف بالابكار والاصل
انجاز ايعادها بالموت منتظر ... والقول عن مقتضاها غير مفتعل
ما اصدق العلم بالغدر المشوب بها ... واكذب الظن في التغرير والامل
خبيسة الطبع بالاكدار طافحة ... ختالة تخالب الالباب بالحيل
لا تستقيم لريعان الشباب ولا ... لرائع الشيب منها لحظة الجذل
يضيم عمر بنيها تحت غرتهم ... بها وحاصلهم منها على دغل

تزال تنبت نفسا ثم تأكلها   وانما يحرث الحراث للاكل
تنعى جنائزها فجرا حقائبها   مما انتهبن بحرب الصبح والطفل
ما بين صادرة في وجه واردة   ينتبن فل بقايا غارة الاجل
ما بالنا ومطايا الموت تنقلنا   نلهوا بما قيل ان العز في النقل
ان الملاط الذي نبني البلاط به   رفات من نقلت في الاعصر الاول
لو كان تقديرنا تخليد قاطنها   لا اوجب العقل ان تقلى على العلل
فكيف وهي حياة لاعتداد بها   مغمورة بالشقا والويل والهبل
اضحية الحتف لا ترجو مغادرة   والارض تبلع والجزار في العمل
كم زفرة لنعي ما اذنت لها   إلّا مشفعة من صارخ صحل
زمازم الندب في الاذان صادعة   لكن الى حبب الالباب لم تصل
يارب نادبة ما جف مدمعها   وعينها في نظام الحلي والحلل
حتى متى نحن والاجال تحفزنا   والجد والهزل منا تابع الامل
نرى مصارع قوم جل فقدهم   كفقدنا في الملاهي صالح العمل
نفني الدموع ونرثي من نضن به   وما لنا برثاء الرشد من شغل
كاننا في امان من مصارعهم   او المنايا عن الاحياء في كسل
كلا ولكنهم صاروا لنا فرطا   والركب مرتحل في اثر مرتحل
ومن تكن هذه الساعات اينقه   قضى المسافة لم يملل ولم تطل
قضت مئاربها من نحت اثلتنا   وما قضت وطرا اطماع مؤتثل
فقدت نفسي فخلت الدمع سال بها   والعهد بالنفس قبل اليوم لم تسل
وليس عيبا متى ذابت لفادحة   ذابت عليها صخور السهل والجبل
حمت لنا حوزة لم تبق من خلد   بغير خالدة الاحزان منفعل
ماكنت احسب ان تحيا وادركها   يدا تقلد جيد الدين بالعطل
ابكت سماء وارضا وهي ضاحكة   على السلامة ان طالت ولم تطل
وليتها حيث ابكت كل كائنة   رقت بقلب من التهويل منذهل
ماذا نحاول من ريب المنون اذا   قلنا حنانيك او سيري على مهل

ابعد ما طحنت اجيال اولنا ... يبقى الاواخر في البقيا على امل
ام بعد اعجالها الابرار تنسفهم ... نسف الزعازع ننهاها عن العجل
هيهات يرقأ دمع من مصائبها ... او يصبح الكون منها مقفر الطلل
اما تراها سهاما تنتحي كبدا ... محروقة وجراحا غير مندمل
لا تترك الجرح الاريث تنكده ... ولا تسعر قلبا غير مشتعل
نقارع النفس والشيطان ينصرها ... وما لنا بقراع الموت من حيل
في كل ناد نداء الموت مصطخب ... وكل دار بها دور من الاجل
فلا نؤسس صبرا غير منعقر ... ولا ندافع حزنا غير منعفل
لو دافع الصبر حزنا ثم اذهبه ... لكنت بين رجال الصبر كالجبل
لكن من الخطب خطب لو يقاومه ... صبر الجليد انثنى بالدحض والفشل
فقدت كفل اصطبار كان يكفلني ... في النائبات فخان الان مكتفلي
فليس بعد مصاب الدين من طمع ... في الصبر او جزع بالصبر منعزل
يا ناعي الدين هل ابصرت من بقيت ... فيه بقية رشد غير منذهل
غادرت في انفس الاكوان حشرجة ... فان قضى الكون فاستسلم ولا تسل
لاغرو ان فاضت الاكوان آسفة ... لفقد فرد على الاكوان مشتمل
يا ناعي الخوف هل لاقيت من خلف ... ممن نعيت وهل قدرت من مثل
يا ناعيا سيد الابدال هل تركت ... بالله فينا المنايا اليوم من بدل
يا ناعي القطب من ذا قام موقفه ... فصار قطب مدار العلم والعمل
نعيت فردا ام الدنيا باجمعها ... اني احس بدهش شامل جلل
اني احس بدهش عم كاربه ... حتى الملائك حتى برزخ الرسل
تنعي (ابن يوسف) فتح السالكين وختـ ... ـم الواصلين مغيث الانفس الكمل
محمد - مدد الاغواث روحهم ... مروع النفس ان يعمل وان يقل
مقدس الشرفين المطعم الجفلى ... كافي الكفاة المرجى طاهر الحلل
مرزء الارض خلاها وحل بها ... لك السلامة لم تحلل ولم تحل
نعم حللت قلوبا لا تزال بها ... فاين انت وفي الالباب لم تزل

بل انت في الرفرف الاعلى وغبطته ... في البشر والروح والريحان والجذل
لقيت وعدك من حسنى مخلدة ... ونحن للفقد في الاحزان والوجل
يا خير من حل في الدنيا ليصلحها ... من ذا تركت لها يا خير منتقل
ناصحت ربك في تعزيز ملته ... فلتنصح اليوم ندبا خيرة الملل
قد كنت رحمة هذا الكون تنفعه ... خليفة قائما عن خاتم الرسل
هلا رحمت قلوبا ذاب معظمها ... حزنا عليك وقد سالت من المقل
فاجبر مصابك فينا إننا بشر ... فينا افتقار الى انفاس كل ولي
جردت نفسك للاسلام تخدمه ... في جد محتسب للهول محتمل
تقارع الزيغ والانوار بارقة ... وانت في نجدة والخصم في فشل
كم حجة بسطت في البطل ايديها ... صدعت بالحق فيها فهي في شلل
كم مشكل اعجز الافكار جئت به ... صديعة الفجر نورا واضح السبل
كم معطل كشفته منك معرفة ... ذات انبساط بنور الله متصل
كم قاطع في سبيل الله يمنعها ... رميته بشهاب منك مختزل
كم جاهل ملات ضوء بصيرته ... بصيرة لك تدعى الشمس في الحمل
شمس المعارف يا سلطانها كسفت ... كسوف شمسك عن صبح وعن طفل
والاستقامة في كسر مزلزلة ... يا جابر الكسر ادركها على الزلل
تمضي وتترك هذا الدين في جزع ... والارض مظلمة والدهر في خبل
من للحنيفة يا قيامها علم ... يهدي اليها ومن يحمى من الغيل
من للشريعة قد قامت قيامتها ... ومن يسدد منها موضع الخلل
قد كنت فينا مكان الروح في جسد ... وقمت فينا مقام السيف في الخلل
من للطريقة من يصفى مشاربها ... للسالكين كؤوس العل والنهل
قد كنت حاديها تحدو ركائبها ... بنغمة لحنتها زمرة الرسل
رجعت صوتك فاشتاقت معاهدها ... فاليوم تصغى لمن يا حادي الابل
يا ذا العلوم اللدنيات موهبة ... هل انت في الرمس ام في حبرة النزل
خلفت علمك فينا ام رحلت به ... اني اشاهد نورا غير مرتحل

نعم تعقب نورا انت مشعله ... ونور وجهك في الفردوس كالشعل
تلك العلوم التي اوعيت جوهرها ... قلبا بحب جمال الله في شغل
ما زلت تسبح في القرآن ملتقطا ... در المعارف لم تضجر ولم تحل
حتى ملات مزاد العقل معرفة ... ممدودة الفيض حتى لحظة الاجل
وفزت بالسنة الزهراء محتويا ... على الاشارات والتفصيل والجمل
وجئت بالدين والاحكام مكتشفا ... للنقل والعقل كشفا غير ذي دخل
مستنبطا اوجه التاويل راسخة ... على النصوص مصونات عن الزلل
هي الكواكب في عد وفي شرف ... وفي ارتفاع واشراق وفي مثل
ما فاتك العمر لكن نقلة ختمت ... الى مقر وعمر غير منتقل
ولا انفصلت عن الدنيا وقد وصلت ... لك المعارف محيي غير منفصل
ولا اعتزلت عن الدنيا لضرتها ... إلّا وأنت عن الدنيا بمعتزل
تركت زخرفها للغافلين ولم ... تحفل بها في مضيق العيش والغفل
عاملتها بمراد الله منحرفا ... الى نصيبك من عقباك بالعمل
فما تقبلت منها قدر انملة ... ولا ادخرت سوى الحسنى لمقتبل
ولا نظرت الى فتان رونقها ... إلّا بما تنظر المحتال في الحيل
ولم تصدك عن علم ولا عمل ... ولا سرور ولا سم ولا عسل
يا طائرا طار ما اضفى قوادمه ... نجوت من قفص في حكم محتبل
وقفت لله من دنياك في عطل ... فلتسرح الان بين الحلي والحلل
اجهدت نفسك في مرضاة خالقها ... يا مجهد النفس اربح راحة الازل
اربح فديتك ما قدمت موجبه ... نعم البضاعة لم توزن ولم تكل
احمد سراك فقد اصبحت ان يدا ... قد باركت فيك لم تكدى ولم تزل
احمد سراك فقد طالت متاعبه ... وقد حللت خيام الحي فاعتقل
اوعيت خبرا فلم تعدم جوائزه ... ان الجوائز عقبى صالح العمل
اوقدت نفسك في المحراب مشتعلا ... فاسرع الان نحو الكوثر اغتسل
اوقدتها بالرجا والخوف معتجلا ... يا برد الله مثوى الواقد العجل

تنحو المقامات والزلفى بمسلكها ... وقد وصلت ولولا الجد لم تصل
نلت الكرامات لم تصدعك منها ... عن الشهود ولم تعجب ولم تمل
ان الكرامات اوثان لمشتغل ... بها عن الله او مكر بمشتغل
ما فاتك الفهم عن مولاك اذ سفرت ... لك الدقائق ان يمنع وان ينل
وكل موهبة قدرت موقعها ... بالشكر لله في حزن وفي جذل
وصبرك الصبر لا تنحل عروته ... عند البلاء ولا يدنو من الفشل
هما مقامان كنت العدل بينهما ... توفيهما الحق لم تبطر ولم تبل
حصرت ما عند ارباب القلوب فما ... مقام حالك إلّا دولة الدول
يا من اقات فؤاد الرشد من حزن ... عليه اصلحه لي يا شافي العلل
لا غرو ان تشفي الالباب من مرض ... بسر قلب بنور الله مشتعل
اعطيت قلبا بحب الله ممتزجا ... له التصرف في فعل ومنفعل
في قبضة الحب يطويه وينشره ... فالسر في الحب لا في الشكل والعضل
ارسل فديتك روحا شاملا املي ... من سر روحك واجمع لي به شملي
فان ارواح اهل الله فاعلة ... بقوة الحق لا بالحل والنقل
لها الكرامات في الكونين موصلة ... في البسط والقبض وصلا غير منبتل
ماكان رايك في الدنيا وقد فقدت ... اسرار يمنك مثل البارق الهطل
رعيتها بوصايا الله آونة ... فانظر رعاياك قد هامت مع الهمل
خلفتها ووصايا الله ناكلة ... والفضل والعلم والاسلام في وجل
متى اهدى قلبي من تعسره ... ورنة الملاء الاعلى على زجل
يا حاملي نعشه مهلا بحملكم ... كيف احتملتم رزايا الرحلة الجلل
تدرون من تحمل الاكتاف ما حملت ... من بعده هذه الاكوان من ثقل
سيروا رويدا فكل العالمين به ... دفن العوالم لا يقضى على عجل
ذروه يقضي من المحراب حاجته ... اني اخاف على الدنيا من الخبل
ذروه للامر بالمعروف محتسبا ... للنهي عن منكر قد عم كالظلل
ذروه للعلم يجليه فقد سقطت ... بنا الجهالة في الابار والدغل

ذروة يقطع اعناق الشقاق فما ... نحن البقية غير العصبة العزل
ذروة يرجم شيطان النفاق فما ... ابقى مريدا رجيما غير منجدل
ذروة تبكي عليه كل مكرمة ... فانه بعده تحيا على ثكل
ذروة ابكي عليه ما حييت فان ... امت بكى في البلى عظمي بلا مقل
ليت البكاء افاد الحي ما فقدت ... عيناه لكنه فقد بلا أمل
يا راحلا عن بني الاسلام تاركهم ... وللكتابة فعل السيف والاسل
ودع معاهدك الزهراء ان بها ... غما لو احتل غمر البحر لم يسل
ودع رجالك قد بانت عقولهم ... ان راجم العقل من توديع مرتحل
ودع تصانيفك الحق المبين فقد ... صار المداد حدادا غير منفتل
فوامصاباه ان ودعت مرتحلا ... وما وراءك للاسلام من بدل
لفوك في كفن ما ذا تريد به ... وانت من نور حب الله في حلل
واودعوك ترابا لو تفوز به ... حور الجنان لافتنته من القبل
ماذا الرثاء وفي القرآن صادعة ... تثني على أخر الابرار والاول
الا شجيا عقيب الظعن يندهم ... من مقلة اوقفت دمعا على الطلل
وما رثيتك تذكارا لمحمدة ... خلدت حمدا وان كان الزمان بلي
فيا سقى الله ربع الزاب ماطرة ... من رحمة الله بالابكار والاصل
وباشرتك هبات الله دائبة ... بعارض من عظيم الفضل منهمل
وروح الله بالرضوان روحك في ... منازل القرب والاحسان والنزل
وواصل الروح والريحان ذاتك في ... ازكى سلام من الرحمن منهطل
ونسئل الله غفرانا ننال به ... رضوانه في جوار الله والرسل
نشكوا اليك ولي الله وحدتنا ... وعيشنا بين غل الدهر والكبل
الله الله يا اهل القلوب ففي ... قلوبكم نظر الرحمن في الازل
لا تتركونا مع الاخطار ان لكم ... نصرا من الله وحيا غير منخذل
خذوا بايد قصارى انها بكم ... تطول وانتشلونا من هوى الفشل
توجهوا لجمال الله وانتدبوا ... للغوث باولياء الله في عجل

اين انتصاركم والملة انطمست والامة انبطت في فخ مهتبل
صلى الاله على ارواحكم وسقى ربوعكم رحمة بالرائت الهمل

الميزانية التونسية (١)

عام ١٩١١ عدد ٤٨

رفع الوزير المقيم العام الى الحضرة العلية صورة الميزانية التونسية عن سنة ١٩١١ مبينا فيها ما وقع عليه الاتفاق بالمجلس الشوري والمجلس الاعلى من ذلك زيادة ٢٠ حارس يركبون الهجائن لحرس الحدود وتاسيس مركز حربي بالحد الفاصل بين تونس وطرابلس وتخصيص ١٠ الاف فرنك اعانة للموظفين التونسيين الذين لهم فوق ثلاثة ابناء . كما خصصت اعانة لتوسيع نطاق المستشفيات وجلب اطباء جدد اليها . كما زيد في اعانة المستشفى الافرنسي المدني وعينت مخصصات لتعزيز قوة البوليس وزيد في مصروفات الجندرمية الافرنسية وخصص مقدار من المال لتحسين حال السجون وتوسيع نطاقها بالقطر التونسي كما خصصت مصروفات لتوسيع نطاق العدلية الافرنسية وجعل نظامات بالعدلية التونسية وزيادة في ميزانية ادارة العلوم ٣٠٠ الف فرنك وزيادة المصروفات لاصلاح الطرقات وتمهيدها وخصص ٢٨٣ الف فرنك للقيام بجلب المياه للساحل وتحسين حال مرتبات التونسيين بجميع الادارات وغير ذلك من التحسينات وهذا بيان المصروفات والمداخيل لميزانية ١٩١١

المداخيل الاعتيادية	٥١٩٥٨٩٤٠
المصاريف الاعتيادية	٥١٩٤٧٩٢٣
فيكون الفاضل	١١٠١٧

(١) اثبتنا هاته الفقرة هنا ليعلم من تاريخها مقدار سرعة الادارة في ترقية الميزان بصورة مفزعة وناهيك بزيادة مائة وسبعين مليون فرنكا تقريبا في اثنى عشرة سنة . وكما يتحقق ان لا وقاية للشعب التونسي إلّا بدستور يحول بينه وبين خطر التشريع الاداري المبيد الذي اوصل الميزان الى مائتين وثلاثين مليونا لسنة التاريخ

« ميزانية ١٩١٠ »

المداخيل الاعتيادية	٤٧٢٠٦٣٤٠
المصاريف الاعتيادية	٤٧١٠٣٩٠٥
فيكون الفاضل	٩٣٤٤٣٩

« غلق ميزانية عام ١٩١٠ »

الفرق بين المصاريف والمداخيل

المداخيل الاعتيادية	٤٧٠٥٢٦٠٠
المصاريف الاعتيادية	٤٦٠٩٤٣٧٦
الفاضل	٩٥٨٢٢٤

الاسلام مستعد

بذاته للانتشار

عدد ٥٠ في ١٥ قعدة سنة ١٣٢٩

قد سبق لنا ذكر مقال تحت هذا العنوان اوضحنا فيه ان الاسلام لا مروج له بين الانام غير نفسه بتقديم امر معلوم وهو ان الحقائق الثابتة لا يتوقف جلب العقول نحوها على مزيد مشقة وتكثير مقدمات طائلة فان الحسناء غنية عن التزويق وبيع الجوهر لا يحتاج الى نداء وتصفيق . والراي الحق انما يحتاج الى ادنى تنبيه وتذكير حتى يمسه العقل ثم لا يفارقه

والاسلام قد كان في مبدا امره دينا بسيط لم تدخل عليه بدعة ولم يحم حوله باطل او خرافة فكانت العقول لا تفارقه بعد تنبيهها عليه (وقد كان) هذا الامر لا غيره سببا لانتشار الاسلام في القارات بسرعة غريبة كالبرق تشبه خرق

العادة كما صرح به ووافقنا عليه المستشرق هنري في كتابه (الاسلام) ثم ضعفت هذه الحركة البرقية الناشرة للاسلام بعد دخول البدع فيه وهجوم العرضيات عليه فكلما ثقل كاهل الدين بها اكثر صار ضعف الحركة فيه اشد

وقد ظفرنا اخيرا على خطاب القاه الفيلسوف الشهير مسيو (مونتيه) استاذ كلية (جنيف) في سويسرا يعزز ما اشرنا اليه في هذه المسالة سابقا وانما ننقل محاضرته لكونها مشحونة من المطالب الدينية الفلسفية التي تهم وتنفع كل باحث عن الاديان بالنظر الدقيق وهي

انتشر الاسلام منذ بدايته انتشارا لم تنتشره ديانة مثله ولا يزال هذا الانتشار على ما هو عليه من القوة والسرعة

ولقد كان لنجاحه الاول رنة تاهت بالفكر عن السبب الحقيقي فقال قوم انه يرجع الى زمن النبي (صلى الله عليه وسلم) والى زمن خلفه من الخلفاء الاولين اعني بالشدة والعنف والسيف والرمح

ولكن هذا القول قد كذبته الحوادث لانه لم يبن على راي كل العناصر المختلفه التي يتطلبها حل المسالة . ويظهر ان بدء الاصلاح الاسلامي انما كان دينيا محضا فقد كان النبي (ص) مدفوعا باقتناع واعتقاد حقيقيين وخالصين استئصالا الوثنية التي اجتهد في اخراجها من عقول مواطنيه وتخليصهم من دين خشن لا يلائم زمنهم والدخول بهم في حالة ادبية وتمدين ارقى من تمدينهم الماضي بكثير واخلاصه في هذا السبيل واعتقاده المتين الراسخ بما قد قام بامره لا يخامره شك ولا ياتيه باطل وبهذه العاطفة وهذه الافكار اجرى اخلاصه في مكة ثم المدينه

ولما انتقل كرسي هدايته الى المدينة نشات فيه عاطفة جديدة واتحد بارادته الاصلاحية عنصر جديد هو عبارة عن عاطفة وطنية عربية تعتبر كبداية للتوحيد السياسي للبلاد العربية وذلك بضم شمل بعض القبائل العربية تحت سلطة دينية وسياسية فردة وهنا يرى الباحث اصل اتحاد وتداخل السلطتين الدينية والمدنية التي هي من مميزات التمدين العربي وقد كانت من اسباب عظمته وبلوغه قمة مجده كما انها ايضا من اسباب ومفسرات انحطاطه بعد ذلك

فتبين مما تقدم ان انتشار الاسلام على عهده الاول يرجع الى تعاليم القرءان والحديث والفتح العسكري والتوحيد السياسي للعالم العربي وهذا التمييز انما هو اساس اصلي لكل من بحث في التاريخ الديني

وهنا ذكر المؤلف ما كان من امر اصلاح (لوثير وكالفان) ومصلحي القرن السادس عشر وقال ان السائق لهم هو التيار السياسي الذي كان في عهدهم ولو انهم اشتغلوا بتوجيهه الى الوجهة التي لا تضادد اقتناعتهم الدينية ومثل لذلك بالبابوية على اشتباك المصالح الروحية بالسياسية

ثم عطف على اراء القائلين بان لانتشار الاسلام اسباب اخرى تتضح من النظر في الشروط العامة والادبية لحياة اي جمعية من الجمعيات البشرية فظن بعضهم ان انتشاره انما يرجع الى هجرة الصنف العربي هجرته الاخيرة عندما اراد الخروج من ارض ضاق به رحبها ؛ وقال بعضهم بل ان تحول الجزيرة وتغيرها على توالي السنين تحولا ادى الى جرف الجزيرة تدريجيا حملهم على هذه الهجرة وانتهى منهم بعدم اعتمادها . ثم رجع المسامر الى الموضوع فقال انا اذا اتينا بهذه اللمحة المختصرة عن اسباب انتشار الاسلام بسرعة في اول ازمان الهجرة فما ذلك إلّا لنقول انه قد استمر في هذا الانتشار والتقدم الى الامام بنفس السببين اللذين سبق لنا ذكرهما

ولقد نرى في امتداده وانتشاره في القرن العشرين سلسلة مزدوجة من الاسباب التي تميط لنا اللثام من حركاته وانتشاره وان فرعها الاول الاسباب الدينية وفرعها الثاني الاسباب السياسية والاقتصادية والاجتماعية

وقبل ان نمعن في القول عن السبب الاول وهو الديني يجدر بنا ان نطرح هذا السؤال وهو : هل في الاسلام كما في المسيحية جمعيات من المرسلين والتبشير ؟ والجواب نعم وكلا . لان بعض الافريقيين انما هم مبشرون حقيقيون وزد على ذلك وجود الاخوية الدينية التي من برنامجها نشر الدين الاسلامي (وسنتكلم عليها في غير هذا الموضع) ولكن حقيقة الواقع هي ان الاسلام ينتشر من نفسه اي بالمسلمين انفسهم لان كل مسلم في بلد وثني يعتبر مبشرا لديانته ببساطة تعاليم دينه وفعله الاخلاقي الجميل . والمسلم حتى الجاهل هو على اعتقاد راسخ بدينه وهذه الصفة

هي من مميزات الاسلام الذي يستولي على معتنقيه تمام الاستيلاء، وهذا لا ينفي وجود بعض ضعيفي الاعتقاد ولكن الاكثرية هي كما ذكرنا ولذا نراه يبشر بدينه اينما حل وحيثما رحل، ولقد قلت ان الاسلام ينتشر من نفسه وذلك بواسطة القوافل التي تاجر في بلاد الوثنيين او عباد الجمادات فترى المسلم يجتذب القلوب اليه مستعينا بكل الوسائل التي تتفق مع حال الاهليين وتلائم امزجتهم وهنا تتلاقى الاسباب الدينية بالاسباب الاجتماعية والاقتصادية

انشأ ناشئوا الدين من المسلمين القرى واسكنوها بمن اعتنق دينهم من الاجانب فانتهزوه فرصة عند تفشي المجاعة بين النازلين على شواطيء زنجبار فتقدموا اليهم بالاحسان وفعل الخير، وعلى هذا النحو ايضا حرروا كثيرا من الارقاء كما جرى في (واداي) وذلك ان قافلة منها مؤلفة من العبيد نهبها الرحل الضاربون بحدود طرابلس الغرب ومصر فاشتراهم منهم سيدي محمد السنوسي واسكنهم زاويته وعلمهم ثم حررهم وبعد ان عام بمقدرتهم على نشر الدين اعادهم الى اوطانهم لينشروا الدين الحنيف ، اما في الاقطار المتمدنة التي ضرب اهلها في العلم بسهم فان الناشرين يجتهدون في اكتساب قلوب الطبقة الراقية مستعينين بما اوتوه من علم وخبرة على الراي العام حتى انهم لفرط مهارتهم لا يضادون العادات المحلية ولا التقاليد الدينية ولو الديانة الوثنية كما يجري عليه سيرهم في الصين اليوم

وهناك وسيلة اخرى اكبر تاثير في الاسلام وهي المدرسة لان المسلم اذا حل بارض واقام بها كان اول عمله انشاء مسجد والحاقه بمدرسة

ولقد يعجب الانسان من حذق الناشرين ودرايتهم واخذ الامور من رؤوسهم فانهم فصلوا مثلا تعليم المراة في بعض القبائل مثل (السيخا) النازلة بين النيل الازرق واعالي شمال هضبة الحبشة وذلك لانهم راوا بالاختبار حسن تاثيرها واقتدى بذلك السنوسيون في زنجبار واقليم (توبو) في حين ان المشهود انما هو اهمال تعليم المراة المسلمة ، ومن وسائل النشر ايضا الزواج لان المسلم له ان يتزوج ممن اراد دون فرق بين الجنسية او الدين على شرط ان تكون كتابية ولكنه لا يزوج بناته من غير اهل دينه ، ومنها شراء اطفال الوثنيين وتربيتهم تربية دينية كما

حدث في الصين اذ اشترى المسلمون في احدى المجاعات ١٠٠٠٠ طفل من اقليم سانتونغ لتربيتهم وادخالهم في صفوف المسلمين

واما الاسباب السياسية والاقتصادية والاجتماعية فهي منطوية فيما ذكرته لان كل صبغتها هي دينية اعتمارية واذا نظرنا الى الاسلام نظرة عمومية ولو في قسم من اقسامه واعني بما اقول افريقيا نجد انه يمثل حالة اجتماعية اقتصادية راقية حرية بان تكون ءالة للتقدم من ارقى الالات ...

ان للاسلام تمدنا ترجع اصوله الى القدم او بعبارة اخرى له نتيجة ترق له طويل بلغ قديما ذروة الرقي في الشرق والغرب ثم انحط وهبط ولكنه لم يتلاش وينعدم وسترى فيما ياتي من القول انه يحاول حالا استرجاع ماضيه المجيد ومركزه الاول كما ظهر من تقدمه الاداري والاجتماعي والعقلي والادبي والديني فيما نقل به من مختلف الاماكن من القارة الافريقية وكل خال من الغرض لا يسعه عند ما يقارن بين نتائج نشر المسيحية والاسلامية في افريقيا ونتائجه إلّا ان يقول بتفوق الدين الاسلامي عقليا او ادبيا او اجتماعيا واذا قلنا ان الاسلام له الاولوية بفضل زيادة انتشاره في افريقيا فلا يسعنا إلّا ملاحظة انه من اكثر الاديان ملائمة للاديان بوجه عام وعلى الخصوص الافريقية وخصوصا الزنوج منها لما فيه من مسالة تعدد الزوجات والرقي وبساطة العيش المشهود بها للمسلم في كل زمان ومكان والتي هي قوة من قوى الدين الاسلامي (الى ان قال بعد تمجيد طويل للاسلام) فيوخذ من كل ما تقدم ان الاسلام لا يزال ينتشر ويمتد حتى بازاء الديانات ذوات التبشير والبعثات الدينية وان له فيها المقام الاول . واما الاسباب التي اوردناها عن بطيء سيره او الارتداد عنه ليست إلّا ضئيلة الاهمية وفي الديانات الاخرى ما يضارعها وهي لا تمنع ان يكون الاسلام كالمسيحية في تقدم مستمر منذ عدة قرون وقد يمكن ان تساعده الظروف التي لا يمكن التنبأ بها على الانتشار الهائل في اي زمن من الازمان وفي اماكن لم تطاها تعاليمه الى اليوم . ومهما يكن من الامر فانه لا جدال في انه غير جامد بل في حركة مستمرة وان عدد انصاره في ازدياد مطرد ولقد يروى ان عقبة بن نافع الذي غزى الغرب في اول امر الاسلام واخترق مراكش حتى وصل

شواطيء المحيط الاتلانطيكي ازجى بجواده في اليم وعند ما وصل الماء الى صدر فرسه ضبط عنانه وصاح قائلا « ربي ورب محمد انني لولا ان اعاقني الماء لذهبت الى الاقطار النائية لنشر اسمك الاعظم في ممالك ذي القرنين فاحارب في سبيل الدين واقضي على كل كافر بك » ثم قال المسامر وقد فعل الاسلام اكثر مما قاله هذا الخطيب فانه اجتاز الاقيانوس ونشر في مختلف الاصقاع الدين المحمدي (العلم)

اسفار بعد احتجاب (١)

عدد ٥٢ في ٢٦ جمادى الثانية ١٣٣١

« انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم »

تبارك الذي قدر الليل والنهار ، وقلب الانسان في اطوار وابتلاه بالشر والخير فتنة للاستبصار ، حتى يميز بين المنافع والاضرار ، فلن يرى الصحيح تاج العافية

---

(١) الاحتجاب لم يكن اختياريا وانما كان اثر حوادث الجلاز الواقعة في ٧ نڤانبر سنة ١٩١١ بصفة اجبارية بامر اجراه المقيم الابتيت على الصحف العربية ما عدى الزهرة الغراء التي استثنيت من ذلك القرار الاداري المتجسد غلطا وحيفا ، والذي كان مثاره على ما قيل اشارة من بعض الاستعماريين على المقيم بان تعطيل الصحف العربية ومنع انتشارها منتج لتهدية الافكار المتهيجة ضد صنيع البلدية في طلب تسجيلها لمقبرة الجلاز واعلانها عنه ليوم معين دعت فيه العموم بجملها للحضور على وضع علامات التسجيل ....

وقد ايد المقيم المطاق صحة هاته الاشارة تجدد الاخبار الحربية عن طرابلس الغرب وفضائع الاعتداء المنكر من الطايان على المسلمين بسبب ارتباطهم الديني بالدولة العثمانية وتحزبهم لها واظهار عواطف الانسانية نحو امة هادية قد فوجئت ببلاء مريع حفظ قبائحه التاريخ ، وقد دام العمل بذلك القرار الموقت ... عشر

حتى تناله الاوصاب ، ولا تعرف العين فضل الشمس إلّا اذا توارت بالحجاب ، فباسمه سبحانه نستهل ، وبعونه نستسهل ، فهو المستعان في سلوك سبيل النصح والارشاد ، ومن يضلل الله فما له من هاد ،

قال الحكيم لاروس « اية حكومة تضايق حرية الصحافة فهي تخشى المباحثة ولذا فهي ذات شبهة ، وقال

لايجوز حرمان احد من ابداء رائه بدعوى الحذر من ان يكون له فكر مخطر» اه بهاته الحكمة البالغة والحقيقة الناصعة التي املاها صاحبها واودعها الكتب النافعة نودع ممثلي الجمهورية الفرنسوية السابقين فينا الذين لم يترددوا في الجام الصحف والحجر عليها لغير سبب سوى تربص الدوائر بالامة التي حكموها ، وكتساب سوء الاحدوثة للامة التي مثلوها ، وتركوا للخصوم مقالا ، وللظنون مجالا ، وكذلك يفعل غير المتبصرين ،

الصحافة والحكومة يتبادلان حالتي الاطلاق والتقييد فكلما اتشحت احداهما

سنوات اي من ٨ نفانبر سنة ١٩١١ الى شهر فرابر سنة ١٩٢٠ وابت الادارة ان تفتكر يوما وانها ارتكبت شططا فترفع حيفها عن صحف لا دخل لها في الحادث بحال بل انها على الدوام كانت داعية السكينة وركن السلام

وانما المجرم فيها حقيقة هو بعض ولاة الحكومة الذين استسهلوا الاعتداء على مقبرة اسلامية كبرى وتسجيلها باسم البلدية فقط ، حتى اغتيلت تلك الصحف وذهبت حقوق اصحابها وقرائها ضحية الارادة الفردية والشهوة الادارية عدة اعوام ، وانها كلما روجعت في وجوب رفع تلك المظلمة على القلم العربي المضطهد ببلاده دون الاجنبي فيه تجيب بان الوقت غير قاض بذلك ، لاتصال حلقات الحروب بعضها من حرب الدولة العثمانية مع ايطاليا الى حربها مع البلكان الى الحرب العالمية الكبرى وهو اعتذار اجرم من القرار كما لا يخفى ،

الى ان جاء المقيم فلاندان وكان ميالا الى الانصاف سماعا لشكوى من يريد الانتصاف فاطلق الصحف بالغاء ذلك الامر القاسي بامر منه مؤرخ في فيفري ١٩٢٠ فاحي بذلك لنا ذكر المقيم بيشون وعهده الصقيل في ايامه القلائل ..

بواحدة تلفعت اختها بالاخرى ولكن الصحافة بالاطلاق اولى والحكومة بالتقييد احرى . ذلك بان الصحافة منبر الامة عليه توضح حاجياتها وترفع شكاياتها وتنير بالدليل طلباتها وتقوم بالترجمة الحسنى بين الحاكم والمحكوم . ان الحاكم اذا عرف انه وجد لاجل الامة لا الامة وجدت لاجله وان قيامه فيها لاصلاح حالها وتامين راحتها وايصالها الى بحبوحة الهناء فهو لا غنى له عن التقييد بالوسائل التي تحقق تلك المقاصد . فالحرية اذا البرهان الاجلى على سعادة الامم . والتقييد للحاكم هو ميزان العدالة الاقوم . وانه ما استطال ذو سلطان فنضى عنه حلية التقييد وطوقها لامته إلّا كان ذا شبهة في سيرته حسبما نطقت بذلك الحكمة البالغة التي اتخذناها لمقالنا اكليلا وما رضيت حكومة لنفسها الموقف الاتهامي في العصر الحاضر سوى حكومتنا التي الجمت الالسن العربية مترصدة في ذلك فرصة فلاقل بذرت هي بذورها وحصدها من جهل مراميها من عنصرين متساكنين ولم تكن فيها للجرائد من يد ولكنه عقاب موجه ضد الشعب التونسي الذي لم يضيع فرصة في اظهار اقصى ما يمكنه من شعائر الولاء . فعلت الحكومة فعلتها فوسعت للطعن مجالا وتركت للخصم مقالا حتى اذا احوجتها الظروف للاستظهار بالراي العام عمدت لشهادات نمقتها واوراقا حبرتها ثم نادت بها في الناس فكان المريب يرى الشاكر والمشكور واحدا وانه لو كان هذا حقيقة الفكر العام لتركت للصحف حرية القول فلا يسعهم جحد ما في الوجود

ضرب على اذان الصحافة في كهف الاحتجاب سنين عدد ابرقت البارقة ونزلت الصاعقة وزلزلت الارض بحرب طاحنة طالما تخافوها وعظم باسها واشتد مراسها وتطاير شررها باقصى المعمور فلم يبق ذو نسمة بشرية إلّا ونالها منه ما افقده عضوا في جسمه او في عائلته او جانبا من مال او ارخاء بال

ثم طال امدها فالفت الناس فجائعها وزالت مهابتها من القلوب وتعودوا الاستهانة بزهرة الحياة وذلك كان السياج الحائل بين الانسان والوحشية ولكن الحرب قد علمت قطع الاسلاك وخرق السياج وورود مناهل الموت الزؤام كورودهم على محال استرزاقهم وذلك نبه الضعفاء الى قوة كانت ضائعة بينهم وهي كثرة سوادهم وانحياز اشغال الاقوياء على كواهلهم وانهم مصدر قوة اولئك الاقوياء وينبوع ثروة اولئك الاغنياء ومادة سطوة الحكومات

فامتلات من تلك الافكار ادمغتهم وطفحت بالغيض صدورهم وحسبك بحقائق كهذه تدور في مخيلة من اقام ستة سنوات يلتحف الجثث البشرية ويفترش اقطاعها منها ويرى الموت كل ثانية الوانا كيف يصبر بعد ذلك ان يهب عرقه للغني المرتاح مهنئا موفورا ويقنع منه بشظف العيش مشردا مدحورا

هيهات ان يرضيه ذلك ولئن رضي معه بالمقاسمة لعد منه تساهلا وفضلا

فتردوا بثياب احمرت بالتجبيع ونادوا باسم (البلشفيك) وصاحوا بالقياصرة صيحة ثلوا بها عروشهم وزلزلوا بهم امكنتهم وعصفوا بهم عصف الاعصير بالهشيم

اخذت الجبابرة الصيحة من جانب الروسيا حيث العسف والاضطهاد بالغ من الضعيف مبلغه وبقدر الضغط تكون قوة الانفجار

فتطلعت اليهم من اطراف الارض رؤوس مذعورة مما تم واخرى بالاقتداء بهم تهم والكل يستعظمون ما جنى اولئك الضعفاء غير ان الاقـوياء يشتقون فعلهم من الجناية والضعفاء يشتقونه من جني الثمار

نعم خشي المترفون سطوة الضعيف اذا تمادوا على ارهاقه واسترقاقه فخفضوا من انانيتهم شيئا واصاخوا لسماع طلباته حتى يقنع بما اوتي ولم يحرجوه في الطلب خوف ان يتشطط مثل اخـوانه الاخرين فقررت القرارات على تسوية الاجـور لمتساوي الاعمال وتحديد ثلث الوقت للاشتغال وانصاعت الحكومات للنقابات وحتم عليهم الاسراع لذلك قربهم من ميادين الاخطار

وبقي في زوايا الارض اقوام لا تخشى غائلتهم يرضون بما اوتوا ويحملون على ما كلفوا ولا يحمدون بما فعلوا اولئك الذين اسعدهم الزمـان باحتضان الامم الراقية لهم فاجرت في بلادهم من التمدن انهارا وبعثت فيها من اشعة الرقي انوارا وتركت اهلها عطاشا لا يردون وفي ظلمات لا يبصرون ولكنها تخشى مع ذلك من يتاهل منهم من يسئل او يوجد من غيرهم من يسئل ما شان هؤلاء وما كان نصيبهم من وراء هاته الحرب التي قلبت الارض والافكار

ذلك الذي خرق حجابا من الظلمات كثيفا ستر وراء اصواتنا واطلق الفكر من قيد الاعتقال مع العلم بان ذلك القيد سلاح ذو حدين ان منع المحكوم من قوله

اني مظلوم فهو مانع ايضا للحاكم من قوله اني عادل والظروف قد جعلته لهذا الدعوى في احتياج

فمن اراد من ذوي الحكم ان يتشرف بالعدالة التي هي الوصف الطبيعي له المانع من زلة الاقدام فليس الشان في ذلك بمنته عند حرية الاقوال ولكن وراء ذلك تشريك الامة حقيقة في الشورى ونقض ما بني منها على المداجاة والتضليل . نعم بذلك المجلس ساروا بنا في طريق تعليم اصول الشورى ولكن نحن نعلم ان الامثلة التي تساق في التعليم ينبغي ان تكون صحيحة ليمكن اجتناب الغلط في التطبيق وفساد المثال يدل على فساد التعليم

فخلاصة مطالبنا الطبيعية بصفة كوننا مجموعا من البشر نشغل فراغا في الوجود وشاركنا في عمل شاق اقيم لتدعيم الحرية وتقويض سلطة العسف والجبروت ... هي كفالة حقوق الامة في توظيف الضرائب وتوزيع المصالح بنظام شوري مؤسس على دعائم الحقوق الانتخابية ومراعاة سواد السكان فلا يكونون لدى الراي قليلا ولدى الاداء كثيرا ثم بث التعليم النافع وان لا تحارب في التعليم لغة البلاد بل ينبغي ان تؤتى حظها من العناية والاعتبار بصفة كونها لغة الشعب ولغة قانونية. وتلك امهات المسائل التي لنا في تفصيلها عود وبيان والله المستعان

الاحباس الخاصة

والاستعمـــار

عدد ٥٨ في ٩ رمضان سنة ١٣٣٨

الذي يقفو اثر ساسة الاستعمار استطلاعا منه لبرنامجهم ووقوفا على ضروب التفنن في ايجاد السبل للتوصل الى الاستئثار والاثرة واهتضام حقوق الضعفاء يقف حائر الفكر شاخص النظر يتسأل كيف تربت في تلك الادمغة الجديرة بان تنعت

بالقاسية هاتيك الافانين . ولكن يلج في الاعجاب والحيرة من يجهل اولئك الساسة وانهم قد اتخذوا السياسة شرعا لهم مع من استضعفوه في الارض وقد ساقه الدهر الى احضانهم عن غير ارادة منه . وان اخاص واظهر من الولاء اقصاه ومن الجميل غايته ومنتهاه . وان للسياسة مسوغات وغايات واباحات

ذلك مثل الذين اجتمعوا فتشاوروا همسا ثم قرروا فتح باب لاكتساح ما بقي لذويه من ارض الاحباس الخاصة المخلفة عن الاباء والموقوفة من الاجداد بدعوى احيائها ليعم نفعها البشر المهدد باخطار الغلاء والفقر وشظف العيش . وان فيما قرروه قتل لمن يستحق الارض . وهو ما يدعو الى شذوذ فكر من يفكر في احياء الارض فيميت بني الانسان . أجل فان البرنامج الذي قررته لجنة الاستعمار اذا جرد من تلك الطلاوة العارية والبس الثوب الخليق به كان هو فتح ذلك الباب الممقوت قم لاجاس مكانك وافتقر ايها الضعيف ليثرى القوي الغالب على امرك وان كان فردا وانت في مفهومك العدد الكثير . وان لا عبرة بان كان ذلك القرار عاما في لفظه فانه من جملة الافانين السياسية التي لا تنضبط بقاعدة ولا تدخل تحت معقول . وما القصد منه لدى مبتكره إلّا التوصل لالحاق الخاص بالعام من الاحباس ضرورة ان الاجنبي مامون الجانب من اخذ ارضه وان كانت معطلة لان من يتولى ذلك هو ادارة الفلاحة وقد وجدت لاجله ولاسعاده ومساعدته والتوفير اليه قبل ان يفد على هذه البلاد . . . . لذلك وجب الجهر بان القصد من القرار المشار له موجه الى الاهلي فقط لعلم المبتكرين انه محروم الاعانة من الادارة الفلاحية ولا حض له فيها غير تحمل وقر الضرائب والقروض وان دعوى اعانته ضرب من الاقوال والوعود

لا جرم اذا قلنا ان السير في هذا السبيل مع الوطني آيل به الى الملاشاة والفقر والفناء لان من يصبح بلا ارض توهن قواه عن التكسب ويفقد الحزم والعزم فيصبح قراره بين الراحلة والرحيل . . . قررت لجنة الاستعمار ذلك القرار الجائر الذي اشرنا اليه في عددنا الماضي بلفظ موجز فكان منه الوقع السيء بين طبقات الشعب باكمله . فتصدت لمعارضته الصحف الوطنية وتظاهرت الامة احتجاجا على ما قرر لدى العميد في هدو وسكون طالبة تغيير امر قد الم ضرره بالجميع

غير ان المحافظة لم تسلك نحو المتظاهرين مسلك يحمد لتسييجها محيط السفارة العامة باعوان الضبط واوقفت شراذم البوليس في راس كل طريق واخصها باب البلاد وزودته بالاوامر الذي ربما تجاوزها في صد المارة وتفريق ما فوق عدد الواحد كلا الى جهة حتى الفتت بذلك من ليس له المام بالموضوع شان الغير المتبصر يسيء الى نفسه من حيث اراد المنفعة . وإلّا يارعاك الله اي موجب لاقامة تلك الاعوان الذين يربو عددهم على المتظاهرين واي شيء جرى غير الامور العادية تقريبا . ولولا اميال الامة نحو العميد الجديد ما رايت من يجعل شطر وجهه السفارة في كل ملمة تلم به وحادث من هذا القبيل . . . . .

فعسى المحافظة ان تنتبه لمعاتبة ضميرها فيما ارتكبته وافرط فيه اعوانها من الاساءة وان لا تعود

وصفوة القول في الموضوع هو راجع الى افصاح العميد لوفد المتظاهرين وتاكيده لارباب الصحف الوطنية الذين دعاهم اليه للغرض نفسه

والذي يوخذ من قرائن الاحوال ومعاني الاقوال ميل المقيم الى انصاف الامة في طلبها غير ان في حواشيه ودائرته من يعزى اليه ابتكار هذا المشروع الغريب لا زال مصرا على استحسان ما صنع وانما الغرض منه لم يكن واضحا لدى العموم لاشتمال ذلك التقرير على مقدمات واشكال تنتج النفع العام (في زعمه) السقيم

وكأني بالمشار له مرت على نظره ما جرى لاحباس الجزائر واملاك القبائل او نيطت بعهدته وظيف قضوية صلح امدا طويلا فركض في مضمار نسج الاحكام وتحبير الحيثيات وتعميق المقدمات فظن ان كل مشكلة يتيسر اخراجها من ذلك الباب . . . وإلّا اي ارتباط بين المجاعة التي تهدد العالم وفتح باب لاخذ الاحباس الخاصة اولا ان المقرر لم تستهوه الخلابة اللفظية فجعل في طالع تقريره ذلك اللفظ المخيف ثم ختمه بوجوب احياء الارض المعطلة والموات

ولكن لو فتح باصرته لتراءت اليه مئات آلاف الهكتارات من الاراضي الاميرية وما على ملك الشركات الفرنسوية واغلب اراضي المعمرين باقية على حالها من عهد عاد . . . وانه يلزم لاحيائها على تلك المزاعم صرف مليار من النقود ونصف قرن

من الزمن بعمل متواصل لصيرورتها محترث . فاني انا ان نربط بين طالع ذالك التقرير وآخره يا رعاك الله . وخلاصة الكلام ان الذي يوقع الحكومة في غلطات مستمرة مع الشعب في الحقوق هو فقدان المجالس التشريعية في الامة ومباغتتها بالقرارات التي تمليها ادمغة شرهة في زوايا القصور في عصر تضامنت فيه امم العالم على نصرة الحرية وتحرير الشعوب الضعيفة وابادة الظلم والاكراه

إذا فالذي يجدر بذوى الامر في الامة امناحها ما تستحق من الاستشارة والتشريع فلا تباغت بعد في امر حتى تكون على بينة منه ولا تطالب بمغرم إلّا وقد درسته وعلمت العاقبة فيه ولا تعاد الحكومة تسمع إلّا عاطر الثناء بدل اللوم والتنديد . لان الامة اصبحت لا تستغفل ولا تروج عليها الاضاليل ونشر الاباطيل . فالزمان ايقضها والتضايق نبهها فما احرى الحكومة بالمجئ الى الواجب مع من اخلص وانجدها في الشدائد ووقت نزول المحن مشاركة تستوجب المكافات لا الاعنات

ولنختم هذا الفصل بوجوب المحافظة التامة على اقامة الاهلي في ارضه وصد الغارة الاستعمارية عنه وعن اوقافه وفتح باب الاعانة الفعلية اليه

ثم ارغام ادارة الفلاحة على تغيير برنامجها في الاقتصار على اغمار الوافدين بالارض والمال فيصبح الفرد منهم غنيا من يوم وفادته فتنعدم النتيجة المطلوبة منه في احياء الارض وتعميرها فيحول وجهته الى الانجار بتسويغ الارض الشاسعة التي آلت الى تصرفه بطرق تعلمها ادارة الفلاحه غالبا وبالبيع آونة وما بعد العيان بيان

الدستور لتونس

وفد المرسى

عدد ٤٥٧ في ٧ شوال سنة ١٣٣٨

ان يوم الجمعة ثاني عيد الفطر من الايام التي يرجى ان يحفظ لها التاريخ ذكرا جميلا في الامة التونسية مثل ما لكثير من الامم ايام كانت مبدأ لمشاريع الرحمة ببني الانسان . قد املاها علينا استطلاع تقلب الاحوال بالامم حتى تغالت تلك الشعوب

فجعلتها اول حد يرجع اليه في تاريخ حياتها وتركت ما قبله اعتبارا بانه في حيز يقابله الوجود . ففي حدود الساعة الخامسة وربع من ذلك اليوم المتصل بيوم عيد كان الاتصال بين اعضاء الهيأة المنتخبة بالنيابة عن الامة التونسية والاتفاق على تبليغ عريضة طلب الدستور الى الجناب العالي الموقع عليها والممضاة من الآلاف على اختلاف طبقاتهم من الامة . وفعلا توجه ذلك الوفد من العاصمة على سيارات كهربائية متتابعة ووجهتها قصر المرسى المعمور حيث مقام الجناب الملوكي المعظم محمد الناصر باشا باي . وعلى اثر الوصول حف الوفد بلطف الامراء وحاشية التاج واووه من زوايا القصر مقعدا فخيما ريثما يبلغ طلبه الى مولى البلاد . فتعطف في الحال ابقاه الله باجابة المثول . ثم بعد اداء مفروض الولاء بتقبيل راحة الكرم والفضل واستهلال الوفد بالشمس المشرقة تقدم من اعطيت له الرئاسة الا وهو الاستاذ الشيخ الصادق النيفر والقى الخطاب الاتي على الاسماع الشريفة ونصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم

ايها الملك المعظم المحبوب الذي توطدت على مودته الافئدة والقلوب ان معشر هؤلاء النواب عن امتكم المخلصة الذين ترى معظمهم ممضين اسفل هاته العريضة المقدمة لمقامكم الملوكي يؤدون مراسم التهاني بهذا العيد السعيد الذي اشرق هلاله على العالم الاسلامي كله ويطلبون من القدير جل اسمه وتعالت قدرته ان يمدكم بالاعانة بما يعود عليكم وعلى القطر التونسي الذي عهد الله اليكم القيام بشؤونه ومراعاة مصالحه ويعربون من صميم افئدتهم عن متانة تعلقهم بسموكم كما تعلق اسلافهم بعرش الملك الحسيني وعن حرصهم على رسوخ دعائم ملككم السعيد الكفيل بمنح شعبكم المتاهل دستورا يخول الامة تركيب مجلس تشريعي يتكون اعضاؤه بالانتخاب العام الحر مثلما هو جار بالممالك الراقية في العصر الحاضر ويكون كفيلا بحفظ حقوقه الشرعية والعيش الرغيد والهناء المستمر والمسالمة لكل فريق

ومما يقوي رجاءهم ويكسبهم يقينا بانهم سينالون بغيتهم ويظفرون بضالتهم المنشودة ان المقدس المبرور صاحب المآثر الخالدة المشير الثاني سيدنا محمد باشا باي

اباكم الكريم قد منح امته دستورا كان مناسبا لذلك العصر علما منه بانها اهل للقيام بمصالحها ولكم اسوة حسنة بابيكم العزيز (ومن يشابه اباه فما ظلم)

خصوصا وانتم انتم المجسمون من العدالة ومن الذين اشتهروا بالتقوى واتباع اوامر الرب المولى القائل في كتابه المبين لرسوله الصادق الامين صلى الله عليه وءاله اجمعين « وشاورهم في الامر » وممن سار بحديثهم الركبان ولا عجب فانتم انتم فرع تلك الشجرة الدستورية الاثيلة

على ان هذا الشعب الموجود في عصر سيادتكم كان ارقى فكرا واعلى كعبا واوسع علما واشهر صيتا ، فلتطمئن امتكم حينئذ بنيل الوطر وتحقيق الرجاء والظن في الله جميل وهو نعم الكفيل لا رب غيره ولا خير إلّا خيره اهـ

فاجاب صاحب العرش الحسيني المعظم وفده وخطيبه بجمل تنعت بالحكمة في الموضوع وتجيء الى المثل البليغ من ان « كلام الملوك ملوك الكلام » فهتف لفخامته الوفد مدفوعا بجاذبية الاخلاص والامتنان قائلا « ليعش الملك ليحي الامير » ثم اعاد ولاء الوداع تاركا مهجه حول قصر صاحب التاج اطال الله بقاءه

اما العريضة التي قدمها رئيس الوفد الى سمو الامير وكانت مذيلة بالاف من الامضاءات وتناولها الجناب العالي بيده الكريمة فقد كانت موضوعة في سجل احمر بوسطه شارة العلم التونسي مطرزا بالذهب وعليه كلمات « الدستور الى تونس » عام ١٣٣٨

وهذا نص العريضة الجليلة :

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب السمو الملوكي اميرنا المعظم دام عزه وعلاه

جلي لدى سموكم ان نفحات الرشد قد هبت على العالم الذي تجددت معنوياته وصار حق اشتراك الامم في تسيير مئالها ممتلكا لضمير الانسانية قاطبة ، وفعلا فانه بمجرد ما تخلصت الامم من الملحمة الملونة بالدماء الفاتكة بالبشرية قامت واعانت فوزها وعود حريتها وحقوقها باللين او بالقوة حيث لا سبيل لضياعها ولو مع طول الازمان

وتلبية شعبكم لنداء سموكم واصاخته لاستغاثة العالم المتمدن للدفاع عن الحرية والحق والعدل عند ما حاق بها الخطر وبذله ما لديه من رباطة جاش واظهاره

الشعور بالميل لتلك الغاية المعلنة وتعاليه الى ذروة الامم المرفعة وابدى انه يستحق بماضيه الباهر وثقتكم به تأهله لنيل الحرية والحق والعدل بمناصرته اياها وما بذله من المساعدات القوية . ان شعبكم تعام من التجربة التي اشتراها باطهر واكرم دماء ابنائه وشعر شعورا ساميا بالواجبات التي عليه للبشرية المتكافلة وهو جزء منها. لكن مهما كانت عجلت نداء الامم المتحزبه. ومهما كانت اهمية التزاماتنا فاننا لا نستطيع ابدا التفكير في الوفاء بها من غير حرية ولا حقوق

نحن شاعرون بالمطالب المشروعة لنا ، وشاعرون ايضا بفقدان التعادل الذي ادى بنا الى التفريط في تحقيق المثال الذي لنا ولذلك يممت الامة التونسية ساحتكم وانتم اميرها المحبوب ملتمسة من سموكم الاعتراف والاعلان بتلك الحقوق والحريات الكافلة لها وهي تستحقها من عدة وجوه ، وقد وجبت لها في هذه الساعة ساعة استئناف الحركة الاقتصادية والاجتماعية المصلحة لما افسدته الحرب الكبرى .

ان هدو وتسيير امتكم « يا صاحب السمو » وسط الارتجاج الاجتماعي الذي وتر اعصاب الانسانية باسرها لاقوى برهان على استعدادها الربض لاحترام الحالة الشرعية ، وهي مجتمعة الارادة على ان تكون مسيرة مثل ما كان اباؤها من قبل بدستور محرر يعان ويضمن الحقوق والحريات العمومية وفصل السلط عن بعضها واشراك الامة اشراكا تاما من غير ما تفرقة من الاجناس والاديان في حكم البلاد مع مراعاة الواجبات التي علينا في صور المشاركة ، وكما شارك اباؤنا اسلافكم من قبل فاننا نريد ان نشترك معكم ايضا الان .

اما ما يخص الحالة الداخلية فان القيود العمومية الاصلية التي تقررت في العهد الماضي هي بعينها لم تتبدل اليوم ، والالتزامات الدولية التي تعهد بها اسلافكم قد تركت على حدة حق الامة التونسية في تشريع قوانين هيئتها السياسية الداخلية بحرية تامة ، وظاهر بصورة اوضح انها تركت لمشاركتنا السلطة التشريعية السياسية برمتها يستحيل في حق الامة الفرنسوية الديمقراطية حبيبتنا وحليفتنا ان تعطل اليوم ما كانت تحضنا عليه فرنسا الامبراطورية ومعها اروبا قاطبة سنة ١٨٥٩ ـ وتجهر لنا به بتاميل قوي ، ونظرا للحالة الانسانية المجددة ، فاننا نتحقق في صورة قطعية

ان فكرتكم المتسعة والقواعد المقدسة المؤسسة على دعائم الحق العام التي لا تسقط بمقتضى الزمن وارادة والدكم وعمكم المبرورين التي ءالبا عليها الية مغلضة لم تزل حية ماثلة امامنا ، هي دواعي اكيدة تجعل لسموكم وثوقا راسخا بوجوب سماع الصوت المقدس الذي تدعوكم اليه الامة وهو (اعلان الدستور)

الامم والدستور

عدد ٥٨ في ٢٩ صفر سنة ١٣٣٩

من القواعد المقررة باجماع علماء العمران وساسة العالم ان الحكومات ذوات السلطان المطلق المؤسسة على دعائم الاغراض النفسانية والمنقادة بزمام الشخصيات من غير نظر الى الحق في نفسه واعتباره من حيث كونه حقا يجب ان يتبع، لا يستقر لها في عالم الوجود قرار بل يكون هيكلها هدفا للانقلاب والارتجاج وفي ذلك ومن ورائه حلول العناء بالامم التي خلقت حرة وتريد ان تعيش حرة اذ الحرية في نظرها جزء من روحها فتخاطر ابيل ذلك بالتعب والشقاء مستعذبة مشربه كي تجني لنفسها ولنشأتها ثمرة تلك الاتعاب وهي الحياة بحرية

وما هي إلَّا تقييد السلطة المطلقة بقوانين تضمن لها حماية حقوقها وحريتها من غوائل القضاء الفردي والحكم المطلق فلا توخذ كرها ولا تحمل على ما لا تريد

نعم هاته القاعدة تؤيدها الحقيقة ويقررها الواقع فان الامم ما خلقت على ظهر الغبراء إلَّا لتعيش فيها طبق ناموس الانسانية الكاملة والفطرة المفكرة الغريزية اللتان امتاز بهما هذا النوع البشري عن مشاركيه في الجنس عن بقية الفصائل الحيوانية لذلك تراها تجنح بكل قواها الى تطبيق جزئيات هذا الناموس التي لا تخرج عن المساواة في الحقوق والعدالة في الحكم والحرمة الشخصية وإلاف العناصر بربط اوامرها بمعنى الاخاء اذ الكل ابناء اب البشر

وما نزلت الشرائع السماوية إلَّا لتطبيق هذا الناموس الاسنى فقد جاء في السنن

عنه صلى الله عليه وسلم كلكم من آدم وآدم من طين بمعنى لا عبرة بالتفرقة العرضية التي (اولدها) سر التوزيع في اختلاف الالوان بل كلهم تربطهم رابطة الاخوة البشرية (وما احسن الاخوان اذا ما اتحدوا)

ولنضرب لتطبيق هذه القاعدة العمرانية من التاريخ مثلا . فان القديم والحديث منه مملؤ بالانقلابات الحكومية الكبرى التي صارت مبدا لحياة شعوبها من جديد وازاحت عنها غشاوة الاضطهادات واراحت كواهلها من اثقال الاستبداد واعادت لها حريتها المغتصبة وبها اماطت عن وجه الرقي القناع الاسود فامتطت متن العلم وانتهجت السبل القويمة فما لبثت ان حلقت في الجو تطاير العقبان وغاصت في اللجج الدهماء تجاري الحيتان وقربت البعيد واسمعت القاصي صدى النداء بفضل قوة الكهرباء . ولعمري ماكان يتاح لها هذا الشوط الذي جرته في مضمار الرقي لو لم تقطع بمهجتها التي لا تعرف الكلل وبعزمها الذي لا يعتريه الفشل والملل

فالامة الفرنسوية التي رمانا الدهر في احضانها لم تبلغ من التقدم ما عدت به في الصف الاول من الدول العظام التي تدبر بغاية التبصر سياسة العالم وانيط بعهدتها مراقبة وتوطيد مركز السلم العام إلا بعد قطعها لتلك السبل المحفوفة بالمشاق وقس ما لم يقل . فبفضل صدق العزيمة كونت الجمهورية الاولى ولم تلبث ان سقطت ثم اخرى ثم ثالثة التي عدتها الاحرار مبدأ لتاريخ الحرية من جميع الامم . وانعم بها من جمهورية اقيمت على اطلال الاستبداد ونسفت عروشه ونشرت لواء العدل والمساواة فكانت لها شعارا تجنح له افئدة المضطهدين كلما خفق

وصفوة القول وما يتلخص من هذه القاعدة العمرانية العظمى ان الامة لا يتسنى لها التقدم المادي والادبي ما لم تعطى حرية القول والعمل والاستحقاق والاجتماع والمساواة في الحقوق (طبق مبدا الجزاء على قدر الاعمال) وان تشارك في التشريع بان يكون لها نواب بالانتخاب العام يراقبون الحكومة عن مجاريات الاعمال بدقة فاذا سنت قانونا لان تعامل الامة به فيكون نوابها على علم منه بان وافقوا عليه فاذا نفذ فكانما الامة هي التي سنته فلا تعاد تباغت بقانون يسن ويسطر وهي لا تدري وربما تعامل به وتعاقب ببنوده ولا تسمع به ولا يحتج عليها إلا بفصل منه (ان جاهل

القانون لا يعذر بجهله) . وبناء على هذا فان امتنا التونسية التي عرفت من بين الامم جمعاء بالرصانة والثبات والهدو وعدم التزحزح من مركزها الاسمى قد قامت اليوم من غير استثناء تطلب هذا الحق المقدس من حكومة الجمهورية التي كتبت على نفسها امام العالم وسجلته يوم مبدا تاريخ حريتها الامجد انها لا سعي لها في هذا الوجود إلّا لتخليص الامم الضعيفة من ربقة الاستبداد وتحريرها واعطائها حق الحياة الوجودية ، . . . ؟

وهذا الحق الشرعي المطلوب متوقف عليه سعادتها وسرعان تقدمها ليس بالامر الجديد وانما هو مسترجع فاقد كان لها من قبل ثم قضت عليه الظروف بهذا النومة الطويلة والسبات العميق فرات من حاجتها اليه انه جاء الابان بان تقوم بطلب استرجاعه واسراج نوره على انه ليس من الاشياء الكبيرة والامور الخطيرة وما هو (إلّا الدستور) . نعم هو الدستور الذي اشترته فرنسا الجمهورية بثمن غالي والذي اخذت على نفسها توزيعه بغير عوض خدمة للانسانية واشعارا بالواجب المقدس الذي ختمته على شرفها . وبناء على كوننا في كفالتها فنحن اجدر الناس به من امم اخرى قصدتهم وانتدبت اليهم بذلك المقصد المنيف . . . !

كيف لا وقد امتزجت دماء ابناء امتنا بابنائها في الاكام وحذو القلاع النارية والخطوط الجهنمية لصد الجبروت الجرماني عن حياض عاصمة الحرية باريس . فها نحن ننظر بعين الخيال الصادق ان هيكلا تجسم من ذلك الخلط العجيب والمجز الغريب بين ميادين القتال مشيرا الى باريس قائلا يا زهرة العواصم ويام المدنيات الجليلة نحن مخلصوك من القوة الجرمانية فجازينا عن هذا باجابة طلب الامة التونسية واعطائهم حقوقهم الدستورية فانهم شدوا عضدنا ودافعوا معنا بانقطاع واخلاص فجازيهم (فان لكل عمل جزاء) . ان امتنا التونسية قد شعرت بالحاجة الى قانون يحفظها من غوايل حزب الاستعمار الذي ما فتى يسيؤ اليها بلا رادع اذ كل فرد من اولئك مسلح بسلطة قوية فهو شاعر اذا طلب لا يرد طلبه واذا اعتدى لا يعاقب بل يلتمس له عذر ويسخر العملة باجور زهيدة ويستخدم الاحرار المحتاجين لمن يخدمهم واذا رغب ارضا يملكها ولو تسكنها اقوام متعددة لها القرون والسنون

بدعوى الاستثمار والاستعمار ، وقضية الاحباس العامة والخاصة ووادي زرود شاهد ما لهؤلاء من النفوذ المطلق والتصرف المبيد

فالاستعمار ومطامع اهله الشاسعة اذا لم يقيد بقوانين دستورية كما هو جار في الكندا والجنوب الافريقي وغير ذلك من المستعمرات الدستورية يكون ضرره على الامم المحمية او المستعمرة اكثر باضعاف من نفعه واليك ما قاله وشهد به اعظم فلاسفة الفرنسويين قال الفيلسوف الاجتماعي (ديمون ديمان) ردا على برجوا في مذهبه في التكافل ، ان المرء ميال الى استخدام غيره اكثر من مياله الى خدمته وان صرح مسيو برجوا بما يخالف ما ذكر واليك دليلين قريبي العهد ، نا اخذناهما من طريقة الاستعمار عندنا ، الاول ننقله عن استاذ الفلسفة مسيو (لاي) من رسالة نشرها في مجلة الفلسفة العقلية يصف فيها معاملة الاروباويين للاهالي في مستعمراتنا قال ، قد نشر الاستبداد جناحيه في كل ناحية وشملت الاثرة جميع الناس باشد حالتها وصرنا نشاهد ان حكم الشرفاء (بفرانسا) يحيى من جديد في المستعمرات حيث الاروبي هو السيد الامير والوطني هو الخادم الحقير فالامير هو الذي يقضي بين اتباعه بمعنى انه يصادرهم في ماشيتهم ان جاءت لترعى في ارضه او يقدر الغرامة التي تجب عليهم وقد اخذ الخادم حذو المخدومين فما وجد خادم اروبي بين خدام اهليين إلّا رايته القي ما بيده من الات العمل وجعل يصدر الاوامر للاخرين الى ان قال وبالجملة ان عيشة المستعمرات لا تلائم الفضيلة ولا تدعوا الى مكارم الاخلاق

والدليل الثاني ناخذه عن مسيو (لانسان) الطبيعي وقد كان حاكما في التنكين وقضى في المستعمرات زمنا طويلا وله كتاب سماه (مبادي الاستعمار) تكلم فيه عن علائق الاروباويين بالوطنيين ومما جاء فيه قوله « ان اعظم رجل متمدن يصير في المستعمرات كالطفل في معاملة العجماوات فهو يعامل الوطنيين كانهم الات خلقت للالام يعبث بدينهم ولا يوقر ما اعتادوا على توقيره في مجتمعاتهم ولا يعبؤ باملاكهم ولا يتهيب اشخاصهم ولا يقدر لهم حياة ، وليس توحش الاستعمار في هذه الايام باقل من توحشه في غابر الازمان ، ثم ختم كلامه بقوله (يجب وضع حد لهذه المعاملات الفضيعة ان كانت الحكومة تريد ان لا تسيؤ عقبى السياسة الاستعمارية

بسببها) ونحن نرى ايضا انه يجب اقامة حد لتلك التصرفات الشنيعة اه)

ذلك مثال نسوقه لحزب الاستعمار حتى يعلم ما تكتبه فلاسفة امته عن اعماله وحتى انفت نفوسهم سكنى ارض تمثل على مرسح شقائها روايات الظالم ذوات المناظر الموحشة ونددوا على الدولة في اهمال واجباتها بتقييد سلطته المطلقة

فرجاءنا في بلتي وتربدون وبوباك ومن كان على مذهبهم القاسي ان يرجع لكل واحد منهم رشده فيوازرونا على المطالبة بوضع حد لحماية حق الضعيف من القوي ويعدلوا في الاقل عن شن الغارة علينا في طلبنا للدستور وتحويره الى طلب الجلاء وتصحيفه الى العداء ونعت كل مطلب من هذه الامة في اصلاح حالها الى ما لا يخطر على بال . شان من اشرب حب الاثرة وتجرد من الانسانية وخرج من ربقة الجمهوريين . وفي الختام ندعوا الى امتنا بنجاح طلبها ما عززته بالثبات والهدو والرصانة وحسن الثقة بالامة الحامية امة الحرية والانصاف ولن تكل على الطلب اذ لن يضيع حق وراه طالب ولله در من قال

اطلب ولا تضجر من مطلب * فآفة الطالب ان يضجرا
أما ترى الحبل من تكراره * في الصخرة الصماء قد اثر

الانسانيـــة

اضغاث احلام يمكن ان تقع يقظة
حياة الحر والخيال
عدد ٥٧ في ٢٧ رمضان المعظم سنة ١٣٣٨

ضاق ضرعي والكون رحب فسيح ... لم اجد ملجأ به استريح
من خيال ما انفك يدعو يصيح ... ايها الانس ان جفني قريح
باكيا ما تكتموا من ذمامي

ضل صبري وما دريت خطابا صالحا ان يكون مني جوابا
فالتفت الى الانام عتابا ابتغي الحق فاجتنبت عقابا
حال بيني وبين ذاك المرام
غللوني بادهم من حديد قيدوا مقولي بقيد عتيد
قرنوا نظرتي ببطش عنيد وسبوا فكرتي بشر وعيد
وادعوا انني عدو النظام
عشت عيشي وما لقيت حابيا او خليلا اعده لي انيسا
فتحققت كون الحر تعيسا ورايت الخمول ثوبا نفيسا
يمنع الحر من هوان الطغام
لكن النفس قد ابته لباسا وارتضت لي قضاء عيشي اختلاسا
لارتشاف من منهل الموت كاسا حيث اقضي ولا ابقي مساسا
يورث الخزي للنفوس العظام
فارتضيت ما قد رضته واني لكريم بين الهوان وبيني
نفس حر تذود ذا الخزي عني ايها الجبن انأ عني ودعني
اقتفي مبدئي لملك زمامي
فحياتي ليست لنفسي لكن للخيال يهيج في سواكن
لا ابالي اذا لقاني شاك رائما هلكتي اذا قمت شاك
ذل اسري لمن يزيل غرامي
يا خيالا كلفت بالحر مهلا عن كؤس اهديتها لي نهلا
قد فنت قوتي شبابا وكهلا حق للحر ان يرى الموت سهلا
انما الموت راحة المستهام

﴿ منام الحر والخيال والحرب ﴾

قد رجوت من ذا الخيال مناما هادئا لا يكن فيه سقاما
واضطجعت على الاقي مراما فابى ذلك الخيال انتقاما
اذ غدا نصب ناظري في منامي

قائلا ايها السمير تامل فالتفت الى مناظر تذهل
عالم كله صواعق ترسل عن بنيه ونارها تتأصل
اشرف القوم منهمو كاللئام

فلحوم قد شتت في سماء وسماء تغيثها ببلاء
ذا غريق الهوى وذاك بماء واناس تسارعوا لفناء
بدد اللحم منهم كالعظام

وجنان قد اقفرت بعد خصب وظباء تسوقها اليد غصب
هائمات الى مضاجع خطب بقصور تندك من هول كرب
حيث تؤتى من الهوان اللزام

وهواء قد مازجته سموم وحياة قد هددتها هموم
صعب العيش والحياة كلوم غم عني اذ غشيتني غيوم
في غيوم تكونت من كلام

يا له منظر يروع قلبي يبعث العالم التعيس لقلب
فمراء به يروع لبي يدعي انه بريء وربي
عالم سعيه لاسر الكرام

كزعيم الى التمدن يدعو وله في النفوس خسف ووقع
ليس يثنيه عن مطامع شرع دينهم في الفتوح قتل ونطع
يا لها شرعة لمحق الانام

ولكل محالف ونصير همه في الوجود حرب سعير
ليس يرضيه ان يكون امير في بلاد للغير وهو قدير
ان يصيد ابناءها كالحمام

بينما كنت في شهود حضيض تعتريني اوجاع قلب مريض
ضاء بالشرق بارق من وميض فتفاءلت زبدة من مخيض
استلين بها انتفاخ كلامي

﴿ منام الحر والخيال وفكرة ويلسن ﴾

فاشرت الى الخيـال ان ادنو فمضى مسرعا الى البرق يرنو
ثم آب من بعد ذلك يحنو عن فتاة لن تنظرن قط عين
اجملا من كمالها والقوام

فامتثلت نصب الجمال وقلت اسمحي لي ولتأذنيني امت
بسؤال - من انت ؟ يا من كلفت بهواها ولم اكن قبل شبت
هم وجدي بداء بلوى الغرام

فاشارت بلحظها - ما تريد ؟ ثم قالت - والقول منها سديد
« انني والوجدان شيء وحيد قد عشقت القديم وهو جديد »
« ها انا الحق يا قتيل هيامي »

فسجدت للحق خاضع قلب يتجافى عن المضاجع صب
وابتهلت مستجديا خير قرب علني اجتلي غشاوة شعب
كان حظي لديه حظ السوام

فاجابت - هام بادر لتقفو من ورائي خطى بها العيش يرفو
فاندفعت في مجمع بي تحف نخبة تبتغي العوالم تصفو
من كروب وابيض وحسام

﴿ الجلسة الاولى بجمعية الامم ونص خطاب ويلسن ﴾

﴿ الواقع في ٢٥ جانفي سنة ١٩١٩ ﴾

« قام فيلسون فيهم بمقام قائلا قد وهبت اي مرام »
« فهلموا بنا لوضع نظام لازم منه لحفظ الانام »
« من ضحايا الفتوح والازدحام »

« ما لهذا الخلاف كون فينا مشكلاة تعز حلا علينا »
« فمن الحتم سن شرع يقينا فلنبادر لنرضي العالمين »
« بنظام يفضي بنا للسلام »

« رب حل يرضي الانام وحــل   هو من نقـد الناقدين بحـــل »
« فالدواليب قائلات لصقـــل   مع تحوير ما يعن لعقــــل »
« انــه غيــر قابل للــدوام »

« فانخص اجماعنا بمسائـــل   هي هم الجميع قبل المشاكـــل »
« ودعوا الخلف انما الخلف زائل   ما تصدت لـه عزيمة فاضــل »
« ساعيا بالورى لخير مقــام »

« انما انتم حماة عـــوالم   لا حماة لكـل قاس وظــالم »
« فالشعوب في مسلك لا يلائــم   ان تكونوا نواب هاتي المحــاكم »
« ورضى الشعب فوق كل مرام »

« لم تكـن هاته الحروب كمثـل   ما مضى قبلها بنهب وقتــل »
« انما هاتـه اثيـرت لتصـلي   كل نفس برئة ثم تخـلي »
« كل مهد بوابل من ضـرام »

« قد اصابت قلب البرية جمعـا   فغـدت تطلب السلامة سرعى »
« لا تريد مستقبـلا فيـه رجعى   لاحتمـال تلك النوائب طبعا »
« انها ما دعت بفعـل حـرام »

« فمـن الحق فوزهـا بضمان   دائما سرمدا بكـل زمـان »
« لتعيش في نعمـة وأمـــان   ذاك اس اجتماعنـا في اوان »
« هي فيه تذري الدموع الهوامي »

« واذا كانت العهـود تغير   فدوام السلام حتما يقرر »
« فلتضم تلكم العلوم بمحجر   ولتخصص بنافـع عنـه تقصر »
« وليقدهـا التمدن باللجام »

« امريكا لها ولـوع بفكر   ظل يدعـو للاتحـاد بعصر »
« صير الكون جمعه قيـد امر   لا لخوف ولم تصادم بشـر »
« بل لوعظ راته يوم الزحام »

« لم تخض معمعا لنيل استيلاء عن جديد ولا لدفع بلاء »
« بل لترمي بنورها في سماء لاوروبا وآسيا وفضاء »
« صار رقا من جهله في ظلام »

« قد احست بما تالم منه عالم قد تغير فيه كنه »
« فاستعدت لان تسلط عنه حكم عدل من مجمع تراسنه »
« في قضاء ومبحث واحتدام »

« عبثا ان تكن اعدت قواها لتسوي مشاكلا لا تراها »
« غير كرب قد استغر سواها من اروبا وآسيا وحماها »
« نبلها من بلائه المترامي »

« امريكا قامت تريد كفيلا للاناسي ولن تروم بديلا »
« بمرام يكون ذكرا جميلا لبنيها مكتتبا ومقيلا »
« ناطقا خالدا ضمين الدوام »

« فهي قامت تسعى لوحدة انس تضمنن في ان يكون بانس »
« وحدة القلب والهوى لا كامس عمر الخلف منهمو كل رمس »
« وسقاهم مرارة الاصطدام »

« ان هذا التاسيس ليس ابن وقت قد بدى للعقول عن حين بغت »
« كان حتما الى اجابة صوت عادل راسخ متين ونبت »
« لمرام مؤصل لمقام »

« قام في كامل البريئة ناطق ببراهين سابقات لواحق »
« ينصر الحق فلتنله موانق تذرنها في مامن من مئازق »
« تشرئب لورده في اوام »

« الامهان حياة هاتي الخليقة فليكن جمعنا كعين طليقه »
« يسهر الدهر والجفون ارقه يتروى فيما يرى من مضيقه »
« ويداوي رضيعها بالفطام »

« واذا لم نفز بتلك المقاصد يسبح الانس آسفا من ملاحد »

« تصطلي قلبه الكريم المجاهد نار (هم) وخيبة وتحاقد »
« يالها كربة غداة اختتام »

« قد سمعت في زورتي لاروبا صوت موج من الخلائق هب »
راغبا في تاسيس جمع تنبا انه للويلات نعم المخباء
« فلنلب دعاه باحترام »

« ان روح مستقبل الكون ينفس ايدي الشعوب لا الحاكمين »
« فلنجاهد لرغبة الراغبين ولنؤسس لهم نظاما متينا »
« كافلا بالرضا وحفظ السلام »

« امريكا حكومة وشعوب همها ان يزول بغي وحوب »
« رايها واحد أيرمي لغوب عزمها كي ينال منها رسوب »
« تهوين به الى قعر طامي »

« لم تشن غاراتها او تحل ازمة بعد التهادن إلا »
« كي ترى في جمعية الانس عقلا ضابطا للانام فكرا وفعلا »
« هاديا للورى بديع النظام »

« أأهني وجداني المتمادي في غرامي بما احبت بلادي »
« رصفاي ان لم نفز بالمراد اصبح الكون بين قاص وبادي »
« منذ الان يسومنا بالملام »

« نحن نواب امة مستقله حرة في افعالها مستظله »
« بظلال النزاهة في تجله لا نرى غير برها من جبله »
« تولينا رضاها المستدام »

« نحن طوعا لما اتدبنا اليه بامان وحمية نقتنيه »
« بل نقوم به كمعتقديه حيث انا نشاطر الام فيه »
« كيف لا والجروح فينا دوامي »

« جمعنا اس صالح لنشيد صرحه في ضوابط فتؤيد »

« بالتساوي بين المسود وسيد حق حرية الورى وتقيد »
« اسدها من نظامنا بعصامي »
« فمن العدل ان ترى كل امه حرة لا ترى من الفتح غمه »
« تخطب الفخر لا تلاقي ملمه ترمينها من الحروب بازمه »
« لتلاقي في دفعها بالزؤام »
« حق عنا اجتثاث كل مرام باعث بالورى لحرب ضرام »
« تذر الدمع دايما في انسجام من كروب غدت سلاح اللئام »
« قد اطارت من الورى كل هام »
« بل لنمحق قساوة المستبد ولنبدد سلطانها لنودي »
« حق حر الى النهوض مجد مستكين الى القضا والتردي »
« مرغم الانف من عداة طغام »
« يا لقومي الى شعوب نراهم تركوا الانس باكيا من هداهم »
« خادعوه بعلمهم ثم هاهم ملكوه كما يشاء هواهم »
« فاستغاث ولا مغيث يحامي »
« اننا الاملون في ان نهدي روع ذي العادة المهول ونهدي »
« الفها للدفاع عنها ونجدي لبها ما ارتضاه عن خير قصد »
« للتفصي من الهوان اللزام »
« قد راينا في الطارقين رجالا بالطريق لقد اتونا مثالا »
« قد تردوا قواضبا ونصالا امريكا تريد منهم منالا »
« فلنجاهد جهادهم للمرام »
« فلنا بانفرادنا ان نفوزا بافتتاح تلك المعاقل فوزا »
« واذا (هم) غيرنا ان يحوزا معشرا فلنحز معاشر حوز »
« ذي انعطاف وحكمة وذمام »

﴿ الحر والخيال ﴾

« هاهنا اوقف الخطيب كلاما كان بردا على القلوب سلاما »

« فاشرت الى الخيال ابتساما — زال بوسي لما رايت اقتساما »
« ضل في أسر وحدة ووئام »
« ما ترى يا خيال في ذي المبادي اتراها كفيلة بمرادي »
« اتراهم تئامروا للتهادي اترى الكون بين قاص وبادي »
قد تآخى رعاية للسلام
راعني فيك يا خيالي ازورار هل ابدري قبل النمام سرار
هل لذا القول لو بحثنا اندثار لا ارى الجمع يعتريه اندحار
— ذا سراب — اجاب — يبدو لظامي
ذا سراب اجبت ؟ يا لكلومي هل قرات ما في رقيم النجوم ؟
رب هذا الخيال يذكي همومي — خفف الوطأ — قال — هل انت رومي
باعه القس جنة بحطام
(الحر وغادة الحق)
« فالتفت لغادة الحق علي اجتلي الرشد من وميض التجلي »
« فتدلت الي اذ ظل كلي نفحة من فيوض ذاك التدلي »
« ثم اوحت الى شهيد الغرام »
« يا شهيد الغرام تِه بجمالي وتحصن من موبقات الضلال »
« ضل قوم تذرعوا لوصالي برياء لا يرتضيه جلالي »
« وعيوني تفري الريا بسهام »
« لا تراني غشيت ذا الجمع إلّا لاريك النفاق كيف تجلى »
« في رؤوس عنها الرشاد تولى اذ شرتني بمطمع كان غلا »
« في رقاب تطاولت عن رقام »
« لا تراجم شهيد صفي قولي فهو فصل يبان ليس بهزل »
« زخرف القول لا يضلل نبلي عن شهودي ما اضمروه فقل لي »
« ما تراهم ياتون في ذي الانام »
« قد اذاعوا اجتماعهم لسلام وأتلاف ووحدة ووئام »

« ولدى الفعل ظل جم اصطدام حقد هذا يرمي بذا لزؤام »
« بعد ذل ووحشة واقتسام »

« قد اصموا اسماعهم عن ضعيف وتعالوا فلم يروا من شريف »
« واستبدوا اذ امنوا من مخيف ذاده عنهم جلاد اليف »
« لسراب من الوعود الجسام »

« سالم بن حميدة (بشهودي) ما ترى لو وليت قود جنودي »
« هل اراك محافظا عن عهودي ألسلم تقوم حمدا لجود »
« ضل عنك مسترسلا في دوام »

« قلت - يا ربة الجمال ومن لي بمرام لو تشتريه بقتلي »
« قلت بخ لموتة سوف تجلي عن محبيك قيد اسر وذل »
كي اريك اني الهصور المحامي

ما حياتي لولاك روح الفؤاد غير موت في محنة وجلاد
انت روحي وراحتي ومرادي انت اهلي وثروتي وبلادي
انت قوتي وموردي ومدام

فيك احي وفيك اهوى الممات فيك لا في سواك ابغي الحياة
فيك اضحى جميع شملي شتاتا فيك اسعى لان امد الرفاة
بحياة ونعمة وسلام

مذ راتني حماستي في احتدام قالت - اكفف ولا تفض في الكلام
انما انت حالم في منام ان تفق يحجبنك عني لثامي
فلتنم هادئا بفيىء غرامي

﴿ افاقة الحر والاستفتاء في تاويل منامه ﴾

ما سمعت لفظ الافاقة حتى طار نومي وكل ما قد تانى
هام بالفكر في مهايع شتى واستحال بالنون حبر أمت
ليراعي بما حواه نظامي

رب من لي بمن يؤول رؤيا   قد نأت عن ادراك عقلي نأيا
رب مفت مبين لي رأيا   قد هبا حيرتي فيراب ثأيا
يترك الحر في شجى وهيام

ابو النجات (س ٠ ح)

الحالة بالمملكة التونسية (١)

عدد ٦١ في ١٢ ربيع الثاني سنة ١٣٣٩

من الجمل التي اجريت مجرى الامثال بالمعنى لا به وبلفظه هو قولهم (اذا شماتك عواطف كرام قوم ورعاية ذي الشان منهم فما انت بالاسف اذا شاهرك سقط متاعهم وحثالتهم واسمعك من قوله الاحتقار والصغار) حتى قيل انها من الحكم البالغة التي لا يضيق عنها صدر البديع ولا البيان ٠

لذلك ترى البصير بالامور لا يحسب لتلك الشتائم حسابا ولا يراها من نكد الدهر عليه ولا تكرارها، وان فيها ما يرفع التقارب المطلوب ويبعد من جاء بحكم الدهر والزمان الى العيش في جو وفي جوار واجب له الاتصال عن بعضه بعض ٠ ودوس الجميل واغماط الواجب في جانب من قام به وهو غير ذي حول وطول ٠ لان كل تلك القيود في نظر سفلة القوم غير مرعية وان هي اساس العمران والوفاق

وعليه فعملا بالمثل الذي اسلفناه في الذكر ان الواجب على امتنا التونسية ان

(١) ترجمة مقال لجريدة الطان الباريسية كتبته اثر الحوادث التي تجريها الادارة هنا غالبا باسم فرنسا ضد المصلحة الوطنية التونسية اعتمادا على وشايات كاذبة ودسائس ملفقة تتستر بها في اجرا انها الجائرة ٠ كالمسائل التي ذكرتها بعنوان حالة الحصار التي ادامتها نحو من احدى عشرة سنة على المملكة ٠٠٠ وقد علقت على اسناد الاقامة التونسية للمقيم سان امالا في مصادرة ذلك النظام المكدر ٠ولكنه مع الاسف لم يفعل بل زاد الخرق اتساعا والسلوك تعكيرا حتى هذا التاريخ ٠٠٠٠٠

25/12/20

تقابل هزوا ما تسمعه من نغمات التشهير والصاق ما ليس له اثر في الخارج باحرارها وزعمائها والمنادات بوجوب السير بها سير المقدم الجائر باليتيم والمحجور . ما دام مصدرها من امثال تريدون وبلتي وبوياك ومن كان على منهج اولئك الزعانف وعلى طريقهم المحفوف بالمخاوف من كل جائع جاء لهذه البلاد ليسد فراغ بطنه عن عجل وبدون مرعات الوقت الطبيعي لذلك ولا الى الواجب البشري ولا يضع نصب عينيه إلّا التحاقه بالمثرين . وان نكون جميعا في راحة واطمئنان بنفحـات الانصاف التي تصل الينا من احـرار الفرنساويين على لسـان جرائدهم الكبرى كجريدة الطان الغراء لسان الخارجية واحرار البرلمان . لان اخذ هؤلاء بناصر الحق في جانبنا يحتم علينا ان نهـزؤ بلتونزي ومديرها وبيلتي ومعمره وبوياك وترقيـه وان نضرب بنعيقهم وما يضمروه نحونا عرض الجدار

نعم قد شخصت تلك الرصيفة الكبرى حالة الايالة تحت العنوان اعلاه في فصل انطبع فيه ما البلاد تئن منه ولطالما جاء عليه هذا اليراع وغيره في صحفنـا ووددنا تجاوزه الشمال الافريقي مترجما ليرن صداه في اذان المنصفين بهاتيـك الديار حتى خدمتنا الحظوظ بذلك وهكذا الحق لا يعدم انصارا

ولا نشك ان كلا من اولئك الاستشاريين كتريدون او غيره إلّا شارق بريقه عند ما تمر به تلك الحقائق ويعلم منزلتها من نفوس اولئـك الاحرار . وان جريدة لاتونزي فرنسيس لتغص من اقل معنى من معانيها شان اللئيم الذي تضيق منه مجاري التنفس عند ما يسمع الثناء على شيم الكرام . وصفوة القول انه قد احدث ما كتبته الطان سرورا في الامة والى قرائنا خلاصة المعنى منه بانسجام

قالت ان الحكومة الجمهورية قد وهبت المملكة التونسية خير حاكم ألا وهو مسيو سان بصفة مقيم عام لعلمها انهـا في حاجة لذي سلطة تعتورها القوة واللطافة حتى يمكن مع ذينك الوصفين انهاء نظام مكدر حري بالاخناء عليه من زمن بعيد وامد مديد لنمو ضرره وازدياد خطره

لا فائدة حقيقة في انكار الاضطراب الشديد الذي تغلب على العالم الاهلي التونسي منذ وقوع القبض على بعض ذوات وابتداء بعض دعاوي في طي حالة الحصار

وذلك ان ولاة الامور بتونس امروا في خلال الصائفة الاخيرة بالقبض على السيد عبد العزيز الثعالبي ذلك الاهلي التونسي الذي كان ابرز الى عالم المطبوعات بفرنسا في بداية سنة ١٩٢٠ كتابا سماه « تونس المضطهدة » واحالوه على المحكمة الحربية بتونس كما القي القبض ايضا في بداية شهر نوفمبر على اثنين من الاعيان الاهليين وهما السيد محمد الرباحي والسيد صالح بن يحي الجزائري وهناك ثالث من ابناء العائلات الاكثر اعتبارا بتونس وهو السيد فرحات بن عياد فيظهر انه لم يتخلص من هذا المثال إلّا لتمكنه من اثبات كونه من الرعايا الانكليزيين وقد اتهم هؤلاء الثلاثة بالتامر ضد امن الدولة

لا حاجة للتصريح باننا ننتظر نتيجة الدعوى الجارية الان لابداء فكر في اصل القضية نفسها ان الادارة التونسية تقول ان لديها دليلا على مشاركة بعض الشبان التونسيين كالسيد عبد العزيز الثعالبي في دسائس برلين وحقيقة القول اذا صحت بعض الاسرار التي وقعت المكاشفة بها ان الاتيان بهذا الدليل صعب وان الياس من الحصول عليه هو الحاصل في الحقيقة على القاء القبض فجأة في شهر نوفمبر على متهمين أخرين وتوسيع دائرة التفتيش ، وربما لم تكن هذه اول مرة توجهت فيها ادارة حسنة المقاصد الى كشف موامرة فرجعت منها صفر اليدين نعم يمكن ان يكون السيد عبد العزيز الثعالبي قد شارك حقيقة في موامرة بدل ان يكون كما ظنوه اي كائنا ليس لهجوه وقدحه كبير تاثير وفي هذه الصورة تطاطىء جميع الرؤوس طبعا تجاه الحكم الذي يصدر عليه ، غير ان مرمى المسالة يتجاوز من الان حدود تهمة السيد عبد العزيز الثعالبي اذ البحث في معرفة ما اذا كانت امة كاملة ترغم على الرضوخ لنظام استثنائي صعب التحقيق بدعوى ان زيدا او عمرا تمكن من دس دسائس ضد فرنسا

ان المملكة التونسية عائشة منذ سنة ١٩١١ تحت نظام حالة الحصار الذي اعلن بها في ذلك الوقت على اثر حالة حوادث الجلاز ، اما بقاء هذا النظام جاريا مدة الحرب فمعقول واما استمراره الى هذا اليوم فانه محض تعد وظلم مبين اذ لا توجد بكامل افريقيا الشمالية امة اكثر هدوا وسكونا واقل هموما لفرنسا من الامة التونسية التي لم تقتصر على بذل جيش كبير للدفاع الوطني وتكبدت خسائر عظيمة بل لم

تحدث ادنى حادث مكدر في كامل مدة الحرب حتى ولو عند حدوث القلاقل الوقتية بولاية قسنطينة المجاورة لها . ومع ذلك ففي هذا البلاد الهادية تماما والتي لا توجد بها قبيلة واحدة ثائرة او متهيجة قد رات الادارة المحلية من الواجب ان تبقى حالة الحصار بدعوى عدم الموافقة بعد على المعاهدة التركية . اللهم انا لا نرى لزوم اتخاذ هذه الاحتياطات مع التونسيين . وليس هذا كل الامر بل يظهر انهم يضطهدون وينكدون رجالا لا تصدر منهم ادنى اذاية ولا ضرر فقد جاء في بعض الاخبار ان السلطة العسكرية التونسية لا تكترث بشيء حتى طرق العدالة القانونية ومن ذلك انها تجري التفتيش بدون حضور شهود

انا نود ان لا يكون إلّا مجرد ثلب . ومن المحقق لسوء الحظ انه وان امكن بقاء شكوك في سلوك السيد عبد العزيز الثعالبي السياسي قد اوقعوا القبض او ارادوا القاءه بتهمة التامر ضد امن الدولة على اعيان تونسيين كالسيد محمد الرياحي ليست لهم هيأة متامرين . فكانت نتيجة هذا الاعمال ان العالم الاهلي صار يعامل بجفاء وارهاب حقيقيين ولذلك نرى التونسيين الذين تسمح لهم حالتهم المالية بالسفر يطلبون ويحصلون على الجنسية الانكليزية او الايطاليانية للاحتراس من السلطة الفرنسوية

هذه هي السياسة المتبعة بالمملكة التونسية لمجاراة الافكار الاشد تهيجا من حزب المستعمرين وهذه السياسة تقضي على نفسها بنفسها لكن يلزم لتقدير خورها ومضادتها للصواب ان تتذكر الظروف التي نحن فيها الان

قد اختير لاتباع هذه السياسة نفس الوقت الذي اخذت تسلك فيه دول اخرى واقعة على ابواب افريقيا الفرنسوية سياسة حرة فوق الحد ولئن لم تنل مصر قانونها الاساسي الى الان فانه لا يوجد بافريقيا الشمالية مسلم لا يعرف مقدار الحقوق التي سيحصل عليها المصريون . ثم ان ايطاليا لم تقتصر على وعد اهالي طرابلس « بالوطنية » كما قيل بل قد وقعت بنغازي انتخابات النيابة بالبرلمان الطرابلسي ومهما بلغ وهن السلطة الايطاليانية بداخل البلاد فان ايطاليا تظهر لجميع المسلمين في مظهر دولة مخلصة ومحررة للشعوب في حين ان فرنسا تمثل لهم في صورة دولة ارتجاعية وجائرة . فضاعت الفائدة الادبية التي كانت تحصل من مساعي الاصلاح العظيمة المبذولة بالقطر

الجزائري والمملكة التونسية منذ سنة ١٩١٤ وازبات لضروريات وهمية تتعلق بالمحافظة على الراحة حظوة مذهب كان يحقق لفرنسا منح المسلمين التمتع بالحقوق الوطنية الفرنسوية الوحيدة وكان قد استانف بافريقيا الشمالية المشروع الذي كانت قامت به رومة في العصور الغابرة، انهم يجتهدون بغير اختيار ولا ارادة حتى بداخل المملكة التونسية في تصيير الاهالي اضداد لفرنسا والحال ان مصلحتنا الحقة تجاه الترقي الذي اكتسبته الجالية الاجنبية وخصوصا الجالية الايطاليانية توجب علينا محالفة اولئك التونسيين وافراد تلك الطبقة الوسطى التونسية الذين لا بغية لهم إلّا اعتبارنا كحماة طبيعيين وعليه فلا ينبغي ان نلوم إلّا انفسنا اذا لم تبق انظار التونسيين سواء كانوا اغنياء او فقراء شبانا او شيوخا متجهة لفرنسا من راس الدار الى حدود الصحراء

لكن سيظهر للعيان بلا شك انه لا يمكن تجاه الحالة الداخلية والخارجية ان يستمر النظام الحالي القابل للمباحثة في كل زمان بدون ان ينشأ منه خطر

ان الداء متاصل بقدر ما لا يمكن ان يتعافى منه في بضعة اسابيع بل ان الحالة تستدعي سلوك سياسة جديدة تماما على ان الفكر العام يثق اختيارا في سلوك طريقة سياسة جديدة ليس فقط بالمقيم الجديد بل ايضا بمسيو ليق الذي منذ سنين طويلة في مقدمة الذين قاموا باعباء المكافحة لتحرير المسلمين الفرنسويين بصورة معقولة .

قد انتهى ما جاء في زميلتنا الطان الغراء الذي يزيده مرشد الامة بعض ايضاح . ومن تلك الحقائق مسالة الحصار ودحض تهم حزب الاستعمار وبيان ضرر سلوكه المقيم . فيقول ان الاستمرار على نظام حالة الحصار بمستندات واهية مشين لسياسة الحماية اليوم اذ انه نظام لا يقام في اصله إلّا في الامم المشبوهة وفي الاوقات الحرجة كزمن حرب مثلا . وامتنا التونسية ادعى امة كما قالت تلك الرصيفة الى السكون والسلام . وان البرهان على ذلك هو مرور تلك الاوقات العسرة على الحكومة الجمهورية وعدوها القوي الجائر بجفانه وغواصاته يمخر بحرنا ويدنو من شطوطنا واحيانا يلقي بنفسه في الساحل واونة يسمع البلاد من قاصف مفرقعاته ما يذهل الالباب . وذلك من بلاد تبرقة شمالا الى بنقردان جنوبا والامة غير مكترثة منه ومن اعماله بل وتواصل الاعانات الفعلية لحكومتها عن حسن قصد واخلاص ...

ابعد هذا وذاك نغالط الادارة المحلية الواقع وتدعي وجوب بقاء حالة الحصار لمجرد وهم في بعض ذوي النفوذ وغايات . او بسب ما يكتبه هنا ذلك الفريق من ان في البلاد حزبا شابا يبطن بغض الحماية ويعمل ضد ارادتها فاتخذته وسيلة لتسدل بها على وجه تلك الغلطات سترا غير شفاف والحال انها تتحقق ان ليس في البلاد حزب شاب ولا شيخ وانما هناك امة تونسية قامت بواجبها على اكمل حالة فرات انها تستحق على الجميل جميلا فولت بوجهها شطر عاصمة باريس تطلب حقوقا واثقة فى نفسها بان تطالب فتجاب . وهي لا تخرج عما اشارت اليه رصيفتنا الطان وودت لو ان حكومة الجمهورية سبقت غيرها من الحكومات اليه او ما في معناه .

وعندي ان القوة التي نعتوا بها العميد الجديد والشكيمة والعزيمة لا تفسر بغير الاقدام على تنفيذ تلك الرغائب الذي فشل امامها كل اسلافه بسبب الضوضاء التي تحدثها احزاب الاستعمار الذين ناصبوا الامة العدا في شخصها وفي حقوقها وفي كل آن يريد فيه رجل الحماية ان يتبسم للامة التونسية بحق من الحقوق إلّا وتراهم يدسون الدسائس وينصبون المكائد وينادون بوجوب اجراء سياسة الاكراه والضغط والحرمان . ولولا غشاوة حب الاستئثار التي انطمست بها بصائرهم لعلموا انهم بذلك يسيئون الى مبادي الجمهورية ويرفعون محبتها من اعماق القلوب

على ان سياسة الاكراه كما لا يخفى هي ضغط والضغط لا يدوم معه عمران وان طال امده فلا بد من ان تتضايق من شدته النفوس . الا ترى ان البخار في نظر العين كالهباء واذا ضغط محكما يجر الاثقال وان لم يترك له هونا يفكك اجزا الحديد وبمثل ذلك يفعل بالفولاذ . وفي مراجعة اطوار الامم والشعوب ما يغني عن الدليل والبصير بذلك خبير . وفي الختام اننا لممنونون لجريدة الطان وساخرون من جرائد هذا الحزب ومنه ومن شططه وعدائه وشدته مع التصريح بان المأمول منه خلاف ذلك وواثقون بالعميد الجديد ومبتهجون جدا بما علمناه من ان رئيس الوزراء ووزير الخارجية المسيو جورج ليق كان من انصار الذين قالوا بوجوب اعطاء المحتمين بفرنسا ما يعقل من التحرير

ادارة العلوم والمعارف

اغرب ما يسمع (١)

عدد ٦٢ في ٢٦ ربيع الثاني سنة ١٣٣٩

قد اعتاد الكاتب اذا اخذ بيراعه وتوجه لافاضة البحث في موضوع جاش به صدره ان يجعل لمقاله اكليلا يجيء بالفطن الى فهم الغاية منه كبراعة البديعيين او بما يبعث فيه تاهبا واستعدادا لما سيقال بعد كتنزك ذكر مسند البيانيين وما على ذلك الشكل في الضرب والمثال ، ولذلك جعلنا لفصلنا هذا ما يشعر بمراعاة احدى القاعدتين ، وساقف بالقاري الكريم على تلك النتيجة حتى يمكن له ان يرددها قائلا (اعجب ما يسمع واغرب ما يقال) نعم فبينما نحن نشكو سوء سلوك ادارة المعارف معنا دهرا طويلا او جيلا كاملا من تقتير التعليم وضيق نطاقه وعدم ظهور ثمرته فينا في ذلك الامد الطويل الذي ارتقت فيه الامم الى اسمى درجات الرقي وكادت ان تصبح عالمة باسرها وان غير المتعلم فيها في حيز الشذوذ ، حتى امكن لقسيس في البرلمان ان ينعتنا بالامة الامية اخيرا والحال ان العار في ذلك على فرض تسليم دعواه عائدا على رجال دولته ان كان من غير المتعصبين العاقلين .

(١) اصدر مدير المعارف قرارا يقتضي تساوي سائر متوظفي ادارتـه من تونسيين وفرنسويين في مرتباتهم بناء على قاعدة الاتحاد في العمل

فقامت قيامة جرائد حزب الاستعمار ونوابهم بالمجلس الشوري ضد هذا السلوك العادل طالبين ابطاله والقضاء عليه ونعتوه تكرما بانه تقويضا لهيكل الانصاف ... الذي يجب ان يحتفظ عليه كل فرنسي صميم ذي نفوذ وراء البحار تجاه نوايا الارقاء ورغائب العبيد ! ولكن قد نفذ القرار ووقعت التسوية وردت اقوال الاستناريين وانتصر العدل .

مضى ذلك الامد والتعليم على حاله ولم نزل في انتظار نشره وتعميمه بما يوذن باستقبال الامة لعصر باسم تامن معه غوائل الجهل والاهمال . فقد انتظرنا من قبل مديرها الاول الى ان تقضت ايامه المظلمة ثم جاء شرلوتي وسار فينا بسير سلفه المميت ثم جاءنا المدير الحالي فها نحن في رجاء وانتظار

على ان المدير الحالي قد كان لقراره الاخير في خصوص الحاق الوطنيين من متوظفي ادارته بزملائهم الفرنسويين واجراء المساواة بينهم في المرتبات الوقع الحسن في نفوس الامة التونسية واخترقت بشائره اقاصي المملكة وصار سمر السامرين بل اخذوه كعنوان على الشروع في تحقيق اصول الحماية بهذه الديار والعدول عن السير العقيم فينا . اذ ان أساتذة التعليم من الامة على شان عظيم فيها وناهيك بمن اعطوا تربية ابناء المستقبل وانارة عقولهم بالمعارف وهم انفع في تلك الادارة واقدر من غيرهم لعلمهم باللسانين وفهمهم للكلامين فهم من هاته الوجهة اكثر عملا واجزل افادة . ولذلك كانت مساواتهم والعناية بهم عين الامتنان سيما وان نظام ادارة المعارف من اصله موجب لذلك وان حرمانهم الى حتى اليوم ضرب من الاعتساف الذي شكوناه من قبل واضفناه الى شقائنا مع السالفين

قرر مدير المعارف ذلك بعد استشارة الخارجية طبعا وبعث لكل وطني عنده مضمون ذلك القرار مع بيان اصله وتوضيح موجبه ومقدار ما ءال اليه مرتبه من اوائل سنة عشرين فعم السرور جميعهم وتبادلوا الامتنان والثناء له، ضرورة ان المساواة من الصور الجميلة التي تعشق وتهواها النفوس وان لا احل للانسان من ان يرى نفسه مساويا لزميله الذي يعمل عمله في الجزاء حالة كونه يشاركه في مراتب الرقي والقيام بالمطلوب . وصل مضمون ذلك القرار الذي هو بمثابة اليقين فتابطه كل متوظف فارحا مسرورا ينتظر صدور ما يوجب النقد بل والكثير من اولئك قد استهلك غالبه سلما اعتمادا على ذلك الاعتماد . فلم يلبثوا قليلا حتى اعلموا بان الادارة قد سحبت قرارها ورجعت في واجبها فتهامسوا فيما بينهم غير مصدقين ولما رجعوها اجابتهم بصحة ذلك غير انها استاثرت بكتمان الموجب والسبب

ونحن لولا ذكر بعض الصحف الفرنسوية له ما امكن لنا الجزم بوقوعه اذ

لا يمكن حمل امثال هاته الاعمال إلّا على المولى عليهم من الافراد الذين لا يحسنون صنعا ولا يقام للالتزاماتهم وزن . اما الادارات الرسمية الراقية فما سمعنا انها تقرر حقا خاصا ثم تغتصبه من الغد اللهم إلّا في حكومات الوسط الافريقي فانه ليس منها بالامر الغريب .....

ولكتمان الموجب قد ذهبت العقول مذاهب شتى ورجح بعضهم انه كان للمقاومة التي احدثتها صحف الاستعمار والجلبة التي قام بها في المجلس الشوري كل من بلتي واميسة اعداء الوطنيين وطلبا من المعتمد ابطال هذا القرار والرجوع فيه لانه من الجور والظلم مساواة الفرنسويين بالوطنيين ..؟

وقد ذكرت الادبيش تونزيان ذلك عنهم بلا خجل ولا حياء قائلة ان المعتمد السفيري قد اجابهم بامكان تعطيل المانداتات الى ان يقع النظر والامعان فقط ..

وهو جواب عن طلب هو مخالف لنظام المجلس الشوري الذي احتج الكاتب العام بالفصل السابع منه على القسم الاهلي عند ما طلب منه ضد هذا الطلب بانه يمنع خوض الاعضاء في غير الميزان . فانت ترى ان ارباب النفوذ تذهب بالنظام حسب ما تشاء في ءان واحد وان القيود امور صورية يحتج بها على مسلوب الارادة لا غير ..

وعلى كل حال فان كان ذلك هو موجب التعطيل فهو غير وجيه لان مدير المعارف لم يبتكر شيئا جديدا وانما نفذ قرارا كان معطلا ولا استقل بذلك التنفيذ حسب التحقيق . فالى متى وهاته الامة تساير في حقوقها طبق رغايب حزب الاستعمار الجائرة ومطالبه المبيدة . ؟ والى القاري ترجمة ما قالته سافلة الصحف الارتجاعية (لاتونزي فرنسيز) تحت عنوان (صنيع مدير المعارف تجاه الفرنسويين بتونس) ما نصه : ان قضية تسوية المرتبات بين المستخدمين الاهليين وزملائهم الفرنسويين صارت شغلا شاغلا للصحافة العربية اذ ان احدى جرائدها لخصت ما يشعر بتجاوز النفوذ الصادر فيما يقال خفية ... من مدير العلوم الحالي ذلك المتوظف السامي الذي لم يتسبب في اذاية قاعدة النفوذ الفرنساوي ... التي لا زالت محترمة لحد الان بل وكذلك اذاية جوهر العدالة (كذا)

من المعلوم ان بالادارات الاخرى فان الفصل الثاني من الامر الذي قرر

التفرقة من حيث التمييز بين المتوظفين الفرنسويين الذين اتموا موجب الخدمة العسكرية وبين التونسيين الذين هم معفون منها وما ذلك الامر باب للانصاف

ومن المعلوم ايضا ان اعانة الثلاثة والثلاثين في المائة المعبر عنها بمنحة التغريب لا تعطى إلّا للمستخدمين الفرنسويين خاصة

ان مسيو روسي الذي قرر هذا ليكتسب رضى الاشخاص المتشيعين للاهالي والذين هم على جانب من الطيش ولم يخلو من التاثير اخذ من تلقاء نفسه في تخويل المعلمين الاهاليين ابتداء من جويلية ١٩١٩ سواء اتموا او لم يتموا الخدمة العسكرية مرتبات متساوية لمرتبات زملائهم الفرنسويين داخلا فيها الثلاثة والثلاثين في المائة التي صيرها تحت عنوان منحة العمل

فمن حقنا ان نتسال هل هناك اذن سامي ام رخص لرئيس هاته الخدمة بان يستعمل الكرم باموال مطاوني الضرائب مع انه لا يخفى على احد ان في تعميم هاته الاعانة لعموم المعلمين التي لا يمكن منحها إلّا للفرنسويين ومنهم يقضي الحال بفتحه لباب بالميزانية من جديد ، من اين استمد يا ترى هذا النفوذ ؟ وما عسى يكون مصيرنا في حالة ما لو ينسج كل مدير على منوال مدير المعارف !

ثم قال لقد اعترض مسيو بلتني ومسيو اميسه اثناء الجلسة الاخيرة بالمجلس الشوري على تجاوز ذلك النفوذ المزدوج بسياسة العداء لفرنسا. على انه من البديهي ان نفهم ان في سياق المعلمين الفرنسويين والاهليين على سلم واحد من المساواة مع ان قيمة الاخريين منحطة كثيرا في غالب الحالات عن الاولين ما يشعر بانقطاع استخدام مواطنينا فيما بعد ، فان كان هذا قصد مسيو روسي فما عليه إلّا ابدال برنيطته بشاشية لنعرف على الاقل مع من كانت دعوانا

ورجاؤنا ان يقع تدارك الطريقة المتحدث عنها تلك الطريقة الجائرة (كذا) والخرقاء والغير الشرعية والمعلنة بالعداء للوطنية وان يقع زجر مانحها (كذا) الذي وان كان متوظفا ساميا فلم يكن له الحق بان يتبرع بمال المزانية (كذا) وما عليه إلّا ان يجود بماله الخاص ان حبذ ذلك اهـ

ذلك ما يكتبه حزب الاستعمار دهرا طويلا وما يطلبه تريدون وبلتني واميسة

اليوم وقبل اليوم للمحتمين براية الجمهورية . ولا اعلم كيف يفسرون الحماية وما مصداقها عندهم اهل هي اضطهاد وحرمان من منافع بلادهم وتخصيصهم لحمل الضرائب وتسخيرهم في خدمة الفلاحين بثمن زهيد وان لا يشارك الوطني بتساو في الوظايف والوظيف . فان كان ذلك هو المعنى المقصود من الحماية فلا توجد لغة تساعد عليه اصلا او اصطلاحا . والعجب من هؤلاء كيف يتلفظون بتلك الاقوال وهم على يقين من انها مغالطة يلبسون بها على اهل الحل والنفوذ بالفاظ يستعملونها لغرضهم السافل كالدفاع عن النفوذ الفرنساوي وعن مس ارجحيته وتفوقه والاخلال بناموس العدالة والانصاف ....

ولو لم تكن بصائر هؤلاء مظلمة ما امكن لهم التصريح بهذا الخلط والخبط مع ان لا منافاة من اجراء المساواة بين الحامي والمحتمي وبين اشراف نفوذه ومس جوهر العدالة والحق . بل هو معنى الحماية وهو عين الانصاف وواحد اصولها الثلاث

لقد بان ان لهؤلاء معاول يحفرون بها هوة عميقة بين العنصرين المتساكنين اللذين يطلبان العيش بصفاء على السواء ويحملونه كرها ان يلفت بنظره الى بعض الاقطار الاسلامية المتلكة كيف اهلها يشغلون سائر اداراتها ولا يزاحمون في ارضها ولم يسمع ان المشرف عنهم قد ادعى مس نفوذه او ان جوهر العدالة قد خدش من ذلك الصنيع . هذا وقد ختم تريدون فصله بتهكم عن مدير المعارف حيث قال له انه يجب عليه ان يجعل براسه شاشية بدل البرنيطة ليعرف حاله من بين زملائه المديرين قال ذلك وهو يعلم ان الذي يحمل الشاشية في خطوط فردان كان مهابا جدا من العدو العتيد الذي حاول ان يختطف ام العواصم تمدننا ألا وهي باريس حتى انه مهما شاهد ذلك اللون الاحمر إلّا واحجم عن التقدم والاجتياز وتريدون هنا يشكو حظه بان كان قد تجاوز سن التجنيد مسترسلا في اعنات التونسيين ....

الجنـون فنـون (١)

عدد ٦٣ في ١١ جمادى الاولى سنة ١٣٣٩

للجنون حقائق لغوية واصطلاحات عرفية واطلاقات خاصة واستعمالات تقع بحسب الحقيقة و المجاز . ولذلك يقال جن فلان . وجن عليه الليل . وجن . وجان . وجنين . ومجنون . وبه جنة ومفتون . وتائه . ومجذوب الى غير ذلك مما يتحقق معه المثل السائر وهو قولهم (ان الجنون فنون)

والاصل في ذلك كله مس بالعقل وقد يكون مطبق وغير مطبق والاول ما لا يرجى برؤه والذي يصاب به قد يستصحب الاغلال غالبا والغير المطبق قد يستفيق لان العقل منه لم يجرح بل تغشاه مؤثر كالسكر مثلا او ما شاكله من المخدرات فيبقى العقل كامنا داخل ذلك الغشاء الهباء وبتقشعه تقع الافاقة من المغشى عليه ويرجع من غيه بالسداد . . . .

والعقل اجمل ما خلق الله في الانسان وناهيك بانه مناط التكاليف الشرعية التي عليها سعادة العاجلة والاجلة وهو القائد المطلق في الهيكل الانساني فمتى كان سالما كانت حركاته الفعلية والقولية لا تخرج عن دائرة الحكمة ولذلك ينعت صادق القول دائما بالعاقل والمهذار المتقلب بالمختبل والمجنون . . . . . . ؟

وان لهذا المرض العضال حفظنا الله تعالى اسباب غير التي اشرنا اليها انفا ، ويعدون منها ما يسمع عن بعض الاشخاص الخاملين في الذكر من الانتحار محبة

---

(١) وقف فرد كان معروفا بالوطنية في الامة عن غرة منها وقفة مخطرة والق خطابا اداري النسج والتحرير في محيط السفارة بلسانه المستهوى وضميره المرتهن بالمواعيد . لفائدة الادارة الراغبة كل الرغبة وقتئذ في توهين الفكرة الدستورية فكان ما في ذلك المقال الاداري موجبا لتسطير ما في هذا المقال من واضح الحجة وساطع الدليل لدحضه فليراجع بتامل وامعان

منهم في نشر اسمائهم بين الملاء واذاعة ذكرهم في الفضاء وان امبراطور الصحراء لا يبعد فعلا من اولئك ايضا حيث اندفع وراء تيار الخيال الذي صور له لذائذ الالقاب والمراتب واحلام الحكم ولم تزل دائرة الطمع تتوسع امام نظره وكلما مد يده لم يجد شيئا واخيرا اقتنع بان ينعت في الجمهور بلقب ضخم كالامبراطور واختار لعاصمة ملكه الصحراء ولعرشه هضاب الغبراء وخير الاتباع له اليعافير والوحوش...

ولا يبعد ان يكون فقد الحياء من تلك الاسباب ايضا حيث جاء في الاثر « دع الحياء وافعل ما شئت » يعني وقل ما شئت

فيتمحض ان الحياء من المدلولات العقلية التي ان فقدها الشخص تطرح اقواله ولا تزكى افعاله فيصبح منعوتا بمسلوب العقل وفاقد الادراك بين ذوي المدارك والشعور . لذلك ربما يرد على الضمير سؤال منه هل ان ذلك الشخص الذي تزعم من تلقاء نفسه على الجنود التونسية المحترمة خطابا القاه بالسفارة على مسامع السفير فكان كالحطب على الامة التونسية وتخاطفته صحف الاستثار التي من شانها شن الغارة على الوطنيين كلما سنحت فرصة او اتيح سبب . هل به جنة ام اعتراه من اسبابها سبب ام هو من العاقلين ؟

ولاجل تاكيد وقوعه وان صدور ذوي الالباب لتجش به قد وجبت الافاضة في الموضوع حتى يتسنى اجلاس المسئول عنه في مقامه لغير المتبصر والخبير

اقول قد عرف المشار له في بادي امره بالحر المتطرف حتى اضطر بذكره ودعواه الى معانقة الاشتراكية معانقة فعلية وزاد على ذلك ان جعل متكئا له جمعية حقوق الرجل واخذ ينشر في صحف ذلك الحزب ما اوجب له الامتنان كوجوب اجراء العدل والانصاف وبيان ضرر الاطلاق في الحكم وتقبيح الاستثار وتسخير الضعفاء واستفضاع الاستبداد واستنكار الاستعباد ثم اصدر جريدة عربية واتبع فيها النقد على سوء سلوك بعض رجال الحماية الفصول تلو الفصول الى ان صادها قرار المنع والتحجير . ولم يقف عند ذلك بل اردفها بنشرة اخرى ولم تلبث إلّا ان توارت بالحجاب ثم الف رسالة عرفت بالعبد الاسود او الدب الافريقي في خيال من التحرير افرغها ما بباطنه من الغايات ورغما عن الرموز والمغامز فان قصده منها سهل

المنال ، وبها اخذ القناع يرتفع عن مكنوناته وقد ازدادت جلاء بكتابه الاخير الذي هو الحلقة الوسطى من اعماله وبه تم التقلب وحل النقيض حذو النقيض وجاء التضادد والالتواء في السلوك

وكاني بداهية ذلك العهد الكاتب العام روى ادرك ما عليه المشار له وان تلك النشريات لم تكن وطنية ولا مبادي اشتراكية وانما اقلاق في الحكومة عساها ان تلقم فاه بوظيف . فعامله بنقيض المرغوب شان كبار النفوذ الذين اغناهم بعد نظرهم عن اختبار ذوي الارجاف والاكاذيب

ثم بعد اياسه مكث يقلب وجهه نحو كفيه فيقابله الفراغ والهواجس تصورله المناطق الشاسعة التي تظهر لمتخذ الطلاسم حرفة (والعزائم) صنعة فيجد في نيل لبن الاغوال ويكد للحصول على رطل من حرارة المريخ ومثله من شعاع القمر البارد لتلقى الارض عندئذ امامه بسهولة ما بباطنها من الكنوز فيجلس على السعة والثراء

الى ان جاءت الحرب الكبرى وقاربت الانتهاء تطوع في الجند بسعي منه وبوسائط فادخل احدى المدارس الحربية وبعد اشهر خرج منها والتحق بخطوط الحرب ولكن من حسن حظه ان جاء والهدنة على السواء

وبعد حل التجهيز رجع محترما من ذويه واصدقائه الى ان جاء ذلك اليوم الذي صدع فيه بذلك الخطاب الغريب الذي لم نجد له مسوغا غير احدى تلك الاسباب السالفة الذكر في المقال ، وإلّا اي عاقل يا رعاك الله يقف موقف المضادد لشعب كامل في مطالبه واي متبصر يعاكس ما يوده صاحب التاج لرعيته واي مميز يفند ما تطلبه الصحف الوطنية وتترجم به عن رغائب الامة والبلاد واي مدرك ينعت وفد الامة بصريح البهتان في حال ان احرار الجمهورية وانصار العدالة فيها قد اخذوا بناصره وان محيط البرلمان الموقر قد ردد صدى مطالبه وان الصحف الباريزية الكبرى اذاعته بارتياح وامتنان . وعليه فالباسا للموضوع رداء الاغراب الحسي نضع ترجمة ذلك الخطاب نصب اعين القراء بعد ان نستمنحهم عفوا قال :

سيدي الوزير

ان القسم الاسلامي من جمعية رؤساء الاقسام والجنود المحاربين من الايالة

التونسية الذي اتشرف بتقديم مجلس ادارتـه اليكم يقف لديكم رافضا علنـا الوقفة الاثيمة التي ظهرت من بعـض المثيرين المدعين الدفـاع عن مصالح وطننـا والتكلم باسم الشعب التونسي اعني اولئك الذين تحت التتبع العدلي ....

واما نحن رجال الحرب الامناء بالحرب العظمى فلا نسمح لبعض ذوي الافكار المتطرفة الحاق الاستهجان بسمعة التونسي النبيل العاقل واخلاصه السرمدي نحو فرنسا . ان الاغلبية العظيمة من اهالي المملكة رات مع رجاء تحسين حالها ان فرنسا بلاد العدل والمدنية ان تحظيها بمعاضدتها وحمايتها

وحينئذ فان جميع من نوه بشان العلم المثلث يريد في هاته الساعة الاحتجاج عن العمل المشؤم الصادر من اولئك المثيرين الذين سعوا في الاستحواذ على حسن عقيدة بعض الاعيان الفرنسويين الذين آخذ هنا على عاتقي انارة ملتهم لان ما نطلبه نحن المحاربون باخص في تاييد كيان الحماية مع التحسين في حالتنا العمومية وخصوصا الاحترام البات القطعي لاساساتنا الدينية

ان مسالة الاحباس الخاصة الشهيرة هي في الساعة الحاضرة راجعة بالفائدة على المثيرين الذين يعلمون اهمية مركزها بفكر كل مسلم صادق وسعوا في استعمالها على سبيل الحجة لانارة جمهور اخواننا في الدين ضد الحكومة الفرنسوية التي يرمونها بتهمة مخالفة الوعد الناجز . ولكن مساعيهم اللئيمة لا تؤل عليهم بجدوى لان فرنسا امتنعت من الاصغا الى الايعازات المستفاد منها وتعلم انها تاخذ على سبيل الشرف قبل كل امر حماية اساساتنا الدينية في مسالة على لطف بهذا المقدار

والامر الذي نتحقق الاحـراز عليه ايضا من الوطن الذي تالمنـا وحاربنا وانتصرنا له هو الحماية الفعلية المحسنة ضد كل جور يخدش العدل اعني بالاخارة توسيع نطاق مركزنا الاجتمـاعي والاقتصادي والادبي تحت النظام والـرقي في الكفالة الكريمة التي لفرنسا العظمى . وماذا فعل الـذين يتجرؤون اليوم على الجهر بصوتهم بقحة وتكبر ؟

لما اكتسينا في سنة ١٩١٤ بمزيد الافتخار اللباس العسكري الفرنساوي فانهم لاحظونا باعين (مستحقرة) وكلما تلف منا بالمعـارك الحربية لم يكن لهم اقل

تفكر او التفات او حركة تعاضد لفائدتنا وعائلتنا ولم يفكروا قط ان قليلا من تلك الاحباس المحبسة التي في الغالب تتركب من اراضي شاسعة الاطراف موات يمكن ان تصلح بعد استتاب الصلح لمجازاة الشجاعة والشهامة (........) ؟

يوجد اليوم بالمملكة حزبان احدهما من مثيري القلاقل والاخر من التونسيين الحقيقين العقلاء المعتدلين وهذا الاخير يريد ان يكون جمعية لا تنفصم ومنفصلين علنا عن اولئك الـذين اختلسوا اسمنا لتحرير كراس في رغائب سياسة تمس بكيان جوهر الحماية . منا يتركب العدد بالايالة التونسية ولم يكن لنا إلّا فريق قليل من الانداد واذا لم يسمع صوتنا لحد الان فلاننا لم نتشكل هيئة حزبية . وفي الساعة الحالية ادركنا مقدار الخطر وبصفتنا عساكر صادقين نادينا بالانظمام واجاب احبابنا ندانا . وكذا فبمزيد الوثوق بنواب فرنسا الاسلامية دافعنا في مواطن القتال ولفائدتها حاضرون للنزال ايضا فانا راينا من الشرف ان نقدم لجنابكم يا سيدي الوزير ولاء اخلاصنا البحت اعني جنابكم الاجدر صفة لتقدير مركزنا وللاعراب عن مبتغياتنا لدى حكومة الجمهورية اهـ

(مرشد الامة) قد اسلفنا ما يشعر بان الحياء وازع عظيم في الانسان يمنع من ارتكاب الخطل . ويصد صاحبه عن انتهاج مسالك الزلل . ولو ان للخطيب المشار له قليل منه لاختنق من خطابه هذا الـذي كان حشوه الزور والبهتان لا سيما وان الاصداع به كان في حضرة وزير نيط بعهدته اجراء الاصلاح في البلاد . فانه وان عاق وطنه ولم يحترم شعبا كاملا فانعته بالتهييج والنشوز . فلا اقل من ان يهاب ذلك (المقام) بقول الحق فيه واظهر الصدق عنده . اذ ان ارباب النفوذ وحكام الامم تابى ان تستغفل او تغالط او يتقرب اليهم بالاراجيف ... ؟

ومن لا يعترف بان السفير قد انبلجت له الحقائق وعلم ان لا رجة في البلاد ولا مرج ولا احزاب متنافرة ولا جموع متناكرة وانما هناك امة تونسية تطالب حقوقا شرعية صادقة النفع لعموم من يعمر سطح هـذا القطر وقد رفعت للامير وللوزير وللبرلمان وسترفع للسينات والشيوخ وان الكثير قد وعدنا بالنظر وحقق البعض لنا القبول والايجاب . فما هذا الهوس والارجاف يا ترى واي فائدة لهذا الخطيب

المسكين الذي خارت قواه العقلية حتى سقط هذا السقوط السحيق فاعتورته ملالة امرين عظيمين الافتراء على الامة ومغالطة رب السفارة السفير

على انه لو اقتصر على اظهار ولائه واخلاصه واقام البرهان على ذلك بتطوعه في الجيش الذي ليس له في الحقيقة منه إلّا لباسه الجميل لحمدناه لاننا نشاركه في الاخلاص (وان لم نتطوع) ونخالفه في كوننا نرجو على الاخلاص حقوقا وهو قد ادعى مذهب التصوف والفناء فيه بان لا يرجو على الاعمال جزاء ولا شكرا . . ولو جاء لمرغوبه من ذلك السبيل لكان اجمل له وادعى الى قضاء ما يضمره من المآرب والغايات ولكن ما الحيلة وان الجنون انواع وفنون

يقول انه قد نظروا اليه شزرا عند ما تردى بذلك اللباس المهيب ، افلا يسئل من اين له هذا الادعاء اهل شعر به من وجدانه او انه راى على الانظار شزرا . فان كان هذا الاخير فلم لا يحمله على التهيب حيث ان بشخصيته ما يدعو الى ذلك من فضل وانتساب او يفسر الضد بالضد او الخلاف بالنقيض على الاقل . وان كان الاول فاولى له ان يحمله على الهوس والشكوك خير من ان يلصق برجال الجيش اخلاق الكواعب من انهن في كل تطور يظهرن به يردن نظر الاعجاب بهن والسجود

ثم اضف الى تلك المساوي ما اومي به تعريضا بسرات القوم الذين نالهم من جراء المصار مما هو بعض ما يقع على الزعماء في الامم بعد اشراق التحقيقات الحربية على تلك القضية التي اوشكت ان تضاف الى المسائل الملغاة

ثم زد قوله (ان اولئك اختلسوا اسمه ودمه لفائدتهم) والحال ان لا اثر لما يظهر به الشموخ والاعجاب ولم نسمع ان معلقة الجيوش قد اثبتت له ما اثبتته لغير من سامي الخصال . على ان الذين يعنيهم (باولئك) هم في الحقيقة الامة التي لم يثبت انه منها والذي استندت في مطالبها على ابنائها الذين تدشن العنوان على فخرهم بجدار القصبا في ملاء مشهود . وارواحهم مشرقة من العالم الملكوتي تنظر ما فعل باعقابهم وذويهم عن هذا الفداء وباخوانهم الذين تساوو معهم في هاتيك الاعمال

فرحماك اللهم رحماك بمن يرهف بما لا يعرف ولا يزن ما يلفظه ويقوله . لقد اوسعت بعض صحف الاستثار صدرها لخطاب السيد المأسوف على اغتراره ووسمه

المسيو بوباك بانه اي الخطاب (كلمات الجسارة والشرف) كما الحق نسب قائله الجرنال ديتونيس بالعرش والتاج ومصاهرة الامير . غيراني اعجب من مسيو تريدون الى اليوم وهو قابض على شفتيه ولعله ادرك ان الخطاب من الالوان الغير الطبيعية السريعة النسخ والزوال ولو بالهواء والطقوس

نعم وكيف لا يكون ذلك كذلك وقد باضته الادارة الاقتصادية حسب ما علق بالاذهان . غير انه لم يمهل الامد الذي يقتضيه الناموس الطبيعي لاستكمال الخلقة فحاول السرة قبل انه يجيء ديكا فعاجله الفساد قبل الالتئام والتكوين . . . .

ونحن لا نعجب من تلك الادارة كيف جاء بفخاخها ذلك المقتنص المسكين لعلمنا ما لها من طول الباع في فن القنص والتنويم . وناهيك بمن نومت امة كاملة اعواما وشهورا وتركتها تشكر على الاوهام والفراغ

وفي الختام قد سبق انا وعد في غير هذا برفع الستار عن كل ما هنالك وسننجز وعدنا ان شاء الله تعالى ثم اسأله جل شانه ان يكون السيد الخطيب في هذا الباب هو الاول والاخير

وفد الامة [1]

في حضرة العميـــد

عدد ٦٤ في ٢٥ جمادى الاولى سنة ١٣٣٩

جاء في مقدمة الفصل الاول من كتاب تنازع البقاء والتزاحم في المعترك الحيوي ان كل ذي ارادة في الخلق مدفوع الى جاب المنافع له ودفع المضار عنه استبقاء لحياته

---

(1) هذا المقال والفصول الثلاثة التي تليه هي ملاحظات وبحث في بعض فقرات من جواب السفير على خطاب وفد الامة الدستوري المعروف بوفد الاربعين الذي واجه المقيم لاول مرة عند حلوله بتونس بعد مقابلته للوفد الثاني بباريس وعرض المسالة التونسية عليه

التي هي اسمى ما يتهالك في سبيل حفظها ويقتحم من اجلها المخاطر والمشاق. وان لا فرق في ذلك بين ذي العقل وذي التمييز في الحيوان .

وقد يستفاد من النظر ايضا في احوال البشر انه ما من فرد قد اهمل العمل بتلك السنن الكونية إلّا وعاجله الشقاء واغمرته المتاعب والتقمه الاهمال

وهي من القواعد الطبيعية التي لا يتخلف منتجها على كلا الحالين (حفظا او فناء) سنة مكون الاكوان فى خلقه سبحانه وهي قاعدة كما تصدق بالفرد تتحقق في الجميع يعني ايما امة اقعدها الركون ولم تقم بواجب العمل والجد والكد والاخذ باسباب الحصول على مركز يضمن حفظها وتصد به غارات المزاحمين لها في ذلك المحيط الحيوي فانها تموت طبقا لذلك الناموس الكوني الجلي الدليل والبرهان. غير ان اعمار المفرطين في الاسباب تختلف قصرا وطولا بين الافراد والامم مع حالتيه ولكن مهما كان عمر الامة طويلا بالنسبة الى الافراد فلا يكون اكثر من اجيال ثلاث على التحقيق ثم تنتاب باسباب التلف او الاندماج . ولولا خوف الاطالة وضياع المقصود من هاته العجالة لا اطلقنا للبراع عنانه في شرح ذلك الموجب بوجهيه ولذا ارجعناه الى ما نحن بصدده ودل عليه طالع المقال وهو قولنا ان (وفد الامة في حضرة العميد)

نعم لا يجحد انه حصل للامة التونسية ايقاظ وانتباه وسرى في عمومها الشعور بان عاقبة العدول عن المطالبة بحفظ جانبها وتاييد ما ترغب فيه من ايجاد كفالات تحول دون ذلك الحكم العمراني لا تحمد بحال ومن اجل ذلك نهضت للسير في ذلك السبيل الموصل اسوة بامم الارض التي لها حق الحياة في الوجود

واول عمل قامت به على الوجه المحمود بعد ان قدمت (كمربون) على نيل ما تطلبه اخلاصها الفعلي الذي لا تطرق ساحته الشكوك. هو وفدها الدستوري للجناب العالي ثم وفد باريس الاول ثم الثاني ثم وفد السفارة بالامس ولم تزل على عزمها واثقة من المستقبل بالمرام شان من يطالب حقوقا عادلة شرعية من احرار جمهوريين

ففي حدود الساعة الخامسة عشرة مساء من ذلك اليوم التاريخي اقتبل السفير وفد الامة الحر الذي يضم ممثلي طبقات الشعب التونسي ليعرض على انظاره نص ما سبق تقديمه هنا وهناك طبقا للنظامات الادارية وتتميما لموجباته واغتناما

للحظوظ التي اتاح بها الزمان لهذا القطر المحروس باسناد السفارة لمثل هذا الوزير الحكيم . ولدى استوائه في ذلك الصعيد السفيري وكان من انظاره محل الترحاب والوقار اسمعه زعيم الوفد الاستاذ الصافي خطاب الامة الذي يراه القاري مثبتا مع جواب العميد في الصحيفة الثانية من هذا العدد . وبعد القاء الخطاب وسماع الجواب الوزيري مترجما من لسان ترجمان الحكومة التونسية وكاهية القسم الاول السيد محمد سعد الله جدد وفد الامة اعتباره للمقيم السفيري ثم انصرف متفرسا من بوادر اللطف العميدي خيرا ومشيعا من طرفه بالاعتبار

هذا وحيث جاء في جواب العميد ما هو نص في مدلوله وما هو موهم بحسب المدارك والفهوم وكان في حاجة الى مفاعلة فكرية قد تحتم على الافكار تسابقها في ذلك المضمار الذي هو (كالسراط) في السلوك توحيدا للمقاصد ورفعا للتباين والخلاف

قال العميد إن كلمة الدستور التي تعودتم استعمالها ربما يكون تفسيرها بمرادفها الفرنسوي منافيا لاصول الحماية المؤسسة طبق معاهدات وقعت بين سمو الباي والحكومة الجمهورية وذلك لانه يؤدي الى وجود مجلس امة وحكومة مسئولة امامه وهذان الامران يخالفان المعاهدات الموجودة بين الدولتين غير انه ستكون اعمال نائب فرنسا بتونس مرتكزة على الاصول الثلاثة التي تفتخر بها فرنسا وهي (العدالة والحرية والاخاء) اه

فالذي يلاحظ من أن هاته الفقرة التي هي كالجواب على الاهم من مطالبنا الثمانية بداهة لا يجد فيها ما سبقت اليه الظنون . اذ ان التعبير بربما فيه ما فيه من وقوع خلاف المتوقع او حصول المقصود . وكذلك ان المساس الذي اشير اليه هو ايضا من ذلك القبيل . ضرورة أن لا تضادد بين ما تطلبه الامة من اجراء النظام الديمقراطي الذي سبق اجراؤه وعطل موقتا في البلاد وبين العهود السالفة والبنود القديمة او يكون فيه مساسا باشراف الحماية ونفوذها المتين . مع انه ضرب من الترقيات والاصلاحات الذي جاء بها الفصل الاول من عقد المرسى التي يمكن ان يقال انه عناه العميد بانه مانع لما نحن طالبوه والحال انه كباب للنهوض والاخذ باسباب الارتقاء بالامة والبلاد والى القاري نصه ولفظه : (لما كان مراد حضرة الباي المعظم ان يسهل

للحكومة الفرنسوية اتمام حمايتها تكفل باجراء الاصلاحات الادارية والعدلية والمالية التي ترى الحكومة المشار اليها فائدة في اجرائها)

فانت ترى ان نصه تشريع محض في سبيل الرقي وانه لا زال في امر صاحب التاج وان الايجاد والصالح المفيد متوقف على مراد الجمهورية حامية الديار . وانت خبير بان الامة التونسية قد طلبت ضالتها المنشودة من المقامين فبعيد جدا ان تقابل بغير الايجاب . على ان كثيرا من الاقطار التي هي من مشمولات املاك دول عظمى وتحت حمايتها متمتعة بالنظامات الدستورية من عهد بعيد لان الدستور الداخلي في الامم التي في كنف اشراف الغير لا غاية منه غير اجراء المساواة بين المتساكنين وكفالة حقوق المتجاورين ولا يكون بغير مسئولية الادارة وتقييدها الذي هو عنوان على سعادة البلاد وانشودة الامم وحسن احدوثة للمشرفين والحاكمين

ولو لم يكن للامة التونسية رسوخ في معتقدها بان لا تضادد بين ما تطلبه وبين النفوذ الجمهوري لاحجمت عن طلب امر غير جدير بالقبول . ولو كان لمداول اصول الجمهورية الذي اكد المقيم تحقيقه له اثر في الامة لكانت في غنى عن طلب تقييد مطلق النفوذ من اعضاء حكومة البلاد ولكان هو الدستور بعينه وهي في حرز من غوائل الاستبداد

أفمن ينكر ان سلوك ادارة الفلاحة المطلقة التي استحوذت على اخصب الاراضي من الاحباس العامة والاملاك الدولية وغيرها وجعلته تحت طلب الفلاحين الاوروباويين بطريق اقرب الى الهبة منه الى البيع وقيدت ادارة الاحباس عن كل اشهار فيما بقي لديها من كل ما ترغبه تلك الادارة وتطلبه ولو جاءها الف واحد من الامة هم في حاجة الى شبر من ذلك الاديم . هو اطلاق وتصرف مؤذنان بحصر الثروة والنتائج في فريق قليل بالنسبة الى مجموع الامة وان الاستمرار على ذلك ينبئ بصيرورة الشعب الى الفاقة والفقر وانها لحرية بالتقييد

ومن يجحد ان ادارة المعارف واستقلالها بسياسة الامة في تعليمها لا تطعم منها بالعرفان . وان الذي يوخذ على المستقبل دليل هو الاربعون سنة الخالية وعموم الامة على حال تعترف به الادارة نفسها بان لا حقوق ولا هندسة ولا تعليم صناعي

ولا نبوغ في الكمياويات ولا تضلع في الطبيعيات ولا تعليم اولي منتشرا بين العموم ، حتى ان المدرسة الصادقية التي هي خاصة وتصلح ان تكون كلية باوقافها الشاسعة وايراداتها الواسعة قد جذبها ذلك التيار العقيم فاصبح البون بعيدا بين تلامذتها اليوم وقبل اليوم والفطاحل الذين خرجوا منها على عهد التاسيس

ثم اضف الى ذلك العراقيل التي تجعل في سبيل التعليم وخذ عليها دليلا طلب اهالي باجه رخصة فتح مدرسة قرءانية فاجيبوا بالحرمان بدعوى ان المدير الراحل قرر رفض هذا الطلب وقراره في نظر الادارة كآيات في الانجيل

واما ادارة الاشغال العامة الذي تاخذ القسط الاوفر في الميزان وجل القروض التي وقر فائضها محمول على عاتق الامة فان سلوكها مع الوطنيين يظهر في شغفها بالتهالك في صالح المعمرين بحيث انها اذا علمت بفلاح اوباوي في شاهق جبل تسارع له بمد الطريق العمومي وتقيم له الجسور وتمهد له المصاعب فتتبعها ادارة البريد في اسرع وقت وبلا تجديد طلب . وكم من القرى الاهلية والارياف الوطنية محرومون الى حتى اليوم من تلك العناية كأن لا ادارة اشغال في البلاد . كبلاد سليانة التي هي مركز عمل فانها غير ممهدة الطريق حتى انهم يودون ان يسعدوا بفلاح اوروباوي لتشملهم مراحم ادارة الاشغال فينجون من وحل الطريق وعثراته . ثم قس على ذلك بقية الادارات كالعدلية التي تتنازعها السلط وكيف يكون حال المتقاضيين مع فقدان الاستقلال في الحكم والقوانين وان الاصلاح المدخول عليها اخيرا غير كاف بل انه يزيد القضايا تعكيرا لان نواب الحق العام مع كونهم اعاجم عن لغة المحكمة لا دخل لهم في المفاوضات مع القضاة والرؤوساء . واعطف على ذلك حشر السلطة ثلة من الشبان المبتديين لاصالهم الى منصة الحكم تدريبا وتعليما ثم تاهيلا الى النقض والابرام . كل ذلك واقع في زوايا الادارة فهو ضرب من المحال وصنع لا يحمد بحال . واما ادارة المال فسلام عليها ما اسرعها في استصدار الاوامر وسن القرارات وتسخير الاقوات واحتكار المتاجر وتوظيف الضرائب والامة غير مسؤولة إلّا في الامتثال لاداء المطالب وجبيء الضرايب وما يترتب على التقاعس من الخطايا وعلى المخالفات . ثم اعتبار المحاكم لدعاويها كآية من التوراة .

ولم يكن للامة من مشورة غير ما تعرضه في آخر كل دورة في العام على تلك الرؤوس الفارغة من الوطنيين من موازينها دخلا وخرجا وان هم لم يفهموا من ذلك ما يمكن لهم به الحديث حتى انك اذا سالتهم عن السبعين مليونا من هذه السنة . . . . قالوا لك سبعون مليونا وابصارهم شاخصة يعني سبعون مليونا وهكذا هم يتحدثون . ذلك انموذج من سلوك تلك الادارات الذي لا اخال له من منكر وجاحد ولا من عاقل يخلع عليه حالة العدالة والاخاء وهو الذي تشكوه الامة وقد سارت بسببه في ذلك الطريق العادل والسبيل المستنير حالة كونها واثقة من عدالة الجمهوريين الذين انتدبوا من طرف جمعية الامم لقطر شاسع غني باهل بالاسلام لذلك الغرض العظيم

خطاب وفد الامة للعميد (١)

يا جناب الوزير

اني لمتشرف بان اعرض على جنابكم وفدا مؤلفا من الاعيان الممثلين لجميع عناصر الامة التونسية وان اعرب لكم بالنيابة عنهم عن تحيتهم لمقامكم تحية مرفوعة على كاهل الاحترام . ولقد سبقكم يا جناب المقيم صيت دال على انكم رجل الادارة المحنك ونحن نعتقد وحق لنا ان نعتقد ان لجنابكم مع تلك الخصلة الاساسية خصلتين لا تقلان عنها قيمة في رجل يمثل فرنسا بالبلاد التونسية ألا وهما الحرية والعدالة تينك الخصلتان اللتان نتوق اليهما باشد اشتياق

حللتم يا جناب الوزير بهذه البلاد للمرة الاولى فلا شك انكم ستجدون ما حصل فيها من الرقي الاقتصادي عملا جما فان الطرقات الممهدة والسكك الحديدية الممتدة في انحاء البلاد تعد بآلاف الاميال كما انه قد اسست فيها المواني وان التجارة والصناعة وجدتا في ظل الامن انتشارا عظيما ونموا سريعا

(١) هو وفد الاربعين الذي واجه المقيم سان على اثر وصوله واستلامه لخطة السفارة بعد مواجهة وفد الامة الثاني له بالديار الباريسية

ولكن لما تسبرون حقائق الامور لا تلبثون ان تتحققوا ان الامة التونسية لم تنتفع من ذلك الرقي انتفاعا كافيا والسبب في ذلك ان التاسيسات السياسية والاجتماعية لم يضاه سيرها فيما يخص شعبنا سير التاسيسات الاقتصادية

وذلك ان الامة التونسية بعكس المواطنين الفرنسويين لم يكن لها حظ الهيئات النيابية التي يمكنها ان تدافع لدى السلط العمومية عن مصالحها التي ربما الغيت او نسيت بالمرة . فهذه الحالة الناشئة عن نظام عديم المراقبة قد كانت نتيجتها التصرف طبق الشهوات . من ذلك اعلان حالة الحصار بدون لزوم وابقاؤه بلا نهاية والقاء القبض والايقاف لمجرد الاجتهادات الفكرية والنفي بدون بحث ولا صدور حكم الخ فهذه الحالة ماكان يمكن بقاؤها بدون ان تكون خطرا عظيما على رقينا ومستقبلنا

ولذا عزمنا على تلافيها بالدواء الناجع . غير انه لما فاجأتنا الحرب اوقفنا حركتنا عملا بالواجب الاتحادي السامي وحتى لا نعطل حكومة الجمهورية في مجهوداتها التي كانت متجهة نحو الدفاع الوطني

ولقد انتهت تلك الحروب الطاحنة التى اخذنا منها حظا وافرا بانتصار الحق والعدالة على الاستبداد والظلم وقواتهما العمياء

ولذا كان احد اسلافكم المعتبرين وهو السفير مسيو الابتيت لم يتردد في التصريح في بعض خطب الوداع وهو يخاطب الامة التونسية بان البلاد التونسية قد بلغت رشدها واستحقت تحريرها

وعليه فقد استانفنا مجهوداتنا لنيل تحقيق الوعود السابقة فحررنا برنامج اصلاحات مشخصة في الثماني نقط الاتية :

١ مجلس نيابي منتخب بالانتخاب الحر يتركب من التونسيين والفرنسيين
٢ حكومة مسئولة للمجلس المذكور
٣ التفريق بين السلط الثلاث
٤ حريات القول والاجتماع والنشر والبيوت الخ
٥ انتخاب الاعضاء البلديين انتخابا حرا
٦ التساوي في المرتبات

٧ المشاركة التامة في جميع الوظائف

٨ توزيع اراضي ادارة الفلاحة على الفرنسويين والتونسيين بدون ميز او محاباة

وقد كانت هذه النقط الثمانية موضوع عريضتين قدمت احداهما الى اعتاب سمو الحضرة العلية والاخرى الى جناب حكومة الجمهورية

ولقد اقتبل سمو اميرنا بكل حفاوة وفدنا الذي حظى بمقابلته وصرح له بما ينشطه . كما ان اقتبال الحكومة الفرنسوية لم يكن اقل حفاوة فقد وعدتنا بالتامل من مطالبنا بعين الالتفات . ثم ان عنايتكم بالوفد الذي اقتبلتموه بباريس بصورة اثرت فينا احسن تاثير وما تفضلتم بالتصريح به لذلك الوفد مما يسمح لنا بان نؤمل التحقيق العاجل للاصلاحات التي نطلبها

وربما لا حاجة لنا بل لا فائدة في الرد على وشايات اضدادنا المغرضين الذين لما عجزوا عن مناقشتنا في احقية مطالبنا التي لا تقبل المناقشة حاولوا تشويهنا باتهامنا بنوايا عدوانية نحو فرنسا لان معاداة فرنسا نعتبرها شيئا مستحيلا لا يخطر بالضمير

نحن الذين تغذت اذهاننا بالفكرة الفرنسوية وتكلمنا بلسانها واطلعنا على آدابها الجميلة وتاريخها الماجد لا يمكن ان يختلج في صدورنا نحو فرنسا إلّا شعور الامتنان والابتهاج الودادي . تلك هي احساساتنا وانا لنصرح بها علانية بغاية الارتياح

وبهذا التصريح اريد ان اختم كلامي مع تجديد التعبير لكم ايها الوزير عن احترامنا ودعائنا لكم بمناسبة العام الجديد لكم ولعائلتكم بالصحة والعافية وبعظمة فرنسا ورقي تونس وسعادتها

جواب العميد عنه

«كان الامل ان ابارح باريس في ٢٤ من الشهر الفارط ثم لما بلغني وصول الوفد التونسي لهذه المدينة ورغبته في مقابلتي اخرت السفر اسبوعا بالرغم عن اذن الوزارة الخارجية لي بالسفر عاجلا وذلك للتمكن من مقابلة اعضاء الوفد الذي لي الرغبة في قبوله كرغبتي وتشريفي في مقابلة هؤلاء السادة اليوم وانما قلت هذا لنبين لكم الفكرة التي اتيتكم بها . والان اقول اني اتيت وليس لي برنامج مقرر اريد

تنفيذه فقد علمتني الاربعة والعشرون عاما التي قضيتها في الوظـائف الادارية من لا اصـابة إلَّا اذا درس الانسان المشروع الذي يريد اجراءه بنفسه متبـاعدا في ذلك عن الارشادات الخـارجية والايعـازات . وهو ما اريد عمله قبـل البت في المسألة التونسية الحـالية » . ثم شكر الخطيب على ما صرح به من احساسات الامة التونسية نحو فرنسا وقال « اني في هذه الاونة جوابا عن مطـالبكم اصرح لكم بما انوي اجراءه تصريحا لا يبقي لكم ادنى ريب اذ من العـار على نائب فرنسا ان يصرح تصريحا بدون اخلاص فيه لنكون جميعا على علم تام حتى نأمن سوء التفاهم فيمـا يستقبل ثم ان لفظة « الدستور » التي تعودتم استعمالها احاشيكم ان يكون تفسيرها بمرادفهـا الفرنساوي منافيـا لاصول الحماية المؤسسة طبق معاهـدات محترمة بين الحكومتين الملوكية والجمهورية ولذا فلا تعجبوا ان سكت عن وجود مجلس امة بالانتخـاب العام وحكومة مسئولة امامه فهذان الامران ربما يخالفـان المعاهـدات والاتفـاقات الموجودة بين الدولتين غير انه ستكون اعمـال نائب فرنـسا بتونس مرتكزة على الاصول الثلاثة التي تفتخر بهـا فرنسـا الجمهورية وهي : « الحرية والمساواة والاخوة . اما مسألة مطـالبة امتكم للمشاركة في ادارة شئون بلادكم فهي من الممكن وهـذا يكون بواسطة نواب منتخبين بصورة يقع التـأمل فيهـا معكم خصوصا وانه حصل لنا نجاح فيما بدانا به في حجرتي الفلاحة والتجارة واما مسالة التساوي في المرتبات فهناك نصوص تبين ان من نوايا الحكومة فصلها بالوجه المرضي لكم . وسابذل ما يمكنني من الجهد في اتمام ذلك . واما مسـالة الاراضي فان لي عزما راسخا على ايجاد وسيلـة تمكن الاهالي من اقرارهم باراضي الـدولة واخذ نصيبهم منها بعدل وانصاف وتمكينهـم من الوسائل المعينة لهم على تحسين امورهم الفلاحية واخذ حظهـم من الاموال المعينة بالقرض الذي وافق عايه مجلس الامة الفرنـساوي . واما حرية الصحافة فنحن على وفاق فيها ما لم تتجاوز الحدود وتصبح وسيلة لايجاد التباغض بين الاجناس واما المسالة التي تهم الشعب التـونسي في الحال وهي مسالة حالة الحصـار فاني عازم باتفاق مع حكومة الجمهووية على رفعهـا في القريب العاجل ولكن في الساعة التي اختارها »

ثم التفت الى رئيس الوفد وقال « يظهر اني اجبت عن سائر مطالبكم » فذكره الرئيس بمسالة المجالس البلدية فاجابه « انه شملها الجواب عن مسالة الانتخاب » ثم اثنى على الرئيس والحاضرين عن احساساتهم نحو شخصه وعائلته بمناسبة العام الجديد وحقق ان دار فرنسا (السفارة العامة) مفتحة الابواب في كل وقت وحين ثم قال « واني قابل للتفاهم معكم في جميع ما يهمكم وستجدون مني كل الاخلاص والحرية بدون تحيز للاغراض والاهواء والاطماع المغرضة وستقبلون بهذه الدار بصفة احباء » وبعد ترجمة الخطاب التفت المقيم واستدرك ما وقع السهو عنه من المطالب الثمانية وهي مسالة تفريق السلط فقال عنها « انه يرى بعين ملؤها الكدر ما هو واقع فيها هنا من الاختلاط وقد بدىء في اخذ الوسائل اللازمة لفصل السلط عن بعضها خصوصا ما يتعلق بالعدلية وسترون قريبا حكاما لهم استقلال يضمن حقوق المتقاضين

عود على بدء

عدد ٦٥ في ٩ جمادى الثاني سنة ١٣٣٩

جاء في طالع عددنا السالف ما يشعر بان له تاليا لاقتصارنا فيه على موجز من القول حول الاهم من مطالبنا الدستورية في جواب العميد . وذلك نظرا للقاعدة الخطابية من ان النتائج في البحث والملاحظات تفقد ببتر الكلام وبالاقتصار فيه على الاشارة او بالولوج اليه من غير بابه او بلا ترو وانتباه

ولذا لزمنا العود الى ذلك المجال التحريري الحري بالاسهاب واعطائه حق النظر بقدر ما تساعد عليه المدارك ويساعفه الفكر واليراع وناهيك بمن يتصدى لشرح قول ساسة قد اعطوا حق الافاضة والقول الفصل في حاجيات هذا الاقليم الجميل ويفصح عن مراد شعب تتنازعه عوامل التسخير والاهمال

فعسى القاري ان لا يجد مللا من الاطالة اذ ربما اتبعناه بثالث حتى لا تبقى

الذمة مدانة للبيان وحتى نصل الى الغاية من ايجاد التقارب في الغرض والاتيان بحجج الحق والاقناع ، نعم قد اسلفنا في غير هذا ان حكومة الجمهورية اصبحت من امهات الدول المختارة الى تحضين الشعوب وبسط رعايتها على الاقطار لغرض التربية التمدينية والتاهيل الى الحياة الاستقلالية وحكم الذات ، حسب عهود (الامم) وبنودها التي ابتكروها بدعوى الاخذ بيد بني الانسان ونشر السلم على ارجائه وتحرير المستضعفين من قيود الغلبة والاسترقاق ، فانت ترى ان الذي اساغ لهم ذلك البسط او الاحضان وازال عن ذلك المحيط الاهل ظل مالكه القديم المنعت بالظلوم وعندهم هو ذلك الشان الجليل في نفسه والذي اصبح انشودة الامم وبغية الشعوب .... وعليه فكيف لا ينظر فينا بذلك النظر العادل حتى لا نجاب بان عهود امضى عليها نصف جيل وبما تحول دون تلك الاماني الشريفة والمطالب العادلة والحال ان لا تعد إلّا بشرع الاهي غير قابل للنسخ ، واما القيود الوضعية فعلى فرض صحة ذلك الادعاء الذي الحق خلافه لا تكون عثرة في سبيل العدل في الشعب وابقائه مقيدا بها عن النهوض ، بل يجب تغييرها بحسب تطور الامم وتقلب الظروف والاحوال ان كان لذلك الحديث الذي يدور في تلك النوادي الحرة نص في مداوله اللغوي ، وان كان يقصر فهمه على مدارك الاقوياء لانهم واضعوه فلا يحسن ذكره مطردا لانه يوجد كدرا في الافكار وقنوطا في النفوس ...

على ان الحكمة فيما نحن بصدده توذن بانصاف افراد البشر ومساواة بني الانسان ببعضها كما تنبيء بان القوي اذا استعمل قوته في غير ذلك السبيل لن تنال عاقبة فعله المحمدة بحال وان استطال سلطنه نظرا لما يشاهد اليوم فوق سطح المعمورة وفي كل صقع منها من حاضر وباد تهيجا وانتباها .

فجمال الحكم وعمران البلاد وايجاد الراحة وتوسيع الملك وملك القلوب ودوام الرفاهية مقرون بانصاف المستضعفين الذي اصبح ضروري القبول والاجراء لان الحكمة تامر بتوحيد المصلحة وتقاسم المنفعة بين المتساكنين والذي يقول بخلاف ذلك مسلوب التبصر او لا يهمه غير امره ولا حاجة له بالنظر الى المثال .....

ذلك ما نشاهده اليوم عيانا وما يوخذ من اراء العمرانيين والحكماء والذي

نرجو القيام به من عميد الحماية المنعوت بالحكمة وبعد النظر والسداد

هذا ثم قال جنابه على الفقرة الثانية من خطاب الامة ما نصه (اما مسالة مطالبة امتكم للمشاركة في شئون بلادكم فهي من الممكن وهـذا يكون بواسطة نواب منتخبين بصورة يقع التامل فيهـا معكم سيما وانه حصل لنا نجاح فيما بدانا به في حجرتي الفلاحة والتجارة) .....

فالذي يتبادر الى الذهن من هاته الفقرة هو الاعتراف بان الامـة التونسيـة الى اليوم وهي ككمية متصرف فيها وانها لم تشارك في امرها نظرا قط كما هو الواقع . غير اني اسال هل يوجد من ارباب الضمائر الطاهرة والانسانيين الخلص والاحرار الجمهوريين من لا يعترف بشقاوة من كان على هذا المنوال ولو بلغ صاحب الامر فيهم مبلغ الراشـدين في العدل (ولله المثل الاعلا) الذين يروى عنهم انهم قالوا (كيف استعبدتم النـاس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا) وهل لا يعد من ينعتنا بسوء القصد في طلبنا لذلك الحق الشرعي المحرومين منه امدا مديدا انه فاقد العقل جـائر اثيم او ليس من الشائن لسمعة الجمهوريين ان يكـون من لنظرهم من الشعوب وتحت رايتهم من الاقطار الاهلة ملحقا بغير الناطق من الحيوان

ألا ان العقل وان اباح التصرف فيمن يشارك الانسان في الجنس بلا ارادة منه لكنه استقبح تحميله فوق جهده وطاقته ولذلك جاء وجوب الرفق به وتدوين قانون لحمايته من اعتداء الانسان . فكيف والحالة تلك لا تحمد امة لها مجد وعلم ومدنية في التاريخ وقد احسنت الجوار واخلصت فعلا وادت غير واجب اذا قامت تطالب بذلك الحق التائه من حكومة وامة (العدل فيها اصل من اصول هيكلها العظيم ...

ان صريح عبارة المقيم بان مشاركة الامة التونسية في امرها مفقود وسيعمـل الى تحقيقه يفهم منه ضمنا ان تلك الهيات الموجودة كاشجار غير مثمرة يجب قلعها وان يغرس مكانها المثمر والمفيد . كما انه لا ينبغي ان يحمل قولـه من الممكن على غير الواجب واللزوم . اذ الاعتراف بتلك الحـالة لا يخـرج بنا في فهم مراده الى حيز الامكان الصادق بالسلب والايجاب ....

ثم يلاحظ عن قولـه أن الانتخاب جرب فكان ناجحـا وضرب لذلك مثـلا

حجرتي التجارة والفلاحة بانه لو لم يقيده بقوله على صورة يقع فيها التسامل معكم) لكانت هذه الفقرة من خطابه حشوا وسفسطه . ضرورة ان الانتخاب الذي جعله قدوة وتجربة هو ابداع سياسي قد شكوناه من قبل وتفرته الامة ايما تفورا (وكان عكس ما تريد منه السياسة على خط مستقيم في النتائج .....

وحيث لا يعقل ان امة تحمل على انتخاب عدد خاص وحكومة تجعل لنفسها الاختيار في اخذ نصف ذلك العدد ثم تعطي رئاسته لعضو منها ربما كان له الحظ الاوفر في الترجيح . وحقيقة ان العقل يندهش من ظهور تلك التصرفات المولمة اذا لم يدري انها نتيجة الاطلاق في التشريع .

وإلا اي فائدة يارعاك الله في تقرير ايجاد تينيك الحجرتين على ذلك الشكل الغريب لولا ان المطلق قل ان يصادف الحكمة في اعماله بل ويسيء احيانا الى نفسه من حيث اراد نفعها ان لم نقل على الدوام. لان الحجرة التجارية لم يكن لها حق التشريع حتى يخشى معها تقييده وسؤاله عن اعماله و محاسبته عن تصرفاته فاستحقت ذلك التحري الكبير . وقد رايناه في خصوص هاته الجزئية قد اساء في اختياره وترجيحه واخذه هذا وطرحه لذلك بلا فائدة وبلا دليل معقول

كما لا يقال ان لا لوم في ذلك وان الذين اخذوهم من جملة المنتخبين لان ذلك القيد مخل بحرية الافراد وتفقد معه النتيجة المطلوبة ضرورة ان الانتخاب العام حتى في الامم العظيمة قد يكون فيه بعض المتخبين (بالفتح) ما هو تتميم للعدد والنصاب . ولذلك كان ذلك القيد في زعم مشرعه مفيدا لحاجته حتى يمكنه من جعل كل المنتخبين على الميزان

وها هو بالامس قد جاءنا العضو الاستعماري دوفارين احد نواب البرلمان الفرنسي الذي لنظره امم واقطار ومستعمرات وسياسة خارجية مع سائر العالم قد ابان لنا بتصريحاته الاخيرة فوق مائدة حزب الفلاحين انه تتميم للنصاب الانتخابي فقط بذلك الخطاب الذي القاه واساء فيه الى الشعب التونسي بقدر ما احسن اليه زميله المسيو برتو وامثاله من الاحرار . لان المسيو دو فارين ترجم عن فراغه من العلم بسياسة الشعوب والعمران البشري . وغاية امره انه بذلك ادخل على

المستائرين سرورا بان ضرب لهم على وتر يستلذون سماع نغماته سيما انعانه للمتنورين التونسيين بمعاداة فرنسا لانهم من محتد تركماني ثم اوجب مراعاة سكان البوادي والارياف. على معنى الاحسان اليهم كاستخدامهم في الحرث والاطلال الخ . ما قال بصوت جهوري يتقطب منه وجه الانصاف ٠٠٠٠٠

اليس ذلك دليلا جليا على ان الانتخاب يصدق بالغث والسمين ولو كان الشعب في اقصى درجات العرفان ولو كان بدل دوفارين احد الاحرار الذين يشاركونه في ذلك اللقب الخطير . لخطب فيهم وادخل سرورا على الشعب التونسي بخطابه ولا افهم الفلاحين مواطنيه ان استدامة الملك مع ملك القلوب ولا امر الجالية بالتنازل قليلا عن مطامعها الجائرة ولا افهمها ان صالح الجمهورية في الاشتراك في المنفعة والتساوي في ثمرة البلاد . وعليه فلا ينبغي ان يجعل ذلك الانتخاب قدوة وتجربة صالحة إلّا على معنى اهتداء الامة الى صالحها العام وادراكها للفرد الذي تجعل فيه ثقتها. فان تلك التجربة تراءى فيها زمن الاقتراع ما يعلم من حال الشعوب التي اصبح عندها هذا الفن ضروري الادراك

والذي درب اهل هذا القطر على ادراك المصلحة فيه هو التضائق والتزاحم وهضم الجانب منه المشاهد والمحسوس حتى انه في الانتخاب الحجروي كثيرا ما تتحد افراده فيمن تتوفر فيه الكفاءة النادرة لولا ذلك القيد السياسي الذي اذهب بجماله وبمجهود الامة في ذلك السبيل . وانه عند سفوره ودت خلافه ولم تزل تتنفس الصعداء من جراء تلك الاعمال وتحس بثقل ذلك النظام الفلاحي والشوري معا على كاهلها وتروي احاديثهم في نادي الشورى على سبيل المفاكهة والامزاح ❁

كرواية ان النائب الفلاني طلب اصدار امر في تحجير البهائم٠٠٠من دخول البساتين المثمرة والاخر طلب توسيع محيط الحدائق البلدية في بلاده للنزهة ورشها وكنسها ٠٠٠٠ والاخر قال ان القرءان يطابق قرارات ادارة المال العامة ٠٠٠ في وضع الضرائب والاعشار وهذا يطلب طريقا في البر وذلك اقامة قنطرة في البحر الى غير ذلك من احاديث السمر والسهر . وعليه فالمشاركة التي عناها العميد اذا لم تكن طبقا لمطالبنا كانت من قبيل ما اشرنا اليه وقد اصبحت دون القصد بمراحل



وفد الـ[illegible]ارة — هو الوفد الذي واجه المقيم سان اثر رجوعه من الديار الباريسية لاستوضاح ما فعله بالمسالة التونسية . يتركب من السادات : من الشمال الى اليمين . علي القرقوري . احمد السلامي . احمد الصافي . سليمان الجادوي صاحب (مرشد الامة) . حمودة الخماسي . ثم : محمد الجعايبي صاحب (الصواب) . علي كاهية . احمد سلامه . الطيب بن عيسى صاحب (الوزير) . راجح ابراهيم . احمد توفيق المدني . صالح فرحات . محمد الصالح ختاش . الشاذلي المورالي صاحب ([illegible]) [illegible]

ص ٤٧٨

وعن الافادة بشاو بعيد . والذي يرجحه على الوجه المرغوب قيد التفاهم مع الشعب في قوله والشعب لا يرى كفالة لكل المتساكنين غير الدستور

عود على بدء

او

لاحق لسابق

عدد ٦٦ في ٢٣ جمادى الثانية سنة ١٣٣٩

قد وقف بنا البيان في فصلنا المتبوع بهذا حول بعض فقرات من الجواب السفيري عن مطالب الامة من ان الشعب التونسي لا يرى في غير النظام الديمقراطي والحكم الدستوري حياة تستوجب الاطمئنان وبعبارة اخرى بدون اعطائه حق المشاركة في شئونه تشريعا واجراء . على قاعدة يقررها العدل ويرتضيها الانصاف وتزدان بها سياسة الاقوياء بين المستضعفين

ثم اليوم اقول انه قبيح بنخوة الجمهوريين الذين تحت اشراق نفوذهم امة مطاعة وفي كنف حمايتهم قطر عامر ولم يزل الاطلاق الاداري يعمل فيه عمله غير مسئول وسائر بارائه حسب مشتهياته يسعد الخاصة ويشقي من هو في حيز العموم ولا يرى لاصولهم من اثر فيهم على المعنى الحقيقي . في حال ان الاذان قد صمت من سماع ذكرها ولا يكاد يمر بك خطاب ولا قرطاس غير مطرز بتلك الالفاظ الجميلة في الذكر والمدلول . الا وهي التمدن والتمدين والنظام والتنظيم والرقي والارتقاء والاصلاح والاخاء والحرية والعدل والمساواة . حتى اصبحت البلاد تقابل بوجهين جمال وقبح وعدل واجحاف . فالاول يبهرك نوره ويعجبك هندامه والاخر يقابلك بالظلام الحالك واعوجاج المسالك وبشاعة المناظر والوسخ

المتكاثر ، وهو ميز يعترف بفساده كل منصف ولا ينكر انه موجب للتذمر المستمر وان بقدر ما يزداد اعتناء بالخاصة اتساعا يعظم شقاء وضيقا بالاخرين

ثم اذا علمنا وان ساسة النفوذ فينا هم جمهوريون وجاءوا لتنفيذ تلك المبادي العالية وضمائرهم توجب عليهم تحقيقها في القطر وبين سكانه على السواء فماذا نصنع اذا اردنا الجمع بين الحاليين والتوفيق بين المتباينين فانه لا محيص من الالتجاء بحكم الضرورة الى الجزم بان الوسط له تاثير على العواطف والعقول . وإلّا كيف يعقل ان من كان هناك جمهوريا دارا ومنبتا وتعليما ويقولها بملء فيه مفتخرا انه جمهوري الاصول . وهنا ترتفع تلك العواطف النبيلة ويحل محلها السير مع اميال المتغطرسين الذين لا يهمهم غير شانهم وان المساواة عندهم تفسر بحسب الاهواء والاغراض . نعم ذلك شان لا ينبغي ان ينظر فيه بنظر فات ولا يحسن ان يحمل على ما مضى ما هو ءات بل نكله الى المستقبل ونستوثقه بقدر ما نعمل له ونوالي السير في سبيله لان كل من سار على الدرب وصل

ثم اثنى عنان القلم الى ما نحن بصدده من شرح الفقرة الثالثة من جواب العميد وهي (المساواة) التي هي من مشمولات مطالب الامة لمجيئى القول فيها موهما حتى ان جمال ذلك المطلب لم يرتسم في تلك العبارة السفيرية ولا ظهر فيها الظهور المطلوب حيث انه جعل مناط تحقيقه في نصوص يفهم انه يشير بها الى الامر الصادر في ٢٠ مايه سنة ١٩٢٠ المستصدر بعد مطالبة الامة بحق المشاركة في التشريع

وعليه فقبل ان نشرع بتقديم ما لنا من الملاحظات حول تلك النصوص نقدم هنا جملة عمرانية قد جذبها الموضوع لنفسه على كره من اليراع

وهي ان تكوين الحكومة في البشر ضروري الوجود وله سر جليل وهو ايجاد العدل والقسطاس في الناس من تامين السبل ورفع الاعتداء وانصاف الضعيف من القوي الى غير ذلك من الاسباب الكثيرة الموجبة للعمران وسعادة بني الانسان . وان تلك القوة المعنوية التي تتمثل في افراد من الامة قد اقتضت حكمة ذلك التكوين تفاوتهم في الرتب والدرجات اعلا وادنى وبين ذلك اقسام وفروع والكل عوان الدولة واعضاؤها وقوتها العامة

وعليه فاذا كان من اصل واجب الحكومة العدل في الرعية واقامة القسطاس في الناس . اليس من الواجب الاكيد ان تجري المساواة بين اعوانها وطبقات متوظفيها الذين يتحدون في العمل والرتبة والمقدرة والمباشرة والسير المستقيم وان اختلفوا جنسا واتحدوا فيما تقدم من النعوت اذ المدار على الاعمال وان الجزاء نتيجته المعقولة كلا ثم كلا . فان عمل عون المحافظة مثلا سواء كان وطنيا او جمهوريا فما هو إلا الوقوف بساحة من البلاد ساعات ليلية او نهارية يحرس الامن العام ويحمي المارة ويراقب تنفيذ قرارات الادارة ويغدو ويروح . فكيف لا يكون من الانصاف مساواة الوطني بزميله الجمهوري في المرتب والعمل متحدا . ولربما فاق الاول الثاني بمعرفة بعض الاجراءات كاستخراج الخفايا وتتبع مكامن الاشقياء ومضايقة المردة واللصوص ثم معرفته بلغة القوم ومسالك البلاد . ثم خذ اليك قياسا ءاخر وهو واحد من الرؤوساء الوطنيين في القضاء العدلي فانك تراه قد اشتعلت لحيته شيبا وراسه قتيرا واستبدل عوارضه الطبيعية بنظائر صناعية وهو ملازم لمنصة الحكم من نحو ثلث قرن بين مشاق فهم الحجج والمرافعات واتعاب تطبيق القوانين وفهمها وتحرير القضايا وتصدير الاحكام ثم اجعل حوله متوظفا جمهوريا قد استخدم بالامس واعطي لقب (وكيل الحق العام) اليوم بعد ان بلغ سن التقاعد في خدمات اخرى ومعارفه حسب شهاداته العلمية متوسطة وعمله معلوم قد جعلت الادارة الفرق في الجراية في جانب الجمهوري آلافا عشرة في الحول تقريبا وفي الاول آلافا اربعة او دون ذلك بقليل ثم اجعل هذين الضربين موضوعا وبقية الاقسام والفروع والطبقات محمولا يظهر لك الفرق في الجميع .

ثم قل بعد ذلك اليست المبادي الجمهورية تمج هذا التصرف الممقوت وتوجب العمل بخلافه وتجعله مناط الاخوة ومجلبة الثناء والاستدامة على حسن السلوك والنزاهة المطلوبة في الوظيف . لذلك كانت النصوص التي استند لها العميد في جوابه غير مقنعة وما هي إلا اربعة فصول تنافي الغاية المقصودة في مطالب الامة ولا تتحقق المساواة في تطبيقها بحال . وبالاخص الفصل الرابع الذي ينفي امكان قبول التونسيين في الوظائف العليا ولو بلغ الواحد فيهم مدارك افلاطون او بطش نابليون . وكذلك الفقرة

الاولى من الفصل الثاني منه وان هي صريحة في اجراء المساواة في الوظائف المشتركة بعد القيام بالخدمة العسكرية لكنها اوجبت استثناء ثلث المرتب الخاص بالجمهوري المعبر عنه بمنحة التغريب او الغربة، ثم ضف الى ذلك الفقرة الاخيرة منه فانها قد خصصت الجمهوري بمنحتين لا ينالهم الوطني ولو اجاد في جذديته ونبغ في امتحاناته، لسر لا يعلم كنهه إلّا ادارة المال العامة التي لها الباع الطويل في اسنان القوانين.

وبما تقدم قد اتضح قصور تلك النصوص عن المراد منها شان المصادر الفردية الملازم لها غالبا عند الوضع مراعاة المضمرات في النفوس ......

ثم هنا يجمل بنا ان نسال اذا كان من الانصاف تخصيص الفرنسوي بثلث المرتب لغربته فما بال الوطني لم تراعى غربته في القيام بالخدمة العسكرية المطلوب بها في بلاده حسب المعاهدات الاحتلالية اذا قام بها في الشرق والغرب في تاييد النفوذ الجمهوري وبسطه وفي سبيل التمدن المدعى نشره . ذلك سؤال جاش به الصدر ورشح به القلم فهل من منصف يجيبنا عنه ويقول ان من كانت تلك اعماله وخصاله فهو الحري بكل مساواة فعلية واكرام وتكريم ......؟

هذا وان ما جاء في جواب العميد مما يحملنا على الوثوق بالحكومة وحسن مقاصدها ونواياها هو جدير بالقبول ولكن ذلك لا يجعل الامة واثقة من تلك النوايا ما لم يكن بينهما قانون قد اشتركا في سنه وسطوته فوق الجميع .

لان مسالة ادارة المعارف مع متوظفيها الوطنيين التي لم يسمع بمثلها لاكبر برهان على ان نوايا الحكومة الحسنة قد تستبدل من ءان لاخر بل وتصد عن فعل ما هو الواجب والسداد ما لم تكن مسئولة لمقدس مسنون .

كنا نعلم ان مدير المعارف لم يفعل إلّا واجبه الجمهوري وقيامه بتنفيذ عمل معطل قد اقتضاه برنامج ادارته من اصل وضعه بعد ان استاذن فيه طبعا، وانه اعتبر كشروق صبح المساواة بين المتكافئين رغم ان عدد الوطنيين من متوظفي تلك الادارة هو عشر زملائهم الفرنسيين فقط . وبينما هم في انتظار اتمام ذلك إلّا وعاصفة قامت من متطرفي حزب الاستئثار مرسلة صواعقها على مدير المعارف ومقبحة ذلك الصنع وفي مقدمتهم اوميسة وبلني وتريدون في جريدته « لانونزي

فرانسيز » التي سلكت مع مدير العلوم طريق التهور والتحقير الى ان قالت في جانبه على معنى التهكم والاستهزاء ما معناه « فجدير بمدير العلوم والمعارف ان يستبدل قلنصوته بشاشية حمراء حتى يعلم حاله بين الفرنسويين ثم قالت اذا اراد الاحسان الى الاهالي فما عليه الا ان يجود عليهم من ماله الخاص وان محاولته لاجراء المساواة بين متوظفي ادارته الفرنسويين والاهالي لجور يأباه العدل والانصاف » الى غير ذلك من البهتان والهذيان . وفعلا توقف ذلك السعي الانصافي المحض تحت تلك التاثيرات الاستئثارية عن التنفيذ الى حد هذا النهار .

لهذا وذاك كانت تلك المقاصد التي تستوثقها الامة هو النظام المحترم الذي يجعل حدا لتاثير هاتيك الهجمات المخجلة المفجعة ويوقفها عند الحد المعقول .

ثم هل من سائل يسال ما هو الذي يحقق تلك النوايا المثمرة ويضمنها على الوجه المرغوب فاقول له مجيبا فلا وشرفك لا يكون غير الدستور .

خاتمة البحث والبيان

عن

جواب العميد سان

بقي من المسائل التي شملها الجواب السفيري في مطالب الامة ولم يغمرها بحثنا السابق نقط ثلاث وهي « مسالة الاراضي . وحرية الصحف . وتفريق السلط » ونظرا لاهمية الجميع فقد عولنا على افراد الاخير منها في غير هذا ببحث مستقل وبيان مستفيض ثم الى القاري اليوم ما تجود به المدارك في مسالتي الارض وحرية الصحف فاقول وبه نستعين .

ان اقدم الصناعات التي اهتدا اليها البشر لعيشه وحياته وحفظ نوعه لاول ما وجد في فضاء هذا الوجود هي الفلاحة التي هي خدمة الارض وحرثها وازدراعها

واستثمار شجرها وحفظ نباتها وتربية الحيوانات فيها وانها المرتزق الاعظم لبني الانسان الحاضر منهم والباد ولا سيما الاخير فان الارض هي المستقر والمرتزق له ولابله وبقره وغنمه . ومن لم تكن له ارض يملكها فكمن لا مأوى له ولا مقر ومن حالته تلك فخادم لغيره طبعا الى ان يفقد القوة على العمل والقدرة على الاستخدام فعندئذ يصبح عالة على التكفف والسؤال .

ولذلك كان من الحكمة ما يؤثر عن فقيد الوطن استاذنا البشير صفر رحمه الله تعالى من انه قال في خطاب له يوم الاحتفال بوضع الحجر الاول من تكية العواجز والفقراء بحضور رئيس الجمهورية لوبي ما معناه : « ان هذا المثال الهندسي الذي نصب لاقامة هذا الملجأ باسم الفقراء لا يفي بالغرض المطلوب لضيقه وقلة مرافقه وجدير بان يكون اضعاف هذا المقدار لان المستقبل مؤذن بكثرة الفقراء لسوء سلوك ادارة الاستعمار وتهافتها على الاستئثار باخصب اراضي البلاد وان غفلتها عن الوطنيين سيلقي بهم الى احضان الفقر والحاجة الى التكايا الواسعة الزوايا والكثيرة المرافق والبيوت » وهي من الحكم التي يؤيدها الواقع ويشهد بها العيان »

كيف وقد ثبت بالاحصاء التقريبي ان من اراضي المملكة ما يربو عن الستة ملايين هكتارا من الارض في تملك الدولة وان المحترث من ذلك المقدار الجسيم في تصرف ادارة الفلاحة بلا منازع ولا سائل يسالها عن ذلك التصرف ولا رقيب يحاسبها عن اعمالها فيه ولا وازع يصدها عن اعوجاج السلوك . مع ما استأثرت به من الاحباس العامة وما اشترته من الاملاك الخاصة كارض العلم القيروانية والنفيضة وغيرها حتى اصبح ما بقي من التراب اذا وزع على افراد الامة فلا يتجاوز احدهم الهكتار ولو مع اضافة القاحل والرمال .

كل ذلك كان من نتيجة الاطلاق الذي به امكن لادارة الفلاحة استصدار الاوامر حسبما تشاء وكيف ما تريد لجبر سواها على الامتثال وقائلة حسبي ما بيد من الاوامر والقرارات وحسبكم العمل بالصريح منهم وبالمفهوم

وقد قيدت ادارة الاوقاف بذلك تقييدا محكما على ان لا تسوغ او تنزل ارضا لوطني او قطعة تراب ذات اعتبار بطريق الاشهار . ولمصلحة الاستعمار فيها غرض

او لادارة الفلاحة فيها طاب ولو تناول الثريا بيده واقام الف دليل على فقره لذلك واحتياجه الاكيد . ومن بعض ذلك الاراضي الحبسية التي حول تستور فانها قد الت الى بضع فلاحين فرنسويين بالطريقة الانفة الذكر حتى اصبحت القرية مطوقة بتراب غير اهلها وان الحذر الحذر من وطيء ذلك التراب المقدس بالنعل او برعي الدجاج

وقد اخبرنا احد سكان ذلك البلد انه كرر طلبه للاوقاف في انزال قطعة ارض تناسبه ولو بارفع ثمن فاجيب بان لادارة الفلاحة غرض فيها وان جواب ادارة الاوقاف المتضمن للرفض لا زال بقيد الحياة منظورا اليه بنظر الاستغراب .

ثم ضف الى ذلك ما وقع باملاك الدولة بخلافة بوعرادة وكيف امكن اجلاء الاف من العربان الذين طال استقرارهم بتلك الاراضي حتى اشادوا المباني والادوار وغرسوا الكروم والاشجار خلف عن سلف وما صنعت معهم الادارة الفلاحية في استبدالها لذلك العدد العديد بعشرات من الفلاحين . ولو انها ابقت عددا يسيرا قد هالها وجود دياره ومدافن اسلافه واثاره ولكنها قد ضيقت عليه بان تركت له من المائتي هكتار مثلا عشرة هكتارات . ثم ابدعت ضربا آخر في التسويغ لخصوص الاهلي فانها لا تسوغ له لاكثر من ثلاث سنوات حتى ان الفلاح الوطني لا يجد في نفسه نشاطا على احياء الموات من الارض واعطائه لها حق العناية في الاستخدام لقلة وثوقه على البقاء فيها وخوفا من انه يوما ما يزحزح منها الى قمم الجبال . ولو اردنا ان نحصي المسائل التي كانت من هذا القبيل لاخجلنا ادارة الفلاحة ان كان مديرها جمهوري المبادي او الاحساس . اذا فمن لا يستبعد وجود عاقل يعلم ما عليه تلك الادارة من البرنامج والتصرف ولا ينكر عليها سلوكها المخجل مع ابناء البلاد ولا يعترف بان الاستمرار على ذلك موجب لتحقيق الحكمة (البشيرية) الانفة الذكر في المقال . ثم يزداد اعجابا اذا شهد عيانا وانها بابا لثراء فريق المعمرين بكيفية مدهشة حتى ان الفرد منهم اذا وطيء التراب الافريقي كانما كنوز قارون تنفتح امامه من ذلك السخاء الحاتمي الذي تلاقيه به تلك الادارة مما اوجدت له من الاطيان البديعة والمساعدات السريعة صبابة بشانه وشغفا متزائدا في الاهتمام به والاعراض عمن سواه . ثم ومن العجيب ايضا ان ذلك السخاء قد شمل غير

الجمهوريين من النازحين . . . ذلك بعض ما حمل الامة التونسية الكريمة على تقديم العرائض في طلب الدستور الذي يقيد ذلك الاطلاق المخيف ويكفل العدالة ويحقق للمتساكنين اجراء المساواة . على ان ادارة الفلاحة لا تقدر ان تنكر علينا قولنا هذا سيما وقد جاء مصدقا له قول العميد في جوابه الذي نصه « ان له عزما راسخا على ايجاد وسيلة تمكن الاهالي من اقرارهم باراضي الدولة واخذ نصيبهم منها بعدل وانصاف مع الوسائل المعينة لهم على تحسين فلاحتهم ونصيبهم من القرض »

فهو نص صريح في ان الوسلية التي تخول الوطنيين ذلك الحق كانت قبل اليوم في طي العدم وانهم ككمية مهملة تحت رحمة الاستعمار الذي بعض فعله معهم هو ما اسلفناه وعنايته بالفلاحة الاهلية يفسر بما قررناه وهل في الاستمرار على ذلك من شك في المئال الى الفقر والاضمحلال .

هذا ولعل الوسيلة التي عناها السفير لا تكون غير النظام الدمقراطي الذي تشارك الامة في اسنانه والذي هو السياج الوحيد لايقاف ذلك الاجحاف الاداري واجباره على العدول عنه . لان الوسيلة ان لم تكن على الوجه المرضي فيمكن ايجادها اليوم والغائها في الغد او تكون بمثل ما قررته ادارة الفلاحة اخيرا من اعطاء الاهالي بعض الاراضي السقيمة الاعتبار في الجهة الجنوبية قد فضلت او اباها الفلاحون الاحرار ولم يرتضوها او القصد من ذلك تذرية الرماد في العيون . . .

ثم اني لا اخال ان ادارة الاستعمار يدور في خلدها مغالطتنا بان الفلاحة الاهلية لها ادارة خاصة بديعة الشكل والهندام وهي ادارة المصالح الاقتصادية الاهلية وقد تفوقها بمجلتها الفلاحية المشحونة بالفوائد والنصائح والمطرزة بالاحاديث الكريمة « كاشبع الارض عملا تشبعك خبزا » و « اطلب الرزق من خبايا الارض » مع ارشادات هامة لزرع الخضر وغرس الزياتين وحرث الارض والاعتناء بها ومداواة الحيوانات من المرض وتبخير الشجر المثمر وتلقيحه . مع ما لذلك المدبر الحازم من اقتحام مشاق السفر والقاء الخطب على الجموع الحاشدة امامه في النصح والارشاد الى غير ذلك من الحديث الذي مجته المسامع والقيل والقال في الحل والترحال

فعلى تسليم ان ادارة الفلاحة تزعم ذلك وتعتقد انه مقنع لنا (ولو هو سفسطة واضحة) فتجاب بانه كان حقيقة من اكبر العوامل على الانتباه

ضرورة ان زرع البقول تعرفه الامة من عهد قديم وان تلقيح الشجر المثمر توارثه البشر عن الجد الثاني عند اخذه في السفينة من كل زوجين اثنين وان غرس الزيتون قد انتشر بلا تلك الوصايات وانه معلوم من عصر مشيدي الحنايا والاهرام

وعليه فلا معنى لتلك الخطب التي يلقيها المدير بريال او مأمور ادارته الزراعي وان لا فائدة للامة من ورائها على الوجه المرغوب للفرق بين فوائد الاعمال وفوائد الاقوال . وكلنا نعلم ان الفرق بين الادارتين كالفرق بين القول والفعل وانه شتان بين نتيجة ادارة في قبضتها ستة ملايين هكتارا من التراب ونصيبها في الميزان التونسي عشرون مليونا من الفرنكات وان القروض تعقد لاجل مساعدتها عند الطلب . وادارة لها الخطب والمجلات والحديث الكثير في السفر والاياب

وهنا يحسن بنا ذكر لطيفة تناسب الموضوع ان صح نقلها عن وطني من الاعراب كان من جملة من شملته الجموع البريالية لسماع الخطب والنصائح في بعض الجهات قد اخرجها القلق من نغمات الخطيب السفسطاية من غير قصد من تقريب . وهي لا تخرج عن معنى وان الحث عن العمل وخدمة الارض وفحص الرزق من خباياها يستدعي ايجاد الارض قبل الحث والارشاد حرصا على عدم ضياع هاته النصائح الثمينة وخوفا من ذهابها كصرخة في واد او نفخة في رماد . لان جل من حضر لا يملك الارض والبعض عالة على الفلاحين والقليل اتعبه الجوار) وهي لطيفة لا اعلم ما كان جواب الخطيب الحازم عليها .....

وهي وما تقدم بعض ما نعظ به ادارة الفلاحة املا في ان تجيء الى واجبها الجمهوري او تتحقق على الاقل انا منتبهون وان سلوكها كان احد العوامل على المطالبة بالدستور . اما حرية الصحف والاجتماع الذي هو من مشمولات مطالب الامة والذي اجاب عنه العميد من انه على وفاق فيه ما لم تتطاول الى ايجاد ما هو غير محمود بالنظر الى المتساكنين . فهو كلام يسجل بامتنان لان ذلك هو الحد المطلوب والغاية التي تسعى اليها الامة ولا يوجد مفكر يرتقي الى ذهنه خلاف ذلك وانما الشكوى من ادخال الصحف وارباها تحت نير الادارة واغتيال الصحف بالقرارات الخالية من الاستناد وبلا سؤال ولا استفسار او بلا محاكمة عدلية او

تطبيق فصل من القانون ، نعم حرية الصحف مما تزدان به السياسة الحاكمة ويزداد جمالها وهي الداعية الى الراحة والسكون بسبب ما توجده في البلاد من الطمانينة والوثوق بالمستقبل وتوسيع دائرة الامال

الا ترى الى بعض الامم الغالبة التي لها حرية القول والاجتماع في مستملكاتها فقد تمكنت بذلك من اساسة ربع البشر وحكمهم بلا كبير عناء حتى اصبحت تلك السياسه مغبوطة لكل مغلوب على امره، ولولا الحوادث الاخيرة في المسالة الشرقية التي اسقطت اولئك الساسة سقوطا سحيقا بين ثلاثمائة وتسعين مليونا من المسلمين في فناء المعمور . نحن لا نطالب من حرية القول والاجتماع إلّا بما لا يخرج عن الحد القانوني والذي يمكن معه للقلم الراحة في ترجمته وافصاحه عن رغائب الشعب وصالح البلاد وافهام الساسة ان الراحة في جعل المصلحة متحدة للمتساكنين والهناء في تقاسم المنفعة والنتائج وثمرات الاعمال بين المجاورين

وان لا تصبح البيوت مهددة بالتفتيش والفحص لمجرد الظن والوشايات الكاذبة والحدس والتخمين ، لما في ذلك من الارهاب الذي تحدثه تلك القوة المرهبة من اعمالها الفجئية ولو انها تخرج من ذلك فارغة الكفين في كل امر تقوم به من ذلك القبيل

هذا ومن منن الله على هذه البلاد ان كانت صحفنا وصحف زملائنا الاشتراكيين سائرة على محور الاستقامة وقد اوجدت في الامة تحابا قلبيا واجلالا لاحرار الجمهوريين وتصافحت على الحقيقة الناصعة وخدمة الانصاف

ولم يبتل قطرنا هذا إلّا بصحيفتين استثاريتين كاذبتين تنفثان سموما بين قرائها كل يوم من شانها ايجاد ما حضره السفير واشار الى منعه وتحجيره

فعسى ان يكون ذلك زاجرا لتينك الصحيفتين فتجيئا الى الواجب وترجع عن شططها وان لا تسخرا بعد من نشريات الطان والماتان

المسالة التونسية

هذا نص التقرير

الذي قدمه وفد الامة الثاني
الى اعضاء الندوة الفرنسوية

يتشرف الوفد التونسي بان يسلم لكم طي هذا تقريرا وجيزا يتعلق بالمسالة التونسية تجدون فيها شروح الفصول الاتية التي هي برنامج مطالب التونسيين :

١ ـ مجلس تفاوضي متركب من تونسيين وافرانسيين يقع انتخابهم بالاقتراع العام ويكون متصرفا في مواضيع مباحثاته وذا نظر متسع في الميزانية العمومية

٢ ـ حكومة مسؤولة لدى المجلس المذكور

٣ ـ التفريق بصورة مطلقة بين السلط التشريعية والتنفيذية والعدلية

٤ ـ تسنم التونسيين لذرى كل المناصب الادارية بشرط الاحراز على الكفالات الفكرية والادبية التي تشترط على المترشحين الفرنسويين

٥ ـ المساواة في المرتبات بين المتوظفين الذين مع استواءهم في الكفاءة يشغلون مناصب واحدة بدون ان يقع ميز لاروبي على اهلي

٦ ـ تنظيم المجالس البلدية بالانتخاب العام في كل انحاء الايالة التونسية

٧ ـ التعليم الاجباري

٨ ـ مشاركة التونسيين في شراء اراضي ادارة الفلاحة واملاك الدولة

٩ ـ حرية الصحافة والاجتماع الخ ثم يلي ذلك شرح المسالة التونسية الذي نصه

قد اناب التونسيون وفد منهم للتوجه الى العاصمة الفرنسوية ليتفاهم مع حكومة الجمهورية ومجلس الامة الفرنسي ويعرض عليهما الحالة الحاضرة التي عليها الايالة التونسية وهي حالة كلها كدر وعناء قد تولدت من جراء نظام لم يعد كافلا بانماء المواهب الاقتصادية والاجتماعية التي لبلادنا

نعم نحن لا ننسى كل ما قامت به فرانسا في تونس . ففرنسا يمكن لها ان تثق باعترافنا لها بالجميل وتعلقنا بها . لكن لا يستنتج من كونها فعلت كثيرا هنا انها فعلت كل شيء ولم يبق لنا شيء نطلبه من عدالتها

استقرار القانون

في مقدمة مطالبنا نسجل تشوقنا الشديد لنيل نظام من القانون ثابت الاساس بحيث ينسينا الالام التي تقاسيها من نظام الاوامر (قوانين) التي تصدر وتنفذ بدون استشارة الذين ستطبق عليهم والذين لا حق لهم في رفع اصواتهم اللهم إلّا لتحبيذها واظهار موافقتهم لها . ومن الجلي الواضح ان ندرك السهولة التي يمكن لامر اداري ان يغير او يعوض او يناقض امرا سابقا

ولا شك ان احتياجنا الى تقرير القانون على قواعد متينة هو في هذا الوقت اشد منه في كل وقت سواه ذلك لتكاثر المعاملات بين التونسيين فيما بينهم او بين التونسيين والاجانب واكتسائها لصبغة من التركيب والتشعب كل يوم متزائدة .

ان النظام الحالي هو عثرة منيعة في سبيل نهوضنا الاقتصادي ضرورة ان النظام الذي يمكن له ان يقوض في كل وقت صروح بل ينسف اسس جمعيتنا الاقتصادية ليس من شانه ان يبعث في النفوس ذلك الوثوق وذلك الاطمئنان الذي يجرّئ التونسي على اقتحام الاعمال العظام بل وحتى الدخيل الاجنبي الذي يقصد استخراج مواهب الايالة برسماله . هذان الرجلان يجمان ويحجمان امام خوض غمار لجة عميقة يكونان فيها عرضة للانقلابات وهدفا لتموجات الاطوار العدلية التي لا تخطر على بال . فمن ذا الذي لا يفكر معنا ان هذا النظام يجب تنقيحه ناهيك به من نظام ولد امر ٢٤ جانفي ١٩٠١ الذي الحق بكيفية بسيطة جدا باملاك الدولة اراضي العروش وهي تنوف عن ثلث الايالة التونسية (وهنا تضمن التقرير الاستشهاد بكثير من الاوامر التي من هذا القبيل اضربنا عن ذكرها خوف الاطالة والاملال) هذه الامثلة انما استشهدنا بها هنا على سبيل البيان فقط

وإلّا فالنظام القانوني التونسي يحتوي على اضعافها مما لو اردنا سردها لبلغت

بنا الى السآمة فضلا عن شرحها والتعليق عليها . وزبدة المخيض التي تستخرج من هذه الطريقة في التنفيذ هي صلوحيتها التامة لتعكير صفو الامن اللازم لنمو حركة البلاد الاقتصادية . وان سبب تغير القانون بهذه الصورة ناشيء من كون الادارة التي هي غير مسؤلة ومستجمعة لشرائط السلطة المطلقة تجد نفسها امام زمرة قليلة ليست هي الجديرة بالعناية من بين الجالية الفرنسوية وهذه الزمرة التي يعضدها في باريس انصار كبار تؤثر على تلك الادارة تاثيرا قويا بحيث انها تسخر دواليبها كلها لخدمة مصالحها الذاتية على انه قد يكون في بعض الاحيان ان الادارة تجد نفسها عاجزة على رغم منها عن ارضاء مطالب تلك الاقلية . ولكن هذه الاحوال غير الاعتيادية لا يصح التعويل عليها ولا يتم الدواء لهذه الحالة التعسة إلّا بتفريق سلطتي الادارة والتشريع وتحويل المجلس الشوري الحالي المنقسم الى قسمين فرنسوي واهلي مفرق بينهما بحجابات كثيفة لا نفوذ ولا سلطة لهما الى مجلس واحد تفويضي ينتصب فيه منتخبو الجالية الفرنسوية والامة التونسية على بساط الصفاء والمشاركة الاخوية ويكون عدد الفريقين متساويا ـ

مسئولية الادارة

ان اجراء هذا الاصلاح الذي اصبح من المتاكد يدعو لحينه آخر هو منه بمثابة النتيجة اللازمة له نعني به تغيير نظام عدم المسئولية المنضمة بالمسئولية الادارية المقررة

وحقيقة فانه ليس من المعقول اذا راينا ان متوظفا عاليا يضر بالمصالح العامة الموكلة لامانته ثم لا يبعد عنها بدون حنان ولا يسال عما اقترفته يداه من الذنوب والاثام فان سد الخلل وحسم التبذير الواقع في المالية العمومية يتوقفان على اتخاذ هذا التدبير . ان منازع الادارة نحن بها ادرى ولذلك فان السير بهذا التدبير القويم لا بد ان يوكل الى المجلس التشريعي الذي هو حاكم متيقظ كلما وجبت رعاية مصالح موكليه

تفريق السلط

بتقرير قاعدة المسئولية الادارية يزول ليس فقط اختلاط السلطة التشريعية والتنفيذية بل ايضا السلط الادارية والعدلية

ان المبدأ الذي يرتكز عليه في الوقت الحاضر نظامنا العدلي هو مبدأ « العدالة المحجوبة » فان سمو الباي المعظم (وان شئت قلت الادارة) الذي هو متصرف مطلق في اشخاص وارزاق رعاياه هو الحكم الاعلى في كل المنازعات التي تفرق بينهم بواسطة حق صادر من ارادته التشريعية والوزارة التي هي في آن واحد محكمتنا الاستئنافية ومحكمتنا العدلية لا يوجد فيها في الواقع ونفس الامر حكام بل مجرد كتاب بعد ان يفرغوا من اجراء البحث والمفاوضات السرية يحيلون اوراق النوازل التي يباشرونها الى رئيس خدمتهم وهو مدير العدلية . وهذا يحيلها على الكاتب العام وهذا يحيلها على وزير القلم وهذا يحيلها على الوزير الاكبر وهذا يحيلها على الحضرة العلية

كل هؤلاء الاشخاص والذين يلتفون حولهم لهم القدرة على تغيير افكار المحررين الاولين الذين تعودنا بان نسميهم حكاما . وبمقتضى هذا النظام نشاهد منظرا من اغرب ما يرى وهو ان المناضلات لا تقع في بيت الجلسة بل في المعابر والمجازات وحول البيوت المجهولة الاسم

ومما يلاحظ في هذا الشان ان الرئيس الاول لهؤلاء الحكام صورة هو في آن واحد وكيل للحق العام . اذن فهو خصم وحكم

وقد ينوبه في الجلسات كميسارات يجرون تاثيرهم السري على قرارات الحكام على انه ليس لهم لحد الان ما اهلهم للتربع على دست المناصب التي يشغلونها وقد حسبت الادارة باحداث هؤلاء المتوظفين انها احسنت صنعا واجرت اصلاحا مفيدا لكن التجربة اظهرت انها لم تزد الطين إلّا بلة ولم تدخل على المريض إلّا زيادة علة

قد يقال انه ما عدا الوزارة يوجد محاكم ابتدائية تحكم بمقتضى تفويض من سمو الباي وتحت سلطة الوزارة ولكن بدون ان تتداخل في احكامها . لكن

لننظر ما هي قيمة الصبغة التفويضية التي ينالونها . فمن جهة ان الحكام الذين تتركب منهم هاتيك المجالس هم عرضة للتغيير وهدفا للرفت ويخضعون في اعمالهم لسلطة مدير العدلية مباشرة . ومن جهة اخرى فانه استنادا على حق الاستئناف المجعول للنوازل ولو الابتدائية مهما كان امرها ولو كانت صدرت فيها احكام ونفذت هي قابلة لان تنقلها الادارة امام لجنة خاصة ادارية محضة تحكم فيها بصفة قاهرة قائمة في ذلك مقام محكمة نقض وابرام تكون دوما تحت طلب الكتابة العامة

ولكي نختم هذه النظرة الاجمالية في عدليتنا العتيقة . لا باس ان نورد هنا كلمة في قيمة القانون في نظر الحاكم . ان القانون لا يقيد الحاكم الذي هو في ءان واحد مشرع . وكلما وضع سمو الامير خاتمه على مسودة حكم فهو يكتسي صبغة من القوة تعادل قوة القانون الذي صدر الحكم بمقتضاه بحيث انه اذا كان هذا الحكم مخالفا لنص صريح من نصوص القوانين السابقة فانه يعتبر في حال المخالفة ناسخا للنصوص التي سبقت . وهنا يصل بنا التامل الى هذه النتيجة الغريبة التي لا مراء فيها وهي ان القانون في بلادنا ليس له في نظر الادارة إلّا قيمة ارشادية فقط ليس له عليها ادنى سلطة واقعية . نحن نتساءل باخلاص هل ان حالة كهذه يمكن لها ان تحرز على رضاء الفكر العام الفرنسي . فمن ذا الذي لا يرى ان نظاما كهذا غير ملائم للعصر الذي نعيش فيه ومغائر لمبادي العقل السليم

فاذا اظهرنا رغبتنا لرؤية حكومة الجمهورية تامر بادخال تغيير على هذا النظام المبني على المبدا القويم مبدا تفريق السلط وتنسج في هذا الشان على منوال العدالة الفرنسية مع ابقاء الهيأة التونسية نكون قد ابدينا رغبة طبيعية وطلبنا تحقيق امل شرعي ليس فيه ما يشعر بالهيجان ولا يدل على ان احساساتنا نحو فرنسا هي احساسات عدائية او ناشئة عن حقد تعصبي

لان خصومنا المعتادين ووشاتنا الذين لم يخلو منهم زمان لما نجبرهم بان يقيموا الدليل على اسباب اتهامنا يدعون لنا بسخافة غريبة اننا لو لم نجهر بالمطالب التي نتشرف بابدائها الى حكومة الجمهورية لكنا اعز احباب الفرنسويين واكبر اصدقائهم

الاقتراع على الميزانيـــة

يتولد من تقرير نظام المسؤولية الحكومية اقتصاد كبير واحتفاظ على الماليــة العمومية . وتضطر الحكومة حينئذ على ان لا تنفق إلا المقدار الضروري للمصلحة العامة ولا توظف الضرائب على من لنظرها إلا بعد ان تتحقق ان هذه الضرائب لا بد منها لفائدة الجميع . ومراقبة الدافعين لتلك الاداءات بواسطة نوابهـم الشرعيين يجبر الادارة على حسن توزيـع مصـاريف الميزانيـة بحيث تتحمل كل الطوائف وجميع العناصر التي تتكون منهم الامة التونسية احمالا متعـادلة ويتمتعون بامتيازات متساوية . اذ ليس من المعقول انه عند تقرير ميزانية ذات مليونين تدفع منها التسعة اعشار يكون لا حق لنا في التداخل ولا المعارضة والمراقبة وليس من المعقول ايضـا ان تقرر الادارة توظيف الضرائب وصرفها بمعزل عن مراقبة الدافعين وان تعقد القروض وتصرف بدون استشارتنا نحن الذين نتكبد في الحقيقة اعظم حمل منها . ان التاريخ السيء الذي تركه في الاذهان عقـد القروض المتتابعة من عام ١٩٠١ الى عام ١٩٢٠ وكذلك انواع التبذير التي تسببت عنها والتي ردد صداها نادي البرلمان لا تدع مجالا للشك والارتياب في امرها حتى تضطرنا لزيادة شرحها وبيانها .

الحريـات العمومية

لننظر الان كيف صار نظام عدم المسؤلية الحكومية مضرا وحائلا منيعـا دون وصول ذاتية الشخص في الوسط الى الدرجة المثلى من الرقي والكمال

فالادارة التي هي من القوة بالمكان المكين نحـو الذين لا يستطيعون ان يناقشوها الحساب تسعى دائما في استخلاص مراضي الذين يمكنهم تشويشها بمطالبهم الجمهورية . وبذلك اصبحت مجبورة بحكم الضرورة الى نسيان الاولين واهمـال مصالحهم الجوهرية وعدم التصرف في كل ما يجلب الخير للاخرين

اجل انه لمنع ما عسى ان يصدر من المعارضات العنيفة من طرف الذين يهمهم الامر بان لا يقبلوا لا حرية صحافة ولا حرية اجتماع وحتى لا حرية شخصية ، وليس

من العجيب بعد ذلك ان يكون هذا الضغط الادبي الذي لا قيد له إلّا سياسة لا تبصر فيها وقد ولد الحركة التي يسمونها غلطا حركة « الشبيبة التونسيه » بينما الحركة في الحقيقة ليست ألا حركة الشعب التونسي باجمعه . وعلى فرض انها ليست بحركة الشعب فهناك حادث حقيقي وهو ان هـذه الحركة ليست إلّا حركة تصويرية فقط وليس فيها ما يشعر بحركة عدائية ضد فرنسا بل غرضنا بالعكس هو اطلاع الفكر العام الفرنساوي على حالتنا لاعانتنا على نيل مجموع من الاصلاحات والضمانات الدستورية التي من شانها ان تحقق للتونسيين حرية مواهبهم الاقتصادية والاجتماعية ويلزم قاعدة لهذه الاصلاحات والضمانات هو ان تنال مقدارا ولو ضيئلا من الحقوق السياسية التي تتكفل لنا باحترامها . ولنقل كما لا زلنا نكرره غير ما مرة ان الحقوق السياسية التي نطلبها ليس فيها ما يقصد منه جعل مركز فرنسا بتونس في خطر وليس فيها إلّا ضمانا ضروريا للتونسيين ضد التغييرات الممكنة والكثيرة الوقوع في الادارات المحلية . على ان كل الاصلاحات التي نطلبها انما تنجر من الاولى وهي استقرار القوانين . فتقرير القانون على قاعدة ثابتة الذي مع كونه يحتم نظاما تشريعيا يدع مكانا فسيحا للشعب في حق التنفيذ يكون من جملة نتائجه الباهرة احداث نظام من المساواة بين كل اللذين تظلهم سماء هذه الديار . فاذا تقررت هاته المبادي القومية يمكن لنا ان نرى اذ ذاك زوال عصر الامتيازات التي لم تكن إلّا لفائدة اقلية اروباوية ضد مصالح الشعب الاصلي للبلاد . والتعليم العام الذي لم يعتن به الاعتناء اللازم يصير طلابة كل انسان وتصرف المجالس البلدية والمشاركة في الوظائف العامة وشراء اراضي الاستعمار تصبح غير مقصورة على طبقة ممتازة من الشعب بل من حق الجميع ان يشاركوا فيها ليضربوا فيها بسهم عادل موافق لمواهبهم واستعداداتهم

التعليم العام

لا شك ان التعليم هو الوسيلة الوحيدة لرقينا الاجتماعي لكن الادارة هداها الله انقيادا لتأثير تلك الاقلية التي اشرنا اليها تغلق في وجوهنا ابواب هـذه النعمة التي اصبحت قوام المدنية واس الحضارة العصرية

ويكفينا دليلا على ذلك ان نقول انه بين امة ذات مليونين من السكان ليس فيها من التلامذة الاهليين إلّا عشرة الاف نسمة وهو عبارة عن خمسة لكل الف نسمة وقد طالما طلب القسم الاهلي من المجلس الشوري تحت تاثير الفكر العام ان يكون التعليم اجباريا او على الاقل ان تلتزم الحكومة بفتح مدارس لقبول صغار الاهالي الذين يقدمهم لها اولياؤهم وقد اعرضت الحكومة عن اجابة هذين المطلبين اعراضا تاما مبنيا على سبب مزدوج يتحتم علينا بيانه فيما يلي فالسبب الاول هو فقدان المدارس الكافية لايواء ما عسى ان يرد على الحكومة من المطالب في هذا الشان ولا ينبغي ان يعتبر عدد الراغبين في التعلم اقل من مائة الف تلميذ والسبب الثاني هو ان الحكومة يعوزها المال لابتناء مدارس جديدة لكن ما كان اشد استغرابنا لما راينا تنازل ادارة المعارف عن مليون ومأتي الف فرنك من ميزانيتها لفائدة ادارة الاستعمار العامة ارضاء لشرذمة من القسم الفرنسوي من المجلس الشوري طلبت اقامة بعض طرقات ذات فائدة قاصرة على الساكنين حواليها

وفي انتظار تغيير السياسة الاهلية التي اتخذتها الحكومة وعند فقدان المدارس العمومية فان اولادنا لا يزالون يقضون صباهم في الكتاتيب وهي تحتوي في يومنا هذا زهاء الثلاثين الف تلميذ ولا شك ان هذا العدد الذي لا يستهان به ينتقل باكمله الى المدارس العمومية يوم تهب الادارة من غفلتها بل يوم يفطن الفكر العام الفرنسوي لضرورياتنا فيحمل الحكومة على الاعتراف بما لنا من الحق في ورود موارد العلم كالفرنسويين والايطاليين والمالطيين الذين يعيشون بين اظهرنا

ان مصلحة فرنسا هنا كما في غيرها من الجهات ترتبط بمصلحتنا لانه لا شيء اضر ولا اقرب اندفاعا بتيار المفاسد والتشويش كامة جاهلة

على ان العنصر الاهلي لم يبرح منذ اربعين سنة وهو يطلب تنشيطه على مباشرة التعليم الثانوي لكي يكون منها الطبقات اللازمة والمتكفلة بحسن سير الوظائف الادارية . وما برح يطالب ان يكون له حظ وفير في التعليم العالي لاجل تكوين طبقة تاخذ على نفسها تنوير بقية مواطنيها وتسييرها في طريق النهوض الاجتماعي متمدنة بكل معنى الكلمة . على ان الحكومة التونسية لم تقتنع بمماطلتها في اقامة

معاهد التعليم الاهلي ولم يرضها هذا التقصير حتى زادت عليه بان حولت الاموال المتحصلة من اوقاف المدرسة الصادقية عن وجهتها التي وضعت لاجلها. هذه الاموال كانت معدة في الاصل لاسعاف الشبان التونسيين القادرين على مزاولة العلوم في المعاهد الثانوية او العليا فانفقت الحكومة جزءا عظيما منها في اشغال لا تهم إلا الجالية الفرنسوية خاصة وقد كان يجب عليها ان تقوم بتلك الاشغال لا على نفقة المدرسة الصادقية بل من مداخيل الميزانية العمومية . وبهذه الحالة اصبحت المدرسة الصادقية التي هي وقف خاص اشترط واضعه ان تكون مدرسة ثانوية ليست الان إلا مدرسة ابتدائية عليا معدة لتكوين اعوان مساعدين للادارات العمومية

الحيـاة البلدية

هل نكون ثوريين ايضا اذا نحن طلبنا نظاما بلديا ينتصب فيه اعضاء منتخبون ليتداولوا البحث في مصالحنا المحلية فقد اظهرت لنا التجربة بكيفية جلية للغاية ان الجور الاداري الذي يلحقنا من جراء بقاء الحالة على هذه الصورة مضر بمصالحنا ايما اضرار . وشرح النظام البلدي عندنا تقول انه ليست لنا في الحقيقة دوائر بلدية كالتي موجودة في فرنسا فعندنا ان الدوائر البلدية هي عبارة عن مجتمع ذي بعض اهمية . فهذه المجتمعات يديرها مجلس بلدي تختار الحكومة اعضاءه وتسميهم وكل اعمال هذه المجالس لا بد ان يصادق عليها الكاتب العام للدولة التونسية فالرؤساء والاعضاء لهذه المجالس ليسوا في الواقع ونفس الامر إلا متوظفين بسطاء مقيدي الارادة والنفوذ ولا شان لهم ولا سلطة لديهم تمكنهم من نيابة مصالح من لنظرهم كما يجب . لذلك لا نظن باننا تجاوزنا حدود الحق والمبادي الديمقراطية الاولية اذا نحن طلبنا اصلاحا يحول سلطة المجالس البلدية الحالية بين ايدي نواب ينتخبهم الشعب . على انه بالرغم عن احقية واعتدال هذه المطالب فاننا لم نسلم من خصومنا حيث اعتبرونا كاعداء لفرنسا بمجرد تصريحنا به

الوظائف العمومية

لا يتسنى لنا المشاركة في الوظائف العمومية إلّا بصفة ثانوية وعند استواء الكفاءة والخدمة في الوقت الحاضر يوجد فرق في المرتبات يتراوح بين الخمسين والستين في المائة يمتاز به الموظفون الفرنسويون على زملائهم الاهليين

على ان من مصلحة الشعبين ان تحسم هذه الفروق المشطة التي من شانها ايغار الصدور وبذر بذور الشقاق المتولد من الحيف في حين نحن في اشد الاحتياج الى التعاضد المتين المتاكد حصوله في كل ءان والذي بدونه لا يتم ذلك الاخلاص الاخوي المنتظر من المتوظفين التونسيين الذين يخدمون جنبا لجنب

وقد امكن لنا ان نشاهد في العام الغابر تمثيل رواية محزنة في خصوص هذه القضية المهمة ذلك انه من بين خمسة وثلاثين مليون فرنك خصصت للزيادة في المرتبات حملت كلها على عواتق الاهليين ولم يلحق منها المتوظفين الاهليين إلّا خمسة ملايين فقط . ومما يثبت به شدة الحيف الذي يلحق التونسيين من جراء هذه الحالة الاسيفة هو ان مدير العلوم والمعارف الذي وفد اخيرا لهذه الديار قد استفزته عاطفة العدالة فقرر المساواة في المرتبات بين المعلمين الفرنسويين والاهليين غير ان هذا الاصلاح الرشيد لم يكد يخرج من حيز القوة حتى اثار عواصف الحملات القلمية المنكرة من الصحافة الفرنجية بكيفية اضطرته الى توقيف تطبيق قراره والرجوع في الراي الى المراجع العالية وبذلك خابت ءامال الذين تهمهم التسوية المذكورة وذهبت احلامهم ادراج الرياح وقد اعلمهم المدير ان انجاز مقاصده في المساواة قد تاخر الى اجل غير مسمى وبهذا المثال الذي تقدمَ يمكن اكتناه الحالة المنحطة التي يتخبط فيها التونسيون ويمكن تصور القلق الشديد والاضطرار الذي يعروهم ازاء هذه الحالة التعيسة التي لا مخرج لهم منها ولا وسيلة من وسائل الحرية بايديهم تمكنهم من رفع اصواتهم بالشكوى والاحتجاج

زراعة الارض

من اراد ان تكون له فكرة في حقيقة مسالة الاراضي وكيفية توزيعها ليومنا هذا ينبغي له ان يبني مناقشته ونظرياته على الارقام لا على الاوهام وعلى الاحصائيات الرسمية لا على المجادلات اللفظية وذلك هو السبيل الذي سلكناه ونسلكه في هذه العجالة . فقبيل الحرب كانت الجالية الفلاحية الفرنسوية تعد ١٢٧٤ نفسا وهذا العدد هو كل ما امكن للحكومة الفرنسوية جمعه بعد بذلها المجهودات الجمة منذ ٣٥ حولا وهي ترغب ابناءها في استعمار هذه البلاد . ولننظر من جهة اخرى ما هي كمية الاراضي التي تتصرف فيها هذه الاقلية من الفلاحين

لا يخفى ان المساحة التي يمكن بذرها في الايالة التونسية لا تتجاوز التسعة ملايين من الهكتارات ومن هذه المساحة قد نابهم ٨٠٠٠٠٠ هكتارا بذروا منها ١٣١٠٠٠ فقط واذا ضاعفنا هذا الرقم اعتبارا للمساحات التي لابد بطبيعة الحال ان تبقى شاغرة سواء للمرعى او للاستراحة يتجلى لنا ان مساحة قدرها ٥٣٨٠٠٠ هكتارا قد استولوا عليها وتركوها بورا معطلة . لماذا بقيت بدون استخدام ؟ نعم بقيت بدون استخدام ظاهرا واما في الواقع ونفس الامر فهي معدة للاحتكار وللبيع بالاثمان المشطة . والحكومة بواسطة مختلف الاوامر التي اصدرتها لنفسها اصبحت مالكة لمساحة من الايالة التونسية تقسم كما يلي :

اراضي عروش	٤٠٠٠٠٠٠ هكتارا تقريبا
غابات وسباسب	١٠٩٥٠٠٠ »
املاك دولية	١٠٠٠٠٠٠ »
مساحة مناجم اقطعت للغير	٨٠٠٠٠ »
الجملة	٦١٧٥٠٠٠

فالذي بقي من مساحة القطر التونسي مليونان بيد مليونين من سكان البلاد الاصليين . على انه قبل الاحتلال الفرنسوي كان الاهالي وحدهم يبذرون اكثر من مليون ومائتي الف هكتار ومن عام ١٩٠٩ الى عام ١٩١٣ اظهرت الاحصائية ان

هناك من المساحة المذورة في القطر التونسي من اروباويين واهاليين ما لا يتجاوز معدله المليون والتسعين الف هكتار . ومن هذا الرقم ينبغي طرح مليون يتصرف فيه فعلا العنصر الاروبي ويشتغل فيه سواء للاستثمار او للاحتكار كما كنا بيناه آنفا

فالاهالي لم يبق تحت تصرفهم اذن إلّا مساحة تقرب من ٩٥٠٠٠ هكتارا . وان كل ما خسروه من الارض كانت نتيجته نقصان عدد الملاكة وتكاثر سواد الخدمة الفلاحيين . وترتكز احصائيتنا على عمليات الانقلابات بالبيع والشراء ولزيادة الايضاح في هذا الشان نقول انه لا يلزم من كونه لم يبق بيد التونسيين إلّا ٩٥٠٠٠ هكتارا فقط من الارض انهم اصبحوا كلهم اجراء وخدمة فلاحيين كلا فان كثيرا منهم يبذرون الارض على حسابهم ولكن بصفة متسوغين لا بصفة ملاكة ويعلم الله مقدار ارتفاع اثمان الكراء التي تطلبها منهم الحكومة او الاروبيون على ان الطبقة التي تستطيع مقاومة غلاء الكراء هي قليلة جدا بالنسبة للعدد الجم من الذين لا يقدرون على الكراء واصبحوا بعد ان جردوا من املاكهم في حضيض الهوان والمسكنة ترهقهم قترة وتعلوا وجوههم غبرة الفاقة والصغار

نعم نحن لا ننكر وجود التنافس الحيوي ونعلم ان كثيرا من مواطنينا تنازلوا من تلقاء انفسهم على ما يملكون لجهلهم بمقتضيات الاحوال ولضعف تقديرهم للامور حق قدرها لكن لو كان انتقال الاملاك من ايديهم كله على هذه الصورة اي بمحض اختيارهم ولو كان ضياعها حصل في المعركة الاقتصادية التي تدخل اليها كل العناصر شاكين سلاحا متساويا ما كان لنا اليوم ان ننبس ببنت شفة او نرفع اليكم اقل شكوى لكن الامر ليس معزوا الى كسل منا او ضعف في قابليتنا ولكنه من عدم اعتناء الحكومة بتنوير اذهاننا وبسط سنن المعارف الكافية في ربوعنا فما فتئنا منذ اربعين سنة مضت ونحن نطالب نشر التعليم الابتدائي والفلاحي والصناعي الذي من شانه ايقاظ العقول وتهذيب المدارك بكيفية تمكننا من ولوج ميدان التنافس الاقتصادي بدون خوف من الانهزام وسط تياره الهائل وتسمح لنا بادراك اسرار الحياة وحقائق الوجود فلا نسلم في حق مقدس من حقوقنا مطلقا

نعم لو كانت تلك المساحة الشاسعة من الارض التي بايدي العنصر الاروبي

يستفيد منها المزارع الصغير ولا يتمتع بها المثري الكبير الذي تقطع له الاقطاعات الجمة ولا تهمه خدمتها واستثمار نتائجها وانما همه الوحيد في المضاربة بها واتخاذها وسيلة من وسائل الاحتكار فلو كان التوزيع على نسبة الاحتياج ما كان للعنصر الاهلي ان يشكو منه وما كان له ان يشكو من مضائقة المعمر الصغير له لان المفاهمة وروابط التعاضد سرعان ما تعقد مع اهل العمل والاشتراك في المجهود وتبادل الخدمات والمزايا هما من افضل وسائل التعارف والائتلاف

لكن بكل اسف لم يكن شيء من ذلك فان الجزء الاوفر من الارض التي جرد منها الاهليون قد انتقلت الى ايدي كبار المحتكرين الذين يهملون خدمتها ويتركونها بورا معطلة مدة اعوام عديدة الى ان يفد الاجنبي فيبذل في شرائها ثمنا لا يقدر عليه الفلاح الاهلي ولا المعمر الصغير الفرنساوي ومما تقدم يستنتج ان مجهود حكومة الحماية قد ءال الى توسيع نطاق الاستعمار الاجنبي مع اهمال الاستعمار الفرنسوي والاهلي . ويكفينا دليلا على تزلزل قدم الاستعمار الفرنسوي بهذه الديار انه بينما الجالية الفرنسوية تعد اربعين الفا من الانفس تقريبا تعد الجالية الاجنبية نحوا من ١٤٦٠٠٠ طلياني و ١٥٠٠٠ مالطي و ٥٠٠٠ اجناس اخرى ومن المحقق ان توطيد النفوذ الاجنبي بهذه الديار على هذه الصورة لم يكن الغرض الذي قصدته فرنسا يوم جاءت وعرضت علينا حمايتها في سنة ١٨٨١ لذلك تطلب ان يجعل حد لحالة اصبحت مضرة جدا بمصالحنا ومصالح فرنسا ولا يكون ذلك إلّا بتشريك العنصر الاهلي في استعمار بلاده وتشريكه في شراء القطع المعدة للاستعمار

الصحة العمومية

رغم مجهودات الحماية للقيام بتوسيع نطاق مصالح الصحة العمومية فانه يظهر ان اهتمام اولي الامر هنا لم يكن مصروفا بانتباه الى الحالة الصحية بالايالة التونسية

ولا نريد دليلا على ذلك غير ارقام المقابلة بين الولادات والوفيات في الامة التونسية . ففيما يخص السكان المسلمين بتونس يلاحظ انه من عام ١٩١٤ الى عام ١٩١٨ بقي عدد الولادات في حالة انحطاط وتدحرج بالنسبة لعدد الوفيات بحيث

انه في بحر هذه المدة التي هي خمسة اعوام ولد بتونس ٢٩١١٨ وتوفي فيها ٣٢٢٣١ يعني ان الوفيات كانت تزيد عن الولادات ٣١١٣ نسمة بالنسبة لامة تعد من الانفس ١٨٠٠٠٠٠ فقط من المسلمين وفي هذه الاحصائية لم نعتبر الوفيات بسبب الحرب

اليس هذا البون البعيد بين الولادات والوفيات مما يدخل علينا القلق والاضطراب وهل لا تدل على وجود حالة اقتصادية فاسدة بنوع خاص ينبغي على نواب التونسيين ان يلفتوا اليها انظار اولي الشان

النتيجــة

والخلاصة ان التونسيين بلغوا الان طورا من اطوار نهضتهم الاجتماعية توجب عليهم تمتعهم بنظام دستوري يعني ذلك المجموع من الاصلاحات الذي يضمن لهم الحرية الشخصية والحرية الفكرية وحرية الاجتماع والقول ويضمن لهم مراقبة الميزانية ويسمح لهم بالمشاركة بصفة فعلية في تقرير الاتاوات الجديدة ووضع الاصلاحات المزمع عليها . وفوق هذه الاصلاحات ولضمان تحقيقها يطلب التونسيون تفريق السلط وتقرير مبدأ مسئولية الحكومة والكل تحت مراقبة فرانسا

هذا هو المشكل التونسي الذي قدم لاعضاء مجلس الامة في الصائفة الماضية ضمن عريضة في جوان ١٩٢٠ بواسطة وفدنا الاول

وهذه هي المسالة التونسية التي قدمت فيها عريضة في الوقت نفسه الى سمو باي تونس بواسطة وفد متركب من اعضاء من مختلف النواحي التونسية ومن جميع الطبقات . (وهنا اتى التقرير على كيفية الاقبال الذي لاقاه الوفد من سموه الملوكي واتى على نص الخطاب الذي فاه به جنابه العالي ايده الله وقد نشرته الصحف في وقته)

ويمكن لنا ان نقول انه بفضل هذه التصريحات الرسمية من اميرنا قد تمهد لنا نصف الصعوبات ويمكن لنا ان نحكم ايضا بما تلقينا عن كبراء الفرنسويين سواء كانوا من اهل العلم او من رجال الصحافة او من اعضاء البرلمان ان قضيتنا لا بد من نجاحها لانها خالية اولا من كل فكرة ثوران ومن كل انانية او حب في احتكار المنافع لانفسنا وبعيدة عن التعصب وليس فيها ما يشعر بانكار جميل فرنسا

الرقي الاجتماعي التونسي (١)

عدد ٦٨ في ٢٨ رجب الاصب سنة ١٣٣٩

كثيرا ما يقع نظر القاري على عناوين تجعلها الكتبة كاستهلال على الغرض من الموضوع، او منطقة تحمل الباحث على احترام حدودها وافادة سلفية للمطالع حتى يكون ملما بما سيجيء عن آخره امعانا وتدبيرا . وان لبعض حملة الاقلام والباحثين في الشؤون العامة ذوقا زائدا في تلك الاكاليل الادبية التي الحقت بضروب البراعة في البديع . ولكن كل ذلك غير مانع من ابتلاء مناح الكتابة الشاسعة بافراد تهجموا على البحث والتحرير في اسباب رقي الامم وانحطاطها وسلوك الساسة واستحسان السياسة وموجبات التمدن والنهوض . وان القلم قد يكبو ببعضهم اما عن جهل (وهو الاقرب) او بتكلف السير في ذلك المضمار عكس الواقع او ضد الضمير فيتراءى كأن في الكلام بترا وأن لا أثر للوصل بين ما يطالع المقال والموضوع . او بتعمد اخذ ذلك التاج الادبي الملفت للقاري حملا له على مطالعة تلك السخائم المسئمة غير مبال بخروجه من ذلك صفر اليدين ......

نعم فان المتدرج سبل الاستطلاع يجد عددا لا يستهان به سيما المموهون وارباب المقاصد السيئة والاماني الشخصية والغايات الانتفاعية او المتطفلون على مصالح العموم

ومن ذلك القبيل ما نشرته جريدة لادبيش تونزيان تحت العنوان اعلاه بعددها الصادر في ٢١ مارس الجاري من قلم كبير الاطباء المسلمين فانه بالنظر الى

---

(١) هذا العنوان لمقال ادرجه طبيب تونسي بجريدة الادبيش تونزيان ضد مطالبة الامة بالدستور تعريضا. فكان ثانيا لخطيب السفارة العسكري من حيث الاتحاد في المقصد وعلى الاثر في الوقت . وبذلك اصبح كالمفعول الثاني في باب ظن ... او ان العامل للنصب فيهما واحد فهو اما تنازع او اشتغال ... وعلى اي باب فان الصحافة الدستورية قد اجلسته مكانه طبق استحقاقه والواجب الاكيد ..

طالع الفصل تنبعث في القاري رغبة الاطلاع ويتخيل كانما حكيم المؤرخين قام براسه ليرينا ايات البحث والبيان في رقي الامم واسباب العمران . ولكن بالوقوف على ذلك فهما وتدبيرا كان الواقف عليه كالقابض على الماء ليبلغ فاه وليستفيد . وكانما روح العضو دوفرين حبيب الباحث قد تقمصت فيه . وان مضمراته التي افصح عنها عند ماكان بهذا الطرف فوق مائدة المعمرين قد ارتسمت فيه كمال الارتسام حيث زعم ان ما قصده وعناه في بحثه ضمنا لا يظهر بما اسدل عليه من ذكر بعض الحقائق كاخلاص الامة التونسية وقيامها بالواجب واعمال الحماية قياسا على الماضي الخ ما قال . ولو تبصر قايلا لعلم ان الغاية المضمرة هي كالخليقة تظهر قسرا سيما على من خط وكتب وبذلك كان الطبيب ثانيا لدى الامة في المحسنين ...

استهل الحكيم المشار له بحثه بان جعل معظم سكان القطر من الرحل البعيدين عن الحضارة النافرين للتمدين . وان القليل منهم يسكن المدن والقرى والمداشر

ثم استحث الحكومة على نشر اجنحة التمدن بين اولئك الاقوام وجعل وسيلة تصدهم عن الترحال والانتقال وذلك بنشر التعليم والتدريب على الفلاحة بالطرق الحديثة معتمدا في ذلك على ادارة بريال مدير ادارة المصالح الاقتصادية الاهلية . ثم اشار الى وجود التعليم الابتداءي والثنوي وانتشار معاهده قائلا ان الشعب التونسي لو اعتنى بالتعلم كان ملحقا بالراقيين ولتم التطور المطلوب والامتزاج المرغوب .... حاملا مسؤلية فقدانه وبقاء غالب الشعب همج على زعمه فوق عاتقه . لان ادارة المعارف مجدة في نشره ولم يسمع انها رفتت من يريد التعليم

ثم اثنى ثناء على السياسة وشكر المسيسين واخلاص التونسيين الى غير ذلك من الخيالات الظلية التي لا قرار لها وليس لها ولا لبعضها مدلول في الخارج يشعر بوجوده الشعب . ما عدى بعض اصلاحات نفعها دونه بكثير ثم اخلاصه وقيامه بالواجب الذي جعله الباحث كمسوغ للحكم عليه بانه لا زال بعيدا عن الحضارة فاقدا للتعليم شرده لا تدخل تحت حصر يحل ويرتحل لا جدار ولا قرار

وهي حال تنافي ضمنا ما تطالب به الامة التونسية اليوم وانه مقدم عن اوانه وقبل ابانه بل ان الكاتب الحكيم افصح في جملة وجيزة حشرها بين سطور فصله

من ان الشعب التونسي اذا اجتاز تلك العقبات وعمل بما قدمه من الملحوظات عندئذ يسوغ له ان يجلس حول الشعوب التي اخذت على عاتقها ادارة الشؤن واسنان القانون .. ذلك خلاصة ما قاله فضيلة الدكتور ... في مقال غير عربي فصيح . ونحن نقول له اولا ان (الحكمة الخلدونية) التي فاتحتنا بها من ان الرحل أبعد الناس تعلقا بالتمدين فالاطباء ايضا كذلك غالبا ويندر ممن جمع بين الطب والسياسة وان النادر لا حكم له وخصوصا الذي قضى طائفة من عمره في فهم العناصر وتحايل العقاقير واشغال الوظائف في المستشفيات وحل وارتحل وحج وادى المناسك واقبل على الاخرة ووقف بعرفات ......

ويؤيد ذلك عدم اصابة هذا الطبيب فيما قرره وكتبه في فصله الذي نحن بصدد مجاراته فيه لبيان عثراته ورفع الستار عن مكنوناته .....

وإلّا اي دري باحوال العمران بصير بسياسة المجتمع البشري يحكم على شعب هذا القطر بان معظمه من الرحل الماخوذ في مفهومه الهمج والجهالة والحال ان الواقع خلاف ذلك وانه اقسام ثلاث او طبقات . وان القليل ما عناه

على ان الانقياد والطاعة وتلبية النظام الحكومي والاخلاد والسكون وانتشار الجرائد وقرائها حتى في الخيام او تطلب العلم والارتحال اليه لدليل على وجود التمدن . وهو خلاف للهمجية التي يدعيها هذا الطبيب وحكم بها على المجموع

واما المدن والقرى والمداشر الذين هم معظم الامة فان الحضارة والتمدن والعلم مقدارها متفاوت في الجميع واما الشعور بالواجب فمنتشر عليها بمقدار عظيم ولم يزل في نمو وازدياد . وهو ما أهل الامة التونسية لان تطالب في ايجاد الكفالات اللازمة لحياتها الاجتماعية وحقوقها العامة . ثم ان الرحل وسكان الفيافي والوهاد والذي لا يقرا ولا يكتب من امم البلكان والجبل الاسود والالبان ومن كان على شاكلتهم نسبته من الشعب التونسي فيه كنسبته من امم الشمال . ولم يسمع ان طبيبا سياسيا قال حرام على من كان كذلك ان ينال دستورا او يشارك في امره تعليما وتشريعا حتى يجتاز القرون والاحقاب

ولو انصف السيد الطبيب ولم يكن في تحريره من غاية او حاجة ما تجرأ

على شكر ادارة المعارف عندنا وانتشار معاهد التعليم وحمل عدم الوصول على كاهل الشعب والحال ان الواقع يخالفه وان العراقيل التي توضع في سبيله وفساد برنامج تلك الادارة الذي خولها منع اعطاء الرخص حتى في المكاتب القرءانية والنتيجة العامة من قلة المعاهد على نسبة السكان لا اوضح برهان . ولولا الجامع الاعظم وفضله والخلدونية ووطنيتها والمدارس القرءانية وبركاتها وبعض القديم منها وقليل من الزوايا والصادقية في غير هذا العهد ما رايت حضارة علمية تذكر ورسائل او صحف تنشر ولا الامة على ما هي عليه اليوم . قلنا الصادقية لغير هـذا العهد لانها اليوم حالها جديرة بالاسف حيث انها مدرسة خاصة باحباس عظيمة الدخل والمحصول ولم تات بالنتيجة المنتظرة التي تشاهد على نظائرها من المدارس الثنوية لفساد برنامج التعليم بها وسلطة المدير لها وتنفيذه لتراتيب تخالف ما تطلبه الامة بحيث لا تسمع عليها ثناء إلّا من اساتذتها الجمهوريين الذين يتقاضون جرايات وافرة تشبه جرايات الكليات الاروبية ، ومن مديرها الذي يسكن قصر ساحتها البهيج (ومن التعليم الرياضي والجمنستيك) . . . .

واما وثوق الطبيب الباحث بادارة الاقتصاد ومديرها الحازم في حمل رحل الشعب على التعليم الفلاحي واستعمال اساليب العصر عليها لمن اغرب ترهات الحديث وان سكوته عن ادارة الاستعمار والفلاحة لاكبر من ذلك

ولا اعلم مبررا لهذا الحكيم في خلطه ذاك واتيانه لضروب من السفسطة إلّا تغلب احترامه لحبيبه النائب (دوفرين) من ان يمسه في عواطفه نحو هـذه الامة او جاذبية غرضه في اطراء صديقه المسيو مدير ادارة « المصالح الاهلية الفلاحية . . . الخ وإلّا كيف يعقل ذاك الرجاء من ادارة قصارى امرها القيل والقال والسفر والاياب او يعتمد عليها ان تمدن الشعوب التونسية الراحلة او يطاب من مديرها ان يثقف الاذهان باساليب العصر والاوان . . . . ؟ والحال انه بالامس سافر الى اقصى عمل في الجنوب وبعد ان حشر النـاس له قال لهم اوصيكم ببناء معصرة على الاسلوب العصري لعصر الزيتون . ثم قفل راجعا معتقدا انه عمل عملا صالحا ومفيدا . . . او يسوغ لصاحب البحث غض الطرف عن ادارة الفلاحة والسكوت عنها وهي

وحدها القادرة على النهوض بالفلاحة الاهلية كما نهضت بغيرهم فيها بما لديها من الاراضي الشاسعة والاعانات العظيمة من خزائن اموال الميزان . . والذي في مقدورها ان منحت فلاحا جمهوريا في عمل جلاص ارضا بيبع اشبه بالعطاء ولم يعمل فيها عملا عدى اشادة دور ومحيط لسكنى الحيوان حتى قيل ان ثمن ذلك المبيع اربعة آلاف فرنك وهو باعه الى وطني بستين الف فرنكا وهذا الاخير شجره بعشرات آلاف من الزياتين في الحال

ذلك مثال يدرك به الفرق بين الادارتين وايهما الحرية بالمطالبة وعليها الاتكال

ولو لم يكن في نفس المشار له شيء او غاية تسوغ له ارتكاب هذا التمويه لصرح بان ذلك التصرف الاستعماري هو الذي اوجب بقاء اولئك الاقوام الرحل لا قرار لهم . وان ذلك النفوذ المطلق هو الذي زحزحهم من واد إلى واد ثم يحل محل الفريق منهم فردا او ما دون الجمع من الذين شملته عناية الادارة ورحمة الاستعمار . واولا ذلك لكان هنشير سيدي ثابت (والعلم) وكثير من املاك الدولة مداشر ولا يبعد ان تصبح مدينة او قرية في قليل من الزمان

اما المسيو بريال وادارته فلا معنى للوثوق بهما إلّا في تحضير العملة للمعمرين وتعليم صناعة الاحذية والتزويق والتنميق .

وفي الختام لو اردنا استقصاء البحث مع الباحث في اعتباراته السقيمة لطال بنا الكلام ولكن في الذي اوردناه الكفاية . ثم اشير عليه من طريق النصح والارشاد بعد ان يتفضل علينا ببيان خدماته التي قام بها في الامة والوطن منذ ان اخذ قدر ذاته من الفراغ في الوجود . ان يشتغل بتحرير الفصول الاخلاقية التي هي شنشنة الاطباء رجاء ان يتعض بها بعض زملائه المسلمين المتكبرين والذين من اخلاقهم اذا دعوا الى معاينة مريض يرتكبون كامل الغطرسة بدل الرفق والتواضع وخفض الجناح رحمة بالمصابين . . وان من شيمهم ايضا اذا لزمهم معاينة من جاء اجله يدخلون دور المآتم بكبريائهم ولا يسلمون السلام المطلوب ولا يواسون اهل العزاء بكلمة ذكرى ولا يعزونهم . وفوق ذلك يفحصون المتوفى بعصاتهم كانه قطعة من الاخشاب وحتى بلغ باحدهم الدناءة في الاخلاق ان جاءه مضطر في غضون الليل يطلبه لمشاهدة مريض

له فخرج اليه متاليا غيضا على ازعاجه له من مستنامه ولم يكفيه انه لم يجبه الى مطلبه الواجب انسانية احاله مقتا على طبيب الخيل والبغال ....

فهذه الاخلاق هي الجديرة بهذا الحكيم محاربتها وللامة التونسية صحافة وطنية وعلماء وكتاب دربون لا وثوق لها في غيرهم ولا تعمل إلّا بنصحهم ولا تنقاد إلّا لمناداتهم والطبيب طبيب وله شان يخصه وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وهو سبحانه ولي التوفيق

قضية المتوظفين التونسيين

عدد ٦٩ في ١٢ ربيع الثاني سنة ١٣٣٩

اينما يقلب التونسي المغلوب على امره طرفه في شؤون هذه البلاد وحيثما امكنته فرصة ليجيل بصره في نظاماتها وتراتيبها فلا يرجع إلّا خاسئا حقيرا كسير الجناح مكلوم الفؤاد . فبينما يرى الجاليات الاجنبية تتزاحم على اقتسام خيرات البلاد الطبيعية وتنال المساعدات العظيمة لامتلاك نواصي ثروتها والتمتع بنتائجها يرى مواطنيه قد طرحتهم يد الاهمال على جوانب ارض انبتتهم وانبتت اباءهم من قبلهم . والقت بهم في وسط ذلك المعترك الهائل عزلا من السلاح مجردين عن الحقوق السياسية عديمي كل مساعدة حكومية غير ملتفتة إلّا وقت استخلاص الضرائب من بعض من اسعفهم الحظ وساعدتهم الاقدار لان يملكوا شبرا او ذراعا من هذه البلاد .

هذه حالة يذوب لها كل منصف حر مهما كانت جنسيته ويرثى لها كل من كان بين جنبيه قلب حساس ووجدان طاهر ويخجل حتى من ذكرها فضلا عن نسبتها لنفسه او لقومه - واذا نظرنا للحالة التي اعدت للمتوظف الاهلي نراها حالة يحار العقل مهما بذل من المجهودات في فهم اسرارها وحل الغازها . ذلك ان الفرق المجعول بين مرتب الاهلي وزميله يتجاوز الستين في المائة باعتبار المنح العديدة التي يتقاضاها هذا الاخير . وقد كان قبلا لا يكاد يبلغ العشرين في المائة فلما طلبنا

الانصاف وتعشمنا في التعاليم للفرنسوية خيرا فطالبنا المساواة في الاجور حيث نستوي في العمل فعومانا بنقيض ما كنا نومله، وذهبت صرخاتنا في الفضاء كنفخة في رماد.

بل زيادة عن كون مطالبنا لم تجب بل قد زيد في رفع الفرق الذي كان بيننا من ٢٠ في المائة الى ما ينوف عن الستين . ولا شك ان هذا هو عقاب كل من يرفع صوته بطلب حقوقه الشرعية ويجاهر بالاعراب عن رغائبه العادلة في هذه البلاد فماذا ينقمونه علينا يا ترى حتى حرمونا من المساواة ؟

شيئان ؟ اولهما عدم القيام بالخدمة العسكرية وثانيهما عدم توفر الكفاءة الادارية فينا وانحطاطنا في المعارف عن درجة زملائنا . فاما الخدمة العسكرية فلا يصح الادلاء بها في هذا الشان ضرورة اننا كنا ولا زلنا معفين منها فتعليل حرماننا من المساواة باننا لم نخدم الجندية هو تعليل بارد وفي غير محله لان الانسان لا يلام إلّا اذا اخل بواجب مفروض عليه اما اذا كان القيام به بمحض الاختيار فلا يطلق على ذلك الامر واجب ولا يلام على ترك فعله

على انه يمكن تشبيهنا في هذه الحالة بالمتوظفين الفرنسويين المعفين من الخدمة لاسباب شتى اما لعلل جسدية او لان طبيعة وظائفهم لا تسمح لهم بمبارحتها او لغير ذلك فهل يتخذ مع هولاء قانون خاص في المرتبات وهل يعاملون بما عومل به التونسيون المعفون مثلهم من الخدمة العسكرية بمقتضى قانون سبق وضعه ؟

ولعمري كيف يكون اندهاش هؤلاء السادة لو يباغتون بامر كالذي بغتنا به يقول لهم حيث انتم لم تخدموا الجندية فلا سبيل لنيل المساواة ولم تطمح انظاركم إلّا الى رتبة هي دون رتب زملائكم فماذا يكون جوابهم على هذا الامر الغريب ! هل يقابلونه بالخنوع والرضى ام يقيمون عليه دويا يبلغ عنان السماء

ذلك ما نريد من اولياء الامر ان يفكروا فيه وعلى هذا القياس نريد ان يعلموا مقدار اندهالنا من امر فوجئنا به على حين غفلة خصوصا وانه يشمل في طيه قانونا لمن ياتي وقانونا ينسحب على المتوظفين الحاليين والحال ان الشان في الاوامر والقرارات انها لا تتخذ إلّا على المستقبل فقط ويكون تاثيرها عقيما بالنسبة للماضي فتقييد الامر المذكور حق المشاركة في المناصب العامة المشتركة بين الفرنسويين

والاهليين والتمتع بالمساواة مع الفرنسويين بلزوم الخدمة العسكرية امر يجوز سحبه على المستقبل ولا يسوغ تطبيقه على المتوظفين الحاليين ضرورة انهم لم يجدوا عند ما دخلوا للخدمة الادارية امرا يفرض عليهم الجندية فلو كان الامر موجودا لدخل من دخل منهم على بينة من امره ولرفض الوظيف قوم يميلون الى الراحة والسلام

اذن فتمتع المتوظفين الاهليين الحاليين بالمساواة مع زملائهم امر طبيعي لا ينازع فيه منازع فقد ثبت بالبرهان ان عدم قيامهم بالجندية لا يعد منهم مخالفة لقانون موجود قبل بل كان امتثالا لامر من ملك البلاد الشرعي بخولهم الاعفاء لما لهم من الالقاب العلمية وغيرها وحيث لم يخالفوا امرا ولا تجاوزوا حدا ولا عصوا شرعا ولا خرقوا سياجا فلماذا يتاخرون عن زملائهم عند قبض المرتبات ولماذا يكون جزاءهم عند الحساب ضعيفا ؟

***

والسبب الثاني الذي كثيرا ما ينقمونه علينا هو عدم توفر الكفاءة الادارية فينا وانحطاطنا في المعارف عن درجة زملائنا الفرنسويين حتى ان الامر العلي الصادر في ٣ رمضان الفارط يشير على من يرغب في المساواة ان يجتاز عقبة الامتحان المعد لزملائنا الفرنسويين الخ - فاذا امكن لبعض المتوظفين الاهليين العارفين باللغة الفرنسوية اجتياز امتحان زملائهم كيف يمكن لطبقة عديدة من المتوظفين هي السواد الاعظم ان تخوض هذا الغمار وهي تجهل اللسان الفرنسوي على ان التعبير بالجهل هو في غير محله لان الذي يجيد الذي يباشره وليس له المام بما يباشره غيره لا يطلق عليه صيغة الجهل فالحاكم التونسي متى اتقن ما يراد منه واجاد تطبيق قانون البلاد هل يطلق عليه صفة الجهل اذا لم يكن له المام بالقانون الفرنسوي الذي لا تهمه معرفته . ثم ان العالم ليس كله محصورا في معرفة ما دون أخر . فقل لي بربك اذا جاز للمتوظفين الاهليين ان يقتحموا الامتحان المعد للفرنسويين كيف لا يجوز بمقتضى قاعدة العدالة التي ترغب الحكومة الجمهورية في تطبيقها في هذه الديار ان تشير على الفرنسويين باجتياز الامتحان الذي يجتازه نظراؤهم الاهليون فالكاتب الفرنسوي او المنشي يلزمه اذن تعاطي الترجمة بنوعيها



السيد احمد الصافي الكاتب العام للحزب الحر الدستوري واحد اعضاء رفود الباريسية الاول والثالث ، ومن المخلصين في المسألة التونسية



السيد محي الدين القليبي
الكاتب الثاني للحزب الحر الدستوري والرئيس للجنة التنفيذية ومن جلة الاقلام الذي لا يلحق في مضمار ولا يشق له غبار حازما مخلصا



السيد حسين الجزيري صاحب (النديم) الاغر ومؤلف كتاب رياض الظرفاء وهو من النوابغ الذين امتحنوا في سبيل الوطنية (١) وجمعوا بين الاجادة في النثر والشعر

---

(١) يراجع من ديوانه قصيدة بعنوان صوت من السجن ....؟؟

والانشاء العربي ويلزمه دراسة الفقه الاسلامي والنحو العربي الى غير ذلك مما يطلب من التونسيين فيكون اجتيازهم لامتحاننا واجتيازنا لامتحانهم واحدة بواحدة جزاء

***

على ان الامتحان يكون طبعا باعتبار الخدمة التي سيباشرها الانسان فلو كانت الخدمة التي عينت للاهليين كالتي عينت للفرنسويين لا يلزمها معرفة العربية يكون الامتحان فيها باللسان الفرنسوي خاصة وعند ذلك لا لزوم لاستخدام الاهليين حيث يتعين في تلك الظروف استخدام الفرنسوي لان الاهلي لا يستدعى إلّا الى الوظائف التي يخدمها بلسانه القومي ولا يلجأ اليه إلّا عند الاحتياج الكلي الى معارفه فالامتحان الذي يجتازه المنشي او المترجم او الكاتب الاهلي يكون عنوانا على الخدمة التي سيباشرها وغالبا يطلبون منه المعرفة باللغتين اللتين يقضي في دراستهما سني صباه فلو كنا نعلم ان المساواة في المرتبات هي منوطة بمزاحمة زملائنا في مناظراتهم لكنا زاحمناهم في اوقات الدراسة وزحمناهم في معارفهم القومية لكن اتظن ايها القاري الكريم ان مزاحمتهم في معارفهم كافية لنزاعهم في الوظائف كلا فانهم يقولون لنا - اذا كنا نجهل لسان البلاد - ما كنا بصدد توضيحه وهو ان لا احتياج اليكم ايها الناس لانكم تجهلون العربية ولولاها لكنا في غنى عنكم فاذهبوا بسلام ! اذن فانت ترى ان الاهلي المسكين جعلته ظروف الاحوال في هذه الارض التونسية الجميلة التي عاش فيها وعاش فيها اجداده من قبله بين عاملين متناقضين فاذا هو صرف اوقاته في تعاطي اللغتين معا او لغة البلاد وحدها يجد متسعا في الوظائف العامة غير انهم يقولون له انك لن تستوي مع زملائك إلّا اذا اجتزت معهم امتحانهم واذا اراد ان يجتاز امتحانهم وقضى اوقات دراسته في اجادة الفرنسوية وحدها يقولون له نحن ما دمنا نجد الفرنسويين يقومون مقامك فاي فائدة في استخدامك. فحنانيك اللهم على هؤلاء التعساء الذين تعبت اصواتهم من طلب الانصاف وعلا ضجيجهم في نداء العدالة وفي تحريك الشعور الفرنسوي الذي شعاره ان الناس اخوة وكاد ان يتولانا الضجر لولا رحمة من الله ووثوقنا بان الحق مهما اعترضته من الحوائل الوقتية فانه لا بد ان ياتي عليه يوم يشرق فيه ضياءه ويلوح في الخافقين سناه (متوظف)

حول ارتحال السفير

الى دواخل الايالة

عدد ٦٩ في ٦ شعبان المبارك سنة ١٣٣٩

من القواعد المقررة (علما منطقيا) ان الحكم فرع المعرفة ونتيجة الادراك والتصور . وهي من الحكم التي اصبحت سبيلا واضحا لا يحاد عنه في الوصول الى الحق واصابة الصدق لكل من اراد الابرام في جزءي اوكلي خاصا او عاما تضرب مثلا وتساق دليلا وناهيك بها وهي من علم قد وضعت قواعده حكماء كامثال افلاطون . فلا غرو ان كانت لدى الساسة المتبصرة وحكام الشعوب كرائد لاعمالهم في الامم التي يسيسون امرها والاقطار التي يديرون دفتها وانيط بمداركهم حق الاعراب عن حال هم عليها . ثم هل لاصلة بين ما هم عليه وبين ما يطلبون

وقد ظهر ان من جاء لذلك الشان الخطير من غير تلك القاعدة المحكمة الوضع والاساس كان مقصرا وقد اختبل به القصد واكبى به الوصول فتساوى في النتيجة من اتيانه . الحكم والحاكم والمحكوم ....

وعليه فلا عجب اذا كان امتنان الشعب التونسي عظيما لدولة الحماية في اختيارها لهذا القطر عميدا هو ذلك السفير المتبصر الذي سبقت الينا ترجمته ووصلنا الثناء على مداركه قبل حلوله بين اظهرنا واستلامه حكم السفارة العام واشرافه على امر هذا الامة الهام . لان العيان اصبح يرينا اكثر مما سمعناه والايام تحقق ما توسمناه وانه الرجل الذي لا يتكلم إلّا عن روية ولا يحكم إلّا بعد تصور ولا يقول إلّا جازما . حتى كان لدى الامة العزم القوي واليقين الجلي بان زمن السفسطة والاغراض الادارية قد ولى لا على نية العود وان المستقبل باسم عن استبشار ....

نعم لذلك الغرض السامي قد ارتحل الى جنوب الايالة بعد زيارة الشمال وسبر مجمل الاحوال وعلم ما بالعاصمة ليتم له الوقوف عيانا على شؤون البلاد

وساكنيها مارا بجل مدن المملكة وقراها ومداشرها ومقبلا في كل حل اعيان الامة ووجهائها ومن ناب عن العموم . تاركا لهم حرية القول والطلب وعرض حاجياتهم وتقديم شكاياتهم وما منه يتالمون . خلافا لما كان يعهد في امثال هذه المواكب من الاقتصار على قبول افراد منتقاة لا يمثلون إلّا انفسهم تختارهم السلطة من اطرافها وتناول اصبحهم وجها واهيئهم لباسا عرائض الامتنان وشواهد الاخلاص التى نمقتها في زوايا القصور وافعمتها بشكر الحالة والنعيم الناجم عن حكمها المطلق ... وان البلاد مغدقة بالبركات والامة مغمورة بالخيرات لا يهضم لها جانب ولا تعامل إلّا بالقانون وصريح الاوامر . الى غير ذلك مما يختم بالثناء على نزاهة الموظفين واستقامة العمال وورع الخلفاوات واعتدال الجباة الخ .. بحيث ان الشعب لا يشارك إلّا في الاصطفاف والوقوف وارباب الحكم تترجم عنه وتنطقه وهو صامت وتقوله (وهو يسمع ما على لسانه ماقول ومكتوب) ...

اما اليوم بعد افصاح المقيم لوفد الاربعين من فتح السفارة لكل ذي حاجة واستبشاره بكل متشكي ارهقه الاعتداء فالواجب على بعض ارباب النفوذ المدول عن شنشنة الفوها من قبل وطباع سافلة سرت فيهم سريان النار في الحطب وان يطيبوا منها وليعلموا ان مسيو سان غير الذي عرفوه من قبل وان امة اليوم غير الامس والعاقل من لم يجمد على سياسة واحدة بل يتبع التطور وجوبا ويدور مع المقتضيات كيفما تدور ... نعم تحرك الرتل السفيري من الحاضرة ووجهته العاصمة الثانية صفاقس الغناء تاركا عاصمة الساحل للاياب مارا بمركز خلافة الجم للتفرج على الهيكل الروماني الذي لم يزل ناطقا بما كان لمشيده ورافع اركانه من القوة والسلطان رغم كر الدهور ومرور الاحقاب والعصور . وكان قبل ذلك النزر اليسير من الوقوف للتفرج على تلك الاطلال حضور عامل المهدية واعيان العمل وجمع عظيم من الفرسان والخيول المسومة احتفالا بالعميد ومن ثم اخذ السماح السفري يظهر والوثوق يتمكن من العموم . ثم وصل الرتل السفيري مناخ الحزم والرقي الاقتصادي والجد والشعور بلاد صفاقس التي كانت لابسة لزخارف الجمال وحلل البهاء والجماهير مكتظة والجموع حافة حول ممره هاتفة له . وبعد ان اديت له مراسم التحية والمظاهر

الرسمية من المتوظفين على التناوب ومن ذي الحيثيات الشبيهة بالرسمية ومن الجالية والنزلاء . كان في الحسبان ان يشارك حزب الامة هنالك بتقديم نوابه والقاء خطابه في اليوم نفسه ولكن السلطة الادارية التي هي كالحلقة المفرغة لا يدرى منها من هو الامر ومن المسئول اخـذت تسعى لعرقلة تلك المساعي ونفث لاعضاء الحزب الدستوري نفثات الاهاب من طرق متنوعة وباساليب مختلفة منعا من ان يذكر ما من شانه ان لا تالف المسامع ذكره كالتعريج على بعض المجاريات والتصرفات . او الغـايـة لئلا يذكر الدستور او يطالب الدستور او يقال ليعش الدستور . وان الظنون على استخراج الموجب في تضارب واختلاف . كان ذلك كله ولكن قد يصدق من يقول ان التضامن والشعور بوجوب وحـدة الطلب الذي شوهد على طبقـات الامة في هـذه الرحلة السفيرية لدليل واضح على دحض ما تحاول نصراء الاستئثار وعشاق الظلم الصاقه بالمسالة التونسية من انها مصدر نابتـة قليلة وثلـة ناشزة تتنوع في وصفها ووصمها بضروب من النعوت . لتجلي تلك المظاهر الحقة اولا على عاصمة الجنوب حيث ان ذلك الارهاب الاداري الذي اشرنا اليه آنفا لم يحل بين زعماء الامة وعرض ولائهم على العميد ومطالبهم التي هي غاية الوطن ومقصد العموم

وقد وقع ذلك بعـد استئذان تلغرافي يتضمن اسباب المنع والقصد منه فكان لذلك الاسراع في الاجابة والجواب عن الخطاب ابتهاج عظيم واحكام في الولاء وثناء من غير احراج . ولو تبصر ارباب النفوذ هنالك لاخجلهم صنيعهم ووبخهم ضميرهم لعلمهم ان مطالب الامة لا خفاء فيها ولا حرج وقد عرضت على الامير وقدمت للسفير ووجهت للخارجيـة ووزعت في البرلمان على النواب والشيوخ . ثم ان صريح عبارات المقيم في غير ما موطن من انه لا يرضى بان يحال بينه وبين الامة ونابتتها بالوساوس والاغراض وانه غير منصت للمغرضين . ففعلهم لذلك وامرهم به ينذر بالنظير قبحا سيما والتحقيق ان لا اذن لهم من المراجـع العالية وانما هي اساءة ارادوا جهـلا بها احسانا . والذي يوجب تسجيل الانكار على فاعله وعلى الامر به فوق ما اسلفناه هو السطو بالازالة والتمزيق على ذلك الشعـار الاخضر المكتوب عليه الدعـاء لتونس وللنظام الديمقراطي ولحياة المقيم الذي اقيم في ممرة كثيرة من البيارق والاعلام

حيث تشارك احد اعوان القوة العامة وعون ادارة الضبط والبوليس في تلك الجريمة الادبية . ومن الاسف انه الى الان لم يعلم من الامر بذلك ومن هو مصدر تلك الشناعات التي هو بها اهل لان يصب على راسه لوم وزجر بمقدار ما يرضي العموم . لان ذلك الشعار الذي هو عبارة عن خرقة خضراء كثيرا ما تجعل نظائرها في امثال هذه المواكب كعنوان على الامتنان ومثال للعواطف والشعور . . .

فتمزيقها جرم ادبي عظيم لوجوب احترام الكلمات التي نقشت عليها كلتحيى تونس وليعش النقيم وليحيى الدستور . فان كان تطير تلك السلطة من الكلمة الاخيرة فان الراية المثلثة تمثلها باكمل الوجوه وبكل معنى الكلمة . ثم ان الشان في امثال ذلك كثير كحضور شعار الاحزاب والجمعيات والطرق واعلام الزوايا . فلم لم يراعى ذلك العنوان الذي لا يمثل إلّا الاحساس الصادق والاخلاص الوائق وخيال ظلي لا حول له ولا قوة فيعامل بما عومل به ولكن سوء التبصر والتهور في الامر لا يقابل بصاحبه وجه السداد دائما بل يلقيه يم طغيانه بسواحل مخيفة اذا لم ينتبه . . والذي يلاحظ بسرور ان الخطب التي القيت في كل حل لجنابه ولو من الشبيهين بالرسميين قد روعي فيها رغائب الامة ومطالب العموم كخطاب نائب الشورى بقابس وصفاقس وخطب خواص الخواص في كل حل يرتحل منه وترحاب يلاقيه . . . .

وان الابتسام السفيري للجموع التي تربو على الالاف عدا عند مروره بالمطوية وقبل دخوله لقابس في طلبهم الدستور كان محفوظا في زوايا القلوب وقد كان في الحسبان تتبع خطوات هاته الرحلة الاستطلاعية بلدا بلدا وخطابا خطابا ولكن ابى البراع ان يزيد عما اوردناه في هذه العجالة ولعل فيها الكفاية حيث جاءت كحوصلة فكرية في الموضوع وكانت كمرءة يترى فيها ما عساه ان يقال من جديد

وفي الختام يبتهج مرشد الامة بعود العميد على ما يرام معتقدا انه آب ممتلي الحقائب مما شاهده على الامة من الوثوق ومن الاقبال على شئون تهم السائل والمسئول ثم ما على البلاد من اثار الرقي وانتشار العمران الذي انجمه الاحتلال وما نصيب ابناء البلاد منه وما مقدار حظوظهم فيه ازاء الاستعمار . ليكن على بينة من ان ما تطالب به الامة جدير بالاجابة وما تشكو منه حري بالملافاة اذ المدار اجراء ما يتمحض معه للمتساكنين الاخاء وعيش الصفاء والله ولي الاعانة والتوفيق

نهضتنا الحقة (١)

او

محاضرة الوفدين الدستورين

٢١/٢/٨

عدد ٧٠ في ٢١ شعبان الاكرم سنة ١٣٣٩

لا يشك بعد محاضرة الوفدين في تكامل شعور الوطنيين وتكافؤ قوي الاحساس في كل الطبقات فقد كان القوم يومئذ اذانا صاغية وقلوبا واعية يتطلبون استقصاء ما دار بشان المطالب والدستور مما يحقق للناظر ان الوفد وكيل الامة وان الدستور بغيتها . الشيء الذي يأذن بوجود نهضة حقة بالبلاد . هذا مثال واحد من عشرات امثاله تقدمه برهانا جديدا على روحنا القومية والتطور المحسوس في هيئتنا وردا محكما لمن انكروا جدارتنا وجحدوا اهليتنا وعزوا مطالبنا الى رغبة طائفة خاصة وفريق ممتاز . نعم ان الروح القومية سادت بين جموعنا سيادة يعترف بها كل الخبراء الذين تولوا الزعامة الحقة وساسوا الامر بسلام . لانها (وهي كما قررناه) متكافئة الوجود في كل على السواء ومصداق الراي العام صاحب الدولة الكبرى في كل الشؤون والاحوال لان الراي العام اليوم صار ذا مكانة عليا تجري بتياره الشؤون وتنفعل بانفعاله الاحاد . فاتحاد وجهة الامة اليوم وارتقاء عقليتها وعملها المتضامن

(١) القى الحزب الحر الدستوري بلسان كاتبه العام محاضرة بساحة جامع الهوى على الاف من الشعب التونسي بين فيها ما قام به الوفد الاول والثاني من الاعمال بباريس في امر المسئلة التونسية شارحا ادوار المذاكرات مع رجال الدولة الفرنسوية وارباب الحل والعقد . فكان الشعب في ارتياح من ذلك البيان المستفيض وكانت المحاضرة الملقاة على مسامع الالاف المنسطين من الامة كالاية الكبرى على الشعور العام

لتحسين حال يؤلمها بقاؤه هي وحدها الداعي لاخذ الكفالات الضامنة لنفسها العيش والبقاء . فالراي العام هو صاحب الدعوة وحده للدستور ولولاه ما تجرأت الناشئة الصالحة على طلبه ممن رشحوا انفسهم لانصاف الوطني يوم تكامل الاهلية فيه ولولاه ماكان للمحاضرة اليوم ما هو لها بين الانام

على ان الناكرين علينا امرنا يعترفون ضمنا بوجود نهضة قومية في البلاد وما دامت الحالة تلك فان الامر ياذن بوجود راي عام يشعر ويقرر ويطالب ، فانكار أستحقاقنا لما نطلبه ونرجوه لا يفسر بغير مغالطة لا تؤثر في السياسة الحرة وحب الانصاف ، قلنا ان نهضتنا قد بلغت اشدها وان مظاهر العقلية ارتسمت في كل الحوادث الداعية الى سوء المصير غالبا وان راينا العام كان بصيرا بحاجياته واثقا بمن عهد اليهم تقريرها رغم كل الحيثيات التي تدعو الى تدهوره وفشله ، ولا ادل على ذلك من رفع حالة الحصار والغاء الاوامر الاستثنائية التي اصبح بقاؤها لدى ولاة الامر امرا جائرا لا مسوغ لحفظه بين من عرفوا بالوداعة والمسالمة في المواقف واشد الظروف خطرا ، فقد كانت الادوار التي تخللت حياتنا الممتازة تشهد للتونسي بادبه نحو الواجب وخضوعه لمقتضيات الحال ملتحفا بالولاء والطاعة واثقا من جلاء الامر يوما ما ، نعم ان الوطأة كانت شديدة علينا يوم حرمنا من صحافتنا وصودرنا في ابريائنا وتقول المغرضين عنا ما انتهى التحقيق ببطلانه ، ولكن ذلك كله لم يخرج بنا عن دائرة التظلم والمطالبة بحقوق نراها لازمة لرفع يد السوء علينا ، الامر الذي يكون شاهدا عدلا على تكامل عناصر القومية فينا ونضج النهضة التي نحن بصدد تحقيقها في هذا المقال ، ان في الغاء الحالة الممتازة بالقطر رجوعا بنا الى الحياة العادية التي يتمتع بها العالمون ولا شيأ فيها من المنح الجديدة التي يطلبها الوطنيون بفارغ الصبر لان حالة الحصار وما شاكلها قد عملت في احداثها مجاري السياسة الخرقاء يومئذ وما طرأ على العالم بعدئذ من فجائع الزمان لا اثر لروح الشعب وتياره فيها ابدا وان ادعى المدعون خلاف ذلك فدعوتهم لا تقبل بحال

هذا والذي يسطر بمداد الشكر في اعمال المقيم الحالي مبادرته الى رفع هذه الحالة واعتبارها باكورة اعمال يريد معالجتها ، لان في هذه المبادرة تحريرا للصحافة

من اغلالها وتشجيع المواهب على الظهور حتى تكون خير ترجمان على رغائب الامة التي عهدت بحماية مصالحها لذمة دولة الجمهورية والاحرار . فالغاء الحالة الممتازة اليوم وان كان حقا مستردا في بابه إلّا انه بشارة كبرى يثناج لها صدر الوطنيين الذين ما برحوا ينتظرون تحقيق امانيهم بما يقتضيه الضمان

نعم ان الامة اليوم استعادت حياتها الماضية فاكتسبت بذلك وسائط الشكوى وابلاغ صوتها لمن آلوا على انفسهم تأمينها وتمدينها بعهود ومواثيق لا زالت موضوع الاحترام ومصدر التقنين فلم يعد لغير الشرع يد تسطو على الصحافة فتواريها الحجاب ولم يبق للظواهر خفايا لا يتبتها العيان ....

فلا حرج اليوم على الصحافة ان امتطت متن البيان وواصلت البحث في علل الامة وادوائها . فباب التفاهم مفتوح ومجاله اليوم مأمون والحال ياذن بانفراج ازمة هذا الزمان . هذا وقد جاءت جولة السفير اليوم مؤيدة لما بلغنا عنه قبيل مجيئه من انه مولع بالفروسية وانه سيتخذ هذا الولوع مساعدا على درس احوالنا بنفسه حيث يتولى استقراء دخائلنا ويتخذ من تحقيقه دستورا يحسن به سياسة الحماية والبلاد . فان الاستقراء والتتبع ضامنان لنا نجاح المشروع وتاكيد انجازه ما دامت ثمة رغبة حقة في صدق النظر ورعاية صالحنا العام . وما جعل مشروع الاصلاح عسير التحقيق فيما مضى إلّا ارتكازه على تقاليد خات اعصرها واعتماد المتصرفين في اعمالهم ملاحظة من جعلتهم الوظائف في راس الامة والبلاد . فان السياسة اذا لم يتبع مجراها ما يوافق الزمان والمكان تنتهي الينا بما يشوه السمعة وسيء العقبى اساءة لا تغتفر بحال . فقد انتهت الجولة السفيرية بمعظم ارجاء القطر وكانت كلها دلائل خبرة وحزم يشهدان لمنتخب الجمهورية ببعد النظر . كما كان الوطنيون في ثنايا استطلاعاته مثال النبل والكفاءة يوالون شواهد الاخلاص مقرونة باحلام الامة وامانيها فيما تراه واجبا مقدسا لا يطيب العيش بدونه وقد ادركت مرمى العميد في مباشرتها بنفسه فابت إلّا مقابلاته وبما شرحته جهارا بما حرمته مرارا وتكرارا من حق التصريح واعلان ما يجيش بالخواطر والوجدان

وما كان ابتهاجنا بالعميد بالغا منتهاه إلّا لاتخاذه الخبرة النفسية سنة في اعماله

واشتهاره بحسن الادارة بولاية (ليسن) حيث كان يحسن ما اساءه الالمان بها فان نالت من ادارته لتلك الولايات المخربة عناية وتحسينا فان هيكلنا الاجتماعي سينال على يده تحقيق مصالحه الكبرى وانجاز مشرعه النبيل (ت. بن سالم)

تربية الامم والشعوب

عدد ٧١ سنة ١٣٣٩

جزى الله الشدائد كل خير

الدهر خير المعلمين وحوادث الايام افضل المربين لمن وهبه الله صفاء الطبع وقوة الحكم وصحة النظر . يقول العصاميون ويروي عنهم كاتبو سيرهم انهم استفادوا مما نزل بهم من المصائب وما حل بهم من الخسارة اكثر مما جنوا مما قيض لهم من الفوز وما اتوا من الربح والنجاح . وهذا شأن الافراد في كل زمان ومكان يتعلمون من الشدائد ما تعلمه الشاعر العربي الحكيم الذي استشهدت بصدر بيته في هذا المقال

اذا نشأ المرء وترعرع وشب وشاب في الدعة والرخاء فالغالب ان يكون مثله مثل تلك النباتات والورود التي يصونها اصحابها من البرد والحر ببيوت من الزجاج تقيها لفحات الجو فاذا تعرضت لعوامل الطبيعة ذوت ونكست رؤوسها . كذلك شأن من لم يتعرض بحوادث الدهر ولم يعان تجاريب الايام وصروف الليالي اما الاشجار الصلبة التي تغالب العواصف وتقاوم تقلبات الجو فانها تعيش في بطون الاودية وعلى سفوح الجبال مرفوعة الراس غير مكترثة للحر ولا عابئة بالقر . ومثلها الافراد الذين يخضون بحر العالم المضطرب بامواج الحوادث وانواء الوقائع فانهم اقوى ساعدا ويصبرون على المكاره لان هذه الشدائد تضطرهم الى استعمال ما فطر الله فيهم من المواهب العقلية والادبية والبدنية وهي كعضلات البدن اذا استعملت فى الالعاب الرياضية ورفع الاثقال ونحو ذلك من الاعمال تشتد وتقوى اما اذا تركت وشانها ضمرت وضعفت وكذلك سائر القوى ولا سيما الادبية والعقلية منها

فان الدعة والرخاء يضعفانها ولا يخرجان ما كمن فيها لعدم ظهور الحاجة اليه

ان ما يقال من هذا القبيل عن الافراد يقال مثله عن الشعوب والجماعات فان الشعوب التي تستسلم الى السكينة قانعة راضية يصيبها ما بسطه ابن خلدون في مقدمته الشهيرة لان قواها تظل كامنة فيهـا فلا تظهر الى الوجود ولا تشد بالاستعمـال كما تشتد عضلات المصارع ولاعب الالعاب الرياضية

اما اذا عالجت الشعوب عظائم الامور وقارعت حوادث الايام فانها تستخرج خير ما فطره الله فيها من القوى والمواهب لان هذه الشـدائد تشحذ قواها وتنشط فيها عامل مقاومة الفناء وعامل حب البقاء بمغالبة ما يعارضه من النـوازل والنكبات

وان لنا في تاريخ العالم الحديث عبرا يجلو بيانها هذا الاجمال الا ترى كيف ان الحرب العظمى اخرجت من الشعوب التي خاضت غمارها فضائل وقوى ما كانت تلك الشعوب نفسها تعتقد انها بلغت فيها المنازل التي تجلت فيها فكان الرجال يجودون بالحياة والمال والجاه ولا يعبأون بمراتب العز والشرف وكانت النسـاء حتى المترفات منهن يقصدن مصانع السلاح والذخيرة للعمل فيها بالمشقة وبعضهن يسوق اتوموبيلات الجند والذخيرة الى خطوط النار وقد تعددت حوادث الايثار حتى حصرت الاقلام دون حصرها . واذا كانت الطبيعة جهادا كما يقول علماء الادبيات وكان الاجتماع نتيجة تنازع البقاء كما يقول علماء الانسان والحيوان فاحر بالفرد والشعب ان يقويا ما فيها من القوى والمواهب فلا ترعوهما المصائب والنـوازل ولا يذعران للاهوال والشدائد فانها خير المعامين ومن افضل ما وجد في هذا الكون لانهاض الامم وشحذ القوى وتنبيه الخواطر . فلا يجزع شعب لما يلقى من المصادمات في سيره فانما هـذه المصادمات درس له ولابنائه اذا احسنوا فهمه جنوا منه الفائدة التي لا بد منها لكل شعب ناهض كما ان هبوب العواصف لا يضر شجر السنديان القـائم على سفوح الجبـال بل يقوى جذوره ويصلب عوده ويطيـل عمره ويمكنه من مغالبة الرياح الهوج والثبات على تقلبات الزمان . فجزى الله الشدائد كل خير

الجامعة الزيتونية (١)

عــدد ٧١

بعثت الامة التونسية في عهدها الحاضر بعثا ثانيا عقب ذلك السبات الطويل الذي كاد ان ياتي على ما في مفاصلها من عروق الحياة فهب شبابها الناهض الطام الى مسابقة الامة في مضمار الرقي بغيته الحياة . وما الحياة إلّا مزاحمة وجهاد في معترك كبير واستباق الى الغايات وفي كل ذرة من ذرات الكون ظمأ لارتواء خمرة الحياة وشوق مبرح للنمو وبلوغ اكمل الحالات تائقا لايام غر محجلة يسطرها المداد الذهبي على طروس التاريخ الفضية وما تلك عليه ببعيدة

هبت الامة للمطالبة بحقوقها الطبيعية المقدسة إلّا ان السياسة لم تستائر بسعيها بل رمقت المشاريع العلمية والادبية بالمساعدة وعمدت لانماء عددها فاحيت الخلدونية بعد ان شارفت لفظ النفس الاخير ونشرت بالامس جمعية قدماء الصادقية فكان الامس لها يوم النشور وانشات الاساتذة جمعية تسعى في صالحهم وما يرقي مجموعهم وعادت (الاداب والشهامة) للحياة كما انشي الهلال وجوقة القدماء

هذه الروح السياسية القويمة وهذا التطور الاجتماعي الذي وثبت اليه الامة كان لحماة العمائم وسكنة الاثواب العباعب منه نصيبا فمدوا ايديهم متظافرين على انشاء جامعة تعلي شان لغة لا زالوا يكرعون من ثديها لبان الشريعة الغراء وخليق بهم وهم ابناؤها ان يعملوا لاعلاء شانها وجدير بالنابتة الزيتونية المشاركة في انهاض البلاد وورود مناهل التقدم الاخلاقي والعلمي

هبوا لانشاء جمعية غرضها ترقية الاداب العربية وان تصوغ للامة التونسية طائفة تمجد ذكرها كما كان ممجدا في ماضي الايام والعصور الخالية وما كان يدور بخلدنا شك عند الشروع في التاسيس بانه مشروع سيحوز من الامة ارتياحا عظيما

(١) مضى على طلب تاسيس الجامعة الزيتونية اربع سنوات والى الان لم تصادق الحكومة على قانونها الاساسي ولا اعطت عنه لا جواب السلب ولا الايجاب . . .

وتتوجه اليه افكار كل زيتوني محب لرقي جامعته ساع في انهاض نابتة ينتسب اليها وعند اذاعة التاسيس هنالك انقسم الناس الى متطير يخاف على الزيتونيين ان يقدموا على هذا المشروع فيحبط عملهم وينالهم من العار ما كانوا في غنى عنه ومستبشر يمشي السرور في قلبه حينما استاذنت تلك الكلمة على سمعه وتنزهت لها روحه من داخل الجسد واصابت منه تلك الكلمة (الجامعة الزيتونية) مواقع ذي الغلة الصادي معتمده على همة الشباب الزيتوني الناهض وفي اريحية شمائل الشعب الكريم ما يحمل على الاعتقاد بان عملهم ستزدان هامته بتاج الفوز واكليل النجاح

تلك الثلة التي قامت بمهمة التاسيس لم تشرع في عملها إلّا بعد ان اختبرت نفسها حينا من الدهر ثم كونت الجامعة وسطرت دستورها التي وضعته بين يدي الحكومة املا في المصادقة الحكومية حتى تستقبل عصرا زاهرا وتوتي ثمرا شهيا فتبرزها للوجود بالحلة التي ترضى كل غيور وتكون درجة حسيه من سلم العروج الى اوج العزة والفخار . وقد آن ان اضع بين يدي القراء طائفة من قانونها مع كلمة هي كالشرح الموجز عليها . الغرض من انشاء الجامعة كما المعنا له في سالف المقال ترقية الاداب العربية بين طبقات ابنائها وقد اتخذت لذلك وسائل هي :

١ « تاليف ناد يضم بين جدرانه افرادها يتداولون الخطابة ويتبارون في ميدان الكتابة زيادة عن المحاضرات والمسامرات التي توحي الاخلاق اصلاحا وتهذيبا

حاجتنا الى الخطابة - للقيام بشعيرة من شعائر الدين (صلاة الجمعة والعيدين) تحتاج للخطباء وتزداد حاجتنا اليهم لما نرجوه منهم من تثقيف الاذهان وتنوير العقول وارجاع الجمهور عن غي يضر به واقناعه بصلوحية العدول عنه لامر يعود عليه بالصالح العام . وكبح جماح امة عن مفسدة لا يتيسر إلّا لخطيب بذلاقة لسانه وقوة حجته وبيانه بذلك يملك زمامها ويولي وجهها شطر ما يراه لها مفيدا

لهذه ولتلك التزمت الجامعة بتخريج فئة صالحة لاعتلاء المنابر والاستواء على منصة الخطابة والسعي في القيام بالفروض الدينية وستستنزف غلاله الجهد في تمرين ذلك المترشح للخطابة بالجوامع تلك الوظيفة التي يقوم بها كما يوجبها الدين القليل من الخطباء .

حاجتنا الى الكتاب ـ حاجة الامة التونسية لكتاب يستفيدون في جميع ما تخطه اقلامهم عصارة الاخلاق الاسلامية العالية والعلم الحق كحاجتنا لاثير يتنفس فيه ابناؤها ليعيشون وحاجة العربية لمجيدين يرفعونها للسماك الاعلى وياخذون بيدها الى مقامها الاول في ميدان العلم. واشد هذه الامنية العالية ستتحقق للجامعة بفضل الله

٢ « كما تنوي اصدار مجلة تهتم بشئون الدين والعلم ولست بحاجة لبيان فضل مجلة دينية تصدر بانتظام في مواعيد صدورها وتتحف قراءها بكل لذيذ مفيد

٣ « كما انها تهتم بانشاء مكتبة تضم بين اضلاعها خير ما اخرج للناس من المؤلفات وبنوع خاص احداث مطبوعات الشهر وتنتقي من نشريات العالم العربي كل ما لذ وافاد من صحف ومجلات

«٤ وستبذل قصارى الجهد في نشر مآثر التونسيين احياء لذكر فطاحل الخضراء وتنشط المؤلفين والمعربين والناشرين ولسنا بصدد التعريف عن شدة حاجتنا لمؤلفين ينشرون بين ظهرانينا ثمرات افكارهم بل ذلك موضوع يستلزم مقالا بانفراده نضرب عنه صفحا خوفا من الخروج عن جادة الموضوع الذي اتخذنا على انفسنا الكتابة فيه . كل هذه الوسائل التي مهدتها لما ترتجيه من النجاح في خدمة صالح الخضراء لم تنسها مد يد المساعدة للطالب الزيتوني سواء بجراية يرجعها لها اقساطا عند ما يفتح له باب للاسترزاق او باعارته كتب الدراسة التي لا يجدها بمكتبة الكلية الزيتونية تلك الكتب التي حبس اكثرها على السوس والبقية على بعض الشيوخ الذين استاثروا بها لانفسهم . ولاضربن لكم مثلا ما اتفق لي من طابي لديوان الغراب والقبس ثلاث سنين متوالية وكلا من الكتابين عند شيخ يجدد استعارتهما لمجرد ارجاعهما في شهر شعبان حتى قيل لي ان الشيخ لا يتسلم ورقة الارجاع إلّا بعد ان يعطى ورقة الاذن له باخذهما . . . هذه طائفة من قانونها وشرذمة مما تنوي القيام به اذ تعطفت الحكومة وصادقت على قانونها الذي لم يعرض إلّا للمصادقة لا لان يحفظ في خزائن يحفظون بها القانون لو ارادوا حفظه والمستقبل كشاف النوايا

(ابن خلدون)

الوطن للوطنيين

٢٧/٤/٢١

عدد ٦٢ في ٢ شعبان الاكرم سنة ١٣٣٩

كان التلفظ بطالع هذا الفصل وما شاكله في المعنى محجورا في العصور المظلمة والقرون المطلقة النفوذ وكبيرة لا يعذر لافظها بل يقاد الى الجزاء عليها بمواقف الزجر والعقاب . وذلك مذكان الاطلاق في الحكم مقام الهياكل والامم تسبح في الجهالة فتساق مقيدة بتلك الارادة القاسية فاقدة لكل اختيار . الى ان ايقظها العلم والشعور بالحق الطبيعي للانسان من حيث كونه انسانا ولد حرا . فتضامنت على نسف تلك الهياكل الجورية واسقطتها على رؤوس القياصرة وملوك الاطلاق ثم اشادت على اطلالها الجمهوريات الحرة او الملوكية المقيدة التي لشعوبها حق الاشراف على اعمال الحكومات . فضربت الشورى سرادقها ومد الدستور اجنحته على البشر فاصبح الضعيف وذو الحول والطول في الحقوق سواء فيطالب ذاك ذا فيجد النصفة منه ثم ارتفع الحجر وساغ للمسود عليه ان يقول وطني وانه الاحق بالاستشارة فيه والجدير بان يشاطر في منافعه السائدين ...

واول ما اسمع عذوبة ذلك المبنى (وشنطون) عند ما ابعد غزاة الانكليز عن وطنه وجعل في طالع مسنونه ان امريكا للاميركانيين . فاستعذبتها الافواه واسترسلت في ترتيلها حتى كادت ان تلحقها بالايالات المقدسة المروآة على الحواريين . فلا تسمع من افواه نصراء الانسانية ومحبي الحرية إلّا امريكا للاميركانيين . وايرلاندة للايرلانديين . وكندا للكناديين . واستراليا للاستراليين . ومصر للمصريين . وتونس للتونسيين . والهند للهنديين . وبلونيا للبولونيين . وطرابلس للطرابلسيين . والصين للصينيين . والسودان للسودانيين . الى غير ذلك من الاماني المستعذبة لدى كافة شعوب الارض الذي يشارك ضعيفها قويها في حقيقة الانسان .....

ولتايد تلك المبادي المقدسة وجدت الاشتراكية في الامم الحرة بعد وجودها في

الاسلام وقامت دعاة الانسانية تصارع العسف بالمغلوب وتدعو الى وجوب الاخذ بيده حتى يلتقى به في مجمع طرق السعادة والرقي وتصد اكاسرة الاستيلاء عن تسخير النوع البشري لشرف الانسانية فيه

وقد زادت تلك الاماني نشاطا في شعوب الارض تظافرهم في هذه الحرب الشعواء لصد الجبروت على العبث بالانسانية وعن استعباد البشر وكان النصر حليف الحق فيها وطوى الدهر دفاتره المملوءة اهوالا قاساها بنو الانسان في ذلك السبيل. ثم تنوعت تلك الاماني في الشعوب الى تحريرا واستقلال او مسايرة الى الرشد او طلب دستور يضمن مساواة المتساكنين . كل على حسب الرقي فيه ومبلغه من الاحساس والعلم . وقد اسعد الحظ بذلك امما لا على تعب وعلى الاثر اخرى منتهجة تلك السبل وغايتها الوصول الى المبتغى . فهل للشمال الافريقي في تلك الحظوظ من نصيب ؟ . نعم في القواعد المقررة لدى الانسانيين ان الجزاء على قدر الاعمال والجميل يقابله الجميل وان اصول من القى الدهر الى احضانه هذا الوطن الذي تجاوز في القيام بواجبه نحو الحاميين الحد المطلوب هي عين الامثلة التي قررناها ءانفا فهل لا يعد محقا اذا طلب كتلك الامم دستورا يضمن له تحقيق اجراء تلك الاصول وتنفيذها . فتتبادل المنافع بين من تقاسم سماوه على السواء وتلحق ابناؤه بالحاضنين

لا جرم اذا عقدنا الخناصر على تحقيق اجابته الى ما طلب واسعافه فيما رغب لان الولاء المطلق في نظر الاحرار امر ثمين جدا وبقدر عظم مقداره يكون نكرانه والمجي للمخلصين على عكس ما يرجونه

وهل في الاخلاص ريب مع من اجتاز خط هندبورغ الجهنمي وشارك في رد الجرمانيين الى داخل حدودهم صونا لحرمة الانسانية والحق وذودا عن حياض عاصمة المدنية باريس من ان ينال الجبروت منها . وقد اصبحت بعد ذلك مجمعا لنواب ضعاف الامم تستنجد احرارها لنيل كل شعب ما يستحقه من ثمرة ذلك الانتصار العظيم فتراهم من كل حدب لها ينسلون

فهي اليوم تضم بين جدرانها المشرقة وادوارها المنيعة من يمثل التونسيين والمصريين والالبانيين والافغانيين والايرانيين والترك ودعاة العرب والهنود

واهل التركستان وكل من استضعف في الارض لنيل رغائب هاتيك الشعوب ٠٠٠٠!

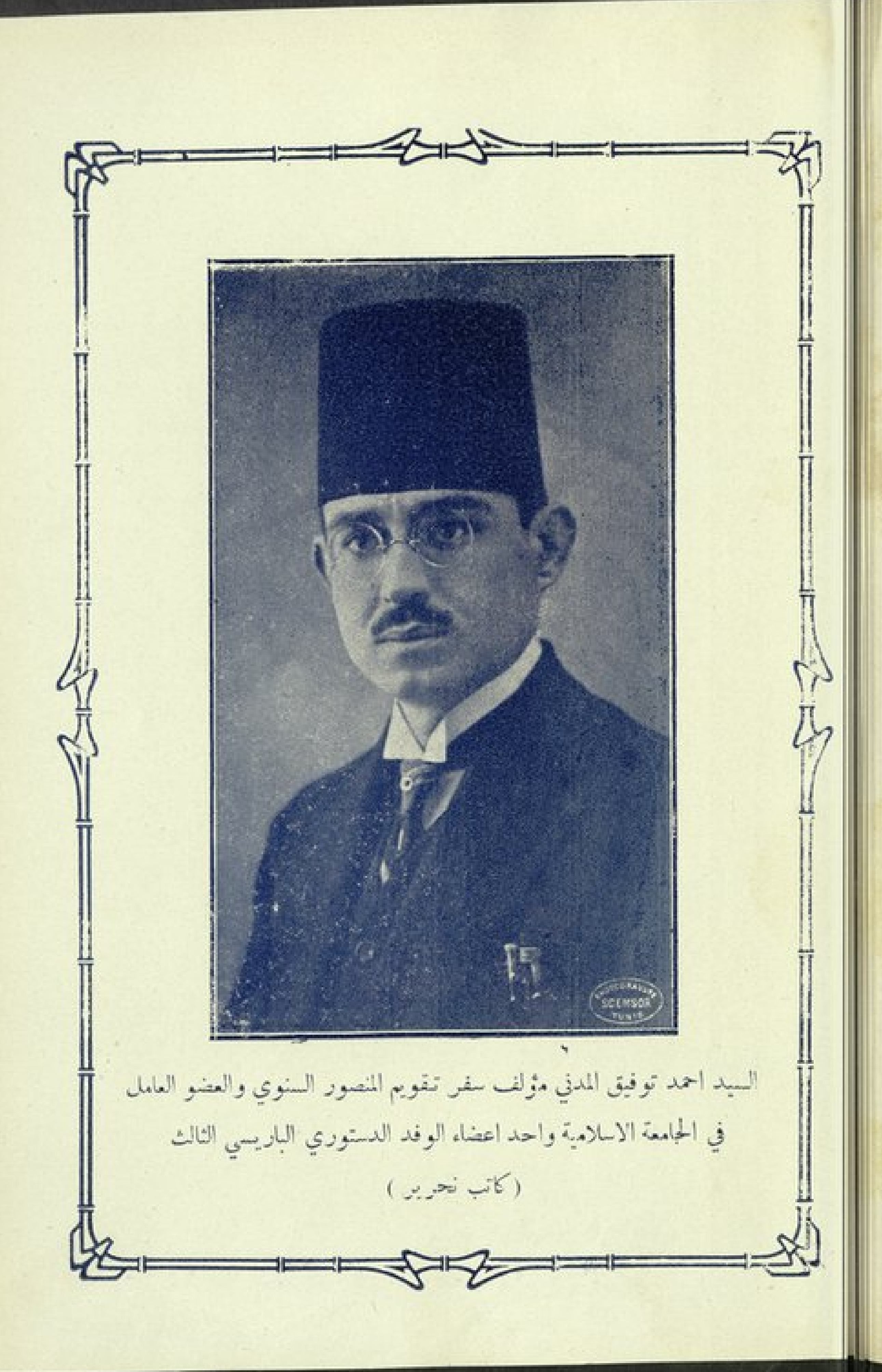
نعم كيف لا تقصد تلك العاصمة الجميلة لذاك الغرض الجليل وفي كل ساحة عمومية منها ترى تماثيل الحرية مقامة تتجلى بجمالها للناظرين . وهل بعد ذلك ريب في الحصول على تلك الاماني الشرعية وفي الجمهوريين الاحرار من يؤيدنا في ذلك ويحتم الاخذ بايدينا وخطبهم الدفاعية المشفوعة بساطع البرهان مسترسلة وقد احدثت صداءا حسنا على الضفاف الافريقي ونشطت الامال

ولولا ذلك لعيل الصبر وتضايقت الانفاس من الصخب الذي تصدعت به الاذان . بتوالي اجتماعات حزب الاستعمار وتقريره تسخير الوطني في خدمته وترك شانه باجور تنبئنا على عهد العادئيين . ثم طلبه احياء ما كان يظن ابن الوطن التونسي انه مات بموت دوكارنيار الذي لو لم يكن جثة هامدة لاعترف بفساد مذهبه مع الوطنيين لقيامه على قاعدة ان المصلحة الاستعمارية تعاكس المصلحة الوطنية على خط مستقيم

ولكن لا عجب اذا التمسنا عذرا لذلك الراحل الذي وددنا ان لو طال به الاجل الى اليوم في بناء مذهبه على وهم من ان الوطني غير مخلص وانه يتربص الدوائر والفرص . وقد جاء عام اربعة عشر وبان من التونسي ما اسلفناه من وقوفه المواقف العسرة ومشاهدته للموت الاحمر الوانا واستغراق عدد الضحايا منه لعشرات الالاف وان معلقات الشرف الحربية قد رسمت شجاعة اولئك العساكر في دواوينها والكثير واراهم حيز الفقد والاتلاف ٠٠٠٠ اذا فاي وجه بعد يسوغ لبلتي زعيم ذلك الحزب الرجعي احياء تلك الاطلال البالية والمذهب العقيم . او ليس الاصلح بسياسة الجميع ان يشاطرنا في تحقيق رغائبنا بقدر ما قسمناه المحن والعنا

فقد قام بدل ذلك يطلب ذلك الزعيم تجديد تلك المضايقة المبيدة كلزوم اخذ الاحباس الخاصة لفقراء الجالية بعد تسجيلها ثم الزام ادارة الاوقاف ان تسجل كل وقف يقع في المستقبل حتى يكون الاستعمار على بينة منه ٠٠٠٠

ومن الصدف الغريبة توافق الرغائب الارتجاعية في الشمال الافريقي شبرا بشبر وذراعا بذراع فقد ضرب على اوتار بلتي ذلك المؤتمر الذي التأم بعاصمة الجزائر المتركب من شيوخ العواصم والمدن والقرى وقرروا بلا خجل وجوب



السيد احمد توفيق المدني مؤلف سفر تقويم المنصور السنوي والعضو العامل
في الجامعة الاسلامية واحد اعضاء الوفد الدستوري الباريسي الثالث
(كاتب تحرير)

الرجوع بالوطنيين الى حالة الفوها قبل الحرب وتعودوها من نحو مائة عام، من سلبهم الحرية التي منحوها في زمن الحرب لوجود المسوغ للحكومة وقتئذ. اما اليوم وقد ولى ذلك الزمن المخيف، فلتسحب الحكومة ما اضطرت اليه (من باب صلى وصام لامر كان يقضيه) ولتعمل لاحياء ما اندثر في بحر تلك السنين من تجديد السلطة الزجريه والزام الوطنيين بالاعتقال في محل معين واحالتهم على محاكم العقاب (بريسيف) وارهاب العشائر الرحالة باتخاذ التدابير العسكرية والزامهم برخص الجولان وابطال حق الاقتراع للاهالي والتقليل من عددهم في المجالس البلدية مع تكثير عدد الاروباويين في الدوائر المختلفة وتجديد حق التفتيش للجندرمة محلات الاهالي بدون توقف على اذن عدلي الخ ما قرروه من الحيف والاجحاف . وان لا يرخص للوطنيين وعددهم الملايين إلّا انتخاب شيخ او قائد بشرط ان تتوفر فيه شروط حسن السلوك (يعني ان يكون وطنيا بشكله فقط) .... قرروا ذلك وهم في الحيز الاخير من طامة هذا القرن ولم يتولاهم الخجل مما قام به الوطنيون نحو بلادهم من جلائل الاعمال ومشاقها

ولو طوى الدهر هذا الجيل وجاء جيل ءاخر وابى ان يكلف نفسه مراجعة التاريخ وطلب تلك المطالب المشينة لعذرناه اما وهؤلاء قد حضروها بانفسهم وشاهدوا اعمال الوطنيين فما المسوغ لهم يا ترى ....؟

ولنختم هذا الفصل بالثناء على همم اولئك الاحرار الذين جددوا لنا سنن الماسوف عليه المرحوم بمباديه المسيو جوريس شيخ الاشتراكيين وابو الانسانية والمدافع عن الضعيف، ولنجعل اماني هذا الوطن الهادي وتحقيق مطالبه الشرعية موكولة الى ضمائر اولئك الاحرار كالمسيو هنري دي شامبون ومن ينتظم من امثاله في عقد الاشتراكية الثمين . ونستنهض لتاييد ذلك من يشغل منهم مقاعد النيابة بالبرلمان الرهيب .

تفريق السلط

او

وزارة العدليـــة

عد ٧٢ في ١٩ شوال سنة ١٣٣٩

السلط جمع سلطة ومنها التسلط والسلطان ، وقد تعرف بانها قوة معنوية يكتسبها الفرد بعرض الوظيف فينال بها من افراد متعددة وان شئت قلت من امة كاملة غرض الطاعة والانقياد ، وقد ينعت بالمطلق ما اذا كان ملكا ولم يكن مسئولا عن اعماله لنظام مسنون وبعكس ذلك المقيد بارادة الشعب وقانونه فلا يوصف بذلك بل يقال عنه انه ملك دستوري ومملكة شورية ، وكما يكون ذو السلطة مطلقا تكون الحكومة مطلقة ايضا ، وذلك في الامم المغلوبة على امرها التي لا حد لاستقرار اعضاء الحكومة فيها بان كانوا في مأمن من التخلي عن مراكزهم ومن السؤال على الاعمال ، وقد ثبت عيانا ان الشقاء يخيم بجحافله المنذرة بسوء العاقبة حيثما كانت الحكومات مطلقة التصرف في الشعب بان كانت هي مصدر التشريع واسنان القوانين وابرام الاحكام وتوظيف الضرائب واجراء الاحتكار والتسخير وما للامة من شؤونها سوى الرضاء والامتثال ،

عكس ما عليه الحكومات المقيدة واعني بها الدستورية التي لا استقرار للحكومة فيها إلّا اذا احسنت السلوك ورضي نواب الشعب بها واستوثق اعمالها وسياستها وظهر كل عضو منها ناصع العمل في ادارته امام مجلس الامة بعد ان نوقش الحساب على النقير والحقير وإلّا فلا بقاء ولا استقرار وبذلك تسعد الامم في ظل الحرية والنظام

وان من النظام تقسيم تلك السلط الى سلطة تشريعية وابرام وتنفيذ وان كل قسم مستقل باعماله مفصول عن الادارة غير هياب لها ولا يخشى غير الضمير ، فللتشريع هيئة خاصة تنتخب من الخلاصة تدون القوانين ولا تحكم ، وللقضاء ادارة

عدلية داخلها دوائر كالاتهام لتقرير التهمة او رفضها وكالبحث والاستنطاق ودائرة للحق العام ثم مجالس للحكم باقسامه الثلاثة وقوانينه المحكمة الوضع والاسنان، بان روعي فيها شرع البلاد وعرفه وغير مؤبدة في جميعها . ثم للتنفيذ ادارة تتبع صريح الاحكام ونصوصها ولا سوى ذلك . وهو معنى القضاء ومفهوم استقلاله على التقريب في عصر العدالة والتمدن والعلم .

وقد منيت تونسنا الجميلة دهرا غير ذي قصر باختلاط السلط واستقلال الادارة بها ولا زالت تئن من وقرها الى اليوم وقد افقد الشعب كفالة الحقوق وتحملت الامة اتعابا جسيمة من استئثار الادارة بكل النفوذ .

لذا نودي في كلما امة بوجوب تقييد المطلق ومشاركة الشعب في شؤونه وتفريق تلك السلط عن بعضها بعض . ولا يغرنك وجود ادارة عندنا وهيئات لتلك الاقسام او مجالس للقضاء او مجلات قانونية وجمعيات شورية تحضرها (نواب) من اقاصي البلاد ثم ادارة اقتصادية وحجرات فلاحية تجارية

لان كل ذلك اسماء بلا مسميات واشكال سياسية تحمل المتامل الخبير تلقا من وجودها وبما تجريه من الاعمال على اعتناق مذهب لونين . . . . .

ورب قائل يقول ان البلاد اجمل مما كانت عليه وانه نجم عن تلك الهيئات الناقصة (رقي مادي) لا يجحد فيسلم له ولكنه يسئل هل من فائدة فيه للشعب حالة كونه اسير الادارة دون غيره وعبدا تحمله على ما لا يريد

وهل من استقلال في القضا وان كل ادارة تسن لنفسها ما تشاء من البنود وتستصدر لنفسها ما تراه صالحا بها من الاوامر وحسب القضاء العدلي الحكم بتلك القرارات (المقدسة) سوى من ادارة الفلاحة او الغابات او من ادارة المال او من المحافظة مثلا . فانه الى الان لم يسمع ان القضاء العدلي رد دعوة قامت بها احدى تلك الادارات او تقريرا رفعته اليه ادارة السيد البوليس . . . .

ثم ضف الى ذلك الادارة العليا المعبر عنها بالكتابة العامة فان الذي له علم بنقرات التلغراف اللاسلكي يسمع وحي الاوامر كيف تصدر منها لدوائر الابرام ومجالس الحكم احيانا . اذا فهل من معترف مع تصور ما اسلفناه من فائدة في تلك الهيئة

المتربعة على ارائك القضاء وصدى المرافعات العمومية والاحتجاج بالقانون ؟

لاجل ذلك نهض الشعب التونسي شاكيا امره طالبا المشاركة في شؤونه مع ذوي الشان فيه وقدم مطالبه الثمانية هنا وهنالك بعد ان قدم تسبقة على الايجاب اخلاصه الاثيل

ومن حسن الحظ ان كان النظر لتلك المطالب من احرار باريس نظر القبول والاعتبار . نعم ان الذي يحفظ ذكرى ذلك اليوم المشهود بقصر المرسى وخطاب السفير المؤذن بتفريق السلط واستقلال القضاء وفصله عن الادارة وجعل وزير للعدلية ومستشار شرعي لها ومعتمد للادارة فيها وانحائه على الاطلاق ومدحه للعدل مما لم يزل له صدى في النوادي الوطنية لينثلج الفؤاد منه سرورا ويبتهج حبورا ولكن اذا نظرنا اليوم الى ما اجري فما الذي يظهر لنا يا ترى ؟ فلا شك اننا نجد دار لقمان على حالها وان المدير لا زال يعمل مطلقا رغم اشتغاله بالقاء دروسه (النافعة) وان قراره التوبيخي الاخير لهيئة القضاة عن تاخيرهم بضع دقائق عن الوقت لاعظم دليل على الحاق حال اليوم بالامس . ثم ان اسلاك سلطة الكتابة العامة لا زالت متصلة بالقضاء مرتبطة به ربطا محكما وقرارها الاخير لبرهان جلي في الموضوع

هذا وان ابعاد الوزير والمستشار عن سراية العدلية المشادة للقضاء خاصة واعطائهما مقاعد في احدى زوايا دار الباي تصرف لم تظهر الحكمة منه ومن فائدة وجوده بل انه خلاف المرغوب على كل الوجوه . بحيث لم يظهر للعيان من امر فصل السلط والاصلاح العدلي إلّا تخويل القضاة حرية التصريح بالاحكام في اقل من خمسة عشرة يوما وهو دون المطلوب بكثير

والعجب من ذوي النفوذ كيف تركوا الراي العام يضطرب في امر تلك الوعود وفهم المراد منها وهم يعلمون ان السفسطة لا تاخذ بالقلوب . وعليه فلا يمكن للحكومة والحالة تلك إلّا اجراء سياسة باجاء لا غبار عليها وصد تيار مطامع المستبدين ومحبي الاستئثار وسلوك مناهج التشريك الشوري في مصالح البلاد لان السير في غير هذا السبيل مفسد عليها سمعتها المطلوب دوام حسنها بين الامم في سائر الاقطار

ومن المعلوم ان شعب اليوم غير الامس لا سيما بعد ان ظهر قسيس اميركا في شروطه مظهر السفيه كيف احدث كذبه قلبا في الافكار ونجم عنه تكوين بلاء احمر

في اطراف الارض وكيف اخذ يمتد وينتشر بين الشعوب المغلوبة رغما عن مضاره الكبيرة طمعا منهم في ايقاف الاطلاق عند حده وصدا للماليين عن استعباد الضعيف وتسخيره في مصالحهم الخاصة وقد قالوا ان لا دواء له إلّا الانصاف حسب اتحاد اراء الراسخين . اذا فلا ينبغي لساسة الشعوب اليوم إلّا الثبات على المواعيد بتحقيقها طبق مقتضيات الاحوال وحالة البلاد الشعبية . لان الجمود على حالة واحدة داعية من دواعي القنوط . وفي الختام ان ما اسلفناه من الجمل هي كمقدمة لفصول اخرى ستتلوها في شرح ما جعلناه اكليلا لهذا الفصل بغاية البيان ليعلم ما معنى العدلية وشرح قانونها والاتيان بالحجج الساطعة وان تفريق السلط واستقلال القضاء لا يلتئم مع وجود ما بيد الادارة من القوانين

قانون المرافعات الجنائى

عدد ٧٤ في ٢ ذي القعدة سنة ١٣٣٩

اسلفنا في غير هذا ان الحكومة شكلت لجنة لاسنان قانون المرافعات الجنائية ورجونا وقتئذ ان لا يكون كامثاله من القوانين القضائية الاسم والادارية المفهوم . وذلك وثوقا منا بتصريحات العميد يوم اعلانه لفصل السلط عن بعضها . اما اليوم فقد باغتتنا انباء تشعر بان بنود ذلك القانون الذي هو بصدد الاسنان اذا قدم لمجالس القضاء سيكون قضاء مبرما على المتقاضين . وان اتخاذه مستندا وقيدا لصدور الاحكام هو كالقيود عبارة وكالسلاسل والاغلال . لسلبه الاستقلال للقاضي وحريته ولكونه موجبا لتشويه القضية حيث اعطى السلطة لغير القضاة ولكونه غير ضامن لحقوق المحكوم . وتالله ان الانسان ليندهش من سماع هاته المجريات اذا قارنها بذلك التصريح العميدي الذي سيق مساق الامتنان في يوم قد اتخذ كتاريخ للشروع في الاصلاح ؟؟ . فقد اعترضت الصحف الوطنية على تلك الاعمال واشارت الى ما

قر عليه قرار اللجنة الدولية او الادارية ـ في بعض البنود ، مسا منها للحقيقة المذاعة عنه ولم تفند الحكومة مفهوم ذلك الاعتراض فكان سكوتها لدى الفكر العام كبرهان على الجلاء في تلك المظان وان ما كتبوه هو عين ما اعتلق بالاذهان

وعليه فاي فصل للقضاء عن الادارة واي حرية للقضاة اذا كانت الادارة هي سماء نزول القوانين وما حسب القضاة إلّا اتخاذ بنودها دعائم الحكم والابرام !

فلا جرم حينئذ اذا قلنا ان الذي يؤخذ دليلا على سوء قصد الادارة وبالاحرى الكتابة العامة التي هالها فصل العدلية عنها حسب تلك الوعود والذي يلوح عليها الشغف بجعل بلاطها حميديا او بونابارتيا هو تشكيل لجنة الاسنان بذلك العدد ومن اولئك الافراد الذي لم تجعل للوطنيين اصواتا ازاء اربعة عشرة من الاجانب إلّا اربعة مع ما تتحققه وان ذلك القانون لا ينالهم إلّا هم ولا تتحاكم به إلّا اعقابهم وعشائرهم وان اولئك الاجانب في مامن من عقابه وشدته بل ربما كان من بينهم من يرى ان التقتير في جانبنا توسعة وعدلا ـ بل وان من الوطنيين اعضاء اللجنة على قلتهم من هو من اذناب الادارة التي عاش في نعمها وبعضهم من الغير الموثوق بدرايته ، ولو كان للادارة حسن قصد في الاصلاح وارادت لفعلها جمالا وقبولا وكان لهذه الامة اعتبارا كبقية الامم التي يجب ان يدون لها قانون يضمن لها حقوقها لدى الحكم به لشكلت اللجنة المشار لها في اغلبية من الوطنيين وفي ضمنها بعض اساتذة الجامع الاعظم الذين لهم رسوخ قدم في الفقه واصوله ومعرفة زائدة بفقه القضاء ومذاهب التشريع ، لان ما بيدهم من شهادة الاستاذية هي اكبر مما لدى اولئك المحامين الاعاجم عن لغة البلاد واخلاقه وشرعه وعوائده وان للامة وثوق فيهم ولهم عن الحكومة استقلال تام ، اذ ان الجزاء في نظر فقهنا زجر وردع وتعزير وان تنفيذ هاته الاقسام بالنظر الى الجريمة متفاوتة في المرتكبين والمجرمين

فاسنان التفتيش مثلا بلا قيد من الطرفين جرم يرتكبه القانون وجور يقرره المسنون ، وهكذا في سائر الجزئيات

وفقهنا الذي ترجمه الغرب واستمد منه ما ليس عنده يشهد باحاطته بكل نفيس على سنن الخطاب لحنا ومنطوقا ومفهوما ، او على الاقل تكون اللجنة بالتساوي في

اعضائها حتى يمكن للوطنيين الاعتراض في غير الصالح او المفاهمة فيه واقامة الحجة، وتكون لهم طمانينة في النجاح بالنظر الى توازن الاراء ولا يبقى لغير البرهان من نفوذ، اما اليوم فما جهد اربعة في اربع عشر ....؟

فلذلك كان البعض منهم كالصورة المنومة والاخر قد اختار الصمت لعلمه بان لا فائدة في اعطاء نظر من عدد مرجوح والبعض قد حملته الطهارة والرغبة في (رضوان) الله تعالى فيعارض ويظهر الاصلح وكان اذا خيف من برهانه وحجته تطلب الكتابة العامة الاقتراع السري فحتما تكون الارجحية مع الاكثرين كما وقع

هذا ومن المسائل التي وصلنا البت فيها اعطاء الكوميسارات نفوذا اوسع من نفوذ لويز الرابع عشر رغما عن قلة معارفهم وعملهم واصل وجودهم في دوائر القضاء ثم ما سن للعمال الذين هم اداريون خلص، من انهم من الضابطة العدلية بعد ان وقع الاعتراف بفساد تعاطيهم للنوازل القضائية وكان في الحسبان فصلها عنهم، فان هذا القانون الجديد قد اغمرهم بالقدرة على استعباد افراد الامة والاستبداد بها وقد زادهم توسعة تتمحض لهم معها الامارة في الافاق بل واعطى لمن هو دونهم كالخليفة والشيخ البسيط واعوان الغابات الشرسي الاخلاق وافراد الربط والضبط، ثم منعه للوكلاء حضورا في البحث كبقية المحامين معللين ذلك بعلل تصم اذني العدالة ان صحت الا وهي فقدان الامانة منهم على السر، كانما السادة الافوكاتية قد خلقوا من ضلع آدم عليه السلام المستقيم واولئك خولقوا من ضلع المحدودب والمعوج للاطلاق في الاولين والتعميم في الاخرين، وهو امر ان ثبت لا يرتدى عليه رداء، لان الشان في تقنين القوانين هو رفع الاعتداء حتى لا يمس احد في كرامته اما هذا القانون فقد سلب فضيلة عن طائفة معينة واثبتها لاخرين بلا حجة وقد لزم عن سلبها لازم مشين وهو عدم التامين على السر بلا دليل ....

ولا اعلم اذا صورنا وان هذه البلاد صارت مجمعا لافراد من محامي بقية الاجناس كصربي وجبلي ويوناني وباجيكي وجابوني وامريكاني وسويدي ونرويجي وسنيقالي وانكليزي ومالطي واسباني وهولاندي وحبشي ودنيماركي وبيد الجميع شهادة الحقوق هل يعطون ما سلبه القانون التونسي عن الوطنيين من حفظ السر والامانة ...... وان يبقي وكلاء البلاد كالغرباء فيه ....

هذا وان الذي يؤيد ما قررناه تقريبا وقد اشار الى بعضه الرصفاء المعتبرون في شان فساد ذلك القانون الذي هو بصدد النمو والارتقاء وسوء نوايا الادارة فيه ما بلغنا عن منشور صدر الى العمال على اثر دعوى فصل السلط . فيه ما يشعر بتقليل نفوذهم في سجن الايقاف الذي هو باب من ابواب الشقاء المفتوحة على الامة سيما عند قليلي الذمة والمروءة من العمال واذنابهم والذين منهم من يسجن صباحا باليمين ويطلق مساء بالشمال بلا خوف عقاب ولا وحشة ارهاب .

قد استرجع ذلك المنشور بالتلغراف لانه غير موافق لبنود قانون المرافعات الجديد ولذلك نسخ باستعجال . وعليه فليعلم العميد ان الشعب التونسي قد سجل تصريحاته الموذنة بخلاف ما اسلفنا ولم تزل في مكانة عنده معترضا باسان مرشد الامة الذي هو احد الصحف المترجمة عنه وعن رغائبه ولسان حزب الأمة الحر على هاته الاعمال الادارية التي يشين اجراؤها السياسة الجمهورية في تاريخ (سفاراتكم) بهذه الديار ولكن على بينة من ان الامة لا تقنع بان يردد صدى شكواها هذا المحيط فقط اذا تصاممت الحكومة هنا عن سماعها وظهر ذلك القانون حسب الاهواء الادارية وطبق الاخبار عنه بل لابد من ان يرددها محيط البرلمان الفرنساوي وان يوزع ذلك القانون مشروحا مبينا مضاره وخطاؤه من صوابه على امثالكم ايها العميد من الاحرار .....

نتيجة سوء النظر الاداري[1]

بمملكة خصبة

(يجب تحديد المسئوليات على قول التونسيين مع سن المراقبة) : عدد ٧٤

نشرت جريدة الرجل الحر الباريسية المقال الاتي ترجمته :

(١) هاته الحقائق اكتشفت من مضانها الرسمية ثم نشرت بسعي احد اعضاء الوفد الدستوري الثاني بالديار الباريسية

وجه الينا احد احبابنا بالايالة التونسية الذي كان مستخدما قديما بالادارة المالية بقسم المحاسبات وهو الان يشغل وظيفا معتبرا باحدى ديار القروض الكبرى بباريس الاسطر الاتية التي تبين على منظر جديد الحالة المالية التي عليها حمايتنا التونسية وتجلي لنا مع وقائع مشوشة كيفية الاساليب المتبعة لحد الان التي آلت بهذه المملكة الغنية الى شاطىء الهلاك

٣٢ مليونا تلفت فاين هي ؟

بعد ان اطلعت بمزيد الاعتناء على الفصول التي نشرها « الرجل الحر بتاريخي ٢٩ ماي و ١٦ جوان سنة ١٩٢١ اتنازل بتتميم معلوماتكم ببعض الارشادات التي مكنت منزلتي الشخصية جميعها مدة اقامتي بالادارة المالية التونسية المتعلقة بالمظالم الادارية والمالية التي لم تزل للاسف مستمرة هنالك وهي على ما اظن من شانها ان تلفت انظار جميع من يهمهم مستقبل الايالة التونسية وعلى الاخص منهم اعضاء مجلس التشريع ، تحت عبء الاداءات المضنية التي لا يمكنهم مراقبة استعمالها فان الموظف عليهم الضرائب بالايالة التونسية يتوجعون . . وبما لهم من الدراية بحقوقهم بعد الضحايا الواقع الرضاء بها لفائدة فرنسا مدة الحرب ، ومع العلم ايضا بالاعتناء المشهود لهم به من تلقاء مجلس التشريع والحكومة فانهم يوجهون النداء للمودة الفرنسوية بقصد الاحراز بالاخارة على الضمانات لتوقيف الاختلاسات التي لا تغتفر المرتكبة ضدهم

وهل تريدون مثالا من تلك التغييرات ؟ فلنتخذ حالة شركة الارتال التي يرجع امرها للاشغال العمومية فتلقاء المال الموجود اعني ١٢ مليونا يوجد عجز يقدر بثمانين مليونا على التقريب فها نحن حينئذ ازاء نقص يتراوح بين ٦٨ و ٧٠ مليونا وقع الاطلاع عليه صدفة بالجلسة الاخيرة للجمعية الشورية وتلقاء هذا الرقم فان النواب اختاروا وطلبوا البيانات وطالبوا بالمحاسبات

(ما هاته الجراءة) قيل لهم كيف يكون ذلك والامر يرجع للسيادة الفرنساوية وتتجاذبون اطراف الحديث المذوق حيث ان المصلحة العليا وسمعة فرنسا هي الغاية غير ان هذا البيان غير كاف اذ ان المطالب تقدم مبينة مدققة وكل يفهم اذا كانت مصلحة فرنسا عند الانخراط في مسائل المنح تستلزم بخلاف ذلك حسابات مدققة

وقائمة مصفاة على الوجه الاتم . ومدير المال اجبر في الحين بتقديم ذلك فظهر وقتئذ في اعين النواب المبهوتين ان الثمانية والستين مليونا من العجز هي في الحقيقة ستة وثلاثون مليونا غير انه الى اين ذهبت الاثنان والثلاثون مليونا المتركبة منها الفرق ..... ؟؟؟

من يسعون في تموينهم !

ولما شاهد مدير المال انه يعجز عن التخلص من هذا الجدال استفاق مصرحا ملتجأ ان المقدار المشار اليه يلزم احالته لحساب التموين غير ان هذا الحساب لم تقع تصفيته بعد : ولم تجر تصفيته لحد الان بحيث ان النواب لم يبلغهم العلم بمثال الاثنين والثلاثين مليونا ....! وما هذا الهزء المشاهد من نقل هذا المقدار . وان تعيينه لحسن . الم يعين كثيرا من الاعوان في سلك مستخدمي التموين ؟

وهذا الباب من الميزان الدولي الصالح لاخفاء جميع الالاعيب والارتشاء والعطايا والاعانات وغير ذلك هو محل اعتناء اولي الامر بوجه خاص . وبتحققهم عدم المواخذة التامة لفقد المراقبة فانهم يمونون انفسهم ببذخ وعند المطالبة من القائمين بالتموين اعني جمهرة المضروب عليهم الاداء بحق الاطلاع على سير الادارة فان هـؤلاء الرؤساء انفسهم يوجهون حالا لباريس تقاريرا مخالفة للحقيقة ترجم للاهالي التونسيين

ومن التطويل الان ان اقص عليكم بعض التفاصيل المتعلقة بامور فاقدة الامانة وهي معلومة تمام العلم بوسط المستعمرات الاجنبية بتونس ! كنوازل الجلد واحتكار السكر وتسليم رخص وسق الزيوت وغير ذلك من المواد المعاشية وسترجع الى ذلك في امد قريب

وهل اقص عليكم مثال المستخدم الشهير للغاية اي مدير المال الذي بعد الاتحاد مع رئيسه انه يقوم بعمليات ذات صبغة مستهجنة حملت جميع النشريات التونسية لغاية الاضرار بالسمعة الفرنسوية

وماذا اقول ايضا على مدير المال الذي قام باعمال قرض اخير شهير بمقدار ٩٠ مليونا و ٥٠٠٠٠٠ فرنك في سنة ١٩١٢ ؟ وهل بلغكم العلم انه من هاته الكمية المالية توجد ٥٤ مليونا و٥٠٠٠٠٠ موضوعة بمصرف يسهل علي تعيينه ولاجل

هاته الاموال الغير المنتفع بها فان الميزان التونسي موظف عليه في كل سنة منذ تسعة سنوات خلت وقر الفوائض واموال الاستهلاك

وتحريجا للاموال فقد بلغنا العلم ان هذا المدير السالف توجه اخيرا لتونس بصفة متفقد للمصرف المشار اليه ....

وكيف لا يسوغ اجراء المقاربة بين المصرف المستودع به اموال القرض الغير المحرز عليه والمركز الجديد الذي يقوم فيه مدير المالية السالف وهل تسمحو لي بان ازيد ان هذا الوزير بعد ان تحقق من تسليم مركزه بتلك الادارة الى عضده الاكثر صداقة ومحافظة على السر فهو الان يراس شركة اجنبية الغرض الوحيد منها النظر في بعض المستنتجات وهو مما يرجع بالضرر على صناعتنا الوطنية

المسئوليات والمراقبة

اكتفي هنا بهاته الملاحظات مع الوعد لكم بالتسليم ببحث مفصل على الحالة المالية وخصوصا على القرض الجاري تهيئته بمقدار «٢٥٥» مليونا وهو سيزيد في ارتباك الميزانية ويثقل كاهل الموظف عليهم الاداء مع فائدة لم يقع تبيينها ولن تبين ....

وفي الساعة التي يفرغ الجهد بجميع الجهات في حصر الموازين المالية وترقية الاقتصاديات فاننا نشاهد بتونس سوء تدبر اداري واسرافا ماليا مفزعا بلا شك...

وهاته الحالة المؤلمة لم تكن ناتجة عن عدم مسئولية اولي الامر بلا ريب ؟ حيث انهم يقومون بالامور حسب اهوائهم بادارة مشيدة الاركان على الانانية الشخصية . وتطبيقا لذلك فعلى الحكومة الفرنسوية حمل المسئولية على هؤلاء المتصرفين لدى مجلس تفويضي اعني ارغامهم على تحمل المراقبة كي تنتهي هاته الحالة الغير المسموح بها

الصحافة الوطنية

والمحامي نعمان

٩/٧/٢٦

كاني والذي ينظر الى طالع هذا الفصل من قرائنا الاذكياء يتبادر له القصد من

تحرير هذه الاسطر او ربما لا يكون ملفتا له ذلك الطالم الذي جر معطوفا عليه . . .
ولا يجد من نفسه باعثا على تتبعه جملة جملة وكلمة كلمة ويكتفي بقرآة العنوان فقط . .

ولذلك راينا ان نجعل له مسوغا يحمله على المجيء به على اخره بتبصر وامعان ورجاءنا ان يكون في بابه هو الاول والاخير

يحكى ان فردا من التعساء حظا ودراية وعقلا بالعالم الجديد قد ناذرته جمعية اميركانية بكمية من النقود على ان يمكث سنة كاملة على ظهر القطار حالة كونه سائرا لا يستقر بحال . فرضي بذلك وظن انها غنيمة باردة وشرع في تنفيذ عمله واصبح يجوب البلاد التي تخترقها السكك الحديدية ينزل من قطار ويركب آخر نهارا وليلا ومناه ان تنطوي السنة ويدور الفلك دورته ليصل الى غنيمته ويرتاح من تلك المشاق المساق اليها بعوامل الطمع في الغناء وبما اسلفناه من الاوصاف . وفعلا انتهت السنة واخذ مغنمه ورجع لبلاده مسرورا ظنا منه انه سيعيش عيشة راضية من ذلك المغنم العظيم ولكن فاته جهلا بما سيناله من الشقاء الناشي من محاولته السير على غير فطرة الله التي فطر الناس عليها . فان المشار له لما رجع لحكم نفسه واستقر به القرار وجاءه وقت السباة اخذ مضجعه للنوم فلم ينم حيث فقد ما تعوده من قرع القطار وصفيره وارتجاجه الذي كان ينام عليه باستحالة ذلك له كطبيعة زائدة . فبقى المسكين اسابيع والسهاد مصاحبا له واخيرا استحضر طبيبا حاذقا (كبعض اطبائنا) وبعد فحصه استنتج وان بجمجمته جفافا ناجم عن اعصار هوائي ولا دواء له غير ارجاع ذلك الحال الذي تعوده او ما يشابهه حسا واهتزازا . وفعلا قد اجرى ما اشار به الطبيب عليه وامسى لا ينام إلّا اذا اجمع حوله الطبول والنواقيس وكل صاب في قرعه صداه كصوت القطار وصفيره وبذلك كان شقيا نحسا . وقد اشقى من كان حوله بتلك المشاق حياته الباقية . . . . .

لذلك اقول انه لا يبعد ان يكون نعمان له شبه بمن ذكرنا ادراكا وعقلا لما ظهر عنه عيانا من انه لا يستقر ضاحكا مستبشرا إلّا على اسماعه مر الكلام وقارص الملام من الصحف الوطنية الذي مس كرامتها بلا موجب غير ما ذكرناه او ازدراء من العموم بما ياتيه من ضروب التقلب في المبدا والتلون في السلوك . حتى انه مهما

شعر بسكون ثائرة الغضب عليه إلّا وحركها من جديد تطبعا بسماعها واستلذاذا بالراحة التي تحصل له على تلك الاوتار التي لا تبعد ان تشبه من يشنق نفسه من خاملي الذكر ليذكر كثيرا وتتناول الاقلام ذكر اسمه وتذكره الافواه . . .

نعم كتب المشار له فصولا يناوى فيها الصحف الوطنية ذاكرا انها تترجم عن اراء فردية وبذلك انعدمت فائدتها وقد آسف لكون البلاد بقيت شاغرة من صحف تنفع واقلام تقود الراي العام . ثم استنهض همم امثاله المتنورين على نشر صحيفة يومية تقوم بخدمة الامة والبلاد الخ ما قال

وقد كان في العزم وقتئذ مجاراته في رد خطائه ولكن توقفنا ريثما نشاهد من المذكور حالة ثبات على راي لانه من الغد كتب ما يناقض الامس ثم رجع الى الاول لا على التعميم ولكن قد اتضح وان ترشنا في غير بابه لمحاولتنا لامر غير مالوف وان قال بعض الحكماء ان التطبع قد يتخلف ويتصور زواله خلافا للرئيس ابن سينا سامحه الله . . . . . .

فان بالامس اخذ المشار له يكتب شذرات جامعة للضد والنقيض تحت عنوان (الحزب الحر والنظام) ومن فضل الله انك مهما قرات اسطر إلّا وشعرت بالمقصد والغاية ثم ترى الطالع في واد وما خط تحته في آخر وفي تباين غريب

فبينما تجده ياخذ في الكلام على حزب الامة الحر تجده ينتقل الى احزاب اخرى بالممالك الحاكمة ذاكرا اسماء والقابا وعناوين بلا افادة سوى تكثير السواد على البياض وبلا استيفاء للكلام على برنامج حزبنا لجهله بالمحور الذي يدور عليه لطرده منه من قلة الافادة ومن ذلك الاضطراب . ثم ادمج في تلك الشذرات الثناء العاطر على الاشتراكية وطوى وراء ذلك دعاة الكومينست مشيرا بامتنان انه سيحكم العالم ويطبق برنامجه . وبعد ان نصح بزعمه واظهر السرور باعمال الحزب واقواله اعترض بجملة استفهامية وهي هل في الامكان وجود حزب سياسي آخر . . . (معتدلا) . . . . ثم من هنا وثب بقامه الى ذكر وفد الامة الحر بباجة وملاقاته للعميد وعرض موافقته على مطالب الشعب الدستورية مع مطالب اخرى تخص البلاد قائلا بتورك وقحة « انه من الممكن ان جماعة باجة الذين اخذوا على عهدتهم تقديم

المطالب ليسوا من الحزب » قال ذلك بلا خجل بل وتجاسر على ادخال الموجب من القول في حيز الامكان اللازم منه السفه لوفد انابته امة في امر علني وموقف مشهود. استنادا على مطالب ثلاثة لم يتوصل الى ادراكها منه الفهم ولا احاط بمعقوليتها منه العلم مع بساطتها كان البسيط لا يدرك البسيط ...

ذلك بعض الذي حملنا على كتب هذا البيان والجواب به عن الثلاثة مسائل في حمله لها على غير المراد تكثيرا منه للشقاشق الكلامية والفضول في الاراء ...

قال في مطلب القاضي الفلاحي انه لم يطرق سمعه هذا الطالب ولا يعلم هذا الوظيف فالجواب ان المراد به الزيادة والتوسعة في نفوذ الامين الفلاحي بان يكون لفصله في الخلافات الفلاحية القول الفصل وهذا لا حرج فيه وكاني بالمحامي غلطته لفظة قاضي لجهله بان القاضي لغة من يحكم بين اثنين مطلقا فاكثر او شرعا وقانونا . واما مسالة العامل المعروفة بالخماس التي طنطن حولها اخذا بناصر الانسانية على زعمه فان الوفد الباجي طلب فصلها على الوجه المرضي وهاته العبارة لا يفهم منها التسخير واستئثار الممتازين وترك القسم العامل تحت رحمة ذوي اليسار الذي لا يفهم منه غير ملائمة المنافع المتبادلة وموافقة النظر الشرعي الذي يحجر الالتزام على المجهول ويحكم ببطلانه ويحرم التسبقة على العمل لكونها من باب سلف جر نفعا الملحق بالربا المحض . فيحمله المشار له على الاسترقاق ومحاولة احياء عصر الرقيق . على ان القضا العدلي لا يحكم بوجوب القيام بالعمل وانما يلزم الملتزم بترجيع ما استلمه واعتباره دين في الذمة لمجرد صحة العقل والتكليف

واما دعوى الممتاز ومن هو دونه فذلك حكمة ربانية فطر الله الناس عليها بان خلق البشر طبقات وقسم بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا فقال جل وعلا في كتابه الكريم « نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا » وقد جاء في تفسير هاته الاية لصاحب التيسير رضي الله عنه ما نصه : (المعيشة اسباب عيشهم اي حياتهم والمعيشة الرزق وتقسيمها بحسب الحكمة العاجزين هم عنها والدرجات ظرف اي في درجات متفاوتة ضعفا وقوة وغنى وفقر وخادمية ومخدومية وحاكمية ومحكومية . والسخرة استخداما في المصالح اي ذوي طالب خدمة منهم اه ملخصا

ذلك مراد الله تعالى في خلقه جريا على نواميس عمران هـذا الكون . وان العامل المعروف بالخماس شريك في الثمرة وتسميته بذلك لا يفهم منها الحطة بل لاخذه الخمس ويسمى بالرباع في عرف ءاخر لاخذه الربع . واما دعوى سيادة قسم العملة وحكمه العالم حالة وصفه بذلك منافيا للحكمة ولاسرار الكون اذ السيادة الصالحة لا تكون إلّا بالفضيلة ولا فضيلة مع الجهل واذا ارتقى العامل بحسب الاستعداد البشري فمن لازمه انحطاط الممتاز اليوم وعندئذ لا اشكال وهو والله اعلم مراد الله في قوله « وتلك الايام نداولها بين الناس » واما على غير ذلك السبيل فاضطراب وفوضة مخربة للكون . نعم للفقراء المعروفين بحقائقهم الشرعية حقوق على الاغنياء هي وضع الزكاة فيهم واما الحاق بنيهم في التعليم بابنائهم الذي يدعو اليه الاستاذ الكومنيستي ففضيلة وليس بواجب وانما وزرهم على ابائهم وعلى الحكومة التي هي مسئولة وحدها على نشر التعليم الابتداءي بين سائر الطبقات . وهنا يجدر بنا أن نعجب ممن يدعو الى مذهب وهو على خلافه على خط مستقيم فلقد استبشع حالة العملة ازاء ارباب اليسار من تقتير في الاجور وشقاء مستمر ولا اعلم ما يكون جوابه اذا سئل عن شاوش مكتبه هل يجلسه بازائه اذا اخذ مقعده للتحرير والفهم . . او يقاسمه محصول شهره عملا بالقاعدة التي يدعو اليها ثم اهـل حقيق ما يبلغنا من فرار كتبته عنه فرار السليم من المجذوم اهـل ذلك لفرط الانسانية منه'و من النقير والتقتير ؟ ذلك سؤال فهل مجيب عنه او منه . . . .

اما المفتي الذي عارض بعدم الفائدة إلّا اذا انقدته الحكومة من خزائنها مرتبا لاحترام نصوص المحبسين فهو كلام ملحق بالهذيان لان وظيف المفتي كان بحاجة وفائدته لا تنكر فانه ينوب القاضي ويعينه في الراي ويستفتى اذا لزمت الفتوى الرسمية المتعلقة بالحلال والحرام واما احترام نصوص المحبس في قوله فنحيله على المفاهمة فيها مع ادارة الفلاحة او باتي فان عند جهينة الخبر اليقين وفي الختام اسأل الله ان يعافيه مما ابتلاه حتى يرجع اليه رشده ويعمل في محيط لائق به ولا يشتغل إلّا على حسب استطاعته لان الذرة لا تدرك القبة وان الفراش يحترق من السراج

فلسفة الحروب

عدد ٧٥ في ٢٠ حجة سنة ١٣٣٩

الجماعات تحيا وتنمو كالافراد ، وتتوقف حياة الجماعات ونموها على فتح الاراضي وتكثير الرعايا فكل جماعة تتجهز للدفاع عن الوطن واهله وتشمر للحرب تكثيرا للرعية وتوسيعا للحدود وبهذه الدواعي تعلن الحروب ومع ذلك فلا يقل عدد الحروب التي اعلنت بدفاع الغيرة الوطنية او الدينية وردا لحقارة الغير

والمشاهد ان الحالة الحربية تجمع الافراد وتبعدهم عن الجماعات المخاصمة ، ولا تعلن الحرب إلّا اذا قررت الامة اعلانها سواء كان ذلك القرار صريحا او ضمنيا ، ولا تطلق اول رصاصة على الحدود حتى تزول الاختلافات التي بين الافراد فيتناسوا تباين منافعهم وتناقض مذاهبهم واختلاف مشاربهم ولا تفكر الامة كلها إلّا في هزيمة العدو لا غير ، ومن المحقق ان رقي الصنائع يقلل الحروب لان معنى ذلك الرقي هو انقسام الافراد وانقسام الاعمال يدل على كثرة الاهالي ، ومتى كثرت الاهالي تألفت منهم دولة كبيرة وتأليف الدول يقلل الحروب ، وتلك القبائل القليلة العدد تقضي حياتها في حرب دائمة ، وهم يسمون تلك الحروب (غارة) في صحاري افريقيا والعرب وما تلك الغارة إلّا اصطياد الناس وما في ايديهم من الاشياء ولا يغزو اولئك الناس إلّا لقتل اعدائهم ونهبهم فهم لا يبالون بالجامعة الدينية والجنسية واللغوية التي تجمعهم ولا ترى روابط فكرية او تجارية وانما افكارهم كاموالهم محبوسة في مقر القبيلة والقبيلة لا يهمها التعارف بقبيلة اخرى مع ان الناس لا يتحابون إلّا اذا تعارفوا وهم ينظرون الى كل شيء مجهول لهم نظرة الخوف والحذر كما انهم كثيرا ما يعتبرون ذلك المجهول اعمالا مضرة وذنوبا عظيمة ويقومون لحقه وللتخلص منه

ولقد كان الرومانيون يعتقدون ان النصارى يأكلون الاطفال كما كانت القرون الوسطى تعتقد ان اليهود سحرة ماكرة

لا ريب ان كل هذه الاعتقادات منشاها الجهل والتناكر فلا يمكن اتحاد القبائل

لانها منقادة الى مثل هذه الافكار العاطلة والاوهام الباطلة . اما الامم الكبيرة فبينها الروابط العلمية والاقتصادية وكل منهم يعرف الاخر . ومتى تعارفت الامم قلت اسباب الحرب وخفت ميول النزاع وزالت الظنون السيئة وقام العلم مقام الوهم وعلمت كل امة محاسن الاخرى ومساويها وفهمت ان الحرب ليست الواسطة الوحيدة للثراء بل هناك اسباب اخف تضيحة واعظم منفعة ومتى تحقق ذلك لامة ندر استعمال السلاح فيها . كانت حالا طبيعية بين الامم القديمة وهذه الاثار العتيقة تشهد ان اجدادنا الاولين تتلخص حياتهم في ثلاثة كلمات الحرب والاسر والاغتنام واعظم مناقبهم الاجتماعية صبرهم على الحروب الطويلة . ولم يكن نصيب المغلوبين حينئذ إلّا الاسر الابدي والموت الزؤام . ظلت شدائد الحرب تفتك بالانسانية وهي على حال البداوة ولكنها ما ابتدأت تتحضر حتى خفت وطأتها واعتدلت شدتها ولم يشعر الناس بوجوب معاملة المحاربين وغير المحاربين معاملة تفترق بعضها عن البعض إلّا في الازمان الاخيرة وقد اصبحت غاية المحاربين وفاق النظريات الاجتماعية الاخيرة هي التنكيل بالعدو والتمثيل به لا محقه وفناؤه

وعدى ذلك فلا بد من ان يكون للحرب اليوم اسباب جدية فلا يرفع السلاح إلّا عند ظهور المسائل الحيوية التي لا يستطاع حلها بوسائل السلام ولا تسفك الدماء اليوم ارضاء لشهوات امير . وها هي الامم لم تقتحم غمار الحرب العامة إلّا دفاعا عن حياتها . ومع ذلك فلا ينكر إن الحرب من العوامل المؤثرة الاجتماعية فهي تكون سببا في نمو احد المتحاربين وان يتسبب في تشتت شمل الاخر . ولو فكرنا قليلا لالفينا كل دولة نشأت عن عشيرة وهؤلاء الرومانيون واليونانيون والعرب اول شاهد على ذلك . غير ان الحرب والنصر لا يكونان من عوامل الرقي إلّا اذا توفرت لدى العشيرة قوة الفتح المعنوي . اما اذا لم تتوفر لديها تلك القوة فلا ينفعها الحرب ولا النصر . وكما ان الانسان الذي يصل الى حد الكمال لا يستطيع ان يتقدم اكثر إلّا بطريق التناسل فكذلك لا تستطيع الدول البالغة حد الكمال ان ترتقي إلّا بالانقسام ولكن لن ترضى دولة بذلك لانها لا تفكر إلّا في ذاتها ولا تقبل إلّا كل فكر وكل حس ذاتي يوافق منافعها الذاتية

اسلفنا ان الحرب عامل اجتماعي مؤثر ، وحقا ان الاتحاد على الاستعداد للحرب والعمل يدا واحدة للحصول على النصر وطاعة اولي الامر لا يرا إلَّا في زمن الحرب اكثر من كل وقت ، وعلى هذا تتايد اللوائق التي بين التابع والمتبوع مع انه لولا الحرب لما شعر الناس بوجوب الاجتماع تحت رعاية رئيس واحد ولما راينا ما نراه من ضروب الرقي الاجتماعي ، ولقد قامت الجماعات الصغرى بفضل الحرب كما قامت الجماعات الكبرى بفضل الحرب والفتح ايضا

ومن الغريب ان الدول الكبيرة التي تالفت من جراء انتصارات متكررة وحروب سعيرة تسعى لتقليل الحروب وتكثير المصانع فلنعتقد ان الدماء التي تسيل هي فدية السلام المديد الذي ستنتعش به المدنية غدا وليست ميادين القتال إلَّا اسواق الغد ومجال التنافس الاقتصادي بين الامم

ولقد تحقق اليونان من المستحيل ابتلاع الامم بقوة السلاح ! لا سيما وان الصنائع وهي ميزان الرقي في حاجة قصوى الى سواعد الانسان كما هي في حاجة الى الكهرباء والبخار ، فلن يتقدم احد لسذنهم الحرب الا باضطرار ، وقد ارتفعت قيمة الانسان اليوم اكثر منها فى اي وقت

وكما ان الصنائع ترقى بقلة الحروب فكذلك ينتشر فكر الحرية كلما قلت تلك الافة ، فاذا امتد اجل السلام كان نصيب الاستبداد التقهقر ، ونصيب الحرية التقدم ، فتقتسم القوة المتمثلة في شخص واحد بين افراد الامة على السواء ومتى تخاصت الادارة من التحكم لم يبق ثمة داع لاعلان الحروب بلا لزوم ،

ومن الغريب ايضا ان الحروب الشديدة الطويلة يعقبها سلام طويل متين لان امثال هذه الحروب تتراء بين الغالب والمغلوب خصومة لا تنسى ، وقد يرتقي ذلك التذكار الى الافكار والحسيات فتقلل من امل الغالب في الفتح ومتى ضعف امل الفتح ضعفت الرغبة في اعلان الحروب وكما ان الماس لا يصقل بالماس فكذلك القوة لا تزيدها إلَّا قوة الاخرين ، وما هي إلَّا قوة كل دولة تتناسب مع قوة جيرانها لا سيما وان المغلوب يسعى لئلا يغلب مرة اخرى والغالب يعمل لئلا يسقط من درجته وما دام الامر كذلك فلا بد من تاسيس الموازنة بين القوى عاجلا وتلك الموازنة هي اكبر مانع للحرب

عبد العزيز جاويش

نبوءة رائعة

اثر انتشاب الحرب الكبرى في تشرين الاول عام ١٩١٤ نشرت مجلة (دهارمه) التي تصدر في كراكس (فنزويلا) نبوءة يدهش من يطالعها اليوم لشدة مطابقتها الواقع . اما عهد هذه النبوءة فيرجع الى نحو ستين سنة اي عام ١٨٦٣ ودونك نص النبوءة الرائعة . تتابع الثورات والحروب والاعتصابات من سنة ١٩٠٦ الى ١٩١٩ وحوالي ١٩١٩ تتألف محالفة من عشر ممالك

في ١٩٢٠ — ٢١ يظهر سلطان في جزء من بلاد اليونان (ربما في مقدونية) ثم يملك على سوريا وعلى الممالك العشر ويكون بدء ملكه بين ١٩٢٥ و ٢٧ الى ٣٠ - ٣١ . وفي كانون الاول سنة ١٩٢٥ تنشب حرب عظمى كونية تجري على العالم الاهوال والفظائع مدة ثلاث سنين من عام ١٩٢٥ الى ٢٧

وفي عام ١٩١٩ تنفصل سوريا ومقدونيا من تركيا اثر حروب وثورات عظيمة

وفي تلك السنة تبلغ فرنسا الى الرين والدول الاثنتين والعشرين التي كونت حينا من الدهر الامبراطورية الرومانية تتحول الى عشر ممالك يحكمها عشرة ملوك وهذه الدول الـ ٢٢ فهي : فرنسا . بريطانيا العظمى . بلجيكا . لوتسمبرج . سويسرا . بافاريا . بادن تمبرغ . مقاطعات الرين اسبانيا . البرتغال . مراكش (التي تنضم الى فرنسا او اسبانيا) طرابلس الغرب (مضمومة الى فرنسا او ايطاليا) النمسا . ايطاليا . اليونان . مصر . تركيا . بلغار . صربيا . رومانيا . الجبل الاسود . كل هذه تتحول الى عشر ممالك بعد الحرب التي تدوم الى سنة ١٩١٩

اما الممالك العشر هذه فهي : فرنسا . انكلترا (مجردة من ارلندا والهند وكل المستعمرات التي لم تدخل في سلطنة رومانيا) واسبانيا مضمومة اليها البرتغال وكل ما لا يدخل في حكم فرنسا من مراكش . وايطاليا (وربما مع طرابلس الغرب) والنمسا منزوعة منها مقاطعات شمالي الدنوب . واليونان بما فيها تساليا والابير ومكدونيا والبانيا . ومصر وسوريا . وتركيا محصورة في تراكيا وبريطانيا ومن دول الصقالبه بلغاريا ورومانيا وصربيا وهنغاريا

يقوم في فرنسا زعيم قدير فيؤلف هذا الاتحاد ويكون السابق لمجيء السلطان المنتظر وهذا السلطان يكون ملك اليونان او الجبل الاسود بين سنتي ١٩٢٠ و ٢١ وملكا على سوريا عام ١٩٢٢ وسلطانا للممالك العشر سنة ١٩٢٦ الى ١٩٢٨ او ١٩٣١ وينمو في السلطة وابس في القوة ويغلب ثلاثة ملوك

ثم تأتي على الارض اعراض طبيعية هائلة في اليابسة والبحر والانهر والسماء وتدوم سنة ، ففي آب سنة ١٩٢٤ تقصف رعود شديدة وفي ايلول يتساقط برد ونار فيحترق كل النبات وثلث الاشجار وفي شباط و آذار ونيسان من سنة ١٩٢٥ يتحول ثلث البحر الى دم وتهلك السفن فيه وفي نيسان ونوار وتموز يتحول ثلث المياه الجارية الى مرارة فيهلك من الناس خلق كثير وفي آب وايلول وتشرين الاول ينطفي ثلث الشمس ويحدث ظلام وعواصف

ويظهر فارس الحرب الاحمر مدة تسعة اشهر في كل اقطار الارض ولا يكون على الارض سلام من سنة ١٩٢٤ الى ١٩٢٦ ويقتتل الناس في كل مكان وتتحول كل الممالك العشر الى جمهوريات حمر (فوضية) بين ١٩١٥ - ١٩٢٧ انتهى

اما قسم النبوءة الاولى فلا حاجة الى بيان صحته وهو ما شهده العالم في السنين الخمس المنقضية واما القسم الثاني الذي يظهر كأنه منسوخ عن رويا الحواري يوحنا فعلى امكان وقوعه دلائل كثيرة خصوصا ما ورد عن الحرف العامة وعن تحول قسم من البحر الى دم ونار فان اعراض الحمى الظاهرة في السياسة الانكليزية واليانكيين واليابانيين قد تحول في نحو ذلك العهد (١٩٢٤ - ١٩٢٥) الاوقيانوس الهادي الى معترك حرب هائل يمزج ماءه بالدم وجوه بالنار وتعم اليابسة الراية الحمراء

ثم ان فشو المبادىء البلشفية في اروبا وفي آسيا يجعل في حكم المعقول ان تتم نبوءة هذا النبي المزعج الحقيقة

انسان الامس واليوم

عـــدد ٦٧

اخذ الانسان في اول امره يتامل بالطبيعة متفرسا بشئونها فذا تلقاء بصيرته في مسرح عظيم تلعب فيه خواطر خالها غير خاضعة لناموس طبيعي . فولى معرضا عنها ظنا بانها لا تتعلق بحياته الفطرية وبقي حينا من الدهر مراعيا ما كان حاضرا لديه راضيا عن نفسه ومجتهدا باسترضاء الصدف واستمالتها لنفسه . فلا يندفع بسائق حب الحياة ولا تنازع البقاء الى السعي والمزاحمة بل كان يميل الى العيشة الهادئة دون ان يتعب جسمه او يشغل فكره. وذلك لا لانه كان عديم القوة والحركة بل لانه كان مسوقا بمشيئة حياته الطبيعية فقط غير شاعر بحياته الادبية وما اودعتها الطبيعة من القوة القاهرة والسلطان العظيم فيه حتى قطع مراحل حياته الاولية على هذا النمط الى ان آن زمن حرك في فطرته بعض العواطف والسجايا التي غرستها الطبيعة فيه فاخذ يقلد الطبيعة في مصنوعاتها ومشاريعها وتفقد ساعيا الى اخضاعها لديه معتنيا باظهار ما كمن في دماغه وعقله من القوات العظيمة التي يتميز بها على سائر المخلوقات فساد عليها بافكاره واستجلى حقائقها فانطوت على قوالب تصوراته بعد ان رات ان لا وسيلة لها لايقاف ذلك التيار غير الخضوع له والانقياد لما يسن لها في كل حالتها واطوارها . وقد كان كلما ارتقى الانسان درجة اسمى من التى كان عليها اندفع بعامل آخر ليسد ما احتاجت اليه حياته الادبية. فانه وان كانت (النار) اول اكتشافه وكان السايق اليها احتياج حياته الجسدية الى الدفء إلّا انه لم يرض بها بعد ان شعر بوجوب تخليد المآثر الفاخرة بها فانتهى به السعي الى اكتشاف (الكهرباة) التي كان يخال البحث عنها جنونا قبل ظهورها . فان بين كاشف (النار) ومكتشف (الكهرباء) عصورا مملوءة بالخوارق والمعجزات وما هي إلّا شواهد على عظمة الانسان واستكناهه اسرار الطبيعة واخضاعها لمشيئته وارادته

ولا فرق بين الانسان الذي كان بالامس الذي ادرك الحاجة الى اكتشاف

(النار) وبين الذي اكتشف النور الكهربائي إلّا السعي الدقيق وما كمن في عواطف الاول ما اظهرته التربية في عواطف الثاني . فالشعور ان لم تتولى شؤنه التربية فانه لاينجح بنيل الرغائب وان اتجه اليها وتعلق بها . فان اول من اظهر فن الرسم هو احد الرعاة كان يرعى غنما له في كهف جبل فخطر له ان يخط ظلها بحجر . فما هذه إلّا ديب حركة فكرية شعر بها الراعي ولولا من تولى استقصائها بعده وترعرت بين يديه لولدت مائتة . وكذلك اختراع (جاذب الصاعقة) فان فرنكار ذلك الرجل العظيم لمح ومضة ظهرت من ذيل طيارة ابنه وهي محلقة في الجو في يوم مطير فانتبه اليها وواصل سعيه لمعرفة حقيقتها في تجارب عديدة حتى انتهى به السعي الى اختراع هذه الالة التي تقي من يرفعها فوق بنائه من ضرر الصواعق ولو تاملنا في الفكرتين من الوجهة الفلسفية لحكمنا بالفضل الى فكرة الراعي لانه اندفع اليها ببصيرته واما الثاني فقد لاحت لبصره فانتبه اليها . ولكن الاول لم يحصل على شيء حيث لم يكلف نفسه عناء البحث فيها لجهله والثاني واصل سعيه فيها بدافع تربيته وعلمه وهذا هو الفرق بين انسان الامس وانسان اليوم . ان لدينا من انسان الامس امما وقبائل تتحد بواجباتها الاجتماعية ومتجهة نحو مركز واحد وغاية واحدة تحت سماء واحدة وفوق ارض واحدة لا ميزة لاحدهم على الاخر إلّا ميزة العلم والخلق وتختلف اختلافا اسميا اورثتهم اياه نواميس الحياة الابتدائية فانعشت روح الاول في كل من الامم فالهمها سر النهوض الى العلياء . ويخبرنا اول قرن من القرون الوسطى ان الامة العربية اكتشفت معنى هذا السر قبل معاصريها فترجمت كتب العلم والفن ورفعت اعلام الادب وشيدت صروح التهذيب واسست معاهد الفنون وتشهد على ذلك اثارهم وتصانيفهم التي لها موقع التكريم اليوم في متاحف الوارثين لعلومهم وفضائلهم وكان فيهم العلماء والحكماء والمهندسون والرياضيون والكيماويون والجغرافيون والتاريخيون وكان اكرم القوم عالمهم واكبر رتبة عندهم رتبة العالم لا يقرب الشخص ولا يكرم إلّا بها

فمنهم (بقسطا بن لوقا) الفيلسوف البعلبكي الذي اختبر فضله (المقتدر بالله) واستدعاه الى العراق وكان محققا بعلم العدد والهندسة والنجوم والمنطق والعلوم

الطبيعيـة ماهرا في صناعة الطب وله تصانيف كثيرة منها كتاب (الفرق بين النفس والروح) وكتاب (المرايا المحرقة) وكتاب العلة في اسوداد الحبش وغيرها بل كتاب (المروق واسباب الريح) الى غير ذلك ومن التصانيف التي تتعلق بالطب والفلسفة والموسيقى وقد استجلبوه الى ارمينه وتوفى هناك وبنى على قبره قبة اكراما له كاكرام الملوك ورؤساء الشرائع ومنهم (جرجس بن بختيشوع) طبيب المنصور الخاص الذي برع في فن الطب وله مصنفات جمه جديرة بالابانة عن حذقه وفضله ومنهم ابو بكر الرازي الذي سمته الافرنج بـ (جالينوس العرب) وشهدت له بتصنيف اول مؤلف في علة الجدري ومنهم ابن يونس الحضري وهذا الذي اخترع جدول الساعات وهم كثيرون نأتي بتراجم احوالهم شيئا فشيئا عسى ان يكون عبرة لمن اعتبر

وقد اخذ الافرنج عنهم الارقام الحسابية وعلم الجبر والمقابلة وقواعـد نقل الاجسام وعلم الكيمياء واستخرجوا المياه والزيوت بواسطة التقطير والتصعيد وقد برعوا في الجراحة حتى ان نساءهم كن يعملن العمليات الجراحية لبنات جنسهن وقد كن يشاركن الرجال في بعض الاحيان في عملهم وقد ساحوا في قارة اوربا وافريقيـا وفي مدة المامون وقع حساب الخسوف والكسوف وذوات الاذناب وقيست الدرجة الارضية ورصد الاعتـدالان الربيعي والخريفي وقدروا ميـل منطقة ملك الروح وبرعوا في الرصد حتى فاقوا علماء اليونان وكان لهم كثير من المراصد الفلكية منها مرصد اشبيليه وهو اول مرصد في اوربا ومرصد بغداد ومرصد سمرقند ومرصد دمشق ومرصد جبل المقطم في القاهرة

وفي مدتهم انتشرت المدارس فقد كان بمدينة قرطبة ببلاد الاندلس ثمـانون مدرسة في عهد عبد الرحمن الناصر المتوفي سنة ٣٦٦ وكان في مدينة القاهرة عشرون مدرسة وكان فيها مكتبة فيها نحو مائة الف مجلد وكان في بلاد الاندلس نحو سبعين مكتبة عمومية عدا مكتبة الخلفاء التي بلغ مجموع ما بها من المجلدات نحو ستمائة الف مجلد كلها من وضع العرب وقد انفق الوزير نظام الملك مائتي الف دينار على مدرسة في بغداد تسمى المدرسة النظاميـة ورتب لها نحو خمسة عشر الف دينـار تنفق في شئونها سنـويا وكان بها نحو ستة آلاف تلميذ وكان الفقراء يتعلمون فيها مجانا وقد

انشأ العرب مدرسة في ايطاليا وهي المسماة مدرسة (ساليرن) وهذا مما تشفق عليه التواريخ . بدات علماء العرب بنقل الكتب العلمية الى اللغة العربية في القرن الاول للهجرة واول من اقدم على هذا العمل هو خالد بن يزيد بن معاوية وكان يعلم الكيمياء والطب وسمي لعلمه حكيم ءال امية وكانت له همة عالية ومحبة شديدة في العلوم ويقول (ابن السندي) انه لما امر ان يعمل فهرسا لخزانة الكتب الموجودة في مصر سنة ٦٣٥ وتولى هذا الشان القاضي ابا عبد الله القضاعي وابن خلف الوراق وحضرت لاشاهد ما يتعلق بصناعتي فرأيت من كتب النجوم والهندسة والفلسفة خاصة ستة الاف وخمسمائة جزء وكرة نحاس من عمل (بطليموس) وعليه مكتوب ما نصه : حلت هذه الكرة من نظر الامير خالد بن يزيد ابن معاوية وتاملنا ما مضي من زمانها فكان الفا ومائتين وخمسين سنة (اقول ان المسئلة هكذا جرت ولكن الزمن الماضي على الكرة المذكورة ليس بصحيح فان بطليموس هو من رجال العصر الثاني للمسيح والمدة التي بينه وبين هذه المسئلة لا تتجاوز ال (٨٠٠) سنه والخلاف الواقع انما هو في عدم تعيين زمن بطليموس فان البعض يتوهم ويظن انه ولد قبل المسيح ويلتبس على البعض برجال اخرين حملوا هذا الاسم)

وفي زمن العباسيين كالمنصور وهارون الرشيد ولا سيما المامون توفرت اسباب التاليف والتعريب للعلماء وكان المامون نفسه مغرما بعلوم الاوائل وجرت بينه وبين ملك الروم مراسلات في شان العلم واستاذنه في انفاذ من يجمع الكتب المؤخرة في خزائن الروم فاذن له فانفذ الحجاج بن مطر ويحيى بن البطريق ويوحنا بن ماسويه فذهبوا الى مدن الروم وجمعوا ما جمعوا من الكتب النفيسة وشرعوا في تفسيرها ونقلها الى العربية وتتابع وقتئذ مؤلفو العرب وكثروا . فهم كما قال الشاعر :

نجوم سماء كلما غاب كوكب ✽ بدا كوكب تاوي اليه كواكبه

ومن مشاهير علمائهم (بنو موسى) وهم محمد واحمد والحسن الذي ينسب اليهم جبل بني موسى (في ولاية حلب) وقد برعوا في العلوم والفنون وقال ابن خلكان في تاريخه انهم انفذوا الى بلاد الروم فاظهروا عجائب الحكمة وكان الغالب عليهم من العلوم الهندسة والحيل والحركات والموسيقى والنجوم ولهم في الحيل كتاب عجيب يشتمل على كل غريبة ولقد وقفت عليه فوجدته من احسن الكتب وامتعها

عبد الطيف الفلاحي

فتوى قانونية في الدستور (١)

عدد ١٦ في ٢٨ ذي الحجة سنة ١٣٣٩

نورد هنا نص الفتوى التي افتى بها احد اكابر رجال الحقوق بفرنسا وهو الاستاذ برتيلمي المدرس بكلية الحقوق بباريس . والنائب بمجلس الامة الفرنسوي واحد اساتذة مدرسة العلوم السياسية . والكاتب بمجلس الامة الفرنسوي . ونائب الرئيس بلجنة التصويت العام بالمجلس المذكور . وعضو لجنة الامور الخارجية به ايضا

وقد صادق على الفتوى المشار اليها الاستاذ اندري وايس مفتي الوزارة الخارجية

احرز على هذه الفتوى الحزب الحر الدستوري التونسي اثر مجهودات هائلة بذلها في هذا الشان ولا ريب في انها ستكون فصل الخطاب الحاسم لكل قيل وقال في شان مطالبة الشعب التونسي بالدستور كما تبطل دعوى القائلين بمنافاته للحماية ويرتفع بها الاشكال وتنقطع بها جهيزة قول كل خطيب ويزول بها الخلاف

والناظر في نصوص الفتوى ووضوح حججها ومتانة اسلوبها القانوني لا يتمالك ابدا من اظهار الابتهاج والاعجاب الباهر الذي احرزت عليه الامة التونسية في الوقت المناسب بجهاد حزبها الحر الدستوري العظيم

فقد وطدت الفتوى المركز الشرعي الذي لسمو الامير في البلاد واثبتت سلطته في الاشتراع بمشاركة الامة . واثبتت للشعب حق الطلب ولسموه حق القبول

---

(١) نظرا للتوقف المدهش الذي صد المقيم العام وبعض موظفي الجمهورية بباريس عن الجواب صراحة في خصوص البندين الاولين من المسالة التونسية وهما المجلس التشريعي والحكومة المسئولة لديه . بدعوى المساس بجوهر معاهدة الحماية مع امير البلاد فقد اجهد الحزب الحر الدستوري نفسه في استصدار هاته الفتوى المؤيدة لذينك المطلبين من مصادرها وضعا قانونيا وسياسيا حسب نصها الصريح . فشكرا له ثم شكرا .

والمخابرة . لذا نستلفت انظار الامة الى مطالعتها وتكرار قراءتها بامعان وتدبر حتى يحصل لها اليقين بمركزها الممتاز الذي يدعوها الى المثابرة على المطالبة بحقوقها الشرعية . كما نلفت دقة نظر وحكمة سمو اميرنا المحبوب للواجبات المقررة بالفتوى التي له وعليه نحو شعبه الرصين

وهنا لا ننسى الفات نظر الجالية الفرنسوية بتونس خاصة والشعب الفرنساوي النبيل عامة الى الحقائق الناصعة التي تضمنتها الفتوى ومطالبتهم باسم الانسانية جمعاء ان يتسابقوا ويتباروا لمساعدتنا في نيل حقوقنا الشرعية عملا بالتقاليد الفرنسوية الكريمة وذلك بمظاهرة سمو الامير المعظم ومعاضدته في انجاز ما التزم به والده وعمه المبروران من العمل بالقانون الاساسي (عهد الامان) بصورة ملائمة لرقي الشعب حتى تحرز تونس على نهضتها العلمية والاقتصادية والسياسية

وهاك نص الفتوى بلفظه الشائق ومعناه الرائق :

ان المستشار الممضي اسفله جوزاف بارتيلمي المدرس بكلية الحقوق بباريس والنائب بمجلس الامة الفرنسوي استفتي عن نقط مختلفة متعلقة بالنظام الدستوري الداخلي بالمملكة التونسية فابدى الراي المبين اسفله مؤكدا انه نظر في المسالة من الجهة الوضعية القانونية خاصة

المسالة الاولى

هل يمكن للشعب التونسي ان يخاطب اميره بواسطة عرائض ؟

ان الجواب التصديقي البات على هذا السؤال لا شك فيه . اذ ان للشعب التونسي الحق في وضع عرائض ومن حقوق سمو الباي قبولها

ان حق التشكي هو حق طبيعي لكل شخص . فالحق العام الاروبي يعترف به لكل ذات مدركة من الوطنيين وغير الوطنيين والاجانب

والحق العام الاسلامي يعتبره من الامتيازات الذاتية الضرورية لكل مؤمن وبالاخارة فان هذا الحق مؤيد في القانون الوضعي التونسي بالفصل ٨٧ من دستور عام ١٨٦١ ومن جهة اخرى فان لامير تونس صفة لقبول العرائض لا منازع فيها . حيث ان نصب الحماية ترك فعلا له التمتع بحقوق السيادة الداخلية وذلك باعانة ومراقبة

الدولة الحامية . وبالفعل فان حق التشكي قد اجري بنشاط وهدو في شهر جوان سنة ١٩٢٠ من غير اثارة اعتراضات

المسالة الثانية

هل لدستور عام ١٨٦١ الكتابي وجود قانوني الان ؟

ليس هذا الدستور كما زعم احيانا ستورا تعاقديا لان ذلك الميثاق لا يوجد إلّا اذا كانت العائلة المالكة راضخة حين تسلمها العرش لقبول الدستور سالفا . كما وقع بفرنسا بمناسبة تملك عائلة دورليان . ولكننا الان امام دستور ممنوح

وعلى كلتى الحالتين فان النتيجة من الوجهة التي نحن بصدد البحث فيها واحدة بصورة محسوسة حيث ان الامير لما منح الدستور بعد ما كان اميرا مطلقا قد اعترف بانه توجد بجانب سيادته الشخصية سيادة الشعب . وهذا الاعتراف لا يمكن بعدئذ انكاره فان الامير تنازل عن جزء من سيادته . ولا يمكن الرجوع من هذا التنازل وقد جعل مباشرة سلطته تحت قوانين لا رجعة فيها ولا يبت الامير في هذا التنازل لنفسه فقط ولكن لمن يخلفه ايضا وقد جاء في دستور عام ١٨١٤ الفرنسوي ما نصه : « لنا ولاخلافنا الى الابد » وان نشر هذه التعهدات وقبول الشعب ضمنيا بها يكسبان الدستور الممنوح قوة العقد . ان الحق العام الفرنسوي من عام ١٨١٤ الى ١٨٤٨ اعتبر دائما وجود قسم بالدستور غير قابل للتغيير ابدا . وغير قابلية التغيير التي انتجها المذهب الفرنسوي تنطبق على كل القواعد الجوهرية الموجودة بالدستور كالحرية السياسية ونظام الانتخاب النيابي الخ

وقد وقع قبول امكان تغيير بعض التفاصيل التطبيقية ولكنهم انكروا دائما امكان اجراء الارادة الفردية الملوكية لذلك التغيير الذي لا يمكن اجراءه إلّا باتفاق بين الملك والساطة النيابية بصورة قانون

وعلى هذا فان للدستور الممنوح عملا ابديا . السوال الوحيد الذي يرد علينا هو معرفة ما اذا حدثت فعلا حوادث استوجبت تعطيل هذا الدستور

ايمكن اولا ادعاء حدوث وقائع داخلية من شانها تحصيل هذه النتيجة ؟

لا يظهر امكان هذا الادعاء . نعم من غير شك ان هذا القانون لم تقع مراعاته دائما

بصورة مدققة ولكن الدستور لا يلغى لمجرد انتهاكه بل انه يحفظ رغم الاستخفاف به كامل كيانه القانوني وهنالك مسالة اخرى اشد دقة وهي معرفة ما اذا كان نصب الحماية الفرنسوية يغير النظام الدستوري بتونس

ولا شك فى ان الجواب على هذه المسالة يكون سلبيا حتما اي لا يغير حيث ان الحماية تحترم السيادة الداخلية التي لسمو الباي ومن الجلي انها تحترمها على مقتضى الحالة التي وجدتها عليها عند انتصاب الحماية الفرنسوية، اي انها محدودة بمنح العهد الدستوري. وهذه النتيجة القانونية مؤيدة بالفكر الصحيح مهما كان بسيطا اذ ان حماية جمهورية لا يمكن ان يكون من نتائجه تقوية الحكم الفردي في البلد المحتمي

المسألة الثالثة

هل ارجاع هذا الدستور على القول بوجوده وتغييره مع الحماية مطابق لهذا النظام: الجواب على السؤال يرجع الى معرفة من بيده سلطة التشريع بالمملكة التونسية اليوم، ان دستور عام ١٨٦١ لم ينسخ وانما اوقف العمل به فعلا والامير الحالي لم يقسم عند تسنمه العرش على احترامه والعمل به

فالبحث الان انما هو في انتشال هذا الدستور من وهدة نومه العميق اما بنصه الحرفي واما بادخال بعض التغييرات والتدقيقات

فما هي هذه السلطة التي لها صفة اما للاعلان بان دستور ١٨٦١ هو حي قانونا واما لاعلان دستور جديد مطابق لرغائب الشعب التونسي وتهذيبه السياسي ؟

يوجد قسم عظيم من الراي العام التونسي له ميل الى المطالبة بالحق للشعب التونسي ولاميرهم ليتخذوا بغاية الحرية الدستور الذي يختارونه

وهذه القضية مدعمة على نص العقد الذي نصب الحماية الفرنسوية على تونس حيث انه يصرح بان الحكومة الفرنسوية تتفق مع سمو الباي في شأن التغييرات الادارية والعدلية والمالية، لهذا فقد بقيت الاصلاحات الدستورية حرة

ولكن طريقة هذه الترجمة الحرفية لا تنطبق على الحق العام بل يلزم معرفة اغلب مقاصد الفريقين فاذا كانت الدولة الحامية قد خصصت نفسها بحق مراقبة

الاعمال الثانوية في الحياة العامة التونسية فبالاحرى انها تدعى عدم اهمالها للاصلاحات التي يمكن ان يحدث منها اندفاع مخطر ضد الحماية

وعلى هذا فان اجراء التغييرات الدستورية بتونس ممكن باتفاق سمو الباي وفرنسا . وهنا يمكن البحث قانونيا هل لسمو الباي ان يفتتح هذا العمل . ولكن هذا السؤال الصوري فاقد لكل اهمية اذ لا شك ولا ريب في ان لسمو الباي الحق في اجراء مخابرات مع الحكومة الفرنسوية كما ان له الحق في ان يقدم لها افكاره في سبيل اسعاد شعبه الذي هو دائما مسؤول عليه . ولا يمكن للحكومة الفرنسوية إلّا ان تقابل هاتيك الافكار باحسن قبول وتحقق للشعب التونسي النظام اللائق بدرجة رقيه السياسي

المسألة الرابعة

هل النظام الدستوري موافق للحماية ؟

انا لا نجد في فكرة الحماية التي هي مرنة للغاية ادنى مبدإ مخالف للنظام الدستوري بل الامر بعكس ذلك تماما حيث ان الحماية لما تولت ادارة الامور الخارجية في البلد المحتمي فابتلعت كما يقال بذلك هيأته السفيرية اكدت انها تحترم سيادته الداخلية ولهذا فان النظام الدستوري مطابق جوهريا لنظام الحماية

ان استقلال الدولة المحتمية هو اصوليا اكبر من استقلال المستعمرة او المستعمرة الممتازة (دومنيون) ورغما عن هذا فهنالك مستعمرات لها حكومات ذاتية (سيلف قوفارنمانت) متسعة جدا وهنالك مستعمرات ممتازة لا تربط مع ام الوطن إلّا كما يقال بسلك من حرير . اذا فلا مضادة اصلية بين بعض الحرية السياسية الداخلية بالبلد المحتمي وبين نظام الحماية ويجب ان تكون هذه الحرية السياسية موافقة للحالة العامة التي للشعب المتكلم عنه . تلك الحالة التي من اصول اثباتها على مذهبنا درجة التهذيب وانتشار العلوم والمعارف . وايضا المطالبة الشرعية بنظام ينطبق على الاميال العامة التي للشعوب الحديثة

ان ملايمة بعض الحريات السياسية والادارية لنظام الحماية لا شك فيه ابدا

من جهة القانون واما درجة هذه الحرية فهي مسالة سياسية يقع الوفاق فيها بين الدولة الحامية والدولة المحتمية . وهكذا حرر في باريس يوم ١١ جويليه ١٩٢١

جوزاف برتلمي
مدرس الحقوق الدستورية بكلية باريس
مدرس بمدرسة العلوم السياسية
نائب مقاطعة الجيوش
كاتب بمجلس الامة الفرنساوي
نائب الرئيس بلجنة التصويت العام
عضو لجنة الامور الخارجية بمجلس الامة

المسالة التونسية وسفر العميد

عدد ٧٦ في ٢٨ حجة سنة ١٣٣٩ ٢١/٩/٢

في صباح يوم ٩ اوت الجاري واجه العميد وفد من الحزب الحر التونسي برئاسة الكاتب العام للحزب المذكور مؤلفا من ذوات معتبرين وذلك اغتناما لفرصة اقامة جنابه بباريس كي يذكروه بالمسالة التونسية ويوصوه خيرا بالموازرة والاهتمام وبعد تبادل التحيات والدعاء له بالسلامة في الظعن والاقامة القى الزعيم المفضال الخطاب الاتي

سيدي الوزير

بمناسبة سفركم لفرنسا حيث تقضون بعض اسابيع استراحة من العمل الكبير الذي قمتم به عدة اشهر تتمنى لكم الامة التونسية سفرا طيبا واقامة سعيدة

وارى من المفيد ان نجيل الان نظرة الى الوراء لعرض ما جرى من الاعمال مدة الاشهر الاولى التي اقمتموها بتونس

لما تشرفنا بمقابلتكم يوم ٢٩ جانفي ١٩٢١ حيث حملنا لكم تحيات ورغائب

الشعب التونسي كنتم صرحتم لنا بتصريحات لا تترك دقتها مجالا للشك والتاويل فيما يخص الفصلين الاولين من مطالبنا واللذين لهما اهمية كبرى في نظرنا قلتم لنا انه لا يمكن اجابتهما تماما لانهما يخالفان نظامات الحماية المرتبطة بالمعاهدات بين سمو الباي وفرنسا وفيما يلي سترونا افكارنا فيما يخص هذه المخالفة وفيما يخص بقية المطالب فقد وعدتمونا بدرسها معنا بنية صادقة، القصد منها الوصول الى حل مرضي، وان الاقبال الحافل الذي لاقيناه عندكم وما رايناه من صدق لهجتكم جعلنا نعتقد بان وعودكم لا يمكن ان تكون هباء

وحقيقة قد اندفعتم الى ميدان العمل حيث ابرزتم كثيرا الى عالم التحقيق فتغلبتم على صعوبات جمة ورفعتم حالة الحصار التي كادت تخمد انفاسنا تحتها بدون موجب ولقد اظهرتم فكرا متسعا ونظرا صائبا نادر المثال لا يسعنا إلّا شكركم عليه وعلى ما ابديتموه من عواطف الشهامة والنبل فاصلحتم ما فعلته ادارة الاستبداد التي حاولت قتل الفكرة باعتقال ممثلها، فبعاملي الرحمة والعدالة امرتم باطلاق الشيخ عبد العزيز الثعالبي الذي هو في نظر التونسيين ضحية الاخلاص لوطنه وباذل المساعي لاسعاد ورفاهية مواطنيه، وانكم تستحقون عن هذا العمل الذي رن صداه حتى في خارج حدود المملكة خالص تشكرات الشعب الصادرة عن التاثير

ثم ابتدأتم بتطبيق برنامج الاصلاحات فشرعتم اولا باهمها وهي مسالة العدلية وبما ان العدلية التي تستحق هذا الاسم لا تكون قائمة الاساس إلا على استقلال الذين يقومون بها فاصدرتم تقارير من شانها فصل النفوذ الاداري عن السلطة القضائية ثم امرتم بجمع لجنة خاصة لانجاز مشروع قانون المرافعات الجناءي الذي وقع الشروع في تحضيره منذ اعوام عديدة وهنا يجب علينا ان نلاحظ بانكم لاقيتم مصادمة من ادارة مستبدة تعودت منذ اربعين عاما معارضة كل المشاريع التي حاول نواب فرنسا الذين تداولوا هذا المنزل انجازها وتسعى في محق وملاشاة اعمال الاخرين

فمن هذا ان منصب وزارة العدلية الذي من شانه تحقيق فصل السلط واعطاء الضمانات لمن له شان بالعدلية انقلب الى وظيفة موظف جديد يشغل غرفة صغرى بسراي القصبة كرئيس كتبة بسيط

ومن هذا ان قانون المرافعات الجنائي خال من الفكرة الحرة الافرنسية التي تقتضي ان يكون المتهم محاطا بكل الوسائل التي تمكنه من الدفاع عن نفسه والتي تضمن الحرية والامن لكل المواطنين حيث انها تبين بصفة جلية وظائف الحكام بما يجعل ابواب المظالم مغلقة

ولا اخفي عليكم يا سيدي الوزير التاثير السيء الذى حصل للشعب من هذا القانون حيث عوض ان يجعل سدا منيعا بين الادارة والقضا اتى بمنطوق يؤبد السلطة القضائية التي للعمال ومن حسن الحظ ان العمل لا يجري بهذا القانون قبل ان تتصفحوه بدقة ولنا وطيد الامل في انكم تدخلون عليه التنقيحات الكافية لتفريق السلط التي طالما تمنيناه . ويلزم لاكمال هذا العمل العدلي العظيم الذي شرعتم فيه بعزيمة كبرى ايجاد عدة امور منها مدرسة حقوق لتاهيل الحكام يقبل ضمن تلامذتها كل من يدلي بالشهادات الابتدائية والثانوية في المعارف العامة كشهادة التطويع بالجامع الاعظم وشهادة الباكلوريا في العلوم الثانوية ثم تحسين حالة موظفي العدلية حتى يتسنى لهم القيام بوظائفهم ويعيشوا عيشة مستقيمة لا يضطرون معها الى ولوج ابواب فاسدة واقامة حكام بكل مركز عمل وكذلك اعضاء منفذين وانشاء مجلس تعقيب متركب من حكام متضلعين واضافة قسمين الى مجلس الاستئناف بالوزارة وقسمين الى مجلس الدريبة الابتدائي وانشاء محكمة ابتدائية بباجة

وهنالك مطلبان من جملة مطالبنا يختصان بالطبقة المستنيرة المتعلمة من امتنا وهما دخول التونسيين في سائر الوظائف الادارية التونسية ومساواتهم في الرواتب مع زملائهم الفرنسويين ولقد نجحت التجربة نجاحا مهما في المسالة الاولى حيث ظهرت مواهب التونسيين لما نجح احدهم وفاز بالرتبة الاولى في امتحان معاون للمراقب المدني . ولقد اتانا مثال هذا من المغرب الاقصى حيث ان المارشال ليوتي ادخل ضمن موظفي مكتبه الاداري والعسكري اثنين من شبان المغاربة حصلا على نجاح باهر في امتحان مدرستي مكناس والرباط . واما فيما يخص المسالة الثانية فيخيل لي انها لم تخط خطوة الى الامام بل بالعكس فقد تنوسيت هذه المسالة اثناء الاجتماع الذي عقده مجلس الوزراء للنظر في مسالة تحسين المرتبات ولقد كلفت

باستلفات انظاركم الى هذه الحالة الاسيفة ونتمنى انكم تعيروها نظركم كما وعدتمونا ءانفا وتحلونها حلامطابقا للعدالة والانصاف

والان اريد الدخول في مسائل اعم من التي كنا بصددها

ان تصريحاتكم يا سيدي الوزير لم تتغير من يوم حلولكم بتونس فيما يخص المطلبين الاولين من مطالبنا وهما انشاء مجلس امة يتكون بالانتخاب العام وحكومة مسؤولة امام هذا المجلس وفي فكركم ان هذين الامرين مخالفين لنظام الحماية

والان نؤكد لكم ان البحث القانوني الدقيق المتواصل في هذه المسالة انتج انه لا خلاف هناك بين الحكم الدستوري وبين نظام الحماية وسنقدم لكم في مدة قريبة الحجج الكافية للاستدلال على ذلك. ثم انا لا نطلب مجلس امة له ما لسائر مجالس الامم باروبا من السلطة بل انا نريد مجلس اقل من ذلك نعوض به المجلس الشوري الذي لا يمثل احدا من التونسيين يكون مؤلفا من اعضاء تونسيين وفرنسويين يقع تعيينهم بالانتخاب العام مع تساوي العدد وله حق القرارات وسلطة مالية واسعة

ولا نرى ان هذا غير مناسب لمملكة احرزت على قانونها الاساسي عام ١٨٥٧ بتحريض من فرنسا الامبراطورية ذلك القانون الذي لم ينسخ حتى الان

اما ما يخص مسئولية الحكومة امام هذا المجلس فانا لا نقصد بها سوى رؤوساء الادارات المكلفين بالمصالح العمومية وقد استثنينا منها الوزير المقيم الذي هو وزير الخارجية لسمو الباي وقائد جيش الاحتلال الذي هو وزير حربيته والاميرال قائد القوى البحرية وباستثنائنا لهؤلاء فقد تحاشينا مس نظام الحماية

واما ما يخص بقية مطالبنا التي حظيت لديكم بالقبول فانا نترقب انجازها بامل كبير وايضا بفارغ صبر ونتمنى انكم تتمكنون في المدة التي ستقضونها بفرنسا تحت اديم الحرية من درس مشروع انتخاب المجالس البلدية والتعليم الاجباري ومشاركة التونسيين في شراء اراضي الاستعمار وحرية الصحافة التي لا يجب ان يكون لها وازع إلّا القانون المسطر الامر الذي يمنع كثيرا من الامور الغير القانونية . هذا واسالك يا سيدي الوزير المعذرة عن التطويل في هذا البيان وذلك بناء على انكم كنتم طلبتم منا الاتيان الى دار فرنسا كلما اقتضى الحال ذلك وعليه

وقد اتيناكم اليوم لبيان فكرنا فيما وقع وفيما نريد وقوعه وبودنا ان مشروع الاصلاحات الذي ستدرسونه بما عهد في عائلتكم الشهيرة من الحرية يلاقي في وزارة الخارجيه قبولا حسنا كما قوبل غيره فيما يختص بالبلاد التونسية

وفي الختام اجدد لكم يا حضرة الوزير عواطفنا الجميلة ونتمنى لكم صحة طيبة وعيشا رغيدا

جواب المقيم عن الخطاب

ابتدي - بالجواب على ختام خطابكم قبل اوائله فاقول : اني قد نجحت في سعيي بجعل روابط ودادية بينكم انتم قادة الشعب التونسي والسفارة الفرنساوية وانا اشتهي واتمنى استمرار هذه العلايق الودية ، والان اريد مراجعة خطابكم كيما يتسنى لي الجواب عن كل ما تضمنه ، ثم اخذ يتكلم على ما تضمنه الخطاب فابتدا بمسالة العدلية قائلا : احقق لكم اني كنت ولا زلت مصرا على اتمام تفريق السلط بكيفية فعلية ، واني اتمنى مثلكم ان يكون وزير العدلية في مكان مستقل به ليحصل على تمام الاستقلال القضاءي ويكون منفصلا عن الادارة تماما ولكن لا يعزب عنكم ان المسالة مالية بحتة ، ولا يفهم من مقالي ان الامر مستحيل في المستقبل ، لا سيما وانتم تعلمون ان النظامات لا تقع إلا تدريجيا

وفيما يخص قانون المرافعات الجنائي فاني ارى الانتقادات الصارمة التي وجهت عليه كانت سابقة ابانها ، ضرورة ان القانون لم يتم وانه لا زال تحت النظر ومعلوم انه لا يكون قانونا معروضا للنقد إلّا اذا صدر في اجراء العمل به امر علي مصادق عليه من طرف نايب فرنسا ، والحال ان المسودة الموجودة الان غير كاملة بل لم يتم تحرير آخر فصولها ، وهي ستسلم لي اليوم مع محاضر جلسات لجنة التدوين ، وجميع الاوراق التي تخص هذه المسالة ، وساصطحب بمجموع هاتيك الاوراق لادرسها مليا مدة اقامتي بفرانسا ، وعند رجوعي فليس من الغريب ان اجمع من جديد لجنة التدوين لاتفاهم معها فيما يلزم تغييره في القانون ، ويمكنني ان اصرح لكم من الان اني سابذل قصارى جهدي في تغيير البند القاضي بمنع حضور

المحامي اثناء بحث المتهم . اماما يتعلق بمسالة السلطة القضائية التي للعمال فان هذه مسالة دقيقة حيث انها تتعلق بهيكل النظام العام بهذه البلاد وعلى كل حال فان فكرتي الخاصة راسخة في وجوب تغيير هذه الحالة

واما بقية الاصلاحات العدلية فانها كما لا يخفى ترجع الى المسائل المالية . وبالرغم عن ان حالة تونس المالية حسنة فان هذا البرنامج لا يمكن ان يقع دفعة واحدة بل ان العمل سيجري بها تدريجيا . ثم انتقل الى مسالة دخول التونسيين في جميع الوظائف فقال ان هذا امرا مقضي وابشركم بانه عما قريب تصدر قرارات تقتضي ذلك في ما يتعلق بادارة البوسطة والتلغراف بحيث يقبل فيها التونسيون بدون ادنى عائق . اما مسالة تباين المرتبات فهي نتيجة الحرب وليست خاصة بتونس فقط بل في فرنسا وانكلترا والولايات المتحدة وغيرها ايضا يوجد مثل هذا الخلل ثم قال:

اظن ان حالة المتوظفين ؟ قد وقع الان تحسينها . فقاطعه الاستاذ الصافي قائلا بل الامر ليس كذلك حيث ان البون بين المرتب الفرنسوي والتونسي شاسعا جدا حتى ان حارس السجون الفرنسي يتقاضى مرتبا اوفر من مرتب الحاكم التونسي - فاجابه الوزير بان ذلك نتيجة الخلل المذكور الذي سيقع تلافيه

ثم قال واما ما اوضحتموه في مسالة مجلس الامة والحكومة المسئولة لديه فاني لا زلت على فكري فيهما لان ذلك ينتج عنه عدم قرار الوزراء في مناصبهم فقاطعه هنا الاستاذ الصافي قائلا انا لا نطلب مجلس امة مثل ما هو جار في البلاد الاروبية تماما بل ان مطلبنا يقتصر على تعويض الهيأة الموجودة الان بمجلس متركب من تونسيين وافرنسويين بالانتخاب الحرحتى يكون اعضاؤه نوابا حقيقين عن الشعب

فاجاب الوزير بان ذلك ليس بمستحيل وانه يفكر في طريقة اعطاء التونسيين حق تعيين نوابهم وان ما وقع في مسالة حجرتي التجارة والفلاحة يشطه على ذلك . وهو يفكر في النسج على ذاك المنوال . وهنا قاطعه الاستاذ الصافي ايضا بقوله : مهما كانت طريقة الانتخاب القادم فانا لا نقبل ان تكون كلمة الادارة في تعيين نوابنا هي الكلمة الاخيرة . فاشار له العميد بانه فهم ما يقصد بها . ثم قال انه موافق تمام الموافقة على هذا . ثم استلفت الاستاذ الصافي انظاره للاضطهاد الذي يلاقيه رصيفنا

صاحب (العصر الجديد) من عامل صفاقس وهنا بسط المقيم القول بانه يحب حرية الصحافة ولا يمانع فيها ولا يريد ان يكون لها حد ، ولا يريد ابدا ان يتخذ ضدها وسائل زجرية ، وهنا التفت الى مدير (الصواب) قائلا له وانت تعلم ذلك ، ولكنه يتمنى ان تكون ملاحظات الصحافة وانتقاداتها خالية من الاحساسات الجافية ثم قال ولنضرب لكم مثلا ان الانتقاد الذي تضمنه خطابكم فاني لم اجد في نفسي حرجا من قبوله اذ لم يخل من الفائدة التي اقلها استلفات انظاري لما تضمنه قانون المرافعات الجنائي (........).

واخيرا استلفته الى ما عسى ان يقع مدة غيابه من التحرش بنا قائلا له لاسيما وجنابكم يعلم مقدار الهدو السايد بهذه البلاد واقبال الشعب التونسي على شئونه

فصرح المقيم للوفد قائلا ، كونوا براحة بال من هذه الجهة وانكم ستجدون لدى معتمد السفارة صدرا رحبا لقبولكم في كل وقت وحين والتفاهم معه في المصالح التي تهمكم ، وهنا وقع تبادل عبارات التحية والوداد الخ ، وانصرف الوفد منشرح الصدر

محكم البرهان (١)

في الرد على حزب الخذلان

عـــدد ٧٧ في ١٢ محرم الحرام سنة ١٣٣٩

« ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون » (قرآن كريم)

---

(١) تاريخ هذا المقال والذي قبله هو مبدا لظهور حركة الشقاق التي كونتها مطامع ثلة من المخذولين وقد ابرزتها الادارة لاشغال الحزب الدستوري عن صالح عمله العام ، ومن ذلك التاريخ اخذت شخصية عبيد الادارة تظهر شيئا فشيئا فوق مرسح الخذلان ممقوتة من طرف الامة ولم يسمع لهم قول (ولن يسمع) ولم تزل تجارتهم الى اليوم في بوار ...

قد مضى لهذا الحديث صدر مشعر بتابع له بعنوان « الرسالة البتراء » كان له الوقع الحسن لدى طبقات الامة بحصول التاثير المطلوب منه . شان الحقائق التي يفيضها الصدق ويبديها الوجدان الصادق ولا غاية منها سوى تايد المحقين ودحض ترهات المبطلين

وبناء على ذلك الوعد فسابتم اليوم تلك الرشحات القلمية بسوانح فكرية في الموضوع بذلك النسق الغريب رغما عن اختيار بعض الافراد الرفق بهؤلاء بدعوى ان ذلك الاسلوب حديدي التاثير . اغترارا منهم بقاعدة (ان الكلام مع الكلام) . وهو جهل باساليب الابداع في الحروب القلمية او ضعف في الملكات الانشائيـة . حيث ان تلك القاعدة يتحتم السير معها واعتبارها كصراط سوي السلوك ما اذا لم يكن سوء القصد وكان المجال قاصرا من الطرفين على الوصول الى الضالة المنشودة في البحث والتحرير . اما والذي نحن بصدده فهو بمثابة من يجيء الى مدعي النبوة مثلا ويناقشه في معجزاته المدعاة وخوارقه المفتراة وانها من قبيل الشعوذة والسحر والخيالات التي تتراء للاعشى او مختلفي النظر وضعيفي البصر . ويكدح في اقامة الدليل والبرهان بدل ان يحسم الامر من اصله ويقتلعه من جذوره ببيان منطويات مدعيها وخفايا مختلقها ومبديها حتى يحصل العلم بان من كانت تلك اوصافه وهاتيك نعوته لا يكون مصدر الصالحات فضلا عن النبوات . وان المفاهمة معه فيما يدعيه ومناقشته فيما يبديه ضرب من الخور والجنون وقتل للوقت الثمين . . . بل قالوا ان اكبر من ذلك عيبا في ادب البحث والبيان الاتيان بغير ذلك السبيل مع الثلة الاباحية التي اذا اجتمعت واتصلت الصهباء بعقول بعض افرادها وطارحوا الحديث على الاسلام ونوره قالوا ان القرءان اصبح غير صالح لهذا الزمان لمرور الف عام ونصفها عليه . فيجب ابداله وضعا صالحـا لتطور البشر وارتقائه (استغفر الله) او ينقح بطرح ءايات العذاب والزجر والارهاب تنشيطا لتخاوي البشرية ومساعـدة لسير المدنية (يعني التهتك وخلع العذار) وحتى لا تحرم النفوس بحدوده وزواجره من الملاذ والشهوات . . . زاعمين ان ذلك رقي في الفكر وارتقاء في المدارك وبه يمكن الاخذ بزمام الامة وفواق الشعب وقوده الى مستوى الترف وتقذه من قيود الجمود والتاخر والتشبث بالاوهام ولذائذ الاحلام . . . . الى غير ذاك من هذر القول ومما

لا يقال ، وعليه اليس من الحكمة والسداد اذا صحت الفرضية ان يجاب بغير ذلك المنهج تقليلا للقيل والقال واسرع وصولا الى الغاية من المقال

نعم وعلى ذلك سار « مرشد الامة » في تحاريره التي يؤيد بها الحق ويدحض الباطل والمذهب المختار عنده والتي ظهر وانها اثمرت من يومها وناهيك بمن بكى واستبكى والقى بنفسه التجاء في احضان القانون

فنسال الله جل شانه دوام الثبات على منهج الاستقامة في خدمة الامة وصالحها العام ، مبتدئين بالكلام على رسالة من كتب عليها نعمان ثم اختم الكلام بتزييف نشرية حسان اللتي وان كانتا بمعنى واحد ولا تزيد الاخيرة عن اختها إلّا انها نقلت بترجمة ساحر عليم ، بحيث انها حكت في خلابتها اللفظية وتزويقاتها التركيبية حكاية (حكى الحارث ابن همام) ، واما من حيث المعنى فكالقابض بكفيه على الماء ليبلغ فاه او « كسراب بقيع يحسبه الضمئان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا » شان الكاتب الذى يكتب والشغف بذاته قد احجبه عن الحق ، وان صدره الخلو من علامات النياشين والاوسمة التي يراها عند زملائه جعله متعمقا في قلب الحقائق والشعوذة والتلون في المبدا والتبرم في الاقوال ....

قد استهل نعمان رسالته بابيات من الشعر البليغ في معناه لا كما قيل من انه شعر مبتذل وختمها ببيتين وما بين ذلك اثبت البهتان والهذيان ....

قلنا شعر بليغ لانه لا يلزم من عدم انطباقه على منشىء الرسالة سقوطه من مرتبته التي جعلت له في صدر البديع مكانا سويا وصار يضرب مثلا ويطرز به الحديث ويساق مساق الوعظ والتانيب ، نعم لا سيما اذا تمثل به والد عاقه ولده ... وتركه بين مخالب الجوع والعراء او اشبعه في بعض الاحيان ضربا وجيعا او ترفع عنه واظهر له الانانية والشفوف مع انه علة في وجوده وقد رباه صغيرا وطالما اطعمه في فيه قائلا له من تلك الابيات

فوا عجبا لمن ربيت طفلا القمه باطراف البنان

الخ ....!!

او يتمثل بذلك الشعر شعب آوى طريدا جائعا واغدقه بنعمه واغمره باحسانه

واعاره اعتبارا (لا يستحقه) رحمة بالنازح الغريب ، اذا انقلب الى عدو له واصبح يعمل تحت ستار التمويه على الحاق الضرر بمنعمه في انفس ما لديه وهو مسالة الصالح العام محبذا له نبذ وحدته وتلاشي جامعته وتقويض اركان تبعته والسير به الى هوة الفناء بالاندماج ... اما اثباتها على معنى ان صاحب ذلك الاثر الابتر من الاساتذة المرشدين او من الكرماء المنعمين فجناية على الادب والبديع . وان الصواب مع (الصواب) في ذلك لانه في حاجة الى استئناف التعليم والرجوع به الى التاديب قهرا وذلك بعد ثبوت بدئه ونزول الحرارة عنده الى العدد الصالح لمزاجه المستقيم ....

ذلك ما امكن فهمه من تناسب وضع الابيات المستهل بها تلك الرسالة . واما ابيات العجز فلنضرب عنها صفحا لانها من باب (خلبط) الذي اغفله صاحب القاموس ولم يبوب له لاستقباح ذلك المعنى من مشتعل الراس والابطين شيبا . وانه يجب ان نتركه يداعب قبرته ... ويخاطبها لانها تفهمه ويفهمها (وشبه الشيء منجذب اليه) ثم اثبت كلمتنا على ما بين الطالع والعجز من الترهات التي تشف عن غرض شخصي وغايات سافلة قد قال عنها ادعاء انها (غلطات وهفوات) وهي لا تزيد عن النقط الاتية :

١ ـ اجرام بعض رؤساء الدعوى الدستورية (في نظر السياسة) وجهلهم بغير العربية ومصادمة الفكر العام الفرنسي بكتاب تونس الشهيدة

٢ ـ استغفال الامة وانقيادها لهؤلاء الصبيان وعدم تعويضها لهم بغيرهم وطلب الحساب على صرف الاموال

٣ ـ الشطط في المطالب

٤ ـ عدم بيان الوفد الاول لاعماله البارسية ودعوى تغيير الثاني لبرنامج القضية

٥ ـ تحبيذ القرض الاخير وهو ٢٥٥ مليونا وتخطئة المعترضين عنه والدفاع على سياسة المقيم الراحل

٦ ـ جهل الصحافة العربية وبعد اربابها عن خدمة الصالح العام ثم يلي ذلك الكلام على ما في رسالة حسان

حقيقة يعجب الانسان كيف ساغ لاولئك المعتلئة رؤسهم بالهوس نشر هاته السخائم

المختانقة ولم يتهيبوا العار ولا اعتراهم الخجل او الوجل على الاقل . لانهم ترجموا عن جهل مطبق بهم او انهم استغفلوا الامة او اعتقدوا بساطتها . وان الجميع من فقد الحياء

يقولون ان زعماء الحزب الحر مجرمون ويعنون بذلك الاستاذ الثعالبي والشيخين صالح بن يحيى والرياحي فالاول لكتاب تونس الشهيدة والشهيدان لاسرار كشفت لدى السياسة عند ابتلائهم في سبيل المصلحة العامة . بدعوى ان ذلك اوغر صدور ذوي الامر عنهم فيبخلون باعطاء الامة حقوقها المهضومة من ذلك السبيل فيجب سحبهم وابدالهم بالمحبين والمخاصين ......

وهو اول خور سمعناه من مدعي الحقوقية ولم يقله عاقل اصلا ولا يدخل تحت قاعدة بحال

واي مدرك لا يستحي ان ينعت دعاة الامة ورجال نهضتها بالاجرام الموجب لتقهقرهم من مناصبهم والحال ان من تجرمه السياسة لدى كل امة في سبيل مصلحتها هو طاهر الذمة تقي مقدس . ومعتبر الاقوال حتى لدى الساسة انفسهم وذي الامر في الشعوب . لانهم ارقى فكرا واسمى اعتبارا من الحقد على الزعماء القائمين بمطالبة الحقوق في الامم المحكومة وهم الاقوياء والمرجع في الرفض والقبول . على ان التماثيل الخالدة في كل امة طلبت الحق وعرفته والتي تمثل اركان النهضة فيها مع ما اثبت لهم التاريخ من الاضطهاد حجة بلجاء وشاهد عدل على ما اقوله وحجر في افواه الذين يقولون عنهم بلا خجل انهم مجرمون .

فكتاب تونس الشهيدة مثلا فان كان ما به حقائق فهو فخر لمنشئه ويكسبه اعتبارا زايدا ويحمل ذوي الشان العادلين على تلافي الخلل والعلل . وان هو مبالغ فيه او غير الصواب فيبقى في زوايا الاهمال ولا يعمل به . لا كما زعم هؤلاء من انه هوة ستقبر فيها المسالة التونسية ما دام صاحب الكتاب يعمل مع العاملين لانه زعم اعتبر الحكومات الراقية كالافراد البله الذين يرجفهم الانتقاد ويوغر صدورهم لحد يحملهم على الحيلولة بين الامة ورغائبها فلبئس ما يزعمون

وقد زادوا في الطين بلة وفي الخذلان اتساعا بان قالوا ان العربية وحدها لا تؤهل للقيام بالاعمال السياسية العامة . وان معلومات الاستاذ الثعالبي شرقية تصلح للخيال والشعر فقط . وذلك احتقارا منهم للغة الفرقان او جهل بسعتها وفخفخة بما هم

عليه من النزر القليل في معرفة اللسان الفرنسوي المعترف بجودته، وضرب من الجفاء لام اللغات (العربية) التي لم يسمع بنظيره حتى من الاعاجم انفسهم عن اللغة والدين . لانهم يعلمون وان جمال الدين الافغاني كان جمالا شرقيا وسراجا مضيئا لرقيه في نظر ساسة العالم الاروبي وقياصرته وفيلسوفا مهابا في حكمته وهو لا يعرف اللسان الذي يتكلم به قلاتي ونعمان كما ان تلميذه الاستاذ الامام مفتي الديار المصرية كان اذا جلس حذو السير غراي وغلادستون واللورد كرومر دهاة الانكليز يبهرهم بفصاحة لسانه ويبهت عقولهم بارائه وحجته لحد قال احد اولئك الساسة عنه ان مداركه لو وزنت لرجحت بعشرات امثاله . وهو لا يعرف الشقشقة المتطاول بها قلاتي ونعمان .... حصروا الفضيلة بجهلهم في (جهلهم) وسلبوا المقدرة عن استاذ خص بمواهب حرموا منها فحاولوا طمسها حسدا فوقعوا بالساحل ولا لهم منقذ ومجير . ضربوا على نغمة للشعب ظنوا انها الدواء الناجع لتبرير تعهداتهم .... ما اذا اخذت من الامة ماخذها (وهو طاب الحساب) الذي ينبت في زعمهم الوسوسة وفساد النية وفقدان الثقة واحداث الفتور فتنقوض المسالة من جذورها بسهولة وتنحل عرى التضامن في الطاب . وهي كالفتنة النائمة (لعن الله من ايقظها) وله في الاجلة سوء المصير لانهم على علم من ان الحساب في المسائل العامة والمطالب السياسية لم يسبق له نظير . لانبنى هيكله على الثقة والاخلاص للوطن سيما في مبدا التئامه الذي هو في العرف التاريخي زمن كتمان . على ان المال قد صرف محكما في ابوابه وما هو بالشيء الكبير إلّا في نظر اولئك المفتونين . ولو اخاص هؤلاء لتذمروا من احوال بعض الشركات التجارية التي اشرفت على الاضمحلال وقد ثبت ان من بعض العاملين فيها منهم . وهو لا هم له إلّا اختطاف الكواعب في العربات الكهربائية في دامس من الليل مهلكا له ما بين طنقو والبلفيدير وبستان الصيف والربيع . ولعلموا ان الحساب في الشركات التجارية اصل في النجاح ودعامة البقاء ....

واقبح من ذلك استغفالهم للامة باجمعها وتعجبهم منها كيف لم تبدل اولئك الزعماء بامثالهم ونعتوا القائمين بانهم صبيان يلعبون ويعبثون . والحال انهم خلاصة الامة وسراتها واختيار كل بلد وعاصمة في المملكة من الجنوب الى الشمال بالنظر

العام . وقد نشرت الصحف الوطنية اسماء اعضاء الوفود الاربعة في الحال وعرفهم الشعب باجمعه وهو راض عنهم وشاكر لهم وقلبه مطمئن بالايمان

ما لنا وللطلقاء

١٩٢١/٩/٢٤ ١٣٤٠

عدد ٧٨ في ٢٠ محرم الحرام سنة ١٣٣٩

كتب الافوكات قلاتي مقالا طويلا عريضا في الاسبوع الماضي باللغة الفرنسوية نشره بجريدة (تونس الاجتماعية) ثم اعاده بجريدة الكري دي تونزي) ليكون له نصيب من الاشتهار . ندد فيه على الحزب الحر الدستوري وصوب فيه سهام مطاعنه على صفوة مسيريه يحط من كرامتهم ويزدري بهم بين الناس بعد ان لفق لهم من التهم ما شاء والصق بهم من الصفات والنعوت ما اراد واظهر في كتابته براعة فائقة في الجدل وقلب الحقائق ما كنا لنرتضيها له وان رضيها لنفسه لانها تدل على وهن الحجة وقلة الحنكة بالامور . على ان كل قاري لهذا الفصل لا اظنه يشك انه كتب تحت تاثير نوبة عصبية شديدة الم بدماغ الكاتب فاخذ يهرف بما لا يعرف بصورة يلوح منها الغرض وسوء القصد حتى صار لا يفرق في قضاياه بين المقدمات والاستنتاجات فضلا عن الصواب واخطاء اسلوب الحكيم

لا يوجد بين اعضاء الحزب الحر الدستوري رجل له مسكة من الانصاف يكره الانتقاد ويتبرم من المناقشات وهم يطالبون بالحريه للكافة ويسالون امتاع الامة بحق الاقتراع والمناقشة في تصرفات الحكومة الى غير ذلك مما تصدق عليه كلمة الدستور التي تتناشدها بالعشي والبكور . وانما نريد ان تكون المداولة بيننا وبين مناظرينا خالية من الغرض والغش والتحكك البارد . سداها الحق ولحمتها الانصاف حتى اذا تنكب مناظر لنا عن تلك الطريقة المثلى اعرضنا عنه وقلنا في الجواب سلاما

والذي دعاني للكتابة هذه المرة ومخالفة طريقة الحزب الحكمية والدخول مع قلاتي في مضمار مناقشاته السفسطائيه التي لا طائل تحتها وهو اعتقادي الجازم ان

الحقيقة تطالبنا بازالة ما غشيها من الشبه والالتباسات التي يحاول ذلك الافوكات ترويجها على الناس . لست اقصد بهذه الكلمة الدفاع عن مسالك الشيخ الثعالبي ولا عن سياسته وامرهما مشتهر معلوم والامة مجتمعة على تقديرهما وبرهاننا على ذلك التفافها حوله واعراضها عن سخافات منازعيه وهو من هو في علمه وذكائه وفراسته واخلاصه وانما اريد ازالة بعض الشبه التي اثارها قلاتي في فصله المومأ اليه لغرض معلوم وأدع الحكم بعد ذلك لنا او عليه للراي العام

وقبل ان نضع كلمات قلاتي على محك النقد نرى الواجب يقضي علينا ان نسلفها بلمعة من حياته العمومية التي قد تخفى على بعض الناس

عرف هذا المحامي يوم كان يعلن عن نفسه حين ظهور الطائر الصيت وطنينا المنعم علي باش حانبه انه من انصار الدفاع الوطني في القضية التونسية !

عرف يوم اشركه باش حانبه في مكتب المحامات وتحرير المقالات في صحيفة (التونسي) عن العدلية التونسية فالتبس يومئذ امره على الناس وخاله الاكثرون انه قسيمه في الراي وعديله في الاخلاص للمملكة التونسية جريا على قاعدة اقتداء القرين بالقرين (وهي قد تنعكس ولا تطرد) فمالوا اليه ولم يدر احد في تلك الاونة انه كان مسيرا في تلك الحركة رغم انفه بارادة ذلك الزعيم المأسوف عليه ولو تركه وشانه لعرفه الناس قبل اربعة عشرة سنة مثل ما عرفوه اليوم

اطوار قلاتي — لا تدل اطواره على انه كان رجلا عموميا ممحضا لخدمة القومية التونسية بل كانت دليلا ساطعا على الانانية وحب الذات وعلينا البيان .

لما انتهت كارثة ١٣ مارس ١٩١٢ (واقعة الجلاز) برجوع المنفيين الى البلاد (والنفي لم يكن جزاء بل انتقاما) وتخلف باش حانبه في الخارج وقد عاهد الله واقسم ان لا يعود إلّا متى زال عنها الحكم الفردي واعلن فيها الدستور او يموت غريب الديار فبرت يمينه ومات شهيد الصدق والواجب بالاستانة العلية

اما قلاتي فقد فضل العودة الى تونس للاشتغال بالمحاماة واوهم الناس انه ما عاد إلّا لاستئناف الخطة الوطنية التي وقع الشروع فيها وتعطلت بالنفي فحمدوا مغبته وانزلوه من انفسهم منازل الكرامة والاعتبار فماذا صنع بعد العودة ؟

وكذلك الثعالبي

روج على الشعب انه عاد ببرنامج جديد ... وراي سديد ... ومشروع وطيد ... ماذا كانت النتيجة ! لا ... شيء !

هنا وقف السعي بمحامينا فانغمس في المنتدى التونسي وضاع بين قرنائه وكان الشعب يومئذ يتلع الاعناق الى ما يصدر منه من الاراء والافكار فلم يبصر شيئا غير اللهو وقتل الوقت في الفراغات والمناقضات فانصرف وتركه وشانه يزهو مع الاتراب ولست بحاجة لتنبيه القاري لما يحدث من التزلزل عند ضعفاء العزائم في مثل هذه الحالة المنبعثة عن يقظة الشعوب . انطوى الحديث عن قلاتي وتنوسي ذكره واستمر الشعب في سيره يبحث عن الزعماء الحقيقيين الى ان تمخض الزبد عن صرحه وانكشف القشر عن لبابه فظهر الشيخ الثعالبي وحزبه في الميدان فاعطيت القوس باريها والدار بانيها وبطل الغش وانقطع التضليل وكان من الامر ما كان

كانت الامة التونسية في حاجة كبيرة الى زعيم فعال غير قوال فكان الشيخ بيت قصيدها ومورد ثقتها فاختارته من تلقاء نفسها واوكلت لامانته تحقيق امنيتها واظهار بغيتها فشمر عن ساعد الجد وابدى همة نادرة وقام بالوظيفة المقدسة التي دعى اليها خير قيام

انتدب الشيخ للسفر الى باريس بعد ان احرز على الثقة التامة من العامة والرضا من الخاصة وكان يعرف عند الكافة انه ليس من طلاب الشهرة ولا من مريدي الظهور بل كان يمقت الرياء والشفوف وكان في سائر اطواره يميل الى الزهد والتواري خلف افراد معلومين لانه لا يريد شيئا غير اعزاز الامة التي وجد فيها . لذلك امتنع اولا من السفر وعرض الامر على قلاتي فأباه وقال مالي وللتونسيين ولست منهم وما انا إلّا نازح غريب ! ولم يزل به يحاول حتى اقنعه بالاشتراك في العمل والتزم له ببذل المساعدة الخفية فسافر الشيخ قياما بالواجب قرير العين ومع قلاتي على وفاق تام . وقد اظهر هذا الاخير انحيازا تاما للمسألة التونسية بدليل اشتراكه مع نفر من التونسيين في تحرير اللائحة الزيتونية المعروفة وسعيه في عقد الاجتماع المشهور في اليوم الذي سافر فيه الشيخ ١٠ جويليه سنة ١٩١٩ الذي تقرر فيه لاول مرة برنامج الدستور بحضور نخبة من رجال الطائفتين الاسلامية واليهودية

المؤلفين لوحدة الامة التونسية حتى انه لم يكن في ذلك العهد احد من التونسيين غيري يعتقد ان وفاق حسان ،صطنع وانه لا يلبث بعد منصرف الشيخ ان ينقلب فيه

فقد كان يوم الاتفاقات باليمين مع التونسيين ويحضر انعقاد جلساتهم من تلقاء نفسه ويعمل على خلافهم ومعاكساتهم بالشمال وفي المثل (ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها) . كان قلاتي اثناء سير الحركة الاخيرة يعمل بمهارة خفية على خذلاننا لاخفاق الحزب واسقاط الشيخ واضرابه ولكن كان يعوزه الوفاق مع الحكومة للنجاح ، فشرع في ذلك وكتب فصلا بجريدة المستقبل الاجتماعي بتاريخ . . الخ ن سنة ١٩١٩ اورد فيه بزعمه مطالب التونسيين جمعها في اربعة اصول . نشر التعليم ، اصلاح العدلية ، تنظيم اليد العاملة التونسية ، احداث حجرتين للفلاحة والتجارة ، واعرض عن المطالبة بالمجريات السياسية وحق الانتخاب ومسئولية الحكومة فانذعر الناس يومئذ من هذه المفاجاة الغريبة وفي مقدمتهم ولاة الامور ولم يفطنوا لاغراضه ومقاصده إلّا بعد ان شاع وفاقه مع المقيم (فلاندان) على تنفيذ برنامجه المعروف ، فقد كان رواد الاخبار يقولون ان قلاتي كتب هذا الفصل يخطب به ود مسيو فلاندان ونجح في ذلك نجاحا مبينا ، ويقولون ايضا انه زاره على اثره بعض حفظة اسرار السفير واملوا عليه شروطا قبلها من غير تعديل ، واوهموه ان برنامج طلبات التونسيين لا يتعدى المطالب الاربعة الآنفة ويرى امكان تنفيذها بالتدريج ويتهامسون في الاذان انه ضم اليها الاسراع باسقاط ريكلو من الكتابة العامة ، ويقولون والدرك عليهم انه لما عاد اولئك الحفظة الى السفير يحملون نتائج هذا الوفاق السار مع عميد التونسيين الاصولي الخبير . قال ما ايسر طلبات التونسيين ، وفصل حالا ريكلو عن الادارة التونسية ، اما الجمهور فلا يعلم من ذلك شيئا سوى السرعة التي خرج بها الكاتب العام الثاني للادارة العامة من البلاد التونسية

فاذا صحت هذه الرواية الغريبة في بابها فلا يسعنا إلّا ان نقول فيا لله ما اثمن قيمة ريكلو في نظر المقيم السابق وما ابخس قيمة الدستور في نظر الميتر قلاتي

انا لا ابخس الناس اشياءهم ولا انكر ما لهم من الصفات والنعوت حتى اقول

ان ڤلاتي خال من الفراسة العلمية والذكاء .... بل له منهما نصيب وافر لكنه صرفه في غير مصلحة التونسيين الذي يعيش بين ظهرانيهم وصرفه في ... وفي الانانية ، ومقارعة خصومه الشخصيين ، وهو ما دعى لكدر واستياء اصدقائه ومحبيه ، يظهر ذلك بوضوح فيما كتبه بالتالي عن حادث بسيط جدا لكنه مدبر بمهارة عجيبة ، فقد زار المقيم فلاندان السجن المدني الجديد عقب خروج ريكلو من تونس زيارة مقصودة ، قيل عنها انه الفى به عددا من المساجين الابرياء الصقت بهم تهم سياسة مختلفة فامر بالافراج عنهم ، وهو كما رايت حادث عادي بسيط لا يستحق شيئا من الاهتمام ، وقد كان في وسع المقيم اصدار الامر بالافراج على اولئك المنكوبين وهو جالس في مقعد السفارة دون ان يكلف ذاته مشقة الانتقال الى السجن وروية المجذودين فيه لكن تفوته النكتة المقصودة التي سينوه بذكرها صنيعه الجديد (ڤلاتي) ، فقد كتب ذلك المموه البصير فصلا نشرته جريدة المستقبل الاجتماعي عقب هذه الزيارة تحت عنوان (هدم الباستيل) اوهم فيه قراءه ان الحكم الفردي فتح له مصرع في ذلك السجن وقبر فيه مثل ما قبر شقيقه من قبل في فرنسا بين جدران الباستيل سنة ١٧٨٩ ، ولا يكتب مثل ذلك عادة إلا تلو الانقلابات الكبرى التي تنتهي بايجاد الحكم الذاتي واعلان الدستور ، وذلك لا اظنه يعزب عن فهم هذا الكاتب وانما اتى به للتمويه والتغرير والفت في ساعد الامة ، واقناع فلاندان ان الفكرة التونسية سريعة التزلزل سهلة الانخداع للاقوال الخطابية والكلم الجزلة والعناوين الفارغة ، فاقتنع بهذه الترهات وانفتح في وجهه في السياسة باب جديد وهدي بذلك لحل مشكلة اراضي الاحباس الخاصة المعقدة التي كانت احدثت قلقا عظيما في الراي العام لما عرضت للتقرير ومسيو فلاندان لا يود الغاءها بعد ان تكفل بها الحزب المعمرين وطرحها ضمن برنامجه السياسي على الوزارة الخارجية ، وسرعان ما بدر الى تغيير العناوين التي كان عرض بها اولا هذا المشروع فادركت الامة ما في هذا الامر من الخديعة ولم تنطل عليها الحيلة واجمعت رايها على المقاومة الى النهاية فقضي على المشروع وذهبت مساعي المقيم فلاندان وتدابير صنيعته ادراج الرياح ، ذهب فلاندان واخفق ڤلاتي وعرفت الامة قيمة صدقه واخلاصه في

خدمتها فجانبته وتشبثت برجالها المخلصين وابت التشهير به اشفاقا عليه واحتراما لذكرى تلك السويعات التي قضاها في صف نابغتها القدير علي باش حانبه ، وهي امة عرفت بحسن المكافاة على الجميل والغض عن المكروه، فقابل الكرامة بالانتقام واخذ يلقي الدسائس وينصب المكائد والاشراك للعاملين وهم مع وقوفهم على بواطنه كانوا يلاقونه بالمداراة والحلم فلم يزده ذلك إلّا طغيانا ونكرانا للجميل الذي خاله ضعفا حتى امتلا الكيل وطفح الاناء فاعرضوا عنه وامسكوا عن مؤاخذته ، فاغرى بعض الزعانف على التحكك برجال الحزب ثم دفعهم اخيرا الى اتهامهم بما يشين ويثير الخواطر عليهم فقالوا فيهم وكتبوا ما شاءوا وشاءت آدابهم فلم يعبئ بهم احد ومقتهم الناس وباء وباءوا معه بغضب من الله والناس اجمعين يحرقون الارم من الغيض

كنا نعتقد ان قلاتي سينهزم اثر هذا الاخفاق ويحجب وجهه عن الناس لكن الطمع الاشعبي سول له ترك الانكماش واشهار الحرب على الحزب وجهالوجه وظن ان الفوز سيساوره في هذه المرة (وما كل مرة تسلم الجرة) فكتب المقال الذي انبرينا لنقده ووعدنا القراء في طالعة هذه العجالة بتتبعه حتى يطلعوا على حقيقة هذا الرجل الغريب (باقية)

ما بعد العيان بيان (١)

عدد ٧٨ في ٢٦ محرم الحرام سنة ١٣٣٩

يقولون ان للتحرير قواعد يرجع اليها حامل البيان وجوبا او ندبا ولا يتجاوز دائرتها اذا املا او حبر وكتب ، من ذلك ان لا يطلق للقلم عنانا اذا كان الايجاز يقوم مقامه او العكس بالعكس ، ومنها مراعاة رغبة المسترشدين او الاشعار منهم

(١) هذا الفصل تابع لما قبله في احباط مساعي رهط الفساد في غاياته ودحض ما يؤيد به مدعياته التي يحاول ترويجها وراء الحرص على اغتنام الفرص ، اي عند ظهور (برهانه) ببرنامجه السقيم ..

بشغف الايضاح عن الحجة التي تبدد اغشية الاضلال عن سواء السبيل الى غير ذلك مما هو مقرر في بابه ومعلوم لدى اربابه وان الاستيفاء به هنا مما لا محل له من الاعراب . نعم غاية الامر ان الاسهاب قد يحمد ايضاحا في جانب البعض الذين اعتراهم كلل عن ادراك الحقيقة في الفهم جريا على قاعدة حكمية من ان الخفاش يكل بالنظر الى السراج كما ان الحقائق تدرك بامرين وعلى طريقين (العقل والحواس) وللكل في الادراك حد محدودا. كما ان العيان اوضح السبل لازالة السدول التي تحدثها الاضاليل والشعوذة الكلامية ولذلك قالوا ما بعد العيان بيان

وعليه فبناء على ذلك الاساس المتين واحترام لقواعده وجريا وراء تيار الاستحسان العام الذي وقع لفصولنا السابقة التي حشرنا اليها من البيانات الساطعة ما كانت مسقطة لخصم الامة من هضاب مدعياته الباطلة الى الحضيض وتركته يهتر والطريق الواحد قد يتصور في نظره على عدد ايام الاسبوع كالذي بنظره تخالف او غشاء طال به من اجله الغمض فاندهش من تلك السبل المتعددة ولم يهتد سلوكا فيها عند ما هم بالابصار ....

ذلك الخصم الذي كان يتوارى بما يضمره راكدا مقدار حولين كاملين فخرج ءاسنا كالمستنقع تنبعث منه الجراثيم الضئيلة التي لا تدرك إلّا بعد الاصابة كبرنامجه الذي سطره ببهتانه ووضع عليه امضاءه فكان كاشفا لغاياته فعومل من طرف العموم الغاء معاملة المستنقع ردما ولذلك قلنا ما بعد العيان بيان

ذلك الخصم السياسي الذي اثار هاته الفتنة في الشعب وتركه يتساءل مندهشا من الحامل له على ذلك ! . وباحثا عن السبب والموجب . قائلا هل لا كان منه ذلك قبل اليوم او هلا كانت هاته الزوبعة قبل سنة ونصف ويقول متعجبا من الذي كلفه بذلك وهو المتباعد من نفسه اذا دعي والبعيد في محتده واصله . ولم يجد مرجحا فيما يطلبه إلّا الكلف بالذات او الشغف بالمركز فانه يجعل على الهداية حجابا كثيفا

لذلك عزم « مرشد الامة » على ان يخطو اليوم من موقفه بالامس خطوة اخرى ويذيل كلمته هذه بكلمة عن برنامج الخصم ويختم هذا الموضوع غير عازم على قفل بابه ما لم يقف (قلاتي) ويرينا ايابه الى الحق في جلاء ليس عليه غبار

يستند الخصم (الذي لم يكلفه احد) ان من موجبات النجاح الاعتدال في المطالب ويقول عن حزب الامة الحر انه سيقابل بالحرمان لشططه في مطالبه وانه سيقبر المسألة التونسية بتطرف بعض زعمائه وجهلهم بالواجب في الطلب

وهو ادعاء باطل منه محمول عليه بتعشقه للمركز الذي اضاعه بتلونه والذي سار عليه منذ عرف في المعترك السياسي فظن انه بذلك يرجع ما اضاعه او يحفظ اليسير منه على الاقل فدخل هذا الباب المتداعي فعومل والحمد لله بنقيض مرغوبه (والله لا يصلح عمل المفسدين)

اوهم العموم بنشرياته ان الدستور الذي هو الاصل في برنامج الامة شيء قبل اوانه وسابق عن ابانه وبذلك كان تطرفا والتطرف من موجبات الحرمان . يقول ذلك وهو يعتقد انه طلب لا اعدل منه وان من المشتكى اليهم من هو معترف باحقيتنا فيه وان سعادة الامم تتوقف على ايجاده فيهم بصورة ناجحة . وما هو إلّا كفالات تحفظ حقوق الضعيف ونظام يمنع القوي من التصرف فيه حسب اهوائه ومشتهياته . فيعرف الاول بحقوقه ويدرك الثاني حده في الحكم فيه . وانه انفس ما يصبو اليه الحر من بني الانسان

يغالطنا قلاتي بان الدستور الذي لا يفسر بغير مجلس نيابي يمثل المتساكنين على السواء ونظام يوقف المتصرفين فيهم عند حد معلوم وواجب محترم محتوم . فسماه تكرما انه تطرف في الطلب . وان الاولى بالامة : تعليم واقتصاد واصلاح وحرث وتجارة واستخدام واستفادة من ضرع وزرع ثم اندماج ودخول في العادات والاخلاق . مع ان الدستور هو وصف والاوصاف تقال على افرادها بالتشكيك فان ما في فرنسا غير ما في اميركا ودستور انكلترا لا يشبه ما في ايطاليا وهكذا ما عند الدول الصغرى فلا يصدق بالمعنى الواحد من سائر جزئياته . كما إن الدستور يوجد ايضا بالمستملكات والمستعمرات وبلاد الحمايات وقد اعطى بلا طلب ولا الحاح . ففي الكاب دستور في الكندا برلمان وفي البوير نظيره وفي استراليا ما هو بين ذلك النظام . وان جميع تلك النظامات يقال عنها انها دستور ويطلق عليها ذلك العنوان الانيق ولا اتحاد في جميعها بل مراع في وضعها حالة الامة والرقي في البلاد . على ان

تونس قد اعطيت دستورا من قبل فتعطل وان تعطيله غير حجة على عدم وجوده كما اشارت اليه الفتوى الشرعية التي تهكم بها ذلك المذبذب في بعض نشرياته وطعن في عظيم من عظماء فرنسا حيث قال انها تكلفت على الامة ببعض اوراق من نوع الف ...... ولم يدر انها طعنة في نحره وان تلك الفتوة اثبتت وان لا منافاة بين الدستور الداخلي وبين حقوق الحماية وحكم الحماة بالمعاهدات

على ان هذا الخصم اللدود لا اخله يستطيع ان يجاهر بقوله ان الذي اعطي بلا طلب ومنح ذلك النظام في هاتيك الاقاليم هو غير الامة التي انتم لها تشتكون ومنها تطلبون . لانه قول مردود لا يجاهر به إلّا تريدون ومن كان على شاكلته من انصار الاستعباد وعشاق التصرف بقهر في البشر . لان فرنسا اكثر مدنية من انكلترا واوفر انصاف من ذلك العدو الاثيم الذي خدع الشرق بتسامحه الداخلي وتركه للشعوب تتصرف في نفسها بنظام نيابي بل وتوسع بان جعل لاملاكه ومستعمراته نوابا في جمعية الامم التي بعضها دون تونسنا الجميلة وهي منه من النظر السياسي المتسم الذي يرجح به نفوذه في ذلك المجتمع الدولي العام

ونحن اذا طلبنا نظاما يصد علينا هجمات المتعشقين لسياسة الاكراه يقول عنا فلاني انا مشطرن في الطلب ارضاء لبعض الاداريين الذين لا ينظرون لصالح دولتهم بنظر السداد . مع انه المتطفل بقوله والنازح والبعيد ...

كما ان ارباب النفوذ الاعلى بفرنسا لا يرون مانعا في مساعدة الشعوب المحتمين بهم والذين انتدبوا لهم بايجاد الحكم الذاتي فيهم لظهور الاخلاص في الاولين عند الشدائد ويرون ان لا اجمل من سلوك سياسة الاستيلاء على العواطف التي يدوم معها النفوذ براحة وبلا مرابطة الجنود . سيما بعد ان اصبحت فرنسا دولة اسلامية عظمى فهي اجدر بذلك المبز الذي يكسبها سمعة عالية في مصاف دول التمدين والارتقاء بل وتحققوا ان سلوك سياسة الاكراه لا توصل الى الغاية ولا يمكن بها الاستيلاء على القلوب وقد انكشف لهم ان طلب سياسة الاستعمار هو الشطط الضار والمشين للسمعة المرغوبة في جلائها حسنا من تدنيسها بالسير في المحكوم فيه على ناموس الاكراه والغبن الذي هو شنشنة ذلك الحزب وبغيته لبعده عن

الحكمة ومعاكسته السداد . فالدستور الذي تطلبه الامة التونسية وشن عليها الغارة قلاتي الجزائري ولم يحتفل بمقاله لا تريدون ولا يلتي فضلا على الامة (ولطفه في زعمه) فما هو إلّا قيد لمدير الفلاحة يحمله على اعتبار الامة في برنامجه حتى لا يغني باراضيه القليل من النازحين بعطائه ويفقر الوافر الكثير من الوطنيين بحرمانه فيصبح عالة على السؤال كما هو في اطرافه ووسطه اليوم . وحاجز لمدير المعارف حتى يحاسب عن اعماله ويخشى ان يسأل عن ضياع المدرسة الصادقية في تيار ادارته ولا يقدر ان يعطل رخصة فتح مدرسة اهلية كما عطلها بباجه وما حجته إلّا الاطلاق في النفوذ .. كما انه موجب يمكن نواب الشعب من سؤال ادارة الاشغال عن اهمالها لكثير من القرى الاهلية بلا طريق عام بينما نشاهد طرق الاشغال العامة اخترقت اراضي الفلاحين الاوروباوين والبريد في اثرهم حتى قيل ان احدهم طاب تزفيت الطريق الموصل اليه تفصيا من القتام التي تثيره عربته فاجيب لذلك وغيرهم في الاوحال يتعثرون . ونظام مقدس يرهبه مدير المال الذي اذا سئل عن ضياع سبعين مليونا او نقص او اخلال او احتكار لا يقدر ان يجيب باحالة النقص على ابواب الصرف في التموين.......... الى غير ذلك مما يجعل الداخلية في مأمن من الاطلاق وللامة قسط من النفوذ . افهذا يعد تطرفا يا ايها المعتدل حتى تقدم برنامجك الذي جاء برهانا على انك في حرج الدراية واضيقها . شأن من يدعي ما ليس فيه فينكشف في الموقف ويفتضح في المجال ولو افرغ الجهد واكثر من القيل والقال

قدم قلاتي برنامجا ذا نقط عشر قد ظن انه بجهاده في التلفيق يفلت من المازق فاسرع ما سقط في القيدين الرابع والعاشر اللذين هما في صراحة لا يشوبها ابهام في ضياع الوحدة والاخلاق والنظام الداخلي للبلاد

هذا وان الذي يضحك الثكلى اعتذاره من ظهور ذلك الاختلال في برنامجه وسقوطه فيه السقوط السحيق انه منقول عن الفرنسية وقد اخل المترجم بالمفهوم . وهو عذر اقبح من ذنب وان جنايته فيه اكبر من اعتبار اللغة العربية عنده والنظر اليها باحتقار . لان الشان في الذي يقف موقفه ويعلن عن نفسه انه سيسير بالامة والبلاد الى مستوى الاصلاح ... ان لا يحتاج في ارائه الى ترجمان يكلفه الاعتذار بعد في البرهان ......

قال قـلاني في بعـض نشرياته الاعجميـة ان الوفـد الاول الدستوري كتم اعماله والثاني غير مشرب الطلبـات ايهاما للعموم بان ذلك رجوع اليه وانه الثاقب المصيب .... قال ذلك بملء فيه والواقع خلافه وان حشر الامة الى خطيب الوفد الثاني برحبة جامع الهوى في يوم مشهود واعطائهـا البيانات الكافية عن الاعمـال بصوت جهوري ومنطق رهيب لحجـة دامغـة وقد نشرته الصحف في الوقت نفسه وعلمه الخاص والعام وكان الجميع من اعمال الوفدين في امتنان

اغفل قلاني انه طلب السفر مع الوفد الثـاني فابدى رأيا لا يفهم منه غير محاولة احباط المساعي وبعد جدال طويل احيـل الراي على الاقتراع فكان منفردا في رائه فقيل له حسبك اعتبار الاغلبية فاصر على العناد قائلا انه لا يذهب ضد وجدانه وعكس ضميره . فكان ذلك اليوم هـو اول يوم ظهر فيه قـلاني بوجه مبتـاع ..

ثم بعد التئام الوفد الذي ظن انه يقعده عن السفر رايه . طلب ان يذهب مستشارا معه حيث انه ذاهب صحبة زميل الى الاشتراكية بباريس وبيرن ويمدهم هناك برأيه وفي ضمن ذلك روج ما لا يحسن التصريح به وبالتالي جاء مخبرا على الوفد انه داجن في الطلب ...

رب سائل يسأل ما هـذا السكوت من اعضاء الحـزب الحر وانصار المسالة التونسية وما بالهم لم يعلنوا (بعدهم) عنه من اول الامر سيما بعد امتناعه من امضاء العرائض وتستره (باجنبيته) وعدم قبوله لرئاسة الوفد الثاني . فالجواب هو الفرار من وقوع هاته الرجة التي تقرأ في وجهه من عهد قديم . وناهيـك بمن يستحسن الغرض ويتعشق سياسة المقيم الراحل الذي قال عنه بلتي انه يقبله قبل الشروق ...

(الاول)

ايضاح حقيقة

عن الوفد الدستوري الثاني

او العاب قلاتي

عـــدد ٧٨

الحمد لله وحده . اخي العزيز سيدي صاحب « مرشد الامة » تحية وسلاما وبعد فقد قرات بغاية الاستغراب فصلا منشورا بجريدة البرهان التي اصدرها الافوكات قلاتي للترويج على الامة التونسية تحت عنوان « الرسائل » يتضمن ثلاث مكاتيب احدها للسيد الطاهر بن عمار والاخر للسيد عبد الرحمن اللزام والثالث للاستاذ العياشي تكذيبا لما كان نشر بجريدة الصواب في المقال المنشور بعدد ٣٦٤ تحت عنوان (حسان قلاتي ونعمان) حيث قال في العمود الثالث مشيرا الى حسان قلاتي بقوله « وبمجرد حضوره الى باريس حاول بفصاحته المعلومة وبلاغته النادرة ان يقنع اعضاء الوفد بوجوب العدول عن طلب الدستور ومسؤلية الحكومة واخرج من ... ه كتابا فيه شيء كثير من هذه السخافات فانبرى له احد الاعضاء وقارعه مقارعة عنيفة فاظهر حسان الغضب ورمى الكتاب بحدة في وعاء الاوراق وخرج مغاضبا وحينئذ هرول العضو المشار اليه الى الوعاء لانتشال الكتاب وبمجرد ما لمسه تولاه الاستغراب والذعر معا حيث وجد الظرف خلوا من الاوراق » وما ذكره هو عين الحقيقة التي لا تقبل التكذيب ولما كنت حاضرا هذا الموطن وما ذكره وقع امامي تحت سمعي وبصري رايت من واجبي المتحتم ان اسرد لكم هنا الواقعة كما حصلت دفعا للريب والشكوك

قبل ذهاب حسن قلاتي الى ايطاليا حضر الدكتور بريزون صباحا الى قراند اوتيل حيث كنا نقيم بحضور اجتماع عقده الوفد بغرفة السيد عبد الرحمن اللزام ولما دخلت وجدت الدكتور المذكور يحرر اوراقا وكان من حوله قلاتي واعضاء

الوفد التونسي المسلمين وقد قيل لي بمجرد دخولي ان الدكتور يحرر رسالة الى المقيم الجديد بتونس نظرا لما بينهما من روابط المودة والصداقة ...

وهي تفيد التونسيين خصوصا في مطالبهم واتذكر انني اجبت وقتئذ بما كنت اعلمه من حال الدكتور ومضادته التامة لمطالب التونسيين وشدة تاييد (حسان) له في رايه بان الواجب يقضي علينا باعتبار هذا الكتاب كسعي شخصي لا علاقة له بماموريتنا ولا شان له فيها وهو كشخص له ان يكتب ما اراد ، وبعد صمت قليل سال الدكتور الحاضرين بالافرنسية التي لا افهمها هل يمكن التنقيص من المطالب التونسية فالتفت حسان وعرب لي السؤال فاجبته بالرفض البات ، واتذكر ان من من جملة ما قلت له : انت رجل صناعتك المحاماة فاذا انبتك ضد مدين لي بالف فرنك ورام المدين ان يسدد من هذا الدين ٩٥٠ فرنكا على شرط ان تسقط عنه الباقي فهل تجيز لك ذمتك قبول ذلك ولما كان جوابه سلبا تماديت في الموضوع وقلت ان الامة التونسية وكلتنا وكالة خاصة على تقديم المطالب الثمانية لرجال فرنسا فما علينا الان إلّا القيام بهذه الوظيفة وليس علينا بعد ذلك احرزنا على كل المطالب او بعضها او لم يعطونا شيئا . ثم حصل سكوت واتم الدكتور تحرير الرسالة وعند ذلك رام الدكتور ان يصحبها بالتقرير الذي كان ارسله حسان اليه وذهب الناس فيه كل مذهب واشرتم اليه في حكاية اعمال الوفد الاول . فالتفت السيد عبد الرحمن اللزام الى قلاتي وقال له ان هذا التقرير مضر بالمطالب التونسية ولا يمكن ضمه لكتاب الدكتور وذلك بعد ان قرأ التقرير فما راعنا بعد ذلك إلّا ان عمد قلاتي للتقرير مع ظرفه ورمى به في سلة الاوراق بغضب ووجه كلمة مهينة للسيد عبد الرحمان وبعد سفر حسان مع اللزام في سيارة فصرح لي في اثناء الطريق انه افتقد السلة للبحث عن التقرير فلم يجد إلّا ظرفه فارغا وان حسان استخرجه بسرعة غريبة لم تتنبه لها الانظار

هذه شهادتي اديها بين يدي الله وامام عباده ولعنة الله على الكاذبين والله على ما اقوله شهيد وهو حسبي ونعم الوكيل

ولكن يظهر الي من رسائل المكذبين ان حسان غرر بمرسليها وذلك بايهامهم

في سؤاله انه متهم بتحرير رسالة لرئيس الجمهورية يطلب بها الالحاق وهذه التهمة لم يوجهها ضده انسان ، وانما اختلقها حتى يكذبها المسؤلون ويوهم التونسيين كذب الواقعة الحقيقية التي سطرناها اخفاء حديث التقرير الذي ارسله للدكتور بريزون

واما ما يتعلق بمسالة محاولة حسان للتغرير بالوفد قصد الرجوع في بعض مطالبه فلا اراني في حاجة الى اطالة الكلام عليها حيث انها واقعة لا تحتاج لبرهان اكبر مما هو مبسوط بالفصل في رسائل التكذيب والى القاري نصها :

قال السيد اللزام : (من المحقق انه اثناء اقامتنا بباريز وقع اجتماع في النزل الكبير ودارت المحاورات بيننا طويلا في هل تمسك بالقطعتين الاولتين من مطالبنا وبعد المداولة عرضت (والكلام لحسان) علينا الاكتفاء بمجلس مالي تقريري للميزانية (كذا)مع مسئولية رؤساء الادارات اداريا (كذا) وجعل المجلس التشريعي والحكومة المسئولة لدية كغاية سياسية نسعى اليها فيما بعد . وبعد التروي طويلا اتفق الراي على زيارة اولي الحل والعقد وان لا بأس قبل طرق الابواب)

وقال السيد العياشي بعد ذكر كلام طويل عن مشاركة حسان في اعمال الوفد ما يلي : « واني اتذكر جيدا اننا بعد رجوعنا من الزيارات لمحل نزلنا كي نستريح من اتعاب النهار نجتمع في حجرة احدنا للتفاهم في اعمالنا ودائما نعود لبسط هذه المسالة الاصولية (اي المجلس التفاوضي والحكومة المسئولة) ونتجادل فيها بشد ويقين وتجرد عن الاغراض كما اتذكر ايضا انك لم تتزحزح قط عن رايك (تنقيح هذين الفصلين) الذي كان يشاطرك فيه صديقنا دوران وكنتما تؤكدان بيقين ان الحالة الراهنة لا توافق الحكومة الفرنساوية ابدا على تمكننا من دستور يتضمن تاسيس مجلس تشريعي مع مسؤلية الحكومة ولو كانت ضعيفة . وكنت تتالم بغاية الاستياء مما كان يتراءى لك من شدة تمسكنا بمطالبنا

هذا ما يقوله الشاهدان اللذان جاء بهما قلاتي لدحض اقوال « الصواب » وهما كما ترى موافقان تمام الموافقة لما قاله الصواب وخصوصا لما كتبه الاستاذ الصافي في تايد محاولة قلاتي للتغرير بالوفد والخروج عن نصوص التوكيل الرسمي الصادر له من الامة . كما يؤيد قطعيا ما اثبته الاستاذ الموما اليه في ثبات اعضاء الوفد تلقاء تغرير

حسان وعدم تغييرهم شيئا من المطالب التونسية كما يشهد بذلك ايضا التقرير الطويل الذي امضيناه جميعا ووزعنا نسخا منه على كافة اعضاء مجلسي الامة والشيوخ واليك نص المطلب الاول بحرفه : (مجلس تفاوضي مؤلف من اعضاء تونسيين وفرنسويين منتخبين بالانتخاب العام يملك حرية عرض المسائل على المفاوضة وله على الميزانية سلطة متسعة) وهذا كما نرى مطابقا تماما للنصوص الصريحة التي عرضها الاستاذ الصافي على لسان الحزب وفي كل مناشيره

اما رسالة السيد ابن عمار فنحن نعجب من مناقضتها لاقوال اخواننا الاولين فقد قال والدك عليه : انه وقع الخوض في بيت السيد اللزام في تعديل مطالبنا والاقتصار على مجلس تقريري وهو راي وافق عليه اغلب الحاضرين ؟ وهو مناقض لقول السيد اللزام : اتفق الراي على ان لا نياس قبل طرق الابواب ، وقول السيد العياشي : وكنت تتالم بغاية الاستياء مما كان يتراءى لك من شدة تمسكنا بمطالبنا

هذه تلفيقات وترويجات قلاتي التي يحاول ذر الرماد في العيون واشتغال الامة التونسية بمناقشته البزنطية الفارغة عن المثابرة والجد في المطالبة بالدستور الذي هو حق من حقوقها الشرعية ويلهيها عن السعي المتواصل في التحصيل عليه والله الهادي

حموده المنستري :

امين مال الحزب الدستوري والعضو بالوفد الثاني

بلاغ (١)

من الحزب الدستوري الحر الى الكافة

عدد ١٩ في ٢٥ صفر ١٣٤٠

بسم الله الرحمن الرحيم

« ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب »
« لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب »
« ربنا اتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من امرنا »
« رشدا » (قرآن شريف)

اشتدت وطاة الحكم المطلق على الشعب التونسي وذلك بسبب استبداد الادارة في شئونه بدون مراقبة وتعقيب . فنشا عن هذه الحالة المحزنة قلق في النفوس وحركة في الخواطر ترتب عنهما اصداع الشعب التونسي المنكود بالتذمر والاستياء من هذه الحالة التي ان استمرت قضت على آماله واضاعت عنه قوميته ومليته . وبعد بحث

(١) على اثر عود الوفد الثاني من الديار الباريسية حدثت جلبة من المناهضين للحزب الدستوري حاولوا بها تضليل الراي العام في عقيدته حول اعمال الحزب ووفوده . بدعوى ان الوفد الثاني تراجع من نفسه في خصوص المطلبين الاولين حيث لاح له وان الاصرار عليهما من موجبات الاحباط والخيبة في المسالة التونسية . ذاكرين ان هذا التراجع هو رجوع لارائهم المعتدلة ومباديهم المقبولة في الاصلاح . وهو اول عمل من اولئك الشاذين خرجوا به على مرسح المشاققة . فلم يسع الحزب بعدئذ إلّا المبادرة بنشر هذا البلاغ الى الكافة مبينا فيه عمله داعيا الى الحذر من الوقوع في فخاخ المغرضين

ومناقشة كثيرة في الاندية والمجتمعات الخاصة والعامة دارت في بحر العشر سنوات الاخيرة راى الشعب التونسي انه لا مخاص له ولا منقذ مما هو فيه إلّا بالاحراز على دستور عام كافل يحفظ حقوقه وحرياته وتقاليده ومميزاته

ولما تقررت هذه الفكرة وصارت قاعدة ملية ارتكزت عليها آمال الشعب ، رفعت الامة التونسية عرائض عديدة للمراجع الايجابية وكلها تتضمن تحقيق المطالبة بالدستور وشدة الحاجة اليه ، اولها عرضت بخطاب القاه وفد الاعيان على مسامع كاهية المقيم بتاريخ ماي ١٩١٩ وفيه وقع التصريح رسميا بطلب الامة التونسية للدستور وانها في حاجة اليه احتياج الظمآن للماء

وفي ١٨ جوان من السنة المذكورة رفع وفد الامة لسمو الجناب العالي عريضة تتضمن طلب مجلس نيابي لتونس وقد اجاب سموه عنها بخطاب مطمن ومفيد جدا لانجاز الرغائب الملية

وفي ٢٢ جوان من نفس تلك السنة قدم الوفد الاول التونسي لباريس عريضة لدار الندوة الفرنسوية موقعة بامضاآت الشعب في موكب مشهود حضره عدة اعضاء من احزاب مختلفة وقد قبل العريضة رئيس مجلس الامة بصورة رسمية وبغاية الارتياح وصرح لهياة الوفد بانه سيحيلها على لجنة الحماية وبلاد المستعمرات لدرس هذا المشروع وابداء الراي فيه

ثم تلا ذلك دعوة الوفد لحضور اجتماع هذه اللجنة ودارت فيها المناقشة في موضوع الدستور التونسي الذي تطالب به الامة ، وطلبت اللجنة من الوفد ايضاح فكر الامة فيما تريده من الدستور وذلك لاختلاف مفاهيم الدساتير المعروفة لدى الامم الحرة كما قدم اليه نفس هذا الطلب من الاحزاب السياسية العديدة في فرنسا لذلك فان الوفد شرحه بالمطالب الثمانية ، وهي :

اولا ـ مجلس تفاوضي يتركب من اعضاء تونسيين وفرنساويين يقع انتخابهم بالاقتراع العام ، يملك حق عرض المسائل على المفاوضة ، وله ايضا سلطة واسعة على الميزان

ثانيا ـ حكومة مسئولة لدى المجلس المذكور

ثالثا ـ التفريق بصورة مطلقة بين السلط التشريعية والتنفيذية والقضائية

رابعا ـ دخول التونسيين في كل المناصب الادارية بشرط الاحراز على الكفالات العلمية والادبية التي تشترط على المترشحين الفرنسويين

خامسا ـ المساواة في المرتبات بين المتوظفين الذين مع استوائهم في الكفاءة يشغلون مناصب واحدة بدون ان يقع ميز لاروبي على تونسي

سادسا ـ تنظيم المجالس البلدية بالانتخاب العام في كل انحاء المملكة التونسية

سابعا ـ مشاركة التونسيين في شراء اراضي ادارة الفلاحية واملاك الدولة

ثامنا ـ حرية الصحافة والاجتماع

ولم تكتف الامة التونسية بهذا الوفد فقط بل عمدت الى ارسال وفد ثان لتاييد وشرح مطالب الوفد الاول مع اضافة مطلب تاسع لها وهو التعليم الاجباري ـ فسافر الوفد في اواخر دسمبر ١٩٢٠ واستانف عرض المطالب الثمانية بنصها الرسمي كما قدمها الوفد الاول بعد ان زاد عليها المطلب الانف الذكر ، واتماما للخطة المثلى التي انتدب لها فقد علق عليها شرحا مضبوطا مدققا يزيل ما عسى ان يقع في فهمها من الالتباس اثبت فيه ان المراد بالمجلس التفاوضي مجلس تشريعي ، ونشر المطالب والشرح مذيلة بامضاء كامل اعضاء الوفد في رسالة مستقلة طبع منها ما يقارب الالف نسخة بلغت لوزارة الخارجية ووزعت على اعضاء البرلمان الفرنسوي وكافة الدوائر والمحافل السياسية والصحف الكبرى

وبعد وصول المقيم انتخبت الامة وفدا مولفا من اربعين ذاتا من اعيان المملكة لاستقباله وتكرار عرض المطالب عليه ، فعرض المطالب التسعة بنصها الرسمي ضمن خطاب الترحاب ، فاجاب المقيم على سبعة منها وترك الجواب على المطلبين الاولين وهما المجلس التفاوضي والحكومة المسئولة

وقبيل سفر المقيم الاخير الى فرنسا اوفد الحزب الحر باسم الامة وفدا لوداعه وتاكيد احقية مطالبة الامة بالمطلبين المتقدمين ، وانهما لا ينافيان المعاهدات والاتفاقات الدولية العامة ، فعرض له ان الشعب لا يطالب بمجلس امة بكل ما له من السلطة والحقوق بل انه يطلب « مجلس تفاوضي يتركب من اعضاء تونسيين وفرنساويين

يقع انتخابهم بالاقتراع العام ، يملك حق عرض المسائل على المفاوضة ، وله ايضا سلطة واسعة على الميزانية ، اي مجلسا تشريعيا فيما يتعلق بالمسائل الداخلية فقط ، وحكومة مسئولة لديه فيما عدى الخارجية والبحرية والحربية ، والمقصود من هذا البيان هو اقناع المقيم بانه لا يوجد بين طلبات الامة ما ينافي المعاهدات والاتفاقات العامة بين الدول ، ومما تقدم يتبين بوضوح انه لا خلاف اصلا بين اعمال الوفود للسنة المتقدمة في صيغ عرض وشرح طلبات الامة وقناعة الشعب بسداد تلك الطلبات وشروحها كما بدا ذلك على لسان الصحافة العربية وتلقاه المقيم مباشرة حيثما حل ورحل اثناء تجوله بالمملكة التونسية من الشعب بنفسه ولم يتنازع في فهم حقيقتها اثنان ،غير انه في هذه الايام ظهر شذوذ في بعض الاراء وذلك فيما يتعلق بمفهوم المطلبين الاتفين ، والحزب وان كان لا يرى موجبا لحدوث هذا الشذوذ نظرا للبيانات الشافية التي علقت على المطلبين راى ان يزيل ما عسى ان يحدث من الالتباس وذلك باعادة عرض الشرح الذي كان علقه الوفد الثاني بباريس على المطالب المتقدمة ، واليك ما قاله شرحا للمطلب الاول ! « تحويل المجلس الشوري الحالي المنقسم الى قسمين فرنسوي وتونسي تحول بينهما حجب كثيرة لا نفوذ ولا سلطة لهما الى مجلس واحد تشريعي ينصب فيه منتخبوا الجالية الفرنسوية والامة التونسية على بساط الصفاء والمشاركة الاخوية ، ويكون عدد الفريقين متساويا

وقد شرح الوفد المذكور المطلب الثاني في كتابه لجريدة الطان المورخة في ٣٠ جانفي ١٩٢١ بما نصه :

نطلب حكومة مسئولة امام هذا المجلس وذلك في جميع ما يختص بالمسائل الداخلية ، ونص ذكر ان هذا الشرح هو عين ما نقصده بالمطلبين الاولين وقد رسخ في العقول وتاصل في الافكار

وبهذا البيان الواضح يظهر جليا ان الامة التونسية لم تتراجع في طلباتها المتعلقة بالدستور وانها لم تزل متكاتفة على المطالبة به وتراه قواما لحياتها السياسية والاجتماعية وانها لا تريد بديلا عن مطالبها المقررة الموبدة بقواعد الحق العام بين الامم وليس لحزبها الحر غاية يسعى اليها سوى التوصل لتحقيق تلك الرغايب بدون تراجع او وهن معتمدا في ذلك على الله ، وهو عماد المتوكلين

مصادرة حكومية

عــدد ٧٩

كتب رصيفنا الاشتراكي البارع مسيو لوزون في جريدته المستقبـل الاجماعي عدد ٣٠٠ فصلا مسهبا قد سلك فيه مسلك النصح لاخصام الامة المخذولين واعدائها المتعنتين . ولاهمية اثبتناه مترجما في جريدتنا ومقرونا بشكر ذلك الرصيف المعتبر وبالثناء عليه قال :

لا ريب ان ولاة امورنا لا يديروننا عن نظر متسع وسياستهم هي دائما سياسة يوما فيوما . وليس في مرمى نظرهم اعتبار ارتقاء القوات الاجتماعية المزمنة وتطبيق الهيكل السياسي عليها ولا يدبرون إلّا في اجراء النفع بذخائر افكارهم المتحيلـة المرباة مع قدم العهـد للاحباط الرقي للقوات الجـديدة المحققة وللتاييد بذلك زمنا طويلا الحالة الراهنة . وفي هذا الباب لا شك انهم على مقدرة تامة

والحركة الكبرى التي عليها منذ ثلاثة سنين الشعب التونسي لم تزل في الازدياد في كل يوم . وان جميع طبقات الاهالي من سكان البلدان الصغرى وتونس ايضا مع البلدن الكبرى بداخل العماله يتحمسون في كل يوم حماسا متزائدا للاحراز على الحقوق السياسية . والمظاهرت الواقعة رغم ضغط المشايخ والعمال التي حصلت بجميع الجهات بطريق المقيم خلال سفرة الاخير بالجنوب والحبور الحاصل عند طلق سبيل الثعالبي كانت من الادلة القطعية على رقي الافكار لدى التونسيين وان العربي التونسي اصبح لا يرضى في ادارة اموره بالاوامر بل يرى وجوب تشريكه في سياسة وطنه ويريد ان يكون وطنيـا دون رعية مستعبدة . والرجـل السياسي كان عليه ادراك انذارات من هذا القبيل وكان عليه الفهم ان اليوم قريب لصيرورة هاتـه الحركة غيـر قابلـة للمصادرة وكان عليه السعي في تخويل الترضية لهاته المطالبات عوض ترقب يوم جبرة عليها . غيرانهم اقدموا على هيأة وزارة الخارجية بالقول انه يلزم تركيبهم من رجال سياسيين ! . والتعطيـل الوقتي لانتشار الحركة بحيل السياسيين لا يأتي بادنى حل

غير انه يترك للغد المشاكل التي يمكن تفريدها اليوم وعند هذا الحد يقف عمل وزرائنا . وحينئذ بمزيد الشطارة (بلا شك) فان نواب فرنسا بالايالة التونسية بعد اكتشاف فج في الحركة التونسية انتفعوا منه باعجاب ووسعوا نطاقه ودفعوا المسعى الاول على الثاني وهما الان في تمزيق متبادل ورموهما بالمصادرة الحكومية في اوراق البروغري الترنسي وغيره . . . . . واني اكرر : ان هاته وسائط صغرى لا يمكن ان تكون لها احقية بالحركة العميقة التي قادت التونسيين مثل الشعوب الاخرى بطريق التحرير السياسي غير انه لا صاد من الازمة الحالية التي تتخبط بها حركة الشبيبة التونسية تكون انذارا ناجعا لهاته الشبيبة . ولتناظر نفوذها الادبي لمدة اشهر خلت مع تصريح المقيم عند ارسائه بفرنسا بمزيد الاسراع لاول صحافي تلاقى به (ان الشبان التونسيين انقرضوا لاجل انقسامهم) يلاحظ اليوم انفكاك الحملات غير ان الحكومة تصادرها وانه يدرك حثيثا ان لا قوة حقيقية ممكنة ولا حركة متسعة النطاق حادثة الوجود ان فقد بين المشاركين في العمل ذرة من الوحدة

اذ الحركة الشبيبية التونسية تكره المحق لعدم مقدرتها وهي الصفة الخصوصية للقبائل البربرية المتحضرة دائما للمقاتلة مع بعضها بعضا عوض احداث امة متفردة يجب عليها تعطيل حروبها الداخلية . كيفما كانت اسباب الانقسامات سواء كانت حادثة عن منافسات شخصية حسبما يراه الكثير من احبابنا او سواء تعرب بالعكس عن اغراض اكثر تأصلا حسبما اعتقده فلم يبق سوى امر واحد بعد استثناء السيد زكريا ومن كان على شاكلته هو ان التونسيين يطالبون بالحق في الحياة السياسية

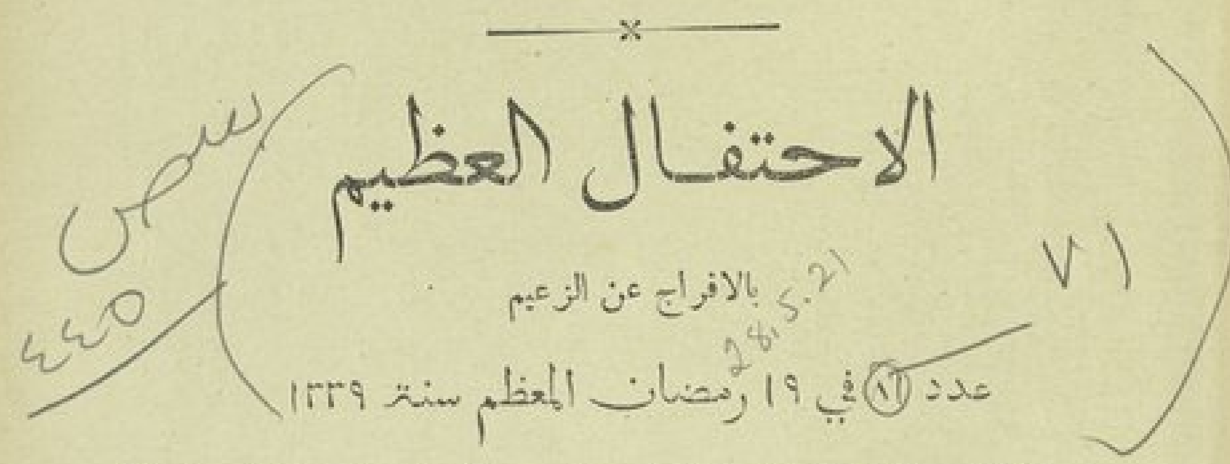
اذن ! فليعتصبوا جميعا ضد من يصدهم عن هذا الحق !

وليس الامر اليوم في معرفة هل ان المطالبة يجب ان تكون المسئولية الحكومية او لا حيث ان الذين يمتنعون من المسئولية الحكومية يمنعون الكل ايضا ويكون حينئذ الامر خالي الارجاء . اذ النظر في هاته المشكلة ليس من الامور الحالية الان حلا

والامر الوحيد العصري هو انكم جميعا ايها التونسيون ترغبون في الحقوق السياسية والحكومة من نفسها لا ترضى بتخويلكم شيئا من ذلك وعليه فاتحدوا جميعا لاغتصاب ذلك منها . ثم انه عند ما تحرزون على الاعتراف بحقكم لهيأة نيابية ففي

ذلك الوقت وليس من قبله يمكنكم الانقسام في البحث على نقطة معروفة في احسن النظامات النيابية

×



الاحتفال العظيم

بالافراج عن الزعيم

عدد (٢) في ١٩ رمضان المعظم سنة ١٣٣٩

من المعلوم وان لسائر الامم اعيادا ومواسم دينية ودنياوية سياسية ، وان لها اياما ملحقة بها شانا واعتبار .

فتضرب فيها عن العمل وتقيم من اجلها الافراح وتتخذ عندها الزينات ، وعلى ذلك جاء تتابعها في اتخاذ بعض ايام من الحول تاريخا لشئون عامة تجل لديها وميقات لامور عندها بالمنزل الاسمى ، فتجدد لها التذكار عند كل استدارة من الحول احياء لذكر ذلك الشان الخطير ، او تنويها بفاعله الذي لا ينبغي ان ينسى وراء حجب الزمان وتقادم العصور . بل وتقام له الاثار الخالدة كل بحسب شرعه . فهذا يقيم التماثيل وذاك يشيد المدارس وهؤلاء يبنون المعاقل واولئك يجملون عنوان فخره على الجرايات الى غير ذلك مما هو كثير ومشاهد بالعيان ...

وعليه فلا غرو اذا قلنا وان من الايام التي تؤخذ كعنوان على الاتحاد العام شعورا ووطنية وانتشار ذلك بكيفية مدهشة فيها على طبقات الامة التونسية هو يوم اطلاق الاستاذ الشيخ الثعالبي معلنة فيه براءته من سجن سيق اليه اثر قيامه بمصلحة عامة وخدمة وطنية مساقا لهما بوجدان صادق وخلوص ضمير . شان كبار النفوس المسؤلين لشعوبهم وبلادهم بالسير بهم الى الرقي والنهوض

نعم خرج الاستاذ في ذلك اليوم الجدير بان يكون من بعض الايام التي اشرنا اليها آنفا حيث ماكادت الغزالة ان تتوسط من مجراها حتى رايت محشرا حاشدا

من الامـة حول وزارة الحرب وساحات القصبة تترقب خروج الزعيم . وان كانت الادارة قد اخرجته من باب لم يكن مظنة الخروج لسر لم يعلم ولكن الراسخون في السياسة قالوا ما هكذا ينبغي ان يكون

ثم وصل الى نزل اعدله تقله عربة كهربائية مصحوبا بمحاميه اللذين قاما بالدفاع عنه مدة إيقافه هنا وهنالك وبالنشر والتحرير . فتحول ذلك المنظر المتماوج بشرا الى حيث المنزل فترى القوم من كل حذب له ينسلون . ثم بعد اظهار عواطف الافراح من زمر الوافدين القيت الخطب المؤثرة التي تشف عن سرور متجدد وابتهاج . وان الكثير منها يختم بالاخلاص للامير والثناء على السفير

وقد زان ذلك الاحتفال الذي استغرق ايام الاسبوع حضور تلامذة المدارس الوطنية زمرا زمرا والقائهم لخطب واناشيد حماسية وقصائد فخرية تستفز الهمم المخدرة بالجبن والكسل وتؤذن بايقاظ النفوس العاطلة الى العمل وتجعل نشاطا يستصغر المتاعب ويستسهل المصاعب ويهون ما يلحق المجاهدين من العناء في ذلك السبيل . وكما يحملنا على الرجاء بان المستقبل اصبح مواجها بالضد لما مضى وان كل زمن وأبنائه وان السعادة مقرونة بالجد والعمل

قلنا آنفا ان الاحساس كان عاما في ذلك اليوم المشهود اذ كل افراد الامة قد شاركت في هذا الاحتفال وحضرت من كل الطبقات هنالك . كالعملة والاحزاب والنقابات والمتوظفين والبعض من ذوي الشان الكبير كما حضر بعض وفود من دواخل الايالة ومن لم يحضر انابته الرسائل البرقية التي تربو على عدد الالاف التي نشرت غالبها الصحف الوطنية

ومن ثم يعلم وان الاحتفال لم يكن قاصرا على الافراح واطلاق الزعيم ذاتيا فقط لنعوته العالية وفصاحته السحبانية وصبره على الشدائد . بل كان ايضا للمسالة التونسية التي تزعم امرها حتى التفت حوله القلوب واجلته اجلالها للدستور سيما وان خروجه كان مرتديا ثوب البراءة مما اضمر له وان في ضمن ذلك لتطهير وازالة لتلك المضمرات السيئة التي كانت تلصق بالامة وبزعمائها من محبي الاستئثار وتضاف الى مسئلتها الوطنية المقدسة . وعليه فقد اتضح وان هلع الامة من جراء ما

وقع وانكارنا في بادى الامر على فاعل المسئلة ومدبرها وهو المقيم الراحل الذي لو تدبر ولم ترج عليه الاضاليل لاحجم عن فعل ما فعله وكنا في واد والحكمة في واد آخر ولله ما جاء في محكم التنزيل (فعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون) لا سيما بعد ان حجزت الاوراق والاجوبة وكل سواد على بياض وفتشت البيوت واخذ ما فيها من كل مخطوط خاص وما وراء الخاص وما لا قيمة له وما الشان فيه ان يكون مظنة الخلط والخطا ثم فحصت بتحقيق وتتبعت بتدقيق وترجمت كلها حتى السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وما حالك واني بخير ...... وانتظرك غدا مسرورا . والسؤال عن كاف الخطاب وما هو وضمير التثنية والجمع وغير ذلك مما يعسر حصره واستغرق اشهرا . ثم اجلى كل تلك المظالم العدل الحربي وانصاف القانون . واسفر صبح الحق عن براءة الشيخ وزملائه وحزبه وشعبه وان لا مؤامرة ضدا من الدولة ولا تعكير لصفا الراحة لا داخلا ولا خارجا . وانما هي مسئلة تونسية لا تخرج عن نقط ثمانية تطالب الاجابة فيها امة محكومة من امة حاكمة ولتلك مواصلة الطلب ولهاته الخيار .

هذا وقد كان يظن بخصومنا الاستثاريين اعداء العدالة والانسانية ان تلقم افواهها الحجر بنفسها وتتحسر على صدور تلك الاراجيف التي صدعت بها آذاننا دهرا طويلا بعد ذلك البرهان العظيم . ولكن ابى بوباك الهدهدي الشكل والشبيه في نعقه بالغراب إلّا التعرض لمسألتنا اليوم والباسها رداء يناسب بواطنه وضمائره الخبيثة بفصل تحت عنوان (ما بعد الزوبعة) ومن جملة ما قال فيه بهتانا وان الشيخ لم يبرر وانما شمله العفو الصادر بفرنسا والذي كانت قضيته في طليعة العمل به بالمملكة التونسية وهو خلاف الصواب والحق . وانما اصرار منه على ما كان يطنطن به حول المسألة وحملا لشيعته التي لا تتجاوز عدد الايدي على صدقه او لغايات آخر ...

وربما ظن ان يغالطنا بكتاب تونس الشهيدة الذي لو يتجسم العدل ذاتا تخاطبنا ما اساغت ان يكون تهمة على مؤلفه إلّا بعد التطبيق بحمل ما فيه على المراد منه في الخارج ثم مطالبة المؤلف والناشر بدعوى تقام اين طبع ونشر اعني باريس

واما فصل ٨١ من القانون الجنائي التونسي الذي هو من الاوضاع الادارية والذي جعلته الادارة لنفسها تحكم به متى تشاء وكيف ما تشاء لا يجله الانصاف بحال ، وناهيك بقانون يحجر الاتيان بما يوحش الادارة خطابا او تحريرا انزالا لها في التقديس منزلة غار حري او بيت لحم او معبدا من معابد الحواريين اي لا ينتقد ولا يوحش ... (ومن ذاك الامنا ومنه شكوانا)

اذ لا يعقل في نظر الانصاف ان سن القوانين ومشرعها هو الحكومة نفسها وما للامة منها إلا الامتثال ثم يقولون ان السلط مفككة عن بعضها وللقضاء مجالس وقوانين

وفي الختام استغفر الله من اعتبارنا لبوباك واقواله اعتبارا حملنا على مجازاته بهذه الكلمات . واهنيء الامة في زعيمها مجددالها الحث على العمل ثم لها ان تثق بالمستقبل ما عملت في دائرة الهدو والصدق والاخلاص

مرشد الامة

امام محكمة الدربة للمرة الثالثة

٢٧/١٢/١١

عدد ٨٢ في ٩ ربيع الثاني سنة ١٣٤٠

للصحف الدورية شان تعرف به في عالمها المستضاء بنور اشعتها الفكرية كما لها مشارب تمتاز بها احادها قوة وضعفا ، ورقيا وثباتا ، واخلاصا وحرية ، وتطرفا واعتدالا .

وهي على اختلاف تلك المشارب تعد من دلائل النهوض في الامة والرقي في الشعوب والسعادة في البلاد سيما اذا انتهجت طريق الاتحاد على المصلحة العامة وتجنبت وصف الضعف من نعوتها وسلكت سبيلا موصلا الى الاخذ بناصر الحق وتاييده وان تنوعت في المشارب . اذ المدار على ارضاء الراي العام واقناعه والسير

به الى حيث الفلاح ، وان اسمى الصحف اعتبارا واسمعها قولا واكثرها رواجا هي الصحف المحافظة على المبدا والتي هي اكثر تاثير على النفوس

ومن المنن الكبرى على الصحفي نواله حسن الاحدوثة في القوم وقبول نصائحه واجلال ارائه وافكاره واعتباره صادقا يخدم الامة والوطن لا لغاية وبلا كلل ولا فتور

ذلك بعض ما يقال عن الصحف وما يشترط في اربابها . كما ان من بعض نعوتها وصف (التطرف) ، وقد ذهب العقلاء في فهمه واختياره الى اقوال وفهوم شتى . وان من فسره بحدة التحرير وشدته قال عنه انه مخطر على صاحبه وان الاولى تجنب الطرق المحفوفة بالمخاوف والعثرات . ومن فهمه بالحد البلاغي اعني مطابقة الكلام لمقتضى الحال او بعبارة اوضح ان لكل مقام مقال ، رجحه على غيره وقال عنه انه اسرع وصولا الى المقصد والمرام .

وعندي ان ذلك يرجع الى قوة في الملكات الانشائية واستخدام المواهب الفكرية في ذلك المجال التحريري ثم الاستفادة من سعة اللغة العربية ووفرة اساليبها الموصلة للغاية ، كاستعمال الحقيقة والمجاز او قرينة الحال او دواعي التوضيح والاجمال او علة الاسناد وحذفه او التقديم والتاخير او التورية والاشارة او وضع الظاهر موضع المضمر ، او الحصر والقصر ، الى غير ذلك من ضوابط القول وقيوده . . . . .

وعليه فمراعاة لتلك القواعد ونكتها يرتفع التطرف حسا ويحصل المرام بلا توقع خطر وبلا كلف ولا عناء ، وبه يسهل دحض كل اشكال يرد من انه كم من تحارير بري على ظاهرها الرحمة وفي باطنها العذاب ، ما اذا لم تخرج عن ذلك السبيل السوي والطريق المطلوب والمرغب فيه . . . .

نعم يقال ان الذي لم تظهر الحكمة فيه وكان تسليمه تعبدا تقريبا . . . هو قوة التاثير التي تحصل من بعض المحررات دون غيرها فتقوم لها القيامة وترتعد من اجلها الفرائس مع اتحادها في الموضوع واشتمالها على تلك النكت البيانية . . . . وان قال البعض ان منشاه الاخلاص وعدم المراءات والترفع عن خدمة المصلحة الخاصة والكلف بالذات وهو وان كان عليه الجمهور ففيه نظر عندي . . . .

وعلى كل حال فحرام على من اوتي ذلك السر الثمين ان يتوجه به لغير منازلة

الظالمين واماتة عتو المعتدين وابادة الفكرة الارتجاعية ولغير تاييد العدل والانصاف ، مع المحافظة على القيام بالواجب الادبي الشخصي والثبات عليه ولا يضره بعد ان قال عنه بعض الشاذين انه متطرف ومضل أثيم ،

هذا ونعتذر سلفا عن مساعدة القلم ومجاراته فيما خطه آنفا في دائرة غير الموضوع الذي نحن بصدده وهو وقوفنا للمرة الثالثة امام القضاء المدلي ولذا وجب ان نقول ، قد تساق الصحف الحرة الى امام القضاء وان لم تخرج عن دائرة القانون ، وعلى الحالتين فلا يزيدها إلّا تمسكا بالحق وثباتا على منهج الاخلاص والصدق ولا يشينها ما لم تكن وقفتها هنالك في غرض سافل اعني غير عمومي في نفسه بان كان شخصيا بحتا او لحاجة في النفس الامارة ، اما وفي سبيل الامة فشرف وفخر واعتبار في تاريخها

ولذا فان مرشد الامة الذي وقف امام محكمة الجزاء للمرة الثالثة فمن فضل الله لم تكن وقفته في الجميع عن غير اتصال بصالح البلاد رغم انف خصمنا اليوم الذي حاول بجهله اشانته بتلك الوقفات ،

نعم تختلف وقفته اليوم عن الامس من الانصاف في الحكم اذ ان في المرتين كان القضاء متصلا على العهد الروائي بالادارة اتصالا محكما بحيث ان العموم يشاهد مجلسا وهيئة جالسة ومرافعة وحكاما يرسم حكما ، ولكن الحاكم في الحقيقة غير المشاهد من تلك الهيئات بل وحيا او من وراء ستار ، وقد احسن الخصم في بيان موجبها (اي تلك الدعاوي) من حيث اراد الاساءة بنا (وقد صدق من قال ان الجهل يصلح في بعض الاحيان) اما اليوم فالقضاء مستقل والحكام احرار غير مسئولين إلّا لضمائرهم وللقانون ، وان القضية كانت عامة ، ولذا كان فوزنا مثار الامتنان والسرور في العموم وشاملا لكل الطبقات ، نعم قد يقال ان الدعوى التي رفعها ضدنا السيد محمد بن علي نعمان بانفراده في الظاهر (ومعه غيره في الباطن) لا اهمية لها من الوجهة القانونية ولا تستحق هذا الشنئان العظيم . . . فيجاب بان الامر كذلك او لم تحفها اذاعة اصحابها (العقلاء) بان القصد منها غير ذاتها بل مسالة تونسية وحزب حر واعمال رجاله واسرار خفية ستنكشف وامور حرية بالوضوح ، وبموجب ذلك انتظر الموعد للنشر وكان يوما مشهودا لم يعرف له مثيل في التاريخ

وهنا يجمل بنا افادة القراء باوراق القضيـة شكاية وبحثا وجـوابا ومرافعـة وحكما واليكم نص الدعوى من قلم المدعي الحقوقي البليـغ ....

سليمان الجادوي

مدير المطبعة الاهلية

الحمد لله فالمنهي الى جناب وكيل الحق العام بمحكمة الدريبة ان الاول اعلاه نشر بجريدة مرشد الامة عدد ٧٦ غرة هذا الشهر بالصحيفة الثـالثة من العمـود الثاني مقالة تحت عنوان الرسالة البترا التي يرميني فيهـا بالكذب والبهتـان والزور والتدليس والتغرير ، ثم انه تكلم على النادي التونسي الكائن بنهـج الكمسيون الذي انا عضو منه ورمى اعضائه بعدم احترام الصلاة والصوم وصرح انه يوجد فيه المفطرات باجمعها وانهم يتناولون المسكرات بانواعها ويتعاطون لعب القمار والميسر ويثبت هذا التصريح قول الكاتب المذكور الذي نصه « ولذلك كان ذلك الاثر (اي الرسالة البترا) كانه صادر عن مجمع بوذي» ثم انه بالعمود الثاني رماني المذكور بعقوق الوالدين وهددني بنشر شيء من ذلك لتقل ثقة النـاس بي ثم قال تاييدا لذلك اني اصبحت اليوم لا قيمة لي في نظر الشعب بتلوني واضطرابي في المبدا وايد ذلك كله قوله . ولو ادخـل يده في جيبـه واخرجهـا خضراء لقالوا انه رجـل مسحور ولا يكون له في الحضوة من نصيب ، وبما ان ذلك قذف وشتـم مقصودين للتنكيل بي وجلب المضرة الادبية والمادية علي فان الامر العلي المؤرخ في ١٤ اكتوبر ١٨٨٤ المنطبق عليه تمام الانطباق ولذلك اطلب محاكمة الاول الذي كان سجن لاجل الشتم والقذف مدة اشهر جناحيـا طبق الامر العلي المذكور والزامه بضمان الثاني اعـلاه مدير المطبعة الاهليـة باداء عشرة الاف فرنك على صفة التعويضات للضرر الذي احدثه ماديا ومعنويا حرر في ٣ سبتامبر ١٩٢١ (محمد نعمان)

قرار الاحالة

نحن وكيل الـدولة بالدريبة بعد اطلاعنـا على البحث في النازلة المتهـم فيها سليمان الجادوي ومحمـد بالحسن بشتم الافوكات ميتر محمد نعمان والقـذف فيه

بالعدد ٧٦ من الجزء الرابع من جريدة مرشد الامة وبعد اطلاعنا على تقرير البحث ووجود ما يكفي لمحاكمة الاول بصفة كونه متهما بما ذكر ناذن باحالتها على المجلس الجناحي عملا بالفصل ٣٢ و ٣٣ من الامر العلي الصادر في ١٤ اكتوبر ١٨٨٤ وتتبع الثاني فيما يخص التعويضات التي يطلبها المدعي

الجواب على الدعوى كتابة

جناب مجلس الدربية المحترم

وبعد فقد اطلعت على الشكاية عدد ١١١٥ المدعي فيها محمد نعمان باني نشرت فصلا بجريدتي مرشد الامة رميته فيه بما قرره مدعيا ان ذلك الفصل نال من اعتباره ومجده الاثيل . وتسبب عنه الحاق الضرر به ماديا وادبيا . ولاجل ذلك فهو يطلب تعويضا له . ذلك الغرم العظيم . . . . . .) وحيث انه بمراجعة جناب المجلس لصريح الفصل بداهة يظهر منه سقوط الدعوى لمنافاة منطوقه لما يدعيه الخصم على خط مستقيم . وهو مما يوجب الاغراب في نشر القضية اكثر من القيام بها لان تقديمها ربما كان ناشئا عن عدم فهم الصريح . وحيث ان التدليس والتغرير الذي في قولي . هو راجع الى المجتمع الذي يشاع انه مصدر الرسالة البتراء المشار الى ذلك بجملة خيالية في طالع الفصل ونعني به احد نوادي نهج الكمسيون كما هو صريح قولي (فقبل ان نتكلم على ذلك الاثر الابتر اقول كلمة عن مصدره الى قولي وغاية ما اقول فيه انه مجمع للسمر والسهر (وحيث ان الشان في الهيئات المعنوية اذا كانت رسمية لا يمثلها في سائر حقوقها إلّا رئيس الهيأة وحده فان قيام المدعي في حق النادي التونسي كما زعم باطل من الوجهة القانونية ولا جواب على تلك الفقرة لا سلبا ولا ايجابا إلّا بعد قيام من له الحق بحجج تؤيده . وحيث ان دعوى نسبته للعبث بحقوق والده المبرور فلا وجود له في الفصل المذكور اصلا بل صريح في الابرار به والخيرية والطاعة والاحسان اليه وان الصريح نص في مدلوله شرعا وقانونا لا يعدل عنه لخلافه بحال . وعليه فبناء على البيانات التي اسلفنا نطلب من جناب المجلس رفض دعوى المدعي وتغريمه بفرنك واحد حرره المطلوب الفقير لربه سليمان الجادوي مدير جريدة مرشد الامة في تاريخ ٢٥ سبتامبر سنة ١٩٢١

هذا هو الجواب وتلك هي الدعوى وذلك هو قرار الاحالة ولم تبق إلّا كلمة مختصرة على المرافعة من الطرفين وناهيك بها من مرافعة كانت بمسمع لجمهور عظيم من الامة امتلئت بهم رحاب المحكمة وافنيتها ومعابرها الى ان قالت قطني

وهي بعد ان اخذ جناب الرئيس واعضائه مقاعدهم في الحكم وكان في كرسي النيابة النائب الثاني للحق العام وبعد مرور بضع قضايا جناحية نودي عن القضية الصحافية . فوقف المدعى طالبا تاخير النازلة قائلا انه جعل بدلا من شخصه المحترم شيخ الوكلاء السيد (محمد بورقيبه) ولكن قد حضر من الساحل زميله الاستاذ العياشي فاكرمه بذلك وكان هذا الاخير فارغا .... من فهم اوراق النازلة فقرر الوكيلان تاخيرها ... فلم يساعفه المجلس على ذاك (عدلا) لحضوره ولكونه المدعي ولمرور شهر على تعيين القضية تقريبا . وان الشان في النشر والتاخير للمجلس لا لقرار محاميه .... فعند ذلك نهض لتائد دعواه بنفسه لنفسه مستهلا لذكر المسئلة التونسية بمقدمة سارت به الى الوراء الى ان وقفت به على سنة ١٩١٢ فاسرع ما اظهر عجزا عن ربط الكلام بعضه وضاع برهانه وذهب صوابه وبقي على حد قول العامة (يرفع من العمار ويحط في الخلاء) وقصار ما امكنه الافصاح عليه اثبات الوطنية له من كونه كان من جملة المبعدين في ذلك التاريخ يعني اثر اعتصاب الترنفاي وكان وكان ... فقيل له انك في خبر كان وان ذلك الابعاد السياسي اداري محظ وفعل الادارة غالبا يلازمه الغلط لانها قد ترى اللفيف من ذوي الاعتبار . ثم اخذ في سرد فصل مرشد الامة الذي اوجب القيام بالدعوى فتلعثم وحنق قائلا انها فلسفة لا توجد إلّا في قاموس فكر الشيخ مشيرا الينا بتهكم الى ان وصل لبيت القصيد وهو قولنا (ومطيع لوالده وبار به) فقال ان ظاهر هاته الجملة مدح ولكن لا ـ لا ـ فان سوء قصد الشيخ يسطع من سطورها ـ ثم ختم مرافعته بتحكيم وجدان المجلس بعد الاطلاع على جملة الفصل واخذ مكانه لانه اعياه التاويل والتلفيق ....

وبناء على تطوع كثير من المحامين والوكلاء للدفاع عن مرشد الامة نخص بالذكر منهم الاستاذ البارع السيد محمد بن عمار والحقوقي النحرير السيد صالح بلعجوزه والمحامي الشهير السيد الطيب الجميل والدري النبيه السيد محمد زروق

وانه نظرا لعدم امكان الترافع الشفاهي من الجميع وكان الاستاذ بلعجوزة قد قدم من سوسة لهذا الغرض العمومي الشريف تنوزل له من طرف زملائه الاماثل . فنهض وشرع في رد ما حاول اثباته الخصم في طالع كلامه واستطرد ذكرا مفيدا في المسئلة التونسية الى ان رغب منه وكيل الحق العام بحنق اعتبار المجال قضاي بحث لا سياسي . فاجابه بما معناه انه اخذ اثر المدعي وان الاجمل اقناعه اولا بذلك .... ثم استانف الدفاع من الوجهة القانونية وانه يغرب تقديم شكاية كهاته من مدعي الحقوقية الذي يصرح بملئى فيه انه محامي في مساق الافتخار . مستدلا على ان القانون لا يواخذ بحمل صريح على غير مدلوله المتبادر وبالوهم والظنون . او بكل ما يطرقه الاحتمال في الجمل التي تتنازعها فهوم كثيرة لانه لو يفتح هذا الباب لثقل التقاضي على القضاة ولا امكن لنا عند ذلك ان نقيم الف شكاية بحضرة الزميل المدعي . ثم اخذ في قراءة جمل جارحة من الرسالة البترا من ثلب وشتم في عموم من الامة وخصوص فيها وصحافة وصحافيين . وبعد استيفاء مرافعته طلب من المجلس رفض الدعوى . ثم قام الاستاذ جميل مناضلا عن السيد محمد بن حسن مدير المطبعة الاهلية المطلوب بضمان مالي وأتي به الى مجلس جناحي فابهر العموم بمرافعة قانونية بحتة مشيرا الى غلط الحق العام من جعله القضية بوجيها من مشملات فصل ٣٢ وفصل ٣٣ من القانون وهو بعيد . ومن جهة احالة قضية مدنية على مجلس جناحي واجراء بحث فيها .... قائلا ان الضمان المالي لا يوجه إلّا بعد ثبوت الجنحة وهنا اشار الى ان ذلك الغلط ناشيء عن تمويه في شكاية المدعي حيث جعل ما يشم منه رائحة في الشتيمة الراجعة الى الهيئة المعنوية لنفسه وظن انه رابح بذلك (وهيهات ان يفلح المموهون) ثم طلب الحكم بعدم سماع الدعوى

وبعد انتهاء المرافعة تورى المجلس عن الانظار للمفاوضة في الحكم نحو ساعة ولم يلبث الى ان رجع لمكانه واخذ جناب الرئيس المحترم يسمع العموم حيثيات حكمه المحكمة الاساس الى ان جاء على آخر حيثية منه ونصها (وحيث كان ذلك كذلك حكم المجلس بعدم سماع الدعوى) فتلقى الحضور الحاشد صدور هذا الحكم بذلك النص بتصفيق استحسان حادا اتصل صداه بخارج المحكمة ثم سار الجميع على امتنان شديد للعدل في القضاء

وهنا لا يسع مرشد الامة إلَّا تجديد احترامه لنزاهة المجلس وشكر الامة التي التفت حوله ووازرته بالاجلال والاعتبار مع الثناء على رجال الحزب الحر وعلى همم الوكلاء والمحاميين والرصفاء الوطنيين وادعو الله سبحانه ان يوفقنا لخدمة الصالح العام وان يلهمنا دوام الرشد وان لايزغ قلوبنا بعد الهداية انه السميع المجيب

الشعور السياسي في الاسلام

عدد ٨٣

بث الاسلام في نفوس معتنقيه دينا قيما وادبا راقيا وسن لهم قواعد ليقيموا عليها احكام مدنيتهم ويهتدوا بها في تدبير سياستهم : وبعد ان وقف ذوو البصائر منهم على كنه الروح الذي يتماسك به العمران ولا ينهض شعب او يملك حياة مستقلة إلَّا اذا ضرب فيه باشعته شعروا بحق القيام على تدبير شئونهم بانفسم واخذوا ينشرون تلك المبادىء الشريفة والتعاليم المحكمة بين امم كانت تعثو في الارض فسادا وتخوض في الباطل خوضا الى ان كان ما ادهش العقول من فتوحات نسخت ليل الجهالة وجعلت آية العلم الصحيح مبصرة

كان الشعور السياسي منبثا في نفوس الامة قاطبة حتى اذا نهض الرئيس الاعلى لقتال يحمى ذمارهم او الى عمل يرفع شأنهم خفوا الى دعوته واسلموا انفسهم واموالهم الى رأيه وتدبيره . ما هي العوامل التي احيت ذلك الشعور وجعلته يتألق بين جوانحهم تألق القمر في سماء صاحية فاكبر هممهم وشد عزائمهم حتى تراءى لهم الجبل ذرة واستهانوا بالموت الذي ـ قال بعض الحكماء لا مرارة إلَّا في الخوف منه ؟

أحيا ذلك الشعور تلقيهم للكتاب الحكيم عن تدبر وانعام في مراميه الاجتماعية والسياسية ؟ ومما يبعثهم على تجريد النظر لانجلاء حقائه والكشف عن مقاصده انه القانون الاسلامي الذي لا تخضع الامة إلَّا لسلطانه فكان العلماء ـ وهم بمنزلة نواب الامة ـ يرقبون سير الامة الحاكمة وما عليهم سوى ان يزنوا اعمالها بذلك الميزان السماوي فيصفوها للناس بانها جادة او هازلة

فالشعور السياسي نور يستطع في الشعوب على قدر ما ينتشر بينها من معرفة حقوقها والطرق الكافلة لحفظ مصالحها وقد كنا نتلقى عن تجربة ان السلطة القابضة على زمام شعب يسوءها ان ينتبه لحياته الشريفة وينهض للمطالبة بحقوقه العالية تصرف دهاءها الى منابع التعليم فتسد مسالكه فان لم تستطع ضيقت مجاريه او خلطته بعناصر تفتك بالاحساسات السامية وتقلب النفوس التي فطرها الله على الحرية الى طاعة عمياء

احياء ذلك الشعور ان الله قيض لهم رؤساء ما كانوا ليعدوا انفسهم سوى انهم افراد من الشعب يقومون بتدبير جانب من مصالحه فطرحوا التعاظم جانبا وجلسوا لذوي الحاجات على بساط المساواة : وكذلك قلوب الرعية انما تنجذب الى رجال الدولة وتلتف حولهم بعاطفة خالصة على قدر ما ابتعدوا عن مظاهر الابهة ويخففون من شعار العظمة ، ارسل سعد بن ابي وقاص المغيرة بن شعبة الى رستم القائد الفارسي فاقبل اليه حتى جلس معه على سريره فوثب عليه اتباع رستم وانزلوه فقال المغيرة بصوت جهير « انا معاشر العرب لا يستعبد بعضنا بعضا فظننت انكم تتواسون كما نتواسى وكان احسن من الذي صنعتم ان تسبروني ان بعضكم ارباب بعض : اليوم علمت انكم مغلوبون وان ملكا لا يقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول » ، اراد المغيرة ان يبعث في الجنود الفارسية النفرة من قائدها حتى ترتخي عزائمهم عن نجدته فما كان إلّا ان ايقضهم لما خص به ذاك القائد نفسه من الميزة والاعتلاء بغير حق وأومأ الى انّ الاسلام قرر قاعدة المساواة على وجهها الصحيح فلا فضل لرئيس على ادنى السوقة إلّا بتقوى الله : وقد نجح دهاؤه ونفذت فيهم مقالته حتى صاحت طائفة منهم « صدق والله العربي فيما قال »

ومن هذه القصة نفقه ان سقوط تلك الممالك تحت رايتهم لم يكن نتيجة البسالة والسيف وحدهما بل كان الاثر الاعظم للدهاء في السياسة ، احياء ذلك الشعور ان راوا باب الحرية مفتوحا على مصراعيه ولم يجدوا دون مناقشة اولى الامر حاجبا فكان اطمئنانهم في سيرهم ووثوقهم بسلامة مستقبلهم مما يذكرهم بالسكينة ويعظهم بان يكونوا كالكنانة بين يدي اميرهم العادل يرمى (بعيدانها) الصلبة في وجه من يشاء ، ومن القى نظرة في التاريخ الاسلامي عرف ان الرجال الذين

اسسوا ملكا لا سلف لهم به كعبد الرحمن الداخل او جددوا نظامه بعد ان تقطعت اوصاله كعبد الرحمن الناصر انما استقام لهم الامر بما كانوا يتحرونه في سياستهم من العدل في القضية وتلقى الدعوة الى الاصلاح باذن صاغية وصدر رحيب

ماذا يخيل اليك من حال الامة لعهد المنصور بن ابي عمر حين تقرا في تاريخ دولته ان احد العامة وقع اليه الشكوى باحد رجال حاشيته فالتفت اليه ـ وكان ممن انتظم بهم عقد مجلسه ـ وقال له انزل صاغرا وساو خصمك في مقامه حتى يرفعك الحق او يضعك ، ثم قال لصاحب شرطه الخاص به خذ بيد هذا الظالم وقدمه على خصمه الا صاحب المظالم لينفذ عليه حكمه باغلظ ما يوجبه الحق من سجن او غيره ، وان الذي يتحلى بمزية انصاف الضعيف من القوي وتتبع رعيته بمثل هذا العدل لجدير بان يبلغ من العز الشامخ والتاييد الراسخ حيث جذب عنان الملك من يد هشام بن الحكم واستقل بالامر وغزا ستا وخمسين غزوة دون ان تنتكس له راية او يتخاذل له جيش

ذاق المسلمون طعم سياسة اعدل من القسطاس المستقيم وعرفوا ان الدولة التي لا تقوم على قواعد المساواة والشورى وحرية التصريح بالراي ليست هي الدولة التي اذنت لهم شريعتهم بان يلقوا اليها امرهم عن طاعة واخلاص . والحركات التي قلبت الدول راسا على عقب كنهضة ابي مسلم الخرساني في الشرق والمهدي بن تومرت في الغرب انما نجحت وكان لها ذاك الاثر الخطير لانها تقوم بجانب دولة نامت عينها عن الحقوق الموكولة الى رعايتها وهامت بها الاهواء في اودية التفنن في الملاذ حتى سئم الناس تكاليفها ومالوا للتثائر على ابادتها، ولكن الفتن التي ترفع راسها في امارة بن عبد العزيز او صلاح الدين الايوبي او عبد المؤمن بن علي لا تلبث ان تتضاءل وتنطفىء كما تنطفىء الذبالة إذا نفد الزيت من السراج . وما ذاك إلا لان العدل متماسك العرى وجمال الشرع يلوح في محيا الدولة فلا تجد نار الفتنة من القلوب النافرة ما يذهب بلهبها يمينا ويسارا

فالاحساس السياسي الذي يربيه الاسلام في نفوس من يتقلدونه انما يرمي بأشعته الى مبادي مقدسة وغايات شريفة فاذا ربطوا قلوبهم باحترام امير او وزير او

زعيم وبسطوا ايديهم الى مؤازرته فلانه يرعى مبادئهم ويولي وجهه شطر غاياتهم

الخضر بن الحسين

الدومينيون والحماية

عدد ٨٣ في ٢٣ ربيع الثاني سنة ١٣٤٠

كان صدور البرهان تاريخا لدعوة جديدة راها قلم تحريره مبدا لخدمة صالح الوطن العام، وهذه الدعوة التي حبذ فائدتها (البرهان) ونوه بشانها هي الدومينيون، و الدومينيون نظام سياسي متبع في سياسة املاك التاج الانكليزي التي انتشر بها العنصر الاجنبي انتشارا كاد يفني في ثناياه الاهلي ويتلاشى . ولو اقتصر المحررون على ايضاح معلوماتهم في الانظمة السياسية المعمول بهــا في سياسة العالم في معرض بيان الطرق لتحسين الحال لاجللنا علمهم واطلاعهم وشكرنا مددهم الفني في احرج الظروف الداعية للاستشارة بقيمة العلم وفضل ذويه . فان العلم محمود لذاته والحظ عنه اثر منيف ، ولكن توليهم التحرير قصد ابلاغ دعوة تنافي الحال والمآل يدعو الى مناهضتهم فيهــا ومصارحتهم بسوء ما هم فيه منهمكون . فالعلم حسن ولكنه احسن اذا افاد في الاستعمــال لان دخوله في العمــل والتطبيق يصيره رأيا تتوقف فائدته على حال الوسط الذي يعمل فيه ، والعلم يفيــد في العمل اذا حف استعماله بظروف وحاجيات تهيء الوسط للاستفادة منه

ان الانسان بصفته عضوا في أمة يتحمل من تكاليفهــا ما لا يحسه سواه محق في نقل وتعيين النظام المراد سنه له لان الشعور هو المصور الاول للحال ومنه يستنير كل احد . لذلك كان قوام الاصلاح هو الشعور بالحــاجة قبــل كل شيء وكان القائمون به في كل امة اناس بعث بهم الشعور القومي من وسط المجموع الذي تقلبوا في احواله وطبقــاته وجاءوا مثالا ناطقــا لمجموعه وصورة حقة لروحه . فليحتفظ

العالم بعلمه والمطلع بكنوز مكتبه حتى تروج سوق الاسمار ويكثر نفاقها فقد نجني من ثمرات اتعابهم اضعاف ما يريدونه لنا اليوم

ان الانقلابات الاجتماعية في بداية امرها لا تطلب من روادها غزارة علم بالفنون الكونية او تبحرا في الطبيعة والفلك فان هذه المطالب فنون خاصة بالذين مهدت لهم سبل القول والنشر وشيدت حواليهم مؤسسات ينفقون بضاعتهم في سوقها سبل ومؤسسات لا يكون وجودها ممكنا قبل هذا الانقلاب . وانما الذي تستلزمه النهضة في بداية امرها رجال عرفوا بين اترابهم بالخبرة الصادقة باحوال القوم والشعور الحي باوجاعه والمقدرة الحقة على تصويرها . اولئك هم الزعماء الاحقون الذين اناروا الاوطان بمصباح جراءتهم وكانوا للمستنيرين والمسترشدين خير هاد واحسن دليل . فالصفات لا المعارف هي المطلب الاول للزعيم والناس اشد ميلا لمن فاقهم علما فخليق بالفني ان يترك مجال العمل للرجل العمومي فان الدور الاول له والزعيم ادرى بحاجة قومه واقدر على تحقيقها

قلنا اذا وقع التسليم جدلا بالتفوق الفني لادعياء العلم فان دورهم لم يان بعد وان حل المسائل الحيوية بنظريات فنية لا تنطبق على الواقع ومطلب عسير التحقيق . ولزيادة البيان نقول : ان العلائق الدولية بصفتها نتيجة احوال خاصة لامة واعراض عامة لامم تكون بالطبيعة مختلفة باختلاف احوال الامم الموجودة بينها تلك العلائق وتتبع في تطورها تطور تلك الامم . فلولا اشتراك اليابان واميريكا مثلا في المحيط الهادي واشتباك مصالحهما فيما تجاوره من البلدان في المصالح اشتباكا يزداد كل يوم تمكنا ما كان لهما علائق تتحسن طورا وتتوتر اطوارا ولولا ميل الياباني بفطرته الى السلام رغم كل ما لديه من المعدات الحربية وانهماك الاميريكاني في العمل بعيدا عن ساحات القتال ما تأخرت العداوة بينهما الى اليوم . فالاحوال القومية الخاصة والعامة هي مقياس العلائق الدائرة بين الامم اذ بها وحدها يعرف السياسيون مبلغ حال كل دولة نحو اخرى وتأثير سلوك هذه على حال تلك

فمحاولة ادخال نظام ما في علائق دولتين قبل النظر في درجة استعدادهما اليه ودرس احوالهما الاجتماعية والسياسية درسا مدققا يعد خطأ جسيما وجهلا

بنظم الدول وتقلبات الشعوب . قلنا في طالع المقال ان الدومينيون نظام متبع في ممتلكات انكلترا ونزيد الان انه اشبه شيء في شكله العام بالنسبة لابريطانيا العظمى بالمقاطعات الفرنسية فمن مجموع الممتلكات الانكليزية تتألف الامبراطورية اعني ابريطانيا العظمى ومستعمراتها . غير ان المواقع الجغرافية لتلك المستعمرات والتقاليد المرعية في السياسة الانكليزية جعلت بعض هذه الممتلكات تتمتع ببعض اختيار في تنظيم داخليتها فالدومينيون والحالة ما ذكر احتلال يثبت للتاج الانكليزي ملكية المقاطعة الجاري بها نظامه ويعطي هذه المقاطعة حق من الانظمة الداخلية لها بشرط ان لا تنافي اصول قوانين ام الوطن . تجري هذه الملكية وسن القوانين على النحو المذكور تحت رعاية او ادارة نائب او نواب تعينهم حكومة الملك يجلسون بنفس المجالس التي يحضرها نواب الشعب المتمتع بهذا النظام لسن القوانين الداخلية وحراسة ما عساه يخالف اصول التراتيب الانكليزية

فالحكومات الدومينيونية وان كانت تتمتع بجزء مهم من الاستقلال الداخلي الا ان المصالح الانكليزية واجبة الرعاية وخضوع التراتيب البرلمانية لمراقبة نواب الملك جعل هذا الاستقلال شكلا ناقصا في ذاته لا يضمن لمتبعيه الدوران في غير المصالح الانكليزية . فيتبين والحالة هذه ان الدومينيون من حيث نظامه العام شكل من اشكال الاستعمار ومن حيث شكله الخاص حالة حكومة ممتازة بصفة استقلالية توافق استعداد الخاضعين لها على تنظيم داخليتهم في دائرة المصالح الانكليزية . ومعلوم ان هذا النظام بصفته علاقة بين حكومتين او دولتين فان تشكله بشكل خاص كان نتيجة حالين خاصين اوجبا وجوده على ذلك الشكل . فان دومينيون استراليا غير دومينيون الكاندا لاختلاف هذين القومين في مقدار استعدادهما وتباين الظروف التي احاطت بكل منهما حين سيرهما للاستقلال . لم يبق باستراليا غير خليط من الانكليز النازحين اليها بقصد الانتفاع والاستقرار اما العنصر الاصلي فقد اندثر بوسائط قهرية على يد اولئك النازحين . وما دام سكانها انكليزيون فان القوانين الانكليزية بعد ادخال تنقيحات محلية صالحة لهم

ان تقاليد السياسة الانكليزية غير تقاليد غيرها ونظام الدومينيون من جملة

النظر المعمول بها في دائرة املاك التاج وهـذا النظام كغيره من الانظمة اتى بعـد تدرج اليه وقع من المالك والمملوك وجاء نتيجة واقعية لاحوال خاصة تتعلق بدول خاصة واقوام مخصوصة بحيث ان هذا النظام لو اتخذ بعينة بقصد تنظيم غير الذين استعدوا له ربما زاد الحال سوء واتى بعكس ما يؤمل منه

للسياسة الفرنسوية في استعمارها اصول توافق عنصريتها وتنطبق على احوالها وللامة التونسية آداب خاصة وقومية خاصة فمحاولة الاستفـادة من نظام اجنبي عن سياسة الحامي وروح المحتمي محاولة ما لا يكون

هذا من الوجهة الاجتماعية واما من الوجهة السياسية فلم العدول عن الحماية للدومنيون؟ اذا استوت الحماية والدومنيون كيفا في الاحتلال فانها يختلفان في كميته، لان الحماية بعقودها القائمة عليها لم تفقد الامة شيئا من صفتها القومية فقد بقي لنا معها حكومتنا بكل فروعهـا وادابنا بكل صورها ودينـنـا بديوانه ومعـالمه وجاءت الفتوى الدستورية لتحقيق حق الامـة ازاء الهيئة الحاكمة ، ايقال بعـد هـذا كله ان الدومينيون يفضل الحماية ؟ !

ان فائدة كل نظام تكون على نسبة انطباقه على من اريد اجراؤه عليهم والمصلح بكل معاني الاصلاح ولو الواصل الى وضع اصلاح تدعو الحاجة اليه . فكم من عليم بانواع النظـم لا يصلح لغير تقريرها وكم من خبير بحالات قوم بلـغ الى تقرير مصيرها وهو لا يعلم من علم العليم كثيرا فخير للمنظم ان يصل للنظام المفيـد من طريق الاختبار والتجربة اما الترامي على حالات غيرية وارادة التشبه بمن لا يشبهون فابتعاد عن الاصلاح وتيه في مجاهل الضلال

التجاني بن سالم

حول التغييرات الشورية

عدد ٨٤ في ٢٨ جمادى الاولى سنة ١٣٤٠

دون المناطقة في آخر فنهم كتابا قالوا عنه انه باب (السفسطة والمغالطة) وهو القياس الذي يفيد خلاف المطلوب ، وقد اثبتوا هنالك بانه من القضايا الفاسدة الانتاج ، وان الحكمة في وضعه هو اجتناب نتيجة العلم به وتصوره ، ومعرفة وضعه الذي يرفع الستار عن مقاصد المناظر اذا حاول مغالطة صاحبه فلا يقع في حبائل مباهته وترويجاته الى غير ذلك مما ذكروه ودونوه .

ذلك ما اعتذر به اولئك الحكماء عن تدوين قاعدة تنتج غير الحق . وقد علمناه ولكن الى الان لم يظهر عذر السياسيين الاقوياء في اعتمادهم لتلك القاعدة واتخاذها قطبا تدور عليه رحى اعمالهم السياسية مع الضعفاء قولا وفعلا متى طولبوا في مصلحة او استجوبوا في قضية تهم من لنظرهم بحكم الاقدار من الامم الخاضعة لنفوذهم والشعوب المساسة بشرائعهم الوضعية . والعجب انهم فوق ذلك على اعتقاد راسخ في سداد آرائهم والحال ان الحق خلاف ما يفعلون

نعم ان سلوك سياسة السفسطة والتمويه التي هي في عرف الاطباء كالدواء المسكن الذي يعطي لمن هاجت عليه الالام فربما تصلح مع الجمود والسذاجة اغترارا بزركشة الظواهر والاكتفاء بالالقاب والاستغناء بالاسماء عن المسميات وان ذلك يقوم معها مقام الحقيقة لدى الشاعر بمركزه والمستيقض النبيه . اما الامم التي احست بالقهقرة وهالها امر المستقبل عند حمله على الماضي وقياسه عليه فلا ينبغي ان ينتهج بها في مطالبها ذلك السبيل العقيم

وهو الصواب الذي رجع اليه اخيرا الانسانيون من اولئك الساسة وجاهروا بوجوب الجمع بين المسيس والمساس في صعيد المساواة وان يجاهر بوضوح . وبرهنوا جهرة على ان الانتباه للواجب الشعبي والشعور بالحاجة يتسع شرهه مع المراوغة ويضاعف حزمه ونشاطه المطل والتطويل . لذا كان العجب من اولئك الاقوياء بالغا

حدة في جمودهم على تلك السياسة المخوفة العاقبة والعيان يشاهد عليهم هلعا من المبادي الشيوعية وخوفا من انتشارهـا بين مسلوبي الارادة في امرهم من الامـم بسهولة وكيف تستسهل الضعاء اعتناقها بلا نظر في صاوحيتها وبلا بحث في عاقبة امرها (للانتصاف)

والعجب انه لم يرِ عليهم حتى الان ما يوصد الباب في وجه ذلك المرض العضال بين تلك الشعوب ، ضرورة ان مصادرة تلك الفكرة لا تكون بنشرية تقبيح تثبت تضاددها للدين والاسلام او انها تنافي العمران والنظام . لان الدين وضع اللهي مركزه الافئدة والعقول فهو ارفع من ان يختلط باوضاع دنياوية بحتة مثارهـا الارهـاق والتسخير والعبث بحقوق المغلوب ، فان الـذي ينظر اليوم الى الاضطراب الـذي كاد ان يعم الشرق والشقاء المنبعث على ارجائه ، بداهة يدرك ان مثارها عدم انصاف المتسلطين وامتناعهم من التنازل لمطالب الضعيف الحقة ومطلهم ومراوغتهم له في حقوقه كما وقع دهرا طويلا في ارض تفجرت منها ينابيع هاتيك الشرور

لذلك يجب الاصداع بان الدواء الناجع لذلك المرض المعضـل هو انصـاف المحكومين (كرها) العارفين بقيمتهم والمخلصين في اداء واجبهم . بان يسلك بهم جادة واضحة مستقيمة المنهج ومعلـومة المثال .... هذا وقد دعانا لذكر هاته المقـدمة لموضوعنا الذي في عزمنا الكلام عليه هاجس جاش به الصدر وانقـاد له الفكـر وساعدهما اليراع على اثبات ما يدل عليه ، ولعل ذلك لا يكون حاملا لبعض قرائنا على الاملال باعتقادهم ان لا تناسب بين القياس السفسطاء وبين ما تفعله اليوم حكام الامم وساسة الشعوب ، ثم اشرع في اثبـات ملحوظنـا على ما ظهر لذوي الامر اجراءه نحو المطالب التونسية المعروضة عليهم وما صرحوا به حولهـا واكدوه وما ظنوا او زعموا انهم اجابوا عنه كتفريق السلط الذي لا يرتاب عاقل في صلوحية جعله حذو القياس السالف الذكر ، ذاكرا اليوم التغييرات الشورية التي اكـد العميد عزمه فيهـا وكررها اخيرا بالديار الباريسية لرصيفتنا الطان التي هي كالجـواب منه على المجلس التفـاوضي من مطالب الشعب ، فنقـول :

لا يخفى انه قد كان في الحسبان تحقيق وعـد العميد في قلب الهيئة الشورية بعد تصورها وحضوره لجلساتها جزما منا بان حريته تقضي عليه بتقويض ذلك النظام

السفسطاء الذي لا يلائم العدالة ولا الاميال الحاضرة مع رقي الامة التونسية اوانصاف الامة الحامية فما كان منه إلّا اعجابا بهيكل تلك الدار ومتانة اركانها وصلوحيتها للسكنى قابلا مع ادخال زركشة ظاهرية عليها فقط قال ذلك بعد مشاهدته لتكالب الاستشاريين المتغلبين على الادارة في كل مطالبهم واقتراعاتهم واقتراحاتهم وكم كان نصيب الشعب من وقر الضرائب وثقل الاداء وحظهم من الاصلاح في هذا العام فقال عن الجمعية الشورية ما نصه :

ان لاعضاء الجمعية في بعض الاحيان ميلا لاعتبار ماموريتهم زائدة لتقييدها بنصوص القوانين الاساسية الجارية كما انهم يتذمرون من تحجير كل مباحثة عليهم في غير الميزانية . ومن تقديم الميزانية نفسها اليهم في نفس اليوم الذي يفتح دور الجلسات فيه ومن عدم اطلاع الادارة لهم بانتظام على ما تفعله فيما تبديه الجمعية من الاماني والرغائب والاقتراحات ولكن هذه الانتقادات لا تكفي لاثبات عجز الجمعية وقصور يدها وعدم تاثيرها ونفوذها . اذ الجمعية الشورية التونسية قادرة في الحقيقة على القيام باعظم الخدمات بشرط ان تكلف باتباع اساليب المباحثة والعمل التي بدونها يكون احسن المجهودات عقيمة الجدوى فيلزمها ان تتعلم تنسيق المسائل بحسب اصنافها وتلزم نفسها بالانقياد اللازم للموضوع وسرعة المفاوضات ، على ان الجلسات التي ترأستها اخيرا اثبتت لي عدم عجزها عن ذلك اصلا واظن انه يمكنني التصريح باننا قمنا جميعا بعمل حسن ....

اني اتيقن ان الجمعية الشورية قادرة على اكتساب مركز عظيم جدا اي لمركز الذي تستحقه . في ادارة الحماية مع المساعدة القوية على عمران وترقية المملكة ولا ريب انها لا تكون ابدا مجلسا تفاوضيا بل من اين يمكن ان يكون لها ذلك لان المعاهدات التي هي اساس الحماية لا تقتضي لانجاز الاصلاحات الا تعاون سمو الباي والحكومة الفرنسوية ؟ لكن يمكنها بسهولة في حدود خصائصها الشورية ان تتوصل الى ترجيح افكارها وحمل الادارة على مراعاة ارادتها

واذا سئلت بيان ذلك اجيب بان الامر بسيط جدا وذلك بعدم الاقتصار مثلا على مجرد رفض اداء يعرض عليها بدون اقتراح التنقيص او التخفيف الذي يصيره

مقبولا . فاذا نظرت في المسائل بفكرة التساهل والتوفيق بدل ان تبدي فيها آراء مستبدة او متعصبة ولقنت الحكومة كيفيات او مراسيم جديدة فانها تحمل الادارة على التنازل المناسب من جهتها فيأول الامر الى اتفاق النظريتين اللتين كانتا متعارضتين وتصير الجمعية حينئذ مجلسا تفاوضيا في الواقع لان اراءها تصير جزء لا يتجزى من قرارات الحماية وتكون مساعدة على صرف العمل الاداري الى وجهته . وبفضل ذلك تزول هذه الحالة المكدرة التي نشاهد فيها مجلس الحكومة الاعلى مضطرا لالغاء اغلب اراء الجمعية . ولا غرو فقد امكن في هذه السنة اجتناب هذه الحالة المضادة للصواب لان الجمعية اتقنت اعمالها جدا بحيث ان المجلس الاعلى لم يحتج إلّا لتنقيح جزئيات من تلك الاعمال . هذا ما انتجه تعاوني الاول مع الجمعية التونسية من الافكار والملاحظات وهي منشطة ومشجعة كما ترون ولا تظنوا ان مسالة اسلوب المباحثة صرف انظاري عن الاصلاح الحر العظيم المنتظر مني بكمال الاصابة فيما يخص توسيع الخصائص الشورية للجمعية وتغيير طريقة تعيين الاعضاء الاهليين ولكن بداخل الجمعية اميالا مختلفة كثيرة نحو التغييرات المتوقعة بحيث يعسر جدا ترجيح بعضها في الوقت الحاضر ولهذا السبب قررت استدعاءها في شهر مارس لعقد جلسات غير اعتيادية لدرس الاصلاحات المطلوبة خاصة وبهذه الطريقة أتمكن من وضع المشروع الاصلاحي النهائي باتفاق مع الذين يهمهم الامر

لكن يمكنني التصريح لكم من الان فيما يخص طريقة تسمية اعضاء الجمعية الاهلية اني انظر في تعيينهم بمثل الطريقة التي وقع بها انتخاب اعضاء الحجرتين الشوريتين الاهليتين للزراعة والتجارة ولا يكون الانتخاب النهائي للمقيم بل للاهالي انفسهم كما وقع في خصوص تينك الحجرتين » اهـ

ذلك ما صرح به العميد لجريدة معتبرة كثيرة الانتشار والنفوذ ولسان الوزارة الخارجية ذات النظر العام . وإنا قبل ان نشرع في ملحوظنا وبيان غلط العميد في بعض الاعتمادات نعترف سلفا بان نواميس الارتقاءات في البشر توجب السير الهوينة نحو الاصلاح ولكن نتحقق ايضا ان الامثلة الهندسية التي تتخذ لاسنان النظامات او لاقامة الهياكل يجب ان تكون على علم فني لها و محكمة التخطيط . لانها هي الرائد

والعنوان على المثال في انهاء الاعمال ، لذلك كان تصريح العميد في دائرة الانتخاب القابل اعتماد مثال الحجرتين التجارية والفلاحية واتخاذه لها قدوة في اعماله القابلة واكثاره من الاشارة اليه في كل خطاب باعثا قويا على البحث معه والاصداع بان المثال يجب ان يكون غير ناقص في اصله وإلّا كان بمثابة عليل اظيف الى مثله وحينئذ فالنتيجة اما بقاء في المركز او يكون الترقي انحطاطا والسير خطوات الى الوراء ....

عدد ٨٥ في ١١ جمادى الثاني سنة ١٣٤٠

٢

قد اصبح من المسنون سياسيا لدى قادة الافكار تتبع اقوال ذوي الحكم والنفوذ في الامم وبيان تصريحات من اجلسه الدهر على عرش التصرف فيهم وفهم المراد منها واناطة الاعمال بها وتعليق الامال عليها وشرحها ان كانت غامضة وتقريب المفهوم منها للاذهان القاصرة ورد ما يشوبه الغلط او تحفه السفسطة الى معقول مسلم النتيجة حتى لا تتوسع دائرة الاماني بخلابة الاقوال وطلاوة الوعود .....

لذلك ترى ارباب الاقلام القادرة في كل قطر تسابق الى بيان مافوظ ساسته ووزرائه في اي ما شان له ارتباط بمصالح العموم تسابقا يلحق نشاطهم بشراح مذاهب المجتهدين ونكتة فهومهم الغامضة انزالا لهؤلاء الساسة منزلة الفلاسفة العقليين في اقوالهم لوجه جامع بينهم احيانا وهو الغموض . وعملا بذلك الواجب قد سار مرشد الامة في سائر ابحاثه التي مرت بانظار قرائه انفا وكانت من ذلك القبيل

فمن ذلك ما اسلفه في سالف هذا المقال مما يشعر بان التصريحات السفيرية عن الاصلاحات المراد اجراؤها بالجمعية الشورية اذا حملت على مدلولها اللفظي احدثت ضيقا في دائرة الامال واياسا في النفوس . ضرورة ان (الابدية) المصرح بها هنالك مقلقة جدا وذاهبة بمرغوب الامة ومدحضة لامانيها القابلة واعني بذلك قوله (ان الجمعية الشورية لا تكون ابدا مجلسا تفاوضيا) استنادا على التعهد الاصلي في حصر الاصلاح الممكن اجراؤه والنظر فيه بين سمو الامير ورجال الحماية فقط

وانت خبير بانه على تسليم صحة مفهوم ذلك العهد فلا مبرر له في التأبيد اصلا لانه اولا لم يكن منزلا سماويا حتى يستمر مع الزمان تقديسا واحتراما . ثانيا قد رأينا العهود الوضعية تتجدد بحسب مقتضيات الاحوال والشهوات . بل حتى في نفس ذلك العهد اي عهد الحماية فلم يبق منه جاريا إلّا بعض البنود فقط . . .

وان أعظم مستند لذلك النسخ او التنقيح التي تتذرع به الامم القاهرة للاستيلاء والفتح هو لغاية ارتقاء الامم وتحرير الشعوب . او بعلل اخرى كنشر المدنية والنهوض الاقتصادي وازاحة الاستعباد على العباد . . . الى غير ذلك من الجمل العذبة التي حصل بموجبها قلب في خريطة الارض وامم قسمت بين الاقوياء بحجة نشر الرفاهية واسعاد بني الانسان . . . .

ذلك بوجه عام واما بالنظر الى خاصتنا فاننا نشاهد اوامر تنقح واخرى تلغى وبعضها تستصدر لصالح الادارة ورغائبها بسند مقدس في نظر الحكومة الا وهو قولهم (لمصلحة الاستعمار) . فبهاته الكلمة استنزلت الفتاوي بالاحباس العامة التي نصها كنص الشارع فعوضت برباع وقصور سخر بعضها وخص نفعها باخرين بعد ان كان الحبس ارضا ومرتزقا لجانب من الامة عظيم

فاي مانع يا ترى اذا سلكت المراجع العالية مع الامة فاحدث حذو تلك الكلمة ما يرادفها في جانب التونسي اعني (لمصلحة الوطنيين) او مرعاة لنهوض الشعب او لاخلاصه وقيامه بعمل جسيم غير مفروض عليه او لتحقيق مبدا المساواة الذي هو من اصول الجمهوريين الثلاث . فلا نسمع بعد مصادمة في مرغوب يتحتم ايجاده بقيود سنت قديما وربما لا يوجد لها مبررا حتى في هاتيك الظروف

على ان ذلك القول لا يحمل على التدرج الطبيعي في الاصلاح لان التأييد قيد مزعج ولا يحمد صدوره من خطير استوثقه الشعب التونسي دراية وبعد نظر ورسوخ عزيمة . وعاق عليه نجاحا فيما يجد لنيله ويقيم على الجدارة بالحصول عليه الف دليل . بل لو كان بدل التايد مثلا كانت غاية لا اولت الغاية منه بما يهون على النفوس سد الباب ولم يكن له من ثقل في الاسماع . . .

فالشعب التونسي لا خصم له في الحقيقة إلّا الاطلاق الاداري الذي برهن له

في بحر الاربعين ربيعا انه منحازا برغبة منه الى تايبد حزب الاستثار وانه تحت تاثيراته .
فاذا لم يجعل بين الادارة وبينه عهدا يعرف الشعب به حقوقه وتقف الادارة عند احترامه
فلا مخلص من مصائب هي من لوازم الاطلاق على الدوام بل دل عليها كدر شاهده
العيان . هذا وقد قال العميد انه يعجب من اعضاء الشوري كيف يرى احيانا عليهم
كللا واعتبار ان مأموريتهم زائدة بتلك القيود الاساسية وتذمرهم من تحجير كل
مباحثة عليهم في غير الميزانية الخ ما قاله ثم ضرب مثلا اراه اشبه بحال من يرى
لامعا امامه وانه بقدر ما يقرب منه يبعد عنه وينتقل . وهو قوله (اذا نظرت الجمعية في
المسائل بفكرة التساهل والتوفيق ولفتت الحكومة الى ايجاد الموارد الجديدة واودية
الترسيم وذلك بدون انحياز الى اراء متعصبة او مستبدة فلا يسع الادارة عند ذلك
إلّا التنازل المناسب من جهتها فيأول الامر الى اتفاق النظريتين فتصير الجمعية مجلسا
تفاوضيا في الواقع . . . . . وبفضل ذلك تزول تلك الحالة المكدرة التي تشاهد من
طرف المجلس الاعلى في اضطراره احيانا الى الغاء اغلب اراء الجمعية)

ذلك هو المثال الذي يحقق صدق الوصف الذي اشرنا اليه انفاء ضرورة ان
التنازل المتوقع من الادارة بشرط ايجاد التسامح معها والارشاد الى بغيتها هو اختياري
محض في جانبها . وعليه فالتقارب المشار له واتفاق النظريتين يكون مشكوكا فيه
على الدوام . نظرا لشغف الادارة باطلاقها ونفورها من المناقشة وانها دوما تريد
تأييد ما تبتكره من موارد الاستنزاف والصرف بلا حساب . وعليه فهو مثال لا
يخلو من تكلف ولا ينتج المقصود بحال كما يتبادر منه بلا كبير امعان

هذا والذي يقال حول ذلك التذمر من احرار النواب وتبهاتهم انما هو محبهم لنظام
شوروي ولكنه لا ينطبق على معقول . والذي اساغ قسمة الشورى الى قسمين والمبحث
واحد جباية وصرفا . وان احد القسمين ينتخب بطريقة حرة تقرب من الاولية والاخر
مختار براي الادارة وثقل القابه محمولة على الشعب . والاول يمثل جالية مع رجحانه
في العدد والثاني نائب عن شعب باكمله مع تلك القيود . وفوق ذلك فان وراء
قراراته مجلسا ثلاثة ارباعه من اعضاء الادارة . وعلى الجميع في العظائم كالسلفات
والقروض مرجع هو برلمان عادل ولكنه لا يشعر بآلامنا وانما الادارة وحدها
الواسطة في الابتكار وطلب التايبد . . . .

ذلك هو النظام الذي يتذمر منه ولا يمكن للشورى ان تصلح معه وان تكون في يوم ما قادرة على القيام باعمال نافعة كما ظن العميد وبالاحرى في جانب الوطنيين مهما تفلسفت الحكومة في تنقيح وتغيير واصلاح من ظاهر فقط

وعليه فانهاء ذلك الكشكول الشوروي امر حتمي وضروري الاسراع به وانه لا يكون بغير القضاء عليه وابداله بما يحسب تقدما . لان الحكومة اصبحت في حاجة لاكتساب رضاء الشعب الذي هو المورد لخزائنها الوحيد والذي قد شاهدت منه صبرا وتحملا وتلبية في الطاب . فلا يحسن والحالة تلك ان تكون في نظره على غضب مستمر سيما وقد اشتد استياءه من شورى هذا العام الذي رجع منها القسم الاهلي لاهله بوفرة المصائب والزيادة في الضرائب التي جلها يستنزف لتسديد عجز صرف في نفع غير الوطنيين . وصفوة القول ان الشورى بهذا النظام وعلى تلك القيود والاساسات كعليل منهوك القوى لا نفع فيها للتونسي اصلا ولذلك فان زعماء الجالية الاستعمارية تلح في بقائها علما منهم وان الادارة وراء ظهورهم وان الاطلاق فيها قد سخر لهم امة لتحميل الضرائب وارضا للثراء والغناء . فهم بذلك لا يبغون بها بديلا شان من تعمق في الالتذاذ بالاستئثار ولا ينظر إلّا في مواضع قدمه ولا يحسب للتاريخ حسابا . وبناء على ما تقدم فان الذي يحاوله العميد في صيرورة الجمعية الشورية قادرة على الاتيان بالفوائد بموجب ما اشار اليه من الاصلاح المنتظر منه في توسيع الخصائص الشورية وتغيير طريقة تعيين الاعضاء الوطنيين فغير موصل للمقصود ما دامت القيود الاساسية على منوالها والنظام هو هو كما اسلفنا

والعجب من التوقف السفيري ومن شدة التحرز واخذ الاحتياطات في الاصلاح التي تنافي اصالة الراي وقوة الارادة وبعد النظر الذي يتوسم في العميد

وإلّا يارعاك الله اي ضرر على الحكومة في تجديد نظام يحتم جمع اعضاء القسمين في مجال واحد وفي تساو من الاراء وعلى اسلوب واحد في الانتخاب . للنظر والمفاوضة في صالح مشترك وهو الاستفادة من رقي البلاد . والحال انه ادعى للتقارب المطلوب بدل الانقسام الذي عظم به النفور حتى تبين منه كانما بين المصالح تضادد قوي مع انانية وترفع عن الامتزاج في تبادل الاراء وشفوف لم يكن منهم في هضاب فردان . . .

احتجاج الحزب الحر

الدستوري على التنقيح الجديد في قانون المطبوعات

من القضايا المسلمة احتياج الامم العصرية الى الصحافة والمطبوعات احتياجا كليا لا يوازي سوى احتياج هذه لحرية واسعة مكفولة بقوانين عادلة مرعية حتى اذا توفر منهما نصيب امة انتشر فيها التمدن وشملها الاصلاح

من ينكر تاثير المطبوعات وحرية الكتابة والنشر في ترقية الامم وتطوير العقول وتهذيب الافكار وشواهد ذلك كثيرة منتشرة في كل مكان حتى في بلادنا العزيزة مع حداثة عهدها بدولة الاقلام .

من ازال الجفاء الموروث بعد ان اتصلت حلقاته وقطع الحزازات الناشئة بين عناصر السكان وعوضها بالوفاق والوئام ؟

من انتصب لاقناع التونسيين وحملهم على الاقلاع عن القيام بحق الاختصاص بحقوق الوطنية وهي طبيعة لهم تؤيدهم فيها الشرائع والمعاهدات وجعلهم يعترفون من تلقاء انفسهم بقواعد المساواة التامة مع الاقليات . اليست هي الصحافة ؟

لا يرتاب احد ذو بصيرة في نتائج التطور الاجتماعي الذي نشاهد سيره باعجاب في المملكة التونسية هو اثر طبيعي للخدمات الفائقة التي قامت بها تلك الصحافة بحكمة وتجرد . فهي التي ذللت المصاعب المختلفة وكانت عثرة في سبيل الوفاق وجعلت اكثرية السكان ميالين لتطبيق مبدا المساواة بين الاجناس بحيث لو خيروهم لما تنكبوا عن اختيار النظام البعيد عن منازع الاثرة والانانية وحب الذات .

تلكم هي خطة الصحافة العربية المثلى التي ادتها لهذه البلاد بشرف لتحقيق امنية ورغائب السواد . وهي اسمى غاية يهيم باستثمارها المصلحون الاجتماعيون لكنها لم تنضج إلّا في بلادنا وما الفضل في ذلك بعائد لاحد غير براعة وسلامة مقاصد صحافيين القديرين . غير انه كما يوجد لكل فكرة انصار يوجد لها خاذلون .

فقد منين بصحافة ارتجاعية فرنسوية وديدنها التحريض على الانقسام وحل عرى وحدة الساكنين والتضليل والتغرير واثارة الاحقاد الجنسية والتحريش بالتونسيين وتشجيع الحكومة على معاكستهم ومقاومة طلاب الاصلاح

ولم يكن في الحسبان انخداع الحكومة لهذا الرهط الذي يحاول ايقاع البلاد في هوة الانقسام وتدعوا السكان في مصارع الهلاك لولا عثورنا على الامر الصادر اخيرا بتنقيح قانون المطبوعات. فقد ضربت الصحافة الوطنية على ام راسها ضربات قاسية جداوسلبها حضها المنقوص من الحرية الضيقة التي تكرم بها علينا قانون المطبوعات الصادر سنة ١٨٨٤ مع ان اصوات الامة بحت من المطالبة بفك القيود والاغلال الواردة فيه. لو قصد مشرعوا هذا التنقيح كم افواه الصحافة الارتجاعية الفرنسوية ومنعها من اثارة الفتن النائمة والتطاول على التونسيين لكان لها عند غيرنا بعض العذر اما نحن فلا نسمح لانفسنا بتبرير هذا الصنيع لما فيه من المصادرة لحرية الافكار والاقلام وذلك لان العدالة الحقة (وهي عنصر الحرية) لا ترى فرقا بين اصوات الناقمين وهتاف الداعين ولا تكيل للناس بمكيالين ولا تزن لهم بميزانين

كيفما كان قصد المشرع من التنقيح فما هو إلّا معول جديد اتخذ لتقويض هيكل الحرية المقدسة المفداة بالارواح

وفوق ذلك فنحن لنا تقاليد عالية تابى علينا ان نقر الحكومة على اثبات ما يمس جوهر الحرية الكريم احرى اذا كانت الغاية منه هدم كيان الصحافة الوطنية وزلزال افكار الوطنيين وهي كل ما بيد الامة التونسية من طول وحول لمكافحة العادين عليها. اجل فقد باغتتنا الحكومة بهذا التنقيح الغريب في الساعة السعيدة التي كنا ننتظر فيها انجاز الرغائب والوعود الصريحة التي طالما كررها جناب العميد بتوسيع حريات التونسيين ورفع الضيم عنهم وجعلهم يتمتعون في وطنهم بالحقوق التي يتمتع بها فيه قبلهم تبعة الدول الاجنبية.

يقولون ان الحكومة لم ترد بالتنقيح الجديدة زيادة التضييق في الحرية المقيدة المخولة للصحافة الوطنية بل مرادها مطاردة الحركة الشيوعية المنتشرة في البلاد وهو قول غير وجيه. لانهم جعلوا القيد خاصا بالجرائد الوطنية دون الاجنبية كما هو

صريح الامر والشيوعية نشرها ممكن بواسطة المطبوعات الاجنبية والفرنسوية دون توقف على المطبوعات العربية . وفي هذه الحالة تكون الشيوعية غير معطلة السير ولا يطاولها التنقيح الجديد كما يطاول الصحافة الوطنية وحينئذ فالنتيجة المنطقية هي تكبيل الوطنيين بزيادة القيود والمرهقات وجعل جرائدهم قيد اوابد القانون الضاغط تحت ستار مقاومة الفكرة الشيوعية

وسواء قصد مشرع القانون هذه النتيجة السيئة او لم يقصدها فالمشروع في ذاته كاف لتعطيل النهضة الصحافية ومصادمة الافكار . وصيرورة جرائدنا برمتها في قبضة الحكومة الحديدية . فامر سنة ١٨٩٣ يخولها مشيئة قفل الجرائد الموجودة في كل آن . والتنقيح الجديد يخولها الحق في عدم اعطاء الرخص لاصدار جرائد جديدة وبمقاومة الوجهين يمكن الاستنتاج بان الحكومة تنوي الحاق امتيازات الجرائد بالوظائف الحرة التي احتكرتها حتى تعامل الصحافيين في المستقبل معاملة الموظفين واذا صح ذلك فلا يسع التونسي سوى ان يقول سلام على الصحافة وسلام على حرية الافكار . لا نبعد في التكهن عن مقاصد الحكومة اذ يكفي ان نقول ان ظهور هذا التنقيح في الاونة الحاضرة قياسا على ما سلفه من الاوامر الصادرة من هذا القبيل جعله عرضة للريب والشكوك فقد تعودنا من الحكومة انها كلما وقعت في مازق حرج يقضي عليها بالابتعاد عن سياسة الغموض تلجأ الى سلوك سياسة الارهاب والضغط على افكار التونسيين والتضييق على الصحافة الوطنية وبمراجعة تواريخ الاوامر العلية الصادرة بشان تنظيم هذه الخدمة الصحافية ومقابلتها ببعضها مع معرفة الاسباب والحوادث التي توكأت عليها يظهر لنا جليا السر الخفي في صدور التنقيح الجديد

لذلك يخلق بنا ان نلم بها مع اسبابها في هذه العجالة وهي تكون ابلغ شرح صامت للحالة واصح نموذج لاعمال الحكومة التونسية في تشريع القوانين حتى يفقه الذين ينتحلون لانفسهم صبغة الاعتدال والاضرار التي الجأت الشعب التونسي الى المطالبة بالضمانات الدستورية العادلة .

امر ١٤ اكتوبر سنة ١٨٨٤

لم يكن قبل الاحتلال للحكومة التونسية قانون للمطبوعات بل كانت قيد

الاطلاق . وبعد ظهور الاحتلال بثلاث سنين اصدرت الحكومة امرين عليين بتاريخ واحد الاول لترتيب خدمة المكاتبات والمطبوعات وقد شرع لغرض شريف وهو امتاع التونسيين بالحرية المتمناة في دائرة القانون

وهو ولئن كان غير مقنع لاشتماله على كثير من القيود والاحتمالات فانه والحق يقال اوجد في المملكة اصلاحا جديدا مرغوبا فيه كانت في ظمإ شديد اليه . ومما جاء في فاتحته بيانا للمقصد الذي شرع له قول سمو الامير المنعم : « اقتضى نظرنا ان نمنح الحرية للمطابع والمكاتبات وان نسمح بنشر الجرائد والصحف الدورية بجميع اللغات غير مشترط في نشرها صدور اذن مخصوص او اطلاع الحكومة على ما يكتب فيها قبل طبعه »

والثاني خاص بتطبيق احكام قانون المطبوعات الفرنسوي على الصحافة والمطابع التونسية . كان القياس العقلي يقتضي اضطرار التوسع في الحرية وتطوير هذا القانون بتطور الامة وترقيته بترقيها حتى يكون في سائر الطوارء مساويا لدرجتها في التفكير والمعارف ولكن هنا وقع الخلف وانعكست القضية فكلما ازدادت الامة رقيا في المدارك وعلما بالامور وبصيرة بالاحوال ازداد هذا القانون ضيقا وقيودا وتنكرا لها واختلفت القياسات والاستنتاجات

امر ٦ مارس سنة ١٨٩٣

ففي هذه السنة انشا مسيو قوقي صحيفة عربية تصدر مرتين في الاسبوع تحت اسم « المنتظر للدفاع عن مصالح التونسيين وانتقاد الحكومة بلهجة حرة معتدلة فابطلتها بعد ان صدر منها ١٨ عددا وبهذه المناسبة اصدرت امرا عليا في التضييق على الصحافة يخول الوزير الاكبر اصدار قرارات لمنع رواج الجرائد سواء الواردة من البلاد الخارجية او الصادرة في تونس وقيدت الجرائد الصادرة في الداخل بالعربية والعبرانية . وقد اشتمل هذا الامر على انواع العقوبات التي يرتكبها المخالفون لنصوص هذه القرارات وهي نوعان مالية وبدنية فالعقوبة المالية من فرنكات ١٦ الى ١٠٠٠ والبدنية تطبق عند تكرار المخالفة بالسجن من ايام ١٦ الى ثلاثة اشهر (انظر الفصل الرابع من الامر) . وقد كانت احكام هذا الامر

ناسخة لاحكام الفصل ١٤ من امر اكتوبر سنة ١٨٨٤ الحالي عن العقوبات البدنية والشطط في تقدير العقوبات المالية حيث جعل اقصاها ١٠٠ فرنك ومفهوم ان مقصد واضع هذا القانون هو تشديد الضغط على الافكار وزيادة التضييق في حرية الصحافة

امر ٢ جانفي ١٨٩٧

في ديسامبر سنة ١٨٩٦ حدث خلاف بين عقيلتين فرنسويتين احداهما زوج الكوماندان سير فونبي الملحق البحري في السفارة الفرنسوية والاخرى حليلة مسيو مابي الموظف بالحكومة التونسية افضى الى مبارزة الزوجين وقتل الكوماندان وقد كانت هذه الواقعة شغلا شاغلا لبعض الصحف الفرنسوية نظرا لما لها من الصلة ببعض الاسرار العائلية والاحتكاك بالمقيم الاسبق مسيو ميلي فكان الجزاء الرهيب نزول قارعة الضمان على عموم الصحافة فغلقت كافة الصحف الوطنية إلا الحاضرة لسان الكتابة العامة وقتئذ . فكمت الافواه وخرست الالسن وجفت المحابر وانكسرت الاقلام واظلم جو البلاد التونسية واستمر ذلك الى ان اسندت مقاليد السفارة الفرنسوية بتونس الى الوزير الخطير مسيو بيشون

امر سنة ١٩٠٤

في ربيع هذه السنة انطلقت البشائر وعمت الافراح ارجاء البلاد التونسية برفع الضمان المرهق عن عاتق الجرائد التونسية وشوهدت الامة تنشط من عقال سباتة الى النهوض تحدث نفسها بعود عصر الشباب النظير وازدهار روض آمالها الماثل وظهرت فيها جرائد كثيرة ونبغ من بينها كتاب مجيدون لا يشق لهم غبار ولا يدركون في مضمار على جانب من الفطنة ودقة التمييز واصالة الراي وغير ذلك من الخصال الدالة على كمون قوة الامة في أفرادها وان الزوبعة التي مرت فوق راسها لم تنل منها بل زادتها قوة وثباتا وتبصرا بالامور وتفقها في الواجبات

امر ١٥ جويلية ١٩١٠

كتب مسيو رويسيت في النسخة العربية من مجلته التي يصدرها تحت اسم « الاسبوع » فصلا ماسا بكرامة سمو الامير فكان ذلك سببا تذرعت به الحكومة لا نزال كارثة جديدة بالصحافة التونسية

كان من العدل ان يحسب افتيات هذا الكاتب الافرنسي على مقام الامير اعتداء ذاتيا يحال به على المحاكم فيقاصص منه عما جنته يداه ولكن السياسة التي لا قلب لها لعبت دورها المحزن في هذه المسالة وانتهزتها فرصة ثمينة لاتحاف الصحافة الوطنية بغل جديد في القانون . وفعلا فقد اصدرت في هذه السنة امرا عليا سلبت به اغلى موهبة تضمنها قانون ١٨٨٤ وهي التي ذكرناها وعوضتها بالنص الاتي : « على اصحاب المطابع عرض المولفات والعدد الاول من كل جريدة جديد على المحافظة قبل نشرها باربع وعشرين ساعة »

وبذلك صارت الطباعة غير حرة وتحت مراقبة الحكومة وحينئذ فلا فائدة من استمرار العمل مع العقوبات المنصوص عليها في الفصل الرابع من امر سنة ١٨٩٣ فالغيت بها الامر بتاتا

امر ٨ نوفمبر سنة ١٩١١

في يوم ٧ نوفمبر وقع حادث بسيط بالجلاز بسبب سوء تصرف الحكومة واصرارها على تسجيل المقبرة الاسلامية باسم البلدية قتل فيها نفر من البوليس الفرنساوي وجرح آخر واطلق فيها الجيش قنابله على المتجمهرين من التونسيين واستشهد فيها الكثيرون وقد ذهبت دماؤهم هدرا . فارادت الحكومة اكبارها والصاق تبعة مسئولية حدوثها بالتونسيين كي تتخلص بذلك من مسئولية ضعف التدبير ونسبت وقوعها الى تحرش الامة واتهمت الصحافة العربية بالتحريض عليه . فاصدرت الاوامر باعلان الاحكام العرفية وقفل الجرائد الوطنية عدى الزهرة

وفي فيفريي سنة ١٩٢٠ الغي المنع وعادت الجرائد للظهور بعد الاحتجاج الطويل

ويلوح من هذه الفذلكة التاريخية في تشريع قوانين الصحافة ان حركة الاستمرار في التضييق وخنق الحرية اخذان في النمو والازدياد من سنة ١٨٨٤ الى سنة ١٩١٢ . ولذلك لا نتعجب من وضع الاغلال والقيود الثقيلة في التنقيح الجديد الصادر في جانفي سنة ١٩٢٢

فقد تضمن نسخ الفصلين ٨ - ٩ - من قانون سنة ١٨٨٤ - واليك نص ٨ - المنسوخ « التعريف يكون كتابة ويوقع عليه المدير فيعطى به وصلا » الفصل الناسخ

« الاعلامات تقع كتابة وتكون ممضاة من اصحاب الامتيازات ويسلم بها وصلا في اجل لا يتجاوز ثمانية ايام . لكن هذا الاجل لا ينسحب على الجرائد والنشريات الدورية المحررة لها او بعضها باللغة العربية والعبرية، لان تسليم الوصل فيها يمكن ان يؤجل بحسب الظروف . ومن لم يقم بالنشر من اصحاب الجرائد الدورية المحررة كلها او بعضها باللغة العربية او العبرية في ظرف ثلاثة شهور من تاريخ استلام الوصل على حسب شروط النشر الدوري المعين في اعلامهم يقع الزامهم بتجديد الاعلام والتحصيل على وصل جديد »

والذي يتبين من مقابلة الفصلين ان القديم لا يوجب على الصحافي مهما كانت جنسيته سوى تقديم الاعلام واستلام وصل به ولو من طرف البريد . والفصل الجديد ساب حرية اصدار الجرائد بمجرد الاعلام على الكافة لكنه ضرب للاجانب اجلا في اخذ الوصل اقصاه ثمانية ايام . وجعل الوطني رهين الظروف وهي في حيز المنع . وهذه الفقرة صريحة في اعتراف المشروع ان للاجنبي حقا على الحكومة في الحصول على الرخصة واما الوطني فحظه انتظار اليوم الذي يمكن ان تواليه فيه الظروف ! ! !

واشد من الحرمان المتوقع نزوله بطلاب الرخص السلب الذي يحيق بمحرزيها فان الفقرة الاخيرة من الفصل قاضية بساب الرخصة من اصحاب الجرائد الوطنية الذين يتاخرون عن اصدارها في ظرف ثلاثة شهور من تاريخ استلام الوصل . وهو اشبه ما يكون بالعزل . لكن الشان في العزل لا يقع إلّا عن جريرة فاين الجريرة هنا ؟ . الفصل التاسع المنسوخ . يتضمن العقاب على المخالفات المقررة بالفصول - ٦ - ٧ - ٨ من قانون سنة ١٨٨٢ والفصل الناسخ عوضه باحياء الفصل الرابع من امر سنة ١٨٩٣ الذي الغي وقبر بامر سنة ١٩١٠ - والتاريخ كما قيل يعيد نفسه . . . . ومفاد التنقيح من هذا الفصل ان المشرع حرر الصحف الاجنبية بنسخ الفصل القديم من القانون ولم يجعل التنقيح شاملا لهم في النص الجديد بل جعله قيدا خاصا بالجرائد العربية والعبرية

فانت ترى ان المشترعين في المملكة التونسية بدل ان يسائروا رقي الشعب

وتطوره في ميادين الحياة يسعون جهدهم في التضييق عليه ، وفي الوقت ذاته يتوسعون في منح الحريات الفرنسيين والجاليات الاروبية ، وهذا من افدح غوائل التشريع ، وهو في راينا من اهم الاسباب في التذمر والاستياء اللذين يجاهر بهما الشعب التونسي اليوم . ان مجازفة الحكومة واقدامها على التلاعب بالتشريع والتمادي في سلب الحريات يدلنا دلالة قطعية على انها لا تشعر بالنهضة الحالية التي بلغ اليها الشعب لذا نراها تحاول بلا تبصر الاستمرار على معاملته بالعسف والقهر الامر الذي كان سببا في يقظته وانتباهه

على ان الحكومة كانت في غناء تام عن هذا التنقيح لو كانت لا تنوي غير الدفاع عن كيانها امام الهجمات الشيوعية نظرا لما لديها من التحوطات القانونية التي اوجدتها بامري سنة ١٨٩٣ ـ وسنة ١٩١٠ ـ القاضيين بتعطيل الصحف بالقرارات الوزيرية ، واطلاع الحكومة على المطبوعات قبل النشر بـ ٢٤ ساعة

لكن لما كانت غاية الحكومة فوق مناهضة الشيوعية فقد اتخذتها فرصة ثمينة لسلب البقية الباقية من حرية الصحافة الوطنية بالتنقيح الجديد

لذلك فان الحزب الحر الدستوري وبالتالي الشعب التونسي باسره يحتجان بكل قواهما على هذا الصنيع المرهق ، ويلتمسان من الحكومة بالحاح الغاء التنقيح وكذا الاوامر الاستثنائية المتعلقة بالصحافة المنافية للحرية التي تتمتع بها كافة الشعوب

انه لا يحسن بالحكومة ان تعمد في الظروف الحالية الى سلوك خطة ممقوتة في نظر القرون الوسطى التي كان يستباح فيها ارتكاب شيء فكيف يسوغ الاقدام عليها في هذا العصر الذي يسمونه عصر العلم والنور

الحزب

الاسلام والشيوعية (١)

في جريدة المنبر الغراء مقالة دبجها يراع احد الكتاب المتدينين سالك في تحريرها طريقا عجيبا ، ونهج منهجا غريبا ، واطلق لقلمه العنان ، وجال في كل ميدان ، فمرة ينتقد على الكتاب ، وءاونة يناقش اهل الكتاب ، وطورا الحكومة والحكام ، واخرى ارباب الصحف والعلماء الاعلام .

وبالاطلاع على ما فيها ، وفحصنا عيونها ومئاقيها ، وجدناها مقالة جامعة ، والذي يظهر من غرض كلام الكاتب انه يخاف على المسلمين من العمل بخلاف قواعد دينهم ، لذلك قام بينهم واعظا ، وابدا لهم تلك النصائح الجمة ، والفوائد المهمه ، غير ان المواضيع اختلطت حتى فات المقصود ، فارتبك القلم بما جعل الناظر في حيرة ، لا يفهم ما قصد الكاتب تحقيقه ، ولا المنهج الذي اراد سلوكه .

ان الكاتب ندد على العلماء والادباء والكتاب ، بطريق غير ملائم للاذواق ، ولا يشهد لصاحبه بسلوك طريق الصواب ، اذ هو يدعو الناس للمعاضدة ، لا للتفرق والمعانده ، على انه بصدد تحقيق مقال ، وبيان واقعة حال ، ويريد اصلاح ما فسد ولا يكون ذلك برمي الفضلاء بسهام مسمومة حتى يقال

كلام النبيين الهداة كلامنا ❊ وافعال اهل الجاهلية نفعل

ان العالم في نظر الشريعة الاسلامية ليس إلّا الرجل العارف بالامور على حقائقها وفق ما جاء به الرسول الكريم عليه افضل الصلوات وازكى التسليم لهذا فهو لا يتقيد بمن عنده شهادة العالمية بل قال العلماء انه لا يختص الامر بالمعروف والنهي عن المنكر باصحاب الولايات بل ذلك ثابت لاحاد من المسلمين وواجب

(١) كتب كاتب اثر انتشار الفكرة الشيوعية في البلاد التونسية مقالا ضد سكوت علماء الدين عن مقاومتها وصد تيارها الجارف خوفا من سريانها واعتناق مباديها المفسدة للنظام ولاصول العمران البشري والدين ، فاجابه احد العلماء بهذا الفصل الجامع لفوائد اوجبت اثباته واختياره

عليهم ، فانتم في هذا في مقدمة الملومين خصوصا وقد ذكرتم انكم اطلعتم على عدة امور ترون من الواجب الخوض فيها وتنبيه العامة الى اجتنابها ، فينبغي لكم ان تقتصروا على ما انتم بصدده لانكم ان عبتم احدا بما فيه كان قبيحا ، واقبح منه ان تعيبوه بما فيكم ، ان الامة الاسلامية اتفقت جمعاء على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا خلاف من احد لقوله تعلى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر بل صرح حذاق اهل العلم بانه ليس من شرط الناهي ان يكون سليما من المعصية بل ينهي العصاة بعضهم بعضا لان قوله تعلى « كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه » يقضي اشتراكهم في الفعل وذمهم عن ترك التناهي

وبعد اتفاق العلماء في ذلك اختلفوا في كيفيته فذهب البعض الى ان الغرض من ذلك انما هو بالقلب فقط او باللسان ان قدر على ذلك ولا يكون باليد وغيرها مما يوذي الناس ، وهو مذهب جماعة من قدماء الصحابة رضي الله عنهم كسعد ابن ابي وقاص واسامة بن زيد وغيرهما ، وذهب الاخرون الى ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون بالقلب واللسان بل ربما كان الانسان مطالبا بتجاوزهما اذا لم يكن التغيير إلّا بذلك وكان يرجح النجاح وهو مذهب عبد الله ابن الزبير والحسن ابن علي رضي الله عنهم وجماعة من الصحابة والتابعين

وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم من راى منكم منكرا فليغيره بيده ان استطاع فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان ، اي ليس وراء ذلك من الايمان شيء

ولا شك ان هذه المراتب الثلاث تختلف باختلاف الزمان والمكان والمخاطبين لهذا فان يكون مضطرا في بعض الاحيان الى تغيير المنكر على حسب ما يقتضيه الحال

فاذا فعل ذلك فقد قام بالواجب المفروض والشريعة قد اوكلت هذا الامر لاجتهاده فهو يختار ما فيه المصلحة لنفسه واخوانه ولا يعترض عليه بدعوى انه اغفل القيام بما فرضه الله عليه حيث لم يعمل بمقتضى فكرة غيره وراى فيه سدادا وصلاحا فكل انسان حر في اعماله بشرط ان يكون عمله مبنيا على قاعدة شرعية معتبرة

فسكوت العلماء فيما ظهر لكم لا يكون قاضيا بخدشهم او استنقاصهم ،

ولا يكونون مطالبين باحداث لجب وخلاف وبما كان الضر فيه اكثر من النفع

على ان العالم اذا اراد الخوض في موضوع فالواجب عليه ان يحيط به خبرا مخافة ان يقع في غلطة او يكبو قلمه كبوة فيوقع الناس في حيرة وارتباك فزلته غير مقصورة على ذاته اذ هو مسئول امام الله ولا شك انه لا يسلم العاقل إلّا بالاناءة ولا يزال صاحب العجلة يجتني منها ثمرة الندامة وضعف الراي . وليس احد احوج الى التؤدة والتثبت من العلماء لانهم قادة الامة وواسطة عقد الاصلاح وترقية الافكار والمدارك . انكم نسبتم لهم عدم قيامهم بواجبهم ولا ارى من اين حصل لكم العلم بذلك فهل تريدون اذا ارادوا العمل بما فرضه الله ان يستشيروك او يعلموك بما وقع ان الشارع لم يكلفهم بذلك او ترون ءاثارهم لا تظهر إلّا اذا اعلنوا ذلك على طريق الجرائد التي يظهر انكم غير راضين عن اربابها ايضا مع ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كان قبل وجود الصحف وظهورها في عالم الوجود

ان الكاتب ينتقد المبادي البلشفيكية وما نشرته في جرائدها لمخالفته الدين غير انه ثلب عرض بعض العلماء بالاشارة اليه وغفل عن تنبيهها او تنبيه نفسه الى ان الدين الاسلامي لا يجيز التصوير والتمثيل كما ان جميع المسلمين لا يروق لهم ان يشاهدوا منظرا فيه احد كبرائهم تحيط به هالة تمثل علماءهم ويعدون ذلك لهم من اعظم الامتهان . انكم حبرتم على انكم تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فكان من الواجب ان يكون كلامكم مقبولا شرعا لا يخرج عن حد اللياقة والاعتدال لتكونوا مثالا يقتدى بكم في الفضائل والكمالات

بيد انكم برهنتم بذلك المقال على استخفافكم باناس لا يستحقون ذلك بل صرحتم بنسبتكم لهم الى الاحاد والكفر بما انزل الله لانهم لا يقفون عند الحدود التي حدها لهم الشارع . وزعمتم انهم ياتمرون بامر الكاتب العام وينتهون عما انهاهم عنه . قل لي بعيشكم اي دخل للكاتب العام في موضوع كهذا . ومتى كانت الحكومة تتعرض للمسلمين في مبادي دينهم القويم ولا في الذود عن شريعتهم . الامر الذي هو شعار كل عقلاء العالم . ما لم يؤد الى التعصب الممقوت او الاخلال بالامن العام . ان الواجب الشرعي يقتضي ان تنظر الى المحامد فنستحسنها وننتقد ما سواها

بطريق لا يخرج عن دائرة المجادلة التي امر الله بها رسوله الكريم في كتابه العظيم وجادلهم بالتي هي احسن . وإلّا فنكون قد استنكفنا عن العمل بمبادي الشريعة في وقت ندعي الذب عنها والغيرة على مصالح المسلمين . انكم نددتم على جميع العلماء والفضلاء بدعوى انهم لم يقاوموا المذهب الشيوعي والحال ان مثل ذلك لا يكون إلّا بعد تحقيق امرين

اولهما ـ معرفتنا للمذهب الشيوعي بغاية التدقيق حتى يمكننا الرد ان راينا ذلك ضروريا

ثانيهما ـ ان يكون ذلك المذهب نخاف منه حقيقة على المسلمين

وحيث انا نجهل المذهب الشيوعي فكيف يمكننا والحالة هذه الرد عليهم ومباحثهم فيه انا راينا في كثير من المجلات المصرية انه لم يقع الاطلاع عليه الى الان بصورة تمكن الانسان من الخوض فيه بل ان الاقوال فيه متضاربة وينسب البعض منهم ذلك لغرض الناقل فكيف تطلب منا ان نبادر في بيان مفاسد هذا المذهب للعموم وتحمل على كاهل جميع اهل البلد اثم هذا التاخير وتنسبهم للقصور والتقصير

ان تخوفكم على المسلمين من ذلك المذهب اظنه من التخوفات المبالغ فيها اذ المسلمون كما لا يخفى عليكم لا يبدلون دينهم ولا يحيدون عن قواعدهم الشرعية قيد انملة

فهم يرون غير ما نراه اذ غاية ما في الامر انه مذهب من المذاهب . على ان جميع الخلافات الدينية قد عرضت للاسلام والمسلمين داخلا وخارجا في عصور مختلفة ولم تزعزع اركانه ولا هدمت دعامة من دعائمه . والدين الذي بقي على اساس متين . اساس العدل والاستقامة اساس . المكارمة والمجاملة . وان شئنا ان نقول روح الانسانية والكمالات النفسانية . حري بان يبقى ثابتا لا يؤثر عليه اختلاق المذاهب . وما كان احراك بان تقول انك تخاف على البلشفيكيين من الاسلام لا العكس لان ديننا دين الفطرة وانتشاره من نفسه مشاهد فلا غرابة اذا راينا يوما ما ان غالب العالم يدين بالاسلام . ولو اتيح ان يوجد اناس متضلعون في الدين الاسلامي ويحسنون اللغات الاجنبية لرايتم جميع العالم تحت لواء الشريعة المحمدية .

واما نسبتكم العلماء وغيرهم من الفضلاء الى انهم يستحسنون ان يخرجوا من دينهم او يخالفوا مباديه المحكمة فحاشا لله ان يقع من الجهلة فضلا عن العلماء الاخيار فالعالم والجاهل في عدم نبذهما دينهما ومخالفتهما لاحكامه الشرعية المعقولة المعنى والمنظمة تنظيما اجتماعيا على السواء

وما نشاهده في العالم من المبشرين وما يقومون به من الاعمال وبذلهم الدينار والدرهم في سبيل نشر مبادي دينهم وعدم اتباع فرد من افراد المسلمين لهم على ذلك لاعظم دليل على انه لا يخاف على المسلمين من المذاهب الاخري . فكلنا والحمد لله متمسكون باذيال الرسول الكريم عليه افضل الصلوات وازكى التسليم

ان عش المذهب البلشفيكي هو البلاد الروسية وهي مصدر الدعوة اليه ولا شك ان رواج مثله فيها من الامور الضرورية بل انه نتيجة ذلك الوسط الذي يقاسي فيه العامل من العذاب انكالا ويحمل من الاهانة اثقالا . فحياة الاغنياء حياة السادة والفقراء عبيد . واني هذا من الحياة القومية في البلاد الاسلامية التي جعلت الشريعة المطهرة فيها وصلة بين قلوب الاغنياء والفقراء بما يثبت بينهم التوادد والتحابب ومكنتهم من التاخي حقيقة بما سنته من القواعد الحكمية فقد ضربت للفقير في مال الغني بسهم لا يستهان به فالفقير والغني في هذا الحال كل منهما له مزية على صاحبه احدهما بالانتفاع المالي والاخر بالجزاء الاوفر والذكر الجميل

ان اتحاد العملة ومقاومة الاغنياء امر وهمي ان لم نقل انه يحصل منه عكس المقصود لان غاية الاتحاد لو وقع ان ينقل المال من يد الاغنياء الى الفقراء او شئنا ان نقول نصير الفقير غنيا او نعوض الغني بغني تلك سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا

واما مسالة الارث ورجوع مال الانسان للهيئة الاجتماعية فهو امر خيالي اكثر منه عملي لان الانسان مجبول على حب اقاربه قبل كل الناس وهو وان تظاهر في الهيئة الاجتماعية بالتبرع بميراثه فهو لا يعدم حيلة في وضعه ماله حيث يشاء

ومن ارد زيادة التحقيق فما عليه إلّا ان يسال نفسه ويراجع وجدانه فيجد انه لا سبيل الى تحقيق ذلك المقال والى الله المرجع والمئال   م . م

تقرير الصحافة العربية

ضد التنقيح الجديد لقانون المطبوعات الصادر باوائل جانفي سنة ١٩٢٢

مرفوع الى كاتب الدولة التونسية العام

عـــدد ٧٨

بناء على القرار المحترم الذي اصدره المجتمع الصحافي الوطني المنعقد صبيحة يوم ٦ جانفي الجاري المتضمن الاحتجاج ضد تنقيح قانون ١٨٨٤ مع تعيين الوفد الـذي يقوم بذلك . وبناء على ما دار بيننا وبين جناب الكاتب العام من المناقشات الـودية المعتبرة وما أظهر لنا من ميله للانصاف بمـا افضى الى اتفاقنا على عرض تقرير في الموضوع على امل ان يفضي ذلك الى ادخال تعديل جديد تزول به القيود الثقيلة التي وضعت على عاتق الصحافة الوطنية بدون سبب مشروع

وبناء على الاجتماع الصحافي الثاني المنعقـد في ١٠ جانفي الجاري فقد تقرر نهائيا عرض ما ياتي :

يظهر بالبداهة ان الغرض الاصلي من تاسيس قانون المطبـوعات ومنح حرية الكتابة والنشر في المملكة التونسية انما هو تنوير الافكار وخدمة المصالح العمومية وتنبيه الحكومة الى واجباتها واصلاح ما عسى ان يصدر عنها من الاغلاط والهفوات وغير ذلك من الامور ولا سيمـا انتقاد اعمال الموظفين انتقادا قانونيا يجعلهـم يتحرون الاغلاط ويتباعدون عن ايقاع الامة في الارتباكات ويهتمون باعانة الشعب على الرقي والنهوض . لكن يلوح لنا من تصرفات الحكـومة المتعسفة مع الصحافة الوطنية منذ عام ١٨٨٤ الى اليوم انها تحاول نقض الاسس القويمة التي قامت عليها الصحافة وهدم المقصد الاصلاحي الذي شرع من اجلاء ذلك القانون. فان من ينظر الى الاوامر المتعـددة المتناقضة المتعلقة بالصحافة التي صدرت تباعا لاسباب غير مشروعة بتملكه العجب . فامر سنة ١٨٩٣ خول الـوزير الاكبر تعطيـل وايقاف

كافة الجرائد الصادرة في الداخل والواردة من الخارج وبناء عليه فقد تعطلت جرائد كثيرة لاسباب لا فائدة في ذكرها اتخذتها الحكومة فرصة لتكبيل الصحافيين والاعتداء على حرية النشر وفوق ذلك فقد شرع هذا الامر عقوبات صارمة على الصحافيين وذلك برفع اقصى الغرامة المالية المقدرة بقانون سنة ١٨٨٤ الى عشر امثالها وباضافة عقوبة السجن من ايام ٦ الى اشهر ٣ للمخالفات الواردة فيه

وفي سنة ١٩١٠ اصدرت الحكومة امرا زيادة في التضييق يحتم على اصحاب المطابع عرض المؤلفات والعدد الاول من كل جريدة على المحافظة قبل نشرها بـ ٢٤ ساعة والغت به الفصل الرابع المتضمن للعقوبات المقررة بامر سنة ١٨٩٣

وفي سنة ١٩١١ صدر امر بقفل الصحافة الوطنية تماما واستمر ذلك الى ١٣ في فيفري سنة ١٩٢٠ حيث امرت الحكومة فيه بالعدول عن المنع المذكور فعادت الجرائد للظهور واستانفت خطتها الشريفة بنزاهة وتجرد رغما عن القيود التي الجمتها بها اوامر سنة ١٨٩٣ وسنة ١٩١٠ التي تخول لمشيئة الحكومة اصدار القرارات بقفل الجرائد الوطنية وكذلك بعرض المطبوعات على الحكومة قبل النشر

التنقيح الاخير

بالرغم عن وجود تلك القيود الانفة المرهقة للصحافة الوطنية التي طالما شكى من وطاتها الصحافيون والتي وعد المقيم بازالتها ضمنا ، فان الحكومة ما زالت مجدة في ارهاق الصحافة ومطاردة الصحافيين يتبين ذلك بجلاء في صورة التنقيح الجديد، فان هذا التنقيح زيادة عن منافاته للحرية المرغوبة التي يستحقها شعب ناهض كالشعب التونسي فهو جارح لعواطف التونسيين قاطبة وفيه ادلة واضحة على ان الحكومة التونسية ما زالت متمسكة بقاعدة الاستمرار في سياسة الضغط والتقييد وتحين الفرص لكم الافواه وانتهاك الحريات ، وإلّا فاي رابطة بين الحركة الشيوعية التي اثيرت بواسطة بعض النشريات العربية والحرية الصحافية

بينما كنا نحن معشر الصحافيين ننتظر مع الامة الساعة السعيدة التي تزال فيها قيود الارهاق ويوسع نطاق سائر الحريات وذلك بمناسبة منح الشعب التونسي حق الانتخاب الذي صرح به المقيم في باريس فما راعنا إلّا والحكومة قد تمسكت

باوهن الاسباب فضربت الصحافة العربية ضربة شديدة اصابت بها المقاتل بدعوى المقاومة للشيوعية التي يمكنها الانتشار والتوسع بواسطة النشريات باللغات الاجنبية وعقد الاجتماعات العمومية فقد اصدرت الحكومة امرا بتاريخ جانفي الجاري يقتضي نسخ الفصلين ٨ - ٩ من قانون سنة ١٨٨٤ اما الفصل المنسوخ فهاك نصه (التعريف يكون كتابة ويوقع عليه المدبر فيعطي به وصلا) واما الفصل الناسخ (الاعلامات تقع كتابة وتكون ممضاة من اصحاب الامتياز ويسلم بها وصل في اجل لا يتجاوز ثمانية ايام لكن هذا الاجل لا ينسحب على الجرائد والنشريات الدورية المحررة كلها او بعضها باللغة العربية او العبرية في ظرف ثلاثة شهور من تاريخ استلام الوصل على حسب شروط النشر الدوري المعين في اعلامهم يقع الزامهم بتجديد الاعلام او التحصيل على وصل جديد)

والذي يلوح من مقابلة الفصلين ان الفصل المنقح لا يوجب على الصحافيين من اي جنس كانوا سوى تقديم الاعلام واستلام وصل به ، اما الفصل الجديد فانه قد سلب حرية اصدار الجرائد بمجرد الاعلام وضرب للاجانب اجلا لا يتجاوز ثمانية ايام وجعل حظ الوطني رهين الظروف ولا يخفى ما في ذلك من الابهام والغموض . وبذلك اصبح للاجنبي حق على الحكومة في اعطاء الوصل في اجل محدود في الوقت الذي حرم فيه التونسي وهو ابن البلاد من هذا الحق الذي يتساوى فيه مع الاجانب ، وهو ضرب من التشريع لا يعرف له نظير في غير هذه البلاد

والانكى من ذلك الفقرة الاخرى التي تسلب من صاحب الامتياز منحة الترخيص وهو امر يعد بمثابة العزل الذي لا يسوغ العقاب به إلّا مع اقتراف الجرائم . واي جريمة للصحافة في التاخير حتى يعاقب بسلب الامتياز ورغما عن هذا كله فان الحكومة ما زالت تتعلل بان الغرض من ارتكاب هذه القيود انما هو مقاومة البلشفية لا مضايقة الصحافة الوطنية وهو عذر يدعو للارتياب ويجعل الناس يعتقدون ان الحكومة قد انتهزتها فرصة لضرب الصحافة الوطنية ضربة قاتلة

كان في امكان الحكومة ان تقتصر في هذا القانون على مقاومة الشيوعية بدون ان تلحق اي ضرر بالصحافة الوطنية مثلما فعلت بالصحافة الاوربية ولكن في هذه

الصورة لا تتوصل لكتم انفاس الوطنيين وهو بغيتها الحقيقية التي تظهر لنا من المشرع ونظرا للاسباب المتقدمة ، ولكون الشعب التونسي صار يتشوف الى حرية اوسع تضمن له حقوق وتكفل له هنائه وامنيته العمومية فاننا نحن معشر الصحافيين الممضيين اسفل هذا نحتج بكل قوانا ضد صنيع الحكومة المؤلم الذي ابرزته في التنقيح الجديد ونطالبها بحرية وانقطاع ان تقيم لنا الدليل على اخلاصها وحسن نيتها وذلك بالعدول عن كل قانون سابق او لاحق ينافي الحرية الصحافية خصوصا الاوامر الصادرة في سنة ١٨٩٣ وسنة ١٩١٠ وسنة ١٩٢٢ ورفع الاذى عن الجرائد الوطنية التي لا ذنب لها إلّا جنسيتها التونسية ونحن لا نخالها إلّا فاعلة

تحريرا بتونس ١٥ جانفي ١٩٢٢

الامضاءات ، الصواب ، مرشد الامة ، الوزير ، النديم ، جحا ، الاتحاد ، لسان الشعب ، الفجر ، البدر ،

*

غرائب الساسة

أو

عجائب السياسة (١)

عدد ٨٨ في ١٠ شعبان الاكرم سنة ١٣٤٠

السياسة في العرف الحاضر شرع متسع النطاق لا ينضبط بقواعد مسلمة يمكن

(١) في ٢ افريل الموافق ليوم ٨ شعبان سنة ١٣٤٠ جاء بريد فرنسا يحمل جريدة البتي جرنال وفي طالعتها رسم سمو المقدس المبرور سيدي محمد الناصر باشا باي ورايه بكانة لمكاتب مجهول لها ادعى مقابلة سموه وتلقى من فخامته ذلك التصريح المدلس المشار له في صلب هذا المقال ، وانه بمجرد اختطاف الصحف التونسية له ونشره ارتجت له العاصمة وانزعج الشعب انزعاجا شديدا فطاب سموه من الحكومة تكذيبه في الحال فتثاقلت السفارة عن اجابة سموه لذلك فلم يكن منه إلّا اعلام المقيم بعزم جلالته في التنازل عن العرش في اليوم الخامس من الشهر المذكور ، فكان يوما تاريخيا في الحركة التونسية يجدد تذكاره في كل سنة

الارتكاز عليها حتى توخذ عهدا او تعتمد ميثاقا . وان اقرب شبه له في وصفه بجرم يتلون بلون ظرفه فتراه في كل آونة على تعاقب وانتقال . وانه لتمر نعوته بالناظر اليه فلا تعاقب بحسن او جمال اصلا . . . . .

ومن العجيب الزامك فيه بالامتنان لتلك المناظر وانك مدان لمجريها بالشكر والمحمدة ولو هالك تعاقب هاتيك الاشكال التي ربما اوجدت فيك تحسرا والاما

قلنا (في العرف الحاضر) اعتباره كالقيد . اخراجا للسياسة الحقة التي هي وضع الاشياء في محلها كتحقيق الوعود والمجازات على الجميل (فعلا لا قولا) ومشاركة الشعب في امره وتحقيق الاخاء الانساني واجراء العدالة والمساواة والعدول عن التمويه ومصادرة السفسطة مثل وضع الاكاليل على المقابر ونقش اسماء الضحايا على الجدران . . . . . . الى غير ذلك من الالاعيب السينيماتوغرافية . وحصرا للكلام في سياسة الاقوياء واستبدادهم بالمغلوب على امره والعبث بحقوقه لانه هو المراد في هذا البيان الذي اثاره في الفكر شكل من اشكالها المتشاكسة بسوء تصرف بعض السياسيين وقلة تبصرهم في اقدامهم على الاجراءات الفعلية او القولية بلا تأمل في المآل (من حيث النتيجة) اعتمادا منهم على سعة ما شرعوه وظنوا انه هو السداد بعينه الذي ينتج لهم ما قصدوه . حتى اصبحوا بذلك في نظر الرأي العام على (ضعفه) من حيث التدبر في المقول على استصغار . نعم اني لا أريد الان بسطا تحريريا في السياسة وما تصرف منها لان ذلك جدير بالتحارير الضافية والمؤلفات الضخمة . لتجدد غرائبها وكثرة عجائبها في كل ءان وانما حسبنا اليوم التعرض لغريب من ذلك النوع قد اشرنا اليه في سالف هذا العدد ارجاء لتحقيق كنهه وهو ما نسبه رجل غير معروف يظهر عليه (انه صنيعة سياسية وتدابير ادارية) قالوا عنه انه مراسل جريدة (البتي جورنال) الباريسية لامير البلاد المعظم نقلا وتصريحا . ارشادا منا للرأي العام باجراء القاعدة التي استهلينا بها طالع هذا المقال حتى يكون على بينة من امره فيثابر على عمله ولا يرجع به التلون السياسي في المناظر والاشكال

هذا وقبل ان نشرع في تزييف ذلك النقل والتصريح . نضع الاهم منه نصب اعين القراء نقلا عن تلك الجريدة حسب زعم مكاتبها المجهول الذي سولت له

السياسة وسوغ له شرعها نسبة كلام لذي عرش وتاج يناقض تصريحا منه مضى عليه اكثر من عامين على نظر عمومي مستفيض ، وقد تناقلته صحف العالم اجمع وسجلته الدواوين وانتقش في الاذهان مقرونا بالمحمدة والارتياح ، لغير ما فائدة تنجر للسياسة منه كخور العزائم والعدول عن الجزم والحزم ٠٠٠٠٠ ، واليكم هو بترتيبه الغريب وتلفيقه العجيب .

قال ، قال سموه له : (والله اعلم بالقائل الحقيقي)

« انني اعتبر دائما فرنسا كام للمملكة التونسية وليس من المعتاد ان يكذب
« الولد على امه . وبعد ان اظهر سخطه وغضبه على الشيوعية واستحسن ما اجراه
« المقيم من وسائل المقاومة والزجر اردف ذلك بقوله : انه مستعد للموافقة وتبرير
« كلما يتخذه المقيم من الشدة والصرامة في هذا الباب ، ثم قال اما مطالب الحزب
« الحر فيجب تفكيكها ، فما يتعلق منها بتفريق السلط فيلوح لي ان المقيم قد انجز
« هذا الطلب باحداث وزارة للعدلية وانا لا اشك في انصافه وشغفه بالعدالة ، واما
« مسالة تسوية المرتبات ودخول التونسيين في كافة الوظائف الادارية فانني لا انسى
« الانقطاع والاخلاص اللذين ابداهما الموظفون الفرنسويون لتونس وقد نجم عن
« ذلك ترميم اكثر من ٤٠٠٠ كيلوميتر من الطرقات ومد الفين كيلوميتر من
« السكك الحديدية واحداث مراسي جديدة عميقة لاواء السفن الكبيرة كمرسى
« صفاقس ، واستنباط ينابيع المياه في سائر الجهات وتشييد ٣٠٠ مدرسة يتعلم فيها
« ١٤٠٠٠ تلميذ من التونسيين ، وهل يظن ان في وسع الموظفين التونسيين انجاز
« هذه الاعمال بدون إعانة الحكومة الحامية ومساعدة الفرنساويين ؟ اما انا فانني
« اشك في ذلك ! ، والان قد وصلنا الى المطلبين الاصليين من برنامج الحزب
« الحر الدستوري ونحن اذا دققنا النظر وتاملنا بعين الحقيقة المجردة نجدهما الغاية
« التي تحوم حولها مطامع الدستوريين التي سبقت اوانها وهما : المجلس التفاوضي
« الذي يملك حق عرض المسائل على المفاوضة والحكومة المسئولة ، واما بقية
« المطالب الاخرى يتسترون بها لاخفاء هذه الغاية ، وكيف يكون موقفي بصفة
« ملك عقد اسلافه معاهدة الحماية لو منح حق الانتخاب العام للشعب التونسي

« واقترع المنتخبون على قلب هيئة الحكومة التي سنت نظام الحماية . ان ذلك بلا
« ريب يكون قاضيا على هيكل الحماية ذاتها . فكيف يمكنني والحالة ما ذكر ان
« اوافق على هذه النتيجة التي تضطرني لانكار التزاماته . والاحظ ان معاهدة باردو
« وملحقاتها لم تقرر ربط العلائق بين تونس وفرنسا فقط بل قررت حقوق جاليات
« أخرى تقيم في هذه البلاد . فهل من الممكن نكث هذه العهود والغاء هذه
« الالتزامات . وارى ايضا ان اعطاء حق مراقبة الميزانية والبت فيها الى مجلس
« تفاوضي هو مخطر جدا على رعاياي . ولهذا فمن اللازم الاحتفاظ بالمراقبة العادلة
« التي تتولاها السلطة المركزية القادرة على ايجاد التوازن بين رغائب الفرنسويين
« والتونسيين وتحقيق التعاون الفعلي بين المنصريين . وبما اني مخلص للماضي وواثق
« بالمستقبل فلا يمكنني ان اشاطر في رغائب الحزب الدستوري حيث لا يوجد الان
« في تونس مكان للدستور . ولكن هناك مكان لاجراء اصلاحات تدرس بحذق
« وتنفذ بحكمة . هذا هو فكري . اه

ذلك هو القول الذي جاء في تلك الجريدة تحت رسم الجناب العالي اشعارا من التدابير بصحة التصريح بعد ان حذفنا منه جملة لم نجد لذكرها مبررا ولو على سبيل الحكاية لانها تقوض تلك القاعدة المأثورة والحكمة المشهورة (ان كلام الملوك ملوك الكلام) وتخالف الحكمة على خط مستقيم

وهو بمجرد الوقوف عليه وبلا تامل يبدو من نسجه الاصطناع المدبر بفكر دامس . وقد ظن ان الاستهلال بذكر الشيوعية التي هي قدر متفق عليه وكاد ان يلحق في شرعنا بما هو معلوم منه بالضرورة ان يندمج فيه ما ذكره المراسل الموهوم بعد والذي هو المقصود بالذات بلا خلاف . وهو ما ترغب فيه الامة وتشكوا حرمانها منه بلا حجة ولا دليل الا وهو (الدستور) . ومما هو جدير بالذكر ان احد صحف الاستعمار التي اشتهرت بمناوات الامة قد استهجنت هذ الصنيع قائلة ما معناه انه لا ينبغي الاتيان بذكر صاحب التاج الى مجال المناقشات السياسية بسبب تدابير ادارية حيث ان الادارة في مقدورها ان تفعل ذلك وتتحمل وحدها وزره الادبي فى نظر الراي العام . ونحن لا يسعنا إلّا شكر هذه الصحيفة الاستعمارية التي وجدنا بين

(اعمدتها) هاته الدرة الحكمية وقد اغضبها ذلك الحور في السياسة وشاركتنا في انكارنا له صونا للمقام الملوكي المقدس الذي اذاع عنه ذلك المكاتب بين الجمهوريين قراء جريدته من ان المجلس التفاوضي خطر على رعاياه وقلق في البلاد . في حال ان ارباب التيجان وسلاطين الامم والملوك ورؤساء الجمهوريات في العالم اجمع كلهم دستوريون اليوم وانه لا يوجد فوق هذا الاديم من يتصور ان الاطلاق الاداري خير من الشورى الحقة وخصوصا من المسلمين . بعد ان شرعها الله تعالى لعباده وجاء بها القرءان الحكيم في ءايات محكمات .

افيمكن بعد لمن يدين به ان يرجح تصرف المراقبة الادارية ويوجب الاحتفاظ عليها ويوثق بالمستقبل قياسا على الماضي حالة كون الشعب لا شان له إلّا ما يشاء له الاطلاق . او يسلم ذلك الادعاء بان النظام الدستوري الداخلي يمس عهد الحماية او يسطو على الالتزامات التي للجاليات النازحة للعيش والحياة بهذه البلاد . وقد انتشر نظامه وسن قديما وحديثا في اغلب الممالك والممتلكات كل بحسب رقيه وتتمتع به اليوم حتى (سكان جزيرة مالطة التي هي من بلادنا على مد البصر) ولم يزل حبل النفوذ محكم الاتصال بين التابع والمتبوع في هاتيك الاقاليم وحقوق النازح محفوظة مع ابن البلاد

أليس هذا وذاك مما يوجب حمل ذلك التشاكس على كاهل السياسة ووزر اذاعتها على الادارة وصنيعتها المجهول . وان لا نخشى من تاثيره على افكار قراء تلك الجريدة من الاحرار . فتستمر الادارة على حكمها فينا بلا قيد فنحرم من نظام ترجح وجوب اجرائه وراء البحار لتونس لدى اولئك الانسانيين وبرغبة ثلاثين عضو من اكابر نواب البرلمان الفرنسي اخيرا ولا زال عددهم في نمو وازدياد ؟ ؟

هذا ومما يؤيد موقفنا ازاء ذلك التصريح هو اشتماله على نغمة طالما صدع المستاثرون بها اذ اننا في معرض الامتنان . وهو الرقي الذي وجد فوق سطح الايالة كالمراسي ومد الاسلاك وقضبان الحديد والترميم والجسور وحفر الترع وقنوات المياه والطرقات . لان صاحب التاج حفظه الله تعالى حاشاه ان يرى عظم نفع ذلك راجعا الى رعيته فيظهر اعجابا ولا يقابله بدخل الميزان في دولته ومن اين موارده وفي اي مصلحة يصرف ويستهلك ذلك الوقر العظيم .

اما ما يرجع من ذلك التصريح لادارة المعارف فان عجز الوطنيين المشار له هناك والشك في اقتدارهم على ادارة الترميم المقام على كاهل الصقليين والاهليين كافي في قصور التعليم وفساد برنامجه وان بقاءه على تلك الحالة بلا نظر للامة عليه لا يات بنتيجة ولو بعد مائة عام قابلة. لان امد وجوده فينا قد ارتقت به امة الجابون الى مصاف امم قد اشادت تمدنها على اطلال العادين .

وعليه فكيف يصح حينئذ ذلك الاعجاب او تسلم تلك الارقام التعليمية وهي على علاتها لا تكفي لجانب من مدن الايالة وسواحلها فضلا عن محيط آهل بمليونين من النفوس . بل وباوضح من ذلك ان بالعاصمة خمس مكاتب لمائة الف من الوطنيين وسبعة وعشرون مكتبا لربع ذلك العدد من النزلاء المرعى جانبهم الرفيع . وازيدك اخرى ان التعليم الصناعي العالي لا وجود له وان مكتب لوبي المشاد من مواردنا به من الاهالي تلامذة دون عدد ايام الاسبوع ويقال انهم مبعدون عن دروس التطبيق المكنيكي طبقا لبرنامج الادارة التى تشكو الامة تقصيرها وتقيم على احتياجها للدستور الف دليل . وهذا كله لا يخفى على فخامة سمو الامير الجليل كما هو التحقيق

اما تفريق السلط وجعل وزير للعدلية فان فائدته تظهر بمراجعة قانون المرافعات التي صير مديرها العام مجمع السلط الادارية وعلى الاخص السادس والثاني والعشرين من بنوده والذي لا تقف فيه على مادة للوزير تخول له ادارة الادارة او تشعر له بالنفوذ .

وهنا يجدر بنا ان نكشف عن مكنون فهمناه من السياق في التصريح المذكور . وهو ما السر في اقتصار المراسل في الاعراب عن الرقي الذي اغمر صطح المملكة على خصوص ادارة الاشغال والقضاء والتعليم ولم يذكر الرقي الزراعي الاستعماري يا ترى ! فالجواب ان ذلك ستر منه لادارة الفلاحة التي شهرة نظامها المزعج في الاستئثار باراضي الدولة والاحباس العامة بل وباخصب الاراضي التي اصبحت الفلاحة الوطنية من عدم الاكتراث بها مشرفة على الزوال . لا يمكن له سدل اغشية الزركشة الذكرية عنه فكان طي الاشارة اليها في الكلام عنده من المهارة بمكان . . .

وصفوة القول اننا نسجل استبعادنا لصحة تلك الرواية ولا نقطع بصدورها

عن البلاط الملوكي . وان الاستشهاد من المراسل بشاهدين ومترجم لشهادة على ما رججناه حيث ان التاريخ لم يقص علينا حتى اليوم ان مواجهة ارباب الاقلام ومراسلي الصحف للملوك والامراء في حاجة الى الاستشهاد بذكر الحضور على صحة التصريح . . . .

بقيت لنا كلمة وهي ان التعبير لذلك المكاتب بمطامع الدستوريين وان المطالب الاخرى المعقولة يستترون بها لاخفاء الغاية (تعبير مستهجن تترفع عنه افواه الملوك لغير ما موجب . والظاهر ان المدبر لذلك وليس هو غير الحكومة يرمي بمستهجناته الى جعل فتور في وثوق حزب الشعب وتعلق الامة باميرها المعظم وصاحب التاج المحبوب . وهو ابعد من رجوع امس)

حول اشاعة تنازل صاحب

العرش الحسيني عن الملك

عـــدد ٨٨

قد لا يظهر الشعور العام في الشعب ولا يستبان في اكمل مجاليه إلّا عند مصادمة الحوادث الكبرى التي تحسها افراده على الدلية في صالح مشترك بلا تفاوت ولا تمييز . فيكون ذلك من اكبر الادلة على عظـم الاحساس الذي يجب ان يعطى مكانا سيما من الاعتبـار . ولذلك كان يوم الثلاثة الفـارط يوم اكفهر افقه على الشعب التونسي لسريان اشاعة خبر في العاصمة واحوازها في سرعة سير الكهرباء في اسلاكها المشعر بعزم الامير المعظم صاحب العرش والتاج سيدي محمد الناصر باشا باي في التنـازل عن الملك . فكان انصداع الخواطر من اجله عامـا والهلـع شديدا رغما عن كونه لم يكن في درجة التواتر والقطع عند العموم

وبناء على خروج صحف الزوال ولم يكن بها ما يفيد الامة خـلافه بل بها

اثبات الاشاعة ثم سكوت الحكومة عن تكذيب ذلك الخبر رسميا كما هو الواجب عليها في الحال قد اخذ الخبر مكانا من الصحة والتأييد، ثم ضف الى ذلك خروج صدى الصحافة والصواب موخرا في ملحقات لهما وبصلبهما النبأ المذكور، مع تلغراف من الحزب الحر الى مقام الخارجية يسجل فيه باسم الامة ويحتج على الدواعي والاسباب التي الجأت سمو الامير لذلك العزم المخيف وقوعه . قد ضرب الشعب في العاصمة عن العمل اول امس بصمت وسكون وقفلت الاسواق التجارية وغيرها تظاهرا ، بحيث لم يبق في داخل المدينة محل لشغل من الاشغال حتى القهاوي غير موصد الابواب تعلقا برضاء الامير وحبا في بقائه على عرش اسلافه المكين

ومما هو جدير بالذكر ان القوة العامة وان اتخذت من الاحتياطات الواجبة لحفظ الامن فلم يقع ما يشم منه لازم الاضراب المذكور عادة وذلك فضل الله

هذا وبعد زوال ذلك اليوم توجه القوم الى المرسى العامرة حيث مستقر الامير المعظم في عدد يربوا عن عشرات الالاف من كل الطبقات بالترتل الكهربائي وبالعربات على اختلافها حتى افتقدت فذهب الكثير منهم على الاقدام، ولما احتشدوا حول القصر اشرف سموه عليهم بطلعته السنية منصتا لخطب متعددة من نواب الجميع كالاستاذ الشيخ محمد الشواشي والسيد علي كاهية ورصيفنا صاحب المنبر الاغر احد اعضاء الوفد الدستوري مضمون جميعها بيان مقدار الشعور وشدة التعلق في الشعب ببقاء جلالة الملك على اريكة الملك والصولجان المهاب الذي ءال اليه بوراثة عهد مقدسة وبيعة لها اصل في الدين القويم

فاعرب لهم سموه عن عظيم امتنانه لشعبه وبلاده وابلغهم عبارات سامية تبعث في الامة اطمئنانا وهدوا وتوجب الاقبال على الاشغال والانقطاع الى العمل والسكون اللذين هما من اكبر الوسائل التي تساعد على نجاح المطالب ونيل الرغائب

هذا وان الذي زان ذلك المنظر الساكن المهيب حضور قسم عظيم من تلامذة المدارس الاهلية بنظامهم الجميل، وقد زاده تاثيرا انشادهم لسجعات واناشيد تناسب المقام وتعرب عن احساس شريف في ذلك النبات الحسن والذي هو دون التكليف، ثم بعد ختام ذلك هتف الجميع بصوت جهوري ليحيى الملك ليعيش الامير والشعب

وما جاء مساء ذلك اليوم حتى رجع الشغل الى مجراه الطبيعي ونصع الجو ولم يبق للكدر فيه من اثر والحمد لله تعالى

اقوال الصحف حول الاشاعة

كتبت الصحف الفرنسوية هنا حول هاته القضية فصولا ضافية وفي مقدمتهم (الكري دي سوار والكوري دي تونزي) وقد حمل رصيفنا الاول مسئولية ذلك على سوء التبصر في السياسة وصرح بان القسم الاوفر من ذلك يرجع الى قصر القصباء العتيق ولضيق المجال لم نتمكن من ترجمة عيون ما كتب في هذا الشان بافصح عبارة ، بل وشفقة على القراء ايضا حتى لا يزداد اسفهم على توقيف الصواب بمشاهدتهم الاجحاف المجسم والفرق العظيم بين حرية الصحف التي تصدر تحت سماء هذا البلاد ، وما على من يرغب فيه إلّا ان يراجع عدد ٨٨١ من جريدة كري دي صوار

تعطيل الصواب من اجل الاشاعة المذكورة

صدر منع اداري لا مستند له من الوجهة القانونية الكافلة لحقوق الافراد في رواج جريدة الصواب الوطنية الغراء ، بدعوى انها نشرت في ملحقها ما اشيع حول عرش الامير ما هو غير صحيح

وهو عمل من ذوي النفوذ يمثل لنا قيمة الحرية التي اعطاها الدهر لصحف الشعب التونسي ومقدار ما لزملائهم الجمهوريين الاحرار وغيرهم وبين ما بينهما من الفرق العظيم في حال ان القانون يأمر باجلاسهم جميعا على صعيد المساواة

ان الخبر الذي سبب ازهاق روح الصواب قد ذكره قبله صدى الصحافة والكري دي سوار وغيرها من صحف المساء والصباح بل ان بعضها اكده وامتلت به الارجاء وحمله الى الخارج البرق والبريد . ولذلك كان الاغراب من وقوعه بالغا حده والاستياء شاملا للعموم

اشاعات تنازل سمو الباي عن الملك

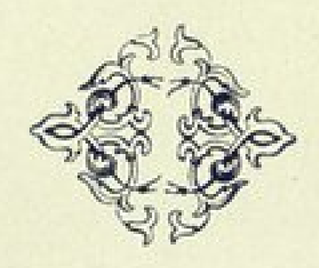
قال الكوري ديتونزي بالعنوان اعلاه

لحد الان التزمنا جانب الحياد في تشريك شخص صاحب مملكة تونس في





السيد البشير الفورتي صاحب جريدة
(التقدم اليومية) ومراسل بعض الصحف
الكبرى في الخارج واحد اعيان متطوعي
الجامع الاعظم (وطني صادق)





السيد الطيب بن عيسى
صاحب جريدتي (المشير والوزير)
(احد رجال النهضة القلمية العاملين)

المجادلات والحوادث الناشئة لدى درج منصة الملك عن المعارك الفكرية في شان الدستور غير ان الحوادث الاخيرة التي حصلت بالقصر الاميري اوجبت علينا نزوع الاحتراز الذي التزمنا به بمجرد المجاملة

ان المحادثة التي نشرتها جريدة البتي جرنال انشأت بالبلاط الملكي حيرة كبرى . انا لا نخوض ولا نحكم على هاته المحادثة ونكتفي بالتحقيق في هذا الشان الذي يلوح لنا انه هام بانه حقيقي وصدر بمزيد الحرية اذ يمكن تقديم الدليل

اذا تاثر الدستوريون من التصريحات الموجودة بها فلا شيء مدهش غير انهم يحترمون كثيرا ملكهم للتوغل بالمعارضة في الاستفتاء على التصريح الاميري وبخلاف ذلك كان الكتمان قليلا بالبلاط الملكي والحوادث التي حصلت في المرة الاولى تجددت وتفاقم امرها لحد ان سمو الباي صرح بانه عوض الانقياد للتهديدات الواقعة عليه من بعض المتطرفين (كذا) الذين يرفض اقاويلهم فانه يختار التوقيع على تنازله والاحتماء بفرنسا في اقامته الجديدة (كذا) ....

يرغب سمو الباي في الاصلاحات غير انه يعلم انها لا تتم إلّا في جانب الهدو والنظام وان التاثير الحاصل بالمرسى وكان محسوسا والفزع كان حارا ونجهل عند اي رأي نهائي يقف سمو الباي غير انه في هاته الساعة الحرجة لا يسعنا إلّا تذكير جميع دلائل الولاء المسدات لفرنسا ووقفته الصارمة العاقلة خلل الحرب الطويلة والثقة التي تظاهر بها نواب فرنسا لتحسين الادارة بوجه تدريجي والحالة الاقتصادية بالوطن ورفاهية السكان به . ولذا فاننا نتمنى انه من قبيل حلول فخامة رئيس الجمهورية لا تفتح ازمة سياسية عويصة . وان في السابع والعشرين من افريل (بمحطة باردو) يقدم سيدي محمد الناصر باشا باي لاعظم حاكم بالجمهورية الفرنسوية يد الاخوة الصادقة

نشرة ادارية للغرض الانف الذكر

نشرت الحكومة في التاريخ بلاغا الصقته بكل واجهة من ممر العموم ثم بعثت به الى الصحف اليومية . وهذا نص ما جاء فيه

مساء يوم الاربعاء توجه المقيم وكاهيته الى القصر الملوكي عند الساعة السابعة مساء وطلبا من سمو الامير الجليل خطابا صريحا من شانه ان يطمن الخواطر فاجابهما مولانا المعظم لذلك وختم بطابعه السعيد الخطاب الاتي نصه :

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وءاله وصحبه وسلم

من عبد الله سبحانه المتوكل عليه المفوض جميع الامور اليه محمد الناصر باشا باي صاحب المملكة التونسية سدد الله اعماله وبلغه ءاماله اما بعد فانه بناء على ما اشيع من الاخبار التي ازعجت رعايانا وما اظهروه من الود الذي اثر علينا اردنا تطمين خواطرهم باننا لم نعزم على التنازل عن عرش اجدادنا واننا لواثقون بفرنسا الحامية لتحقيق سعادة رعايانا على حسب ما تضمنته المعاهدات التي ربطت العائلة الحسينية بفرنسا وكتب في ٧ شعبان الاكرم وفي ٥ افريل سنة ١٣٤٠ — ١٩٢٢

فتوة قانونية ثانية في الدستور

عـــدد ٨٩

اتصل حزبنا الحر الدستوري من نائبه بباريس بفتوة قانونية في تاييد المسالة التونسية عن احد كبار الحقوقيين الفرنساويين بعاصمة الجمهورية ونصها :

سئل الممضي اسفله ادوار كلونيت المحامي بباريس من بعض زملائه بيان رايه في المسائل الاتية :

وبعد الاطلاع على الافادات الفعلية والقانونية المقدمة اليه ابدى ما ياتي :

اولا — وضعت تونس تحت الحماية الفرنسوية بمقتضى معاهدتي باردو في ١٢ ماي ١٨٨١ والمرسى في ٨ جوان ١٨٨٣ وذلك نتيجة حوادث تاريخية قديمة العهد

ثانيا — الحماية نوع من انواع الاتحاد الدولي تجعل البلد المحتمي الذي هو اقل قوة واشد تعرضا للانحلال بواسطة القلاقل الداخلية او الابتلاع من جراء خطر الاطماع الاجنبية تحت الرعاية والوصاية الدفاعية من دولة اخرى اقوى منه

وهي الدولة الحامية. لا يوجد نص في القانون العام بين الدول بصور الحماية بصفة قارة ثابتة حتى امكن ان يقال تجاه الحوادث انه « لا يجد ابدا نظامان للحماية متشابهان

ومع ذلك يمكن انسحاب بعض قواعد عامة عليها . اما اساس الحماية فهو عقد بين طرفين وهما الدولتان المتفعتان ويحتوي هذا العقد على مواد اصلية ومواد اختيارية

فالمواد الاصلية هي :

تسليم السيادة الخارجية الى الدولة الحامية التي تدير وحدها علائق الدولة المحتمية مع الدول الاخرى والغاء السلطة العدلية المحلية على رعايا الدولة الحامية .

وتتعهد الدولة الحامية بالدفاع عن المحتمية ضد كل قلق داخلي او هجوم خارجي واعانة الدولة المحتمية بانعطاف على السير الى المدنية

اما المواد الاختيارية فهي :

التنازل من غير حد معين عن السلطة الداخلية وتسليمها للدولة الحامية بصورة تختلف مع اختلاف المعاهدات العديدة

والدولة المحتمية تستمر على وجودها منفصلة بصورة بينة وانما تحت مراقبة واعانة الدولة الحامية التي تجري مداخلتها حسب اتفاقات خاصة

وتختلف هذه المداخلة من الحرية المحلية الواسعة جدا الى الابتلاع النهائي تقريبا . فالحماية قوة اجتماعية متدرجة وتسيطر حكومة على اخرى تسيطرا محدودا . اما مقصد الحماية الادبي فهو كما قيل في آخر الشروح « التحرير ومنح الاستقلال تدريجا وترقية المحتمي الى مصاف دولة حرة لما تتبين اهليته »

وهذه النهاية لا تعارض عقد تحالف مخلص في المستقبل بين الدولة الحامية والدولة المحتمية . ولقد عقدت فرنسا عدة معاهدات للحماية دون معاهدتها على تونس سواء كان ذلك في افريقيا او في آسيا واهمها :

بالمغرب في ٢٠ جويلية ١٩١٢

وفي كامبودج عامي ١٨١٢ و ١٨٨٤

وفي الانام عام ١٨٨٤

وفي التونكان عام ١٨٨٥

ولكل من هذه الحمايات صبغة خاصة ملائمة للظروف

وبعد ان تبين لنا بالتامل ان الارتباط الذي يجمع بين امتين باسم الحماية مرن جدا نرى اليوم قسما من الراي العام التونسي يطلب ادخال بعض تغييرات على نظام الحماية الجاري به العمل الان بين فرنسا وتونس لتوسيع استقلال الدولة المحمية وتتلخص هذه الرغائب فيما يلي :

١ ـ تفريق السلط بالدولة المحمية وتحديد كل من سلط التشريع والتنفيذ والقضاء

٢ ـ مجلس تفاوضي يتعين اعضاؤه بالانتخاب العام ويكون متساوي العدد من الافرنسيين والتونسيين يشرع خصوصا فيما يتعلق بالقوانين العامة وقوانين المالية والادارة الداخلية

٣ ـ حكومة مسئولية امام هذا المجلس عن سلطتها ويستثنى من هذه المسئولية المقيم العام وزير خارجية سمو الباي والجنرال قائد جيش الاحتلال وزير حربيته والاميرال وزير بحريته

٤ ـ حرية الصحافة والاجتماع والمؤسسات

٥ ـ تنظيم مجالس بلدية في اهم انحاء المملكة تتالف من تونسيين وفرنسويين بعدد متساوي يعينون بالانتخاب العام

والنظر في هذه المطالب يقع من وجهتين : الوجهة السياسية والوجهة القانونية

فاما الوجهة السياسية فهي من متعلقات حكومة الجمهورية الفرنسوية وحكومة سمو الباي خاصة وهما اللذان يبحثان عن المحاسن او المساوي التي تحدثها هذه التغييرات على مركزهما تجاه بعضهما وعلى اعمالهم المشتركة

واما الوجهة القانونية فهي وحدها مدار بحثنا فبالنظر الى القوانين الاساسية التي تجري عليها العلائق الفرنسوية التونسية لا يمكن فض هذه الطلبات ، حيث ان الحماية الفرنسوية على تونس ترتكز اساسيا على معاهدة ١٢ ماي ١٨٨١ و ٨ جوان ١٨٧٣ والاوامر الفرنسوية الصادرة بتاريخ ٢٢ افريل ١٨٨٢ و ٢٣ جوان ١٨٨١ و ١٢ ماي ١٩٠٦ (المالية)

ان النظام المالي بالمملكة التونسية من علائق الوفاق بين الجمهورية الفرنسوية وسمو باي تونس (معاهد ١٢ ماي ١٨٨١ فصل ٢)

وعلى كل فان باي تونس ملتزم باجراء الاصلاحات الادارية والعدلية والمالية التي ترى الحكومة الفرنسوية فائدة في اجرائها (معاهدة ٨ جوان ١٧٨٣ فصل ١)

على ان الحكـومة الفرنسوية بدون شك تريد الاستشارة مع حكومة سمو الباي قبل قبول الاصلاحات المعروضة . لان الوئام السائد بين الحكومتين واهمية هذه التغييرات وجدتها تقتضيان هذا الامر

وانما يكفي للحكومة الفرنسوية على مقتضى نصوص العقـود المنبرمة بين الطرفين ان تصدر وحدهـا قرارا بمباشرة تنفيذهـا في المملكة التونسية ولا يسع سمو الباي إلّا الرضوخ والسهر على مراعاتها

ولطالما نفذت فرنسا ارادتها الفردية في مدة الحماية التي تجاوزت اربعين عاما وذلك باصدار الاوامر التنفيذية بالمملكة التونسية في المسائل المختلفة

وعلى هذا فمن وجهة القانون فلا شيء يعارض قبول فرنسا بهـذه التنقيحات التشريعية ومباشرة العمل بها في المملكة التونسية

تحريرا في باريس ١٤ ديسمبر ١٩٢١

ادوار . لكلوتيت : المحامي بدائرة عدلية باريس

كلمة في الوزارة (١)

لغة واصطلاحا

عدد ٨٩ في ٢٤ شعبان سنة ١٣٤٠

الوزارة في الاصطلاح السياسي من اسمى الخطط الدولية واعلاها مرتبة واهمها اعتبارا ، وتتفرع بحسب النفوذ في الحكم الى مراتب ودرجات ، كما تنقسم من حيث مسئولية العمل الى هيئات ، والى مجموعها ينصرف ما يراد ويقصد من مدلول لفظ الحكومات

وللتمائز في هيئتها الحكومية خص كل وزير بادارة تضاف له ، ويرأس المجمع رئيس يلقب بالقاب تزاد على لقب الوزارة وتختلف في الدول بحسب الاصطلاحات فيها ، كالصدر مثلا في بعض الممالك او كبير الوزراء او الوزير الاول او الاكبر في غيرها ؟ ؟ ؟ ؟ او رئيس النظار مثلا ،

---

(١) مثار هذا التحرير هو الخلاف الذي استحكمت حلقاته بين سمو الامير المقدس سيدي محمد الناصر باشا باي وكبير وزرائه لذلك العهد ، وقد طلب ابعاده عنه ابعادا لا رجوع فيه وظهر من الوزير التشدد ، حيث كانت الدوائر السفيرية تحاول اقناع الامير والرجوع به الى استكشاف موجبات التكدير في العلائق ورفعها

فكان الفوز لتنفيذ ارادة الامير رغما عن كل الوسائل التي حفت بالقضية والترجيات التي شملت حتى الرئيس ميلران عند زيارة الامير له في سفارة المرسى في التاريخ ، وقد استكتم الموجب المكون لذلك الغضب واستفحاله ولم يستجلى بوجه صريح ، غير ان البعض يرجعونه الى اصطناع المكاتب المجهول المعلن عن سموه رحمه الله تعالى ذلك التصريح المنشور في جريدة البتي جرنال الباريسية افتراء وتقولا عن الدستور والدستوريين الخ . . . . .

ذلك من حيث الاصطلاح العرفي واما من حيث اللغة فقد ذكر علماؤها في وجه التسمية لها وجوها اربعة . منها انه اخذا من الموازرة التي هي الاعانة المطلقة . او من الوزر وهو الثقل تسمية للحامل باسم ما يحمله وبه سمي من يقوم بامر الملك وزيرا . لانه يحمل معه ما يشق عليه من الامور برايه ويشاطره في تدبير شؤون الامة ومصالح الرعية (وهو من الثقل بمكان)

او من الوزر بالفتح وهو الملجأ المنيع فيلتجأ اليه لرأيه السديد في المعضلات والى المنافع التي تنجر من اصابة الغرض في المصلحة العامة والهامة ويرشد الى هذا المعنى (كلا لا وزر) . او من الازر بمعنى القوة قلبت همزته واوا كفعيل بمعنى مفاعل وجليس بمعنى مجالس . وقد ضعف البعض هذا الوجه بدعوى ان الاصل عدم القلب ....! وعندي انه سائغ في بعض الاوزان بل ان القلب اولى اذا كان المعنى لا يستقيم بلا تغيير . او بلا تصرف في الحروف .....؟؟.....

هذا وقد قص التاريخ ان لهذا اللقب عظم شان حتى في القرون الغابرة فلا يطلقونه إلّا على من كان مقربا من الملك او السلطان محبوبا لديه مرجحا في ثقته عنده لا يخشى على اسراره منه .... ولا يتوهم خيانته في السر والعلانية ... وخصوصا عند العرب الذين يقدرون قيمة الوفاء والثبات على العهد واعطاء الثقة والامانة ...

ومما يؤيد ذلك ما جاء به بعض الاثار - ان العرب على عهد النبوة العظمى يطلقون اسم الوزير على الصديق رضي الله عنه ويقولون انه وزير محمد (صلى الله عليه وسلم) لعلمهم بانه كان يستشيره اكثر من بقية الصحابة رضوان الله عليهم ويخصه من بينهم ببعض الخصوصيات ذات الشان لسر فيه . فاستحق في نظرهم تسميته بهذا اللقب الامين . والى هذا المعنى اشار استاذنا صاحب التيسير رضي الله عنه في تفسيره الكبير (هميان الزاد الى دار المعاد) في قوله تعالى (واجعل لي وزيرا من اهلي الاية) واظهر سر الطلب من الكليم عليه السلام بذلك القيد (اي من اهلي) وفائدته . وهي الاستعانة بذوي القربى الماخوذ في مفهومها صدق الموازرة والوفاء فيما يوكل لامانتهم وعهدهم او بمن كان في حكم ذلك المفهوم . اذ ان الغاية من الاعتماد هو شرع يبلغ وصالح يخدم وصلة تدعم وسر يكتم ومتبوع يكرم ومقام يجب ان يطاع ويلاحظ بالاجلال والاعتبار (........)

ولا عجب ان كانت تلك الاوصاف ملحوظة في اصل اطلاق لفظ الوزير على الوزير عند واضع اللغة فاصبحت كالشرط ، وكان صاحب هذا اللقب الصادق عند السلطان بمنزلة القميص من ثيابه واذا قال وزيري فكانما قال عضدي ويميني ... ولا غرابة اذا حكى التاريخ لنا كدرا حالكا عند اختلالها في بعض الدول الغابرة وقص لنا ما نجم عن خذلان الوزراء ونكثهم لتلك الخلال ومطامعهم في تصيير الوزارة امارة حتى حل الخلل محل الانتظام والقلق بدل الاطمئنان والعناء مكان الراحة والهناء ، ورحم الله شمس المورخين حيث قال في حقائقه الفاسلفية ان امر وجوب صفاء السريرة والوثوق المطلق بين الامير والوزير هو مصدر الهناء العام والكفالة الوحيدة في تسيير شؤون الدولة المرتبطة بالرعية على المحور المستقيم . لان الناس كما جاء في المثل السائر (على دين ملوكهم) فيجب ان يكون ذلك العضد مستوفيا شروطه وملحوظا من الطرفين بالاعتبار . وان لم يكن كذلك فيتحتم عليه ترك المكان من نفسه نظرا لفقدان النتيجة المفهومة من لقبه لغة واصلاحا ......؟

هذا بعض ما امكن اثباته حول مدلول تلك الكلمة الحرية بكل اطناب ، ولكننا مع ذلك القصير فلا يسعنا إلّا ان اقول للقاري الكريم (عفوا) فقد اطلت عليك الكلام في خط رشحة فكرية لا يظهر المقصود من مفهومها بداهة بل ربما كانت عند البعض في منزلة (استخراج الضمائر الخفية بالقوانين الحرفية) ...... وعسى ان اجاب بالمعذرة ولا يقال ما لنا ونذكر الماضي ونظاماته ونحن في عصر قد عم الانتباه شعوبه وادركت اممه سوء عاقبة الاطلاق فقيدت من يشغل هاتيك الرتب السامية بالاساسات الدستورية المقدسة وجعلت الاستقرار موكولا لارادة الامة ووثوق الشعب بالسياسة الحكومية بعد البيان والحساب على النقير والقطمير ، واصبح من المستهجن في شرع الانسانية بقاء صدر في صدارته والامة لا ترغب فيه ووزير في وزارته ، وقد شكى سوء فعاله ملكه .... الذي له عليه حق الولاء ومدان له بالصدق والاخلاص ، فسبحان محول الاحوال ومقلب القلوب له الملك والملكوت وبيده الخير وهو على كل شيء قدير

لاجل المملكة التونسية

عدد ٨٩

نشر حبيب التونسيين مسيو تيتانجي كاهية رئيس لجنة المستعمرات والحمايات والنائب بمجلس الامة فصلا تحت العنوان اعلاه بجريدة ليزنال كولونيال بتاريخ ٢٧ مارس سنة ١٩٢٢ اخذ فيه بناصر الحق في المسألة التونسية . فأبنتاه هنا اقرارا بجميله مع الثناء عليه والى القراء نص ترجمته قال :

بلائحة موجهة الى مجلس الامة الفرنساوي عليها آلاف من الامضاءات كتب التونسيون بافتخار « عند دعاء فرنسا المهددة وقفت العمالة التونسية بأسرها أعني ٦٥٠٠٠ محارب و ٣٠٠٠٠ خادم من سكان يبلغ عددهم ٢٨٧٠٠٠ رجل قادرين على العمل يناهز سنهم الثامنة عشر ..... » وزادوا بمزيد البساطة :

« ان الخسائر كانت ٤٥٠٠٠ بين قتيل وجريح »

كذا حققت نفسها في ساعة الخطر الفرنساوي الامة التونسية

اثناء البحث بفصل اخير عنوانه « الانقلاب النهائي الذي حرك الاسلام » لاحظ رفيقي الاجل اندري فريبور يقظة الامم بالارض الاسلامية، فتركيا تحس من نفسها انها تركية اكثر من كونها اسلامية ، ومصر لا تريد إلّا كونها مصر ، والهند تطمح في الوحدة الاستقلالية . وهي امور واقعة سواء احدثت الفرح او الترح . وهاته الحركة التجديدية لا يمكن ان تقف عند حدود العمالة التونسية لانه بتلك الارض الساحلية امتزجت المدنية العتيقة الرومانية بالمدنية المسيحية والمدنية العربية في معدن واحد وكذا فانه ليس فقط منذ حماية عام ١٨٨١ بل منذ احقاب متأخرة في الادوار الزمانية ادخلت العمالة التونسية تحت مغناطيس التربية الفرنسوية ويقظتها للحياة الوطنية فاجتمعت خلل منذ الحرب باحساسات المودة الصادقة نحو وطننا

ولذا فانه اجابة لطلب وفود تونسية مؤيدة بالعرائض الممضاة بعشرات الالاف قدم عدد كثير من رفقاءي بمجلس الامة من احزاب الشمال والوسط واليمين معي

مطلبا اقتراحيا هو الان معروض على مفاوضات لجنة المستعمرات والحمايات

وهذا الاقتراح انشأ تعاليق حادة يلوح لي أنها تقتضي البيان

والاقتراح الحاصل في موفى جويلية الفارط لقرض جديد تونسي في ٢٥٥ مليونا من الفرنكات كان هو السبب في ذلك

وبما لنا من الاهتمام بحسرات واماني الشعب التونسي طلبت مع رفقاءي ان تستدعى الحكومة الى تعطيل نشر القرض حتى تخول حكومة الجمهورية بالاتفاق مع سمو الباي المتولي للشعب التونسي نظاما دستوريا

ولا أقف اليوم عند مسألة القرض اذ ان تاريخ القروض التونسية محرر بوجه مؤثر بالتقرير المبين الواضع له مسيو بونسو عند قرض موفى جويلية عام ١٩٢١

والظروف التي تم فيها الاحراز على القسم الاول بالاتفاق مع الكريدي فونسيي الفرنساوي من هذا القرض اعني ٤٠ مليونا منها ٢٩ مليونا ٥٠٠٠٠ فرنك صالحة لتصفية الباقي الغير المنشور من قرض عام ١٩١٢ فان بعض العراقيل آلت الى الشذاذ

وزيادة على ذلك فان المسألة التي عرضناها باقتراحنا يمكن النظر فيها بمزيد حرية الفكر . ان الشعب التونسي مثل الشعب الفرنساوي للاسف راضخ تحت عبء الجبايا وهو يجتاز ازمة اقتصادية شديدة للغاية اذ ان البنوك عطلت المعاملات والافلاسات كثر عددها .

ففي هاته الظروف طلب هذا الشعب من فرنسا الحامية والحبيبة تسهيل نصب نظام نيابي اساسي يسمح له عند حدود المعاهدات التي تربطه بفرنسا والاحترام المحقق للحقوق والمصالح الفرنساوية باجراء الحق الذي لكل امة سياسية متشكلة في القبول بالضريبة والسهر على استعمالها

ذلك هو المطلب الذي قدمته مع رفقاءي على مجلس الامة الفرنساوي

والمشكلة تعرض حقوقيا حسب العبارات الاتية :

فبالتحمل بمقتضى معاهدات ١٨٨١ لحماية العمالة التونسية صرحت حكومة الجمهورية الفرنساوية احترام الوطن الارضي باتمه للعمالة التونسية والحقوق الملوكية التي للباي . وفرنسا لا تعتبر المعاهدات كخرق من الكاغذ

ان امور البـاي هي شبيهة بالتي لملك مقيـد الدولة اذ انه في عام ١٨٦١ مكن شعبه من دستور . غير انه لم يجر به العمل الحقيقي مع انه باقي الوجود في الحقوق وهو بلا شك غير مطابق لدرجة التربية السياسية التي عليهـا الشعب التونسي اليوم إلّا ان البـاي لا يمكن له تغييره بدون رضاء فرنسا وكذا فان فرنسا لا يمكن لهـا تغييره بدون مساعدة الباي .

وحينئذ فالامر كما هو الغاية من اقتراحنا انتداب الحكومة الفرنساوية لفتح مخابرات مع الباي المتهيء لذلك بقصد تمكين الشعب التونسي من اساسات دستورية حقيقية . ولذلك فهـو ما عرضتـه بالاجمـال على اللجنـة ويجب الاعتراف انه رغم الاختلافات النظرية الطبيعية على مسألة في الحيز التشريعي هي جـديدة لم تكن لي الملاحظة لدى رفقاءي المشاركين في البحث إلّا رغبة حثيثة في تخويل الشعب التونسي باسم فرنسا عهدا في ثقتنا ومودتنـا

أن الشعب التونسي جدير بذلك وما خولته فرنسا منـذ عهد بعيد لشعوب لم تزل في صدر مدنيتهـا لا يمكـنها ان تبخل به على أمة متمدنة ومتربية وحبيبة ؟ وفي الساعات الحرجة كانت العمالة التونسية احدى العناصر الاكثر تمكنا بالمودة المعهودة من الاسـلام نحو فرنسا . اني اعلم ان جميع التغييرات صعبـة وان ابخس ارتقـاء يحدث فواجع انتفاعية هي في الغالب تكون من دواع التهديد

واعلم ايضا ان قلاقل شيوعية صالحة لبعض مصادري المطامح التونسية اوجدت ابهامات وتضليلات لا تقوم عثرة عند التحليل المدقق

وبفضل السياسة الحسنة التي عليهـا المقيم العـام مسيو سان فان هـاته القلاقل تكون قد نسخت من حافظة الرجـل اذ الحق المطـالب به الشعب التونسي هو غير محدود . منذ ستين سنة خلت احرزت تونس من البـاي في ذلك العهد على منح نظام اساسي لبـلاده وهل تكون الجمهورية الفرنساوية صمة في وقت ان نابليون الثـالث المتيقظ اجاب عن ندا الاحباب في المعاضدة بتطبيق اساسات تدرس بالمكاتب التونسية نفسها حسب نظام الحقوق البشرية في ذلك التاريخ

ان الوطنيين الصـادقين التونسيين احبـاب فرنسا الذين بالاتفـاق مع ملكهم

قدموا لنا ايديهم الاخوية فانهم غرباء عن انقساماتنا باحزابنا ويجب علينا النظر وراء تلك المشاحنات الوقتية اي الى مستقبل أمة آمنة منذ اربعين عاما في التوقيعات المتبادلة والتي بهـا اكتسبنا مودة سرمدية

وفرنسا لم تكتسب قط الالزاس واللورين وكذا ارلانده وكذا مصر . . .

وفي ذلك تدبرنا حين الامضـاء على اقتراحنـا هـذا والـواجب على الشعب التونسي ان يثق

حول الرحلة الرئيسية

للديار الافريقية

عـدد ٩٠ في ١٦ رمضان المعظم سنة ١٣٤٠

قد اثبت التاريخ قديمـا وحديثا ما لرحلات الملوك ورؤساء الدول وعظماء الشعوب من الفـوائد العظمى بزيارتهـم للاقطـار التي لهم عليهـا حق الاشراف والنفوذ ، وبحلم وترحالهم بين عواصمها ومدنها وقراها وقوفا منهم على سير الرقي الذي احدثه التصرف والحكم ، ولمشاهدة النظـام والعمران ونتائج الجهد البشري في تذليل شوامخ الطبيعة وانتشـار الامن والانقياد والطاعة ، ولسماع الطلبـات وقبول التشكيات وازالة الحيف والاسباب التي توجب ارجحية المتساكنين عن بعضهم بعضا والتي يوجدها الاطلاق الاداري غالبا بين التبعة تنتج البغض والنفور ، حتى لا يحرم مستحق ولا يهضم جانب من غاب على امره او مستضعف ذهبت حقـوقه ضحية المغالطات التي تسدل على وجه الحقيقة من ذوي المطامع الاستثارية والتي ان استمرت يفقد الحكم معها سمعته المطلوب لها الحسن دواما واستمرارا ، فتتضعضع عندئذ اركان الحق وتذهب الثقة ويخور العزم ويحل محل الوثوق بالمستقبل الفشل واليأس ، ومن وراء ذلك ما وراءه من الاكدار وخراب الديار

وهي من السنن المحمودة الذي جاء الواقع ممجدا لها بحصول تلك الفوائد الاجتماعية الكبرى التي كانت تسمع ولا تشاهد (وان المشاهدة اقوى دليل) وناهيك بها وانها من سنن الراشدين من قبل وانهم كانوا يستطلعون احوال محكوميهم في السر والعلانية ويجوبون الاقطار لغرض اجراء القسطاس وسماع ما تشكوا منه الناس

ذلك هو المقصد والغاية من زيارة الرؤساء وارتحال كبار النفوذ للممالك وللمستملكات التابعة لهم حكما، وان لا صحة لما قيل من انها مظهر من مظاهر القوة او لغاية حمل الامم على دوام الخضوع للابهة والصولجان الحاصل بدونها لان تحصيل الحاصل من المستهجن صنيعا سيما بعد تكرار دلائله وشاراته وان لا اثر لخلافه ولو في عالم الخيال .

كما ان الالتذاذ بمناظر حشر البشر رهبة الى ممر الزاير العظيم اصبح من المخنى عليه ايضا . وقد حلت محله الرغبة من الاعاظم في امتلاك العواطف واحتلال القلوب . إجابة منهم لدعوة الانسانية وعملا بشرع الحرية الذي ارتفع لواؤه باحترام الحقوق البشرية التي ولدت مع بني الانسان

ذلك بعض الحقائق عن مشروع ذلك الارتحال وسره بالوجه السديد وان جاء شرع ساسة الاقوياء على خلاف اليوم وسوغوا اجراء ما لا ينطبق على معقول كالسياج الذي يقام حول المستطلع الراحل ابعادا للشعب عنه حتى لا يتمكن من عرض ما يرغب فيه واسماع ما يتالم منه ويشكو ضررة المميت . ولا يطالب في عرفهم إلّا بالهتاف له قلبا وقالبا . وبالتامين على الخطب التي تكتب في زوايا القصور ثم تعطى لخطباء لا يعترف الشعب بهم فتقال على نظر من العموم كترجمان على ما يبتغون . الى غير ذلك مما لم تظهر غايته ويصادر الثمرة الحقيقية لذلك الارتحال العظيم .

نعم فان الذي دعانا لتقديم هاته النظرية العامة مناسبة الكلام على الرحلة الميليرانية التي سلكت فيها الادارة مسلكا غير محمود رغم احتفاء تونس بذلك الضيف المعظم في نظر الامة ولدى حضرة الامير الجليل . واعني به فخامة ميلران عظيم الجمهورية الفرنسية الذي ارتحل لغرض الاستطلاع والنظر والسماع . فاخترق الشمال الافريقي من المحيط غربا الى ضفاف المتوسط جنوبا بين هتاف المحتفلين به في ابهة لم تسبق لاسلافه من قبل .

واهيك باقطار ثلاثة تمثل سلطنة عظمى حسنة المناخ جميلة المناظر هادية آهلة بنحو عشرين مليونا من النفوس والجميع منتظرون الى صادر صريح موكد منه يحقق ما هم في حاجة اليه ويؤخذ كعنوان على الرضاء ويوجب دوام الهدو وتزايد العمل نحو الرقي والنهوض . وما كل ذلك إلّا تحقيق مداول كلمة واحدة قالوا عنها بافتخار انها من اصول الجهموريين الثلاث الا وهي (المساواة) التي لا يتصور ابدا وجود السعادة في ذلك الفضاء العامر بدون اجرائها بوجه واضح ولو تاول المتاولون وغالط المغالطون . لان قاعدة (ان العدل حياة الامم ودعامة العمران والنفوذ) مما لا جدال في صحتها وقد ارانا صدقها التاريخ عن امم وعصور

ثم فوق ذلك فانه من المستبشع ايضا وجود سياستين في البلاد متقابلتين حرية وضغط . واجحاف وعدل . واعطاء وحرمان . كما انه من السداد في النظر العام بان شعب اليوم غير الامس . وانه شاعر بان الخطب والاقوال اذا لم يكن لها اثر مشاهد او صريح وعد مشروع فيه فانها لا تكفي ولا تجيء بالسياسة الى الغاية منها في حيز التسليم .

وعليه فتدشين اليها كل لتخليد ذكر عشرات الالاف من النفوس التي ضحيت في سبيل رد الجبروت وصد الهمجية عن اسوار باريس (وقد دفنوا في غربة عن ديارهم) لا يغني فتيلا اذا رفع المانع وجاءت المطالبة بالحق وروعي القرين وجانبه . على اننا اذا تصورنا مثلا صحة مناجات تلك الارواح وسئلت عن مبتغاها . فهلا يكون الجواب منها بغير السؤال عن مقدار الاحسان الذي كان به جزاء الاهل والاعقاب . ولن تسمع منها ابدا اعجابا او ارتياحا من اقامة ذلك الجدار الخالد . . . او اشادة المعاهد التي يكون نفعها قاصرا على ادارة التاريخ والاثار . وعليه فان اسمى المقاصد من رحلات الكبراء هو ما اسلفنا ذكره بالوجه الراجح وانه الكافل الوحيد لدوام الانقطاع الى العمل والثقة بالحكم وتجديد الولاء على الدوام

هذا ولنرجع الى ربط الطالع بالخاتمة من المقال فنقول . ان المملكة التونسية قد قامت بواجبها نحو عظيم فرنسا على الوجه البديع وباكمل اجلال وابهة تليق بمقام عظيم الامة الفرنسوية ضيف هاته الديار . أي من يوم حلوله بتراب الايالة قادما من جارتنا

الجزائر العامرة مصحوبا بحاشيته الرئيسية وبعض وزراء واعضاء البرلمان وارباب صحف كبرى وحملة اقلام

وان اول قرية حل بها وطير البرق اول مقال لفخامته منها هي (سوق الاربعاء) فاخذ كعنوان على السياسة وعلم منه ما سيقال بعد من الخطب وفهمت نتيجة الارتحال ...... ثم الحاضرة فعواصم الساحل الى ان بلغ بستان المملكة جزيرة جربة اليانعة ، فكان معجبا من ذاك المنظر الهادي الذي افتقد في غضونه حراسة الجند العتيد المعهودة لدى جنابه منذ ارتقائه عرش الرئاسة حتى في عاصمة المدنية باريس . وحيث كان في تلك البرهة محروس المقام من ثقة الوطنيين وادراكهم للواجب الذي رفع لواء الراحة والطمأنية في ارجاء البلاد . ولذلك فانه افاض متأثرا ذلك التصريح الموجز الذي لو شرحت نكته ومراميه السياسية لكان سجلا ضخما ....

ثم القيروان فالعاصمة (عودا) الى ان ركب البحر من ثغر بنزرت الحربي المهاب يحمل ولاء الامة التونسية (وصبرها على المضض) وهدوها المشاهد بالعيان والذي سجلته فخامته في رسائل الوداع التلغرافية التي تبودلت ساعة السفر بين فخامة الرئيس والجناب الملوكي العالي والذي ينبغي ترقب فوائد الرحلة وثمرة الزيارة من اجلها في نظر العدالة لا عن طول ترقب وانتظار .

هذا وانه نظرا لسبق الجرائد اليومية وغيرها لشرح ذلك القبول السامي وافاضت القول في كلياته وجزئياته ونشر خطاباته مع تتبع في الوقت والمكان بما لا يزيد عن المشاهدة الواقعة من الكافة شيئا . فلم يبق لمرشد الامة إلّا ملاحظته عن بعض فقرات من الخطب الرسمية او الشبيهة بالرسمية وشرح عبارات ربما طويت بها غايات لا تصل بسرعة الى الاذهان ، بعد ان نثبت ملخصا من مجموعها ونصرح بان غالبها متحد المصدر وان اختلفت في الانتساب ......

وهي لا تزيد على ما للمشيخة الاسلامية . ثم ما للسفارة العامة . فالاقسام الشورية . فالحجرات التجارية والفلاحية . فالمجالس البلدية . فمشيخة المدينة اولا وثانيا . فبعض رؤساء الاستعمار . فالاجوبة الرئيسية عن كل ذلك بما لم يخرج عن سنن الخطاب .

والذي يظهر من مقال شيخ الاسلام انه يحوم حول تجديد التاكيد في حفظ

الشعائر الدينية والمعتقدات القلبية الخ ، وهو كما لا يخفى اسلوب تكرر سماعه في كل موقف رسمي من ذلك القبيل لحد ان الافهام توقفت في سر تكراره ، سيما وان كل مكرر يحلو إلّا اعادة الكلام) .... على ان الدين ملك لصاحبه وان احترامه لا يكون إلّا منه سيما العقائد ، اللهم إلّا ان اريد بذلك ما هو معتقد فيه وهو عام فيشمل الازياء والهياكل والاشكال ... وعلى كل فانها ليست من الدين في شيء عندي ، وان اريد بذلك الحدود فينبغي ان يكون لفظ الطاب بغير مادة احترام ... حيث انها معطلة البعض ان لم اقل كل ، وان اريد النصوص الشرعية فرب سائل يسال هل من الشارع نص المحبس ام لا ، وهل الاحباس اليوم ذاهب فيها على رغبة الواقف ونصه ام لا ؟؟؟

ولذلك والله اعلم كان الجواب من الرئيس مختصرا وهو (ان فرنسا ترى من اقدس واجباتها احترام كل الاديان والعقائد ولا تنفك عن ذلك ابدا) ....

ثم ان بقية الخطب وان اختلفت اساليبها وتعدد قائلها فهي تتحد في فضل الاحتلال ومزاياه العظيمة وبيان ما اوجده فوق سطح الايالة وما اغمر به القطر من الاصلاحات ونشر الرفاهية وايجاد الثروة العمومية ووسائل النقل وتمهيد الطرق وربط البلاد بالبخار حتى قربت من بعضها وانشاء المراسي ونشر الامن وايجاد الملاجي الصحية والانوار الكهربائية التي تنازع النهار في سراجه الوهاج (ولو في بعض جهة من البلاد) ..

ذلك هو القطب الذي دار حوله الحديث واجهد كل خطيب في الافصاح عنه بكل ما لديه من القوة الناطقة وهو الامر الواضح والجدير بكل ثناء وتمجيد ....

غير ان بعض الخطباء توسع بدون مسوغ ادبي في ذكر الماضي في ابشع صورة مع انه من الاموات . وقد جاء في الاثر (اذكروا موتاكم بخير) فعلى الاقل يذكر بخير او يسكت عنه كما هو القاعدة في احترام الوفاة ......

على ان التاريخ قد قص علينا من أن لكل امة ماضيا مظلما وهمجية مطبقة وادوارا دائرة بين تدلي وارتقاء، وانه ليس من المسلم ان يتسلسل الانحطاط في اجيال من امة قرونا واحقابا او بالعكس بان يستمر الرقي دواما واستمرارا، لان الدهر ياب ذلك

وقد اراناه ولو صح للزم ارتحال البشر لعالم الافق واتخاذه مسكنا ومقيلا . . . . .

ولم ينقص لاولئك الخطباء شيء غير ذكر المعارف العمومية وبيان الدرجة التي بلغت اليها الامة في بحر ذلك الامد المشرف على نصف قرن من العلوم والعرفان واستنارة الافكار والاذهان ، حتى تكون تلك الشهادات الرسمية حجة على اخصامنا عند مطالبة الشعب بحق المشاركة في تدبير اموره وشؤونه فقالوا عنه انه جاهل ساذج تبلغ الامية فيه الى تسعين في المائة من افراده . .

مع بيانهم للميزان الدولي قبل سنة ١٨٨١ الذي هو ستة ملايين فرنكا ومقداره اليوم وهو مائتان وستون مليون فرنكا بين قار وغير قار ، ثم ذكر موارده وفي اي مهيع يستهلك ذلك العبء العظيم ، حتى تكون الخطب جامعة مانعة فتستهوي الراي العام ولو بحقائق ملفقة وترضيه فيعذب من الخطباء امتنانهم المكرر الذي كاد ان يبلغ عنان السماء لمديري الادارات ولاطلاقهم المنذر بالياس

اما خطب الاستعماريين وبعض افراد الجالية وان كانت مجردة من العبارات الجارحة والقساوة المالوفة منهم لكنها قاصرة عليهم ودائرة حول مدلول جملة (هل من مزيد) الى ما عندهم . . . . وكاني بذلك وقد شملها الدخول الى المعمل الاداري الذي هو مصدر جميع الخطب التي قيلت على لسان كل الوطنيين الرسميين والمشابهين . . . بدليل مخالفتها لنشرياتهم الدورية الجارحة والذي يؤخذ دليلا على تيقظ الادارة الى بعض الواجب عليها من اولئك الصاخبين . وعساها ان تستمر على ذلك البعض من التيقظ . لان الخير كل الخير في مجانبة الحيف والجفاء في القول ولا اجمل للسياسة من جمع المتنافرين على بساط الصفاء والاخاء

ولقد اجيبوا جميعا اعني الاستعماريين من طرف فخامة الرئيس بعبارات صريحة قد وددنا ان لو بعضها كان في جانب خطباء البلاد الوطنيين . وهي غاية في الجزل والافادة ولاتزيد عن كلمات ثلاثة نصها . . .

قال (ان ام الوطن في اعانتكم دائما وابدا) لزعيم الاستعمار بسوق الاربعاء . (وان مشروع مواطنينا لا يقوم بالدفاع عنه رئيس الجمهورية فقط بل وزير الفلاحة ايضا الذي يعرف مجهوداتهم ويقدرها حق قدرها) قالها لرئيس الحجرة الاستعمارية بلقي بتونس

(وثقوا بحسن المستقبل ولا تخشوا منه شيئا ابدا فانه سيكون كما تريدون)

قالها لكاهية البلدية بفريفيل ....

وهنا يجمل بنا اثبات فقرة اخرى من خطاب (بلبتي) مع اعجابنا منه كيف ساغ له ذكرها امام عظيم في امته وفي ملاء من الكبراء اللهم إلّا الدلال المحظ ولكن ليس ثمة مقامه . او ان التعود بالمغالطة هو الذي سوغ له ذلك الخطل في القول

ولا مانع من ان يكون حظا خدم به الوطنيين حتى يظهر ما لهؤلاء من المقدرة على الشعوذة والتضليل وكيف يصورون غير الواقع واقعا ولا يستحون . وهي (ان المعمرين الذين قاموا بمشروع التمدين منذ اربعين عاما ما انفكوا يبذلون المساعدة على ترقية الفلاحة الاهليين (كذا) والعملة الزراعيين الذين انقذوهم من نظام الخماسة (كذا) وصيروهم عملة احرارا (كذا) ثم فتحوا لهم ابواب جميع تأسيسات التشارك والتعامل والتعاول والضمان (كذا) فكانوا لهم اعضادا ومعلمين وممرضين (كذا) وبذلوا لهم اجورا لم يألفوها من قبل (كذا) وعلموهم الشغل والتوفير مع اتقان اساليب الزراعة (كذا) وربطوا بحسن العلائق مع سواد الفلاحة الاهليين العظيم المتحدين معهم في المصالح العمومية (كذا) والذين لم ينقادوا الى تحريش بعض الاحزاب (كذا) الى ان قال ان زملاءه يحبون الشغل والعدالة والحق والانسانية وانهم قائمون بواجبهم اه

ذلك ما قاله بلتي في معرض الامتنان على الوطنيين امام عظيم كرئيس الجمهورية وحيث طال البحث وكلام بلتي وحده وان كان بهتانا فهو في حاجة الى سجل فقد تحتم جعل هذا الملحوظ متتابعا والله ولي الاعانة والتوفيق

فكاهة سياسية

او

اقتبال ارباب الصحافة الباريسية المصطحبة

لرئيس الجمهورية

بمحل شيخ المدينة ـ عدد ٩٠

نضع نصب اعين القراء شكلا غريبا في سياسة الافراد .. وهو نص ترجمة خطاب شيخ المدينة الذى القاه على اعضاء الصحافة الباريسية بدار حكمه في وليمة (الرقص) التي اعدها جنابه لضيوفه نقلا عن جريدة (الديش تونزيان) مكتفيا بمقدمتها عن الملحوظ منا والى القراء نص ترجمة ذلك الخطاب البديع مع مقدمته

قالت تلك الجريدة ....

ان حضرة جناب السيد والي حاضرة تونس وشيخ مدينتها كان له الرأي الجميل في الانتداب بالامس مساء لمأدبة ودية لاعضاء الصحافة الرئيسية ورصائفنا بتونس . فبالصحن المتسع تحت خباء واق نصبت مائدة فسيحة . وان المنظر الجميل الشرقي بالتمام كان مزدانا بتخت طرب اهلي وراقصات (اهليات) ....

قام الجميع خلل الطعام بالحان موسيقية عربية موزونة على نقر الدربوكة ؟ والاغاني المتقطعات بالاصوات والرقص الشرقي ....

ان المساء الاخير المقضي من ضيوفنا بالارض الافريقية يمكن ان يترك لهم اثرا ثابتا من الطرز المحلي . عند الانفضاض من هاته المأدبة حيث ان جودة الاطعمة المحلية لا تناظرها إلا كثرتها فقد فاه شيخ المدينة بالمقال الاتي :

تحققوا سادتي ان لا غرض لي في اضطهادكم بخطبة . غير اني ارغب مع ذلك اظهار مقدار ابتهاجي وتفاخري بالقبول على مائدتي للاعضاء الاكثر احقية من صحافة ام الوطن ... الذين احيي فيهم النواب الحقيقيين عن الفكر العام الفرنساوي

كان يروق لي سادتي قبولكم بمحلي بالمرسى ولكن للاسف فان قلة الوقت الذي لديكم الزمني بالاكتفاء بتشريفكم بهانه الادارة حيث انتم مقبولون على الرحب والسعة

وهذا المساء حينئذ هو الاخير الذي تقضونه بارض الشمال الافريقية، ولقد طوقتم افريقيا شاسعة الاطراف المختلفة كثيرا من مناظرها حسب اختلاف خيراتها واتمنى ان تحافظوا على الخصوص من وطني على ذكر جميل وتقولوا حين رجوعكم لام الوطن ما شهدتم عندنا . هلا الفتت انظاركم الترقيات الحاصلة من حكومة الحماية ؟ ولا جرم ان كان كذلك سادتي ؟ وحينئذ فبقصها اياكم ارغب ان تقولوا ايضا ان اعترافنا نحو فرنسا ثابت صادق لعملها التمديني وهو عمل متبع منذ سنين ويلزم الاسترسال فيه نحو الامام

تحت رعاية فرنسا الحامية ودلالة الامة الكريمة الفاخرة التي اعلنت في "اصدر صول عام ٨٩ السرمدية تسير العمالة التونسية حثيثا في سبيل الرقي

واما ماديا فهذا التقدم فهو بائن جليا للعيان ومع نزارة مشاهدته في الميدان الادبي فهو لا جدال في وجوده حسبما احقق لكم ذلك . ان فرنسا لم تبخل علينا قط بالاصلاحات التي استوجبتها الظروف ونعلم تفعل كذلك في المستقبل غير اننا الاولون في الاعلان بمضرة ما يحصل قبل ابانه ، وارغب ان تنقلوا هذا التصريح الى اخوتنا واحبابنا بفرنسا الذي يجب العلم على جميعهم ان مآل العمالة التونسية مرتبطة للابد بمستقبل وطنكم ...

انكم وجدتم الحاضرة التونسية في اتم زخرفها وعنفوانها ومرحبة بالاجنبي وهل تظنون سادتي اني عرفت تختنا بطريقين فقط احدهما يربطه بباردو مقر سمو الباي وقتئذ والاخر بحمام لف حيث كان يتوجه الملك للاستحمام ؟

واتذكر بحيرة حقيقية ممتدة الاطراف على المكان القائم به النهج الجميل المعروف بالبحيرة المنظم الخطوط والمجمل بالاشجار اليانعة على الدوام وهو يلوح لكم في هذا المساء تحت قبته الخياليه من الف نور

واما بطحاء البورصة ازاء باب فرنسا ؟ فاني لا انسى قطعي لها حين كنت صبيا

على كتفي حامل قوي حسب الاسلوب المستعمل من حشم الملك الشمسي عند قطعه لبعض ساحات باريس او فرساي على وجه يقيه تلويث ملابسه . . . .

ان مواطني الكثير منهم مهتمون بتتبع تغييرات وتجميلات الحاضرة التونسية ولقد زادت تونس في جمالها للاحتفال بكم . وانتم سادتي الذين تنقلتم بالايالة من الشمال الى الجنوب مقتحمين لهيب الشهيلي المعبر عنه في لسان الشعراء بزفير الصحراء وانتم العارفون الان بالعمالة التونسية فلا اخالكم إلا التفتم الى خصابتها فاذكروا ذلك سادتي بجرائدكم وصرحوا ايضا بتعلقنا بمقيمنا العام الهمام الذي تفضل بالانابة عنه في هذا المساء بهذا الاجتماع الودادي مسيو برتوان ومسيو الكمندان جكمان الذي امكنكم بلا شك الاطلاع على خلل سفركم على تربيته العلمية الراقية وتضلعه وملاطفته الفرنساوية بلا مراء

وهاته الاحساسات نفسها تربطنا بجناب بيو الكاتب العام للحكومة التونسية رجل العمل والايجادات . واما تعلقنا بملكنا العزيز المحبوب سمو سيدي محمد الناصر باشا باي فاني اخفيه عليكم . . .

ان سمو الباي والدنا ولنا نحوه احساسات الابنية الخالصة المنقطعة ونحس بذلك ايضا نحو مسيو ميلران رئيس الجمهورية الفرنساوية او الحاكم الاعلا بوطن مستنير بالحرية والعدالة ايضا وينتهي عمله فقط في اليوم الذي تبلغ فيه التونسيون كفاءة الاشتباه مع ابنائه الحقيقيين . انكم تعلمون سادتي ان دياتني لا تبيح لي شراب النخب رافعا الكاس . . . وهنالك اصطلاح عتيق اقدم على استعماله . . . وهي مع ذلك عبارة عتيقة فرنساوية . فاتركوني حينئذ اقول لكم

سادتي نواب الصحافة الكبرى الفرنسوية ان قلبي يحييكم

ان قلبي يحيي اعضاء الصحافة اليومية الفرنسوية بحاضرة تونس التي تقوم بالجدال الحسن بانقطاع لا يشوبه فتور . .

وبالاخارة سادتي ان قلبي يحيي بالاريحية نفسها فرنسا السرمدية والعمالة التونسية اليانعة تحت حمايتها الحجرية . . . . .

لطائف ادبية ...

عدد ٩٢ في ٢٣ محرم سنة ١٣٤١

من القواعد التي دونها البيانيون في فنهم الجليل حفظا لاسرار البلاغة في الكلام والمتكلم واشترطوها لخصوص التحارير والخطب الشفاهية أو الجواب عنها.. هي (مطابقة الكلام لمقتضى الحال) وغيرها مما هو مقرر في بابه.... وقد سار الخطباء والمتكلمون على سنن تلك القاعدة سيرا ملحوظا منهم في العناية بها. والحقوا كلام من تنحى عن سبيلها باصوات السنانير. سوى كان خطابا شفاهيا او انموذجا تحريريا اي فيما قبل هذا التاريخ... اما في هذا العصر فقد ابتلينا فيه بخطباء سياسيين تجنبوا ذلك الطريق وابتعدوا عنه بعدا شاسعا لم يظهر له داعي ولا مسوغ. فكانوا موضع الاستغراب بل والسخرية من العموم......

لكن ان الذي يمعن النظر يجد الامر لا يخرج من اوجه اربعة

(١) انه الجهل باساليب الخطابة المشترط فيها مراعاة المقام

(٢) ان دائرة الطمع قد اتسعت في نظرهم فهجمو على الكلام من سائر جهاته فانغمسوا في الهذيان

(٣) ان السياسة تجوز كل شيء

(٤) انهم زادوا قاعدة في الفن اغفلها صاحب المفتاح رحمه الله تعالى ورضي عنه

والذي يترجح فهما وهو الاوجه في العذر لهم هو اخذ الثاني مسوغا وان كانت احرفه مجوفة (اي فارغة) .. لانه لو لم يكن ذلك ما امكن لاحدهم ان يهجم بسائر قواه اللسانية على اوصاف الفضل ونعوت الكمال والباسها لممدوحه المعروف بين الناس علما ، وعملا ، وكرما ، وفضلا ،

مع طول في الخطاب ممل ، وسجع مخل ، واشعار وشعور واخلاق زكية ، ونعوت عبقرية ، وماضي ازهر ، ومستقبل ابهر ، وصفاوة درة ، وسكوف في المجرة ، ونصرة المظلومين ، والاخذ بيد المساكين المستضعفين ، وتعلق الرعية ، واجلال البرية الخ ....

لحد يعتقد السامع ان الممدوح لا يسعه إلا اخذ الخطيب المادح من ساعده والقائه في الجنة .. (استغفر الله) واليك ايها القاري على ذلك اوضح دليل وهو ما جاء في بعضها اخيرا من فصاحة الجمل وجودة التراكيب التي نصها (ان قبي عاجز وان قصوري وعجزي عن ابداء ممنونيتي وتشكراتي، فعفوكم اكبر واوسع ....) (ولا سعة إلّا لعفو الله) ..

وجاء ايضا (فبحول الله وعونكم) تعالى الله عن الشريك . الى غير ذلك من الاساليب المجهولة قبل اليوم والتي اذا اتخذت قاعدة يجب الارتقاء في مخاطبة الملوك والخلفاء والسلاطين (بيآلهة الارض . او بسبحانكم ما اعظمكم واطولكم حولا وقدرة ......) لذلك يرى مرشد الامة من واجبه ارشاد هؤلاء وانذارهم بالاستكبار عن عبادة البشر اولا ثم انهم يرحموا الحقيقة ويراعوا القاعدة وحسبهم الاقتصار على اللازم في اللازم ويثقوا بان الذي قدره الله سيكون ولايكون غيره ابدا

لطيفة اخرى في الاوسمة والنياشين

الوسام والنيشان بمعنى واحد ولعل اشتقاقه يرجع الى رفع الشان ......

وهو عنوان لرضاء الحكومة على حامله وهو شرف لها تكرم به من ترضى عنه . وتقلده في الغالب لمن يعمل في مرضاتها في السر .... والعلانية . وهو على اقسام في الرتب وعلى اشكال واصناف في حد ذاته من حيث الاعتبار . ويتفاوت جمالا وحسنا من حيث الماهية ايضا . ذلك ما يعلم من وصف هذا الجماد المحبوب لكثير من الناس . غير ان قاعدة العمل له الاتفة الذكر قد تتخلف بل يعطى الوسام سلفا اي للتنشيط على فعل يترقب او مشروع فيه .

وقد ينعم به على الطبقات من الرجال كل بحسب اهليته . وقد حملته النساء ايضا ولكن بلا شغف به ولا صبابة له كهيام الرجال بتقليده .... والظاهر ان النساء قد الفنا حمل القلائد وشنشنة الحلي وجمال عقود الدر والياقوت في الاعناق ....

ويقال ان الاصل في اختراعه يرجع الى بعض الملوك كوسام اللجيون دونور

لنابليون بونبارت والمجيدي العثماني للسلطان عبد المجيد . ويؤثر عن الاول انه قد خصه بالجيش تنشيطا للقواد على الفتح حيث انه كان يحلم بالاستيلاء على ما بين القطبين ....

وقد جرت العادة (وهنا محل الشاهد) قبول الرأي العام لتلك الانعامات على اربابها بلا اعجاب لسابق علم عنده من حال اولئك وانهم المخلصون والعاملون له وعلى استحقاق للجزاء به . اما اليوم وقد لوحظ عليه (اعني الرأي العام) برودة عندما شاهد اسماء فردين او ثلاثة في سلسلة من اصابهم الوابل الاخير من النياشين ...

ولا يبلغك عن العقلاء إلَّا احاديث الم تسمع (أن فلانا اخذ وساما) والجواب (بعجبا) فماذا صنع يا ترى ؟ حتى استحق هذا الانعام العظيم . فيقول الاخر لانه وطني غيور ... فربما ناله لتنشيطه على الوطنية والاسرار الخفية . والاعمال الزكية . واللف والنشر وعلم طبقات الارض والميقات والجبر ... حتى ادرك احد المنعمين عنهم ما قرآه في العيون . فاخذ يتساول ويتمحل الموجب والسبب ويقول في نفسه (قد اظهر السر والشان هذا النيشان) ....اه

حول التغييرات الوزارية (١)

وبعض الوظائف الادارية

كثيرا ما تنقل الصحف السيارة في اوديتها احاديث المشاكل الوزارية بالممالك القاصية والدانية وتشعر الجوائب الاخبارية بسقوط وزارة وتاليف اخرى على اطلالها

(١) اثر استعفاء او سقوط الوزير الاكبر السيد الطيب الجلولي وتسميته وزيرا شرفيا وقع الانقلاب الوزاري المشار له في صاب هذا المقال . وهو الحادث الذي طوينا الاشارة اليه في مقالنا المعنون (بالوزارة لغة واصطلاحا) وذلك قبل حصوله بوجه رسمي ... ومن الغريب أن اذاعت عنه صحف الحكومة لوقته من انه من جملة الاصلاحات التي طرب لها الشعب وصفق من اجلها استحسانا .....

شارحة اسباب السقوط والانحلال ، وهي لا تخرج في الغالب عن ارتكاب هفوات في السياسة الخارجية توقع العلائق الدولية في ارتباكات عظيمة او سوء سلوك في التصرف الداخلي يحرج موقف الوزارة ويفقدها الوثوق المعتبر لدى مجلس النواب ، وهو ناشيء عن تحكم الامة في الحكومة بحيث ان السقوط يكون اضطراريا اذا لم تكن في جانب الوزارة اغلبية معتبرة من اعضاء مجلس الامة عند طلبها الوثوق بسياستها وهي ترتجف من الحساب وترجو وتخاف

وهي سعادة شعبية تضاف الى نظام يعرف (بالدستور) تتمتع به اليوم امم الارض المستقلة ولو كسكان الجبل الاسود الصعاليك بل ومن جاء في قسمة الاقوياء الاكثر انصافا والذين يحسنون سياسة الشعوب ولهم غاية في الامتلاك والاستعمار ، فانهم قد ردوا على البلاد استقلالها الداخلي باتم معناه واصبحت الحكومة فيهم غير فاقدة لصفة غيرها من الوزارات حكما وتأليفا وانحلالا ، اما من كان كالمملكة التونسية الان فان الوزارة فيها تجري على غير قياس يعرف في النظامات الدولية السياسية

وبيان ذلك فان المشكلة الوزارية التي تسببت عن اعفاء الوزير الاكبر او استعفائه لم تراعى فيها السنن المعروفة في الممالك الاخرى وان قيل في لقب اعضاء حكومتها (وزير اكبر ووزير قلم ، ووزير عدلية ووزير حرب ووزير بحر ووزير داخلية مفوض) ... بل واكثر بيان من ذلك ان مجلس الوزراء الذي يلتئم شهريا لا يرأسه الوزير الاكبر بل يجتمع تحت رئاسة وزير الخارجية الذي له صفة مقيم عام للجمهورية ، وان صدر الوزارة يكون مرؤسا ولو للمعتمد السفيري الذي ينوب المقيم العام احيانا ، ولمثل هذا وذاك قلنا آنفا ان نظام تونسنا الملوكية يجري على غير قياس ويندر بالنظير ...

وان لم يكن ذاك التغيير على سنن دمقراطية لها ارتباط بمناقش الحساب عن الاعمال ، بل كان اثرا من اثار الرغبة الاميرية المحضة ، لامر يحوم حول فقدان الوثوق الشخصي فقط ، كما ان الحادث من الوجهة التارخية فهو الوزير الثاني الذي وقع فصله على خلاف التراتيب الادارية في انظمة المملكة التونسية اي بطرق اكراهية ، ولذا عد حادثا كبيرا

هذا وان الذي الفتنا لذكر هذا الصدر في المقال هو ما قراناه في بعض الصحف الشرقية عند ذكرها للمشكلة الوزارية التونسية حيث قالت ان الوزارة التونسية سقطت لعدم وثوق الحزب الدستوري بسياسة كبير الوزراء ، وسيؤلف سمو الملك وزارة تلائم سياسة الدستوريين ، ظنا منهما وان الحزب برلمان ، وهو حديث اقرب شبه بمن يخبر عن البلاد السويسرية ومرساها الحربي واسطولها الضخم العتيد ، ولكن لا غرابة اذا كان الحق حقا مقدسا ان تصير الحكومة التونسية مسئولة في يوم من الايام لنواب الشعب ولنظام ترفل في سعادته اليوم كافة الامم الراقية والتي تأهلت بان يكون لها حق في الحياة ، ولا اظن انه يوجد عاقل بصير بالحقوق لا يمج سياسة الاطلاق الاداري تشريعا وحكما وتنفيذا ويروق له تصرف ادارة غير مسئولة والمحكومون مسئولون لها دواما واستمرارا عن كل جليل وحقير

نعم نعم . . . ولنرجع بالبيان الى مفهوم اكليل هاته العجالة ولذكر انموذج عنه فنقول ، انه بناء على استعفاء الصدر الوزاري . . . برغبة منه حسبما قالت « جريدة الاديبش تونزيان » لسان السفارة الصادق . . واحالته على المنصب الشرفي فيها فقد ارتقى الى الوزارة الكبرى وزير القلم والاستشارة واضيف منصبه الاستشاري الى شيخ المدينة مع بقاء شيخوخته له واشغال وزارة التشريفات بمعتمد مشيخة المدينة ، والظاهر ان بقاء وزير القلم مجمع للسلط الثلاثة اعني وزارة القلم والاستشارة ومشيخة المدينة ورئاسة المجلس البلدي موقتا ، ضرورة ان الحكومة بصدد تفريق السلط (حسب ادعائها فجدير بها ان تتباعد عن فعل ما تحرمه احيانا ، حتى انها كثيرا ما تطلب من متوظفيها الصغار اختيار احد الوظيفتين كعدل مثلا او كاتب او عون مستجيرا ، حرصا منها (بارك الله فيها) على توزيع المنافع وتفريق السلط ، بل وان الكثير ممن اعفوا من خططهم قهرا اداريا في الماضي ومر عليهم عشرات السنين وطلبوا رد وظائفهم عليهم للتمعش والاقتيات ، أجيبوا من طرف وزارة الداخلية المعروفة بالكتابة العامة بانها لا تقدر على فتح هذا الباب فرارا من مضايقة الغير المنزل ضرره كضرر ادخال الطعام على الطعام . . . . ولوحصل الشغور) ثم انها تجمع اليوم وظائف كبرى في شخص واحد ، ولو كان سندها في ذلك المقدرة المتناهية والحزم والاخلاص ، ومن جهة

اخرى فان الشان في المتوظف الميل الى حسن السمعة في نظر الشعب لاستدامة الوثوق وحب المحمدة ، وهذا لا ينتجه اللقب فقط . لان مفهوم وظائف ثلاثة كبرى ليس في مقدور شخص تحقيقها والقيام باعبائها على الوجه المطلوب ولو كان في مرتبة القاضي أياس ذكاء ونابليون شجاعة وحزما . فتستحيل رتب الوظيف عند ذلك الى اسمية او انتفاعية وينعدم الاعتبار الشخصي المطلوب . ولا يخفى ان الانسان يرغب في الثناء سجية وينشطه الاطراء طبعا . والاول لا يحصل إلّا مع النتيجة والثاني لا يكون بمجرد الالقاب والنعوت . . . .

وعليه فلا يقال عن الشعب انه قبل تلك الارتقاءات بارتياح زائد وجذل تجاوز الحد كما اخبر البعض به . . لانه في انتباه وعلى يقظة لا يستغفل بحال ، نعم انه في ترقب للنتائج العامة التي تحصل عادة من امثال هذه التغييرات او الاصلاحات الهامة التي يحن لها الشعب وتصبو لها البلاد على تعطش وانتظار ولسان حالها ينشد متمثلا قول شاعر بغداد الحكيم

فماذا عسى يجدي سقوط وزارة ✽ اذا لم تقم اخرى على الحق والصدق . . .

هذا وقد اقيمت الحفلات الرسمية لتنصيب اولئك الوزراء في مناصبهم في ابهة عظيمة تحت صدى الخطب المسهبة المملوءة اطراء وامتنانا . فتسابقت الى نشرتها الصحف اليومية في ابانها وتبعها الراي العام شرحا وحاشية . . .

ومما هو جدير بالذكر احداث وظيف مدير للاوقاف بدل الاعتماد الدولي الذي كان . اكراما لوزير التشريفات الذي شمله الارتقاء ، واخلفه فيه معتمد مشيخة المدينة وجيء اليها بخلف عنه وهو رئيس قسم الحساب بالكتابة العامة المعروف ماضيا وحاضرا بالاستقامة وحسن السلوك

وقد باشر حضرة مدير الاوقاف خطته الجديدة بعد التنصيب الرسمي المعتاد الذي تبودلت فيه الخطب والذي جاء في احداها ذكر سيق مساق الامتنان ولم يظهر له مسوغ . وهو ان صنيع الحكومة في احداث هذا الوظيف يبرهن عن حسن مقصدها بالاوقاف واحترامها لنظامها الشبيه بالديني . لانه واجب ولم يسمع الى حد الان ان من فعله يمتن به او يسوغ له حمل ثقل امتنانه على كاهل العموم الذي اصبح محدودب الظهر من اثقال ذلك النوع الذي يمثل الفراغ في اليد . . . بل ربما يحملها

البسيط على تمرين الاسماع لقبول تلك النغمات الغير اللذيذة ، او من باب (يكاد المريب ان يقول خذوني) ......

اللهم إلّا ان يكون دفعا لما يتوهم وهو الاقرب ، ولكن سياق التعبير لم يراعى فيه التناسب المختار .....

وعلى كل حال فمرشد الامة يبتهج باسناد ادارة الاوقاف لحازم وجيه في الوسط الدولي كالسيد خير الله بن مصطفى ليوازر رئاستها على شؤون عظيمة كصد تسلط ادارة الاستعمار عليها وحفظ البقية الباقية من الاحباس العامة وصيانة الخاصة منها وتنمية مواردها وصرفها طبق مراد الواقفين ونصوص احباسهم المقدسة ، ثم التقليل من تلك الاعانات الخارجية المقدرة بميات الالاف من الفرنكات التي ما انزل بها من سلطان وتنافي مراد المحبسين على خط مستقيم ، كالمقدار الذي اخرج للبنك التعاضدي اخيرا بلا وجه شرعي وهو مائتا الف فرنك والذي يعطى الى الصليب الاحمر والاخضر والجمعية الاسرائلية الغنية والفرنسوية المعطى لها من الدولة مائة الف فرنك ، وسبعون الف فرنك من الجمعية ، واعانة المستشفيات بانواعها والذي يخرج في حساب مديرة مدرسة البنات بنية نشر المدنية داخل الخدور وفي وسط المنازل والبيوت ... والتي تاخذ من الاوقاف بقدر ما تطلب ولم يكن لها شيء على التعيين الى غير ذلك مما يعلمه القليلون من العطايا والاعانات

ثم الرجاء ايضا في التفاته الى اصلاح المساجد الخربة في الافاق والتي اشرفت على الاضمحلال مع كثرة احباسها واشادة مساجد القرى الاهلة واجابة مطالب اهلها باعانة الاوقاف لهم على ذلك لان كثيرا من القرى اهلها في حاجة الى المساجد وطالما طلبوا بالحاح ان تعينهم الاوقاف اعانة فقط فنضبت لهواتهم ولم يحصلوا على طائل ، ولو اردنا حصر القرى التي اهلها يصلون تحت اديم السماء في اعيادهم ولا جماعة ولا جمعة لكان العدد يناهز الاكثر ، في حال ان باغلبها كنائس وصدى دق النواقيس يسمع من بعيد ، وقد بلغنا ان بلد تبرقه التي هي كهاية لا مسجد فيها وقد استاجر اهلها مخزنا من مسيحي يسكن البلد فتبرعت الاوقاف (اثابها الله) بنصف كرائه والنصف الاخر يجمع من المصلين والمحسنين ، فاحيانا يتاخر دفع الكراء فيات المشار له (والحق معه) وينذرهم ويهددهم ببيع مفروشاته وقفل ابوابه ..

كل ذلك والاوقاف اذا طولبت بمثل هذا تتعلل بفقد المال ولكنها تصير غنية اذا امرتها الحكومة باعانة البنوك او مدرسة البنات او بناء القصور للتسخير بثمن بخس والذي يكرى بفرنك واحد في العام ......

لمثل هذا وذاك نستلفت حزم وزير الاوقاف الجديد بان يتخذ تدابير من شانها ارضاء المحبسين والامة . وليكسب الحكومة بفعله ذلك ثناء جميلا

ومن جهة اخرى فان المبادرة في الاخذ باطراف اصلاح المساجد وتنمية مرتبات القائمين بعمرانها وحفظها يسدل حجابا على المقتطعات (الغبريطية) المتراكمة لدى العمال اليوم ويهون على الامة وقر دعوته لجمع اعانات لاشادة المعهد الباريسي في حال ان البلاد خاوية من المعاهد والبعض قد انتابه الاهمال والتفريط

هذا ومما هو جدير بالاستغراب ان لا حصر ولا تقدير في ميزان الاوقاف صرفا . لغاية هو استبقاء ابواب الاعانات المتكررة على الدوام غير موصدة الباب حتى قال بعض علماء فن الحساب ان الخلل الاخير الذي شوه سمعتها وان كان لا تخل ادارة من مثله قد سهل ارتكابه النظام المشار اليه والمقصود حسب ذلك الزعم

غير انه لا ينبغي حمل ثقل ذلك الخلل على كاهل الجمعية وحدها بل ان للكتابة العامة الحظ الاوفر في اللوم لانها المديرة المسيطرة على الاوقاف ولا معقب لامرها ولا مراجعة فيما تطلبه ـ او تامر به وصاحبة الحول والطول . بحيث ان الذي يريد اعانة وهو على وجاهة او صلة بها يقصد اعتابها فاسرع ما سماؤها تمطر الاوامر على الاوقاف بانفاذ امرها المطاع

وهنا نضع حكاية (موعظة وذكرى يتضح منها ان الامر امر الكتابة العامة الظالمة بلا معقب . وهي انه على عهد احد الكتاب العامين السابقين جاء مطلب من امام بمسجد في عمل ورغمة في زيادة مرتبه الذي هو ثلاثون فرنكا الى مثله . نظرا لارتفاع المعاش وجاء بالصدف في ذلك اليوم مطلب من مديرة مدرسة البنات تطلب نفس ذلك الطلب ولا اصرح بمقدار مرتبها لانه يحمل على اعتناق المذهب البلشفيكي بلا تامل ولا نظر اذا نظرنا الى مرتب الامام المذكور .... ثم بعد اجراء اللازم الاداري عن ذينك المطلبين قدما الى اعتاب الكتابة العامة فوقعت على مطلب الامام بالرفض لعجز الميزان وعلى الاخر باجابة الطلب بلا تعطيل وهو آلاف من الفرنكات ....

واغرب من ذلك ان احد معتمدي الكتابة العامة تداخل في امر الجمعية بكيفية تخجل حتى انه امر بتوظيف نائب في الاوقاف وانتخابه وهي لا ترغب فيه وضد القانون والتراتيب .

وغير ذلك مما من شانه ان يصدر عن الاطلاق المحض من الجور ولا تهاب فعله الوزراء والحكام الغير المسئولين لنظام مسنون .

نقد الاصلاحات السفيرية

١

٢٢/٩/١٩

عدد ٩٢ في ١٦ محرم سنة ١٣٤١

من المعلوم ان السنة السياسية تعتري الامم وتنتاب الشعوب وتعمل فيهم عمل النوم في الحيوان من تخديرات وقتل للظواهر من الحواس . غير ان النوم في الفرد حقيقة وفي الامة مجاز ولكن النتيجة تتحد في الجميع . وبذلك صح ان يقال امة نائمة اعنى لا تشعر بكارثة اجتماعية ولا تحس بعاطفة عمومية ولا تطالب بحق مغصوب . وشعب مستيقظ اي ظهرت عليه دلائل الشعور العام والجد والاجتهاد في استرجاع ما سلبوه من الحقوق العامة منتهجا السبل الموصلة الى ضالته المنشودة بلا كلل ولا فتور .

وقد قرر علماء العمران في اسباب يقظة الامم وانتباهها سببا واحدا . قالوا عنه انه لا يكون غير نشر التعليم في البلاد نشرا اجباريا حتى تاخذ كل طبقة حظها من العلم واستنارة البصائر والتربية الدينية والاجتماعية . وذلك حسب القابلية وبمقدار المواهب ودرجات القبول . ومن ثم يحصل الانتباه ويتكون في مجموع الشعب رقي يحول بينه وبين الاستكانة الى السينة التي يعقبها الفناء . لذلك ترى الامم القاهرة تراوغ الشعوب الضعيفة التي افقدها الدهر حكم نفسها

في هذا الباب وتضن عليها بالتعليم وربما كان الجزء اليسير الذي تسوغ السياسة في اصطلاحهم اعطاءه ذبذبة في السلوك وتطورا في الاخلاق . كل ذلك رغبة في استبقاء تلك السنة العامة ذات محيط يهجع في زواياه الجميع بسهولة . فيسهل عند ذلك صيرورة المحكوم فيه غير شاعر ببصيرة ولا يفرق بين ارهاقه وانصافه . بل وبما يرى تسخيره او استخدامه بثمن بخس نعمة كبرى جديرة بحمد المخدوم وشكره والامتنان له على الدوام .

وعندي ان ما ذكروه صحيحا ولكن للايقاظ اسباب اخرى غير التعليم ونشره قد اغفلتها ساسة الامم وحكام الشعوب ولم ينبهوا لعاقبتها والحال انها لجديرة بالاهتمام . الاومن بعضها الاطلاق في الحكم والشطط فيه من حيث الشجم التي يحدثها في التشريع استنزافا وصرفا . فان ذهول المحكوم مهما كانت رتبته في الشعور والاحساس سافلة فانه يستبشع وينفر من اجلائه عن ارض انبتته وكانت كفاة لاجداده وابائه من قبل . بدعوى التعمير ونشر الرفاهية وتنمية الثروة العمومية التي هو في عجز عنها لفقره وجهله (كما يقولون) او انه اذا طلب المساواة في ثمرة العمل يجاب بانه دون غيره دراية . اولا قدرة له على القيام بعمله على الوجه المطلوب . الى غير ذلك من القوانين التي تشرع والنظامات الاصطلاحية التي تنسج بردها الادارة وحدها فيغرم بها قضاء ويخطي من اجلها حكما ولا تقوم له امامها حجة لانها مقدسة . والذي يشرعها مخالف وعند تنفيذها يعظم الخطر والفقر والافلاس . ومن يكن في ريب من ذلك فليسئل القوانين المالية والفلاحية والغابات ويفحص ما سنكتبه على النظام الانتخابي الجديد فانه يجد (عند جهينة الخبر اليقين) . لذلك اغلاط ساسة الشعوب في اعتمادهم الاول واهمالهم لعاقبة الثاني الذي هو ضغط حسي يفزع منه حتى المغمور في سكرات ذهوله وجهله حرصا منه على الحياة اسوة باعجم الحيوان . . سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا

وهنا اذكر استطرادا ما قاله احد محرري لا تونزي فرنسيز جهرة وبتحسر اثر وجود الحركة الفكرية في المسالة التونسية له ارتباط بما اسلفناه وهو (انه رغما عن قيام ادارة المعارف بواجبها فقد ظهرت في الامة التونسية حركة المطالبة بالحقوق

المحرومة منها وقد استماتت في طلب الحصول على المساواة الخ ما قاله) وهو اسف حزين . . . . . . وهوكما لا يخفى يريد بقوله واجب الادارة هو التقتير في التعليم وصرف الانظار على الصحيح منه . . . وهي ارقام اصبحت غير منتجة وقضايا عقيمة

وان كان الكثير من اولئك الساسة المستبدين كان اعتمادهم تلك السياسة كالنائب (دوفارين) واضرابه الذين قالوا ان المتعلم في الشعب التونسي عشر من المائة فلا يحسن الالتفات اليه سياسيا حيث ان معظمه بدو . وهم هاجعون ومناهم الضرع والزرع لا غير . وان من الانصاف عدم الالتفات الى مطالبه التي ان اعطيت له تعود بالضرر عليه . كالصبي الذي يعطى سلاحا لان يلعب به فان الخطر اقرب له من السلامة

وهو خطا واضح وجهل منهم بعاقبة ما يفعلون . ولو تبصروا قليلا لتحققوا ان الضغط عامل قوي في الايقاظ وان المراوغة في الحق والتبرم في الاقوال وزركشة الظواهر منها تزيد شدتها ضغطا يعقبه انفجار . ثم حاسبوا انفسهم لتبين لهم ان (قم لاجلس) يدفعه عن نفسه حتى من لا يعقل من الحيوان كما هو المشاهد بالعيان

على اننا وان سلمنا ان الشعب التونسي لم يكن في مستوى الرقي من العلم والشعور على البدلية فلا نسلم بانه لم يكن على بينة تامة من اعوجاج ما يعامل به من النظام . ولا هو باقل من الشعوب التي منحت بلا تعب ما هو طالبه عن استحقاق . بل جدير بان يعطى المرغوب او بعض المطلوب بوجه واضح لا غبار عليه . .

ومما يزيد حجتنا تدعيما والامر وضوحا هو ان دعوة المسئلة التونسية التي قام بها حزب الامة الحر قد لاقت من عموم الشعب صدرا رحبا وصافحت زعماءه باليمين واعرضت عن (ثلة الفساد وحقرتها ولم ترج عليها اضاليلها مع نشرها لالف بهتان . آخذت بالعروة الوثقى في مسئلتها وعمدتها الحق وانصاف الاحرار الذين ينظرون من بعد والى بعد

على ان الامة وان اجيبت بغير المطلوب فهي على حزم بانها لا تنثني عزما ولا تخور عزيمة الى ان بات الابان وتستفيق الساسة فيظهر لها ان لا احسن من سلوك السبل الواضحة مع الشعوب المحكومة وترك التاثيرات الاستشارية جانبا وعدم الاتكال على المغالطة . فان ذلك اقرب وادعى لاستجلاب الرضاء وحسن احدوثة الحاكم في نظر

المحكوم الذي نشاهد الادارة حريصة على نيله وتريده باطلا وبواسطة اذنابها المتجبرين

نعم وصلت المسئلة التونسية للمراجع العليا البارسية وتوسم الشعب التونسي خيرا من تناول البرلمان لها حتى كانت في مقدمة المسائل التي نظر فيها بعد ان كانت لا تذكر إلّا قليلا وان اغلب النواب لا يشعر بمجاريات تونس وحاجيات اهلها ولا يهمهم إلّا امر الجالية الذين هم في هناء من رعايتها لانها الكل في الكل سعادة وحكما ولا يعلمون ما وراء ذلك جريا على قاعدة ان السكوت من الرضاء .

ثم تناولت الاراء البرلمانية مسئلتنا بشرح وبيان فقال قسم من النواب بوجوب اعطاء بعض المطالب على الوجه الصحيح الصريح الذي لا غبار عليه ثم السير بالبلاد واهلها في طريق توصل الى سياسة التشريك وتبادل المنافع وربط القلوب والتحابب ودوام الاخلاص والتعلق . ثم افهام التونسي ان فرنسا ليست امة استعباد ولا قهر وانما هي امة تحرير وحرية وتسامح وعدل ومساواة

وقد رن صدى هاته الجمل العذبة في البلاد وبلغ ارجاءها متنوع المصادر . فمن عظيم فرنسا الى بعض وزرائها ورجالها الاحرار في البرلمان فبقي الشعب التونسي ينتظر نتيجة طلبه وعمله في المارن ولياج . فكان الذي صادم انتظاره بغتة بعد توسمه الحق من تلك الوعود هو ظهور هذا النظام الاصلاحي الجديد الذي عرفته النوادي السياسية بمشروع المقيم العام وبادر الاستعماريون بشكره وطنطنوا حوله مدحا وارتياحا قائلين ان تونس به اليوم اصبحت لا تقل في السعادة السياسية عن جارتها الجزائر ..... ثم طيروا البرقيات الاستحسانية لمشرعه وناسج برده الذي تعهد غير ما مرة ان لا يبرم اي اصلاح إلّا بعد استشارة مفكري الشعب ومستنيريه ولم يفعل فكان ظهوره كالوقع السي في النفوس .

وان من المحبذين والذي له ضلع فيه هو نائب مقاطعة قسنطينة الاستعماري مورينو القائل بالقول الانف الذكر والذي افتخر بالاعراب عن جمال الجزائر وعن سعادة اهلها قائلا في معرض الامتنان ان اهالي تلك المستعمرة يتقاضون من الاجور نحو المائة مليون فرنكا في السنة اجرا عن عمل

قال ذلك مفتخرا بملء فيه ولكن ياليته زادهم وصفا ثانيا فعرفنا بحالتهم

العلمية والصناعية لغطى مفهوم قوله أنهم اصبحوا عملة يقتاتون من عرق الجبين ، حتى لايمكن لنا التصريح بان ذلك الاقليم يغبط اليوم حالة السنغاليين السياسية فضلا عن تونس الذي زعم مورينو انها تبتهج بجعل الجزائر لها قدوة في النظام السياسي بدل ان تكون الشام والعراق ومصر وان شعبها اثر الامم التي لها ذاتية في الحياة السياسية ولو كجزيرة مالطة التي هي منا على مد البصر . لاننا لا نرضى ابدا ان تكون فرنسا اقل حرية وتسامحا من انكلترا عدوة الاسلام والمسلمين بوجه عام ....

نعم خرج ذلك القانون متصفا (بالاصلاح) ومتزرا بوشاح التقدم والارتقاء ونشرته الصحف الرسمية في صلب ستة اوامر علية وقرار من المقيم العام يخص الجالية وانتخابها وتشكيل قسمها في مجلس المملكة الكبير المنتظر منه الخيرات والبركات وهي

الامر الاول في ابطال الكتابة العامة بالدولة التونسية

الامر الثاني في احداث ادارة عامة للداخلية

الامر الثالث في احداث ادارة لاقسام وزارة العدلية

الامر الرابع يتعلق بتأسيس وتشكيل مجلس كبير بالمملكة التونسية بدل عن المجلس الشورى الطيب الذكر .....

الامر الخامس يتعلق ببيان خدمة المجلس المشار له

الامر السادس يتعلق بتاسيس مجالس الاعمال والجهات الخمس بتراب المراقبات المدنية كتونس وسوسه وبنزرت وصفاقس والكاف ، ثم الاشارات الى جواز استصدار قرارات وزارية تشرح او تقيد مدلول بعض بنود ذلك الاصلاح العظيم ؟؟؟

وبمجرد خروج هذا النظام الغير المنتظر بشكله الغريب ثم فحصه فحصا مدققا ولم يعثر فيه ولو على مطلب واحد من المسئلة التونسية ولا شوهد فيه ما يقرب من ذلك ولو وضع الناظر على بصره مرآة مكبرة من احسن طراز ... فلم يسع الشعب عندئذ إلّا ارسال برقيات عدم الرضاء والاقناع به الى المراجع العالية الفرنسوية وتقديم فصول الاحتجاج على ذلك بلسان صحفه الصادقة وحجتهم في ذلك فراغ النظام المذكور من الثمرة المطلوبة ومجيئه عكس المرغوب لحد ان طلبت الادارة من الصحف الوطنية بيان مواطن الانتقاد بوجه فني او الاقلاع عن استقباح المشروع .

او انها تعده عداء محضا فضطر لانهائه بان تجعل حرية البحث فيه في دائرة اضيق من سم الخياط رحمة بجلالة المشروع . .

ثم ان الادارة لم تقف عند هذا الحد ولو وقفت عنده لهاجنا الشك في مرامي بنوده الغامضة وارجاناها الى التنفيذ الذي لا امتراء في انها ستخجل من مشاهدة نتائجه التي مثابتها في الكف كالقابض على الماء ليبلغ فاه فلم يجد شيئا . ولكن الذي اساغ لنا قوة الشك في نزاهة قصدها في سنه بذلك الاسلوب العقيم هو استمالتها للصحف التي لا ذمة لها لاطراء المشروع بعد ذمها له غير ما مرة بعنوان

ان كان منزلتي في الحب عندكم   ما قد رأيت فقد ضيعت ايام

ثم اغتنام فرصة بيعة الامير المعظم لحمل بعض الاعيان الذين قادتهم العمال من انوفهم الى مواقف الادارة لاداء شواهد الاخلاص لمشرع ذلك الاصلاح المشوش (وهم في قلق وامتعاض) حتى ان الخمس اعمال الذين بايعوا في بادي الامر قبل ان تفكر الادارة في ذلك او بعد ان استحسنته من بعض العمال ابتكارا او بوحي منها كما يقال قصيرته درجة ثانية من البيعة الواجبة الاداء على الرقاب قد بعثت في جلبهم لاتمام ما سن بعدهم . وفعلا رجعوا وسعوا بين السفارة والداخلية شكرا بلسان عمالهم وافصاحا عن حسن ذلك الاصلاح المهول . وان لم تتحرك شفاههم ولو للتامين وغاية امرهم انهم شكوا الحر وفراغ الصرة في الغدو والرواح وغالبهم ما فهم الموضوع ولا طلب شرح ما قيل ويقال . على انه لم يسمع في ماض او حاضر ان الشعب يطالب باظهار رضائه لقوانين تسنهم الحكومات بلا مشورته ثم يرغب منه استحسانها او يجبر على ذلك في شكل التماس . ضرورة ان الاصلاحات فان كانت حسنة في نفسها فستظهر ثمرتها حب من حب او كره من كره . وان كانت سيئة فلا يحسن مطالبة مسيء اليه بالحمد والشكر واظهار الرضاء . خوفا من انطباق قول نابغة مصر في هذا المعنى على المشروع نفسه وهو (يساؤ الينا ثم نلزم بالشكر) وقس ما لم يقل

هذا ومن جملة ما قيل عن وفود بيعة الاصلاح السفيري ان اولئك الوفود اسمعوا من لسان رؤسائهم ان المشروع جميل في نفسه ولكن لا ينبغي ان يرى شيئا عظيما ايضا لانه في الحقيقة خطوة اولى وبعبارة اوضح من ذلك ان ذي المدارج لا

يصعد اليه من اعلا ولا يتسنم بسرعة بل (بالدرجة بالدرجة) .... وان هذا الاصلاح لدرجة اولى ثم الى اخرى ثم الى اخرى الى ان تصل الى الدرجة القصوى .. وهي غاية المرغوب ..

ومن توارد الخواطر ان صحيفة البهتان تضرب على تلك النغمة في ايامها الاخيرة بعد تطورها الاطوار العديدة من قدح الى مدح ... وكذلك تلغرافات التحبيذ التي بعثت بها ثلة من الطامعين الى المراجع العليا باريس في شكر المن لها فالظاهر انها لا تحمل إلّا على اتحاد الخواطر مع الادارة .....

غير ان قول عجوز الوكلاء في تحريره البهتاني بانه يلذ له مشاهدة الاعيان (مقادون من انوفهم) في مواقف الادارة تملى على اذانهم شواهد الامتنان وهم يؤمنون، تنافي الاعتذار بالخطوة الاولى وان لا توارد في الخواطر وانما هي ذمة بيعت بدرهمين .. لاننا نعلم وكل عاقل ان كلمة خطوة اولى طالما سمعناها وانها قيلت لنا عند تاسيس المجلس الشوري وادخال الخمسة عشر عضوا من الوطنيين به بانتخاب الحكومة منذ عشرات من الاعوام وانها تجربة، سبرا للافكار واستطلاعا للمقدرة وتدريبا على الانتخاب وتعليما للمفاوضات الى غير ذلك من الالفاظ التي تجعل المعنى دائرا حول نفسه ينتهي من اين بدا، ثم قيلت لنا كذلك على عهد المقيم فلاندان عند ابتكاره للحجرات التجارية الفلاحية واخذه منها اربعة للمجلس الشوري انها تدريب وسير الى الامام ، فانه لو يسلم صحة للزم الشعب بحسب الخطوات التي مشاها في بحر اربعين ربيعا حتى اوقفته على المجلس الكبير الحالي ونظامه الانتخابي الذي لم يزد في نوابه إلّا واحدا وان الفرق بين انتخاب نواب المجلس الشوري والمجلس الكبير ان الاول (الماسوف عليه) كان بانتخاب الحكومة راسا وان الثاني نيابته لا تعتبر إلّا برضاء الوزير والمقيم ، الى غير ذلك مما سيجيء شرحه وبيانه ،

فيلزمنا لبلوغ حد تعيش به الشعوب اليوم قرنان على الاقل ، ولا اخال احد يخالفنا في صحة هذا الحساب وان لا يقول معنا بيست هاته الخطوة التي تركت تقدمنا في المضمار السياسي اقرب شبه بخطا السرطان الى الامام الى الوراء

ولم يبرح مكانه ، هذا ولنرجع الى مدلول طالع فصلنا الذي ابعدتنا عنه مساعدة البيان على اثبات هاته المقدمه في مستهل نقد ذلك النظام المتعطش لشرحه والذي لم يكتب عليه بنسق فني فيما يظهر حتى الان والذي سيتسع له صدر مرشد الامة كعادته في الشرح والتحقيق حتى يعلم المتشرع انه ابتعد عن انصاف الامة بقانونه الذي اقل ما فيه من الحيف حرمان مستنيري الفكر واهل العواصم والمناطق البلدية من الانتخاب واقصاره على الاميين من اهل البوادي والارياف حتى انه لم يحقق لها وعدا بحال ، جاعلا التحرير متتابعا ومفتتحا بالكلام على الكتابة العامة وحذفها وابدالها بالداخلية ثم احداث مدير لاقسام وزارة العدلية فنقول

الكتابة العامة

٢

عدد ٩٣ في ١٣ ربيع الاول سنة ١٣٤١

سبق لنا الايماء في مقالنا السالف الى وجوب متابعة نقد الاصلاحات السفيرية التي اعطيت مع الاسف (عنوان الحياة الجديدة) للشعب التونسي ولبلاده تقدما فنيا وقد اشرنا فيه الى منطويات ذلك النظام السفسطاء الذي ازداد افتضاحا بشروع الادارة في اجرائه طبق مفهومه حتى لدى بعض الاداريين المنطبعين بحب الاطلاق ، حيث تراه لهم باطن كلتا يدي الشعب (فارغة واخرى لا شيء فيها) وامتعضوا من خصوص الانتخاب في مشيخات مجالس الاعمال بشكله الذي انتج حصول اغلب المنتخبين (بالفتح) من الخموس وسكان الوهاد والارياف ، ورغما عن ايجازنا في تلك المقدمة فانها كانت كمرءاة ارتسمت فيها صورة الالمام بمواطن العلل والغموض المستوجب للنقد والبيان ، على ان مسارعة الادارة في تنفيذه اليوم بطلاوته الظاهرية لا يحول بين الامة وجدها في هدمه ، ومثابرتها على مطالبة النافع والصحيح من

الاصلاح كما لا يثني عزم المفكرين عن مواصلة نقده مدة بقائه مقام الاركان على الفراغ . بل ويكون ذلك من اسباب الثبات والحجة البلجاء على الادارة التي حاولت اشغال نظر الامة به وتشغيلها الاعوام تلو الاعوام طبق العمل بسنن القاهرين وشانهم مع الضعيف سيما بعد اختبارهم لتلك السياسة من قبل . كاتخاذهم (الشورى) الجميلة في الذكر تجربة وقد شاهدوا كيف وقع الرقص حولها سنينا واعواما . . . وعلموا مقدار فرح (نوابهم) فيها بايابهم بالاوسمة والنياشين مقابلة حمد الحكومة وشكرها والذهاب والاياب وكثرة القيل والقال والسؤال والجواب . . . فدبر المشرع في نظامه هذا حيث سنه في شكل اوسع في التضليل . كاثنى عشر مائة منتخبا في الاعمال وخمسون في الجهات وخمسة عشر في المجلس الاكبر بتلك القيود التي لا نظير لها في العالم اجمع حسبما ياتي بيانها . وظن انه يصل الى مبتغاه وتصفق الامة له طربا وتعرض عن طلب الدستور بغية الامم وحياة الشعوب . فعمد الى تقويض الحجرة الشورية واشاد مكانها اصلاحه الذي وددنا معه بقاء الشورى ونوابها في بهرجة من الذكر وسعة من القيل والحديث زاعما ان طلاوة البنود القانونية وكثرة الفاظها تحجب بشاعة معاني القيود التي تجسمت قبحا في حرمان المفكرين والمستنيرين من الدخول الى منطقة الحديث . والظاهر انه لو فكر قليلا لاستبان ان تلك البضاعة تصلح في الامم الحديثة عهدا بالاطلاق اما والامة التونسية التي سفسطت نصف قرن وهي محرومة من حق النظر في شئونها ومساقة مكرهة الى حيث ما لا تريد فلا يمكن استغفالها بعد التبصر والاستفاقة بالشعور وبالضغط على الحواس منهاومس الحياة . بل تفضل المواجهة بالصريح سلبا عن الاجابة بخفخفة الظواهر والحرمان متجسد في باطن قيود من القانون . لذلك احدث ذلك الاصلاح عند الاعلان به فزعا وقنوطا حمل بعض صحفنا (عفى الله عنها) الى التعبير عنه بانه مقدمة الحاق وابتلاع . تبعا لشدة تاثير المعاملة بضد المترقب او بخلاف المطلوب او مجاراة لصحف الاستعمار التي تتكلم بحسب الاماني والمشتهيات

وعليه فقبل ان نشرع في اثبات مقول طالع المقال نذكر استطرادا كلمة حول ذلك التعبير الذي يردد احيانا على افواه بعض القانطين او المتساطين . وهي ان

السلطة وان يشاهد منها الحث في ابادة الذاتية التونسية وهدم شخصيتها والرغبة في محو نفوذها بطرق تدريجية فلا يمكن تسليمه وفهمه على ظاهره لان الملوكية فيها باقية بحول الله الى ما شاء الله الذي قال (ويخلق ما لا تعلمون) وان رايتها لم تزل عنوانا على الوحدة الداخلية ولن تزال ، لامرين عظيمين ينطبق على احدها المثل السائر (مصائب قوم عند قوم فوائد) (١) وبوجه آخر فان فرنسا التي لقبت بمحررة الشعوب وانتدبت اخيرا الى تاهيل القاصر الى رشده .... يبعد ان يتصور في حقها التفكر في ابتلاع الذاتية التونسية لمجرد وضع نظام ترجم عن قصور واضعه وضيق درايته بسياسة الامم وصالح الحكم حتى اساء الى نفوذ أئتمن عليه ليزينه فخلع عليه رداء البشاشة والقبح ، على انا نتحقق ان للتاج التونسي نفوذ الانقياد والطاعة فوق ما للجيوش وعدد الزجر والارهاب وما خبر اشاعة تنازل الملك الماسوف عليه ببعيد فانه كاد الاضطراب ان يعمم الايالة ويخترق حدودها من مجرد الاشاعة فقط فانى لنا تصور المحو والزوال !!

الامر الثاني فان الاقوياء وغزاة الشعوب تقاسموا اليابسة بينهم ونجح في القسمة الاكثر مهارة في السياسة فلم تبق إلّا قيود للبعض عند البعض ، ولا مقابل لتسوية المشاكل وان باب الشفقة غير معمول به في شرع السياسة ، وعليه فاما تحرير او بقاء ماكان على مكان بلا اشكال ، ثم ضف الى ذلك ان الانسانية ستلتئم الى بعضها بقساوة القاهرين شفقة وانعطافا وعند ذلك تصبح عدد الاكراه في يوم ما مفككة الاجزاء غير صالحة ومن يستخدمها في حيز الامتناع ، ولا يظن ان ذلك الامد ببعيد وأن حاضر التاريخ وماضيه اعدل شاهد عن صحة هذه النظرية واستقامة ذلك السبيل ....

هذا ولنرجع الى المقصود بالذات معتذرا عن تطوحنا بالقاري الى حد هاهنا فاقول

(حذف الكتابة العامة)

جاء في امر الغاء الكتابة العامة ان السبب الداعي لحذفها هو تحقيق فصل القضاء عن الادارة الذي لا يمكن انجازه على الوجه الاتم إلّا به نظرا لنظامها

(١) الامتيازات القنصلية

المؤسس بامر سنة ١٨٨٣ حسبما اعلن به صاحب القانون نفسه في اجتماع من المديرين قبل ظهوره ممتنا به على البلاد ذاكرا ان العدلية التونسية انفصلت عن الادارة نهائيا وخاطب مدير امورها وقتئذ بانه مستقل وصافحه هناء بذلك في ابهة واعتبار

وبناء على ارتباط الكلام على الداخلية بالكتابة العامة نذكر نبذة عنها جاش بها الصدر وارتاح لاثباتها اليراع الا وهي ان للكتابة العامة سيئات مع الوطنيين تربو على مالها من الحسنات بكثير ، ولذا شيعت بعدم الاسف عليها باتفاق لانها الادارة الوحيدة التي جمعت في شخصها معنى الحكومة التونسية وامانت النفوذ الوطني موتا حسيا بان سلبت كل متوظف تونسي (مهما كانت رتبته) نفوذ وظيفه في عظائم الامور وحقيرها لحد بلغ بمن يراجع دائرة الوزارة الكبرى في اخذ جواز سفر يحال على استشارة الكاتب العام حتى تطبع المتوظف التونسي على فقدان الارادة فكان لا يحرك ساكنا في اي شان من الشؤون باستقلال ، وان مساويها مع ادارة القضاء اكثر من ان تحصى سيما على العهد (الرواي) فانها بلاط قيصري بتمام معنى الكلمة . وما حكم مجالس القضاء الأبوجي من سمائها ، وقد بلغ بعامة دواخل الايالة ان ترسل بشكاياتها لها هكذا . الى المسيو الكاتب العام صاحب المملكة التونسية دام عدله . . . . . .

وانه يقابل ذلك اغرابا ان احد كواهي ذلك المبين الحميدي (الذي اهدي اليوم للبلاد السورية . . . .) عند نيابته عن الكاتب العام قد بلغ به الخور الى التطاول على مقام ذي الوزارة الكبرى لامتناعه من امضاء مكتوب مخاطب به قاضي من قضاة الشريعة بالحاضرة به عجرفة تحريرية طالبا ابداله في سياق الطف تعبير ، فتهدده باصدار امر الاستغناء عنه في الامضاء . فلم يسع الوزير الغير العارف بمقامه إلّا الانحناء والامضاء على المكتوب بدل اعلام الخارجية باعماله وطلب الانصاف منه بعزله ، ثم لا تسئل عن فعلها بالاوقاف وكيف توزعها اعانات وعطايا تخالف الشرع والعرف ومراد المحبسين ، كتاسيس مدرسة (البنات) بالملايين والانفاق عليها بعشرات الالاف وهي تخص ادارة المعارف وحدها كغيرها من معاهد التعليم ، ثم المستشفى الصادقي ومديره وقصره وصيرورة المقابر الاسلامية منتزها له خاصة وغير ذلك مما هو مشاهد بالعيان

ذلك بعض التصرف الذي جعلنا غير ءاسفين عليها واجبرنا على التصريح بان اساءتها في صيرورة السلطة التونسية شبحا بلا روح داخليا اساءة الى السمعة الجمهورية ايضا . لان سلب الاعتبار يجعلنا نشك في هؤلاء هل هم جمهوريون اتوا لحمايتنا ماديا وادبيا ام قياصرة جاءوا لقتل نفوذنا باستعبادنا في بلادنا وصيرورتنا رعايا ممتلكين . والعجب انك اذا سئلت عن المبرر لهم في سلوكهم فلم تجد غير دعواهم خدمة النفوذ الفرنساوي والمحافظة على تفوقه وان الحقيقة خلاف ما يدعون، وانما هي سياسة فردية حمقاء وجدت ركونا ونكوسا وانقيادا اعمى لتلبية نداء الجبروت ، لان التفوق والنفوذ غير منازع فيه ومحفوظ بوزارة الحرب والبحر وعهود الاشراف العتيد . لا في الشؤون الخاصة وجزئيات المسائل كالتريس حتى على ادارة الكنس والرش والتسبيق ، فانت ترى ان من اجل تلك المضايقة القاتلة وبجفاء الاستعماريين وعجرفتهم احتاجت الساسة الى تجميل سياستهم في نظر المسلمين لامتلاك عواطفهم باعمال خارجية كاخذها بيد الخلافة اليوم (اعني عند سنوح الفرصة) واشادة معهد علمي ومسجد اسلامي بباريس وتكايا في الحرمين الشريفين . وهو عمل كما يقولون (من باب تذرية الرماد في العيون) ولكن الجدير بهم إجراء القاعدة الاصلية وجبر نوابهم على رعاية الاصل والاساس

ذلك بعض ما يقال عن الكتابة العامة اثبتناه هنا رجاء ان تبصر الداخلية التي اقيمت على اطلالها فيما تتذمر منه فتترقب منها العدالة الحقة وحسن الصنيع ....

بقي البحث في سلطة الكاتب العام هل حقيقة وزعت بين مدير الداخلية اداريا ومدير العدلية عدليا طبق الفصل الثاني من امر ابطالها فيسلم ولا يبحث فيه ام لا !

فالراجح بل والحق انها ضمت الى السفارة وحدها عملا بمدلول الفصل الرابع من امر تاسيس الداخلية القاضي بجعل مديرها تحت طلب السفير وحده ..

ثم بعد قطع السلك النفوذي المتصل بالكتابة العامة من الخارجية وكان رجوعه للمقيم راسا اصبحت السفارة سفارة وكتابة عامة ووزارة مفوضة وخارجية وادارة تشريع ومصدر الاوامر والقوانين . فهي بمجموع تلك الصفات ملوكية مطلقة من جهة وتنوب حكومة جمهورية مسئولة من جهة اخرى . فلله هذا الزمان ما اكثر عجائبه والسياسة وما تجيز ....

نظام ادارة الداخلية الجديد تصرفا ونفوذا

جاء في الفصل الثاني من صك تاسيس الداخلية ان المدير لها يباشر مصالح الادارة العامة بمشاركة الوزير الاكبر وانه يضع علامة اطلاعه على اعماله ...... فزيادة هذه الفقرة ادخلت على الفهم شكوكا نظرا لقاعدة الكلام العربي من ان الجمل التي يؤتى بها بعد اتمام الخبر فاما ان تكون لبيان غموض يتوهم في المقام او لزياد قيد في الكلام فتامل .... !!

والراجح انه لا يفهم من تلك الزيادة بعد قول المشرع (يباشر الخ) غير بيان معنى المشاركة وهو وضع علامة الاطلاع لا غير .. وإلا كانت حشوا في القانون المطلوب فيه صريح العبارة ورفع الايهام . والذي يفهم خلاف هذا فقل له (وفوق كل ذي علم عليم) ....

الادارة العدلية ومديراها ..

ان الشان في الادارات الدولية ان يكون على راس كل ادارة مدير او وزارة وزير . كل بحسب اصطلاحه . اما عدليتنا (رعاها الله) فقد اتحفها هذا النظام الجديد بشكل غريب لا يعرف في النظامات الدولية المالوفة فكانما بلادنا ارض العجائب في النظام والتنظيم . او صنع دل على براعة ذلك المقنن الحكيم ....

كيف وقد اتحفها بمديرثان فوق مديرها الاول وبعد الوزير ايضا . واعطاه لقب مدير اقسام العدلية وقاسمه مع الداخلية ساطة الكاتب العام الاداري . ليصير حركة وصل بين الادارة والقضاء ويكون كاتبا عاما غير لقبه فقط.....

وهي والحق يقال براعة زائدة في المتشرع الخطير . لكنه خفي عنه ان كثرة الاسماء والالقاب لا تغرق فيها المقاصد ولا تبرر الغايات . وإلا ما معنى يا رعاك الله مدير الامور العدلية ومدير لاقسامها ووزير لها ومستشار عدلي مسخر في اعماله لرضاء الجانبين . والحال ان المطلوب مدير او وزير !!

والذي يؤيد هذا الفهم ما جاء في الفصل الاول من امر تاسيسها في جعل ادارة الاقسام بوزارة العدلية والفصل الخامس منه الذي نصه لمدير العدليه السلطة القانونية . ثم صريح الفصل الرابع الذي اقر مدير الامور العدلية على ادارته كذي قبل مع الفقرة

الاخيرة وهي عدم تغيير شيء من التعليمات الجاري بها العمل (اعني قبل اليوم) والسير الداخلي في ادنى شيء ، وعليه فمدير اقسام العدلية اداري اقرب منه عدلي حسب نص الفصل السادس من امر فصل القضاء واستقلاله فتدبره ، !

لذلك فلا حرج اذا لم يلاق هذا الجزء من الاصلاح قبولا حسنا لدى الراي العام رغم تكرار التصريح به في الخطب والصكوك والنشريات .... وبالتالي ان استقلال القضاء لايتصور تاما في حال أن الادارة وحدها هي التي تنفذ قوانينه وتقوم بنشرها حسبما يمليه عليها الاطلاق . وان احكام الحكام اسيرة لبنود ذلك القانون . غير ان كل ذلك لا يصدنا عن الرجاء ولا يمنعنا من التصريح بان قانون المرافقات رغما عن قلة بنوده السديدة فانه اكسب رجال القضاء الذين توفرت فيهم اللياقة استقلالا في الحكم بمجهودات النظر واملاء الضمير عليهم فكان الراي العام شاكرا لهم ومعجبا بحزمهم في كثير من الاحكام

وفي الختام ذلك ما حضر (لمرشد الامة) بيانه حول شطر الاصلاح الجديد واوامره الثلاثة تاركا الكلام على الشطر الثاني الى غد اي الذي يتلخص في المجلس الكبير ومجالس الجهات والاعمال ونتائج الجميع والله ولي التوفيق

———×———

جناية سوق الاربعاء

او بعض جرائم المعمرين عدد ۹۳

ان اول بلاد حل بها ركاب فخامة رئيس الجمهورية مسيو ميلران عند زيارته للمملكة التونسية هي (سوق الاربعاء) واول خطاب سمع من عظيم فرنسا في تلك الزيارة هو الخطاب الذي القاه على الجالية في حضور رسمي هنالك والذي جاء فيه ما نص ترجمته تقريبا لخصوص الجالية الاستعمارية .

« ان ام الوطن لا تنساكم ابدا وهي في اعانتكم لا رئيس الجمهورية فقط
« او وزير الفلاحة (بل الوطن وام الوطن) لانكم تقومون بمشروع التمدين ...
« وراء البحار وتنمون بجهادكم ثروة الارض وتستخرجون كنوزها وتغرسون

« محبة فرنسا في قلوب الاهالي الذين اتيم لحمايتهم وقد اخلصوا بتقديم الضحايا في
« سبيل نجدتنا ولتعليمهم وتربيتهم وتخليصهم من الهمجية والاستعباد وتشريكهم
« في منافع البلاد ......)

ذلك ما فاه به رئيس الجمهورية بسوق الاربعاء ذكرناه هنا استطرادا لذكر جناية المعمر (دومنيفال) الذي شماه الحضور الرئيسي وصدى ذلك الخطاب لا زال يرن في اسماعه والانظار متجهة الى العمل به وتحقيقه امام العيان . فلم نلبث إلّا ان قام دومنيفال المذكور وجدد لنا الاسى بذكر الجنايات الماضية الصادرة من امثاله وترجم لنا ما فهمه من اسرار الوصايا الرئيسية عيانا. بان جمع في جرم جنايته التمدن والتربية والحماية وامتلاك العواطف وقسمة المنافع (في أصطلاح المعمرين) ...... وذلك باجبازه على عاملين من خدمته الوطنيين بربط ايديهما الى الوراء ربطا محكما واشباعهما ضربا مبرحا باعانة بعض المتوحشين من امثاله ثم عاق كل واحد منهما من سواعده مكتوفا كما يعلق المشنوق للقصاص . حتى تسبب لهما في قطع عضوي العمل والاحتراف من شدة ضغط الوثاق . وذلك تربية لهما عن اكلهما العنقود عنب بلا اذنه السامي ... وفيها ايضا وقاية لهما مما اشد وانه لو تركهما بلا جلد وشنق لخاف على نفسه ان ياكلاه كالعنقود .... فحماهما بذلك من التلف الذي هو اكبر ...... ثم ان التمدين معناه بالقاعدة الرومانية عند (المعمرين) هو ان لا تجعل لمغلوبك قيمة في حق ويجب عليك ارهابه على الدوام لدرجة يعتقد معها ان سيف غالبه فوق عنقه ما هم ان يقف مستقيما او يرفع راسه . .

وعليه فان (دومنيفال) لم يخرج عما فهمه من وصية الرئيس العظيم في ارتكابه لتلك الجناية لان الافهام تختلف .....

هذا ومرشد الامة بالخصوص لا يعجب من وقوع امثالها من دومنيفال كما اغربها بعض الزملاء وقال هل اننا في القرون المظلمة وعصور التوحش . اوفي زمن يلتذ فيه بتعذيب البشر . لان (مرشد الامة) لا يعتقد ان انسان هذا الوسط المدعي التمدن له انسانية ترد جموحه إلى الشر ما دام انس في نفسه فوقية على غيره قوة

وءامن تقليم القانون لاظافره عند الجناية . سيما وان اردنا تعداد امثالها فتكون حاقة من سلسلة اعتداءات طويلة ....

وعليه فالذي نقوله حول جريمة دومنيفال ان الذي شجع امثاله على ازعاج الانسانية هي الرحمة التي يجدونها في القانون عند تطبيق الحكام للفصول على الجريمة فلا يقع نظرهم إلّا على قانون التاجيل لا غير . فهاه بالامس قد راينا ما حكم به في جناية ماطر الذي صادف فيها الجاني شفقة الحكام بعد ان قتل وطنيا عمدا ولا ذنب له إلّا الوقوف بالطريق ينتظر المارة صباحا وهو اعزل من كل سلاح حتى العصا. فنال الجاني من عقاب القتل الخطية بخمسين فرنكا وذهب دم البري المرحوم ضحية الدفاع عن النفس وعدم ثبوت سوء القصد وغير ذلك من الحيثيات العادلة الذي جاء بها تمدن قرن العشرين .. . وقد ادرك وخامة هذا العبث وكيل الدولة الماسوف على ارتحاله مسيو بورجو الذي لم يقم بين اظهرنا إلّا اياما قلائل من سوء الحظ وقد حضرنا يوما في تقريره لجريمة من هذا القبيل بمجلس الجنايات قائلا ما معناه ان هؤلاء المعمرين قد لوثوا بجرائمهم سياسة امة فرنسا ودنسوا وجهها الجميل واسقطوا سمعتها بين الاقوام الذين اتينا لحمايتهم ولمد رواق الهناء عليهم وتامينهم في اموالهم ورقابهم. ثم طلب اذ ذلك الحكم على الجاني بصرامة. فكان لهذا التصريح وقتئذ رنة سرور وامتنان نحو احساس هذا الانساني العظيم وهونت على الراي العام شدة الاعتداء في الجرم . وفي الختام اسئل رئيس المعمرين بلتي وتريدون وبورياك ما بالهم اهملوا ذكر هذه الحادثة وشرحها في جرائدهم ولو بنوع انكار واستهجان حتى من جهة الخطاب الرئيسي فقط . وسترا لماضيهم في تجسيم الصغاير والهفوات الطفيفة التي تصدر من الوطنيين وبمجرد الوهم احيانا. فانهم لا كثر الله من امثالهم في الجالية قد عودونا عند تلف دجاجة لمعمر ان يملاؤا الفضاء صراخا وعويلا ويشيرون على الحكومة بتوجيه القوة العامة الى محل الحادثة في اسرع وقت .

على اننا لو فرضنا ان وطنيا اجرى عملية دومنيفال في كلب ضار لاحد المعمرين لقيل في جانبها من بلتي (ولا تونيزي فرانسز) انها مقدمة ثورة فيجب ارسال الجيوش وتلافي الخطر . ولكن من فضل الله تعالى ان كانت الحجة معنا على الدوام فبارك الله في

الشعب التونسي وفي هدوه ، وخلاصة القول اننا نعلق اما لا على عدالة المحكمة الفرنسوية التي تولت الاخذ بناصر الحق في هاته النازلة التي نؤمل ان تكون خاتمة المصائب من نوعها ونرجو ان لا يعتبر اسقاط المجنى عليهم موجبا لترك سبيل المعتدي مقابل سبعة عشر الفا فرنك دفعها تفصيا من عقاب القانون ، خصوصا وان للحق العام وحده القيام بتاييد مدلول القانون من ترك السبيل او الحكم بالعقاب . فان الحكم بعدالة حتى من الوجهة السياسية في قضية كهاته جمل في نظر الراي العام من اهداء الازهار لارواح الضحايا او وضع الاكاليل على القبور (١) ......

افتتاح المجلس الكبير

وخطاب العميد

يوم الاثنين الحادي عشرة من شهر دسانبر سنة ١٩٢٢ على الساعة الثالثة مساء افتتح المقيم العام الجلسة الاولى للمجلس الكبير بسرايا الجمعيات الفرنساوية بحضور جميع اعضاء القسمين التونسي والفرنساوي والقى على مسامعهم الخطاب الاتي

ايها السادة

اصرح بافتتاح اول اجتماع المجلس الكبير للقطر التونسي . واني اتحقق انكم لا تشكون اني اجد ارتياحا مخصوصا عند ترحيبي بكم بتحيات ودادية وانتم الذين دعتكم ثقة منوبيكم للمشاركة في مفاوضات المجلس الكبير

وحسب العادة التي اخترت تاسيسها منذ العام الفارط والتي ستؤيدها الانظمة

---

(١) اصدرت محكمة الجنح الفرنسوية حكمها في هاته القضية بثمانية اشهر سجنا على الجاني دومنيفال بقانون التاجيل في التنفيذ وباداء عشرين الف فرنك للمجنى عليهم غرامة وتعويضا . وهكذا تحكم الضمائر الممتلية عدلا ....

الاساسية فان قسمي المجلس الكبير اجتمعا معا في هذا الجلسة الاولى بحيث ان اشغالكم منذ ابتدائها ليست إلّا حائزة الوفاق والاتحاد اللازمين لها وهذا مما لا يُسر به احد اكثر مني . لكن قبل الشروع في برنامج تلك الاشغال اسمحوا لي ان نهنيكم يا سادتي باخلاص عن وجودكم في هذا المجتمع . فاخاطب اولا اعضاء القسم الفرنسوي ولا ابالي ان نقول لهم ان حضوركم هنا يدل على ان خصالكم جلبت لكم اختيار الانتخاب العام واختيار زملائكم كما يدل ايضا وهو الاهم انكم قبلتم بدون فشل ان تتحملوا اعباء مامورية صعبة . وفيما يخصني فان اعتباري حاصل للمواطنين الذين لا يرهبهم توقع الانتقادات واحيانا الحملات الشديدة التي يثيرها القيام بنيابة مثل نيابتكم فيجتهدون للقيام بالمصالح العمومية وذلك لتحققهم انهم قادرون على القيام بعمل نافع للعموم . ولست باقل سرور ان احي نواب القسم الاهلي الذين اتوا لاول مرة بصفة منتخبين للامة التونسية حاملين حقيقة رغائبها . وقبل اجتماع مجالس الاعمال ومجالس الجهات اظهرت الامة التونسية باسراعها للمشاركة في الاعمال الانتخابية انها قدرت حق قدرها قيمة المؤسسات التي سينتجها تصويتهم

وان اجتماعات مجالس الاعمال والجهات ابدت الاهتمام الذي تعيره الامة التونسية للمسائل التي انجمت اقتراحاتكم . وبما لكم من الخبرة التامة بضروريات الجهات المختلفة للايالة التونسية فقد عرضتم وابديتم الاقتراحات التي تشخصها تلك الحاجيات وراعيتم في ذلك نفع منوبيكم مع اعارتكم ادارة الحماية المعونة بما لكم من الخبرة بالمصالح المحلية لمشاهدتكم لها يوما . فاني اهنيكم لحسن فهمكم من اول وهلة ومباشرتكم لمامورية جديدة وهذا التهاني التي اقدمها اليكم بحسن طوية وصراحة ودادية اريد تشفيعها بشكر . لان الكيفية المرضية التي تمت بها اعمال مجالس الجهات كانت احسن واثبت شاهدا على فضل احداثها فلا اشك ان في هذا المجلس الكبير سيظهر نشاطكم بالصورة المفيدة المومى اليها وانكم ستساعدون على انجاز العمل الذي لا يمكن ان تخفى عن انفسنا عظمته وصعوبته

سادتي

لما افتتحت هذه الجلسة لم اقل انها الثامنة والاربعون من جلسات جمعية قضت

سنين عديدة من حياتها مثمرة ولكن صرحت بافتتاح الجلسة الاولى للمجلس الكبير بالقطر التونسي الذي ظهر اليوم لعالم الوجود

قصدت بذلك اظهار التغييرات المهمة التي احدثت في الطريقة المتبعة الى الاءن في تشكيل الجمعية التي وظيفتها معاضدة حكومة الحماية في تسيير المصالح العمومية تغييرات أسست باومر جديدة اعارهـا كل من مجالس النواب والحكومة الفرنسوية موافقتهما العليا . ومن الخطاء الكبير ان لا يرى الانسان في جملة التشريعات الجديدة إلّا التغيير في اختيار المنتخبين وطريقة انتخابهم لان اجلى الاحداث موجود في عين وظيفة المجلس وتلك الوظيفة الاساسية هي ان يتفرغ في المستقبل الى النظر في المصالح العمومية الكبيرة لهذا القطر . والنظر في الحاجيات المحلية والبحث في وسائل تحصيلها التي كانت من وظيفة الجمعية الشورية القديمة صارت من علائق مجالس الجهات وذلك لان تنفرع المؤسسات الدولية الناتج عن النمو الاقتصادي والمالي والادبي بالبلاد التونسية لم يكن ليسمح لمجلس واحد ان يتفرد بالقيام بشؤونها . بحيث صار المجلس الكبير كمحكمة استئناف لمجالس الجهات . فهو المكلف بتعديل ضروريات الجهات بفضل ماله من النظريات العامة ويقدر منافعها على حسب اهتمام وحزم الجماعات الافاقية في درس تلك المسائل وتفرغه من الاشتغال بجزءيات الامور يوفق بين مجهود الحكومة وسعي مجالس الجهة الذي هو وصيها

وبهذا المعنى يجب ان تظهر وظيفة المجلس الجديد في تقديم ميزانية الحكومة المعروضة على مفاوضتكم . وهذه الميزانية يقع تخفيفها بتمييز مناسب وتدريجي من جملة المطالب المالية الموافق عليها والتي كانت قبلها تصرف خاصة لفائدة الجهات ومن خصائص المجلس الكبير ان يميز بين نفقات الحكومة وبين المساعدة المالية التي يجب اعطاؤها للحياة الاقتصادية بالجهات . وهذا التمييز لم يكن اجرؤه نظرا لضيق الوقت الفاصل بين اجتماع مجالس الجهة والجلسة المفتوحة اليوم . وليكن هذا الاهتمام دائما نصب عيني المجلس الكبير . وكذا الحكومة التي يسرها دوما ان تتلقى في هذا الخصوص كل ما من شانه ارشادها . ولهذا يظهر جليا ان منصب منتخبي القسم الفرنسوي في المجلس الكبير مرسوم بمجالس الجهة ليتم مثل ما وقع للقسم الاهلي وان استمرار العمل كالسلسلة المتواصلة بتعاضد المقاصد الحسنة والخبيرة

ان الميزانية التي اعرضها عليكم هذه السنة تمثل بوضوح لا يشك فيه احد حالة مخطرة لم تنفك الحكومة من امعان النظر فيها وبذل مجهوداتها لتلافيها . وهذه الحالة كنت نبهت اليها في العام الماضي ، وعند ما بينت اذ ذاك ان مداخيل غير اعتيادية تسمح بتعديل ميزانية عام ١٩٢٢ من غير ان تحمل السكان تضحيات جسيمة كنت احتطت بالتنبيه على ان الميزانية القابلة لا تكون معها قطعا تلك التسهيلات

وفعلا هكذا وقع يا ساداتي فان ميزانية ١٩٢٢ لم ينفرد تعديلها بمداخيل غير اعتيادية لانه بسبب الحرب وبنتائجها الاقتصادية التي اثرت مؤخرا على القطر التونسي لم يكن منذ سنوات عديدة التسوية بين المداخيل وبين المصاريف المستمرة ، وبالتكملة اللازمة وقع تسديدها تارة بارباح الحرب وتارة بحساب التموين وتارة بالاداءات المخصوصة المضروبة على وسائل النقل التي احدثت لتسديد النقص الواقع في خطوطنا التونسية وتارة بالمبالغ التي وبماكانات مشطة الماخوذة من مقابض السكك الحديدية . فهذه الوسائل كلها وان سمحت بغلق الميزانية الفائتة فانها تركت على كاهل الحكومة التونسية دينا ثقيلا جدا .

واني قدرت ولا اخالكم إلّا مثلي انه من المستحيل الالتجاء في المستقبل الى هذه الوسائل المصطنعة

وفي هذا المعنى وقع تحرير الميزان الحالي الذي اعرضه عليكم اليوم وقد وقعت اقامته بخلوص نية وصدق طوية ورغبة شديدة في الايضاح ، الامر الذي اعتبره اساسا اصوليا لكل سياسة مالية فهما هو بنشر من غير اخفاء ضروريات ميزانية عام ١٩٢٣ ويشير بقائمة مداخيل جديدة ممكن احداثها الى الوسائل التي يجب اتخاذها لمواجهة تلك الضروريات ، وسننظر جميعا في اثناء الاجتماع الحالي هل يمكن ان نوزع على عامين مقبلين المجهود اللازم لايجاد التعديل وعلى برنامج الضرائب الجديدة التي اعرضها عليكم بكل اسف والتي تألف بعضها نفسي لكم ان تختاروا اياها تلائم العوائد والامكانات المالية لسكان الايالة التونسية

وفي الوقت يظهر فيه ان الميزانيات الاتية يمكن ان تتقضى من اداآت ثقيلة توزع في المستقبل على الجهات فان الحكومة تنظر في تغيير طريقة تقدير المداخيل

الجاري بها العمل لحد الان . وان هذه الطريقة التي ابدتها الازمان اتم على علم منها وصورتها ان تقوم مداخيل العام المراد تقديره بان يقام معدل مقايض الخمس سنوات الاخيرة بعد طرح اخصب سنة واعسر سنة حتى يظهر شائط الميزانية وهو ما يتكون منه القسم الثاني ويظهر الان ان هذه الطريقة تستدعي تلطيفات كبيرة

فلبعض المقايض المتولدة عن الثروة الاقتصادية المرتبطة بالتغييرات الجوية او بعوارض الحوادث فمن الحزم ابقاء تلك القاعدة واما لغيرها فلا مانع من تعيين ارقام بصفة منظمة في مقدرات الميزانية ولا حرج ان يطرح فيما بعد من تلك المقدرات مبالغ احتياطية يقع تعيينها مثلما هو جار بها العمل في ميزان الدولة الفرنسوية ويمكنكم ان تنظروا من جهتكم هل هو من المناسب نظر الازمة الحالة ان يقع اقصار المشاريع ذات المنفعة العمومية على البرنامج المقدر للقرض الموافق عليه سنة ١٩٢٠

ولربما يظهر انه ليس من السداد طلب الموافقة من المجلس الكبير على اداءات تفوق الحاجيات المستمرة لسنة وذاك لايجاد مداخيل للاعوام المقبلة لاجراء اشغال متوقعة لم يقع عرض برنامجها على مفاوضاتكم . وفي المستقبل بعد اجتياز مدة الازمة فان تزايد المقابيض الطبيعية يتولد عنه شائط يمكن به اما اخذ قسط اخر من القرض او اتمام اشغال محدودة ذات منفعة عامة يظهر اذ ذاك تاكد اتمامها . ومن جهة اخرى فان من اوكد اهتمام الحكومة البحث على حل عادل لمسالة اقرار حالة المتوظفين وعند نظرها في هاته لم يحرك الحكومة إلّا احساس المودة نحو الذين هم طبيعة مساعدوها ولا سبيل لها للاستغناء عنهم ولم يخطر ببالها ان تقدر قيمة خدماتهم على حسب ما يدفعونه للخزينة العامة وان تضن عليهم بمرتبات تساعد جملتها على النمو الاقتصادي للبلاد (..........)

فالحكومة تعتبر ان كل فرنسي مقيم بالقطر التونسي يشارك في اعلاء شان فرنسا وعليه فان كل من له شيء من السلطة ولو جزئيا يجب ان تكون له الوسائل التي من شانها ان تحقق له حياة ملائمة لهمته ومناسبة بوظيفته ولما يستحقه . ونظرا لهذه الفكرة واتماما لمرغوب الجمعية الشورية في العام الفارط فقد تامات الحكومة

جليا في كافة المطالب التي قدمها المتوظفون وبحث عن كل الوسائط لاعطائهم ترضيات عادلة . واثناء بحثها هـذا لاقت صعوبات كل يوم متزايدة يتبـادر للذهن استحالة دفعها اذ لم يمكن اخراج المبادي الاصولية الواجب اتباعها . وهذه العقبات موجودة في ضمن الامر العلي المورخ في عام ١٩١٩ ، القـابل لعدة تآويلات لمن يحاول ان يماثل الادارة التونسية جملة بالادارة الفرنسوية فقد حاول مستحيلا حتى انه في كثير من الاقسام الادارية افضت تلك التسوية الى حيف بين وانتجت حالات لا نصب لها من الانصاف ، حيث ان هذه التسوية لا ترتكز على اية قاعدة : بتة فقد احدثت بين المتوظفين مناقشات ومشاحنات تسببت في عدم رضاء كل منهم بحـالته نظرا لغيره . لذلك نرى اليوم في جملة المطالب المعروضة علينا من الموظفـين معارضات مبنية على مقايسات بين ادارتين تونسيتين اكثر من مطالب منشاها السعي وراء التسوية بحالة متوظفي ام الوطن ولذا رجعت الحكومة لقاعدة ربما كان من الحكمة عدم التخلف عنها وهي ان الادارة التونسية من حيث وضعها وقصدها ادارة مباينة للادارة الفرنسوية وعلى كل حال يجب الخروج من هذا الاشتباه الذي هو خطر على ماليـة الدولة وعلى حسن الوفاق بين كل افراد الجالية والسكان التونسيين

واعتبـارا للاهتمام السابق فان الحكومة مستمرة على بحثهـا واكون مسرورا بتشريك لجنتكم المالية في اخذ قرار يكون في صورة تحكيم حقيقي . وفعلا اثبت للمجلس الكبير انه نظرا لتشعب المسالة يكون من العبث محاولة فصل الخلاف و.ط هذا المجلس وعليه فاطلب من لجنتكم المالية تعيين اربعـة نواب من القسم الفرنسي ونائبين (.....) من القسم الاهلي للبحث مع الحكومة في وجه فصل يكون مطابقا لحقوق واستحقاق كل متوظف

وستجدوا في ميزانية ١٩٢٣ التقدير الذي سيجره الحل النهـائي للمسالة . فالارقام المرسومة هنالك يجب ان لا يكون لها في نظركم الاصفة تبين الترتيب فقط اذ ليس المقصد الا ان يبرهن هنـا للكافة على عزم الحكومة التـام على الوصول في اقرب وقت الى حل منصف تراعى فيه مصالح كل (......)

سادتي

اسمعكم رئيسكم حديثا رصينا ولهجة صارمة فيطلب منكم اعذاره عن يبسها، وذلك ان عصر المناقشات العامة التي هي في آن واحد لطيفة ومتحمسة وتتناطح فيها المبادي والاراء والاغراض ايضا قد انتهى ومرواقبات ساعة الانجازات، فان المجلس الكبير متقلد لسلطة التقرير وله حق ابداء الاراء فيما يتعلق بالميزانية وحق مراقبتها وامام أناس متسلحين بهذه الكيفية لمواجهة المسائل الحيوية للشعب في مظهرها المادي يحق لرئيسهم ان يفوه بعبارات خالية من الزخرف ومنطبقة تماما للحال لانه يتحقق انكم ستعيرون الحكومة مساعدة كاملة تطلبها منكم كما انكم تشعرون بالمسئولية التي انتم تشاطرونه فيها (انتهى الخطاب) تحت الهتاف والاستحسان،

حول

اجتماع المجلس الكبير وافتراقه

وهل من نتيجة!

١

عدد ٩٤ في ٢٤ جمادي الاولى سنة ١٣٤١

قد شاهد العيان صحة ما يؤثر في باب الحكم والامثال وهو قولهم (ان ما يقوم به الجمع تعجز عنه قوة الفرد) وذلك لظهور نتائج التضامن في الاعمال والتعاون عليها ظهورا واضحة جليا، فاصبحت قاعدة محكمة عند ذوي البصائر في اي ما امر عقدوا الخناصر على ابرازه لحيز الوجود استثمارا واستخداما، فعظمت ارباحهم ونمت فوائدهم وتضاءلت امامهم عظائم الاعمال وذللوا صعابها واحتلبوا شاردها بعد ان قادوه الى صعيد الانتفاع

وعلى ذلك جاء القياس في الامور التي مرجعها التفكر والراي وكان

القياس صحيحا من وجوه شتى اخصها نتيجة المقصد والغاية . ضرورة ان الراي الذي هو ثمرة استخدام العقل عمل فكري وقد يثقل على الواحد في الشؤون الهامة او العامة فيختبل في تصرفه ومدركاته فيسؤ مئالا فيما يبثه ويقرره غالبا ان لم اقل (لازما) وهو هو ذلك الحكم الفردي بعينه المنذر بالشقاء والخراب . ثم يزاد على ذلك اكثر بيان ووضوح في صحة القياس الانف الذكر . بان منهوك القوى البدنية مثلا لا تطلب منه اعانة فعلية وان المفلس (مالا) لا تؤمل منه موازرة اقتصادية . كذلك في النوادي النيابية التي هي في الحقيقة مجال لركض جياد الاراء للحصول على السداد وخدمة البلاد ونفع العباد بمثل ما اسلفنا سواء بسواء . اي لا ترجى الاعانة الفكرية في ذلك الامر العظيم من جاهل لا يفقه نفسه ولا يعلم ما يقال له . او من ذي غاية شخصية قد امات الطمع ما له من المواهب وصده عن استخدامها كلما هم بذلك مما يخيل له في دائرة تتسع امام بصره من نضوج ثمرة في غير ابانها وانها قريبة النوال . لان الطمع داء عضال كالجهل وفعال بالطامعين فعل الجهل بالجاهلين . لذلك جاء شرع الله تعالى لعباده حاثا على التعاون في المصلحة العامة منذرا عاقبة التفرق والاطلاق في الراي جاعلا الامر شورى بين اهل الدراية والذكر . بل قد رغبت السنة السنية الاستشارة حتى في خاصة الشؤن كاثر (لا خاب من استشار) . فكان عمل الراشدين رضي الله عنهم بذلك دهرا طويلا فاتسع حكمهم الى ان بلغ المحيطين واخصب زرعهم واخضر وجه البسيطة بعدلهم . ثم اخذت الشورى تتقلص فحل الاطلاق محلها ثم الانقسام والتفرق والاهمال . ثم ذهاب الحكم والاستقلال . وبذلك سهل على القوي حكم الضعيف لقمة سائغة وتسييره حسب ارادته بلا شفقة ولا رحمة بدون نظر في مئاله الذي هو بطبيعة ذلك التصرف آئل الى الانقراض .

ولكن لا عجب ان هال بحكم تنازع البقاء الذي يشارك الانسان فيه اعجم الحيوان ذلك المئال وقام يعمل على فك تلك القيود حرصا على الحياة التي هي انفس ما يتنافس فيها المتنافسون « سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا »

ذلك الشأن الجليل اليوم هو شعار الامم المتبصرة ورائد الشعوب المستضعفة الذين

اثار فيهم ذلك الشعور ثقل الحكم الاداري وقساوة التشريع ووقر الاوامر الفردية التي اتفق الشرع والعقل والعيان والعادة على فسادها حالا ومالا . لانبنائها على شره اداري يحجب مد النظر الى العاقبة ويمنع مراعاة حال الضعيف والاعتبار المناسب له . حتى استحسن اجراء سياسة (قم لاجلس مكانك) وتقهقر عن ارضك الخصبة لاني اقدر منك على استثمارها واولى وانت يكفيك من الجبال محرثا ومن الفاحل مقيلا . وقد توصل البعض الى غايته المنشودة فتحكم في امره قضاء وتشريعا . فخيمت السعادة على ربوعه ومد الهناء على ارجائه رواقه الظليل ولم يزل الاخر يكدح ساعيا يصارع العقبات والرجاء امامه غير موصد الابواب جاعلا رائده قول الشاعر (كل من سار الدرب وصل)

ومن فضل الله تعالى ان كان من بين هاتيك الشعوب امة هذا القطر المحروس انتباها وقد مر عليها ما يناهز النصف قرن وهي تحت تصرف الافراد رايا وحكما وتقنينا . مقيدة الارادة لا تعلم من امرها غير الامتثال او الجبر على الاداء وتحمل الاثقال . فنهضت بعامل اليقظة تطالب في دائرة المعقول بحق لم تتطوح فيه الى ما يخرج عن دائرة الامكان . الا وهو تمكينها من المشاركة بالنظر في شؤنها تدبيرا . فطالبت دستورا (اي نيابة) تتكفل لها بتحقيق المشاركة الفعلية اسوة بالمتساكنين . حتى لا تكون غريبة في بلادها والنازحون اسعد حظ منها واوفر نصيب . وهو ايسر ما تجيزه العدالة وتوجبه الحرية والمساواة ؟

نعم قدمت ذلك الطالب العادل بلسان حزبها وصحفها ووفودها وانتظرت الاجابة ورجحتها اعتمادا على الحق والحاجة اليه ثم بعد طول انتظار اجيبت ولكن بماذا ؟

اجيبت بذلك النظام المتشعب الذي لقبه مشرعه بانه الحياة الجديدة لتونس سياسيا . والف لتحسينه شواهد اخلاص من المغفلين وعامة الطماعين واذاع عنه بان جماله سيظهر بعد التطبيق والاجراء فيجب الانتظار

فكان اكبر ما فيه بعد تطبيقه (سفسطة) هو المجلس الكبير الضخم في لقبه

الفارغ في هيئته العقيم في فائدته والذي لاجله عقدنا هـذا المقال وقلنا عنه في طالعه (انه اجتمع وافترق فهل من نتيجة) ؟

وعليه فقبل ان نلج الى الموضوع شرحا ونرجع اليه بيانا نجيب عن السؤال سلفا بان لا نتيجة، ثم ارجو بعد الافاضة البيانية، ان جناب صاحب الاصلاحات وانصاره كغاليني الذي قال في خطابه الاخير انه الان يجب انتزاع كلمة الدستور من العقول، ان ينصفونا بالرجوع عن اقوالهـم انه الخطوة الاولى نحو الرقي وان ما طلبناه هو بمثابة سلاح قاتل يعطى لمن لم يبلغ سن الرشد، او ان العلو لا يصعد اليه إلّا بالمدارج (درجة فدرجة) الى غير ذلك مما قالوه ولونوا القول فيه وانا ـ ننتظر التجربة والتطبيق (وهل بعد العيان مغالطة)

فها قد نفذ ذلك الاصلاح طبق اساسه والتأمت مجالس الاعمال واجتمعت مجالس الجهات ثم المجلس الكبير وتفرقت ولم نبرح مكاننا ولم تتغير حال عهدنا من قبل

ولم تترك لنا إلّا صدى الخطب التي استهلتها بشكر الحكومة وافعمتها بالثناء على مشرع ذلك القانون الغريب حتى كان في اغلب مجالس الجهات اول اقتراع اقترع عليه نواب الامة هو الشكر .... وهي شنشنه لم تعرف في المجالس النيابية في سائر اقطار العالم. واشنع من ذلك تلك السيئة الذي جرها فساد الانتخاب البلدي حتى تسنى لنائب الجهة الثالثة ان يتقرب بحل مسالة الاحباس الخاصة فيدسها بين السطور

واما خطيب المجلس الكبير الذي هـو تاج تلك المجالس فقد ظن ان نادي المفاوضات اشبه بالمعابد الدينية تقديسا ولاجل ذلك اعلن التزامه عدم الخوض في السياسة، فهما منه (بارك الله فيه وفي زميله الذي خطب اخيرا على لذايذ المشروبات) أن سياق منطوق الفصل الثاني عشر من امر تاسيس المجالس يحجر ذلك ، مما دل على ذكاء مفرط (فرحم الله المعارف)

هذا وخلاصة القول ان فقدان النتيجة وبقاءنا في المركز الشوري القديم هو راجع الى امور شملها جوهر التاسيس مقصودة من المشرع نفسه فيما يظهر وقد حاول ترويجها وجعلها تدريجيا

من ذلك منطوق الفصل الرابع والسابع والثامن من الامر المشار له لخصوص

المجلس الكبير ، فان الاول في الذكر قد جعل القسم الاهلي في عدد مرجوح مع توفر شروط الانتخاب في زميله الفرنسي لحد كانت نسبته منه نسبة العشرة من الاربعين ، ، وبانحياز اعضاء الحكومة لمن هي احرص عن الذب عنه من نفسه تدحرجت نسبة نوابنا الى الخمس من الخمسين ، وبذلك صارت اراءهم كالعدم من الوجهة القانونية عند الاقتراع ، اما بقية الاعضاء فلا يحسن حلهم على العدد الانف الذكر كالبلديين واعضاء الحجرات والجنوب العسكري لان انتخابهم حكومي غير قانوني مع قطع النظر عن صلوحية البعض واتصافه بالمقدرة التامة فانه من الصدف التي لا تبرر الخلل في الاساس

ولذلك كان الراي العام الاهلي غير محتفل به بل متجه لمفاوضات القسم الفرنساوي لرجحان صحة مقرراته عنده ، وقد ابتهج كثيرا برفضه للضرائب التي حاولت الحكومة ضربها من جديد على النخيل والزياتين والعقارات والارباح التجارية زيادة على ما فوق كاهلها من الاثقال ، واسداه شكرا كعادته من الاقرار بالجميل وشبهه ، وتحقق ان لولا رفضه لم يكن في مقدور القسم الاهلي صد الحكومة عن مرادها وان اتحد رايا على طرحه ولو فرضنا انه سلم من التنويم والمنومين الذين ابتلي بهم في باكورة عمله لهذا العام يحسنون ويقبحون وينصحون ويوسوسون في الاذان ،

حيث اتضح ان لا اتكال على مجلس التحكيم الذي زعم المشرع انه حقق فيه المساواة واستبله شعبا كاملا بزعمه اذ جعل لاعضاء الادارة حق المداخلة بالراي في بنود ايجاده ، طبق ما يفهم من نشرة لسان الحكومة التي قالت ان المجلس المشار له اجتمع وانهى المسائل الخلافية بلا مداخلة الحكومة ، فهو بذلك حقق معنى المثل المأثور « انت الخصم والحكم »

ثم ان الفصل السابع الذي اشرنا اليه آنفا قد حصر نظر المجلس الكبير في الميزانية التي تحضرها الحكومة (بشرطه) بالكيفية المعينة بالاوامر الخاصة ... (اي تمر بنظره) كما له ابداء الراي ايضا في دائرة قررها الفصل الحادي عشر بعد اخراج نقط خمس نذكر اربعا (وواحدة) منها هنا على سبيل التبرك وهي

اولا. لا حق له في المصاريف المتعلقة بامن الحكومة (وهذا بحر لا ساحل له) كباب التموين في المصروفات ......

ثانيا القيام بالدين التونسي بل بكافة الديون الممكن مطالبتها سواء بموجب احكام ابتدائية أواستئنافية لا تعقيب فيها الخ (يراجع الامر)

ثالثا مصاريف العدلية الفرنساوية

رابعا راتب وغرامات المقيم العام والمعتمد ومصاريف ديوان المقيم العسكري والمدني ومصاريف القيام بشؤون مراكز السفارة الخ

خامسا ما للعائلة الملوكية ابقاها الله تعلى

ثم جاء في الفصل الثامن ما نصه : انه يجب ان يكون كل اقتراح متعلق برفض او تنقيص اداء او جزء منه يكون مصحوبا باداء تعويضي . ولا يمكن الاكتفاء بمجرد طلب زيادة او تنقيص شيء من مبالغ الميزانية (يعني المقدسة) كما جاء فيه ايضا لا يجوز عرض اي اقتراح من شانه الزيادة في المرتبات والاعانات المالية والجرايات العمرية او احداث مصالح ادارية او وظائف . وتنفيذها خارج الحدود التي تقتضيها القوانين الجاري بها العمل اه فتامل هذا فانك تجد الزاوية الكبرى التي يلجأ اليها الاداريون . كالفعل التعبدي عند الفقهاء والكلام المرمرم عند الصوفيين .

تلك بعض القيود التي قيد بها المجلس الكبير او البرلمان التونسي ووضعت في كبد نظامه الاصلاحي العظيم ... اذا فهل من فائدة تجتنى بعد او ثمرة يرجى اقتطافها وهل ثم من ملام على نوابنا وهم في ذلك العدد ولو كان الواحد منهم في معارفه افلاطون الحكيم ...... وعليه فان ما يشاهد من نسبة اقتراحات ومعارضات ومقال وجدال فوق اعمدة الصحف للنواب فلا عبرة بها حيث لا وجود لقيمتها في اصل النظام حتى تعتبر لدى الحكومة التي هي في حل وراحة من المسئولية لهاتيك الاراء وان كثر الصخب واللجاج ... وانما الذي يقال انها سياسة لتذاع وتنشر فيشتغل الراي العام اشهرا في ذكرها وينتظر في تحقيقها اعواما فاعواما . ومن يقل غير هذا من محبذ وشاكر فعندي انه مسلوب الادراك . وعلى العاقل ان يقول . فكم للسياسة من الوان لا تعرف إلّا بعد المشاهدة والامعان ..

ومن المسائل الهامة مسالة بون قالمة التي وقع الاتفاق عليها بلا تصور كنهها لتقديمها في كلام مرمرم لا يظهر له معنى ولو لمن كان في رتبة القاضي اياس ذكاء وفطنة . وان ادعى بعض النواب انه واقف عن فهم ولدى استفساره اجاب بعد سكوت طويل ان الشرح تركه في نادي المفاوضات . . . ويظهر انه وامثاله هم الذين قادوا بقية النواب الى التوقيع بلا علم ولا ادراك .

على ان اقتداءهم بالقسم الفرنسي النافذ القول لا يبررهم لوجوه منها انه ربما الادارة ترشح باكثر بيان في المسالة وفي ذلك من فائدة كبرى للشعب المتعطش لشرح ما جاء على خلاف المعهود اقتصاديا . لان الشان في الشركات والامتيازات فما كان منها اطول مدة فهي اكثر ارباحا واعتبارا . وعليه فتنازل (بون قالمة) عن خمسين سنة من امدها واقتناعها بستة سنوات امر لا يسوغه إلّا خلل عظيم مر زمن وقوعه فيخشى كشفه وافتضاح من شارك فيه من ذوي المناصب العليا والنفوذ العام . او انه لغاية سياسية لم تظهر تمام الظهور . . . .

واما مسالة الضرائب التي اثقلت كاهل الايالة وبلغ بها الميزان من ستة ملايين الى مائة وتسعين مليونا لهاته السنة اداء قارا بخلاف الغير القار فربما تصل به الى المائتين وخمسين مليونا ولا زالت الحكومة تطالب بالزيادة وتدعي العجز فلم يطرح الكلام عليها في دائرة الحكمة مراعاة لتلك القيود التي لا تفيد معها كثرة البحث والمفاوضات . وهذا الذي تشكوه الامة التونسية وتتجرع منه غصص الالام

كذلك ان كثرة الاداءات وضربها واستنزافها وصرفها بلا معقول هول مفزع ومن موجبه وقوع التقاعس عن العمل وترك استثمار الارض (ان هناك ارض) بالغراسة والحرث فزوال ثروة البلاد . فانه قد بلغ الاداء على الزيتون والنخيل في السنة الفارطة الى اكثر من المحصول في بعض الجهات . ثم ضف الى ذلك الخطايا التي تضاعف الى اضعاف ثلاث ثم اداء الاستيطان والبتيندة والاداءات البلدية (رغما عن قيد الاكرية) والعشر وخطاياه والقانون وغرمه والاداءات المختلفة كالتسجيل والتنبر الباهض ومعالم النقل وما يدفع ارتفاعا في اسعار المواد التي احتكرتها الادارة لفائدتها وغير ذلك من الجبايات المتنوعة المعلومة والتى لا يعلمها الجاهلون بفن الاقتصاد

فانه بالسهل يظهر أن ذلك كله ناشئي عن استقلال الادارة في التشريع وضرب الاداءات واستصدار الاوامر وسن القوانين وعدم مشاركة الامة لها في تدبير الشؤن، لان الاداري المطلق في طبيعته قوة الشغف بملء خزائنه بالجباية بمعقول وبغير معقول وكذلك شانه في الاستهلاك والصرف. وانت تري ان جل ذلك الميزان يستهلك في المرتبات الباهضة وتوسيع دوائر المتوظفين وتكثير عددهم (غبطة ادارية) حتى امتلئت الادارات بالمتوظفات وفي ضمنهم سرب عظيم من الكواعب الذي يقوم الواحد من الرجال بخدمة عشر منهن، ضرورة ان الغواني من طبيعتهن عدم الاكتراث والشعور بساطة تطالبهن بالعمل . زيادة على اننا نجد من الرجال في كل ادارة اكثر مما يلزم

فمدير وله كواهي ورؤساء اقسام ولهم كواهي ثم كواهي الكواهي ثم مدير اول وثاني . . في حين ان المستخدمين الذين لنظر كل واحد عدد يسير وفي طوق المدير الاعلا ادارة الجميع . وعليه فلا معنى لهذا التوليد الذي يكاتف الميزان اثقالا الّا الشره الانف الذكر . وباوضح من ذلك فان ادارة العدلية العربية القلم واللسان لم يكن بها على عهد المأسوف عليه (الكاتب العام لها) ما بها اليوم من كبار المتوظفين والشغل هو هو . فان بها اليوم مدير امورها وكاهية له ومدير اقسامها وكاهية له ونواب الحق العام وكواهي لهم ومدير للشرعيات وكاهية له وليس بها من كبار الوطنيين إلّا وزير ومستشار حتى قال عنها احد الرصفاء انها تكية المتقاعدين

ولو اردنا ان نستوفي عباب البحث في هذا المجال ادارة ادارة كالمال والاشغال مثلا لاستغرقنا اعدادا من الصحيفة ولكن الذي تنصح به الحكومة اليوم هو تاليف لجنة تفحص زوائد المتوظفين الكبار فقط وتنسيق الرتب التي يستغنى عنها بغيرها والتقليل من المستخدمين والمستخدمات اسوة بما تفكر فيه فرنسا ورغبه البرلمان رحمة بالميزان

حول

اجتماع المجلس الكبير ايضا .

٢

عدد ٩٥ في ١٨ رجب سنة ١٣٤١

ان البيان الذي ابتناه في غير هذا حول مفاوضات البرلمان الجديد الذي منحوه تونس في لقب ضخم وعن ثمرة مذاكراته ونتائج اجتماعاته . قد كان كاشفا عن الحد الذي تقهقرنا اليه في المضمار السياسي . وبعبارة اخرى في مسئلتنا التونسية المقدسة . لاتياننا فيه بنقد رفع الستار عن علل القيود التي وضعت في بنود نظامه وعن مضمر واضعه الذي سنه في ذلك الشكل الغريب قصدا . حتى كان عديم الفائدة ووحيدا في بابه . بحيث لا يعلم اليوم له نظير تعامل بمثله امة كالامة التونسية من امم الارض التي لها مجد ووحدة ورقي وتاريخ . حتى كان استغفالهم به يعادل الرجوع بهم الى الحد الذي اوقفهم عليه ضررا سياسيا وماديا سوف تتقاسمه السياسة والامة معا ولا تلبث ساسة النفوذ ان تقف على ضرره وتنتبه لغلطها وتقول بئس السبيل انتهاجا مغالطة الامم والشعوب .

كيف لا يكون ذلك كذلك وان ما اعطته البلاد التونسية بعد جهاد واتراح وفناء ارواح جوابا عن طلبها الدستور فرارا من لوازم الاطلاق وعواقبه . فكان اجمل ما في المعطى والممنوح للوطنيين وعد عليهم تشريكا لهم في النظر بزعم المانح المتشرع ..... هو عشر نواب منهم ينوبون عن مليونين من النفوس بلا توفر لياقة وبلا حرية اختيار . واربع واربعون منتخبا عن دراية وحرية يمثلون اربعين الفا من النزلاء، والحكومة في جانبهم وهي احرص على نفعهم من انفسهم وتخصيصهم بخيرات البلاد كما هو معلوم ومشاهد بالعيان وبما سنثبته هنا بفقرات رسمية من الميزان .

ابمثل هـذا تجاب الامة التونسية عن ذلك الطلب العادل ولا يعجب من قصر نظر المتشرعين فيها، او هل يمكن للساسة ان تسند عليه في الاقناع اوتعتمده متكئا ولو بسلوك سياسة التسويف والامهال ، خصوصا في زمن كونت فيه الحوادث (او فزع البشر) جمعية الامم ومحكمة الحقوق العامة بين الامم الممتازة وذات الحكومات ، وهل لا يقال ان ذلك التكوين قد وسع دائر الرجاء في الشعوب المستضعفة بان تعيش مع الاقوياء ولو في بلادها على الاقل في كنف المساواة

ذلك هو السؤال وهو محل الاستعجاب .... وعلى تسليم انه في نظر ذوي القوة من باب الوهم وان العصبة في الحقيقة منهم والبهم ، وان الاصل في دعوتها انما هو لقسمة الضعفاء بينهم قسمة مراضاة واستغلال ، فان الثمرة حاصلة من اطلاقها بلا قيد اي لم ينعتوها بذات القوة (اي جمعية الامم القوية) حتى يصرفوا عنها نظر المغلوب على امره ....

وهو الرجاء الذي يحرك بواعث النظام لرفع الظلم وتجديد ذلك في كل وقت وحين ولو ادى الى توارث ذلك الاحساس وتلك الدواعي جيل بعد جيل جريا على سنن تنازع البقاء واعتمادا على قاعدة ان صوت الحق لا بد من وجود سامع له في يوم ما وان العدل لا يعدم انصارا

لذلك لم يكن في حكم المعقول ان تقبل الامة التونسية بذلك النظام وتقنع من الطلب بالخيبة وان التصرف فيها لم يزل يقيم لها الف دليل على تزايد الضنك واستقبال الاشد منه ، اوانه يثني عزمها صنيع الادارة هنا بما تجعله في طريقها من العثرات والعراقيل كارسال التقارير المغيات للخارجية في حمل الاحرار بباريس على التسلل من مناصرة المسالة التونسية بدعوى انها شيوعية الغاية والاضرار بالحماية ، حتى تنحى الكثير ممن قابلوها في اول الامر بالصدق ووصفوها بالعدل من اولئك الانسانيين ، لانهم سوف يتنبهون لتغليط الاداريين لهم باتضاح الحقائق فيعلمون ان اولئك قد لذ لهم طعم الاطلاق وابتلوا بحب الاستئثار لنفع انفسهم وافراد صنفهم فقط ، وانهم استنكفوا سوالهم عن اعمالهم ومحاسبتهم على الصرف والقبض في الميزان الذي اوصلوه الى مائتين وخمسة عشرة مليونا دخلا قارا ، ومائة مليون

منه تنهال في جيوب السواد الاعظم من المتوظفين نساء ورجالا مرتبات باهضة عن عمل قليل . والبقية تصرف في ابواب التموين والتمدين والتفتيش على المعادن وحفظ الاثار العتيقة والبحث عليها ومصاريف غير اعتيادية وتخصيصات استثنائية، وغير ذلك مما هو مدمج باودية الصرف والانفاق بلا تفصيل .... وعند ذلك يتحققون ان الامة التونسية المحرومة من حق المشاركة في النظر والتي يجبى منها ذلك العبء الثقيل لم يلجها لطلب الدستور الاحرج الموقف وخوف المثال

ومما هو جدير بالذكر هنا استطرادا . ان احد اخصام الامة بالامس في السياسة من النزلاء والعضو بلجنة المتوظفين المشتغلة الان بتسوية المرتبات قد ادرك خطر ما تشكو منه وصرح بان المملكة لا تتحمل وقر هذا الميزان المتسبب عن تزايد سواد المتوظفين الذين بلغ عددهم الى ثمانية آلاف وخمسمائة متوظفا وزيادة ولا زالوا يطلبون لهم في المرتب الزيادة . الى ان قال فبينما نشاهد بقسنطينة الجزائر التي بها من النفوس مثل ما بالمملكة التونسية واوسع ترابا وحدودا فليس بها من المتوظفين إلّا الفان وخمسمائة وجرايتهم اقل مما يتقاضاه الموظف الفرنساوي بتونس وعملهم اكثر بكثير . كما اعترف بسوء تصرف المديرين وان استبدادهم هو الذي ملاء الادارات واكثر من الرتب والاقلام والاقسام وضاعف الجراية بلا نظر الى العمل . ثم مثل بادارة الفلاحة التي تفرعت من فرعين الى ستة فروع فعشرة اقسام وشعب واقلام . ومضاعفتها للمرتبات ضعفي ما تدفعه الاشغال العامة حتى اصبحت قبلة الفارين لها من ادارات اخرى . الى ان قال ان المملكة فقيرة بوجه نسبي فاذا لم تدرك بايقاف الاستبداد الاداري فان الفقر سيعاجلها من هذا التيار . . اه

ذلك ما صرح به المشار له اثبتناه هنا تسجيلا على حكومتنا المطلقة لانه عين ما نعتقده وحقيقة اعترف بها الخصم بعد انكارها . وهو التيار الذي نحن في حدوده الان . وناهيك بما روته الصحف عن جهات كثيرة من شمال الايالة وغربها . من ان القحط قد ضرب فيها اطنابه والفقر قد عمها بخيله ورجله والمجاعة تفتك بالنفوس فتكا ذريعا خصوصا بجهات باجة وغارديماو وسوق الاربعاء وتبرسق والفرنانة وغيرها . فقد افادت الانباءات الرسمية ان نفوسا هلكت من الجوع لهذا

العام واكلت الميتة والبهائم وطبخ الحشيش وعروق الارض ولا زالت المجاعة تتسع نطاقا ،

وقد كتب الينا من سوق الأربعاء ان سوادا عظيما من الجوعة قد ذهبوا الى مراقب العمل يشتكوا من الفقر والجوع فاحالهم على نبش الارض لاخراج عروق تعرف (بتلغودة) تطلع في ابريل ليتخذونها قوتا ...... كانهم لا يعرفونها ، فما اجمل هذه الاحالة وما اوفقها للعدالة

غير اننا لا نعرف هل يلزمهم الاستئذان من ادارة الغابات التى تغرم على قام خرنوبة خمسمائة فرنكا اولا يلزم .. لان الارض اليوم في تصرف ادارة الفلاحة والغابات وعلى ملك امثال دومنيفال .. وهو ما اوجب الفقر والفاقة في اهل البادية حيث زحزحوا عن اراضيهم وافتقدوا ذات الضرع لفقدان المرعى فانقلبوا عملة يتمعشون من عمل اليوم . والعمل يقل غالبا في الشتاء فجاءهم الموت جوعا وهم ينظرون

اذا فاين الثروة العمومية ايها المتمدنون الذين تتبجحون بايجادها على سطح البلاد وتقولون انكم اوجدتم الزرع والضرع . واين الرفاهية والرقي الذي صدعتم الاذان به امتناننا . اليس هو ثروة خاصة بالخواص وان الرقي المادي فما هو إلا لوقاية وحفظ اولئك الخواص ......

وإلا كيف يعقل ان جفاف سنة واحدة وعدم حصول الصابة فيها يوقع المجاعة التي يهلك منها الانسان او يفقد القوت بعد ان كانت لا تعرف الا في مجاهل سيبريا او في البلاد المنقطعة عن العمران وعن البحار . او من قحط سنوات متوالية . فانها قد حصلت اليوم في الشمال الافريقي المخصب المخترق بقطار الحديد والقريب من البحار ، فاين بلتي وتريدون واميسا يجيبوننا عن هذا السؤال ....

فيا ايها الساسة الذين تقيمون الافراح بساحة البحيرة وتبيحون فيها حرية التحارب بالكنفيد والازهار ، ومرح الغواني والابكار . استدرارا لجمع الاموال من ذوي اليسار . لحماية الاطفال القابلة وجعل الملاجي لهم ، هل فكرتم في وقاية النفوس الجائعة وانقاذها من الموت بقلة ذات اليد والحاجة . فان ذلك اصلح لكم واجمل لسمعتكم وافيد لنفوذكم واكمل لتمدنكم وادعى للتعلق والوثوق بكم على الدوام ، ثم دبروا في انهاء هاته الاخطار المفزعة بالتقليل من المغارم وتاجيل خلاصها وضرب

التحجير على اخراج الحبوب بقدر معلوم في السنة الناقصة واتخاذ الاحتياطات لادخارها . ثم اجعلو لاهل الارض نصيبا منها باقرارهم فيها . فان الحياة هي الارض والقرار القرار .

هذا ولنرجع الى الطرف الذي انتهينا اليه في مقالنا السالف وهو الانذعار من بلوغ الميزان التونسي الى مقداره الجسيم لهذا العام وهو ٢١٥٢٤٨٦٠٠ في اعوام قلائل فنواصل البحث فيه بابا بابا حتى يكون الراي العام على بينة فيما يجبى منه وفي اي مصب يصرف ذلك العبء الثقيل وينهال وكم نصيب الامة منه في النفع والاصلاح فنقول .

ان الذي يراجع موازين الدولة اعواما متوالية يجدها تنمو نموا مدهشا ويرى في اثرها تزائد الاداءات والضرائب في كل سنة تزائدا مخيفا . ويستحيل عليه انه يجد في التقارير السنوية التي ترفع من المقيم للمقام العالي للامر باجراء ما تطلبه الحكومة والتصديق على اعمالها مطلبا يوذن بتخفيف غرم او تنقيص ضريبة ابدا . وبالجملة فان تقرير هذا العام كانت الزيادة فيه ٣٣٥٣٢٤٠٠ مليونا بدعوى ان المصاريف ارتفعت فيلزم الحصول على مداخيل جديدة قدرت بذلك المقدار . وعليه فقياسا على المجاري الماضية فلا يعلم الراي العام الى اي حد تريد الادارة ابلاغه في السنين القابلة او هل لها من وقفه فيه . . . . ؟

هذا ومن الغريب الذي انفردت به المملكة التونسية الصغيرة عن سائر الممالك وصف مخطر اقصره عنها الاستبداد . هو اعطاء نصف ميزانها مرتبات لمتوظفيها الذي يقدر بمائة مليونا . بحيث لا يعلم غيرها من الممالك يشاركها في هذا الوصف الغريب الذي لا يفسر إلا بقوة الحكم الاداري فيها وما له من المقدرة على انتحال الرتب وايجاد الاسماء بلا عمل يستحق الذكر . وعلى الكرم الحاتمي من ذوي النفوذ الاعلا في تبذير باهض الجرايات الذي اغتبط عليها متوظفو باريس نزلاء تونس ورؤساء محاكمها ومهندسيها وكتابها حتى امتلئت الادارات بالشيوخ والشبان والابكار . . . . واليك مثالا واضحا صحيحا : فان ادارة المال العامة بها من عالية الرتب مدير اول وثاني وثالث وتسعة عشرة كاهية منهم خمسة من التونسيين

صور تتحرك او اشباح بلا ارواح ، حيث ان القلم العربي ببركة الاستبداد اصبح لا ينعت برتبة فيها ليمتاز عن بقية الاقلام كما بها ستة رؤساء اقسام ايضا . واما الكاتبون والكاتبات فعددهم لا يميزه إلّا المدير العام . . . . . .

ثم ازيدك ثانيا ان القسم الاول الذي هو الوزارة الكبرى التونسية فرغما عن لسانه العربي ووجوده بازاء الداخلية الملوكية التي ابتلعته ثم دخلت في بطن السفارة الجمهورية حتى كان في حجب ثلاث ، فان به أثنى عشره متوظفا فرنسويا واربع كاتبات لا يعلم لهم لقب في الوظيف ، وقد كان يديره في الزمن العصيب اعني زمن الحرب رجل تونسي عظيم والعمل شاق لم يختل ادنى نظام ، واما الاشغال العامة فسواد عرمرم ستعلم مقداره مما سياتي من قسمة الميزان على الادارات ، ولكن سلفا اقول انه ليس بها من الوطنيين إلّا بعض عدول وعدد شواش بالباب بفضل سياسة التشريك وتبادل منافع البلاد . . . . . والیك قسمة جملة الميزان الماهول المستوجب للشرح والبيان مؤزعا لسبعة اجزاء ياتي شرحها بعد وهو :

ما لادارة المال العامة	١٠٠٠٧٠٩٠٣٥٧٤
ما لادارة البوسطة والتلغراف	١٤٦٧٢١١٨٧٥٤٥
ما لادارة الداخلية العامة	٢٠٨٢٠٥٤٥٥٩٩
ما لادارة الفلاحة والاستعمار	٧٩٨٩٠٥٠٥٠٠
ما لادارة العلوم والمعارف	١٨٤٢٩٨٥٤٥٢٩
ما لادارة الحرب التونسية	١٦٢١٧٣٨٥٢٢
ما لادارة الاشغال العامة	٣١٨٧٤٨٧٦٥٦٦
ما لادارة العدلية	٢١٧١٢٢١٥٢٩
ما للمصاريف الطارية	٦٥٠٣٤٠٥٠٠
الجمع	١٩٨٣٠٠٧١٧٥٦٤

هذا ونظرا لطول المقال فقد ارجانا الكلام على غرائب هذا التقسيم ودواخله الى الاعداد القابلة فانتظروه مستوفي البيان

كيف يستهلكون الميزان

عدد ٩٦ في ٢٣ شوال سنة ١٣٤١

٣

اسلفنا مجملا من القول حول ميزان المملكة التونسية وتصاعده في سنوات قلائل لحد مائتين وخمسة عشر مليونا من الفرنكات اداء سنويا مهولا ، يفزع من استنزافه ويفجع من صرفه واستهلاكه اذا روعي الانصاف واحترم النظر في نتائج البلاد وصغر الايالة وثروة الشعب العمومية ، ثم قدر بعدل مضايقته في التكسب ونصيبه ادبيا وماديا فيه اذا قيس على نفع بقية السكان من النازحين

وقد اشرنا وقتئذ الى ان ذلك التيار لم تظهر عليه بوارق الوقوف عند حد معلوم بل لم يزل صاعدا تتنوع طرقه في ذلك حسب مشيئة الاطلاق الاداري فيه وقلنا هنالك انه لا محيص من وقوف الامة في يوم من الايام في صعيد العجز عن الاداء بالفقر والاملاق اذا لم يرجع به الى الحد المعقول بان يقيد ذلك الاطلاق باعطاء الدستور للبلاد اسوة بامم الارض ذوات الوحدة والرقي ، وعملا بالقواعد العمرانية التي اثبتها العلم وحققها التاريخ وطبقها في امم وعصور من قبل ،

نعم قلنا ذلك بالنظر الى الميزان وحده واما اذا زيد عليه متنزفات اخرى لا تدخل تحت حصر كالتي تتولد من الضائقة المتبادلة ، فتوخذ الضروريات مضاعفة الثمن والحاجيات مرتفعة القيمة واضفنا لذلك ما يزاد في الاشياء المحتكرة للادارة من اقوات وغيرها وكالخطايا منها عليها ومن في قوتها نفوذا (اعني الذين ياخذون على تخطي الدجاج لارضهم من المعمرين فوق قيمة الابل والبقر) ثم الرشوة التي استفحل خطرها في كل حركة وسكون حتى كاد ان لا يسلم منها مكلف بطائلة القانون اذا جاء لغرض وطرق الابواب .....

ثم قل سلام على عدل العمال ونزاهة جلهم وثقة بعض المراقبين وغطرسة البعض ثم الخلفوات والمشايخ واعوان الاكراه والجلب والغضب ولصوص الغابات وانصار

الاختصاصات والمختلفة من الادارات وما تضربه من المغارم المتنوعة التي لا تتحد مع المعقول، كوضعها بالامس غرما على نبات الخشخاش التي وجدته بالبساتين وبسياجها وتحت الزياتين نابتا من اثر الطبيعة كبقبة ما يرمى بالارض من نزول السماء مما يقدر بميئات الالاف. وكالاستمرار على مضاعفة الغرم العدلي الى اضعاف ثلاث وكرباء المرابين الفاحش البالغ المائة في المائة الناشي عن الاضطرار من الاهمال وعدم اخذ التدابير لصده. فاصبح يتعرض لخصب السنة من امام ويستقبلها في الابان بتمكين مخالبه القاتلة من المضطر الذي يجد فيه استعدادا لتقييده من الاربع قوائم بحيث انه ياخذ ما يفضل عن الادارة الطامة في مطالبها فيحل بعض القيود ويترك البقية تنهك بنموها ذلك البدن العليل الى السنة القابلة ثم الى حيث الهلاك...

ثم ضف الى تلك المغارم ما يجبى ايضا بعنوان البر بالصغار والاحسان ببني الانسان وما يوخذ لامتلاك العواطف واحتلال القلوب مثلا كبناء المعاهد او اشادة (المساجد) بارض الصلبان والنواقيس. وغير ذلك مما تبلغ به الجباية اضعاف الميزان الانف الذكر. وهو كما لا يخفى اداء جسيم دونه طاقة المملكة وجهدها في الاستنتاج. فاذا ادخلناه تحت ضوابط فني الاقتصاد (المالي والسياسي) اشعرتنا تلك الضوابط بدنو عاقبة القاعدة العمرانية التي لا خلاف بين حكماء احكموا تدوينها واثبتوها في فنهم المفيد لمن اراد ان يتعض فيعمل ويستفيد. فقد قالوا ان ازدواج الضرر من الارهاق دائر بين الحاكم والمحكوم وربما كان الاوفر للاول وحتمي له. لان الشعب هو قوام الدولة ومادتها ومورد خزائنها فانهاكه بالعدوان عليه في ماله مذهب لاماله ومفقر له وملجيه الى تجاوز الحدود بالهجرة. وان الاكراه على اداء ما فوق الطاقة يفقد عاطفة السعي ويحبذ القعود عن العمل. وذلك هو المرض الذي يلاقي العمران به حتفه او يخور شيئا فشيئا ثم ينزل به القضاء العام وان طال الزمان...

ذلك بعض ما يقرر في جانب الحكم المطلق وعواقبه الوخيمة في اي بلد ضرب اطنابه وتغلب فيها على الشورى واستسلم له الشعب وطاطأ لاراداته محاطا بالاياس. ثم ان ذلك المعنى الذي اوردناه بوجه عام يقال عنه بمعنى آخر اخص وهو

انه اثر من اثار تغلب اصناف البشر اذا حكم احدهم الاخر وقهره ملتذا بسيطرته وشامخا بقوته (وءانس منه صبرا) فان شان القاهر الاستغلال بلا مرحمة ولا شفقة بل ويجاهر باستقباح اجراء المساواة بين المثلين اذا اتحدا في العلم والعمل، ويجاهر بان من الانصاف والعدل ان لا مساواة ولا معقولية تتخذ حدا في هذا الباب بل ان الاجراءات ينبغي ان تكون بحسب الملاذ والشهوات والخطرات لدى النفس المتغلبة . . . وعلى كلا الحالين فان النتيجة في المثال واحدة حسبما حكاه التاريخ ويشاهد في كثير من الاصقاع بالعيان الان . . . . . .

لذلك رب سائل يسئل عن هذه البلاد هل هي في غير ذلك الطرف ام على حرف منه اذا لم تستدرك بالتبصر في العاقبة وبالانصاف فيها ، وهل جدير باليراع اذا سئل ان يجاهر في اعطاء الجواب بان احداق الخطر بها من العسر انما هو رهين سغب سنة تتبعها اخرى فقط ، بحيث انه لا يبالغ اذا قال ان سنة التاريخ لو لم تخصب وبخلت السماء ولم تسقى في الابان لهال المنظر وتصدعت الاذان بما ترويه الرواة عن بيع الاولاد والتصدق بالاكباد ، كما وقع قريبا بالجنوب الوهراني وفي جهات من العمالة عن سنوات من الفقر والاداء الذي يبيد الثروة ولا يمكن معه الادخار في حال من الاحوال . . . .

نعم يجيب ولا حرج ويجاهر ولا ضرر وله ان يعجب ممن استاثروا بالنفوذ واستبدوا في البلاد بالعطاء والحرمان ، وحرموا اهلها الاستشارة الحقة قهرا ، انهم فوق ما يشاهدونه من مقدمات التقهقر بحصرهم موارد البقاء في مصب خاص واضعاف التنازع فيه في غير الخواص بثقيل الكواهل لا يفكرون في الغاية ولا ينتبهون لعمل ما هو كافل لدوام العمران باحترام نواميسه الموجبة لسلامة النفوذ واستدامته ، ويقتصرون على الالتذاذ بذكر كلمة الحكم الى الابد والاقامة هنا الى الابد وبلادنا الى الابد (فسبحان من تفرد بالدوام)

الا ترى الى رب السفارة وقيصرها نفوذا كيف اعترف بذلك حيث ذكر في احدى خطبه الباريسية الاخيرة في معرض الامتنان على الشعب التونسي ما هو الحجة على ما اسلفناه اذ قال « ان حكومة الحماية بصدد طرد المجاعة عن الاهالي الذين

اضحوا فريسة قحط السنة الماضية وانه يستقبل سنة خصبة يرجون ان يرتفع معها الضرر ويتلاشى وقوع الخطر » الخ ما قاله هناك في حضرة الجمهوريين وحاضرتهم (باريس) .. وهو اعتراف منه كما لا يخفى صريح في بيان حالة الوطنيين اعني (الاهالي ...) وانهم على حال اسلفناها في الذكر وحجة المجيب اذا سئل فاجب ..

وانت خبير بان المذكور لولم يذكر القيدالمخصص في الجائعين وهو (الاهالي) بان قال عن السكان مثلا وادخل في مفهوم عبارته الجارحة عموم النزلاء كالسيسليان والمالطيين وغيرهم لقامت القيامة في وجه الخطيب تعنيفا من الحاضرين ودفاعا منهم عن شرف الحماية ومدلولها الصقيل ....

لان سقوط النفوس البشرية جوعا وافتراس القحط لبني الانسان في عصر يقولون عنه انه عصر المدنية والنور ، فما هو الا اثر من اثار الظلم والاستبداد بلا كلام وبالاحرى ان نال من صنف دون صنف والحكم واحد والاديم يقل الجميع . لانهم لا يرضون عن ارض الحماية او الوصاية والانتداب ... بسماع غير الامن والرفاهية والثروة العمومية النافعة والعيش الهني في ظل العدالة والحق بين اصناف المتساكنين ... بلاميز ولا محابات . ولكن ذكر الاهالي وحدهم قد سكن على الخطيب تلك الزوبعة المتوقعة من الغلط اللفظي ونال الاستحسان الحاد عن قوله وعن حسن صنيعه في الحكم

ومن هذا تعرف عاطفة الشعوب القاهرة لغيرها عليها واعتبارها لديها . وتجزم بان الراي العام هنالك لا يعبؤ بمدلول كلمة الاهالي وان اوجدت المدنية على دعواهم حماية الحيوان ..... اللهم إلّا ان يقال ان حضور الخطيب كله من امثال الاستعماري دوفارين اعني غير جمهوريين ، وإلّا كان الامر حقيقة جديرا بالاستغراب وموجبا للخراب

هذه نظرة عامة قد ساعدنا القلم على استطراد ذكرها بين يدي الموضوع وبرهان من صريح ومفهوم اثبتناه حجة في بحثنا حتى لا يكون في مقدور متعنت رده ولا دحضه ولو اجهد في الخطاب ، وما قصدنا بهذا البيان إلّا الارشاد والنصح والحرص على خدمة الصالح العام ، وافهام القابضين على النفوذ بحكم الاقدار ان المغالطات قد فات وقت تاثيرها ، فينبغي لهم اما انصاف واضح او على الاقل الاصداع

بيان في الغايات ، لان الشعب قد احس بموقفه بالضغط الذي نال من سائرحواس العلم في ذاته ، فلم يبق مجال للعيش بالاماني والاحلام ، وليتحقق اولئـك الساسة ان الطريق الذي هم راكضوه بنا بحزم ونشـاط لا يتحد مع ظاهر الادعـاء وسينبذ الشعب بالافـلاس وهو سقيم

هذا ولنرجع الى ما دل عليه طالع المقال الذي وعدنا بمتابعة البحث فيه بابا بابا وهو (الميزان) وابداء ما تمليه علينا المواهب الفكرية من الملحوظات الصحيحة عن الموازنة في صرفه ، وهـل للشعب المجبى منه من نصيب يرجـع اليه انتفاعـا بوجه اقتصادي اوعرفاني عمومي المداول ، رجاء العمل بالنظر الصحيح واملا في ان يكون للحقائق تاثير حسن على النفوس الثملة بالسيطرة والارهاب ، او على الاقل افادة الشعب بشرح رموزه وبيان غموضه فيخف عليه ثقل الامتنـان عليه بما احدثه فوق سطح الايالة من الرقي والبهرجـان ، حيث يعلـم بعد انه من دمه وبكد يمينه ومن عرق جبينه ومن قروض ينتهـك فائضها الجسيم جهوده العملية على ممر الاعوام ، وان لسواه الراحة والرفاهية والربح العظيم .

نعم تقدم انا تقسيم جلـة الميزان على الادارات وقد علم القـراء ما خص كل ادارة منه مرتبـات ومصروفـات ومستهلكات ، وان بالتتبـع تحصحص وان ثمانية وتسعين مليونا تنهال في جيوب المتوظفين بالدوائر الدولية البالغ عددهم ثمانية آلاف وخمسمائة متوظفا وزيادة ، في هاته المملكة الصغيرة القليلة الانتاج

يخص على التقريب من ذلك العبء الثقيل متوظفي البلاد اعني الوطنيين من تابع ومتبوع مرتبـا ما دون العشرين مليونا ، كما سيجيء بعد مبينا بارقـام حسابية لا تقبل الارتياب من حيث المبالغة ، جاعلين فاتحة الكلام على ادارة المال العامة التي هي منبع شقاء هـذا المحيط وخرابه ، ثم الادارة الاخرى على حسب التقسيم الانف الذكر فاقول ، افادت الجريدة الرسمية ان الذي خص بادارة المـال اتفاقا هو مائة مليون وسبعون الفا فرنكا موزعا لاجزاء سبعة ، وهو الباب الاول في الصرف بطالع تلك الصحيفة الرسمية ، يخص صاحب التـاج وءاله مليونان وخمسمائة الف فرنك والف فرنك ، وهو المعبر عنه بالجزء الاول ، وهو بالنظر لما سيات ليس في مقداره ما يلاحظ اكثارا .

ثم الجزء الثاني الذي يخص السفارة الفرنسوية وما يتبعها من الميزان التونسي والذي للسفير بها صفة وزير خارجية حكومة المملكة التونسية قدره خمسة وعشرون مليونا وارقام اخرى ، قسمت في الصرف الى تسع مناهل دافقة يظهر عليها منتهى التشاكس لانها تشرب من بعضها بعض ،

وهو ما نطالبها ببيانه حتى لا يقال انه ربما كان هو السبب الموجب لحذف المفاوضة في قسطاسها من قوائم المجلس الكبير مثل ما لسمو الامير ، وهو وان سلم او كان من وجه الترفع عن المناقشة فيه او ان السفاوة مسئولة للخارجية الفرنسوية والبرلمان الفرنسي فقط ، فانه لا يمنع الصحف ذات النظر الثاقب من ابداء ملحوظ لا يبق معه القلق والانقباض من قولهم (لا تسأل) في النفوس المتعطشة الى الحقائق ويقطبها الغموض سيما والميزان تونسي بحث والامة مسئولة له بالخلاص .. وعليه فقد جاء في لسان الحكومة ما نصه :

ما للسفارة من مرتبات المتوظفين « ٤٧٨١٩٧

ثم جاء بعده قولها ايضا ، ما خصص لمستخدمي السفارة ومتوظي الحماية ١٥٠٠٠٠٠٠ مليونا ، ثم بعده ايضا ما نصه : الاموال التاكيدية ١٤٠٠٠٠ ثم ما للمراقبات المدنية (التي عددها في الايالة ثمانية عشرة مراقبة) والتي لها صفة القنصلية الفرنسوية ، وقدره «١٤٦٥٤٤٦

ثم ما للادارة العسكرية بالحدود الجنوبية والجندرمة الاهلية والمخزن

ذلك هو التقسيم الذي خص السفارة الفرنسوية التي كان ميزانها من الخارجية كجيش الاحتلال الذي يقال انه الى الان على كاهل وزارة الحرب الفرنسوية نفقة وصرفا .. وان كان الشاك في ذلك له العذر حيث ان التشاكس المذكور مما يتوكؤ عليه كالخمسة عشرة مليونا مثلا التي هي رقما واحدا ، فان العبارة التي تقابل الرقم في الوادين بمعنى كمرتبات المتوظفين ، ومستخدمي ومتوظفي الحماية فانه يشعر بتكرار وتناقض مع وفرة المقدار ....

وان حمله على الكاسة (السوداء) غير مقنع لانه رقم جسيم ايضا ، وهو ما يشهد حقيقة لادارة المال العامة بطول الباع في ايجاد الموارد وطرق الفناء للاموال باساليب اكثر تعقيدا من عقود الامدي وفهوم عصام ....

ذلك ما يخص الجزئين الاولين . واما البقية فلخدمة الدين التونسي بفرنسا وفائض قروض المملكة الذي قدره متجمعا من قرض سنة ١٨٩٢ ومن قرض سنة ١٩٠٢ ومن قرض سنة ١٩٠٧ ومن قرض سنة ١٩١٢ ومن قرض سنة ١٩٢٠ ٢٢١٤٨٦٢٤ مليونا فائضا سنويا في سبيل مصلحة الاستعمار وحده

ثم الاجزاء الاخرى مما هو لخصوص العمال والمشائخ والخلفاوات من الجزء الراجع اليهم وما للتقاعد والاعانات الخيرية والخدمات والمهمات والمبالغ التي تدفع وترجع والتافيقات التي لا تفهم وانما هي كلمات تقابلها ارقام حسابية . كالمصاريف الوقتية المختلفة الراجعة لميزان الدولة ونصها «١١٣٧٠٣٦١ فانها غموض يجب ان يراجع فيها بعض اعضاء المجلس الكبير الذين يتفاوضون في الميزان ولهم نظر متسع حسب قولهم ولو الاطول باعا منهم . ولكن هيهات ان يجيبوا عن علم او اذا سئل الرئيس نفسه ان يجيب بغير باب (التموين) في الصرف احد ملاجي جناب مدير المالية العام

هذا ونظرا لوعدنا ببيان ما يرجع من كل ادارة لمتوظفيها الوطنيين حتى يتاكد ما اشرنا اليه وهو انه لا يكون اكثر من العشر (قسمة مساواة ...) فنقرر هنا ان المائة مليون اذا طرح منها ما خص بالسفارة العامة وفائض القروض وقدره ٤٧ مليونا . ونظرنا الى ما بقي وتصورنا ان الفروع المالية كالقباضة والاداءات المختلفة والتسجيل والاختصاصات وفروعها ومهمات كل ادارة وفكرنا في ان كل متوظفيها من النزلاء الوافر عددهم ذكورا وكواعب . مع جسامة مرتباتهم وثلثهم الاستعماري فلم يبق إلّا متوظفو الادارة المركزية والمستكتبون وكتاب الظهورات بدواميس الادارة المالية والذي قال عنهم (اميسي) العضو الاستعماري انهم وقتيون شرفيون والقابهم من رئيس وكاهية كالقاب جنرات الامير بلا خيول ... ثم اضفنا بعض مترجمين بكل فرع من فروع الادارة يتبين ان جملة ما يرجع للوطنيين بضع ملايين ومئات آلاف دون ما خص بالتاج

اللهم الهمْ ادارة المال الرشد حتى تعمل برموز تقرى في راية ترفعها احيانا بجانب راية الهلال على ابوابها في المواسم والاعياد فلا تخجل بعد من اجراء هذا الاجحاف بدل المساواة

كيف يتصرفون في الميزان

ادارة الداخلية

٤

عدد ٩٧ في ٦ محرم سنة ١٣٤٢

من الجمل التي اجريت مجرى الامثال الحكمية هي قولهم (ان الكلام الذي يخرج من القلب يلج الى القلب بلا اذن) ويشرحون ذلك بانه عنوان عن خلو الغايات الشخصية في القول وتمحض الانقطاع في النصح والارشاد لحد لا يطالب من اكتسب تلك الصفة ببرهان يقدمه على قوله او دليل يدليه ، بل وان دعوى الوطنية او التغلغل فيها بالقول فضول لا يستر ما هو باطن ولا يحجب ما هو كامن كالشان في الخليقة فانها (وان خالها تخفى على الناس تعلم)

وبعبارة اخرى انه ما من كلام ابرزه الصدق وافاضه الاخلاص إلّا واخذ من القبول والامتنان له مكانا سعيا وانمر العمل المطلوب بحيث يندر تخلف مفهوم ذلك الاثر الحكمي عند شرطه ، وان اقل ما يثمره بادي بدء هو حصول العلم بموقف اعضلته الامراض المبيدة من ساسة تتصام عن سماع صوت الحق وحكومة تغالط وزعامة لا كفؤ فيها وذمم تتطور بحسب الوقت والزمان

وعليه فلا مانع من التصريح (منة لله وحده) بان فصولنا السالفة المتبوعة بهذا قد صدقت بعض مفاهيم ما هو مأثور ومشهور من هاتيك الحكم البالغة ، بما شاهدناه من فرط ارتياح طبقات الامة من شرحنا لتلك الحقائق التي يهش لمعرفتها الشعب وقد توارت عنه بحجب التمويه والتضليل وبداجن من ليل السياسة الذي مد عنها سدوله حتى كان لا يرى لها كنها او ترى في صور لا يستقر عند مشاهدتها النظر

غير انه وان كنا من الممنونين لذلك الصدى الناشي عن الوقع الحسن الذي هو عنوان الاخلاص للشعب الكريم ونجزم بان رضاءه وتقديره لقيمة بذل الوسع

مع الاصابة واعراضه عن الغث وعدم انخداعه لاقوال من مثلوا (الاساود) في نزع اغشيتها السنوية (كل وقت بلون) مما يجعل النشاط في الصادقين متجددا وفي الوطنيين مستقرا . ولكن الامر في نظرنا اسمى من ذلك . بل الذي يهم بنوع اكثر اعتبارا هو ادخال ذلك الارشاد الفني لقلب الحكومة وفي رؤس ساستها كرها بحججه الواضحة وادلته التي لا تفل حيث انها القبلة في القول وانها محط النصح والبيان . لان الغاية من الارشاد هو ظهور العمل بالنصائح الصادرة عن غرض سامي لصالح مشترك نفعه يثمر امتنان الوطن وارتياحه لذوي الشأن الذين هم على رغبة فيه ويحاولون الحصول عليه باساليب من التلبيس والمغالطة فقط . واما رضاء الشعب او علمه بالحقائق او اعجابه بخلابة التحرير وبلاغة التحبير هو الثاني وبالعرض

لهذا وذاك نستحث ارباب الصحف الوطنية والاقلام الصادقة على ملازمة البحث في الشئون النافعة وانتقاء المواضيع التي تهم ولا يسأمون من قولهم (عود على بدء) لانهم بازاء ساسة حكومة يشاهد عليهم الاصرار والمثابرة على محاولة ادخال اصلاحاتهم الجديدة لوسط قلب الشعب قسرا وبلا كلل ولا فتور . وقد اتخذوا لغرضهم السامي .... انسجة لامعة للظواهر من صنع المعامل السياسية التي لم يعهد انها اتخذت رداء لقانون منذ عرف القانون ...

وان اخر نغمة ردد صداها الوجود في هذا المضمار هي جمعية التحابب الجديدة ..... التي ضمت لهيأتها بعض المارقين من الدين والذين لا يعبأ بقيمتهم حتى اصبح مفهوم اسمها يفسر بضده وسمر الضاحكين والمستهزئين ....

وفوق ذلك فان في الساسة انفسهم من طلب النقد المأخوذ من نتائج مقدمات القضايا المسلمة والصادر عن اخلاص . وان كبيرهم قد حدث به حضورا كنا احد اعضائه قائلا انه يرتاح لبيان يعينه على استكناه ما لبس عليه بالباطل وحال بينه وبين حسن مقاصده نحو هذا القطر وابنائه المخلصين . وهو مما ينشط ايضا لانه قول ترجم عن حرية وانصاف في السفير .....

هذا ولنثني عنان اليراع لحد وقف بنا البحث في مقالنا السالف عن ادارة المال وعن صرف ميزانها الضخم المقدر بمائة مليون ومقدار ما يرجع منه للوطنيين ازاء

النازحين . وهو اقل من نصيب الجد في احفاده في صور ترسل كالالغاز في باب الميراث .. ثم اواصل البحث عن بقية الادارات الاخرى جاعلا مقال اليوم نصيب ادارة الداخلية العامة فاقول وبالله التوفيق

من المعلوم ان ادارة الداخلية هي الادارة التي ابدلت بها بالكتابة العامة واقيمت على اطلاعها وانها الوضع الاول في الاصلاحات السفيرية تحقيقا لتفريق السلط وحرية القضاء الذي لا يتحقق في اجمل صوره إلّا بعد نسف الكتابة العامة المأسوف عليها رغم ما تركته فينا من المساوي . ورحم الله من قال .: (وبضدها تتمائز الاشياء) او :

رب يوما بكيت منه فلما ﴿ صرت في غيره بكيت عليه

نعم كان الشعب التونسي يتألم من جبروت الكتابة العامة ومن اطلاقها الذي كان في تستر تصرفها في كليات الامور احيانا وظاهرا في جزئياتها حتى امكن بذلك السلوك الذي هو نتيجة الحنكة والدهاء مشاهدة الذاتية التونسية محترمة طبق بنود المعاهدات ومفسرا لمعنى الحماية من امة لامة او حكومة لحكومة . اي ابقاء ما للوزير للوزير وما للسفير للسفير وما لصاحب التاج لصاحب التاج من قرار وموافقة واوامر وتشريع .حيث ان الحماية معناها (الوقاية والحفظ) والتعهد نص في المشاركة وفي ترقية البلاد وادارة الشؤون وتوزيع المصالح

اما اليوم فبالنظر لتصرف الداخلية التي هي قلب الحكومة وما آلت اليه فانه يتراءى منه نسخ ظل الذاتية التونسية ومحو استقلالها في شخص حكومتها المحمية ثم اخذ يفنى تدريجيا ويذاب كما تذيب الشمع النار . واليك الدليل الواضح وما بعد العيان خفاء ....

فقد جاء في الفصل الثاني من امر تاسيس الداخلية ما نصه « يباشر مدير الداخلية شؤون المملكة الداخلية ويتولى جميع الوظائف التي كانت لحد الان من علائق الكاتب العام ويباشر السلطة الترتيبية بمشاركة وزيرنا الاكبر . ثم بين الامر المشار له ايضا ما للداخليـة من النفوذ . وهي الاعمال والاحباس والشعائر الدينية والمحافظة والمجالس البلدية ونشر القوانين والاوامر وحفظ الاوراق الدولية وانه لم

بغير شيء من الاحكام الجاري بها العمل فيما يخص السير الداخلي والوظائف الخاصة بكل من المصالح المذكورة اهـ ......

تلك هي عبارات امر تاسيس الداخليـة وهي نص في معناها ولا مفهوم لها ثانيا ، وقد قلنا وقتئذ انها ستكون حبرا على ورق لان اسقاط الكتابة العامة هو امر شخصي الفائدة وهو عدم مضائقة السفير في نفوذ الخارجية فقط لا رافة بحكام دار الباي او رغبة في توزيع النفوذ وتفريق السلط ، ورغما عن اعلان صاحب الاصلاحات غير ما مرة بان فائدة ذلك سوف تظهر واضحة عند التطبيق فيستقل القضاء وتتمتع كل ادارة بنفوذها وتشتغل في دائرة النظام الاصلاحي الخاص بها في حرية من القانون ،

فلم نلبث إلّا واظهر ذلك التطبيق ما ظننـا انه واقع واصبحت السفارة تفسر بقولهـم (كل الصيد في جوف الفـرا) لا تفريق للسلط ولا ولا ، فهي تصـدر الاوامر وهي تقنن القوانين وهي تمنح النياشين (قبالة) وهي ترقي من شاءت الى منازل الوظائف وتوظف بلا علم وبدون مراعاة لاساس النظامات المحترمة ، كامناحها الطاعنين في السن الوظائف او لمن عرفوا في الناس بالبطالة والكسل ، وذلك لمجرد دعوى الاخلاص والتعلق والاعمال السرية والوسوسة والتقرب الموهوم الذي لا فائدة فيه للعموم ، ثم كانت كبلاط ملوكي تستقبل قاعاتها لاداء شواهد الاخلاص ومفروض الشكر والامتنان على الانعامات السفيرية والامنحات المقيمية ، ولم يعهد مثل هـذا التصرف او ذلك السلـوك ولو على عهـد المرحوم برحمته م . روى الـذي جمع في شخصه نفوذ الامارة والسفارة معا ، بل الاوامر كانت تصدر في صيغها من مصادرها الملوكية والقرارات الوزيرية كذلك ، والوزارة الكبرى في اعتبارها والقسم الاول منها في ابهته ونفـوذه وبين جدرانه شيوخ وعلمـاء وكتاب نحارير يذكرنا صولة بعهد وزارة ابي الضياف او خير الدين وبي عتور ، وان من الدهاء السياسي لدى شيوخ الكتابة العـامة فانهم ان روجعوا في شان من الشؤون يحيلونه في النظـر على دوائر اخرى كالقسم الاول او العدلية او السفـارة او بلاط الطابع السعيد ، اظهارا لتوزيع السلط واستقباح التظاهر بالحكم الفردي لا سيما من جمهوري مفروض عليه تحقيق مدلول اصول جمهوريته الثلاث في اكمل معانيها تحت سماء هذه البـلاد ....

وان احسن ما قرره احد الكتاب العاميين في هـذا الشان يذكر موعظة للداخلية اليوم وثناء على تاريخه وهو وجوب ترجيح شيوخ الجامع الاعظم المتطوعين على غيرهم في وظائف الوزارة والعدلية والاحباس . نظرا لكون قسم الوزارة الكبرى هو هندام الحكومة التونسية ومفسر لمعنى تلك القوة المعنوية وزينتها وفخر لسانها الفصيح في الخطاب والتحرير . ولم يسمع لذلك العهد قول لصحيفة شبيهة بالرسمية كالديبش تونزيان انها قالت صدر امر من المقيم او الكاتب العام او ان احد الطرفين قلد وساما تونسيا قبالة . او انعم بترقية في رتبة البتة حيث ان ذلك من خصائص صاحب التاج عند كل حكومة متمدنة تحترم نظامها وتقدس عواطف الشعوب

اما اليوم فحالة النفوذ في قسم الوزارة الكبرى بعد احداث الداخلية هو ما قررناه بادلته . بل تطاول احد رؤساء قسم في الداخلية الى القول بانه لا لزوم للسان العربي فيها في المستقبل . وان شيوخ القسم الاول يبدلون تدريجيا بكتاب منشئين مترجمين الى ان يضمحل اللسان الوطني من قاب حكومته ويقتصر على استبقائه في العدلية والاوقاف وبه تكون الحكومة عربية الاسم اعجمية اللسان ولا حاجة بعد لرئيس وطني ولا لكاهية له بقسم الوزارة الكبرى التي استغني عن عملها وعن وضع علامة اطلاعها على الاعمال . . . . . لصيرورة الاوراق اعجمية بحتة فيها حتى ان الاوامر تكتب اعجمية اولا ثم تترجم ويكفي في تبادل ابلاغها وجود المترجمين الضليعين في اللغتين . . . .

ذلك ما بلغنا صدوره عن معتبر في الداخلية يطبق امر اصلاحات السفير التي لم تزل تحبذ من طرف (حزب الخذلان والضلال) ليدخل ببيانه المشار له (بالمعنى) على الوطنيين هناك سرور الاستغناء عنهم في المستقبل وتقليص شرف الكتابة العربية الفصحى من قصر القصبا العتيق . اعني سرايا الملك والتاج . واغرب من ذلك ما بلغنا انه عورض في فكرته السقيمة الجارحة . بان المترجمين ليست لهم حظوظ عظيمة في اللغة العربية . فربما تعرض للحكومة التونسية عوارض كمخاطبات دولية او اجوبة سلطانية توجب مطابقة الجواب للخطاب فتحتاج الحكومة لجواب ملوكي في تحبير يناسب عهد وزرائها (السالفين في الذكر) ويلائم عظمة ملوكيتها

فتعجز عند ذلك وتحتاج الى استنجار كاتب من الخارج ، فيحفظ لها التاريخ عار العجز عن كتب جواب عربي فصيح من بين كتابها المترجمين ٠٠٠٠٠٠ وهو كما لا يخفى امر يشين الحكومتين معا ولربما للمغلوب على امره بعض العذر إن يعذر المستسلم للقضاء عليه ٠٠٠

فاجاب ذلك الرئيس المتعجرف معارضه بانه نادر الوقوع وان وقع فيجاب بما امكن ولسان حاله يقول ما قالته بلقيس لحاشيتها (وكذلك يفعلون) ٠٠ على ان غرض الاستغناء عن الوطنيين في الوظائف ذات الشان او صيرورتها في حقهم القابا شرفية وعدم اعتبار القلم العربي في الحكومة بتقرير رتبة له كالقلم الفرنسي والسير الحثيث به للغاية المشار لها لا يثمر (الابدية) التي يمتن بالتصريح بها على هذا القطر في كل خطاب ٠٠٠ كما لا يوجبه وجوب التفوق المسلم فيه لانه حاصل بدون حاجة لغرض الابادة ٠٠ ثم اننا قد شاهدنا من بعض دول الاستيلاء والقهر تحقيقه من وراء حجاب وبلا تطاول ولا تضايق مبيد ، لان المصلحه الكبرى في استبقاء ذاتية الامة وحكومتها حيث ان المسخ جرم في شرع الانسانية جسيم ٠٠٠٠٠٠

هذا ومما هو جدير بالذكر في هذا المقام ما قاله احد عقلاء الفرنسويين الاحرار وهو الحكيم مسيو سان بول من ان ادارة شؤون المملكة لا تستقيم بدون مشاركة ابناء البلاد مشاركة فعلية وان حرمانهم من ذلك وزعم الاستغناء عنهم لا يعود بفائدة على الحماية اصلا ، بل يرجع بالضرر المحقق الاجل او العاجل ، الى ان قال وان يحصل للغالبين في اول الامر لذة من اثر الشره البشري ازاء المستضعفين غير ان الارتباك حاصل بعد لا محالة لان الطرد من عوامل التعكير للصفاء

قال هذا القول الحكمي ذلك الحكيم الحر في كتاب مطبوع ومنتشر له ، وذلك نصحا منه لابناء صنفه ولرجال الحماية الذين فوض لهم التصرف في شعب هذا القطر المستامن في حقوقه بطاعة وانقياد وهم المسؤولون وحدهم عما لا يرضي البرلمان الذي لا يشك في انه لا يروق له المسخ والتغيير ٠٠ وهنا يجمل بنا ان نتساءل هل ان شيخ السفارة العظيم يستطيع عند احترامه لاصول جمهوريته الثلاثة فعلا ، ان يقول عن ذلك السلوك انه عدل او هو تطبيق لمفهوم اوامر اصلاحاته في خصوص

الداخلية او هو عين وجوب المحافظة لما كان على ما كان او انه عمل تقتضيه بنود المعاهدات الدولية بين الحامية والمحمية او ان ذلك السلوك هو صالح بالامة التي قاتلت في هضاب المارن وفردان لان تعيش كسائر الامم. اوانه حافظ لقوميتها وذاتيتها وتاريخها الصقيل ، او انه لا يعبس اذا تحقق اشمئزاز الشعب التونسي من سلوك صيرورة الذاتية التونسية شبحايعبرعنه بالافواه فقط . ، وان الشعب لا يؤثر عليه وجود افراد يشاركون الفريق عصمة باشا في القابه والمشير فخري باشا في رتبه يستجلبون من فنادق التجارة ومن صعيد الحاجة تتميما للعدد والنصاب وهم لا يفقهون معنى ما قلدوه وان سئلوا اجابوا بانه لا علم عندهم ولا مال . وان ذلك لا يكفي في تحقيق حفظ ذاتية البلاد او يصدق بمفهوم سياسة التشريك . . . .

تلك اسئلة لا اقصد بها غير الاعراب عما يكنه الشعب وعن شعوره بموقفه الحرج ليعمل له ، ثم احاطة صاحب الاصلاحات علما بانه ابتعد بتطبيق اوامر اصلاحاته عن ثقة الراي العام به وعن رغبة الشعب ومراعاة امانيه التي هي شنشنة كل الحكومات ازاء اممها بلا استثناء ولو ذوات القوة والجبروت . وان الذي يقول لجنابه خلاف هذا من عشاق المنافع الشخصية او المتزلفين فانه قد تعمد الكذب عليه او انه لم يجس خلال المجتمعات العامة ويجهل ما بها يتحدثون تأوها واستفرابا ، وحقيقة اوكدله ان الفراغ الذي احدثه ذلك التصرف في قلب الامة عميقا جدا فليس في المستطاع سده بغير الحقيقة ولو على جمعية (التحابب الجديدة) . . . ولو اجهدت نفسها وتنوعت في الخطاب و كتبت في كل كتاب

فعسى ان يجد صاحب مرشد الامة من صحف السفارة او الاستئثار من يرد عليه الجواب فها نحن له من المنتظرين والشاكرين

ذلك ما يقال حول امر الداخلية الذي اجري على خلاف منطوقه فكان قضاء على ابهة قصر القصبا وان شئت قل سرايا صاحب المملكة والتاج الفخيم ، قد استطردنا ذكره مساعدة للبراع في صريره لخط الحقائق امام ما نحن بصدده ثم اثني عنانه الى مدلول طالع المقال وهو قولنا (كيف يتصرفون في الميزان)

كيف يبذرون الميزان

الداخلية وادارة الاشغال العامة

عدد ٩٩ في ٣ ربيع الانور سنة ١٣٤٢

قرر الباحثون في اسباب حفظ الامم وانقراضها ونفاق العمران وكساده في فنهم (حكما) قد اتخذت اساسا يرجع اليها عند ارادة التكهن بمستقبل كل امة لمجرد حمل حاضرها عليه بقاء وانقراضا .

او لان ترسل مواعظ ونصحا وارشادا للشعوب المغلوبة على امرها ولذوي الاكراه فيهم فيعملون عملا يحيد بهم جميعا عن خطر هم سائرون اليه طال الزمان او قصر . هؤلاء بالشره في الاطلاق واولئك بتعمقهم في الاستسلام للسباة واحالة كل تقصير منهم على كاهل الاقدار . او ان دارهم غير هاته الدار ......

نعم اثبتوا ذلك وقد ذكروا ايضا ان من تلك الاسباب المخطر سببها والسريع الفعل في شطر ما قرروه، هو وقر الضرائب وخطر الجباية والتفنن في ايجاد موارد لها بلا معقول والتصرف فيها بلا حكمة من حيث الاسنان والاستنزاف والتبذير . حتى قال احد فلاسفة ذلك العلم (رحمه الله تعلى) ما معناه . انه ما من امة اكرهت على التصرف بالاعتداء على ما تمرة من العمل وتنتجه من كد اليمين إلّا استولى عليه الشقاء وخيم بربوعها الفناء

لان الجباية وضربها بلا تعقل وبلا انصاف هو اخذ ما بيد الناس ولو على الجواز .

وان نفس تصور الجواز وقوعا هو قدر كاف في صيرورة الامل في الامن على التكسب اضيق من سم الخياط . ومن المعلوم ان الحياة سعة الامل وان الباعث الوحيد على العمل هو استبقاء نتيجته في يد العامل وتقرير حفظها بصورة واضحة من عبث العابثين « سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا »

هذا ومن عجب الايام تزايد شغف الغالب في تثقيل كاهل مغلوبه بقدر ما يعظم التذاذه بتكوين المنافع والمصالح له (بحسب ما يراه من مصلحة ومنفعة) فتراه

يجبي بكلتا يديه لملء خزائنه بدون مراعاة ما اوجبه علم حمل الانقال ولو في الجمادات كالسفن مثلا التي لا يزاد عليها ثقلا ما بعد اخذ حملها وإلّا كانت من المغرقين

لهذا وذاك كان فزع الامة التونسية من عظم ميزان الدولة وتزايده شديدا لانه خرج عن الحد المعقول بطرق ربما تؤذن بحصول حال اسلفناها في الذكر حيث لم يراع فيه موارد البلاد ونتائجها وثروة الامة وكذلك في الاستخلاص والتبذير

ولا برهان على ذلك افصح مما جرى في هاته السنة الفلاحية المخصبة فانه قد ثبت ثبوتا قطعيا ان ادارة الجباية العامة وفروعها قد اكتسحت للفلاحين اغلب ما انتجوه من محصول فلاحتهم ان لم اقل جميعه واصبح غالبهم لا يكسب قوة ضرع ولا بذر زرع . من شدة الجباية وحرص الجباة وهم لا زالوا في حدود سنة الخصب واطرافها وان الذي أبقي له جزء يسير قد التقمه المرابون واخذه الدائنون بحيث ان الفلاحين قد سئموا الفلاحة قابلا وضعفت هممهم وخار نشاطهم اذ لم يبق لهم منها إلّا العناء والتعب

فاستيطان مكرر وغرم متاخر وكراء باهض المقدار وعشر جسيم قد قدر لهذه السنة بسدس المحصول . وسلفات بذر قد كان مثارها مساعدة الفلاح ووقايته من جور المرابين وفائضهم الفاحش فكانت بلاء احمرا عليه . حيث عقلت صابته من اجلها قبل درسها وساقه الاضرار لبيعها بثمن بخس وتسديد قيمة ما اخذه باضعاف ثلاث من ادارة المال (لا غفر الله لها) . . . وان اخر سهم في الكنانة من قبيل ذلك الاداء هو غرم ابن غبريط او اعانة جامع باريس . . . .

ومن هو في ريب مما اسلفنا فليسئل اعوان الغصب والاكراه عما فعلوا وفي مقدمتهم مفقد الادارة المالية الملحد الذي تفاقم امر شدته وسوقه المثقلين بالضرائب الى السجون . او يجوس الاعمال الغربية من الايالة فهنالك الخبر اليقين

لذلك كان الاعتناء بالكلام على الميزان وشرح موارده ومستهلكاته من الفروض العينية على الصحافة الوطنية حيث لا مجلس نيابي في البلاد لسؤال الحكومة عن قبضها وصرفها ولا مجالس امة لتشريع القوانين يتوقف ضرب الضرائب على معرفة حال من هم مطالبون بها حتى يقف عند حد محدود

وعليه فخدمة للصالح العام وحرصا في نصح الحكومة التي لا يحسن بها هذا

السلوك ، قد اخذ « مرشد الامة » على عاتقه ان يرشدها لتلافي ما يتوقع من جراء ذلك قبل وقوعه بالنقد الصادر عن غاية سامية و بالبيان المحكم الدليل والبرهان ، ولذا يشرع من حد وقف به البحث السالف في الداخلية وميزانها الثقيل فيقول :

قد بلغ ميزان الداخلية اليوم عشرين مليونا على التقريب بعد ان كان قبل اليوم مقدرا بثلثي ذلك المقدار ، وهي زيادة باهضة تستلفت النظر وتستوجب البحث ، اهل في ذلك من صالح عام يشمل الوطنيين والحماة معا وقد انجم اصلاحا حقيقيا يهون على الامة ثقل ذلك الاداء ويسوغ تحمله في مقابل نفع يقتضيه رقي البلاد وضرورة تشبث الشعب بالنهوض او الامر بالعكس ، حيث ان الاعمال كانت سائرة بمثل ما هي عليه اليوم بل احسن بكثير ، وانما هي زيادات في الاقلام وتوسع في الاقسام وتوفير في المتوظفين ومضاعفة في المرتبات وتنوع في الالقاب ، كمدير وكاهية له وكاهية الكاهية ومعتمد لقسم وكاهيه له ورئيس قسم وكاهية له وهكذا عشر رؤساء وعشر مرؤسين ، بعد ان كان كاتب عام كاد ان يدير المملكة داخليا برائه وحده ، وقد اظهر التونسيون في الزمن العصيب اي زمن الحرب المملؤ كوارث وشواغل على ادارة الادارة المذكورة وحدهم مهارة تشهد بكفاءة التونسي على ادارة الشؤن العظيمة ولو في الزمن الصعب

اما اليوم فقد بلغ عدد الموظفين الفرنسويين فقط ثمانمائة واربعين موظفا ومتوظفات تقريبا بسبب ما احدث فيها من الاقسام والاقلام في ادارة المركز وفي فروعها ولم يكن غالبهم من قبل ولم تزد حسنا على ما كانت عليه من نحو عشر سنوات ، وغاية الحسن فيها على راي رؤسائها اليوم هو تقهقر القلم العربي فيها واهمال رتبته والغاء رتب اهله تدريجيا . فان كان هذا حسنا في شرع الجمهوريين يقال فنسلم ونقول انه حسن وانصاف واذا لم يكن كذلك فلم تظهر من فائدة للتوسيع المذكور حينئذ سوى عظم الميزان وبلوغه للحد المذكور وهو ٢١ مليونا

نعم ثبت بوجه التقريب ان متوظفي عموم الداخلية داخل في ذلك ادارة الضبط ، ٢٠٣٠ الفان وثلاثون موظفا منهم ، ٨٤٠ فرنساويا يخصهم من الميزان مرتبا بزيادة الثلث الاستعماري والمساعدة العائلية والمسكن ٦٤٠٢٩٥٠ يكون موزعا على جميعهم

بنسبة ٧٦٢٢٥٠٠ الاف للواحد من المدبر للبوليس الى حارس السجون تقريبا، ويخص الوطنيين من وزير وكاهية ومترجم واعوان ضبط وشواش والذين عددهم تقريبا ١٢٠٠ متوظفا ما مقداره ٤٦٥٦٦٩٠ مليونا بنسبة كل واحد ٣٩٠٠ ولولى دخول مرتبات الوزراء في ذلك لكان اقل بشيء نسبي غير مستهان به (فليتدبر) ......

ومما هو جدير بالذكر والملاحظة ايضا ان الذي يخص الادارة المركزية من مرتبات متوظفيها تسع ملايين تقريبا . وما لشراء مهماتها ايضا هو ١٥٥٩٧٨ ثم عدد ما في نفس مركز الادارة من المستخدمين الوطنيين لم يبلغ الخمسين ازاء ضعفيه من الفرنسويين (فتأمل)

واما بقية الميزان فموزع الى عشر مناهل او الى اجزاء فمنها ادارة حفظ الصحة والحراسة العامة والاعانات البلدية والشعائر الدينية غير الاسلامية اي الكنيسة الكبرى المقدر لها ٥٢٥٠٠٠ ثم ما لمتوظفي المحاكم العدلية الفرنسوية ومهماتها والجنائية منها التابعة في النظر لوزارة العدلية الفرنساوية والمجلس المختلط ومهماته ومقدار ذلك ١٨٢٥٠١٠ ذلك هو ميزان الداخلية وصرفه مبذرا او بحكمة وسداد ... واذا اردت معرفة ذلك فاسئل اعضاء مجلسنا الكبير الذي قال عنهم الاصلاحيون انه خطوة اولى نحو الحصول على النظر المتسع في الميزان .....

واما الاشغال العامة (١) وما ادراك ما هي فقد خصها من الميزان العام نحو من ٣٢ مليونا وهو اكثر من ميزان الدولة التونسية قبل الاحتلال باربع مرات .. واغرب ما يلاحظ عنه انه لا يوجد بهاته الادارة من الوطنيين إلّا ثلاثون شاوشا تقريبا وعدلان وبضع مترجمين يتقاضون مرتبا على التقريب مائة وستين الف فرنك بحساب اربعة آلاف للمتوظف من ذلك العبء الثقيل ... وانه لا يوجد بها مهندسا ولا رئيس قسم ولا كاهية رئيس فيه ولا منشي في قلم من الاقلام ولا ولا . وذلك بفضل سياسة التشريك التي يدعونها كذبا وبهتانا والتي هي برنامج جمعية التحابب

(١) ميزان الاشغال العامة لسنة تاريخ طبع هذا الكتاب قد بلغ الى سبع وثلاثين مليونا من الفرنكات اي تدرج في ظرف سنة بزيادة خمس ملايين (نسأل الله الحفظ) من خطر الاطلاق الاداري وشرهه وشره ....

الفرنساوي التونسي اليوم والذين قالوا انهم يسعون لتحقيقها ولها عاملون ...؟

هذا ولرب قائل يقول ان الوطنيين لا علم لهم بفنون هاته الادارة من هندسة وقيس ومساحة ومد الطرقات وثقب الجبال وحفر البحار واستخدام البخار في حمل الاثقال وجره .. فان الجواب على ذلك سهل وهو انه يوجد على الاقل في الوطنيين من هو اعرف من قطيع الكواعب التي امتلأت به الادارة حتى اكتضت زواياها واقدر على العمل واكثر قناعة وافيد للميزان ..

ثم ان الوزر في ذلك اذا سلم الجهل وان الغواني الفرنسيات اعلم بالنسخ واستخدام آلة الطباعة من الوطنيين ، فراجع على ادارة المعارف والعلوم المقامة بين اظهرنا اربعين حولا وزيادة ولم يوجد تعليمها في الامة مهندسا او مهندسين ليمكن حشرهما ضمن متوظفي تلك الادارة البالغين حدود الثمانية عشر مائة والذين يتقاظون مرتبا من الميزان ما اسلفنا ، حتى يمكن ان نأمن بوجودهم هناك غائلة « العين » ... على متوظفيها عند خروجهم منها كالسيل العرم يتسللون من كل باب عند الزوال ، لان العين حق كما لا يخفى وانها تؤثر ايضا في الهياكل كما يفعل التنويم بالنفوس فينطق الارواح قبل الاشباح .....

نعم قد يقال ان ادارة الاشغال لها الحظ الاوفر في ايجاد الرقي الذي ازدان به سطح البلاد حتى راق منظرها وتقارب بعيدها وذلل صعبها وارتبط دانيها بقاصيها وامنت السبل من مخاوف طغيان الانهر والمياه ، فيجاب بان ذلك لا يجحد وجوده ولا تنكر نتائجه ولا يقال انه غير محتم الايجاد ، « غير انه لمن؟ ومن الذي استفاد ؟ »

وهي نقطة التساءل ومحل الاشكال ، فالممتنون به علينا تلك حجتهم المبررة لهم بزعمهم كل ما يفعلون ، والشعب يقول وان ناله من ذلك الرقي المشاهدة والتنعم بالمنظر الجميل والتمتع بالسير في طريق لا عثار فيها او على ظهر البخار ، غير ان ثقل الميزان قد اثقل الكاهل ونضب الجيوب ونادى في الناس بالافلاس ، ومع كل ذلك فلا يمنعه من التصريح بانه بنية النازحين اجري ولاجل راحتهم مهدت السبل وفتحت لهم ابواب المساعدة على جناحين وما بعد العيان بيان

لان الحكومة (وفقها الله تعالى) على علم وتعلم تلك الادارة ايضا ، وان كثير

من القرى والمراكز الاهلية باقية على حال تعرف بها قبل الاحتلال حتى ان اهلها يودون مجاورة من يتحققوا وان في اثره تجبر ادارة الاشغال نفسها على تمهيد السبل وتذليل عثرات الطريق ولو من الصقليين .....

ولا اخال ان جناب مدير تلك الادارة الذي ياخذ من الميزان مرتبا اكثر مما ياخذه وزير ادارة الاشغال العامة بفرنسا وقدره خمسون الف فرنكا ينكر وجود ما ذكرناه . لا سيما بعد تسجيله في سجل المجالس المعبر عنها بمجالس الاعمال والجهات حيث ان اعضاءها (اعني نواب الامة) بارك الله فيهم قد اتحدوا جميعا في اجتماعاتهم السالفة في مطالبهم على طلب ترميم الطرقات وامتدادها وبناء القناطر والسدود . ويندر منهم من طلب صندوق بوسطة او سلكا تليفونيا .. لانتباههم حفظهم الله ... وان ذلك لا يطلب لانه من علائق ادارة البوسطة الحريصة على تكثير دخلها وتوفير مواردها . وان نائب الاشغال قد اجابهم عن تلك المطالب المتعددة بان الادارة يمكن ان تجيب مطالبهم اذا تحمل كل بلد بنصف مصروف الطريق ... وهي تتولى الصرف والقبض . بل ان سد الهمامه قد رضي الاهالي بخدمته على حسابهم وحدهم فلم تسمح بالاذن فقط . ومما هو ملفت للنظر ايضا ان الذي خص من ميزان الادارة المذكورة للجزء الثاني من تقسيمها على الطرقات والقناطر والسدود هو سبعة عشر مليونا ومائة الف والف واحدة ١٧١٠١٠٠٠ دون ما لمتوظفي هذا القسم مرتبا ومقداره ٢٣٦٠٠٠٠ فليتدبر وليتامل وليطلب من مضانه شرح هذا الغموض ......

واعجب من ذلك ان مديرها العام قد عرض على المجلس الكبير زيادة اقسام اخرى يحتاج لها رغم ما فيها من الاقسام والدوائر المختلفة الالقاب والنعوت......

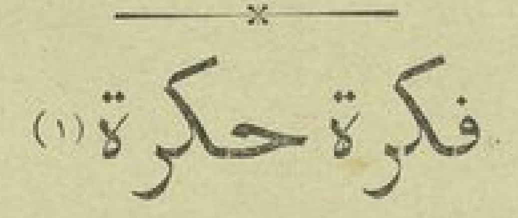
واما بقية اجزاء التقسيم فمذكور في سجل الميزان هكذا مصاريف مختلفة .. ومهمات للادارة . ومصروف على المراسي . والفنارات . وانفاق على صيد السمك والسكك الحديدية

وان آخر ذكر في الاجزاء هو القسط الذي يخص الدولة التونسية في عمل خريطة المملكة وهو خمسون الف فرنك............ في كل عام

فليحمد التونسيون الحالة ان شاؤا وليشكروا من بيده هذا التصرف السديد شكرا جزيلا ، ثم يثنوا ثناء عاطرا على نوابهم في المجلس الكبير الذين صادقوا على هذا الميزان بعد عرضه عليهم وفهم تدقيقاته وتقسيماته وحتى استاقوا صلاحية تسليم ادارة بون قالمه في السكك الحديدية للدولة وتنازلها عن منحة استغلال خمسين سنة قابلة في مقابلة ربح يسير . . .

وانهم فهموا كنه ذلك وثمرته وفائدته (من ان ما صرف على بناء السكك الحديدية لا يلائم حالتها المفتقرة للاصلاح من جديد) . . . اي انهم فهموا كفهم زملائهم في المجلس الشوري من قبل اعني الذين ازدان صدر غالبهم باوسمة اللجيون دونور ، قضية السبعين مليونا التي وجدت في باب التموين مشار لها استهلاكا وصرفا وفي علم جناب مدير المالية العام في ذلك العهد النحرير . . . .

ذلك بعض ما تيسر تحريره حول ميزان الداخلية والاشغال اصداعا بالحق وارشادا لذوي الشان ، حتى لا يتكلوا على دوام حسن السمعة بضروب من التزاويق الكلامية التي تنشر من طرف المغرضين الممتلية قلوبهم بالمطامع والغايات وان لا يعتمدوا ايضا على جمعية التحابب فانها لاتفيدهم شروى نقير في ربط القلوب بالقلوب ، ويجزموا جزما باتا بان ذلك لا يكون إلّا بتلافي خطر الاطلاق الاداري وتحقيق مدلول معنى الحماية واجراء مذهب الجمهوريين بغاية الوضوح



فكرة حرة (١)

ع د ٩٤

يوصف الفكر بالحرية كما ينعت القول والفعل بذلك ، فيقال فكر حر وفكرة

---

(١) نشرت احد الجرائد اليومية في التاريخ فصلا بعنوان (فكرة حرة) وبامضاء منتصر حام كاتبها حول شكر الاصلاحات السفيرية وفوائدها الكثيرة . . وفوق ذلك فقد زاد مسودها في الطنبور نغمة بان كساها صبغة دينية يكره الطعن

حرة وزيد حر القول وحر في افعاله ايضا . اي اذا كان صدوره الفعلي او القولي لم يتقيد فيه بقيد ما (اي في عرف اهل هذا الزمان) . . .

وهنا رب سائل يسئل هل ان كل ذلك صحيح الوصف صادق الخبر وهل ان ما قيل في المحمول من كونه ما طابق الواقع وعكسه يقال هنا ام في المسالة كلام وكلم . . . وهو محل البحث والجواب بلا او بنعم . . !

من المعلوم ان الجمهور قد حصروا الخبر في الاحتمالين فقط . وان صدقه ما طابق الواقع وعكسه كذبه . وخالفهم الجاحظ رحمه الله تعلى فزاد الاعتقاد مع الواقع وعدمه . وجعل قسما ثالثا لايلحق بوصف ولا يحمل عليه نعت . وحجته قول الله تعلى حكاية عن منكري المعاد « افترى على الله كذبا ام به جنة » وو . . . ذلك ما قيل في حقيقة الخبر

ونحن وان كنا لسنا من فرسان البلاغة ويشق علينا افاضة القول في تفكيك ما اشرنا اليه لطول عهدنا بالفن . . . . . فاننا ناخذ براي الجاحظ في مسالتنا التي نحن بصدد الكلام عليها ونرجحه على قول الجمهور حتى يعتبر في (الفكرة الحرة) صحة الاعتقاد بها . . . واما اذا كان القائل لا يعتقد صدق قوله والمفكر جازم بفساد فكرته . . . . . فانها تلحق باقوال المجانين على مذهب الجاحظ اوقع في المقام . . .

وعليه فلا حرج اذا كان من ذلك القبيل المقال المنشور برصيفتنا « الزهرة » الغراء تحت عنوان (الفكرة الحرة) بامضاء متبصر (ولكنه لا يبصر) الذي وددنا انه تجلى لنا باسمه ولقبه على مرسح الظهور حتى يظهر انه قال ما يعتقد فيسهل علينا اخراجه من احد الابواب الثلاث ويزول الريب الذي ارخى سدوله على مقاله البديع في بابه . . . غير ان تستره فيما يظهر حالة كون الحرية تنافيه (لانها الاصداع والمواجهة) ترجح انه قال ما لا يعتقد وتخوف مما حكاه فيخرج حينئذ عن الخبر . وانه (اي المتبصر) مسلوب الارادة مجنون . . . .

عليها ويحرم تحقير نتائجها . واعجب من ذلك ان عزى الكاتب للمقال ذلك الراي الديني لاستاذ عظيم في الامة . فلم يسع الصحف الوطنية إلّا اظهار خفايا تلك النشرية الادارية البحتة والتعرض لها بوجه بارز وبرد في اكمل وضوح

ولكن ما الامر وان استتاره قد اذعنا في اسف عظيم من مس كرامة صديق لنا همام نحرير يعز علينا جانبه وعلى الوسط ايضا ونخشى مع ذلك الهوس ان نخسر كريما والكرام قليل . نظرا الدعوى (المتبصر) من انه سبر الاراء السديدة والافكار الحرة فحصل من مجموعها له جزم اذهب روعه في قبح الاصلاحات . الخ ما قال .

ومن ذلك ما تلقاه عن ذلك الهمام ثم ان هذا يكذب ذاك ويحلف بتاتا اين ما جلس بانه لا يشعر بسائل اجابه بذلك الجواب ....

افلا يقال بعد اننا اصبحنا في زمن كادت السياسة فيه ان تجعل وجوه الخيرة مستعارة وثقة العموم لا يستقر لها قرار . فاللهم صبرا

نعم قرانا ذلك المقال المستهل الطالع بمقدمة اعربت لكاتبها عن مهارة زائدة في الشعوذة التحريرية التي تحدث احيانا الدوران العقلي في القاري ليسهل عليه بزعمه هضم ما سيجده بعد قياسا على الكاس .. الدي يقدم قبل الطعام لاحداث شاهية في الاكل . فانه (عامله الله بعدله) قد جسم الوطنية في اجمل صورتها في تلك المقدمة كاشتياقه الى الحياة الزاهرة والجلوس على عرش الرقي وعذوبة تحمل المشاق واستسهال المصاعب في سبيل ما يطلبه الواجب الانساني وتقتضيه الفروض الوطنية . ممتنا للاقدار التي اوجدت يقظة وشعورا في الامة حال بينها وبين النومة الى المعاد .

ثم اردف ذلك بتلك الاكلة التي لا تهضم . وهي ذكر الاصلاحات الجديدة على نغمة ذلك الوتر الى حد الفتوى التي افتات بها على الدين والسياسة معا . ثم تطاول وتساءل في معرض المنع باني له ان يعثر على ناصح امين عارف بالدين وقواعده فيرحم الاصلاحات رحمة عن علم .. بدل ان يفوق لها سهام الانتقادات عن شره واغتباط

ثم ختم فصله المضحك بان نعى على المنتقدين صنيعهم لحد انعدم البارع في نظره له مقدرة الاقناع بالحجة حيث انهم يمجون كلما يسمونه اصلاحا حتى المساواة ...

ومن هنا اتضح ان الفصل على شطرين وان الفكرة الحرة تقابل بوجهين

(وذو الوجهين غير متبصر . لا صد له)

وبناء على ان «مرشد الامة» في مقدمة الناقدين للاصلاحات التونسية ولا زال، وقد عرف بالثبات على المبدى شديد الشكيمة في الدفاع عنه، ولا شك انه كان مرادا في جملة من بلغ بهم التعمق في اللجاج حتى استقبحوا المساواة اذا سميت اصلاحا. فلم يجمل به السكوت ولا الاعراض عن مجاراة الترهات واللغو لسقوطها من نفسها او للالتباس الدائر في القضية هل هي شخصية ام ادارية لان الحكمة احيانا توجب مقابلة اللغو باللغو ولذلك نقول :

ان الذي اوصل في الحقيقة الاصلاحات السفيرية الى المنزلة التي هي عليها اليوم عند العموم لم يكن من اصل فيها فقط، وهو عدم الجدوى ولا ممن فوقوا نحوها سهام الانتقاد بل الذي نزل بها الى الحضيض هو فعل الادارة نفسها حيث انها ارادت ادخالها الى القلوب بضروب قريبة من القهر والاكراه ....

وإلا لم يسمع لحد اليوم عن قانون ضربت له المزامير كقانون الاصلاحات التونسية ولو اردنا سرد انواع نغماتها هنا لاقلقنا القاري ولكن على رغم مراده اثبت بعضها هنا وان شاء (فليصفح عن مرشده بعد) ... وهي

١ ـ التلغرافات التي ارسلها المحامون الطماعون

٢ ـ وفد الاصلاحيين بالسفارة لهذا الغرض.

٣ ـ برقياتهم المدلسة من داخل المملكة

٤ ـ الخطب الرسمية في الحجرات الشورية التي تستهل بشكرها وتختم بالثناء على مقننها دواما واستمرارا

٥ ـ رسائل العمال ومن انقاد من انفه من الاعيان لهم بعامل الطمع

٦ ـ مشاركتها لصاحب التاج في بيعته العامة عند حضور الوفود وتقويلهم شكر ما لا يفقهون

٧ ـ الفكرة الحرة التي نحن بصدد نقدها

ذلك بعض ما حفظناه من النغمات وهو امر جدير بالاستغراب، ولكن الذي هو اغرب من ذلك حقيقة اكساؤها صبغة دينية في مقال «المتبصر» الاخير حتى اصبح منتقدوها في نظره قد فعلوا كبيرة لا تغفر إلّا بالتوبة على مذهب صاحب الكشاف رضي الله

عنه ، وعلى فرض صحة مذهبه في ذلك واصر المنتقدون على انتقادها الى الممات فالشقاوة مرجحة في جانبهم على راي هذا المجتهد الجديد ... لان عدم الجواز في قوله لا يقابل إلّا بالمنع والممنوع فعله محرم في لسان الشرع وكبيرة بلا خلاف .. فعسى الله ان يمن علينا بابدال تلك الاصلاحات حتى لا تكون سببا في شقاوة امة كاملة دنيا واخرى ان صح مذهب طائفة عظيمة في الاسلام كالمعتزلة الاعلام في صاحب الكبيرة ... وتالله اني ما توصلت بفهم وجهود نظر من اين اتى بذلك حتى شككت (انه دخيل في الدين جديد فيه ، يجهل فروعه واصوله حيث انه لم يات في مقاله باثر عند ذكره للوجهة الدينية في الاصلاحات التونسية ... عدى ما ذكره من التفويض للامير ... وقال انه من الدين باجتهاد منه بلا توفر شروط فيه . ولعله ضرب جديد في الاجتهاد ، كما اني لم افهم بما يفسر به قوله تعالى (وشاورهم في الامر ، وامرهم شورى بينهم) ثم نداء الخليفة الثاني رضي الله عنه فوق منبره « ايها المسلمون من راى منكم الخ الاثر ، وجواب الصحابي له بما اجاب .. ولم نعثر على قول فسر به ذلك الاثر ان المجيب قد مس كرامة الخليفة في قوله لقومناك بسيوفنا

هذا وقد حضر لي سؤال اوجهه لحضرة المتبصر ولو كان متسترا ، وهو هل ان الجهة الدينية التي عناها تشمل سائر الاوامر الاميرية فلا يجوز نقدها ابدا والتي منها ... ومنها ... ومنها امر سنة ١٩٢٠ الذي خول لادارة المال العامة مضاعفة الغرامة الى اضعاف ثلاث بعد الحكم ، بحيث ان من يعاقب حكما بالف فرنك بدفع ثلاثة الاف فرنكا دون المصاريف وبوجب بيع كسبه في ذلك ويصبح عالة على السؤال ام الصبغة الدينية خاصة باوامر الاصلاحات التونسية الجديدة المفيدة فقط ...

اسئله ذلك واقسم عليه بعلمه ان يجيب ولو من وراء حجاب

هذا واما ختام حديثه « حتى المساوة ، يشير به الى مجالس التحكيم التي تساوت اعضاؤه بحسب الظاهر وقد بينا ذلك في مقالنا السالف بيانا كافيا فليراجع

ثم اختم هذه العجالة بتجديد اسفنا من ذكره لذلك الصديق النحرير الذي أقعده الوهم فلم يسارع الى اثبات نقيض ما نسب له ونشدد النكير على السائل وتقبح

صنيعه الذي اوقع احد اركان النهضة العلمية بين جواذب ثلاث، ارضاء التاج ومضمر الادارة ومراعاة الراي العام ....

مرشد الامة والداخية(١)

عـــدد ٩٩

يقولون ان للحقائق تاثير على النفوس . وان الكلام الذي يتسم صدره لساطع البرهان وقاطع الادلة ويتدفق من جوانبه الصدق والاخلاص يكون الاستعداد لقبوله عن ارتياح والعمل به لدى المنصفين في حيز الشروع والوقوع .

وعليه فلا غرو ان كان فصلنا الافتتاحي من بالعدد السالف من ذلك القبيل . لتجسمه من حسن المقاصد والتجرد عن الغايات واستفائنا فيه ادلة الموضوع نقدا وبيانا بما اعرب عن شعور الراي العام واحساسه نحو حالته الحاضرة حتى كان له الافراط في القبول

وناهيك بتاثيره ايضا في المعابر الادارية لحد الاعتناء بترجمته كلمة كلمة وفهم ما به من الامثال وتقدير ما استتر في جمله من الضمائر على الحقيقة والمجاز، وطبق قواعد التحرير وشارات التحبير ووجوب مراعاة مقتضى الحال في المقال والمقام...

نعم.. غير ان الامر الذي يوسف له ويجعل التحارير الراقية هدفا للقلب والابدال هو قصور مترجمي الحكومة بمعرفة الاساليب العربية التي يستخدم الكاتب فيها مواهبه طبق مذاهب البلغاء . وجهلهم بقواعد يسهل معها فهم الكلام وتنزيل

(١) اثر صدور فصل نقدنا لاوامر تاسيس الداخلية وحذف الكتابة العامة الانف الذكر في صحيفة ٦٣٣ وقلب معناه في الترجمة لغير مدلوله وتحريفه في نقط متعددة جهلا من المترجمين . قد وقع طلبنا للحضور بالداخلية لتحميلنا مسؤلية المخالفة الموهومة اداريا . فكان جوابنا عن رد ذلك الزعم هو بعض ما يصلب هذا المقال الذي انقلب به غضب الادارة اعتذارا ..

المرامي والاعتبارات فيه منزلتها حتى نامن التحريف ونجانب الغلط في البيان ، حيث ان الترجمة كما لا يخفى هي كالشرح والتفسير احيانا ، لا انتقال من وضوح الى غموض واشكال في الكلام .

ولكن ما الحيلة وان حكومتنا (سامحها الله) قد كان من اصلاحاتها الجديدة الغاء اللغة العربية من الداخلية (قلب الدولة التونسية) بالزهد في رتبتها وبعدم الاعتناء بشان اهلها وبرتبهم حيث لم تنشطهم بالتدرج والمشاركة في المشورة والنظر ، وقدمت فيها شبانا يحسنون صطحا من اللسانين على الشيوخ والعلماء ، حتى حمل هذا الفعل على مقصد لا يحسن الصاقه بها وهو اضعاف العزائم وانحطاط شان لغة البلاد (حياة الشعب وسلامته) حتى لا تؤمن من التبلبل فيما يستقبل من الزمان

ومن العجب في الصدف ان ظهر سر ذلك في الفصل نفسه حيث اننا تعرضنا فيه بالملام على تلك المقاصد حتى قلنا اذا استرسل السلوك الحكومي في ذلك السبيل فربما ياتي زمان تعجز فيه الحكومة عن كتب عريضة عربية لها ارتفاع شان من حيث البلاغة وفصاحة التعبير ، لان الفصل المشار له قد حرف رغما عن الاعتناء به وتداول الافهام عليه فان الترجمة قد جسمت فيه مخالفات لا وجود لها إلّا في حافظة المترجمين . وهو امر جدير بتكرار الاسف من وجوه

اولا ان الترجمة اصبحت معتبرة بقاعدة الاعتماد على يمين الصدق والتحليف ، وان خطر الاعتماد عليها في المواخذة والعطاء والحرمان مما لا يخفى .

ثانيا ان الاستفسار والمراجعة تندر لدى الاداريين وان وقعت فالنادر لا حكم له . وعليه فلا امان ولا سلامة من قولهم اتصل به حكم اوبت به قرار . والحكم لله وحده وهو الواحد القهار .

هذا ولنرجع الى المقصود من قضية الفصل وقلبه وتحريفه وسوالنا عنه فنقول

قد ترجم ذلك الفصل وقدم للنظر الاداري فلاح للداخلية في بعض نقط منه مخالفات تستوجب المفاهمة والاستفسار عن مسوغ ذكرها فيه . فبعث بمكتوب في طلبنا للحضور بالادارة المذكورة وفعلا قابلنا معتمدها المكلف بشئون الداخلية لغياب مديرها العام في راحة المصيف

هذا وقبل الدخول في اثبات بعض الحديث الذي جرى فلا ارى موجبا لذكر القبول الذي يجب ان يلاقى به مرغوب منه الحضور مثل « صاحب مرشد الامة » ولو صاحب « البروقري » مسيو بوباك او م. سماجه . ولكن نحيل ذلك على اعضاء جمعية التحابب الفرنساوي التونسي لجعلها في قائمة مفاوضاتهم القابلة ولها القول الفصل

نعم فاتحنا جنابه وامامه ترجمة الفصل باننا ارتكبنا عدة مخالفات في فصلنا المذكور توجب غضب السفير وربما يمكنه القانون من المحاكمة وكذلك سمو الامير الجليل . فاجبت بان لا وجود ولو لعشر مخالفة . وان جلالة الملك لم يذكر في الفصل لا تصريحا ولا اشارة . ثم ذكر لنا ترجمة الجملة الاولى فنفيت وجود المعنى وطلبنا احضار نصها العربي فاسرع ما جيء بالعدد نفسه وبحضور ابرع المترجمين عفوا . وهو النابغة م. فروماج المستشرق الشهير الذي ذكر وان الترجمة لم تمر نظره فاذا نص الجملة (فتبين مما اسلفنا ان ازالة الكتابة العامة واقامة الداخلية على اطلالها انما هو امر شخصي ترجع فائدته للسفير فقط اعني استئثاره بنفوذ الخارجية

وهو كلام ظاهر المعنى متفرع عن امر الغاء الكتابة العامة لتحقيق تفريق السلط الذي لا يمكن بوجودها كما هو صريح مقدمة الامر المذكور . وذكرنا ان امر تفريق السلط لم يتحقق ولا زلنا نكرره . فتمحضت الفائدة الادبية للسفير التي قصدناها وهو نفوذ الخارجية الذي كان يشاركه فيه المكاتب العام من حيث داخلية الايالة طبق امر ١٨٨٤

فترجم المترجم (غفر الله له) الجملة التفسيرية الاخيرة على انفصال واستروح من (الامر الشخصي والفوائد) معنى يشعر بمس جانب السفير في مدلول ذلك اللفظ بالعمل لفائدته لا للصالح العام . ولدى الاخذ والرد في البيان اشعرنا مسيو فروماج بان الترجمة على سقم وتخالف المراد الصريح فسامت فوقع اصلاحها في الحال

ثم ذكر لنا المثل الذي تمثلنا به في مقام اخر من الفصل وهو قولنا (فاصبحت السفارة تفسر بقولهم كل الصيد في جوف الفرا . تصدر الاوامر وتنعم بالنياشين وتوظف من شاءت وترقي من شاءت بلا مراعاة لنظام محترم الجانب يسار عليه في التوظيف والتدرج في الوظيف)

فكان من الترجمة ما يشعر بصيرورة رب السفارة كمدلول المثل لغة اي وحش يلتقم كل شيء . . . . . . فاغربنا ما تلقيناه من المعنى الذي ابعد صاحبه في الموضوع عن الحقيقة بعدا شاسعا ودلنا على ان المترجم لهذا المثل خاوي الوفاض من معرفة ضروب الامثال وارسالها ومن ضوابط دونت لها في علمي المجاز والبديع واوضحنا بان الامثال لا تفسر بمدلولها اللغوي ولا يراعى فيها الوضع اللغوي إلّا باعتبار واضعها ولا يراد منها اصلا. لعدم انطباقه وان التمجز قد اقلب لها بحسب الاستعمال مدلولا حقيقيا كقولهم (فلان يضرب في حديد بارد . . .) فقد صار حقيقة في الكلام الغير المؤثر حيث ان الحديد لا يلان إلّا بالنار . ولا يفهم منه حديد بارد وضارب ومضروب اصلا . . . واعجب من ذلك ان قولهم . كل الطرق موصلة الى رومة . هو مثل مترجم عن لغة اجنبية وكثير الاستعمال . ولا اخال ان احدا يعتقد عند سماعه ان المتلفظ به ذاهب الى رومة بمن معه من المخاطبين . على ان المقام صريح في ان المراد مجمع النفوذ والسلط . سيما من ذكر التفصيل والبيان بعد المثال المذكور . . ولم اجد من حضرة المترجم السابغة إلّا تعجبا من تحريف الترجمة وبعدها عن المعنى المراد . ثم ذكرت نقطة اخرى وهي قولنا (ولنحيط صاحب الاصلاحات علما بانه ابتعد عن ثقة الراي العام به في تطبيق اوامر اصلاحاته والذي يقول له خلاف هذا فقد تعمد الكذب عليه الخ) فقرر ما يفيد وان المراد بصاحب الاصلاحات مولى البلاد الجليل . وهي اغرب من الغريب لدى الافهام السليمة . ولكن كفانا المترجم مؤنة الجواب لاصلاح هذا الغلط الفادح بذكر صاحبها ومفننها ومجربها . واغنانا عن شرح قولنا (بتطبيقها) وعن شهرة تلك الاضافة والامتنان بها مما يمكن لنا الادلاء عليه بالف تصريح لصاحب الاصلاحات المذكور وهو السفير

ثم طويت القضية عن حسن قصد في المفاهمة (حيث ان الحقيقة بنت البحث) بعد ان طال الكلام على ضروب من التصرف الاداري الممقوت الذي يجب الاعتدال فيه لانه لا يثمر . ويتحتم ابداله بما يربط القلوب بالقلوب حيث ان الاخلاص من الشعب جلي والادلة عليه اوضح من فلق الصبح . وان الشعب قوة الحكومة ومادتها والحكومة به لا بغيره فلا ينبغي ان يترك متشاكس الراي شاخصا الى ما في يد غيره

من الشعوب التي تحت سيطرة المتجبرين ، بدل ان يكون منظورا اليه ومغتبطا حاله حيث كان في كنف الجمهوريين ذوي المبادي الناصعة المرموز لها بالعدل والحرية والمساواة ، هذا واننا نشكر معتمد الداخلية على لطفه الاخير ، ونكرر الثناء على المترجم المستشرق النابغة وعلى المدارك التي لاحت لنا منه والبراعة وجودة الفكر وانصاف لا تصنع فيه

فتوى مرشد الامة

في كفر المتجنس ...!

عـدد ٩٩

اتصل مرشد الامة بسؤال علمي من مصادر متعـددة في موضوع التجنس المعروف لهذا العهد ثم المطالبة ببيان حكم المتجنس شرعا والانظار المرعية فيه بيانا مستوفي الادلة وواضح البرهان ..

وقد كان في الحسبان مطالبة غيرنا بذلك بان يكون التماسه من بابه ، اعني من ذوي التيجان الحمر والنعال الصفر وارباب الجبب والاجواخ نظرا للقيد في الفتوى عندنا وانها لا توخذ إلا من مصادرها الرسمية (تعبدا) او لان اخذها من ذلك السبيل يكون ادعى للطمانينة والوثوق حسب معتقد اهل هذا الزمان...... ولكن مجي الامر على خلاف المتعارف سيكلفنا فهم الموجب الذي حمل المسترشدين عن الانصراف بوجوههم في سؤالهم هـذا عن هاتيك الوجوه المملوة علما وعقلا والمتشبعة رفاهية وراحة والتي خصت بشكل هيـاب « اهل حسن ظن بنا او تحقيق اجابة ، ام المنهل العذب كثير الزحام ... ؟ ؟

ونحن لولا الوعيد الوارد فيمن سئل عن علم ولم يجب لا رجعنا لكل سائل سؤاله وارشدناه لمن يجيبه ولا محاله ، عملا بذلك العرف الذي ان استمر واطردت

قاعدته (لا قدر الله) رسوخا في معتقد العامة، فقل وقتئذ سلام على العلم والايمان،
ولذلك اشرع في الجواب واقول وبالله التوفيق

مقــدمة

بعرف الجنس بانه الضرب من الشيء او الصنف منه . ومن ذلك اصناف البشر واجناس الحيوان، فالعرب جنس والبربر صنف والروم بمعناهما وان ما قيل في الانسان يقال في مطلق الحيوان كالابل والبقر والبهايم وذوات المخالب والبطش والهوام
ومن حكم الله تعالى في خلقه ان حب لكل صنف صنفه الحيواني غريزية فيه، فتراه اذ اختلط بغيره عفوا يجنح للتخلص والالتحاق بقطيعه وسربه كما هو مشاهد بالعيان حتى انهم قالوا لو ان الحمار يخاثر بجنسية البغل مثلا .... لتانف وقال انه اصل له والاصل مقدم على الفرع ......
واما المجانسة والجناس فانها المماثلة وهذا الاخير حسن يطرز به الكلام،
واما التجنس المسؤول عنه والمعروف اليوم فحقيقته الاصطلاحية . هي انتقال فرد من صنفه والدخول بكله في جنس ءاخر (اختياريا) بعد التكليف القانوني وذلك منه شغفا بالجنس الداخل فيه ومحبة في التربية العالية والاخلاق الفاضلة والشرف الرفيع والضمانة في الحقوق . وايجاب التبعة في كل الاحكام . لحد يصح الاخبار عن المتجنس انه اعتنق حسبا غير حسبه ودخل في جنس غير جنسه وتقطعت بينه وبين قومه ومتبوعه اسباب الاتصال ... وان من لم يكن كذلك باختلال شرط واحد من تلك الشروط يكون عندهم من باب (ملحق خبر ....) مزدريا به محقرا مهانا . وبعبارة اوضح كاللون الغير الطبيعي الذي يفسخ في الحيز الثاني من الوقت ... او من الاشياء المقلدة المعروفة عند التجار لهذا العهد . حتى انك تجد غالبا على البضائع مكتوبا هكذا (ابعد من المقلد) بحيث ان بيعه غش يرد على بايعه الجاهل به ويحكم القاضي بفساد البيع وترجيع الثمن ....
وعليه ففرارا من تلك الحقارة التي تنافي غرض المنتقل المطلق لجنسه (ثلاثا) تجده ينتقل بقلبه وقالبه معتقدا انه طوق شرفا تالدا وانه ارتقى عن صنفه مدارج ونال المجد والكمال ...... قلنا انفا عند التعريف بالتجنس بقيد هو

(لهذا العهد) لاننا لم نقف على مفرد للعرب جعلوه لمدلول التجنس المعروف عندنا اليوم ولم تحضرني مواد لسانهم للمراجعة ساعة التحبير لهاته الفتوى . وغاية ما احفظ انهم وضعوا له كلمات . كدخيل ودخلاء ولزيق ولصيق وادعياء واما التجنس هكذا فلا . . فافهم واطلبه من مضانه ولا اظنك واجدا غير ما ذكرناه . وهو بالاصطلاحين من حيث الاخلاق سقوط عندهم ما عليه من مزيد ولا يقع إلَّا لضرورة النجاة بالنفس فقط . او من اسافل الافراد الذين لا يدركون لحسبهم مقدار ولا لقبيلهم شرفا واعتبار . وهذا المعنى مرموز له في الكلمة التي وضعوها لهذا المدلول وهي (الدخيل) فان المهانة تقصد عند التعبير بها والتحقير منها يراد . ولو خدم الدخيل البخت وساعدته الحضوظ وعظم في وسط القوم فهيهات ان يتجرد من ذلك الوصف الحقير فيما بينهم . .

ومن ذلك ما حكاه التاريخ عن عرفجه ابن هرثمه الازدي فانه عنه التحامه بصنف بجيلة وفراره من قومه لضرورة دم اصابته وظن انه لبس جلدتهم دهرا طويلا وصار منهم . فانه عند ما اولاه عمر ابن الخطاب رضي الله عنه عليهم قامت قيامتهم وشكوا ذلك الامر اليه وسالوه بالله اقالتهم منه لانه دخيل فيهم ولصيق ولزيق . . ففعل رضي الله عنه . وهنا يجمل بنا ان نذكر استطرادا التعجب من البشر قديما وحديثا وكيف اتحدوا في تلك الشيم العادية حتى ان متجنس اليوم هو دخيل ذلك التاريخ اعتبارا ومقاما والى السائل شاهد يعادل ما رواه لنا التاريخ في الشكل والمثال . فقد حضرنا في غير هذا البلاد لمحاكمة في قضية ذات بال بين متجنس واصيل نشرت باحدى محاكم الانصاف . . (بالجزائر) التي اختارها المتجنسون اليوم ملجا في حفظ حقوقهم . ولدى نشر النازلة قام محامي الاول بواجب الدفاع ثم انتقل للثناء على موكله مطرزا ثناءه عليه بتجنسه وانه اصبح من العائلة الفرنسية يماثل خصمه في الحقوق الخ ما قاله . ثم نهض وكيل الثاني ورد الدعوى باحتقار وختم مرافعته بكلمة واحدة اضحكت الحاضرين جميعا . وهي ان شرف صاحبه في دمه وورثه عن ابوين . واما ما يقوله زميله عن صاحبه فعلى الورق وفي الدفاتر فقط . وعليه فهو لا يستحق العناية في هذا الباب من الحكام . . . فتدبره واعتبر ايها القاري الكريم واسال الله التوفيق والحفظ من الخذلان . . . . . .

ذلك بعض ما يقال من حيث الاخلاق والشرف القومي والاعتبارات الاجتماعية واما من حيث النظر الشرعي . فاليك نصوصا لا تتوقف معها عن الحاقه بما ذكروه في باب الردة من كتب الدين المتين

قال الامام خليل رضي الله عنه في ذلك الباب بعد الصريح من القول والفعل الذي يستلزمه ويقتضيه ضاربا لذلك امثلة كثيرة منها اهانة المصحف الخ ما قاله

ومعلوم ان الاهانة ذات انواع فلا يقتصر على مثال الامام للقاعدة الاصولية بل كل افرادها تدخل تحت ذلك الحكم نصا شرعيا

وعليه فاختيار المسلم المتجنس احكاما وضعية تتغير بحسب الزمان والمكان تحول بينه وبين العمل بما في كتاب الله تعالى الذي ارتضاه لعباده وكلفهم بالعمل به وساب عنهم الاختيار ومن ذلك قوله تعالى . فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك في ما شجر بينهم ثم لايجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما

فانه ردة في الاختيار وكفر في العمل بخلافه . للاهانة الضمنية في الاول وانزال ترك العمل به تمنعا والخضوع لغيره رغبة ومحبة واستيناسا في الحق برد النص وهذا مما لا ريب فيه . وان الاستلزام المذكور لا يدخل في قاعدة (لزوم المذهب ليس بمذهب) فان ذلك في المختفي جدا لا الظاهر الجلي . قاله الدسوقي باشارة

وان ما قدمناه يتضح كمال الوضوح في الميراث وتساوي الزوج والزوجة في حقوق الطلاق وفك عقدته المختار فيها الزوج في الاسلام إلّا بحقها ومنع اباحة تعدد الزوجات لحد اربع لمصلحة مع العدل وتساوي البنت والابن في الفريضة وحرمان العصبة في كثير من الصور من الميراث . مثال ذلك اذا هلك المتجنس وترك زوجة وبنتا وعاصبا غير متجنس فلاحظ لهذا الاخير إلّا البكاء عليه .. ولو ترك ما ترك . وان قاضي المسلمين او خليفة الاسلام لا يناله بحكم وجبر في القضية فتدبره واعتبر . وكذلك رفع نصيب الزوجة في زوجها اذا هلك وهي فيه اذا هلكت مع البنين او مع البنات وكل ذلك غير ما فرضه الله لعباده المؤمنين به . واما دعوى البقاء على ذلك فلا يسلم لانه اختياري يستلزم العبث والتلاعب بفروض الدين وان التكليف الشرعي الذي هو عدم وجود الحرج في النفس من الحكم ينافي ذلك على خط مستقيم

ومن ذلك ايضا ما جاء في الشرح الكبير للبدر التلاتي الجربي على منظومة الامام ابي نصر فتح ابن نوح النفوسي رضي الله عنهم في علم الكلام عند قوله

وناكر غير الله الحد بالذي ❊ يحاول من هدم الصفات الذي يبني
ومن صادم المنصوص بالرد كافر ❊ ومن اخطأ التاويل نافق بالمين

الى قوله

الا كل شيء ذاهب منه بعضه ❊ ففي بعضه مستمتع للمرتقن
سوى الدين مهما زال منه اقله ❊ مضى كله والبعض من ذلك لا يغن

فان الشارح رضي الله عنه قد افاض القول في موجب الردة قولا وفعلا في امثلة متعددة وصور كثيرة مغمور فيها جل متمدني هذا العصر (والعياذ بالله) . وقد اجاد شرحا وبيانا للاحاديث المتعوذ فيها من الكفر الخفي والتي منها ما معناه قد يكفر العبد بربه من حيث لا يشعر . في بديع من التحرير يعجب به حتى من كان على مذهب الجنيدي مشربا نفعنا الله به امين

ومما قاله في شرح المتن المذكور . ان مصادمة المنصوص في قول الناظم الخ تصدق بالتكذيب وبالعمل بخلافه ترجيحا له على المنصوص واستئناسا به في اكثرية النفع المرجو منه . او تمنعا من شدة التكليف وهي مسئلتنا المسئول عنها بلا شك ومن اراه بسط ذلك فليراجعه

وفي الفتاوي الجادوية لجدنا المقدس المبرور امام زمانه الشيخ عبد الله بن الشيخ سعيد الجادوي تلميذ الجلال السيوطي رضي الله عنهم . انه سئل عن المهدي المنتظر وعن نزول عيسى عليه السلام اخر الزمان : وحكمه بشرع نبينا صلى الله عليه وسلم وهل يجتهد او لا يجتهد وهل للمذاهب من اثر في ذلك الزمان الخ السؤال

فاجاب الجد رضي الله عنه بعد كلام مسهب اقتضاه محيط السؤال ناخذ منه محل الحاجة : وهو ان من ظن عدم صلوحية حكم من احكام القرءان الحكيم لاهل كل زمان ومكان حتى قيام الساعة فهو كافر . ثم ذكر الاية حكاية عن صاحب البستان الذي كفر بظنه (وما اظن الساعة قائمة) اه

فانت ترى ان فرضية الجد رضي الله عنه هي عقيدة الكثير من ملحدي هذه

العصر وهي شنشنة المتجنسين ايضا . فقد سمعت من غير واحد ان احكام القرءان قد ادرك بعضها الهرم فلا توافق رقي العصر وعلومه وتطورات اهله . ومما قيل لي من قول الكفر ان الحدود القرءانية كحد السارق مثلا فانه مثال اريد به لا وقوعه بالفعل لانه تمثيل في جمال الخلقة الطبيعية ولان القطع معطل عن العمل وكذلك المفسد في الارض قبح الله سعي الكافرين والجاهلين الملحدين

وخلاصة القول ان الذي يجيب به « مرشد الامة » مما استمده من صريح الايات وما استفاده من اقوال الايمة المشار لهم في المسئلة وعول عليه فهما واعتمده نصا . ان المتجنس على الصورة المعروفة الان المقررة انما هو كافر ببعض القرءان والكافر ببعضه كافر به كله وملحد مارق من الدين والله تعالى اعلم وفوق كل ذي علم عليم ....

احتلال الاخلاق (١)

عدد ٩٩

الساعة الثالثة ودقائق من مساء يوم الجمعة ١٦ فيفري سنة ١٩٢٢ كنت مارا بنهج هولاندة فرايت على جانبه الايسر سلسلة من العربات تدب دبيب الاساود المتتابعة وقد ادركت من حركاتها المتماثلة انها تسعى لغرض واحد ؟

نعم لغرض واحد فقد القت كل عربة بقطيع من السيدات المسلمات في منفذ

(١) جدير بهذا الفصل ان يؤرخ لانه يتضمن مبدا حادث غريب في بابه . وهو دخول ربات الخدور من العائلات التونسية ضمن الجواذب السياسية بغتة . لانه وان كان ظاهره مجرد تبادل العواطف بين افراد الجنس اللطيف فقط لكن السياسة ابت كتمان الغاية منه حيث ان من الغد لصباح وقوعه بتونس برز شكله فوق اعمدة جريدة الطان البارسية مقرونا بالثناء على مسير دفة السياسة الجمهورية بهذه البلاد وعلى حكمته في عدم اقتصاره على المتعارف بل جمل العوائد العائلية مرنة واحتل الاخلاق .

دار فرنسا (السفارة) يتطلبن بيت القصيد من حيث تصدح النغمات الموسيقية التي استعدت لاستقبالهن لاول مرة في التاريخ

فقلت انه لحادث في تونس غريب !

ما حدا بهذه المخادرات لاعظم دار من دور السياسة ؟

اوفد من الجند اللطيف اتاها مطالبا بحق له في الانتخاب .... ؟

ام هي حفلة رقص دعيت اليها السيدات المسلمات ؟

ولكنني سفهت ظنوني بعد قليل لعلمي بان ادب المرأة التونسية وشريعة القوم لا يسمحان لهن بالحضور في امثال هذه الحفلات

بارحت المكان وتركت حل اللغز الى الغد وفعلا في اليوم الموالي حللت بكثير من النوادي الاهلية فوجدت المسالة حديثها المعاد وهم يقولون انها دعوة تكريم من مدام سان لبعض نساء الموظفين الاهليين ليشربن في دار فرنسا كؤسا من التاي

فمدام سان نشكرها على ما اظهرته من بين العواطف السامية

ومع احترامنا لشخصها فلتسمح لنا تلك السيدة بالخوض في الموضوع بالمسالة التي تناولتها اليوم مسالة اجتماعية لا خصوصية وكفى عن ذلك شاهدا وحشة صدى هذا الحادث في العائلات

المرأة المسلمة التونسية ليست بالمراة الفرنسوية مطلقا ، هذه قد تعلمت علمها وتلك لم تتعلم ما عليها من الواجبات ، هذه آنست بئة تعود كشف الحجاب وتلك لم تزل في خدرها مصانة لانها لم تامن شرور الفتن ، هذه لها دين وتلك لها دين وبالجملة فكل واحدة مناخ ، على انه لا مانع من تعارف الجنسين واختلاط المرائين عند الضرورة في حدود من الشريعة منيعة

كثرت الظنون وتنازعت الاراء حتى قيل (ان الغرض من هاته الزيارة اغراء المراة المسلمة وتشجيعها على نبذ الشمائر وترك التقاليد لاعلم العاملين على ذلك ان الوطنية سر في المراة مكنون ولتايد قول القائل « تونس بلاد جديدة وبدون جنسية » عمدوا بيد قادرة الى زلزلة تلك الدعامة الباقية من شامخ هيكلنا الاجتماعي يقولون ذلك وهو من التهم العسيرة الرد لان كؤس التاي لم تعود شربها

المسلمات في دار فرنسا التي هي في نظر الجمهور محط الطقوس السياسية وخزانة الاسرار الخفية وواسطة العقد بين الحكومتين التونسية والفرنسوية ويعلمون ان صاحبها من اكبر المحركين لدواليب سياسة هذا القطر ومع ذلك فهم يعهدون من ذوي المناصب السامية عدم الاختلاط بالطبقات ولا سيما الصلة بالعائلات لانه كثيرا ما يقع استخدام تلك الصلة للتاثير عليهم حتى يتخلص المسئول من عقاب الجريمة لهم يتباعدون اجتنابا للريب ولئلا يتحدث الناس فيهم بمكروه فلا عجب من ذلك كله من فزع الامة لهذه الزيادة التي لا اظن ان الداعية اليها قد تعمدت الاعتداء على ايمان المخدرات الاتي آمرهن الله بقوله «وقرن في بيوتكن»

على ان اجابة تلك السيدات لا يتخذ حجة على المنونية وسلامة الطوية الخالصة من شوائب الاكراه وكفى بان الداعية هي مادام لوسيان سان والمدعوات من عائلات بعض الموظفين الاهليين ومحل اجتماعهن في دار فرنسا المتحدث عنها

انني لا اخالك يا مادام سان قد سمحت عامدة بان يكون مقرك العائلي مسرح الغايات البعيدة المرمى وانك قد تناولت على عمد ذلك الشريط السينماتغرافي الذي مثل لزائراتك رواية خيالية قاسية ادخلت عليهن غما شديدا فتجلدن على كتمانه وفي نفوسهن نقمة وانكار

مدام سان اني اخاطبك بكل احترام تعودته في مخاطبتي السيدات : لو انك كنت بعيدة عن كل مناصب النفوذ وحملتك المروءة على صنع ما قد صنعت فاعلمي انه لا جنحة عليك ولا تثريب ، اما وانك اليوم سيدة نائب فرنسا المشرف على تنفيذ العهود التي بين البلادين ومنها التزام حكومته باحترام الشعائر والاداب الملية

فبماذا تدفعين الريب ؟ وبماذا تزيلين الشكوك ؟

انكر الاجتماعيون واساطين السياسة مس الامم في اخلاقها ومعتقداتها وكل موروث في نظرها مقدس فما بال ساساتنا يعملون في هذا البلد بالنقيض ؟ انه لا يجمل بارباب المناصب الخطيرة ان يعرضوا بسياسة امتهم لامثال هذه المواقف الحرجة وذلك بالنظر لمصلحة الجانبين معا

فعسى ان يتدبر اولو الامر فيما عهد اليهم من التدبير وان لا تكون اقوال القائلين إلّا ظنونا حتى لا نخطئ اذا في قولنا وان من البر ما يكون عقوقا (الخيام)

المحاكم الشرعية (١)

وجريدة النهضة

عدد ٩٩ في ٣٠ ربيع الاول سنة ١٣٤٢

يذكرون حول مطارحة الانظار والنقد والبيان اساسا اصوليا لا ادعم منه في اكساء البحث نخوة القبول وعارض الحجة وساطع الدليل

الا وهو قولهم (ان الكلام مع الكلام والبحث مع البحث) وهو مذهب حكمي لا ينبغي العدول عنه لحملة الاقلام الى الكلام المجرد من المعية في طريق النقد ومسالك الرد والتفنيد وذلك ليسلم المستفيد من التوهم ويتباعد عن التيه والتضارب الفكري في احقبة احد الطرفين بدل الجزم واليقين

لذلك « جاء مرشد الامة » اليوم ليسمعها عن اصحاب « النهضة » بانه قد عدل عن وقفته في مسلكهم الذي اعلن به قبل اليوم حيث ان الاناء قد رشح بما فيه وما بعد العيان توقف وانتظار

ثم يقول للشعب افتح عينيك وتبصر في ملحوظ عن اقوالهم قد جاء طبقا

(١) استرسل كاتب بورقة النهضة على نشر فصول متتابعة بلغت لنحو عشرين فصلا كلها لا تخرج على التنديد بسير المحاكم الشرعية واستقباح نظامها وتثاقل حكامها ... في ثوب ظاهره طلب اصلاحها المتعطش اليه . فاستروح من نفس تلك النشريات ان لكاتبها شيء في نفسه يحوم حول استرضاء واستعطاف من يروق له الضرب على تلك الاوتار ويهش لسماع نغماتها ... حيث اقتصر على تجسيم الخلل وتصوير الخطل واستفضاح الداء بدون ذكر الدواء ولو بالاشارة اليه حتى ترجح لدى الراي العام ذلك الاسترواح ومج تلك النشريات واستخوف العاقبة من قبح ذلك السلوك

فوجب عندئذ طرق الموضوع بما تضمنه هذا المقال تهدئة له وايقافا لتلك الهجمات المستقبحة والموذنة بسوء المصير . فكان له الوقع الحسن من العموم .

للقاعدة الآنفة الذكر . غير انه سلفا يعلن بان ليس المراد من اصحاب « النهضة » العوام منهم والبسطا والاميين ولا الذين لهم باع طويل في فن الاجتماع حول البساط الاخضر ولا الذين اكتسحوا من الدهر سبعين وربما قضوا غالبها في قيام الليل وسباة النهار وجاءوا اليوم لينهضوا بالقطر من كبوته وبنية اعلاء شانه وتتميم نقائصه واصلاح محاكمه الشرعية وغير ذلك مما اعلنوا به وكرروه (فيا لقلة الحياء من قوم لا يعقلون)

وانما الكلام مع فرد يعرف نفسه بان الشعب يدرك مقاصده وانه اخطر على البلاد من سحب افريل الحالكة اذا نزلت بزرع قد استقبل انتفاعه وحان جمعه فتتركه اثرا بعد عين (نسال الله السلامة والحفظ) وناهيك بمن ضرب المسالة التونسية من خالف حتى انتثر عقدها بعد احكامه واغرب في التلون والتطور في سلوكه حتى اصبح من السهل عليه بيع آجال وما يوصل اليه بحصول ناجز ولو كابتسامة احترام واعتبار او فتح مورد درهم ودينار

ذلك هو المعنى في الكلام وحده وهو الهدف في رمي السهام واسماع قارص الملام واما البقية الباقية فاذناب وذيول لا يحسب لهم حساب وان تهافتوا حول النار تهافت الفراش على النور لشبه هو ضعف الابصار في الجميع . وعليه فالكلام معهم يعد فيه خروجا عن الاعتبار المطلوب لصحة الاخبار وتجرده من لغو الحديث

نعم قد استهلت الصحيفة المشار لها بالحمل على المحاكم الشرعية بدعوى طلب اصلاحها وقالت ان مراسلا لها قد اماط اللثام عما هنالك من الخلل المكتنف بمحاكم الشرع ذات النظر المتسع المفقود فيها ضمان الحقوق للمتقاضيين الخ ما قاله واتبعت نشر تلك النشريات المتجسمة خلطا و غلطا وغايات سياتي بيانها بعد

ونحن قبل ان نلج باب البيان في الاشارة الى ما ذكر ورفع الستار عما يقصد من تتابع تلك الرسائل وما تخللها مما يخالف ظاهر القصد ويترجم عن باطنه . اقول انه قد سبق لنا طلب ادخال تنظيم على المحاكم الشرعية يستند فيه الى اصل شرعي يؤثر على السلف الصالح وهو « تحدث للناس اقضية بقدر ما احدثوه من الفجور » وذلك لمصادرة اطالة النوازل وتخفيف وطأة المصاريف التي هي ابتلاء من الانظمة الوضعية الحديثة واثر من اثار الغلب والقهر . وقد اشرنا وقتئذ الى

نقط عشر يمكن الحصول باجرائها على المرغوب بلا تزعزع في سير تلك المحاكم الطاهرة او خروجا بها عن طرقها الواضحة والامنة في السلوك . وطلبنا ان يكون ذلك من المشيخة الإسلامية واركان الهيئة الشرعية الذين هم نخبة الامة واساطين الدين ومصدر كل اصلاح بنص الكتاب والحديث الشريف . اسوة بمحاكم الشرع بالدولة العثمانية والبلاد المصرية التي نظمت والقانون الفقهي هو هو بفضل فقيد الاسلام مفتي الديار المصرية الاستاذ الامام رحمه الله تعلى . وتلك النقط المشار لها لا تخرج عما ياتي .

اولا ـ تاليف مجلة شرعية تبوب فيها اشهر الاقوال المذهبية وتكون دستورا للحكم

ثانيا ـ جعل حد لقولهم (خرج مطلوبا) بتقييد قاعدة ان المطلوب يذهب حيث شاء لانها اصبحت ملجئا للخصوم المبطلة ولوكلائهم الملدين ولم تكن في قطر من اقطار الاسلام اصلا . .

ثالثا ـ مجلة مرافعات شرعية تلخص فيها شروط الترافع وتوجيه الدعاوي وتحمل الوكلاء على وجوب الامتثال وتضبط واجب المتداعيين

رابعا ـ توزيع القضايا والنظر فيها في خصوص محكمة الديوان بين القضاة واركان مجلسه الاعلى ليقع تشغيل المفاتي في غير المجلس الذي يخصه النظر في القضايا الكبرى وما دون ذلك فتنهى فردية بسرعة كنشوز وطلاق ونفقة واشباه ذلك

خامسا ـ مسالة العدالة والجرحة فانه بالنظر لفساد الزمان وفجور اهله وثبوت التساهل في الشهادة فيجب تنفيذ النص الفقهي وهو قبول القاضي بنفسه الشهادة مع جعل قيد للنظر في حال الشاهد الاول ويبطل الاكتفاء بقولهم (عدل رضا) لان وراءه قولهم ايضا انه يكذب لغير مصلحة او يلتفت في صلاته وهلم جرى . . . . . .

سادسا ـ حضور عدلين بمعية القاضي حين الترافع لتامن غائلة قولهم (حسب ابلاغ عونه الامين من شوط بعيد)

سابعا ـ توسيع دوائر الكتبة وايجاد كتاب ماهرين وقسمة تلك الدوائر لفحص الوارد من نواب الخارج والجواب عنه والمسارعة في العمل وكل دائرة تترأس برئيس مسؤول

ثامنــا ـ توفير ميزان المحاكم الشرعية ويكون على كاهل ميزان الدولة العـام لا على الاوقاف الخاصة بشعائر الدين

تاسعا ـ ان تكون مفاوضة شيوخ المجلس الشرعي في وجه الحكم بعد استفاء الحجج من الخصوم (بان لا حجة) سرية بحتة وتحضر صورة الحكم في الوقت لا مجـرد قرار في الراي فقط

عاشر ـ احداث دائرة للمقدمين وقانون خـاص يسير عليه المقـدم ويزجـره عن العبث بحقوق من قضى الدهر عليه بالحجر وبالدخول في تصرفه ويمنعه التصرف في مال من لنظره ولا يبقي المال عنـده اكثر من ثلاثة ايام ولو في درهم واحد، وان لم يفعل يحاكم جناحيا وانه بمجرد ما يتصل المقـدم بحق يدفعه لتلك الدائرة ولاتكون في غير جمعية الاوقاف تامينا في الحاضر وفي بلدان المملكة

ذلك خلاصة ما كتبناه في هـذا الصدد وقبله الراي العام بارتيـاح ولم يتذمر من تذمره اليوم مما كتبته صحيفة النهضة واسترسات في سبيلها المخطر مثالا ...

واليكم ايها المؤمنون بعض ما قالته تلك الصحيفة بعـد سوق عبـارات الهمز والتنكيت ووضع علامات التسال والاضمار وظنت انها احسنت صنعا بذلك وهو ما نصه : « افلا يجمل بالهيئة الشرعية الغـاء تلك الطريقة العوجـاء احتفـاظا بالوقت (ويعني بالعوج هو مخاطبة القضـاة لنوابهم في الخارج بالمراسلات لجلب الخصوم) وابدالها باستدعاءات متنوعة (بسيط ومؤكد وحتمي) تماثل بطـاقات العدليـة من كل الوجوه (...) ويكون ذالك صحبة مبلغ (صبايحي ...) ومتوظف مسئول على ذلك مثل العامل » ...

وقال في العاشرة من رسائله منظرا بين قضاء اول العمرين وحكم قضاة اليوم « من انهم (والعجب قد ملاء جوانبه) يتوقفون عن الحكم ولو بعد اقرار المطلوب لديهم ما لم يسجل الاقرار بحجة عادلة كان الحجج تنزيل من حكيم حميد » .....

كما جاء في تلك الصحيفة ايضا ما نصه : « فيوم يقع تنظيم المحاكم الشرعية على النمط الحديث ، ويكون القضاء درجات ابتدائية واستئنافية وتعقيبية يوم لا يكون الحكم فيها نهائيا إلّا اذا تدرج واعيد النظر فيه ، فاذاك تبقى وزارة العدلية في راحة

ولا حاجة لتداخلهـا » ... وقالت ايضا مما فيه اشارة الى وجوب الانتباه للحق المخول لنواب الشريعة في جبر الممتنعين لديهم من الحقوق التي اقتضى النظر الشرعي ايقافهم بتهويل السجن ومصائبه وقساوته على بني الانسان واستطردت حكاية صدرت عن بعض نواب الشرع العزيز ان لم تكن من قسم الموضوع في الرواية

ذلك بعض ما جاء من السخائف الفكرية التي لا يفهم منها بعد الملاحظة الاتية إلّا السعي في تقويض المحاكم الشرعية وزوال استقلالها واليكم الكلام مع الكلام

غير خفي ان مثار الشكوى من المحاكم الشرعية هو عدم انهاء النوازل وتراكم القضايا ووفرة المصاريف التي يتكبدها المتقاضون حتى ذكروا ان الراي العام قد رقص لنشرياتهم وفرح لكتابتهم وتخاطف صحيفتهم استبشارا بما يجد فيها من السعي لصيرورة المحاكم الشرعية « ديكوديلهاية » بحتة ... بادخالهـا تحت وزارة خير الدين الذي قال عن نفسه انه وامثاله انما هم زينة المحافل الرسمية . لانها الجديرة بكل اصلاح وتنظيم . حيث تحكم طبق نصوص الشرع ومواده الفقهية المستخرجة من الكتاب وسنة الشارع العظيم .

ذلك هو مثار الشكوى ولكن هل فيما قالوه من سبيل الى الوقوف بنهـاية ذلك السبيل ؟ ؟ فالظاهر ان الجواب سلبا

لا غرو اذا قلنا وانه لا معنى لقول المشرع الانف الذكر ... بانه يجمل العدول عن الطريقة المتبعة احتفاظا بالوقت . لان تكرار الاستدعاءات بالشكل العدلي المشار له يستدعي اشهرا نظرا للطريق التي سياخذه بل سنة وزيادة مع خطارته مثالا ... حيث اننا نرى في البسائط العدلية يستغرق اكثر من ذلك . واما الفصل فاعوام بين ابتداء وتعقيب ...... وفوق ذلك فان المصلح الجـديد لم يبين ما المراد من قوله (من كل الوجوه) يا هل ترى القسم المدني من العدلية او الجنائي ام هما معا .... فان كان الاول فلا قائل بوجوب حضور المطلوب اصلا وليس فيه حتم . وانما الحـاكم يحكم طبق الحجة المدلى بها من طرف المدعي وإلّا حكم بالحفظ . وان كان الجنائي او الجناحي . فاي شبه بين استدعاءات محاكم الاستحقاق الشرعيـة ذات النظر في المواريث والحبسية والهبات وحقوق اليتامى والصدقات وصحة الرسوم العقارية وفسادها

من محاكم الجنايات والجنح حتى يطالب لها تمام الشبه في الجلب والاكراه ......

زد ان قوله صحبة مبلغ (صبايحي) على طريق متوظف مسئول مثل العامل ، هو كلغز لم يظهر فهمه ولا حاله . لان القـائل المذكور اصولي وحقوقي وفروعي ومتنور ومتبصر ومتطور ، ويعرف جيدا ان القوة التنفيذية من خصائص نائب الحق العام والعامل ضابط عدلي والصبايحي عون من اعوان تلك القوة العامة « فالحتمي » في قوله من هذا الطريق يظهر انه يرمي الى وجوب ادخـال النظر التنفيذي الذي لنواب الشريعة اليوم المخول لهم من نظامهم الاصلي تحت النظر العدلي العام ، وهو دور وتسلسل وابتلاء وقضاء على الامال كما لا يخفى .. على ان التفوق السياسي العدلي الذي لنائب الحق العـام يمنعه من الامر عليه بتنفيـذ مطالب الشرعيين في ذلك لانه يصيره مامورا في هاته الحالة وهو بمقتضى وظيفه آمر لا مامور .....

على ان العدول عن الطريقة المتبعة واحـالة الجلب بالطريق المحبذ من طرف المغرضين لا يزيد الحالة إلّا تباطيا ويمس بكرامة المحكمة الشرعية ويخدش في جانب استقلالها المحترم بالمعاهدات وتكرار عهود ووعـود عظماء دولة الحماية الـذين زاروا هذه الديار .

كما انه لا يمكن للمصلح .. المذكور ان يئول مراده بمخاطبة العمال واسا للبيان الذي اسلفناه كما ان كاف التشبيه في قوله كموظف مثـل العـامل لا تحجب ما هو مضمر سيما بعد وجود قاعدة لفهم المضمرات وحل الالغاز .... على ان الطريقة المتبعة لا شطط فيها اذا وجدت قائما بالحق يخاف الله وتخيفه الحقوق العامة ، وهو مخاطبة القضاة لنوابهم في الخارج الذين لهم حق الاستعـانة بالحاكم السياسي الذي يمثل سلطة امير البلاد على تنفيذ اوامر الحاكم الشرعي كما هو جار منذ تاريخ المراديين وايجاد مذهبين في البـلاد

ولم يظهر تمام الظهور حقيقة مراد مراسل النهضة باستثناقه العمال والصبائحية دون النواب الشرعيين واعوانهم وتعاليله بالمرض وعـدم الحضور والتراخي وغير ذلك . ولم يجوزه في جـانب من ذكر وهم اقرب الى الشر والتهاون والعبث بالحقوق ... ولا ارجو ان المستقبل يظهر ذلك لانه من باب الاذواق وفيه ان محاولة اقناع المجانين من الجنون .....

كيف وان تداخل تلك القوات وتشاكس السلط والتساهل فيها يفضي بالامر الى مثل ما هو جار بالجزائر من ان احكام الشرعيين في الزوجية والميراث والطلاق يستانف الى دائرة وكيل الدولة بالمحاكم التريبونالية لينظر فيه صحة وفسادا مع ان مستنده التاودي وخليل او الايضاح والنيل.

هذا وان تعجبه بتوقف الحاكم الشرعي عن الحكم مع اعتراف المطلوب لديه قد دل على ايجاد فقه جديد او ان المشار له من مجتهدي هذا العصر على القول بفتح باب الاجتهاد لان المعتمد فقها ان القاضي لا يستند في الحكم لعلمه خوف الطعن والانكار بل لابد من « واشهدوا ذوي عدل منكم » حتى قالوا انه في صورة ما اذا خيف على فوات الحق ولم يكن إلّا القاضي شاهدا فان الدعوى تقام لدى قاض اخر ويكون صاحب العلم شاهدا مع يمين ، كما انه لا يعلم غير هذا حتى في المحاكم العدلية الا في بسائط القضايا او في العلني منها ، وهي غير ما لدى الشرعيين من عظائم الشئون . واعجب من ذلك كله قول شيخ الناهضين انه ينبغي تقسيم المحاكم الشرعية الى مراتب ثلاث فانه (امر مضحك مبكي) او يدل على ان حدود السبعين من العمر تؤثر في العقل كتاثير تناول المخدرات العقلية مثل كيت وكيت . . .

لانه لا يوجد في المعمور من الارض ان محاكم الاستحقاق بها مراتب ثلاث لا في السلطنة العثمانية ولا في البلاد المصرية ولا بين اظهرنا من محاكم التسجيل العقارية المختلطة . التي تحكم بالرسوم الصحيحة والاحباس وماشاكلها كدار الشريعة الكبرى . وان احكامها لا تعقب ولا استئناف فيها الا في دار الاخرة . وعليه فكيف والحالة ما ذكر يعقل طلب من لقبوا انفسهم بالمصلحين وقالوا عن غيرهم انهم رجرجة يقودهم الجهل المركب وهم لا يشعرون . . . .

افلا يقال لهؤلاء اتريدن جهلا باحلامكم ان تفتحوا على الامة عناء يعسر تلافيه وتعبا لا يدرى انتهاؤه وتجرون بالقضاء الشرعي الى الحتف ، ثم تتخذون لاغراضكم تراكم النوازل تنفيذا وترتكزون في ترويجها على التباطيء في الفصل للتحقيق ، وانتم على علم من موجبه وان ما هنالك غير سالم منه سواها كل بحسبه حتى المجلس المختلط الذي به قضايا لم تفصل منذ انتصابه تقريبا مع قلة مشمولاته

على ان النظر في احكام النـواب الشرعيين في الافاق هو جاري به العمـل وكثير منها ينقض او يصلح . واما دار الشريعة فاحكامها في المهمات ليست فردية بل صادرة عن مجلس راسه شيخ الاسلام وقاضي الجماعة من اعضائه وشيوخ الفتوى ذوي النزاهة والعدل من حكامه . فكيف يسوغ له الحل بعد الابرام والنقض بعد الاحكام . عفوا ايها القرا فقد اطلت الكلام وفي الايجاز معنى وفي الاختصار افادة. ولكن قد تلجي الضرورة الى مجاراة من لا يرعوي . وخصوصا مع من اشهر حربا قلميا على المحاكم الشرعية ولم يتهيب مدلول نسبتها الطاهرة ولا الوسط الذي نحن فيه وشاهد كيف اكل ما بين ايدينا من النفوذ وترجم عن ابتلاع ما طلبنا اصلاحه . . وقد بلغ به الجنون ان ضرب مثلا في الاستقامة وتعجيل الفصل ببعض حذاق العمال . . ونبهاء رؤساء محاكم القضاء العدلي . ومن ثم ترجح سوء القصد واتضح الغرض فجاز لنا الاسهاب والبسط والتطويل .

هذا ومن اسقط الاقوال واغربهـا قبحا من اولئك قولهم. ان استدعاء فرد من شيوخ الهيئة الشرعية لوزارة العدلية لخصوص المفاوضة معه في عقلة اجراها او في قضية على وشك الحكم فيها غير ماس باستقلال القضاء ولا بكرامة ايمة الـدين المحترمين . وقد ضربوا لذلك امثلة منها ان وزير العدلية كالوزير الاكبر نواب عن جلالة امير البلاد الـذي له النظر الاعلى . وهي شعوذة شيطانية وخلبطة جنـونية وتلبيس ابليسي بحت . حيث لم يسمع ان ملكا من ملوك الاسلام عادلا فضلا عن وزير استدعى قاضيا له وفاوضه في قضية منشورة لديه وشاركه في وجه الحكم. حتى انه بالامس القريب يؤثر عن قاضي زمانه الشيخ الطاهر النيفر انه عاد المرحوم علي باشا باي في مرضه فذكره في قضية له في الديوان فاجابه على البداهة بانه جاء بعودة فقط واما مسائل الديوان فان الكلام فيها في الـديوان . فاسف الامير رحمهما الله تعالى على صدور ذلك منه واعتذر. وكذلك صح عنه ان وكيل الامير المذكور طلب التمسك في قضية له فابى ان يجيبه لذلك وحكم عليه. فاين هذا مما يلبس به هؤلاء المغرضون . ام كيف ينفـون الحرج في مفاوضة وزير العدلية لفضيلة قاضي الجنة العادل الشيخ سيـدي محمد رضوان في قضية لا يعرف الـوزير من اوراقها

شيئا او يمكن له شرعا ان يعترض فيما اجراه ، هل انه فقه مذهبه او نظر اقتضته المصلحة الشرعية ولا ضرر فيه على الحق، حيث ان ذلك شان يخص اعضاء المجلس الشرعي الذين لهم شوط في الرتبة عليه وراي معه في الحكم . وذلك لمجرد تاثير صادر من محامي له في الوزارة المذكورة مقعد قبول اذ كان انجب تابعا فانالته الشواشة ببابها وتوزيع البريد ....

واعجب مما اسلفنا في التلبيس ما قالوه من ان رئيس المجلس العقاري الذي هو تابع في النظر للداخلية لا يستنكف من تلبية نداء جناب مديرها للحضور عنده، لانهم لا يستطيعون القول بان لمدير الداخلية او المقيم العام او لرئيس الجمهورية الحق في مفاوضة رئيس المجلس المختلط او مراجعته في قضية لديه وفي وجه الحكم فيها، وانما مجرد الحضور فلا خلاف في جوازه وعلى الحكام الشرعيين ايضا وذلك ذودا عن استقلال القضاء وعن شرف اهله العادلين . اما القضية التي اثارت حافظة اولئك المغرضين هي غير الحضور المجرد بل استدعاء منصوص فيه نازلة بصدد الحكم .

فاني للوزير حينئذ او للمدير الذي لا يرغب في تقويض العهود المحترمة والوعود المتكررة والذي لا يعلم من امر المذهبين فقها ولا راجحا من مرجوح في انظار ايمة الدين ان ينقض حكما او يحل ما اجراه النظر السديد للتحفظ وخوف التفويت . فليتقوا الله في الشريعة وليقولوا قولا معروفا وليعلموا ان النفع غير ما يطلبون وفي هذا القدر كفاية والله ولي التوفيق

التجنيس

عدد ١٠٠ في ٣٠ ربيع الاول سنة ١٣٤٢

ان الافات التي يتوقاها بنو الانسان عادة وينفرها ويفر منها ويوحشه ذكرها او مجرد الاخبار عنها ، كالطوفان مثلا او الطاعون والوباء اوغيرها من الامراض المبيدة التي قد تترك البلاد قاعا صفصفا وتدخل اقواما في ذمة التاريخ كما ابانا

عن اجيال وعصور . هي لا تقل ضررا وابادة عن أفة التجنيس في الاصطلاح الحاضر ، بل هي ايسر وحشة واهون ثقلا على ذوات التاريخ والوحدة الحكومية من اصناف الامم والشعوب . لان تلك الافات وان عظم خطرها فقد تتوقى ولا تعم عادة كما انها لا تخيف ذوي اليقين في القدر المحتوم

وعلى فرض انها الحقت بالغابرين اقواما فعلى دينهم ونسبهم وحسبهم وتاريخهم وعلى الدوام بالترحم يذكرون ، اما افة التجنيس بشكلها الحاضر فمرض اجتماعي خطارته اعم وضرره اعظم لانه لا يتوقى منه بل تحفه عوامل الترغيب فيه والركون اليه . ولا يخفى انه يجتمع مع هاتيك الافات في وصف الابادة وصف الفناء والزوال . .

كيف وانه عبارة عن نبذ شعب برمته لكامل جنسيته والدخول في جنسية اصناف اخرى من البشر يخالفونه من سائر الوجوه ، قوة ودينا ولغة واخلاقا وعوائد ونسبة وتاريخا ، بحيث تتقطع بالمتجنس اواصر الانتساب لمجد اسلافه وتاريخ اصنافه واحسابه وقومه ، ولا يقدر ان يلتزق بمعتنقه الجديد ويمتزج بامشاجهم بل سيعطى لقب دخيل ما توالت العصور . ولذلك اشبه من التقمه الفناء بالافات الاتفة الذكر وكان محتقرا من الطرفين مهانا في الجهتين ذليلا بين الصنفين ولا يجد التاريخ ما يكتب له سوى الذبذبة والانقطاع

لذلك كان وقع اباحة التجنيس للامة التونسية شديدا عليها هوله ومصابه حيث انه تراءى امامها كفتح باب للانقراض فالداخل فيه لا يرجع وانه سيتم افناؤه وسيبتلع عن قصر امد او عن طول فيه ، وفرارا من عاقبته تحركت بحذافيرها مذعورة تطالب بسد ذلك الباب ورد هذا التيار الذي لا يقل فعلا بالاقوام عن فعل طوفان قوم نوح وصرصر ثامود ، شان الامم الحية التي ترى لجنسيتها رفعة ولدينها متانة ولاخلاقها صفاء ولحقوقها السياسية والاجتماعية سلطان على النفوس ، نعم فعل حزب الامة الحر وشعبه في دواخل الايالة واجبهم الوطني في الاحتجاج على هذا القانون ، وقامت صحف البلاد الوطنية وكتابها ومفكرو الامة بنشر آرائهم واحتجاجهم بان هذا القانون قد سطى على العهود والمواثيق القديمة التي بين الحكومتين الحامية والملوكية من لزوم ابقاء ما كان على ما كان في كليات الامور وجزئياتها وان لا تغيير إلّا في شان منه اصلاح داخلية

البلاد وترقيها . مع بيان الرزايا التي ستنشأ عن فكرة التجنيس (المورينية) وان لا نتيجة ترتجى بالنظر الى الغاية التي ترمي لها السياسة اصلا . بل بادي بدء ستنعدم الثقة ويضعف الوثوق بالمستقبل ويكون العيش عن احتراز

وهي عواقب فعل من يفكر في شؤن الامم ويقنن القوانين التي تمسها وليس لها من امر الاستشارة شرو نقير

ومن العجب ان كانت شكوى الامة بلسان صحفها سببا لاغضاب الصحف الاستعمارية حتى طفحت اعمدتها بالشتائم وتكسرت على جوانب انهرها امواج القذف والتشهير ضد الصحف والامة معا . وما ذنبنا في نظر هؤلاء المتجبرين إلّا ان قلنا لهم لا نريد تحويلا عن جنسيتنا ووحدتنا وقوميتنا ولا نطالب منكم إلّا سد هذا الباب الذي فتحتموه والمحافظة منكم على حمايتنا . . . بعهودكم ومواعيدكم المؤكدة لا غير

وليس فيما قلناه من ذنب يستوجب غليان مراجل حقد هؤلاء الذين كانوا قبل اليوم يتباعدون عنا ولا يرضوننا إلّا خدمة ويترفعون عن الامتزاج بنا وقد طلبوا بلا خجل ان لا تختلط ابناؤنا وابناؤهم في صعيد التعليم خوفا من العدوة الاخلاقية . . حتى قيل ان احد الجنرالات قال قبل اليوم في هذا الصدد ان الفرنسي والعربي لو طبخا في مرجل ما امتزجا قط وذلك لتباين مواد التركيب الفطري في المواهب والمزاج . فما بالهم اليوم لا ينصفوننا اذا عارضنا في تلك الاباحة الاختيارية على زعمهم وطلبنا نسخ ما مسنا من ذلك القانون . وقد قلنا بعض ما قالوه وان لنا دين وشرف وتاريخ ولغة ومجد وحسب ونسب وذاتية لا نرضى بها بديلا مع شدة احترامنا لجنسية غيرنا احترام العاقل للحرية والحق

على ان بالامس قد جرى حديث قانون التجنيس العمومي للمتجيليين بتونس من الاجانب بوجوب اختيار احد الجنسيتين التونسية او الفرنسية فقامت قيامة الصقليين والسيسليان والطليان والمالطيين استنكارا لجور هذا القانون ولم يرحبوا به حتى قامت دولهم القوية فادخلت القضية في دور الانفصال بان لا تجنس ولا جبر . حيث ان القانون الوضعي لم تكن فيه قوة الحكم على تناول امة كاملة ولا يحكم إلّا الافراد . كل ذلك وان الكاتوليكية تجمع الجميع والقانون الاجتماعي واحد

والاخلاق غربية تشرب من بعضها بعض ولا من منكر عليهم من اولئك الطغام مع ان لا فرق بيننا وبينهم إلّا القوة والضعف كأن الانصاف لا يكون إلّا مع ذي الشوكة والباس فقط .

يقول لسان السفارة (الادبيش تونزيان) في انذاره الاخير الذي اتحف به البلاد على اثر رجوع العميد من الديار الباريسية جوابا عن هاتيك التشكيات المتكررة ما نصه (انه لا يوجد والحالة ما ذكر مايدعو اي تونسي الى وقوع تجنس جبري وان لفرنسا الحق المطلق في جعل الشروط التي تناسبها في التجنيس ..... فان الجواب عليه سهل وهو ان ذلك الحق نفسه هو الذي اباح للامة التونسية حق الدفاع عن حقوقها طبق العهود والحقوق الشعوبية لان تبقى امة الى الابد . واما الاجبار وعدمه فلا يجلب شكرا ولا يدحظ لوما لانه سفسطة بحتة . وقد تتجلى فيه تلك الصفة في صورة ما اذا اراد التونسي التجنيس بغير الافرنسية كالاميريكية مثلا فانه يقاد بالسلاسل الى قانونه وتبعيته التونسية وتنعدم حرية الشخص للخروج من ربقة التبعة الفردية التي قالت عنها جريدة « النهضة » الاستعمارية انها دونت في صك مقدس وانها منة من منن الثورة الفرنسوية الكبرى على تحرير الافراد ...

وعليه فقد ظهر ان الاختيار صوري وابكم يتكلم . وان وراء محيطه عوامل قوية تدفع الى داخله وفي داخله ايضا جواذب تجذبه الى داخل . من اماني واحلام .. وبذلك لا محيص من القول بانه سياتي زمان طال او قصر تنعدم فيه التبعة التونسية ولا يبق الا المتبوع الاعظم ووزراؤه محفوظا بالامتيازات الذي يظهر انها ستبقى مع الزمان واما التبعة فقد تسللوا ودخلوا من باب الانسلاخ جبرا اواختيارا ..

على اننا اذا تسألنا وصحت الاحلام بان فريقا عظيما من الفرنسويين اليوم يطلبون الجنسية التونسية ويقبلون بامر ملوكي فهل يباح لهم ذلك وهل في نظر القانون الفرنسي لذلك من جواز ..

هذا وان ما اسلفناه نبذة من الوجهة الاجتماعية الادبية . السياسية . واما من الوجه الدينية فان التجنس كفر وارتداد ولا حاجة فيه الى فتوى من ارباب العمائم والاجوائخ لان النص تحت كل ورقة وفي كل كتاب وقد سبق لمرشد الامة استفتاء

في ذلك عند اول شعشعة في امر التجنيس بدخول فرد كان يسعى تحت طي الخفاء وظن انه يبحث عن كنوز قارون فظفر بمفاتيحها فافتى بانه ردة بنص الكتاب والسنة والاجماع لان دين الله لا يتجزى وليس للمكلف الاختيار فيما كلف الله به عباده بل لا بد من القبول والانقياد والعمل

ورحم الله الامام النفوسي حيث قال :

وليس لعبد ان يقول بما لما ولكنه يمضي على امر ذي المن

الى قوله

الاكل شيء ذاهب منه بعضه ففي بعضه مستمتع للمرتقن

سوى الدين مهما زال منه اقله مضى كله والبعض من ذلك لا يغن

ولنختم هذه الكلمة الوجيزة بذكر قصة بسيطة يعلم منها مضار التجنيس في الدين والاحكام الخاصة الشرعية وهي : انه على عهد القضاء النيفري ارادت امرأة ان تتزوج وكانت ذات زوج متجنس قد طلقت منه بحكم من التريبونال الفرنساوي لثبوت سوء معاملته لها ولما طولبت في حجة الطلقة ادات بذلك الحكم فلم يعتبر طلقة لدى العدول الشرعيين ورفعت القضية للقاضي فاراد احضار الزوج المذكور للاقرار بذلك حسب النصوص الفقهية فامتنع فطلب من رئيس التريبونال جبره فابى لانه اعتبره كتعقيب لحكمه . فبقيت المرأة الى ان ماتت بلا زوج وهي مطلقة في نظر القانون الفرنسي معلقة في نظر القانون الشرعي الاسلامي الذي له في صحة الطلقة شروط ، وهي قضية واقعية ترجمت عن ضرر التجنيس وايجاده لمشاكل كبرى في الاحكام والانكحة والمواريث والانساب والاحساب والشرف بين العائلات . فليتقوا اولياء الامر العدل فينا فاننا لا نطلب إلّا العيش على الصفاء والتحابب والوداد وان نبقى امة اسلامية الاحكام تونسية التبعة والجنس ما بقي الدهر وتناسل البشر وتجددت الاجيال

هذا واما ما يخص تجنيس مواطنينا اليهود الذين يستعدون لها اليوم عن تشوق وارتياح بعد ان كانوا ابان الحرب الكبرى يحمدون تبعيتهم التونسية ويصلون شكرا لله في (كنائسهم) من تلك النعمة الشاملة التي حالت بينهم وبين نار المارن وفردان الحامية ويدعون لمتبوعهم المعظم بطول البقاء !

فان امناحهم الجنسية الفرنسية وقبولهم فيها وانسلاخهم عن تبعة كانوا بالامس يقدسونها انما هو اعتداء على التاج وصاحبه المعظم

ولا اقول كما قال بعض كتابنا ان تجنسهم يرفعهم عنا بعد ان كانوا احط درجة منا لانه ليس بحجة كما انني لا اسلم صحة ذلك حيث ان اليهود على رقي في مجموعهم وان لهم التفوق في معاملتهم امام المحاكم القضائية او التساوي على الاقل . وان بالاحصائيات القضائية يتضح ذلك جليا . كما انهم على ما يجب من الاحترام ولهم قول نافذ في الاقتصاديات وفي الماليات وحقهم محفوظ كالمسلمين حيث ان الاسلام يامر باحترام الجميع . واما ما كتبه قطان الطبيب فانه كمن يكتب في الظلام فلا يعبأ به وان سود وكتب او نشر الفصول تلو الفصول .

واما من الوجهة الفرنسوية فان تجنيس اليهود لا يزيد في عائلتها اعتبارا ولا يفيدها شروى نقير . وانما ستفتح به مشاكل قومية وتغتصب به حقوق متبوع مخاص لها قد التزمت له بحماية بلاده وحقوق عرش اسلافه المتين

فرجاءنا ان ينتبه اولياء الشان الى واجبهم فيتجنبوا العمل بالفكرة (المورينية) العقيمة النتيجة والفاسدة القياس

السياسة الاستعمارية

الواجهة

عدد ١٠٠ في ٦ جمادى الاولى سنة ١٣٤٢

الواجهة في كل شبح هو ما يقابل منه ويبدو للعيان وفيه معنى خاص هو الحسن والاعتبار . وان الاصل في اطلاق الواجهة على الهياكل الحسية ولكنها اجريت في المعنويات على المجرى الوضعي استعمالا حقيقيا ايضا ...

ومن ذلك سمي الوجه وجها واستعمل لفظ الوجاهة والوجيه وقيل (للكلام)

كلام وجيه وللسياسة سياسة وجيهة . . . غير ان السياسة باطلاق فقد قالوا عنها ان لا وجه لها ولا واجهة وان شئت قلت لا باطن ولا قاب . وان يظهر للناظر منها مقابل فيظن انه الوجه فربما كان في الحقيقة هو القفاء وهكذا العكس بالعكس بحيث يحار لمقلب لبصره ان يستقر في جهة منها ويحكم بانها الواجهة فلا يجد لذلك مرجحا ودليلا . ولذا كان لا حرج على من لعن السياسة ومادتها وما تصرف منها من فاعل واسم فاعل ومصدر وفعل تفضيل . . . الى حد سبعة وعشرين . بل كان لعنها من الحكم التي اجريت مجرى الامثال في العلم كما دون ذلك عن فقيد الاسلام وحكيمه الاستاذ الامام مفتي الديار المصرية رحمه الله تعالى ورضي عنه

ولكن مع كل ذلك فقد قالو انه ربما تعرف واجهة السياسة ووجهها معرفة حقيقية إذا اضيفت بان يقال مثلا (السياسة الشرعية ، او السياسة الاستعمارية او سياسة الاقوياء المتغلبين ازاء العزل المستضعفين) فان واجهتها في كل هاته الامثلة ظاهرة واضحة . وان العقل يحكم بصحة ما يقابل منها طبق الدلالة الوضعية . . . وهيهات ان يحجب النظر ما يلوح من زركشة المقابل من الهيكل عن باطن ممتلي اكدارا او متصف بمزعجات النعوت . . . .

ولاجل هذا البيان قد كانت الاضافة في العنوان اعلاه محكمة الوضع ومقصودة لكاتبها الحر بل انه قال (سياستنا الاستعمارية) ليمكن معرفة الواجهة والتسأل عما وراء ذلك الشبح المشرف وما فيه . وهل ان حسن واجهته كباطنها او هي اشعة غير مستقرة ارسلت لتشغل الافكار وتبهر الابصار فقط وهو ما سيشرح بعد ولاجل ذلك اقول

ان العنوان اعلاه هو لمقال ممتع كتبه الاستاذ م . روني النائب المنشرع عن مقاطعة (الكوادلوف) بمجلس الامة الفرنساوي ادرجه بجريدة « الكوتديان » الباريسية الصادرة في ٢٤ جانفي من سنة التاريخ . فقد بين فيه الواجهة من هيكل السياسة الاستعارية وقاعدتها . وتسأل هل طبقت تلك القاعدة وحقق مدلولها في الخارج وهل وقع النظر في محتويات الهيكل الذي يبدو الجمال الفتان على واجهته (يعني الحرية والاخاء والعدالة والمساواة والرقي والتمدين ونشر الثروة وبث العلم واجراء سياسة التشريك في الحكم وتحرير الرقيق والحماية والانتداب والوصاية والتحرير والاستقلال وغير ذلك مما يعسر عده) . . . . .

وهل اجري التحسين الواجب بداخل الهيكل وابدلت القطع البالية فيه بالصالحة واصلحت الخرابات التي لا تصلح مع الوقت ونسقت جدرانه تنسيقا يشاكل ظاهره حتى لا تبقى صالحة لتعلق الجراثيم السامة وحشرات الشجع التي تزين للانسان اكراه بني الانسان الى غير ذلك مما سيرى هنا مترجما وملاحظا عنه ومجيبا صاحبه في تسأله ببيان ما وراء الواجهة وبعض ما بداخل الهيكل .....

بعد ان تقدم له ثناء وشكرا مع اظهار الرجاء بان نرى تزائد عدد الاحرار امثاله داخل محيط البرلمان الجمهوري الذي ساق الدهر الى حكمه اقطارا شاسعة وراء البحار آهلة بشعوب هادية وامم ذات وحدة ومجد باذخ وتاريخ صقيل . ولا تطلب إلّا العيش على الصفاء والمساواة واحترام العهود والوقوف عند البنود وتحقيق الوعود والمكافاة الفعلية على القيام بالواجب وبغير المفروض ....

والى القراء نص ترجمة الفصل المشار له قال :

في اليوم السابع والعشرين من شهر فيفري سنة ١٩٢٠ قد فاه مسيو (البيرمارو) وزير المستعمرات بمنبر مجلس الشيوخ بخطاب رنان نظامي في استثمار املاكنا التي وراء البحار

ولقد اعلن قائلا « ان السياسة الاستعمارية الفرنساوية تعتبر الداخلين لحمايتها (رجالا) دون جمهور خفي الاسم مستعبد وارواحا غير مسخرين للادارة وجمعا من المدركين جلبا من الانعام

سياستنا لا تهضم ـ انها تحرر ! !

سياستنا لا تنهك ـ انها تثمر ! !

سياستنا لا تبتز ـ انها تقتسم ! !

اذا بحثنا على السلم فانها تاتي معها بالامان والخبر والتعليم والعدالة والصحة زيادة على تضاعف الثروات الجديدة التي يستخرجها الممدن من الارض البوار للمنفعة المشتركة بين الحامي والمحتمي (...) هاته السياسة لا تقول للاهلي : اني السيد لانني القوي ، بل تقول له : اني حامي حماك ووصيك .. واخوك الاكبر ، ولهذا فانك مدين لي بالاحترام والتوقير المخول في نفس وطنك الى الاكبر سنا والارسخ

عقلا والاعظم علما . ولاني سائر بك نحو مثال ارقى مما انت عليه ولولا وجودي لاستحالت عليك معرفته بصفة ابديه (! .. ! ..) والاحسن من ذلك كله فان سياستنا تريد تشريك المحتمين بنا واستدعائهم تدريجيا الى ادارة الوطن . وباقتسامها معهم المسؤليات . والارباح تعلي ضمائرهم لحد الاحساس بالواجبات التي يلتزمون بها وحدهم نحونا للتنمية والحفظ والدفاع المشترك عن كسب متعاضد

ولقد ذكر الخطيب مسيو (مارو) مع الموافقة المطلقة وانتداب السينات كله للموافقة على الراي المبسوط في الجملة الاتية التي حررها م . (لومير دو فيلار) في تقريره لميزان المستعمرات عن عام ١٩٠١ وهي « الدفاع عن المستعمرات هو مسالة ادارة وسياسة الاهالي . اكثر من كونها مسالة عسكرية »

ولقد زاد قوله (كلا) لا حاجة لكم ويستحيل ان تكون لكم حاجة في القوة المادية حين ان قوة اخرى اعظم منها هي بين ايدينا اعني القوة الادبية التي بمعاملتنا الفرانساوية الاستعمارية والسياسية الضابطة للامور الاهلية »

ان المعاملة الاستعمارية الفرنساوية هي التي من المبدا وجدت صيغتها النهائية في الفصل الثالث عشر من امر ملوكي صادر في مارس سنة ١٦٤٢ يتعلق بشركة جزر اميريكا والذي نصه . . . نريد ونامر ان ابناء الفرنساويين النازلين بتلك الجزر وكذلك غير المتمدنين المعتنقين للديانة المسيحية للتعامل بها يعتبرون فرانساويين طبعيين قادرين على كل الموظفات والتشريفات والوراثات والعطايا وكذا الوطنيين بدون الزامهم بحمل رقيم تصريحي او جنسي !

وهاته المعاملة وجدت عبارتها ايضا في الفصل من المجلة السوداء الشهيرة بامر ١٦٧٥ وهي تصرح بعتق الرقيق بجزرنا وتعتبر ولادتهم بجزرنا ولا فائدة للمحررين في رسائلنا للجنسية للتمتع بمنح رعايانا الطبيعيين بمملكتنا واراضينا ووطن سيادتنا ولو كانت ولادتهم باوطان اجنبية ؟

هاته المعاملة هي التي اعلنتها (الكوفسيون) حين امرت بان المستعمرات جزء مشمول بالتراب الوطني وهي التي ايدت شريعة ٢٤ افريل ١٨٣٣ في اجراء الحقوق المدنية والسياسية بالمستعمرات حيث ان الفصل الاول يقول (كل نفر ولد

حرا او احرز على الحرية بوجه شرعي يتمتع في المستعمرات اولا بالحقوق المدنية - ثانيا بالحقوق السياسية تحت قيود النظامات الشرعية ؟

الفصل الثاني - ابطلت جميع احكام الشرائع المخالفة لهذا الترتيب الشرعي او الاستثناءات المصرح بها فيما يتعلق باجراء الحقوق المدنية والسياسية ازاء الرجال الاحرار والمحررين . هاته المعاملة نفسها هي التي فازت في عام ١٨٤٨ حين ان الحكومة الوقتية بعد اعلانها بابطال استعباد السود امرت بما نصه .. المستعمرات المطهرة من الاسترقاق ومقاطعات الهند تكون لهم النيابة بالمجلس الوطني)

ووقع القيد حينئذ « ان الانتخابات تكون مستعجلة بقدر الاستطاعة بعد التحرير العام للعبيد المنقلبين وطنيين فرنسويين »

كل ذلك هو الذي اتى عليه مسيو (البير مارو) في خطابه الواقع في ٢٦ فراير سنة ١٩٢٠ وكذا في مظاهرات اخرى كلامية

ذلك ما حصل في باب القاعدة واما التطبيق ! ! ! ......

ثم تسال : فباي مقدار تضبط القوة الادبية الفردية الواجبة الوجود من هاته المعاملة العجيبة والكريمة على الحقيقة للسياسة الاهلية المطبقة في الحال بالجهات المختلفة الدائنة للسيادة الملوكية او لحماية فرنسا ؟ ! ! !

هذا هو المراد تدقيقه واستطلاعه ولقد شاهدنا الواجهة فيلزم النظر في محتويات الهيكل . تلزم معرفة ترتيبه وحالته الصحية ووجوب التبديل والتحسين ووجود القطع البالية الواجبة التعويض والخرابات اللازمة الاصلاح . وهاته الابحاث حتمية فان المصلحة الوطنية المسلمة وشرف الجمهورية يقضيان بمباشرة ذلك في العاجل القريب اه .

(مرشد الامة) قد وعدنا في المقدمة بملحوظ عن نكتة هذا المقال السياسي البديع والجواب عما وقع في باب القاعدة المعلومة وعما وراء الواجهة . وانه نظرا للزوم بسطة توازي ما اسلفنا وقد طال المقال فقد ارجانا ذلك لغير هذا ونقتصر اليوم على انموذج من المحلوظ المشار له فاقول . قد علم من فحوى التحرير ومنطوقه ان قاعدة السياسة الاستعمارية او سياسة التغلب والاستيلاء كانت منذ ثلاثة قرون

فارطة هي دعوى اليوم .. وانها تمدين وتحرير واستثمار واقتسام الثمرة وان لا ابتزاز ولا هضم ولا انهاك وان المتساكنين في الحقوق سواء ، بحيث ان الاسود والابيض شركاء في الثمرة وفي سائر الحقوق بدون توقف على عقود وسجلات التجنس الشاملة لسائر افراد الوطن العام .

وهو لعمرك امر جدير بالاستغراب لبقاء القوانين والاوامر حبرا على ورق اي معطل العمل بها القرون تلو القرون ، بحيث انه لم يعلم وان لها مداولا في بعض المستعمرات أو بلدان الحمايات التي مضى عليها قرن ونصف قرن وهي مشمولة لذلك النفوذ العادل ! ! !

ومن جهة اخرى فكيف يعقل ان منصة مجلس الشيوخ ينادى عليها بمثل خطاب مسيو (البير مارو) سنة ١٩٢٠ وبمثل ذلك التذكير القانوني المقدس ثم تجعل الادارة اليوم اباحة التجنيس للاقوام التونسية والذين لهم جنسية خاصة وتبعية واجبة الاحترام ، وتجعله هو السلم الوحيد الذي يصعد به الى مستوى المساواة والمنح والخيرات ، عكس الفصل الثالث عشر من امر سنة ١٦٤٢ الذي اعفى الوطنيين من ذلك واعتبرهم كالطبيعيين في الحقوق ، مع اننا بالامس قد رأيناها ترجع في سياستها الى احياء رفاة الاوامر الملوكية العتيقة كامر سنة ١٧٧٨ بعد ان مضى على الجمهورية نيف وخمسون عاما فنفذت بنوده بالابعاد على الذين يزيلون باقلامهم (فقط) الغشاوة عن انظار ابهرهم جمال (الواجهة) خوفا من ان يشاهدوا ما وراء الجدار من المقاصد والاسرار ، ولكن اذا علمنا صدق القاعدة التي اسلفناها في مقدمتنا وهي ان السياسة لا قلب لها ولا وجه ولا واجهة فانه يخف على من اوقر كاهله العجب في فساد التطبيق وعدم توازن ارقام الحساب

جمعية الاوقاف

لقد ضاع شعري على بابكم !

عـــدد ١٠٢

يرسل هذا المثل في مجال التخاطب لغاية منها وشي الحديث بالامثال الشعرية

او النشرية، وفيه معنى الاسف على ضياع الوقت الثمين ايضا، وقد يراد منه غير ذلك بل يلاحظ به دواعي اخرى لا داعي لذكرها ولو بالاشارة اليها ولا اخالها تخفى على العارفين بفنون ضرب الامثال وارسالها في شعب الكلام ومسالكه نطقا وتحريرا

وغاية ما اقول فيه ان المثل المشار له لا يبعد انطباقا على ما سياتي من الحديث مع جمعية الاوقاف وادارتها الموقرة ولذا حسن ان نقول في طالعة المقال لقد ضاع شعري على بابكم .... !

نعم قد استلفتنا نظر الاوقاف غير ما مرة الى مبادرة العمل باصلاح المساجد الخربة والجوامع المتداعية للسقوط والذي اخذ في اطرافها الاضمحلال. ثم الاعتناء الاكيد بشان القائمين بعمرانها واحياء الشعائر فيها والذين هم على حالة اهمال كما هو معلوم لديها بارقام من دفاترها المعدة للصرف والانفاق . والى الان لم تقم الجمعية بواجبها في تلبية النداء ولا زال القلق يتعاظم والخرق يتسع كاننا لم نسمع حيا وان لا حياة لمن تنادي !

كانت الجمعية تعتذر قبل اليوم بان لا مال لديها وانها تنتظر موسم الزيتون وارتفاع محصوله وتزايد كراء الرباعات والعقارات ، فجاء الابان وباعت الجمعية باربع ملايين فرنكا وزيادة وقد اتصلت صناديقها بذلك المقدار الجسيم حسب التحقيق والى الان لم تفعل ما هي فاعلة ، بل زادت اعلنت بامتنان وان الحكومة أقرضتها مليونا للغرض المذكور ايضا فقلنا (يا للكرامة ويا للمزية ويا للفضل) ولو كان ذلك من باب قول الشاعر :

كالبحر يمطره السحاب وما له ✽ فضل عليه لانه من مائه

وانها فوق ذلك كله لم تفعل ولم تجب نداء صحف الامة الحار ولم يشاهد عليها تحركا للواجب الاكيد حتى اليوم ، وعليه فمتى وهل وكيف وحتى م والى م واين ولاي شيء ...... ؟ كلها مضمرات لا تستخرج إلّا بطريق الجبر وحسابه ولكن اين الراسخون في العلم !

الراي العام في قلق من رؤية بيوت الله تعالى تبتلعها الارض، ونواب الجمعية في الافاق يعتذرون لايمة المساجد والمصلين ويسوفونهم من عدم الاذن لهم بمباشرة الاصلاح والترخيص في صرف الاموال الكافية ولو على المتحتم

وان جمعية الاوقاف التي هي بمثابة المقدم في شغل لا يهم الشعب وفي اشتغال (لا يجملها في نظره) بقبول الموظفين الزوائد ونحت الالقاب لهم وتهيئة الكراسي في زوايا البيوت وفي ترقية مرتباتهم وتحسين معاشاتهم وفي اضافة هذا لهذا والـزيادة من هنالك الى هنا حتى اصبح في اغلب الاقسام رؤساء ثلاثة وفي البعض اثنان ثم رئاسة ترجمة وقلم استعلام واستخبار . وان مرتباتهم تتراوح من ٢٤ الى ١٨ الى ١٦ الى ١٤ الى ١٢ الى ٨ الاف فرنكا كلها فرنكات وعليه فما العمل ؟ ؟

فليكن معلوما لدى جناب جمعية الاوقاف وادارتها واعضاء مجلسها العاملين والذين لا يحضرون إلّا اخر الشهر . . ! ولدى حضرة لجنة مجلسها الاعلا ورؤساء اقسامها وكواهيها ومتفقديها ومن يمثل ويدير الجميع . ان الامة تطالبكم باصلاح المساجد حالا والاعتناء بارباب الشعائر عاجلا . بحجة ان ريع الاحباس لم يوقف إلّا لحفظها من الملاشاة والخراب ولم يحبس إلّا على القائمين بعمرانها فقط . وانما عدى ذلك فهو اعتداء على ارادة المحبس المقدسة إلّا فيما دون العشرة في المائة دخلا وان اكل ما فوق ذلك فسحت وحرام إلّا في وجوه البر والصالح العام بعد تنفيذ المراد .

اما نحن فننصحها بانها اذا لم تسارع في العمل فربما يقع الاضراب (الذي لا يتكلم) عن القيام بالشعائر وتعطيلها بوجه عام . فعند ذلك يدون التاريخ لسنتنا هاته وصمة في وجه الجمعية الجميل وهو امر لا نرضاه لها ابدا .

ثم نذكرها ايضا والذكرى تنفع المؤمنين انه لم يشاهد حتى الان خرابا اعترى كنيسة من الكنايس او ان تساقط الردم من سقوفها قد حير بال العابدين فيها او قطر المطر قد اذعر الراكعين والمسبحين والمترهبنين بل ان بناءها المشرف بتيه عجبا على اثار العادين الخالدة . والكل بمنزلة واحدة والعبادة لله . فما هذا الفرق العظيم ؟ ؟ .

ذلك ما نذكر به ادارة الاوقاف لان تبادر به وان تدعي انها مغلولة الايدي للحكومة فما عليها إلّا ان تصرح بذلك للراي العام ليتخذ بابا غير بابها حيث ان الشعب موجس خيفة من المثال . وانه لا ينثني عزما عن مواصلة الطلب وطرق الابواب وحجته بيديه الحق (والحاجة اليه)

وفي الختام رجاؤنا اكيد في ان نرى الجمعية اخذة في العمل بمدلول ما اسلفناه فلا تحوجنا بعد للرجوع الى شرح المثل المجعول في طالع هـذا المقال وهو (لقد ضاع شعري على بابكم الخ) فان لقلمنا في شرحه بدائع وعجائب والله ولي التوفيق

هنشير (ان شاء الله) (١)

او

كيف يصير المرء مالكا

عـدد ١٠٣

كتب المسيو (كولورا) الكاتب العظيم المقال الاتي في جريدة « البتي ماتان » والى القراء نص ترجمته :

يعلل المرء بعناء عظيم التقلبات المتجددة التي تطرا على فكر رجالنا السياسيين اذا حصل الجهل حقيقة ـ بالدور الذي تقوم به المساعفة في سير الامور بالايالة التونسية . ويمكن هنا التحصيل على كل شيء بشرط الصبر والتساهل في الوسائل والتنازل ازاء الهيأة الحكومية ، اذ بدون هذه الصفة يعسر الاحراز على الانصاف وكذا يعسر ايضا بواسطة اساليب شاطرة على مراكز او خيرات يجب الاحراز عليها بالاهلية او طبق القانون . .

لقد لوحظ كثيرا في البحث المتعلق بارباح الحرب الانقلاب الفجاءي من بعض ارباب الحيثيات ولم يعسر الاطلاع بقليل من الاختبار النفساني عن الاسباب الحقيقية لهاته الحيانات البسيطة . فالبعض يبحثون عن امتياز الشرف خشية اعتبارهم دون الثقاة

(١) اثر هـذا المقال وقع ابعاد صاحبه نفيا من الديار التونسية بقرار من السفتر الجمهوري وذلك استنادا على امر (١٧٧٨) الامبراطوري . . . . . .

وهو مع ايجازه يعطيك مذاقا من عذوبة السياسة الاستعمارية في جزئية من جزئيات تصرفها العادل . . . .

والاخرون شاهدوا الفصل المفيد لهم في حـالة نزاعية وغيرهم رجوا من الادارة مشاريع اوسع نطاقا في ظروفهم واكثر من كونها خلابة ازاء العفة . . . .

قبـل اقتراع المجلس الكبير لهـذه الـسنـة ويتذكر المرء التصريحـات التي تلته ومن اهمها ما يجدد ذكر تصريحـات مسيو « بلتي » رئيس الحجرة الفـلاحية . ففي لسان وقعت العادة باطلاق الرفعة عليه صرح نائب المعمرين بوطنيته الحميمة نحو الانظار السفيرية وبعد ان حمل بفصل انيق على دفـع ارباح الحرب حرق ما عبده وبخر به قبر الولي (السفير سان) الذي عظامته الكريمة تشع فوق مملكة البابات

ان الذين على جهل بالامر سيعلمون المصالح الكبرى التي ابكتت ضمير م . « بلتي » المتحير

قد اتى في غابر العهد م . بلتي الى الايالة التونسية بعد عمل مفيد بقناة بانما فاحرز اولا على مركز بسيط ثم اتسع شيئا فشيئا امامه افق الاماني ولقد اختار ملكا كائنا بالكاف وهذا الملك الذي لم يكن إلّا في بعض مئات الهكتارات انقلب شيئا فشيئا متعاظما في اتساع الارجاء واليوم ينتظر صدور حكم المجلس المختلط في شان التسجيل

عند وضع المطلب وجد نفسه م . بلتي امام سبعة عشر او ثمانية عشر فريقا من المعارضين . وفي هاته الايام الاخيرة يمكن ان يعد بالمجلس المختلط ثلاثون او اربعون معارضا . اتحد بلتي مع بعض الفرق الاولى وترك الاخرى تسقط بمزيد الفشل

أن العضو المقرر المكلف ببحث النازلة والتوجه على العين اقام ثمانية او عشرة ايام بالعقـار وامكنه حضور مناظر استثنائية ورسخ اعتقاده ان لم يكن على معـاملة حريفه فعلى الوجه الجاري عليه الامور بالوطن التونسي . . . . ؟

وكذا كان على اثره بدويتان وقع تجريد بعليهما من مرتزق الخيمة تتبعتا خطوات العضو المقرر مـدة العشرة ايام المقضيـة بالهنشير وفي كل كانتـا تجددان شكايتهمـا وتوجيعاتهما بصوت جهوري « لقد وقعنا في العراء ولم يبق لدينا شيء ونطلب الانصاف من هذا المعمر الخبيث الـذي خرب بيوتنا » .

حين ان م . « بلتي » شغل قسما من الملك الذي باعه له نفر من اولى السـوابق العدلية يسمى القياس وجد بالاراضي بعض الفلاحة المطالبين بالاملاك المتصرف فيهـا

اهاليها منذ قرون فوقع استدعاء اولئك البدو المتغشين عند المراقب ، « برات » امام ، « بلتني » وعدلين والقياس البائع المذكور وبعد هذه المقابلة صرح م . بلتي ان السيد القياس اعترف بحقوقه المنجرة بالشراء على الجهة المتنازع فيها حين ان القياس نفسه كان يصرح ان المراقب اجبره على مقاله الغير المطابق للحقيقة ، فاحتج م . بلتي على مدعيات السجين القديم اذ ان الشرع لا حق له في اعتبار مطالبات نفر كهذا لا يمكن الاعتقاد فيه . . وستنتج من هذا ان منصور القياس حين بيعه لمسيو بلتي ما لا يملك كان رجلا كريما ولم ينقلب كريها إلّا حين معاكسته لمطامح سيدي رئيس الحجرة الفلاحية .

نعم كانت تنتظر مداخلة صارمة من ادارة الاوقاف ولكنها لم تقع إلّا متلطفة اذ ان « ميتر قودياني » المشغول بلا شك بامور اعظم اهمية مع انه لا يريد التداخل في مرافعة يجب موافقة الطالب فيها على مرغوبه فتخلف عن تمكين الاحباس من دفاعه بقوله المسموع وكلامه البليغ . . . . . .

ناضل م . بلتي بنفسه عن الجهة الادبية او الساقطة من النازلة بما لديه . . مما يجب الاعتراف بملكيته للهنشير حيث انه مضت عليه عشرون عاما في الرغبة فيه وصرف مالا كثيرا . . . وحينئذ له الحق في الفلاحة به وباعتلائه فوق النزاع قلب مسالة النزاع الملكي الى مسالة نفوذية فرنساوية . وهذا ضرب من التوغل . والحقيقة ان م . بلتي صرح انه صرف ٥٠٠٠٠٠ فرنك لامتلاك عقار العرب وهذا شيء طفيف اذا وقع الاعتبار ان العقار يكيل ٧٩٠٠ هكتار .

ان م . بلتي عضو وكاهية المجلس الكبير وهو نور فلاحي ومعمر لم يقم إلّا بالاتجار في الاملاك سوى انه ذكي ومعتبر وصاحب قول ولا غرابة من الاعتماد عليه للجمع حول الاقتراح السفيري في ارباح الحرب لبعض المترددين

هل يفوز م . بلتي بنازلته ؟

من الممكن !

سوى انه يمكن له الخسران ونكون في ذلك اليوم اول من يقول انه يوجد حكام بحاضرة تونس وانه فوق الادارة الشرع . . . .

الاثار الخالدة

عدد ۱۰۳

قد استوت بنا سفينة السفر والتجوال في اواخر جانفي من سنة التاريخ على مدينة تبسه العتيقة من بلدان ايالة الجزائر . ونظرا لواجب تقوم به نحو التاريخ الغابر والحاضر قد رأينا ان نجعل جولة قلمية في ذلك وفيما شهدناه من الاثار والاطلال الرومانية التي يلوح منها العبث بمرور الدهور وكر الاف السنين حيث لم تزل شاهقة مقامة الهياكل تضحك عنه . وتنطق (وهي سامطة) بما كان لمشيدها من العظمة البشرية والتمدن والعمران .

نعم يقف الانسان امام ابواب المدينة وحول اسوارها المرتفعة فيشاهد قطع الصخور العظيمة المنحوتة في اعلا البناء والاعمدة الطويلة من الحجر الصلد مرفوعة في الهياكل بشكل هندسي لم يتزعزع من مر الدهور ولو قيد شبر . فيحار العقل تصور الالة التي اوقفت تلك الاعمدة في امكنتها ورفعت هاتيك الصخور الى قمة البناء الشامخ . لان علم العيان يحكم بان ذلك فوق طاقة الاف من البشر . ويزداد اغرابا اذا علم وان التاريخ لم يثبت للرومان استخدام قوة البخار في جر الاثقال . ولكن ما عليه إلّا ان يقول ان الحد العلمي الذي وصل اليه اهل هذا الزمان لم يزل ناقصا وان فوق كل ذي علم عليم

يوجد بالقرب من المدينة المشار لها اطلال رومانية على بعد ميل من ناحية مطلع الشمس تسمى عند اهل البلد بالكنيسة الجاهلية . وان الذي يقف حولها لا يستدل باثارها المنظور اليها بما يشعر وانها كانت معبدا . لانها فناء متسعا واقواس تسلم على السماء ارتفاعا ومجالات تصلح شاوا للسباق . وانه بالنظر الى محيطها المعتنى بحفظه اليوم وسلمنا انها كنيسة . فيستدل على ان تلك الارجاء كانت اهلة بنحو عشرين مليونا من النفوس . وهو غير بعيد اذا نظرنا ربطها بمدينة تالة وسبيطلة وما في جميعها من الاثار وقربها من بعضها خطا وموقعا . والمظنون انها كانت مقسمة

الى مراسح او دوائر حكومية عامة فسبحان من يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين . ومما هو جدير بالذكر ان هنـاك مقبرة اسلامية قديمة على مقربة من المدينة . وكان من نكد الدهر على الاموات والاحياء ان دعت الضرورة لمد طريق عمومي الى دشرة تسمى بالزاوية بالقـرب منهـا فتحتم اخـذ شيء من حافة المقبرة المشار اليها . فانه عند مباشرة العمل بالحفر والتسوية عثر على اطلال رومانية ابتلعتها الارض وارتفعت فوقها لحد ان صار المرتفع من التراب صالحا للدفن

وان بتتبع الاثار تبين وان غالب المقبرة تحتها اثار واطلال قديمة ذات اعتبار . وقد عرف منها حمام قد شاهدنا جابيته ومجاري المياه وقاعة من الجليز الظفري البديع الشكل واللون بحيث لم يتغير لونه القرون تحت التراب

واعجب من ذلك كله (والبقـاء لله وحـده) ان اكتشف على مقـابر رومانية تحت الاجداث الاسلامية وعاينت بنفسي قبور الرومان تحت لحود المسلمين في الحفائر العميقة بحيث اذا جاء الناظر من جهة الحفر تقابله اللحود كبناء ذي طاقين بين اللحد واللحد نحو ثلاثة اذرع من التراب والكل شرقا وغربا مما يؤذن بان اصحاب القبور من المومنين بالمسيح عليه السلام .

وان الذي يولم حقيقة ويحزن هو مشاهدة العظام البشرية الناخرة والجماجم الانسانية والوجوه الادمية والقوائم من جسد الانسان المكرم مبعثرة مهانة ومداسة ومختلطة ببعضها وبدون ان يتهيب منها الانسان فتحترم . مع انها تنذر ناطقة بان كل من على ظهر التراب تراب وان طغى وتكبر وحكم وتجبر !

وان الذي لاحظناه ان قبور الرومانيين اشبه بالصندوق الذي تجعله المسيحية اليوم ولكنه من الخزف مجعولا على طول القبر ومطبقـا كذي خطوط ثلاث . وهو الفرق الذي يعرف به قبر المسلم من الروماني اذا تقاربا

ولقد حكى لنا عضو بلدي من الشبيبة الحازمة انهم اعترضوا على هذا العمـل وطلبوا ابطال الطريق وتوقيف الحفر اكراما للاموات . فبلغ المراجع العالية وتعين متصرف قسنطينة للنظر في الامر واخيرا ارسى الحال على مباشرة الحفر رغبـة في الاثار من ان تبقى تحت التراب . رجـاء ان تعثر البلـدية على كنوز تشابه كنوز وجدت حول قبر فرعون الاخيرة بمصر ...!

غير انه وعد بحفظ العظام في مكان ءاخر ولكنه لم يفعل بل زاد اعتذر جهرة بان المسلمين اعتدوا على المقبرة الرومانية واتخذوها مقبرة لهم. وهو عذر بارد لان المسلمين لو علموا وانها مقبرة جاهلية لتجنبوها لان ديننا يحرم دفن الاموات في غير مقابر المسلمين ويحترم ويكرم اموات بني الانسان مطلقا .

ومما ذكره لنا بعض موانسينا الفضلاء انه عثر على جثة امراة كاملة لم تتغير وعرفت انها امراة لوجود لفة حريرية مربوط بها راسها . وقد استدل على ان اللفة من الحرير بالفحص العلمي وقالوا انها عزيزة قوم او امراة صالحة . وانه نظرا لمكان القبر وعمقه من الارض امكن ان يظن ان دفنها كان منذ خمسمائة عام فارطة وقد اعتني بنقل جثتها الى مكان ءاخر ودعيت بالولية الصالحة وقبرها الجديد يزار اليوم رحمها الله تعالى ورحم جميع المسلمين

ومما هو متواتر على الالسن هناك ان الحافر الاول عليها والذي اعان البلدية في هذا الابتكار قد مات من مرض عضال علق به بعد الواقعة بنحو اسبوع . وانه لا مانع من صدق ذلك وقد يشاع اليوم مثله عن نابش قبور الفراعين بمصر فما بالك بالصالحين والامر لله من قبل ومن بعد

وفي الختام اشكر ادباء البلد واعيانها وفضلائها على اكرامهم لنا بالتعظيم والاجلال وحثهم على احياء المدرسة العباسية وتشييد غيرها فان في اشادة المدارس واحيائها احياء للشعوب . وانه من العار على الحكومة الجزائرية ان تصغى لوساوس اعداء العلم وانتشاره وان لا تعين اهل الولاية على نشر التعليم الابتدائي العربي الحر . فتقف في سبيلهم بحاجز المنع والالغاء حتى اصبحت الجزائر الاهلة بنحو خمسة ملايين وطنيين وليس بها مدرسة حرة من الحد الى الحد وراية الجمهورية تقابلك فوق كل واجهة. وهي راية التمدن والعلم كما يقولون حتى كادت اللغة العربية ان تكون غريبة في ذلك الفضاء المتسع العامر وصاحب التاريخ العظيم

فتوى شرعيـــة

او

الصحف الهندية ومسئلة التجنيس

بلغ صدى مسالة التجنيس التونسية الى اقاصي الهند ، وقد اشتغلت صحفها اشتغالا عظيما بالمسالة من سائر وجوههـــا الدينية والقومية والاجتماعية والسياسية واغربت امر اسنانها ايما اغراب . وقد انحت باللائمة على الحكومة الجمهورية التي تعهـدت بحفظ البلاد حفظا سياسيا ونقضته بفتح باب التجنيس الماس بكيان البـلاد السياسي والقاضي على القومية التونسية بالفناء والعابث باحكام الدين

وقد وقفنا في رصيفتنا « الخلافة » الكبرى التي تصدر باللسان الهندي ببنباي بعدد ١٤ من الجزء الثالث المورخ في ١١ جمادى الاخر وفي ١٨ جانفي سنة ١٣٤٢ على فصول من قلم مديرها التحرير الاستاذ علي بهار خان في المغنى المذكور باسهاب واطناب

وقد تعرضت الجريدة المشار لها باسف لسكوت العلمـاء التونسيين عن هاته المسالة الخطيرة سياسيا والمخطرة على ديانة المتجنس ،وقالت ان المسالة لا تهم التونسيين وحدهم بل تهم سائر المسلمـين وبالاخص مسلمي الهند الذين هم اليـوم في وقفت الدفاع عن العـالم الاسلامي اجمع كما يشهـد لهم بذلك مواقفهم المشهـورة مع دولة الخلافة والبلاد المقدسة ولا يالون جهدا في ذلك الى ما شاء الله

وقد استفتت جريدة « الخلافة » المعتبرة وجريدة « نجات » التي تصد بنجور من اعمال الهند وغيرها علماء الاصقاع الهندية في حكم المتجنس دينا . وقد بالغوا فى الخوف من خطره فالحقوه بصنيع اسبانيا في الجزيرة من حيث المثال

وقد اجاب عن الاستفتاء المذكور حسب ما قراناه بالرصيفة الغراء احد فطاحل علماء الهند فضيلة الامام تاج الدين بن عبد العزيز (الحيدر ابادي) الهندي في منع التجنيس وانه كفر ،مذيلا فتواه بنقل عن الزيلعي والدر المختار ومشير الى فتوى

قديمة كانت صدرت من علمـاء تونسيين في كفر المتجنس بجنسية المخالفين له في الدين وقد ذكر اسماءهم وهم من ياتي :

احمد بن الخوجة	شيـخ الاسلام
حسن عباس	مفتي
محمد بيرم	مفتي
الشاذلي بن القاضي	مفتي
مصطفى رضوان	مدرس

هكذا ذكرهم ولا اعلم من اين اتصل هذا العالم الجليل بنص هـذه الفتوى التي بخل بها علماء تونس الحاضرون عن الامة حتى اتخـذ سكوتهم مقرر مسالة التجنيس في مجلس الشيوخ الفرنسوي حجة على ان المسالة لا تمس بالدين

فمرشد الامة ـ يرفع على كاهل الامتنـان تحية الامة التونسية لذلك العـالم الحجة والى امة الهند باكملها ثم يشكر رصفاءه الذين ابلغوا بلسان صحفهم المنتشرة شكوى التونسيين وما منه يتالمون . ويفصح باعجاب عن موقف امة الهند اليوم تجاه الانظار الاسلامية قاطبة وناهيك بمن كان سببا في نصر دولة الخلافة التركية العثمانية وفوزها الاخير ماديا وسياسيا ، بحيث ان الهند اليوم اصبح ملجأ المعاضدة والموازرة والمناصرة العمومية وقبلة المستنجدين من المسلمين

هـذا ومما وقفنا على ترجمته من الفصول بعد الفتوى فصل احتجـاج ضد مشروع التجنيس وجهته رصيفتنا الخلافة الى امة فرنسا من لسان مسلمي الهند يتلخص في الجمل الاتية : ان مشروع التجنيس بتونس اغضب العالم الاسلامي وخصوصا مسلمي الهند الذين يواصلون الاحتجاج ضد اجرائه للرابطة الاسلامية التي بينهم وبين الامة التونسية وتتعجب بافراط شذوذ الحكومة الفرنسوية بهذا القانون عن بقية الدول الاستعمارية كدولة ابريطانيا التي لها في الهند ثلاثة قرون ولم تلتفت لمحاولة اجراء عمل كهذا اه ملخصا

ماذا استفاد الشعب

من المجلس الكبير ؟

عدد ١٠٤ في ١٢ رجب سنة ١٣٤٢

الشان في الامم ذوات المجالس النيابية وان بلغت من الرقي ما بلغته من نشر العلم والعرفان بين جموعها ورفع منار العدل فوق ربوعها واجراء المساواة بين افرادها فانها تستقبل فتح مجالسها النيابية بغاية الارتياح والانشراح مبتهجة بمذاكرات نوابها وجهادهم في سبيل المصلحة العامة وفائدة البلاد. حيث ان الحكومات التي هي حكم فردي في الواقع لا تخلو من افراط في تصرفها لان الفرد فرد في عمله وقد يرى الحسن ما ليس بالحسن غالبا ، بل وعلى الاستمرار يكون عمل الاداري منتقدا في نظر الشعب

ولاجل ذلك وضعت القوانين النيابية التي تجبر الحكومات في الحضور لعرض اعمالها على نظر نواب الشعب واجفة تتطلب التصديق والوثوق بها وباعمالها ويرجفها تضعضعها ويعطشها السؤل عن تصرفها ومحاسبتها بتدقيق على الصرف والتحصيل ، . . حتى انه دوما يرى للحكومات سعيا حثيثا في تكوين عنصر في النيابة لتابيدها ولحفظها من خطر السقوط وفضائح التصرف المجحف والاستبداد المشين

لذلك كان الانتظار من فتح المجالس النيابية معلقا عليه كل اصلاح عام ويرى على الشعب في تلك الاوقات (تحفزا) لتتبع مذاكرات نوابه وسير ارائهم وفهم اقتراحاتهم واسداء من يستحق الثناء وتانيب الجامد منهم والجبان وذي الطمع بانواع التانيب

تلك بعض صفة المجالس النيابية وذلك الشان هو شان الشعوب ازاء مجالسها الدستورية فهل يقال والحالة ما نحن عليها ان الامة التونسية تلقاء مجلسها الكبير بذلك المنوال او بما يقرب منه او على جزء من مائة جزء منه ، وهل من فائدة تنتظر من مفاوضاته وثمرة تثمرها اجتماعاته ، وهل يقارن بها بوجه من الوجوه حتى يقال

انه خطوة في التدرج نحو الرغائب المطلوبة ويبتهج بفتح ابوابه وباجتماع نوابه كبقية مجالس العالم النيابية او يترقب الشعب التونسي تخفيف اثقاله المتزائدة وحصوله على حقوق واضحة كفلق الصبح قد حال بينه وبينها الحرمان والتسويف والاستبداد الاداري المخطر. ويصد شره الادارة عن التبذير والانفاق والاعطاء بمكيالين ! . .

هذا هو السؤال وهو محط البحث في مقالنا اليوم ومن عنوانه يعرف ذلك وهو (ماذا استفاد الشعب التونسي من مجلسه الكبير) !

وهو سؤال من حيث هو فعظيم ولكن الجواب عنه يظهر انه بسيط جدا وهو ان لا شيء. وان فائدة وان لا ثمرة ولو يستغرق اجتماعه ثلثي السنة وتضاعف المطالب اضعاف اضعاف اليوم طبق ما هو جار به وبفروعه . ولا اخال احد يجسر على القول بغير ذلك فيقول نعم وان به فوائد وحصلت منه رغائب ما دام الشكل هو هو والترتيب الاساسي يدور حول دائرته اليوم وان لا قرار نافذ له ولو اتحدت اعضاؤه واستشبرت الامة بحذافرها في حال ان الحكومة تفعل ما تشاء سلبا او ايجابا . . .

نعم. وانه لاينبغي الاغترار باقوال بعض المنافقين من الصحف بمطالبتهم لاولئك النواب القيام بالواجب وانهم مسؤلون امام الله والوطن. فانها خدمة ادارية بحتة لتضليل الافهام وتوسيع دائرة الامال والانتظار . لان اولئك المخذولين هم عبيد الادارة ومن فيها .

وإلا كيف يقال لهم ذلك وانهم قد نقلوا عن احد النواب انه واجه مدير ادارة المعارف والعلوم التونسية وطلب منه ادخال اللغة العربية في الشهادة الابتدائية التي هي لغة البلاد فاجابه بعدم امكان ذلك خوفا من تضايق اللغة الفرنسوية . ولكنه تاسف له . فهل بعد هذا يقال للنواب بالمجلس الكبير تسلحوا تزودوا تبصروا فانكم المسؤلون امام الله والملائكة والناس والامة والوطن .

على ان اغلب النواب سئم من الحالة وضاقت انفاسه من بقائه بمنصبه ويتملص من الحضور ويفكر في التسليم ويعتذر عن ابداء رائه وتكرار مطالبه التي بمراجعة كراسة الاجوبة عن المطالب يتضاعف اسفه عن الوقت الثمين الذي اضاعه في الفراغ حتى ان لهاته السنة طلب من النواب تقديم المطالب وايضاح الرغائب فاتحدوا على ان

لا فائدة في التكرار ، وما على الحكومة إلّا ان تبين لهم ما فعلت في مطالب السنة الماضية من هذا المجلس وبقية مجالس الاعمال والجهات ...

واتماما للفائدة نذكر هنا بعض اجوبة الحكومة عن بعض الاسئلة ليقع تحقيق ما اسلفناه في الذكر حتى يتحقق اننا لسنا بمتحاملين ولسنا ممن ينظر بعين واحدة كما قال لنا احد رؤساء الادارات اثناء مجادلة طويلة ويعني باننا لا ننظر الحسن وانما ننظر القبيح فقط وهي اقتراح احد النواب ونصه : نظرا لكون الفلاحة هي مورد لاهالي المملكة التونسية ونظرا للضيق الحاصل للاهالي بسبب الاستعمار خصوصا في شمال المملكة وداخلها ونظرا لما لهذه الحالة من الهول يقترح ما ياتي :

اولا - يشارك الاهالي بصفة فعلية وعلى نسبة عددهم في توزيع الاراضي وان يتمتعوا بنفس التسهيلات الممنوحة للفرانسويين صحيفة ٥٩ من كراسة المجلس . فكان الجواب ان الاستعمار الفرنساوي لم يحصل منه ضيق على الاهالي بل اداهم الى استعمال الاراضي التي بقيت على ذمتهم بكيفية احسن من ذي قبل والتحصيل على نتائج احسن .....

وقد ابقى للاهالي من الارض الدولية الواقع تقسيمها نصيبا مناسبا لضرورياتهم والى مقدرتهم على الخدمة ......

ثم ان ادارة املاك الدولة ستثابر في المستقبل على اقرار المتسوغين باراضيها وهذا المشروع بدات فيه من عام ۱۹۱۹ وفي اواخر سنة ٢٤ يقع اقرار عدد من العائلات الاهلية تقريبا وتمنح التسهيلات في الدفع . هذا هو الجواب الاداري عن السؤال ومن شاء بسط ذلك فليراجع كراسة الاقتراحات والاجوبة عنها وخصوصا الجواب عن اقتراح نائب الهمامة صحيفة ٢٧ ونائب حجرة المجاز عدد ١٦ وعلى مطالب التعليم مطلقا

ومن ثم قيل ان لو لم تكن هاته المجالس بشكلها هذا الغير المثمر بل الذي يغص الحر من تذكر مجرياتها لكان اجمل ولبقى العيش في فسحة من الامل والانتظار

نعم نقول انه فتح المجلس الكبير للمرة الثانية ولا يلزم التذكر في بانه في سنته الاولى قد قفل عن موافقة وامضاء ضرائب تقدر باكثر من ٢٠ مليونا بعد اخذ ورد

وجهاد في فهم الخطب والقرارات ... وذلك لاتمام ما يسمونه بالجهاز الاقتصادي والرقي الادبي ونشر المعارف والصنائع واحيائها . وبعبارة اخرى تنال البلاد نصيبها من الحضارة وتتاصل جذور الثروة العمومية والنخوة التمدينية وغير ذلك من العبارات التي لا مدلول لها في جانب الشعب التونسي بحال اذا رعي الانصاف بتحيق

وقد كان يظن ان الميزان التونسي الضخم سيقف عند حد او سيقهقر لهاته السنة لوجوب اجراء حكمة الاقتصاد في الصرف والانفاق بالتقليل من المتوظفين وطرح الثلث الاستعماري الذي لا ينطبق على معقول ومولم للعقول لوفرة اصل المرتب وعظمه . فما راعنا الّا وقد زيد فيه ما يقرب من اثنى عشرة مليونا تقريبا قالوا عنها انها سترد على الاجانب ارباح حرب وغير ذلك ما يحقق قول السفير (ان تونس بلاد صغيرة ولكنها ذات سياسة عظمى) حسبما عبر به في خطابه الافتتاحي لمجلسها الكبير الذي سياتي شرحه

كل ذلك كان بعد علم الحكومة بان صابة هذا العام وخصبها قد اكتسحتها الضرائب وان الشعب في اطراف مسغبة من الغلاء والاداء والضيق . وانها على علم من ان فائض القروض التى لم تنفذ الى الان فائضها جار على الميزان منذ عام ١٢ وعام ٢٠ ما يقدر بالملائيين ...

افتتح المجلس الكبير كما فتحت فروعه مرتين فتراكضت النواب من وسط البلاد ومن اطرافها لتعمير ارائكه فكانت النتيجة ان امتلئت الكراريس بالمطالب والاجوبة عنها حسب مشيئة الحكومة ثم رنت خطبة المقيم الفلسفية في اذانهم بدون توصل منهم الى اخذ حوصلة منها يبتدؤ بها او تكون خبرا لمبتدأ محذوف . سوى جمل تشف عن قلق من اسماع الحق والشكوى بصراحة وبيان ان الاستمرار على الوعود الخلابة وتكرارها من ءان لاخر بلا حاصل ولا نتيجة قد وقع املاله . وانه من الغلط ايضا ادماج تلك الجمل وسط خطاب افتتح به العمل بمجلس نيابي ذي شقين وسياستين فيمكن ان يعلم الموضوع ولا يدرى المحمول او يكون في اقسام النكرة المقصودة او الاعلام التي تعرف بالاضافة والنعت .... بدل الافصاح عن النتائج المحسوسة والمترقب اعطاؤها لليد الفارغة والتخفيف عن الجيوب التي نضبها الاستنزاف

فكان ذلك بدل الامكان والتفكر والنظر والايماء الجارح والاشارة به لا الى شيء في الوجود . حتى بعد عن الحكمة ووقع في الاخلال بقاعدة الاعتبار المناسب في في الكلام . على انه لا يسلم بوجود من في الوطنيين من يقوم بدعوة الغلط والاستنقاص . ولا من هو سالك مسلك التعطيل في السير المرتكز على الاتحاد الودي والاخلاص المتين . ولا من يفكر في تعكير حب المشاركة المشتركة المصالح والمقامة على الحكمة التي تمكن ابناء البلاد من سلوك منهج الترقي . ولا منهم من يتوهم بان من صراحة القول والجهر به يخضع القوة العتيدة وينال الادب من ذي الجبروت المسلح بالعدد والعدد . لان المتصف بهذه الصفة مجنون او في ضلال كما قال المقيم . ولكنه لا يوجد . . . .

وغاية الامر اذا الحقنا هاته الجمل بانذار (الديش) حول مسالة التجنيس انقا واجريناها على ذلك الوتر فانه غاظ يضاف لبعضه بعض . ولكنه لا يحمد تكراره مرتين من سياسي حكيم كالمقيم سان قد علقت عليه الامال واتمام الاعمال واصلاح الاختلال حتى يواجه الالحاح في طلب الانصاف والحق والصراحة فيه بذاك وبعد ان ذهب الانتظار والصبر بجيل من التونسيين . وهم بين اسماع لذائذ الخطب ولطائف الوعود التي تصور لهم جبالا من الاماني والاحلام فيصفه جنابه تكرما بانهم من القسم المعطل والشق الباذر لبذور البغض والشقاق . وهم المخلصون حقيقة والذائدون عن سمعة الحكومة بطلب تحقيق مباديها وهم الامة بحذافرها ايضا وان لا قوة عندهم إلّا صولة الحجة والحق . ولا سلاح لديهم غير المحابر والاقلام والالسنة الفصحاء والصدق والثبات . وكل هاته الاوصاف لا تنطبق على مدلول تلك المغامز ولا تتحد مع هاتيك الاشارات بحال

هذا ومما جاء في الخطاب السفيري من الفلسفة السفسطائية ايضا قوله (انه قد حان وقت البحث عما كان من الممكن القيام به من الاعمال للتحصيل على سير الرقي جنبا الى جنب بصفة احسن من ذي قبل) فان نفس هذا المعنى او ما يقرب منه قد فاه به احد المقيمين السابقين في اول جلسة من المجالس الشورى عند ادخال الاعضاء الاهليين فيه عام ١٩٠٧ فقال انه الان قد حان الوقت لمشاركة الوطنيين في شؤون

البلاد ومصالحهم. وقد كرر ذلك كل مقيم في كل خطاب سنوي من ذلك القبيل. وان الذي يراجع خطب المقيم الابتيت يجد فيها اكثر من ذلك من ان تونس قد قربت لان تاخذ رشدها . وان اختلفت لفظا ففي المعنى هي هو على خط مستقيم

هذا مع قطع النظر عن معنى قوله (حان الوقت للبحث) ولم يقل حان الوقت لان نباشر فيه العمل ... وعن قوله (عما كان من الممكن ولم يقل من الواجب لان البحث والامكان يمكن اطالتهما لجيل اخر ايضا........... وغير ذلك من العبارات المملوءة الظاهر الفارغة الباطن المعروفة من السياسيين كامثال هذا السفير الحكيم.............

ومما يعجب منه ان جريدة القلاتيين قد اذنت بلا خجل في اعلى منارها بنهج الكومسيون بقولها فيه انها تصرح (حي على النجاح حي على الفلاح فوق رؤوس الملا ولا تظن انه يخالفها احد. ولا عبرة بالمتهوسين والمشوشين ومن يسبح في الخيال...) الى ان قالت انها هي السياسة المنتجة التي اذا سلكناها نصل الى المرغوب ونحصل على المطلوب ونظفر بالمحبوب ... وتعني بذلك مقدمات تضمنها الخطاب السفيري المذكور . وقد ذكرت عند قوله قد حان الوقت الى الخ شرحا وبيانا ما نصه : (ما الذ هاته الجمل وما احلى نغماتها الشهية..) كما وصفت جملا اخرى من هذا القبيل بالحكمة البالغة كانها تكتب في الادب او تشرح في الجوهر المكنون على الثلاث فنون..

في حال ان بعض عبارة الخطاب ما نصها . ان السياسة التونسية لا تصير سياسة عظمى إلّا اذا توفقت حكومة الحماية بعد الاتفاق مع المجلسين والجالية الفرنسوية الى حل هاته المشكلة بوجه معقول الخ فقد علم منها ان الامة التونسية كمية غير معتبرة المشورة . وان لا حجة في ذكر المجلسين لان الجالية قد ذكرت ومجلسها والحكومة ومثل هذا ينبغي ان لا يعتبر قول ممثلي الامة وهم في ذلك العدد وامتهم تقدر بالمليونين والمجلس بنظامه العقيم

ولا يحتج بان القسمين بشكل واحد من حيث التراتيب العامة وقد افاد منتخبيه وهو راض عنهم وهم عنه راضون حيث لا حجة في ذلك ولو مع قطع النظر عن الانتخاب وعدده الوافر المتضمن لمناسبة المنتخبين (بالأسر) عددا مع الكفاءة في الجميع لان الحكومة فعلا في جانبهم وبصريح لفظ العميد المذكور

واما الشعب التونسي فحجته ان لا صوت يسمع لمن قيل عنهم انهم ممثلو الفكرة الوطنية من النواب ولو في الحق وذلك كثير . . .

ويكفي حجة رد مدير ادارة المعارف التونسية بلا خجل على النواب مطلب ادخال اللغة العربية في الشهادة الابتدائية كالفرنسية وهي لغة الدين والبلاد ولسان الحكومة الرسمي . ولم يقدر المجلس على اجباره او يتجاوز معه حد الالتماس من ذي ضعف وذل . بدعوى انها تضايق الفرنسية التي لا انتشار لها ولا اقبال عليها لسقم برنامج تعليمها وتلقينها بغير نصح بحيث اصبح من بيده الشهادة الابتدائية فيها لا يفوت دراية من تعلمها بالمراسي او بالمناجم من العملة وخدمة الطرقات العامة بفضل التعليم الغير الصحيح

زيادة على قلة المكاتب وضيقها وفقدانها في كثير من الجهات بل حتى انها ردت من ابوابها في هذا العام المئات من ابنائنا بدعوى الضيق وقلة المحلات التي تكرى وصالحة للتعليم . . .

بينما نرى الادارة قد شيدت لغير الوطنيين ما فوق الكفاية ولا زالت تشيد بمئات الالاف من الميزان

لذلك نكرر القول ونزيده وضوحا بان المجلس الكبير وفروعه لم يحصل التونسي منهم على فائدة . وهيهات ان يستطيع احد ابنائها بان يشير اليها اشارة حسية ولو من اعضاء الحكومة او النواب انفسهم لان ما بعد العيان بيان

وفي الختام دع المغررين يحتطبون في الظلام وينشرون الفصول ويكررون العبارات ويعيدونها على الاسماع المعرضة عنهم لغاية يحاسبهم عليها رب الارض والسماء في يوم الجزاء وما جزاء ذلك اليوم ببعيد

صدى المجلس الكبير

بعد انتهاء جلساته

في ٢٩ جمادى الاولى عام ١٣٤٢

يعرف الصدى بانه اثر من تصادم الاجرام ببعضها او صوت يتكيف به الهواء فيحصل منه دوي يتجدد في ازمنة متصلة الاكوان والاونة وذلك حسب التموجات الهوائية التي تحصل من شدة التصادم اوالقرع قوة وضعفا .

وهو بهذا التعريف يكون حقيقة فى الحسيات فقط واما في المعنويات فيكون مجازا غير مرسل على مذهب (جار الله تعالى) وعلاقته حصول الشبه بين الاثرين واقله حمل وصف الحسن والقبح عليهما معا . فيقال صدى الحادثة مؤلم وصدى المجلس الكبير (مضحك) وصدى الخطاب حسن جدا ......

وربما تجتمع فيه الحقيقة والمجاز (وضعا لغويا سكاكيا) .. والقرينة ما يفهم من المقام كالصدى الذي نحن بصدد الكلام عليه وهو صدى المجلس الكبير بعد انتهاء جلساته .

وربما يكون من الحسن هنا ايضا اجراء مدلول قول الشاعر ترشيحا .. وهو

فدع كل قول غير قولي فانني ٭ انا الصائح المحكي والاخر الصدى

نعم لا ينكر انه قد حصل من المجلس الكبير في هذه السنة صدى تصدعت منه الاسماع وامتلئت به الاذان وقد ردده جو المملكة واجتاز حدودها ولا زال يردده الفضاء ولا اخاله إلّا مستغرقا لازمنة السنة الجارية الى ان يتصل بالعام المقبل ان شاء الله تعالى . وانه لا يخشى على ملاشاته حيث ان فروعه كمجالس الجهات ستفتح قريبا ايضا مستهلة الفتح كالعادة بالقاء الخطب الفلسفية العالية . ثم يتجدد اللجاج فيها وتتكرر المطالب وتعاد الرغائب من جديد ويحمى وطيس الجدال والمناقشات الاسترحامية والاستجدائية ... وتكون ان شاء الله تعالى صحيفة نهج

الكمسيون الادارية باقية في عافية وسلامة ، مجدة في النشر والاسهاب واعطاء الحقائق حسب خطتها وبيان الرقائق كعادتها فان الراي العام التونسي لا يعدم ذلك الصدى ولا يحرم لذائذ نغماته (الشهية) ولا حلاوة عباراته الوعودية طبق قول تلك الصحيفة نفسها لان فى ذلك السلوك المموه هو البغية الادارية والموجب لانعطافها دواما واستمرارا على ورق الصدق والاخلاص ما بقي الصدى ....

اجل ، فكيف لا يوثق ببقاء ذلك وقد شوهد لهذه السنة بتلك الواسطة الصادقة وجدها في نشر المفاوضات في وقتها وعد الاقتراحات فى يومها ثم الجدال والمكافحة والخوض والرفض والتامل والانظار ، حتى خيل للعموم كانما المجلس الكبير اصبح مجلس امة بكل معنى الكلمة تهابه الحكومة وله القول النافذ في اقتراحاته والقرار الاخير ....

وخصوصا بما نشرته بعد ختامه بدون حياء ولا خجل ، حيث قالت ما خلاصته ان المجلس الكبير قد اسفر عن نتائج هامة وفوائد عظيمة وارباح عميمة وعطايا جسيمة ، وان نواب الامة قد عادوا لاوطانهم بجر الحقائب والجيوب ....

فانهم قد حصلوا واستحصلوا وفازوا ونالوا وحازوا اشياء كثيرة واليك هي حسب قولها الفصيح ......

استحصوا اولا على خمسه عشر الف فرنك اعانة للصادقية لارسال تلامذتها الى فرنسا لمزاولة العلوم العالية (فيا للغنيمة)

استحصلوا على مائة الف فرنك لنشر العلوم بواسطة مجالس الجهات (فيا للفوز)

استحصلوا على اعطاء رخص في فتح كتاتب قرءانية (فيا للنجاح)

استحصلوا على توسيع نطاق التعليم العربي بالمكاتب الدولية (وعد مسجل اذا وجد المال)

استحصلوا على زيادة عدد المدارس في الحاضرة وبلدان المملكة (اذا وجدت مخازن للكراء وديار تصلح للتعليم) ......

استحصلوا على الرخصة في سلفات البذر من الشركة الاحتياطية مالا او حبوبا (اذا امكن) ......

استحصلوا على وعد في تشكيل لجنة من النواب انفسهم يعني (منهم واليهم) في صرف القسط الاول والثاني من القرض (المبارك) المعد لاقرار الاهالي في الاراضي الذي كان نصيب معمري الجـالية منه اربعة واربعين مليونا دفعت لهم مرة واحـدة ونصيب فلاحي الامة التونسية منه احدى عشرة مليونا تدفع لهم على اقساط ..

استحصلوا بالنسبة لادارة البريد ايضا ان وظائفها تكون بالامتحان يناظر فيها التونسي لحد قابض ساع . وذلك حسب وعد نائب مدير البوسطة الذى سجل هذا الوعد عليه كوعد جازم ... الخ ما ذكرته تلك الصحيفة من الحواصل الكثير عاملها الله تعالى بعدله

واغرب من ذلك كله ما صرحت به من ان سبب ذلك النجاح قـد كان من اعتناء النواب بفيوضاتها الصادقة وتدقيقهم لفصولها تصورا وادراكا ثم العمل باشارتها المحكمة . وعليه فهي تشكرهم على الاخذ بنصائحها الثمينة على الاجادة وعلى الفوز الباهر والربح العظيم وتخص من زارهـا منهم برضائها المقرون برضاء الادارة وفيه الخير العميم ومن يعش يرى .....

حتى ان النواب المخلصين والذين ادركوا مقاعدهم هنالك قد ادهشهم التعجب من ذلك الافتيات المشين واغربوا محاولة تجسيم الهباء وقالوا بتاكيد انه لبهتان عظيم

لذلك وجب علينا ان نواصل فصلنـا اليوم بالذي قبلـه عن حاصـل المجلس الكبير ونكرره للشعب حتى لا يغـتر بذلك الصدى وان رن في اذنيـه وما عليه إلا ان يضع اصابعه في اسماعه حـذر الغلط والتـغرير وان يعرض عن اقوال ذوي الغايات عبدة النفوذ وعبيده . ويجتهد في طلبه ويواصل تشكياته بعضها ويعمـل لوطنه ولمستقبل ابنائه ولا يكون ككمون بمزرعة .ان فاته السقي اغنته المواعيد)

لنا اتفا عن دهش النواب (بوصف المخلصين) وذلك اخراجا لمن اشرابت اعناقهم للوظيف والذين اشتهروا احتسابا للادارة في كل مسئلة تعـرض او طلب يقدم (ان المدير اقنعهم وان تقريره كفاهم) لصلوحيته وحسن سبكه وقوة حجته ومقاصده الطيبة . ولا الذين اثملتهم التفاتات الرئيس الاعلا ثم تحياته وابتساماتـه في كل آن ....

لان المخلصين قد شاهدوا باعينهم وسمعوا باذانهم من شدة الحاحهم تصريحات جارحة قد احدثت في قلب الشعب فراغا لا يسد وكانت كوقر في الاذان

ومن ذلك قول مدير العلوم والمعارف « اين ابناءكم عام ١٨٨١ وان الملذ عنده ان يشاهد ابناء البلاد شردا في الطرقات خير من ان يراهم في المدارس القرآنية . . وانهم قد تغافلوا عن تعليمنا الخاص نحو من اربعين حولا . وان اللغة العربية لايمكن اعطاؤها حق الحياة بالمشاركة مع اللغة الفرنسوية سواء بسواء . بل تعطى حظ الاعتناء بالتصوير الى غير ذلك مما اظهره ذلك الالحاح الذي ما تعودت الادارة سماعه مما هو مضمر وكان لا يفسر إلّا بالنظر الى مجاري الاعمال فقط . وقد دلنا على ان من مديري الحكومة من يسوسنا بسياسة قسوسية بحتة لا سياسة تمدين او طرد فقر ومحاربة جهل كما يدعون . . . .

اذا . أيسوغ بعد هذا التصريح الرسمي ان يقال انهم نالوا وحازوا وربحوا مائة الف فرنك لنشر التعليم في قطر آهل بمليونين من النفوس قد احرقهم لظى الجهل والشغف بالتعليم . وفي وقت ان الادارة قد صرحت غير ما مرة بان تسعة اعشار التونسيين في ظلام الجهل يمرحون عند ما طولبت باعطاء الدستور

جاهروا بذلك وهم يعلمون ان تلك الاقوال والطلبات والاقتراحات كلها التماسا واستجداء واستعطافا وترجيا لا غير . وان لا سلطة للمجلس تخافها الادارة او يرجفها ارجحية العدد في الاقتراع

ان الشعب التونسي اليوم قد احس بمركزه الاجتماعي وانه في ارتجاج وتزعزع واصبح ينظر الى مستقبله نظر الخائف من الانقراض والمرجف من الزوال . فاندفع بعامل الحرص على الحياة الى المطالبة باسباب البقاء والحفظ وكان الذي يشكو منه ومنه كل آلامه واوجاعه لا يخرج عن طلب نشر التعليم بوجه اجباري وعن حفظ مركزه الفلاحي المرتج والمشرف على الاضمحلال ثم الشكوى من تزايد الضرائب عليه في كل سنة وتبديد الميزان بلا معقول ثم حرمانه من المشاركة في حكم نفسه واعتباره كرقيق عائلة التي منعته اوروبا واباحت بدله استرقاق الامم والشعوب

ذلك ما يتالم منه وهو شانه الوحيد وقد زاده شجونا ما يشاهد على القسمين

الفرنسوي والتونسي في المجلس الكبير من التباين في المفاوضات والاختلاف في مسائل المذاكرات كأن البلاد بلادان والحكم حكمان . فان القسم الفرنسي لم يسمع انه ناقش الحكومة في طلب التعليم وتوسيع نطاقه او ان ابناء الجالية محرومة من التعليم او انهم شرد في الطرقات . او خاض القسم المذكور في الشكوى من ضيق نطاق الاستعمار او ان المعمرين لم يجدوا ارضا شاسعة الاطراف تحفها الجودة من كل جانب وان الواحد منهم لياخذ ما يساوي عرشا كاملا من العربان او ان ادارة الفلاحة قد بخلت عليهم او قهقرتهم من اراضي الدولة واعطتها للوطنيين او ضنت عليهم بالمساواة . . . فكل ذلك لم يقع

وان كل مباحثاته انما كانت محصورة في طرق استعمارية جديدة واقامة جسور ووظائف جديدة ومرتبات باهضة ومنح واعتناء بالعائلات الكثيرة المدد تنشيطا على تكثير النسل . . . وموافقة الحكومة غالبا لهم في كل شيء تطلبه لانه يتحقق وانها احرص على نفع من انابهم منهم وقد اغدقتهم بالخيرات

بخلاف القسم التونسي فان اصوات اعضائه قد بحت في طلب التعليم وبيان الحاجة الاكيدة اليه وان ابناء الامة ستضمحل من الجهل والاهمال . وان الشعب سياكله الجوع ويفترسه الفقر من اجلائه عن ارض بها مدافن اجداده الى قمم الجبال ووحات الرمال . والعجب ان الحكومة لم يخجلها ذلك التباين الفادح والبلاد واحدة والحكم جمهوري قد اظل الجميع وجاء بدعوى نشر التمدن واقامة العدل واجراء المساواة في البلاد . . . . .

وعليه فهل بعد هذا البيان يصح صدق ذلك الصدى او يمكن ان تعلق الامال على المجلس الكبير وعلى اجتماع نوابه او يقال انهم استحصلوا وحازوا وفازوا وربحوا . فلا وربك انهم لكاذبون

هذا ولنرجع الى استطراد ذكر ما خاضوا فيه بوجه اجمالي لمقابلته بصحة ما اسلفنا ذكره وقد تم فيه مراد الحكومة واعلن عنه اولئك المغررون انه استحصال ونوال : اولا اعانة الصادقية بخمسة عشر الف فرنك . . . . لارسال تلامذة منها لاتمام معارفهم العالية بفرنسا طبقا لمراد المجبس الذي نص على ارسال تسعة

تلامذة من النجباء في كل عام وقد عطل هذا المراد العظيم . ولو تم مراده لرايت اليوم عددا عظيما من حاملي الشهادات العالية من ابناء هذا الوطن العزيز يرجع اليهم في عظائم الشؤون . وما كان تعطيله من فقد مال ولا فقر في الخزينة الصادقية وانما من تبديد الادارة لريع احباسها الخاصة في غير ما وضعت له . كبناء سرايا ادارة العلوم الشاهقة مقابل ستة في المائة كراء سنويا ... واشادة المساكن لمدير الصادقية وقيمها العام يحفهما خورنق ملوكي وبستان للنزهة يصرف على حراسته وتحسينه ورعايته من ريع الوقف الموبدة على نشر العلم ما فوق العطية المذكورة سنويا بكثير . والتي صفق (الناهضون) لها وقالوا انها لربح عظيم ....

جاهروا بذلك بعد ان امتنعت الحكومة من ترقية شهادتها الى شهادة ثانوية معتبرة في نظر القانون التعليمي العام ليتمكن حاملها من مزاولة العلوم العالية بغيرها من الكليات الفرنسية . بدعوى احترام نص المحبس وتقديس مراده الذي لم يحترم في كل ما اراده كما اسلفنا ولا زال ريع الحبس يبدد لحد هذا النهار . كبناء مكتب خاف ادارة الفلاحة اليوم من حبسها وغير تابع لها بل سيعطى اسم اخر كما يقال

على ان اعتبار الشهادة لا يعد تغييرا لمراد المحبس اذا سلمنا جدلا انهم احترموه ولكن الحقيقة خلاف ما يدعون وان انذعار مدير المعارف من هذا الطلب دليل على ان المضمر خلاف ما يقولون

ان مراد الواقف حقيقة قد مات بصيرورتها دلماسية ثم تزايد الخطر الى اليوم ولا زالت في تقهقر مستمر ولم تنجب منذ تاسيسها إلّا المترجمين التونسيين اعني بعد ذلك النزر اليسير التي انجبتهم زمن شبابها اي وقت ان كانت بيد اهلها كالمرحوم البشير صفر واضرابه . والامر لله من قبل ومن بعد

والعجب ان وجد المدير من بعض النواب البله معاضدة في طلب ابقاء ما كان على ما كان بدعوى الخوف من زيادة المسخ والابدال ......

حتى اغضب ذلك الاتفاق النائب الغيور الذي قاوم هذا الطلب محتجا على فساد برنامج التعليم الحكومي باطلاق . بان جعل نفسه مثالا لذلك قائلا انه لا يعرف الفرنسية كما يجب واما العربية فكاجنبي عنها فهو يقول للمدارس مدرسات

وللمكاتب مكتبات وقد يجمع المثنى ويفرد جمع التكسير . لان اللغة التي تعلم في الليسي كارنو اقرب الى الدارجة منها الى العربية . فلم يفده ذلك شروا نقير . وكذلك تعليم الصادقية اليوم وقبل اليوم .

ومن المسائل ايضا طلب مشاركة اللغة العربية للفرنساوية في الشهادة الابتدائية فقد قيل ان مدير المعارف ضحك من هذا الطلب قائلا ان الادارة لم تجعل الشهادة لغير الفرنسية قال ذلك وهو يعلم ان ادارته تاخذ من اموال التونسيين سنويا نحو خمسة وعشرين مليونا . غير انه وعد بزيادة الاعتناء بها في المستقبل بتاكيد . . . افيصح بعد هذا ان يقال ان النواب ربحوا ونالوا واستحصلوا على مائة الف فرنك لنشر التعليم .

واما الميزان الجسيم فانه بدل ان يتقهقر بالاقتصاد فيه فقد تدرج في كل ادارة تدرجا فاحشا . ففي ادارة الاشغال اشرف على الخمسة وثلاثين مليونا ٣٥٠٠٠٠٠٠ بعد ان كان في السنة الماضية ٣١ مليونا وهكذا في الداخلية الذي نقص شغلها بانفصال القضاء العدلي عنها فقد قربت من ذلك وقس على ذلك كل ادارة . وكل تلك الزيادات تحت عنوان (الزيادة الاعتيادية في المرتبات) او التقدم الاعتيادي القاضي برقي البلاد . حتى ان المقرر الفرنسي في قسمه قد اندهش من هاته الزيادة بذلك العنوان وكيف اتحد التستر بها في كل اودية الميزان . حتى قال آخر من النواب ما معناه ليسمح لنا المتوظفون من الاقتراع على ترقية مرتباتهم في هذا العام وفي المستقبل نسلم لهم في كل ما في الخزينة الدولية من الاموال . .

وهنا يعجب الخبير من انقياد القسم الافرنسي باجمعه لمراد الحكومة في عدم ترجيع ارباح الحرب وانخداعه للزوم توظيف ضرائب جديدة لتسديد ذلك الفراغ . والحال ان لا لزوم في ذلك لظهور شك وان الميزان لا يعرض كله وان كاسة الاحتياط المظلمة مملوءة باكداس النقود . ذلك من جهة ومن جهة اخرى فان مقدرات الربح لم يستخلص منها إلّا تسع ملايين فقط واما الباقي فارقام في الميزان وان ذلك النزر المستخلص اذا رد في ظرف ثلاثين سنة ففي قدرة الادارة ان تقتصده مما هو مقدر لايقاد الشيمينيات بكل ادارة او من الاسراف الذي اعترف

به احد المديرين وقال انه يجب فيه الاقتصاد وقلة التبذير . ولو فعلت ذلك لنصرت المساواة بين المتساكنين ورحمت التجارة التي تضعضع مركزها بين قسم عظيم من السكان . فالافلاس يساومهم واعوان ادارة المال تفزعهم في كل آن حتى صار المطلوب بالارباح الحربية فاقد الوثوق التجاري لدى البنوك والديار التجارية وارباب رؤس الاموال فهو سيموت موتا تجاريا ببقائه تحت الطلب المذكور . فلا الادارة تاخذ مالها ولا هو قائم بعمل

واما دعوى مساواة الافرنسي والتونسي في ذلك وعدم قيامهما بالاجنبي من محض العدل فهو امر وله وغير موثوق به فالتونسي يعلم حق العلم علائق الفروع المالية بالتجار الفرنسيين في المطالبة وعدالة ادارة المال فيهم . فلا عجب ولا اثم عليه اذا اعتقد وان جل الفرنسيين يخرجون من باب المصالحة حيث انها في مامن من السوال . ويكفيهم شاهدا على تلك دلال بلتي رئيس الحجرة الفلاحية على الادرة التي عجزت عن استخلاص اداء الاستئطان منه منذ سنوات كما يقال . . . فانى لنا ان نتصور بعد فعلها في ربح تطويه الدفاتر والاوراق . . .

لذلك اقول ان انقياد القسم الاهلي (عدى ثلاثة نواب) لارادة الحكومة انما هو دليل على وجود عواصف التاثير الاداري فقط . سيما بالنظر الى ما بلغنا من ان العميد قد تجلى على القسم المذكور في زمن الاقتراع وهمس الى كاهيته الغيور بانه جاء زائرا لهم ويود ان يمكث اذا لم يكن الاقتراع ضد الحكومة لانه يغلب عليه الحياء . . . . فكان من امر الكاهية ما كان يعني كما يقال . . . .

على انه وان اعتذر القسم الاهلي بانه علم بانحياز القسم الفرنسي برمته للحكومة ولا فائدة في الاتيان تجاهه لنظام مجلس التحكيم الفاصل بارجحيته . فلا يقبل عذره حيث ان في ذلك لا أقل من ربح ادبي عظيم يوخذ منه الاستقلال في الاراء ويقلل من استعمال طرق التاثير ويمرن الحكومة على رد مرادها بدليل

واما الاقتراع وعدمه في القسم المعبر عنه بالاهلي فمسلم انه لا ثمرة فيه اذ لا قرار له يصحب بالتنفيذ ولا اكبر حجة على ذلك من المسائل التي اتحدوا عليها اثباتا ونفيا فقد اتحدوا على رفض الضريبة التي تخص الاهالي في الاحكام التونسية لفائدة

ادارة الاعمال التي تقعها في جانب الجالية اكثر كما شهد به احد النواب الفرنسويون في تقريره عنهم حيث قال انهم افيد للحكومة الحامية اكثر من المراقبين فرفضت الادارة اتحادهم وفعلت فعلها . وكذلك مخصصات الكنائس الكتوليكية والبرتستانية ومقداره ٥٣٠٠٠٠ فرنك ومائة الف فرنك بين الزوايا الاسلامية والبيع الاسرائلية فانهم اتحدوا على حذف هذه العطايا الجائرة فلم يقبل طلبهم إلَّا في خصوص ٧٠ الف فرنكا المخصصة للزوايا فقد ارجى النظر فيها الى السنة المقبلة . واما ما للكنائس فلا كلام فيه لانه شأن قد تقرر بين حكومة الجمهورية والفتيكان واتصل به البت وغير ذلك من الحاجيات الكثيرة التي تستغرق العد وكان نصيبها من القبول تدوينها في السجلات والكراريس . . . .

أفيقال بعد هذا انهم استحصلوا ونالوا وحازوا وفازوا وربحوا طبق ما ذكره المغررون وبسطوه في نشرياتهم المتتابعة . اويصدق بان الاصلاحات الجديدة ستاتي يوما بنتيجة بعد معاينة التجربة مرتين ودار الحول عليها دورتين . او ان المجلس الكبير يكفل بجزء من مائة جزء مما يرغب فيه الشعب من حقوقه المهضومة نوالا وحفظا . ذلك امر لا يعتقده إلَّا البله ولا يصرح به إلَّا مبتاع الضمير .

وفي الختام هذا ما امكن ان يلاحظه « مرشد الامة » حول المجلس الكبير بعد انتهاء جلساته وهو قليل من كثير . ثم ينصح مديري ادارات المملكة عدى (جناب مدير الداخلية) العادل بان يعدلوا عن سلوكهم في امة تجاوزت حد الاخلاص والانقياد . ويصرح لهم بانهم ان استمروا في ذلك السبيل سلوكا جافيا فسيفقدون فرنسا محبة طبقات الشعب التونسي برمته ويميتون عاطفة عام اربعة عشر نحوها موتا ابديا . ثم اذكر العميد الجمهوري بان يحقق مبدأ تفريق السلط الذي جاء به لهذه البلاد . حتى لا يلبس السفارة الجمهورية رداء القيصرية او ملوك الاطلاق فتجمع بين وصفين بينهما كمال التضاد . . . .

فكاهات فكرية

المحاكم الشرعية والمجلس الكبير عدد ١٠٤

١

من المسائل التي ذكرتها صحيفة نهج الكومسيون وسط برنامج شؤون شعبية قد خاضت فيها الصحف الوطنيـة منذ اعـوام بدعوى انها من مشمولات مذهب المعتدلين في السياسة هي مسالة اصلاح المحاكم الشرعية . وقد اشارت بتكـدر الى ذكر العريضة التي حررت بالنهج المذكور ليلا في طلب الاصلاح المتعطش اليه هنالك ومزقها احد النواب النبهاء قبل ان تقدم الى المجلس الكبير . خُروج تلك المسالة الهامة عن انظار (مجلس صوري في الحقيقة) وليس له حول ولا طول ولا باع في المعارف يمكنه من الوصول الى معرفة الفروع من الاصول

فانهم بدل ان يشكروه فقد رجعوا عليه باللائمة (حيث انتبه) للخديعة ووصموه تكرما منهم انه عدو لكل اصلاح ...

واعجب ما جاء في تلك العريضة (الفكاهية) انه يتعين تشكيل لجنة من بعض اعضاء المجلس الكبير ونخبة من المحامين المسلمين وافراد من رجال الادارة وثلة من الوكلاء وعدد من العلماء المدرسين (كتبت على هذا الترتيب) ...

وذلك لتدوين قانون شرعي يقام عليه الحكم في تلك المحاكم وتسير اعمالها الترتيبية على بنوده وتنقسم حسب نصوصه المحترمة في النفوذ والابرام

وهو مطلب كما لا يخفى يضحك الثكلى ويدل دلالة تطابقية على صبيانية اولئك المنتخبين ويوذن بفراغ رؤس اولئـك الاعضاء الذين استغفلوا فوقعـوا على تلك العريضة لكي تعرض على الانظار الامدية للتحليـل ... حيث يعلمون لو فكروا وانهم في عدد معروف المدارك . ثم اذا فرضنا قبولها وقد اذن بتنفيذها واختير لذلك الامر الهام من ياتي ذكرهم فماذا يكون الصنيع ! ! !

من النواب كتـائب صفاقس الذي كان مطلبـه في السنة الفـارطة شراء احمرة

للنسل . . . وكنائبي باجة والهمامة مثلا ثم من المحامين المسلمين فلاني الذي لا يعرف الكتابة العربية فضلا عن النصوص الشرعية ولم يدرس (الا كود نابليون) ومعه من زملائه اثنان مثله معرفة ودينا ومن رجال الادارة من شاءت ومن العلماء من ارادت ومن الوكلاء تريمش وامثاله فماذا يصنعون فيما كلفوا به ياترى ؟

اهل يفهم بعضهم بعضا عند ما تطرح مسائل التوفيق بين انظار المجتهدين في الترجيح اجراءا ويراد تدوين الراجح من المرجوح من النصوص الفقهية ثم محاولة الاخذ من فقه المعاملات العامة فهوما شرعية تخولنا الاستناد على قاعدة تحدث للناس اقضية بقدر ما احدثوه من الفجور . حتى يرد تيار مضار التعديل والتجريح لهذا العهد المدلهم بالفسوق وكخرج مطلوبا مثلا . ثم يوتى بالمعيار وبالبحر والمنار وغيرها من كتب الدين التي هي غير معروفة لغالب اعضاء اللجنة المقننين . . . فماذا يصنع كمون والعارف بكود نابليون وهل تجديه نفعا اللسانس وشهادة الحقوق . كلا ثم كلا

ذلك ما اود الجواب عنه من بعض صحفنا الادبية الغراء ثم اكرر الشكر ختاما لذلك النائب الذي اراحنا من تمثيل هاته الرواية المضحكة في كل ادوارها . واقول لحملة العلم وشيوخ الشريعة اصلحوا لانفسكم بانفسكم واعملوا بقاعدة (بيدلابيد عمر) فانه والله سهل عليكم وان هو اشق واثقل على غيركم من جبل وسلات . . .

ميزان الاوقاف والمجلس الكبير

٢

نظرا لمدعى ادارة الاوقاف العجز المالي عن اصلاح المساجد وتجديد الخراب التي اصبحت عليه بيوت الله تعالى في كل بلدان المملكة لا فرق بين الحواضر والقرى فقد منحتها الحكومة مليونا من الفرنكات سلفا مجردا من كل اداء يسمى بالفايض حسبما صرح به في غضون المجلس الكبير في احدى جلساته وذلك لاجل يرد على الحكومة فيه

ونحن وان كان ذلك موجبا لشكر المقيم الذي يظهر وانه تدارك به هفوات الدور السابق من ذوي النفوذ في تثقيل كاهل الاوقاف الدينية باداءات باهضة

يحمر منها وجه السماء خجلا . غير اننا نعترض بلسان العدالة عن كل موجب يصير هذه الادارة من ملحقات الحكومة بكل معنى الكلمة . حيث ان الشعب التونسي لا يسمح بذلك ابدا ولو كلفه سفر بعثات متكررة منه الى اين البرلمان الجمهوري ومقاعد الاحرار باريس . كما انه لمندهش من اقتراح احد النواب الفرنسويين وهو بليقران في طلب ادخال ميزان الاوقاف وعرضه على المجلس الكبير ويتساءل عن سبب ذلك وعن المسوغ له . وانه بدل ان يسمع جوابا بالرفض فقد اجيب عنه من الداخلية بان ذلك يكون من السنة المقبلة فما فوق . وقد زاد في الطين بلة معاضدة نائب اهلي مغفل لذلك الطلب المحرج اما جهلا منه لعواقبه او لم يتبصر في المثال

وعليه فيحق للامة ان تغرب هذا الطلب وان الشعب يتطير من عواقبه . ضرورة انه لا علاقة بين ميزان يستنتج من احباس المسلمين على شعائر دينية بحتة وبين مجلس ينظر في ميزان دولي عام . وللاول ادارة خاصة ومجلس اداري ومجلس اعلى ونظر الحكومة من حيث حفظه فوق الكل وامير البلاد المعظم مشرف على الجميع

اذا فهل من المعقول ان يطلب التونسي عرض مداخيل الكنائس وحساباتها وبيان ما صرف على الصلوات والرهبنة والرهبان وعلى القائمين فيها بدق النواقيس . او يرغب في الوقوف على واردات البيع الاسرائلية ومرتبات الاحبار والكهنة ومنصرفات الصندوق الخيري وغير ذلك من الشعائر الموسوية . او انه لا قياس بين هؤلاء والمسلمين ولا وجه شبه ؟؟؟

لذلك كان العجب بالغا حده من تلك المحاولة والاقلاق شديد من الطلب المذكور . وانه امر لا يتحمل صبره ولا مشاهدة اجرائه وحالة المجلس المذكور من حيث النفوذ ما اسلفنا بيانها في مقال صدى المجلس الكبير . .

على انه يظهر واضحا ان بعض نواب الجالية يحاولون بان يجروا منا مجرى الدم في كل الشئون حتى في العبادات ومحالها وفيما يصرف على الذاكرين فيها وعلى قراء الاوراد والاحزاب ودلائل الخيرات . وهو امر حقيقة يضادد الانسانية على خط مستقيم .

هذا ما تنصح به الحكومة الحريصة على رضاء الشعب وعلى حسن الاحدوثة

فيه ، ثم أنب ذينك النائبين في مطلبهما الفارغ ونخص (النائبة) الاهلي بالزيادة اذا كان ذلك منه عن عمد ونصرح له بانه قد خابت فيه الظنون

هذا ولنرجع الى ذكر العطية المليونية ونقول انه ينبغي طرحها شيئا فشيئا عن دين الاوقاف على الحكومة والذي منه المائتا الف فرنك التي اجبرت الجمعية على اعانة بنك التعاضد الربوي بها ، حيث ان لا رابطة بين تخصيصات الشعائر الدينية والرباء المحرم في الدين ولا بين غريق يحمل اعانة قادر على السباحة ولو في الفضاء ، وغير ذلك مما قد سطرناه قبلا وصار معلوما ومشهورا ، ثم بعد ذلك يتيسر لنا ان نشكر العميد من اعماق القلوب ويمكن ان نحمل الشعب على الامتنان له ، ، والله يعلم ما تبديه الضمائر وما تخفيه الصدور

جلسة المجلس الكبير

فوق العادة ....

٣

استدعى المجلس الكبير (اعني البرلمان التونسي) للاجتماع بصورة استثنائية او لجلسة فوق العادة كما يقولون ، كالشان في جم المجالس النيابية التي يتوقف امر الحكومات على موافقتها ولاسيما في المهمات كاشهار حرب او مهاجمة سياسية في مشكل خطير ؟ . غير ان مجلسنا الكبير (حفظه الله تعلى) من تاثيرات النفس والعين لم يكن اجتماعه الفجئي لحل مشكل أعيا الحكومة حله . بل كان لامرين لهما بعض شبه بذلك من حيث تحتيم الاجتماع في اسرع وقت ، واما من حيث التعقيد فهو ابسط من البسيط ....

الا وهو عرض وجوب الزيادة في الغرامة العائلية للمتوظفين ذوي العيال بسبب غلاء المعاش اي (سقوط قيمة الفرنك) وذلك دفعا لبؤسهم الملم بهم من سائر الجهات رغم تقاضيهم عشرات الالاف من الفرنكات ورغم سكناهم في ديار يدفعون كراءها على حساب تسويغ عام اربعة عشر ، ثم الثاني وهو عرض امر منع الاحتكار التي استصدرته

الحكومة وتقدته على انظار حضرات النواب اي مجرد عرض فقط لخروج التقنين عن نظر مجلس الامة التونسي العظيم ! ....

وبعد ان فتح المجلس بالخطاب السفيري كالعادة المالوفة والذي جاء في بعض فقراته ما معناه نصا صريحا (وليعلم الكل ان حكومة الحماية ستقوم بواجبها في هذا الغرض ولكنها لا تتأثر من الايعازات والتهديدات الخ ما قال !!) فقد انحاز المجلس الى مسابقة اراء نوابه وقدح افكارهم في مجال التدبر والبحث عن المسوغ لهاته الزيادة المستلزمة لاحداث موارد للاستنزاف من جديد والتي الاصل فيها هو مجرد القياس على فرنسا مع وجود فارق عظيم في القياس

وبعد التدبر العميق ! قرر المجلس الاهلي ان لا وجه للموافقة حيث لا نسبة بين متوظفي فرنسا وتونس لا من حيث العمل ولا من حيث العدد ولا من حيث ارتفاع المعاش . وانه لعار على الحكومة ان تطلب الزيادة بصورة فجئية لهم . وهي تعلم ان مائة وثلاثين مليونا من الميزان يتقاضاها المتوظفون وان عددهم قد ضاقت به رحاب دواوين المملكة التونسية الصغيرة اذ بلغ الى عشرة الاف . وذلك بعد الثلث الاستعماري وبعد العلم بان كثيرا من العائلات الفرنسوية مستخدمون برجالهم ونسائهم وبناتهم . وعليه فما اجدر الامة التونسية برحمة الحكومة في باب التقليل من الضرائب ومن الاستنزاف والاستهلاك .....

وقد بلغنا ان التعجب اخذ منهم ماخذه حتى ان احدهم قد تنفس الصعداء وقال لزميل له يا هذا اهل تعلم ان المجلس الكبير من منذ تاسيسه الى اليوم كم وافق الحكومة في خصوص زيادة الضرائب على البلاد ؟ فاجابه صاحبه على الفور بان ذلك يربو على الاربعين مليونا (في سنتين وكسور) فسأله ثانيا اهل خص من ذلك شيء لنشر التعليم ولتنشيط لغة البلاد . او اسست الحكومة كلية تونسية للتعاليم العالي كالفلسفة والهندسة والحقوق .....

فاجابه : قيل ان مائة الف فرنك خصصت لنشر المعارف في الجهات حسب قول جريدة قلاتي ورهطه . ولا اعلم هل نفذ ذلك المقدار (ام لا) فسأله ثالثا فالى اين يذهب بهذا المصب من الذهب عند اخراجه فقال له متذمرا . الى المتوظفين

مرتبات باهضة . الى الثلث الاستعماري . الى غلاء المعاش . الى فوائض القروض الاستعمارية . الى تسوية السبل واقامة الجسور . الى مد الاسلاك التليفونية . الى الترقيات العصرية . الى الثروة العمومية . الى ادارة الصحة . الى التمدين . الى تقوية الاستعمار وعمران الديار .... فقال له كفى كفى . وانه بحلاله وحرامه يمينا مغلظا لا يرجع الى هنا ولو اعطوه الف نيشان .... ثم بعد التداول والاتفاق على عدم الموافقة (ولو ان الحكومة يتم مرادها) حتى تعلم الامة انهم ليسوا اسرى ارادة الادارة (وهو ربح ادبي على الاقل) .....

فما راعهم إلّا وقد انخرم ذلك العقد ولم يبق منه إلّا سبع على عدد ايام الاسبوع . لطواف طائف الوعود والنصيحة ووسوس لهم وسواس الصدور ! والمسامع . وتبسمت لهم العيون بان الحسن والسداد في الموفقة والاتفاق ....

وفعلا تم مراد الحكومة وسط مناداات من العميد برفع الايدي لكل واحد باسمه مع صفة تعظيمه اعني مسيو فلان الخ الى ان وصل الى م. طبي فاجاب : (نو) وانه مع بقية زملائه الوطنيين فكانوا سبعا ازاء خمسة وخمسين مقترعا رافعا يده الى ان كادت تبلغ سماء سرايا الاقتراع ... ليراها العميد ....

ثم انفض المجلس المجتمع فوق العادة تحت انحناء صاحب الحول .. لحضرات النواب يترجم عن الاقرار بالجميل والاعجاب بحرية الفكر والمهارة في ادراك الواجب والصالح الخاص ! والعام ! . ذلك ما جرى في القصة ابتناه للشعب ليثق بفائدة المجلس الكبير في المستقبل ... وحتى لا يغتر بما كتب في هذا الشان فلاتي تحت عنوان (تناقض واضطراب) ويمقته في مقاصده فانه الصنيعة الادارية والمضلل الوحيد !

صدى فتح مجالس الجهات ايضا

٤

قلنا فيما سلف ان صدى المجلس الكبير لا ينعدم انقطاعا في جو المملكة حيث ان فتح فروعه ستليه . لكن من الاسف ان الصحف التي كانت تصفق لمفاوضاته

وترقص بنشر مناقشاته قد خفت صوتها اليوم . ولا ادري احياء من الشعب الذي انتبه لمخازيها او انها لم تاخذ البدل ! ! ! ! !

ونحن قد اشترطنا بقاء الصدى على شرط الاعتناء المذكور كما هو معلوم لدى قرائنا فلا لوم اذا على تخلف المشروط كما هو القاعدة او الراقدة . . .

نعم فتحت مجالس الجهات واجهد نفسه صاحب الاصلاحات العميد الموقر ليعطيها رونق البهاء والاجلال وقوة التاثير فحضر بنفسه هو واعضاء الحكومة وصرح بمجلس الكاف بانه جاء مصحوبا بمديري الادارات ليسعف لجان المجلس اعانة معاونيه وليقيم الشواهد على ثقة الحكومة بمجلس النواب . . . . .

ثم طلب منهم المثابرة على العمل المفتتح بتجرد عن الاميال التي ربما تقود بعض النواب الى اتخاذ طرق الامساك والامتناع . وهو تصريح يؤذن بان تونس بلاد العجائب السياسية

اولا ـ ان طواف الحكومة بحذافيرها على مجالس الجهات مع وجود نوابها هناك من مراقبين وعمال وخلفوات وممثلي الادارات كقباض وغيرهم وحضورهم بمجلس قانونه ما هو مقرر ونوابه الوطنيون ما حالة بعضهم العلمية معلومة على قلتهم . فماذا يصنع هذا المجلس واي شيء تترقبه الامة من مفاوضاتهم يا ترى ! ! ثم ضف الى ذلك جواب السفير وطلبه الانف الذكر

ثانيا ـ هل الشان في المجالس النيابية ان تثق بالحكومة او الحكومة تثق بالمجلس او يمدها بالاعانة او تمده هي بالقوة والنشاط . لذلك يصح ان نقول ان تونس بلاد تسير في سياستها عكسا لا طردا . ولا يغرب بعد ان كانت مقترحات المجالس محصورة فيما ياتي :

تمهيد طريق . اقامة جسر . جلب مياه . مد سلك تليفوني . جعل صندوق بوسطة . زيادة صانيمات اضافية . الوعد ببناء مكتب للبنات في المداشر والقرى . أو في قلع المينات ثم الاعلان بانتهاء الدور

وبموجب ذلك فالمظنون ان هذه السنة اخر عام لشعشعة مجالس الجهات الجديدة . وما على الحكومة إلّا ان تجيب الامة الى رغائبها باعطاء الدستور . لان الامم امثالها قد اعطت الاستقلال وان فرنسا الحرة اكثر عدل من هاتيك الدول القاسية . . .

الامثال السودانية

اقتــل العــربي !!!؟

عــدد ١٠٤

ان المسلك الوخيم الذي سلكته الصحف الاستعمارية فيما تكتبه عن العرب عموما والتونسيين خصوصا قد افقدها مادة الثاب والاغراء من قاموسها اللغوي . واصبح بيان لغتهم عاجزا عن تادية ما يودون الصاقه من النقائص بالامم العربية التي قدر لها ان تكون تحت سيادة امتها - اقول هذا لا على معنى ان لغتهـم طاهرة نقية كلغة الملائكة ولكن حملتها المستمرة ضد العرب افرغت كنانتها من الفاظ النقـائص والثلب واصبحت تقترض الامثال حتى من امم أواسط افريقيا .... !

من ذلك المثل الذي نقلته جريدة تونس الفرنسية عن اختها جريدة نهضة شمال افريقيـا وقدمته ضمن مقال للمقيم كنصيحة حارة معنـاه « اذا وجدت في طريقك عربيا وافعى فاقتل العربي قبل الافعى . » ما اجمل المناسبات !

لقد ذكرني هذا المثل نبأ حادث فظيع وقع ببلاد الكونغو الفرنسوي ونشرته جريدة الحاضرة في ٢١ مارس ١٩٠٥ بالنقـل عن جريدة الماتان الفرنسوية تحت عنوان (فظائع التمدن) وصورته باقتضاب « ان جماعة من ارباب الوظائف الادارية والعسكرية ببلد قرب مدينة برازفيل الداهومية اجتمعوا للاحتفـال بعيد الحرية (١٤ جويلية) وبعد ان شربوا الخمور واكلوا الماكل اوثقوا زنجيا كتافا وادخلوا في مخرجه جعبة من الـديناميت واضرموا بها النار فانفجرت باحشـائه وانتشرت امعاؤه اربا كل ذلك والحاضرون يتفكهـون ويقهقهون بينمـا كان المسكين يصرخ صراخ الموت .. وتفنن اخرون في التعذيب فقطعوا راس زنجي وطبخوه في قدر والزموا زنجيا آخر بشرب مرقه ثم اطلعـوه انه مرق راس ادمي وكان الحاضرون سكارى بخمرة الفرح لا ينفكون عن الضحك (!) وراود مأمور منهم امرأة اهلية فامتنعت من الفاحشة فشواها شيا على الجمر ولم تاخذه في تعذيبها رافة الخ

قلت ما اجمل المناسبات ! لان المثل من السودان والحادث في بلاد السودان ! فاذا علمنا هذا وذاك فلا يحق لنا ان ندعي ان المثل قد غيروه ؟ وان المجرم الذي يجب قتله في الطريق ليس هو العربي لان الطريق فيها مجرم آخر. فهل تجهلونه ؟ انه يدعي المدنية ويفاخر الامم بمهرجان الحرية . . . ويقطع رؤس الرعية ويطبخها طعاما في القدور ! ويضع النار في الاحشاء ويقتل الابرياء ! ويمثل بالمرأة الجامحة عن الفجور ؟

اي تريدون. ما اظن (مثلكم) بعد الان يكون صحيحا غير مطعون فيه. واذا كنت مصرا على عنادك وكان رفيقك يدعي معرفة آداب السودان فليذكر لنا ما قاله القوم عن سياسة حزبك الحاضر وما ضربوا لفظاعة اعماله من مثيل ؟

مسكين حزب الاستعمار يضع الحجارة في طريقه من حيث لا يدري وبيده يذكي نار الوطنية ولا يطيق استنشاق غازاتها الحارة ويبذر في الحقول السهلة التي يتمشى فيها بلا نعل بذور الحسك والشوك ؟ فقل ما شئت فان القلب الاهلي كصندوق التصوير . لا تمر به حادثة من اقوالك او اعمالك إلّا وله منها رسم بارز يحتفظ به احتفاظ القائد بخريطة المعمعة . قل ما شئت فاني اعلم ان اقوالك على سياسة حكومة بلادك في العالم العربي لاشد من معاول الهدم والتخريب فاهدم عرشك بيدك وليكن لنا الفخر كحفظ هذا التذكار الجديد

انني لا أريد تحليل نفسية تريدون واضرابه فله روح لا نجهل خبثها

ولكنني الاحظ من جسارة تريدون وهمسه للمقيم هذا المثل الكاذب ان الرجل لم يصدق اقوال القائلين من ان مقيم اليوم هو غير مقيم الامس ولم يؤمن بان القيثارة التي حملها م . لوسيان سان بتونس على مرسح (البلوك ناسيونال) وضرب عنها انشودته المشهورة « تونس بلاد جديدة وبدون جنسية » قد استبدلها من هريو بقيثارة جديدة لها نغمات شجية تدعو للوفاق والمساواة الخ . لذلك لم يزل تريدون وجماعته يرقصون على صدى تلك الانشودة الباطلة ويتغنون للسفير بضرب هاته الامثال السخيفة ! فاذا تغيرت القيثارة حقا وبدل التوقيع فسنرى من تريدون رقصا لا يتفق مع الاوضاع الجديدة وإلّا فليداب على رقصه الموزون ولنداب على اخذ الصور باحكام . . . . والمستقبل يجمعنا

(الخيام)

الى الشعب التونسي

كلمة موجزة

ايها الشعب العزيز حافظ على دينك وقوميتك وجنسيتك وتبعتك واياك ان تتجنس ... ولو وعدوك بانزال مائدة من السماء فانك ان فعلت ذلك فستجني على دينك ومجدك وعلى الاجيال القابلة من نسلك وتتسبب في قلة الترحم عليك حيث اضعت لهم جنسيتهم وتبعيتهم فكانوا لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء.

القضية الوطنية (1)

او

كلمة في حرية النشر والتحرير

عدد ٤٠١ في ٢٥ شعبان ١٣٤٢

ذكر الباحثون في احوال الامم وسياسة الحكم في الاقطار ادلة كثيرة يرجع اليها من اراد الاستدلال على سير الرقي وانتشار الشعور فيهم والى اي حد وصلت عندهم المجاهرة بالقول ازاء القضاء العدلي والاستقلال فيه . فاثبتوا وان من الادلة

---

(١) قضية جريدة العصر الجديد التي عطلت بقرار وزيري وحوكم مديرها ومحرريها بدعوى اقيمت عليهم من طرف السفير وكان يوم المحاكمة يوما مشهودا بمحكمة الدريبة حضرها نحو من اربعة الاف نسمة . وقد اصدرت المحكمة حكما اشعر الراي العام بان لا استقلال للقضاء . ولكن كان من حسن الصدف ان شمل الغاءه العفو العام وهو في دائرة الاستئناف الجناحي اي عفو حكومة ١١ ماي سنة ١٩٢٤ الذي ارتقى فيها رئيس الجمهورية الحالي عوض الرئيس ميلران واجري بالمملكة التونسية بامر من سمو امير البلاد المعظم ..

التي توخذ كعنوان على تحقيق ذلك المقدار هي حرية النشر ورواج الصحف ووجود الاحزاب السياسية واحترام التفكير والاجتماع ، ثم ذكروا غير ذلك مما لا محل لذكره هنا نظرا لما نحن بصدد الكلام عليه وهي القضية الصحفية المشار لها في طالع المقال

وعليه فايما قطر وصلتك انباؤه وهو في وصف معتبر من حيث حرية النشر وما في معناها تحكم بان السعادة مخيمة في ربوعه وان اهله في راحة من الحياة الاجتماعية وعيش رضي سائرون الى استكمال ما نالوه ونوال ما استنقصوه

وبخلاف ذلك تجزم بتعاسة الشعوب التي تبلغك الانباء عنها بانها مغلولة العقل فاقدة لحرية الكتابة والنشر ، مسلوبة الارادة في الخطابة والفكر ، محجر عليها المجاهرة بالشكوى بصورة واضحة حتى لا يحسب عليها كل ذلك نفور ونشوز او عدم اقرار بالجميل عن حكم ذي الامرا وسير بالبلاد الى الفوضى والتعطيل . . .

ومن احكم ما وقفنا عليه في هذا الباب مما هو في الحقيقة ايقاظ وارشاد لذوي التسلط والاستيلاء ، ان النتيجة التي تحصل من حرية الاقلام وتأييد الشعور العام مزدوجة النفع بين الامم ومن يحكمها سواء بسواء ، وبمثله عكسا يكون ضرر خنق الاقلام واضطهاد الافهام واخفات الاصوات وتحجير الاجتماعات وما في ذلك المعنى المخيف العاقبة والمنذر بسوء المثال . . فانه (اي الارهاق) للشعوب المحكومة كمقدمة للفقر والفناء ولذوي الامر فيهم الخسارة المادية بكثرة الانفاق على اقامة القوات المرهبة ، كمرابطة الجنود المستلزمة للاستنزاف والتحرج الذي يولد التضعضع في العزم والتثاقل عن العمل ، فيسؤ التاريخ ويكفهر وجه الوثوق من ضيق دائرة الامال .

ومن الجدير بالذكر لصحة الاستدلال بتلك القاعدة الحكمية ان بعض ساسة التسلط والاستيلاء قد اتخذها رائدا في حكمه فنجح نجاحا باهرا في سياسته العامة كما هو المشاهد في كثير من الاقطار ، ولا غرابة ان ضربنا لذلك مثلا بشمال هاته القارة (غربا وشرقا) فانك اذا نظرت الى مغرب الشمس فيها واردت ان تقابل حالة اهلها الادبية وشعورهم العام بالطرف الشرقي الجنوبي منها يظهر لك البون البعيد كالفرق بين الصحيح والسقيم

فانك لا تجد في الاول من حيث الكتابة وحرية النشر إلّا صحيفة واحدة ادارية تصدر وسط عمران عظيم الثروة آهل بنحو اثنى عشر مليونا من النفوس وكادت ان لا تقرى بل يشار اليها عند بعض الخواص هنالك في الذكر بضد اسمها (كالسعادة والشقاوة)

واما الثاني فقد بلغت نشرياته الدورية الراقية الى الاف ومجتمعاته الحرة الى مئات وكلياته الخاصة الى عشرات واعني بذلك مصر وما ادراك ما مصر .

وعليه فهل يعقل اذا سألنا اي القطرين ارقى واي الشعبين اسعد ان يكون الجواب بغير الثاني ولو كان المسئول حاكم القطر الاول وفاتحه ليوتي الذي عطل حتى دخول النشريات الخارجية لمنطقة حكمه والحال انه عضو في جمعية العلوم المنشطة للعقل . وذلك بشرط ان لا تدخل معه في باب الصلاح والاصلح وان الولد الصغير قد يلعب بالنار ولا يدري انها تحرقه ... ويعبث بالسلاح ولا يفقه انه آلة قاتلة له ... وغير ذلك مما هو شنشنة ذوي الاطلاق المستلذين للنفوذ . وان اجاب بانه الاول فان ضميره يخالفه والوجدان منه يؤنبه لان الواقع غير ذلك وان حسن السياسة يخالف ذلك العمل على خط مستقيم

على اننا اليوم مع حالة صحفنا التونسية والسيف الاداري المسلول على رقابها بالتعطيل والالغاء بدون حكم وبلا سؤال . فانه يشاهد لها صدى حسن في الخارج قد جر لذوي النفوذ والحكم ذكرا جميلا وثناء جزيلا حيث قرأنا في كثير من صحف الشرق المعتبرة اكبار الحرية القلمية بتونس وعدوها من حسن تبصر الحاكم الجمهوري وسعة مداركه السياسية . وذلك من مجرد قراءة التحرير فقط لانهم عفى الله عنهم على غرة مما لها في الزوايا وفي خبايا الاحكام الادارية من المعاناة

وفعلا اصبح القطر التونسي بسبب صحفه مغبوط الحالة وخصوصا من جارتنا الجزائر والمغرب الاقصى اللذين هما على اسوا حالة ادبية فكرية لا تلائم دعوى الحرية ونشرها والتمدين وبه التي اعيا الافواه التلفظ بها اذا اريد تطبيقها على ما في صحيفة الوجود . ولاجل ما قررناه كان مقام الصحف الحرة مكينا في الشعب ومعتبر الجانب في نظر الساسة المتبصرين الذين لهم مهارة خاصة في حكم الامم ومقدرة

زائدة على امتلاك عواطف الاقوام المستامنة ، والتي استبانت وان الاقلام التي هي سلاح المحكوم وان وصلت في الحدة ما وصلت فما هي إلّا مداد على القراطيس ......

ويرون ان التضييق عليها ومصادرتها ضعف في السياسة وضيق عقل في المنفذين وعمل مستهجن لا يجلب مبرة ولا يعود بفائدة على الطرفين ابد الابدين ... على ان ترك البلاد خاوية إلّا بمن يسبح بحمد الحكومة او يقتصر على نشر الاقاصيص او شرح المقاصد الحسنة والغايات الجميلة من الحاكم نحو المحكوم . فهيهات ان يحصل للادارة من ورائه ما تقصده كالذي يحصل لهـا وتناله من حرية الصحف واعتبارها في القول . ولا اقل من ان يتصور لها الاعتساف الانفرادي بصورته المزعجة فتستقبح ما استحسنته عن غفلة او بموجب تزويقات ظاهرية النفع فتعدل عن سلوكها المعوج الى سواء السبيل .

ضرورة ان قلب الحقائق بالاساليب المستاجرة لا يغطي قبح الاضرار الحسية ولو كان الخطيب سحبان والكاتب ابن المقفع وابن الخطيب او ان السكوت على تلك المخازي يخفف الالام المتجددة او يرجو منه دفع المضار في حال من الاحوال . بخلاف المجاهرة بالقول في استفضاع الاعمال الجائرة التي قد تكون بدافع المحاباة او تحت التاثيرات المصادمة للصالح العام او لحقوق بعض الخواص فانها اي الصحف تكون اكبر مرشد للادارة ومستندا قويا ترتكز عليه في صرف عشاق الاستئثار وارباب المطامع الاشعبية في غاياتهم وذوي البطون الخاوية التي لا تشبع من الكفاف او في الاقل يسهل عليها سلوك سياسة التعديل في شططهم المشين . وباوضح من ذلك فهل يجدي نفعا مثلا اذا تظافرت الصحف الوطنية على استحسان رغبة رئيس المعمرين في امتلاك ٨٩٠٠ هكتارا من الارض الفلاحية الطيبة بثمن بخس والحث في صدور حكم التملك له من محاكم التسجيل ..... والحال ان اصل تملكه قد كان تحت نير الاغتصاب او المخاتلة والتاثير بحيث تقول تلك الصحف بلسان واحد انه لخليق بامتلاك ذلك الملك الواسع الارجاء وطرد اهله منه لانه براس فريقا نزلوا هاته الديار وبحلولهم فيها حل التمدن والعلم وتجلت العدالة على البلاد بوجهها الجميل ......

تقول ذلك مع علمها بان سبعة عشر فريقا من العربان تتصاعد شكواهم منذعرين من توقع الجلاء والطرد في كل ثانية من ذلك المتسلط والجائر الاثيم ...

اذا، اوليست المجاهرة بالشكوى افيد من الاكراه على الصمت وانفع من القلب والتضليل ولو مع تصور عدم اقناع الادارة فانها (اي الشكوى) تزرع رجاء في المضطهدين وتوجد فيهم باعثا قويا على الثقة بالمستقبل او انتظار الانتباه لهم يوما ما في عاطفة الحاكمين او نصراء القانون وناشري التمدن والتمدين .....

فلهذا وذاك ولما قررناه من الحقائق الواجبة الاعتبار في السياسة الحكومية ولتجديد الادارة لنغمة الغاء الصحف ومحاكمتها لمجرد المجاهرة بالقول قد كان من الافادة اثبات هاته المقدمة قبل الدخول في موضوع القضية التي ازعجت الراي العام وهي الغاء « العصر الجديد » ومحاكمة صاحبه ومحرريه والتي تجلت في يوم محاكمته مكانة الصحف الحرة في الامة وتبين وان ازعاجها هو كمس لعاطفة الشعب باكمله او الامة باسرها لما جرى حولها مما علم بالمشاهدة وبالصحف التي سبقتنا لاذاعته في ابانه ووقته، ولذا فان مرشد الامة يقتصر اليوم على ختم الموضوع بكلمة من حيث الايقاف الواقع من الوزير والقيام بالدعوى من السفير وفساد الحكم في نظر القانون فنقول

نعم عطل العصر الجديد بقرار وزيري وقد كنا نظن ان هاته الطريقة ستلغى بعد تفريق السلط والاعلان باستقلال القضاء وان لا عقاب على احد إلّا بعد محاكمة عدلية وصدور حكم ذي نص صريح في القانون ...

ولكن من الاسف جاء العمل على خلاف المظنون، واعتمدت الحكومة في عملها على امر ٩٣ في الالغاء الذي ينص بفقرته الاخيرة على الالتجاء اليه عند حدوث القلاقل والتشويش وخيف على الامن العام من الاضطراب (ولا ثمة شيء من ذلك) . واعجب من ذلك ان الحكومة لم تتهيب قول الحكيم « وجمعك بين الحالتين غريب » فانها اضافت الى التعطيل والمنع المطالبة والحكم بالعقاب الشخصي وهو ما يحملنا على التناهي في الاستغراب

ثم نتساءل هنا لم كان التعطيل بقرار رئيس الحكومة وهو الوزير الاكبر

وطلب المحاكمة قد كان من السفير الجمهوري وان شئت قلت من وزير خارجية حكومة سمو امير البلاد والمشرع لقوانينها واول قارع لنواقيس تفريق السلط والمعلن بحبه لاستقلال القضاء وينكر التاثير عليه ......

وهو سر غامض ربما يعسر فهمه اذا اردنا تطبيق الاعمال على الاقوال . ولكن يظهر واضح المعنى اذا علمنا وان المطلق في نفوذه هو كالسياسة لا ضمير له ولا قلب ولا يؤخذ عليه لا ظاهر القول ولا صريح الوعود ، وعليه فيتضح ان المراد من ذلك التداخل في السلطة التي تناولت العصر الجديد انما هو مجرد التاثير على الحكام في القضاء للعدل في الاحكام ..... على ان زمن اتصال القضاء بالادارة لم يقع مثل هذا التجاهر الغريب في امثال هاته القضية النادرة في اسلوبها وشكلها ...

فان مرشد الامة وجهت عليه قضيتان بهذا المعنى قديما من طرف الكتابة العامة لذلك العهد ولم يكن لها من اثر في الدوسي سوى شذرة من مدير العدلية في بيان الدعوى والموجب والسبب . وهو يعد دهاء في التصرف قد مات بموت شيخ الوزراء م. روى الذي كان يصرح في قائم حياته الادارية ان مراعاة العواطف التونسية وشخصية حكومتها ستموت بموته

اما اليوم فكيف يقع ذلك بعد الفصل المذكور ولا يوجب ما اسلفناه من تسرب الظنون او تحقيق الراجح في الفهم .

نعم جاء في قانون المرافعات ان الحكومة لها حق القيام بدعوى الحق العام اعني المطالبة بالتتبع غير انه لم ينص على ان يكون للسفير الجمهوري حق القيام بذلك بل ان شارح القانون المشار له قد حصر الصفة العليا لمدير العدلية وحده ، وان فيه ما يشعر بان لرئيس الحكومة ان يطالب ولكن ليس له حق التداخل بل لوكيل الحق العام حرية العمل طبق وجدانه الصقيل .....

ومن الاسف ان كل ذلك لم يشاهد في قضية جريدة « العصر الجديد » بل الذي سمعناه عند قيام نائب الحق العام بشرح الدعوى بفصاحة ولكن لا تفهم وبلاغة يضحك منها على الادارة التي زعمت وانها قد ازانت المجالس القضائية بامثال هؤلاء المستشرقين ، فانه قد صدع اذان الحضور المحتشد بتكرار لفظ السفير وما طلبه

فخامة الوزير وما تضمنته شكاية العميد وما في معنى ذلك مما وددنا معه انى لو قال الحكومة (وان هي هو) غير انه استتر من مضان القصد في التاثير على الهيئة القضائية وحرصا على سمعة رجل عظيم كالعميد ان يكون مدعيا في قضية صحفية ويلح في تشديد العقاب بتطبيق القانون . . وهو الرجل الجمهوري الصميم حالة كونه يعلم وانه قد انفرد بصفة الاعتقاد فيه لدى كل متوظفي الحكومة بان مفتاح السعادة لهم بيده وان النعم في رضائه ثم يقع منه مثل ذلك الطلب . . . .

وهي حالة ذكرتنا في الابهة الملوكية التي اقيمت له عند ارتحاله لسوسة وصفاقس لفتح مجالس الجهات النيابية الحرة . . . حيث اخترق صفين من الجنود المدججة بالحراب وعدد الارهاب من محطة الرتل الى باب البلاد . . . . . .

فقلنا وقتئذ انها ربما كانت من باب الصدف او تزلف من ذوي السلطة هناك ولا مقصد فيه للتاثر على النواب لقبول راي الادارة عند الاقتراع . . . . ولكن هاته الشكاية ونغمة النيابة حولها قد كادت ان تزعزع عقيدتنا في رصانة العميد الحر ورسوخ جزمنا في فرط انقطاعه لتاييد رغائب الاحرار وتحقيق مبادي الجمهوريين بهاته الديار . لان جزم الانسان وان بلغ في الرسوخ ما بلغ فلا يثبت امام تعاقب المحاسن والاضداد البعض اثر البعض . فانك لا تسمع مثلا إلا شكى للسفير وامر السفير وقنن السفير ووعد السفير واولى السفير وعزل السفير ورضي السفير وغضب السفير وزاد في المرتب السفير وقربه السفير وقلده السفير واختاره السفير وقدمه السفير الى غير ذلك مما تسمعه كل يوم عن كل ادارة حتى تولية شاوش بجمعية الاوقاف او نقلة بوليس من الحواضر الى الارياف

كل ذلك قد تركنا في نزاع مع الهواجس لتاييد ذلك الجزم حتى لا نترك مجالا في معتقدنا لتسرب الوهم في صفاوة ضمير الرجل وانه يكره الاستبداد ويتمنى كل خير للجالية وحتى لابناء البلاد . . . . .

هذه كلمتنا من حيث الدعوى والقيام بها من ذلك الطريق الذي ارى الصواب خلافه . والحق غيره . واما كلمتنا من حيث فساد الحكم فاليك هي بقدر المستطاع في الايجاز

لا يخفى ان دعوى المطالبة بالتتبع تنحصر في ثلب الحكومة وشتمها في فصلين احدهما بقلم الكاتب الاجتماعي السيد محي الدين القليبي والثاني للاستاذ الشيخ محمد معلى . ومن المعلوم قانونا ان الثلب اذا ثبت اسقط الدعوى كما هو صريح فصل امر ١٨٨٤

ولا ادعى للثبوت من الوقوع او الاعتراف الذي جاء في حيثيات الحكم الصادر في القضية من ان الترويع وسجن الابرياء قد كان في زمن حصار . لان الاثبات الذي نص عليه القانون لم يخصصه بزمان دون زمان بل كان مطلقا في جميع الحالات . وبموجبه قد بطل الاستثناء وسقط

زيادة على ان الكاتب قد حكى دورا تاريخيا يرجع قبحه على العهد الاداري وخصوصا عهد كاهية الكاتب العام (ريكلو) الظلوم الغشوم الذي اطرده المقيم فلاندان الماسوف عليه وقال عنه عند تولية المذكور منصبا بالشام فوق منصة مجلس الشيوخ في حقه انه ينبغي لحكومة الجمهورية ان ترسل للبلاد الجديدة حكاما من ذوي المجادة والسوابق الطيبة . .

وعليه فلا معنى للحكم بعد الاعتراف بوقوع مدلول فقرات الفصل التاريخي ولا وجه لصحة الدعوى

واما ما يخص الفقرة الثانية وهي العمد الى تفريق القادة في الامة واستمالة بعضهم بالوظائف التي ترجع لهذا العهد . فما هو بثلب ولا بتحقير حيث ان كل حكومات الدنيا نسمع عنها السعي في تكثير مناصري سياستها وتعمل دائما لتضعيف الاحزاب المعارضة وتستاجر ارباب الاقلام وتستميل الصحف القديرة على قيادة الراي العام الى حيث ارادة الحكام .

ثم اننا على الدوام تصلنا الاخبار بان حكومة كذا ضعفت امام المجلس النيابي وفشلت حجتها او سقطت بالمرة . ولم نسمع بدعوى قامت على ناشر امثال تلك الجمل او حكم كان مستنده وصف الفشل والضعف في الحكومات

على ان القول بالضعف في السياسة لا يصدق بالثاب ولا يعتبر في ذلك المعنى إلّا اذا اخذ مكانه من الراي العام بوجه صريح

بل ويستحيل ان يستجد العموم في قضيتنا هاته صحة الضعف المادي والفشل والجبن وهم على مشاهدة من قوة الحكومة وجندها العتيد برا واسطولها القوي بحرا وفي الهواء سابحا وفي الجو راكدا . . . . . .

هذا ما يخص مقال محي الدين واما الثاني المطالب به الشيخ معلى فليست فيه إلّا كلمة الجبن الذي حمل معناها على الرذالة والدناة وهو ابعد معنى يفسر به ذلك اللفظ وربما كان تفسيره بذلك من باب التفسير باللازم ، وهو ساقط من الوجهة القانونية نظرا للقاعدتين المعتبرتين (وهي ادرأ الحدود بالشبهات) ووجوب اعتبار ايسر مادة في القانون تكون افيد للمطلوب

ولذا كان حمل الجبن على غير الثبات في العزم حيف لا حجة فيه وبموجبه اتضح ضعف مستندات الحكم وفساده ، ذلك بوجه تفصيلي واما بوجه اجمالي فان التساوي بين المحررين في العقوبة لا معنى له اذا جارينا المحكمة في عدم اعتبارها صحة الثلب بالتخصيص المشار له المتكون من جمل اربعة ازاء المطالب بكلمة واحدة هي فى القانون شتمية لا ثلب ، فان المطلوب الاول اما ان يستثنى من الدعوى لاثبات صدق ما كتب او يكون الثاني دونه في الحكم ، وهذا مما لا مناص للمحكمة معه غير الاعتراف بغلطها في وضع اساس ذلك الحكم القاسي الذي ينتظر من مجلس الاستئناف نقضه تاييدا لمبدا الحرية وحفظها لمقام القضاء واخذا بخاطر الشعب

ثم اختم هذه العجالة بشكر الرصفاء الذين برهنوا على مقدرة جديرة بكل ثناء ونخص بالذكر محي الدين على ما ابداه امام المحكمة عند استجوابها له في بيان مقاصده بما دل على ان النبوغ في الافراد بصورة مدهشة من المواهب التي لا دخل للكسب فيها ، والله سبحانه وتعلى يخص بحكمته من يشا . ومن اتي الحكمة فقد اتي خيرا كثيرا

الاثـار النبويـة المقدسة

وزيارة جلالة الخليفة الاعظم لها

عــدد ١٠٤

في اليوم الخامس عشر من كل شهر رمضان المعظم شهر الغفران يقوم جلالة مولانا امير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين بزيارة الدائرة الفاخرة التي تحتوي على ألامانات المقدسة في سراي (طوب قبو)

وقد اجرى هذا الاحتفال الديني في اليوم المعين لهذا العام ايضا فتحرك جلالة الخليفـة المعظم من قصر يلدز في الساعـة الاولى بعد الظهر من سرايته الى سراي (طولمه باغجه) وامتطى منها يخته الهمايوني (سكودلي) قاصدا قصر (طوب قبو) وقد استقبل جلالتـه هنالك بعض رجال الحكومة فسار جلالته الى قصر (بغداد) حيث استراح مدة وجيزة ثم تقدم الى الدائرة الفـاخرة فزار الامانات المقدسـة . وبعد الزيارة تقدم ولي عهد السلطنة والامراء والوكلاء والعلماء فزاروها وعند ختام الزيارة القى إمام الدائرة بين يدي جلالته دعاء بليغا تضرع فيه الى المولى جل وعلا ان ينصر الجيش العثماني وان يؤيده بحوله ثم اهديت الفاتحات الطيبـات الى ارواح الشهداء وانتهت الحفلة الدينية فسار جلالة السلطان الى مسجد ايا صوفيا حيث ادى صلاة العصر واستمع الوعاظ والحفاظ وعاد بعدها الى قصره الهمايوني

اما الامانات المقدسة التي في الدائرة الفاخرة فهي البردة الشريفة التي اهداهـا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كعب ابن زهير ومعها :

١ - رباعية النبي صلى الله عليه وسلم

٢ - حجر عليه اثر قدم النبي صلى الله عليه وسلم

٣ - نعلان للنبي صلى الله عليه وسلم

٤ - سجادة النبي صلى الله عليه وسلم

٥ - سجادة ابي بكر الصديق رضي الله عنه

٦ - لواء النبيء عليه السلام

٧ - قبضة سيف من سيوف النبي صلى الله عليه وسلم

٨ - قوس من اقواس النبي صلى الله عليه وسلم

٩ - عصوان احداهما للنبي والاخرى لشعيب عليهما الصلاة والسلام

١٠ - حلة لنوح عليه السلام

١١ - حلة كبيرة لابراهيم عليه السلام

١٢ - قميص يوسف عليه السلام

١٣ - سيف داوود عليه السلام

١٤ - قميص سيد الشهداء

١٥ - قميص فخر النساء

١٦ - اعلام الخلفاء الراشدين

١٧ - عمائم الخلفاء الراشدين

١٨ - تسابيح الخلفاء الراشدين

١٩ - سيوف الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم اجمعين

٢٠ - سيوف العشرة المبشرة بالجنة رضي الله عنهم

٢١ - سيف جعفر الطيار

٢٢ - سيف خالد بن زيد

٢٣ - سيف معاذ بن جبل

٢٤ - سيف شرحبيل

٢٥ - سيف ابو طلحة

٢٦ - علمان لسيدنا الحسن وسيدنا الحسين رضي الله عنهما

٢٧ - عمامة اويس القرني رضي الله عنه

٢٨ - مصحف بخط سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه

٢٩ - مصحف بخط الامام علي كرم الله وجهه

٣٠ - مصحف بخط الامام زين العابدين

٣١ - مفتاح البيت الاعظم

٣٢ - ميزاب من ذهب

٣٣ - مصراع باب التوبة

٣٤ - غطاء مقام ابراهيم من الفضة

٣٥ - وعاء ماء اغتسل به النبيء صلى الله عليه وسلم وعلى ءاله واخوانه الانبياء والمرسلين آمين

الغاء الخلافة العثمانية

والعالم الاسلامي

عدد ١٠٤

ليس في مقدور اي قلم ولا في مستطاع اي براع وصف الاسف والاضطراب الذي ماج فيه العالم الاسلامي من صدمة خلع غلاة انقرة وملحديها لجلالة الخليفة الاعظم مولانا عبد المجيد خان بعد الغاء الخلافة . واخراجه هو وعائلته واعضاء اسرته الشهانية نساء ورجالا واطفالا من دار الخلافة العلية بصورة وحشية يرق لها قلب الجماد ويهوله منظر ابناء ذلك العرش المهيب متبعثرين حيارى لا يدرون اي سبيل يضمن لهم النجاة . تاركين وراءهم ديارهم تندب فقدهم وقصورهم الشاهقة واجفة كاسفة وكنوز اجدادهم الثمينة امتعة للغلاة والمتمردين . وما ذنبهم في ذلك غير انتسابهم لمؤسس ذلك الملك العظيم

وقع ذلك عن حين غفلة ونفذت ارادة انقرة بمؤامرة دبرت وسط المجلس الملي بمساعي مصطفى كمال رئيسه وعصمت وزيره الاكبر ولطيفة خانم حليلة الاول التي استمالت بسفورها القواد ورؤساء الجيوش وامتلكت قلوب ارباب الصحف بخطابها الساحر الذي القته بمؤتمر ازمير الحربي المدبر اجتماعه لتاييد فكرة انلال

عرش ءاخر الخلفاء الغزاة العثمانيين ، وذلك ليصفو لزوجها الجو بالتقيصر في قصور يلدز وليؤسس على اطلال سلطنة ءال عثمان ملكا لال كمال

نعم جرى كل ذلك رغم ارادة الامة التركية المسلمة العريقة في الايمان بدليل ما اقيم لها من المشانق والمحاكم العسكرية المطلقة في كل قرية وحاضرة ومصر على الخصوص بدواخل الاناضول ، وقد استبكمت تلك القوات كافة الصحف المتدينة بصارم القانون واطلقت العنان للملحدين من ارباب الاقلام لتهدية الراي العام بان في ذلك الخير العميم للامة التركية ، ثم استمالت الامة بالقذف والشهير بالخليفة واسرته والخلافة وضررها والدين وجامعته وغير ذلك مما معناه ان الجامعة الاسلامية خرافة وان الخلافة والخليفة وءال الباديشاه كان سببا في نكبة الوطن التركي واغلالا منعته عن النهوض . ذلك ما يقوله كمال ووزيره عصمت باشا وما تترنم به صحفهم المارقة المتشبعة بالمبادي الاروبية وتتعشق المروق

نعم كان قبل اليوم تذاع عن انقرا اخبار تشعر بوقوع هذه الكارثة ولكن التصابب والهيام الذي حصل للمسلمين من تاييد الدولة على يد من لقبوا بالمحررين والغزاة والفاتحين جعلهم يؤولون ذلك باشاعات ومبالغات ودسائس اجنبية ضرورة ان فعلا كهذا لا يصدر حتى من المجانين ، لان التاريخ لم يقص عن حكومة انها مرقت من دينها على اثر انتصارها او اخذت في تبديد مجد اسلافها ومحو اثارها والقضاء على اخلاقها وعوائدها ، كما فعلت حكومة المجلس الملي او دولة كمال وعصمت الملقب ببطل لوزان ، ولطيفة خانم ملكة رفع الحجاب وسلطانة السفور ...

اندهش المسلمون في سائر اصقاع الارض من تلك المباغتة المفزعة وهم في اطراف تقرير صلح لوزان يرددون ذكرى تلك الانتصارات ويتباهون بالتسامر فيها ويلتذون بحديث فتح ازمير ويكررون ذكر اجلاء ابريطانيا العظمى عن دار الخلافة مقر سلطان البرين وخاقان البحرين ، وما ذلك حبا في شخصية الترك ولا في نسبهم الطوراني القديم بل لكونهم اسلام ودولتهم اقوى دولة مومنة اليوم تؤمن على حفظ الخلافة المقدسة كما حفظتها منذ قرون ، وحفظت اثار من أستضاء بشمس شريعته الوجود واهتدى بنور هدايته الثقلان ، ذلك النور الاعظم سيدنا

محمد صلى الله عليه وعلى ءاله واصحابه وسلم . هـذا هو السبب الاصلي في العطف على الامة التركية واهتزاز كل من يدين بالاسلام فرحا من ابنائها المسرة ويزعجه اقل مكروه يحل بجانبها العظيم وهو امر جبلي في العواطف الدينية . وقد رايناه على اروبا المسيحية التي يتعشقها ملحدوا انقره اليوم تقليدا اعمى . فانها كانت ترعد وتبرق وتهتز لادنى اعتداء يقع على مسيحي واحد في لبنان او في كريت او في غيرها من الممالك العثمانية . بل وتجرد السلاح لحماية المسيحية المهددة في البلدان الاسلامية المتوحشة . . . . وهذا على علم منه حتى عصمت وكمال ان كانا مؤمنين

وعليه فان انتفاخ اوداج عصمت افندي من اهتزاز العالم الاسلامي لهذا الصنيع غضبا وتسميته تداخلا في شؤون تركيا المستقلة التي انتصرت بسلاحها والحرة في عملها فانه في غير بابه وقول لا هداية فيه

نعم سكت العالم الاسلامي عند فصل الخلافة عن السياسة ربما راى فيه بعض صلاح اقتضته الظروف ثم ابتهج كثيرا بقرار منع المسكرات وتحريم شرب الخمور ووجوب التزوج على المكلفين بواحدة لمن لا يقدر وباكثر الى حد اربع لمن هو قادر وذلك تكثيرا للنسل طبق مشروعية هذا الدين الحنيف . واصدار قرار في وجوب المحافظة على الاداب الاسلامية العامة والاخلاق الزكية وغير ذلك مما قارب ان يقول المسلمون وقتئذ ان عهد ابن الخطاب هو عصر كمال

ولكن فما لبثوا إلّا والاخبار المزعجة انذرت بطرد الخليفة الاعظم على الصورة الاتفة الذكر والغاء الخلافة وابطال التعليم الديني وهدم الاوقاف الدينية وقلبها ملكا للدولة وارغام العلماء على ترك شعارهم الديني ومحو التاريخ الاسلامي وفتوحاته والعثماني وغزواته من كتب الدراسة واباحة الزي في اللباس مطلقا ولو القبعة والزنار . ورفع الحجاب واختلاط النساء بالرجال وحسو الخمور بعد منعها وجعل الطلاق بالمحكمة تملكه الزوجة والزوج معا والاعلان بان الحكومة جمهورية اللادينية بعد ان كان دينها الاسلام واجراء الميراث على غير ما فرضه كتاب الله المبين

كل ذلك وقع عن تواصل فيه والامة التركية شاخصة باندهاش . فقد بلغنا عن شاهد عيان ان رجلا من شيوخ الاتراك المسنين حادثه بتاسف وبيده القرآن العظيم

قائلا انه ان دام سير هذا التيار فان كتاب الله سيرتفع من بين ايدينا وكأن الساعة قربت والامر لله .

افهل يحسن من العالم الاسلامي السكوت ولا يتذعر من امة احمدية الدين سيلتقمها التطور الالحادي بسعي افراد في حكومتها اسكرتهم نخوة انقياد الجيش لارادتهم وتحكمهم فيه فاستخدموه في اغراضهم الذاتية وساقوه الى اسكات الامة وتنفيذ العهود الصلحية التي عاهدوا عليها اعداءهم في الزوايا السرية وفي الظاهر صلح انتصار . فابتعدوا بالامة المومنة عن دينها واخلاقها واخذوا يمحون مجد اسلافها من صحائف الوجود . كلا ثم كلا . فان الغضب لله واجب وانه رتبة من مراتب الايمان .

وبسبب ذلك ربما يظن وان اسقاط الامتيازات القنصلية في الصلح قد احتلت به دول الخلفاء القانون العثماني فافسدته وعوض بقانون عام وضعي بحت وان الانجلاء عن دار الخلافة كان بدله ازالة الخلافة من الاتراك وبترك حماية الاقليات المسيحية الارمنية صيرورة الحكومة اللادينية طورانية ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم .

ثم بعد هذا يتبجح عصمت وكمال بقولهما ان العالم الاسلامي لم يفدهم عطفه عليهم بل حاربه وأنتصر بسلاحه فقط . فان كان له سلاح فلياخذ به الموصل وينابيعه من ابريطانيا اليوم . ولكن في الحقيقة ان العالم الاسلامي افادهم وخصوصا مسلمو الهند ولكن لا غرابة ان قال اولئك الغلاة القول ونقيضه .

فان خطبة كمال على اثر الصلح جاء فيها شكر العالم الاسلامي اجمع عن موازرته الادبية والمادية وخصوصا الهند فانه قال الهند ربحت الحرب التركية وقد بعث بهذا القول في تلغراف الى جمعية الخلافة مع تسجيل شكره وتحيته الى الابد . فما بالهم اليوم يسترون قبح صنيعهم بنكران الجميل ! !

هذه كلمة يقولها مرشد الامة والقلب (ءاسفا حزينا) على تلك الامال التي ذهبت ادراج الرياح في من لقبوا بالغزاة وسيوف الاسلام والفاتحين

ولكن لا لا . فليهدأ العالم الاسلامي بالا فانه لا خوف على الامة التركية من

الالحاد والتطور واستبدال ذلك الشمم الشرقي والفضيلة الاسلاميـة بادران التفرنج والمروق وفيها من القواد العظام من يستند عليه في ايقاف هذا التيار الجارف مثـل كاظم قارة بكير باشا وفوزي ورؤوف وكثير من العلماء العاملين ثـم الاناضول اكثر بلاد الله ايمانا

على ان التاريخ قد قص علينا اطوارا في الخلافة قوة وضعفا وصعودا ونزولا ثم معلقة وقتا طويلا . وكذلك السلطنة العثمانية فقد بقيت فوضى اثنى عشرة سنة بلا سلطان بعد موت السلطان بايزيد خان في اسره اي من ٨٠٥ الى ٨١٧ ثم عادت الى القوة والفتح والاستيلاء

وعليه فلا غرابة ان طوت الايام قريبا ذكر الجمهورية الطوارنية الفتية حتى لا تفسد على الامة التركية دينها بسقوط راسها المتغطرس الذي ترجم على ان الخطوة التي بلغ اليها هي اكبر من مجادته فتعود الامور الى مجاريهـا والخليفة الى عرشه واسرته الى ديار فتحتها اجدادهم وما ذلك على الله بعزيز

هذا وان الذي يتحتم على المسلمين اليوم النظر فيه هو حال الخليفة والخلافة والاثار النبوية المقدسة التي اعلن عليها عصمت باشا انها اصبحت ملكا للمجلس الملي (الذي لا دين له ومن اعضائه الارمن والاسرائليون والملحدون كاحمد اغاييـف الروسي) وانه هو الذي يمثل الخلافة الان . . .

هذا ما يجب ان يتدبر فيه مؤتمر عام يجمع بقاهرة مصر قريبا . اما بارجاع الخليفة لبلاده بطلب من امته او باسباب اخرى يظهرها المستقبل بلا بعد ان شاء الله تعالى حيث ان قول عصمت في خطابه قد اسقطنا الخلافة الى الابد . فليس التايـيد له فان التايـيد لله تعالى لا لملحد او كافر بنعم الدين مثله

ثم سلفا يعلن مرشد الامة برائه في جلالة الخليفة الحالى عبد المجيد خان انه يبقى على خلافته ويدعى له فوق المنابر باعتباره خليفة اخـذ اسيرا يترقب ارجـاعه لعرشه الى ان يتم جمع المؤتمر بقاهرة مصر اما على الوجه الانف الذكر او صيرورة القاهرة عاصمة وادي النيل مقرا للخلافة في ءال محمد علي العظام من جديد

حيث انه لا يوجـد مصر يعتاض به عن الاستانة العلية إلّا القـاهرة ولا عن ءال عثمان إلّا بئال محمد علي

واما شريف الحجاز فرجل صعلوك لا حول ولا قوة له وفقير يرتزق من الصدقات هو وحكومته الوهمية ومن احباس الحرمين . فلا يصلح شيخ قبيلة فضلا عن ان يكون خليفة للاسلام والمسلمين وان بايعه الاردن والفلسطين والعراق حسبما قراناه في صحف الشام التي لا تنظر عن بعد او لصالح عام . لانهم لو تبصروا لاستبانوا وان الشرط في الخلافة القوة والعمل للدين وهم قد شاهدوه يترامى على موائد العمد الانكليزيين بالقدس وبعمان باسطا لهم كف الرجاء في قضاء مصالح شخصه بالامس وما استطاع ان يحرر قسما من السكة الحجازية الاسلامية التي كان سببا في اتلافها وهلاك ذلك القطر العظيم . فكيف يبايع بالخلافة حينئذ

على انه يكفي في طرده من الحجاز ثلة عسكرية من قوة سلطان نجد جلالة ابن السعود المعظم او امام اليمن العظيم وما ذلك ببعيد

وعليه فيجب طرحه من الذكر حول هاته المسالة العظيمة طبق رغائب الامم الاسلامية المغربية والجزائرية والتونسية والطرابلسية والمصرية وامة الهند كلها التي عليها المعول في هذا الباب وقولها هو القول الفصل والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق

الاسلام جندي الله

يا اسفا على آل عثمان

عدد ١٠٤

ليعذرنا القراء اذا نحن اكثرنا من البحث على الخلافة في الاسلام فان الامر الجلل يحتم على كل مسلم يعيش على ظهر هذه الارض ان لا ينسى واجبه وان لا يهمل شانا تاريخيا جليلا ارتبط بماضي الاسلام وآتيه

قضي الامر وفاز اقطاب انقرة بطرد الخليفة والغاء الخلافة فطوى الدهر صفحة من كتاب وغيب القدر في غسق حظوظه آخرما تبقى لال عثمان الاساد من مجد وسلطان وجلال وعنفوان . ووقف العالم الاسلامي يحدق في صور هذه الكارثة تحديق الذهول والحيرة . وقد حال اعجابه باولئك البواسل الذين حرروا بلادهم

من اساراها الى احتقار ممزوج بالمرار والامتعاض والاشمئزاز . واتضح لديه ان اولئك الذين تحصنوا بالاسلام في حربهم العدو واستصفوا اموال المسلمين يغدقونها على جرحائهم وينفقونها على ابتياع الذخائر ما اقروا للاسلام بنعمه السوابغ ولا اعترفوا بجميل ايديه فامتهنوا اقدس شيء فيه وقضوا على خلافته وقد انافت على اربعة عشر قرنا ففي ذمة التاريخ ما عملوه ! . . .

انه ليتعين علينا ان نجيب جوابا سديدا اولئك الذين يرون في تركيا الحاضرة القوة الهائلة في الاسلام يتعين علينا ان نقول لهم قولا صريحا لا تشوبه شوائب الكذب والمهاترة وحسبنا في القول ان نصحب الصدق والامانة وان لا نحيد عن الصدق والامانة فمن شاء ان يؤمن فله ان يطمئن الى جليل ثوابه ومن شاء ان يكفر فله شديد عقابه . يقول اولئك الذين يرون في اتراك انقرة ذلك الحصن المنيع الشاهق ان الاسلام ليعتز بالانقريين فان قام سلطانهم قام سلطانه على رؤوس حرابهم وان ذلوا ذل وآب الى الضياع . اما نحن فلا نؤمن بهذه العقيدة وانها لخرافة فالاسلام ما قام بامة من اممه ولا استقر ثابتا قائما بشعب من شعوبه وهو اذا سرى وامتد واستطرق الى البلاد فاتحا غازيا يهيمن على القلوب والشواعر . فذلك لان له من قواه الادبية السامية ما هو اقوى واشرف من جنود الترك الانقريين وانه لينتشر في كل بقعة من بقاع الله وحيدا منفردا غير مصحوب بالسفن المواخر غير مرتكز على السيوف البواتر غير مطمئن الى الجحافل انه لجندي الله واشرف جنوده على الاطلاق واكرم دين عنده . فبينما تراه هادرا كالسيل في الصحروات المقفرة الجدبة يجعل منها جنات وريفة الضلال شجراء اذا بك تراه ممدود الرواق على الشواطيء ما بين بلاد النيجر والشمال الافريقي . فهل كان الترك هم الذين نشروه في السودان والسنغال والكمرون والفيلبين ! هل كان الترك هم الذين نهدوا به الى الصين والهند وجاوه ! كلا لم يكن للترك ولا لغيرهم من شعوب الارض نصيب في شرف هذا الجهاد . فالاسلام يجرف الوثنية كالتيار ويطويها في غماره ويغمرها في تضاعيف امواجه !

اذن فلا خوف عليه ولا جزع بعد ان نفض الترك ايديهم من خلافته . نعم لا خوف عليه ولا جزع وان تنصر الترك على بكرة ابيهم . وما كان لشعب صغير ضئيل

كالشعب التركي ان يحدث تأثيرا في سير الاسلام وقد قلنا انه جندي الله وما كان لله ان يتخذ جنديا مجردا من سلاحه المرهف الحد !

اضمحلت الخلافة العربية في الاندلس واستباح الاسبان والصليبيون من حلفائهم حماها وامتهنوا اقدارها وشاركهم الترك لذلك العهد في غض النظر عن اعمالهم فهل تلاشى الاسلام واضمحل ؟ . كلا . والفظت الخلافة انفاسها في القاهرة وبغداد على يد الترك فهل قضى الله ان لا يكون للاسلام قوة الاضطلاع بالاعباء والصمود للمكاره !

ان الخلافة الاسلامية ميراث ابي بكر الصديق من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقد تعاقب عليها خلفاء كرام على نبيهم وعلى قومهم وعلى العصور التي اورقت بهم وازهرت بعدلهم واينعت بفضلهم فلا خوف عليها ولاضير بعد هذا اليوم فان لها ربا يحميها ونبيا يسهر عليها وكراما بررة يحرسون مشارفها واقيالا يرعونها

نكتب ذلك وليس في قلوبنا غير ذكرى التوجع نحسها حيال آل عثمان الاكارم الذين اشتركوا في فضل هذا الجهاد الذي قام به الاسلام

وان الاسلام لن يقدر له ان يجحد فضلهم فقد اعطوه من الارض اجمل عواصم الارض ووسعوا حدوده ووطدوا بنيانه وذبوا عن كرامته وجيشوا الجيوش لاعلاء كلمته فسرى بفضلهم مسير البرق ما بين افريقيا واسيا واوربا

نذكرهم ونحفظ لهم يدا بيضاء ونطاطيء رؤسنا اجلالا لحرماتهم وان هتكها اقطاب انقرة المتطرفون (معروف الاناؤوط)

الهند

ينهض نهضة دينية

عدد ١٠٥

توجد اليوم على سطح الاصقاع الهندية الواسعة الارجاء الغنية بصادراتها ونتائجها الاهلة بمئات الملايين من النفوس حركة وطنية قومية عظيمة تبشر بتخليص

خمس اليابسة (الهند) من براثين الاسد البريطاني في يوم من الايام وايصالها الى الاستقلال التام .

وذلك نظرا لحركة النهوض المتتابعة في سائر عواصمها وعند كل اقوامها على اختلاف نحلهم ومللهم ومذاهبهم . فانهم في عداوة المحتل لهم على السواء وفي شعورهم بالواجب الوطني على صفاء واتحاد عظيم

واعجب ما يذكر عن اتحاد الزعماء بالخصوص في الوجهة الواحدة هو ان الزعيم الهندي العظيم غاندي اخبر بان الوطن سيمنحه (تكرمة) تخلد ذكره على توالي العصور جزاء جهاده في سبيل تحرير بلاده . فاستمنح عفوا من قبول ما يجعله متقدما عن اخوانه الزعماء وفي مقدمتهم علي شوكت واغا خان قائلا سيما وان المنحة كانت ذكرت للاول قبل اطلاقه من السجن

وهي عواطف تنبيء عن كمال في النفس وحكمة عالية واخلاص في العمل . وانها لمن اجل المواعظ لاولئك الافراد الذين يتكالبون على التتويج بزعامة امة وهم اذنابها . بل والاذناب فيهم كثير . . . ؟

ومن الجدير بالذكر ان نهضة الهند زيادة عن كونها قومية سياسية عامة . فهناك نهضة اسلامية دينية عظيمة تبشر حقيقة بان فخر الاسلام سيعاد شروقه من الشرق كما طلع من قبل . ولا ادل على ذلك باكثر من اهتمامهم بامر الخلافة العظمى وشدة انعطافهم على الجامعة الاسلامية وتاييدهم لدولتها في كل موقف صعب الى اليوم والى الابد

ومن الذي يذكر بامتنان عظيم لاخواننا الهنود اليوم هو قيامهم بواجب ديني قد اهمله العالم الاسلامي اجمع كما اهمل واجبات كثيرة . الا وهو التبشير بالدين الاسلامي ونشره بين الامم الاجنبية عنه زيادة عن انتشاره من نفسه لقوة نوره ووضوح حجته ومعقولية تكاليفه الالاهية

فان من يطالع الصحف الهندية الاسلامية حقيقة ينشرح لها صدرا ويبتهج لها قلبا ويرتاح لها خاطرا بقدر ما ينقبض من بعض النشريات المتطعة المحتفل كتابها بمدنية الغرب وتمدنه والتي تجاهر بوجوب الانفصال عن الدين للنهوض .

فقد جاء في رصيفتنا « الخلافة » الغراء التي تصدر في بومباي تحت ادارة رصيفنا السيد علي بهادر خان ، ان الحركة الدينية في تزايد عظيم وان نشر الاسلام وتكثير سواده هو الشغل الشاغل اليوم وان جمعية الخلافة والجامعة الاسلامية قد اسستا نحو سبعين مدرسة كبرى لغرض ايواء ابناء الداخلين في الدين الاسلامي وتربيتهم وتعليمهم وتحضين الايتام والفقراء وايفاد الوفود التي تقوم بالتبشير بالدين الحنيف وتلقين تعاليمه في سائر ارجاء الهند وحتى لاواسط افريقيا وبين متوحشيها الزنوج فجزاهم الله عن الاسلام احسن الجزاء وامدهم بعون منه ءامين

كما قرأنا وان في الهند حركة نسائية دينية لترقية المرأة الهندية في دائرة الدين وحدود تكاليفه كما يفهم ذلك المعنى من خطاب ام الهنود الكبيرة (١) ووالدة الزعيمين علي شوكت و محمد شوكت التي القتها في مؤتمر نسائي بجزيرة سيلان عنداستصحابها لولدها الاول الذي كلف بالتجول في الهند لفائدة الخلافة وبث دعوة الاستقلال ، والى القراء نصها نقلا عن مجلة الجامعة الغراء التي يصدرها في عاصمة كلكتة الاستاذ مولانا ابو الكلام ابقاه الله تعالى ، قالت ام الهنود العظيمة

ايتها السيدات وايها الناس ! اني اخبركم الان فيما يجب عليكم عمله في هذا الوقت الرهيب ، يجب على النساء ان ينفخن روح الشجاعة والهمة في الرجال ، ولا عجب فان جميع الاعمال الكبيرة التي تمت في الدنيا كان للنساء فيها القدم المعلى ،

يجب على النساء ان يحيين حياة طاهرة نزيهة ، في بيوت ابائهن كن او في بيوت بعولهن ، ان اكبر واجبات النساء في بيوتهن القيام بتدبير المنزل وتربية الاولاد ، ان كان الرجال يخلدون اسماءهم بسيوفهم البتارة فان النساء يخلدن اسماءهن بنورهن الذي يستضيء به الرجال في سبيل معالي الامور والذي لا يفوزون بدونه في جهادهم فان رات النساء ان الرجال قد استولى على قلوبهم الجبن والخمول فعليهن تشجيعهم وتحريضهم بضحاياهن العملية حتى يصبحوا بواسل وابطالا !

---

(١) انتقلت الى رحمة الله تعالى في ربيع الاول سنة ١٣٤٣ عن سن لم يتجاوز الثمانين سنة بدهلي واحتفل بدفنها احتفالا عظيما رحمها الله تعالى

سيداتي ! اني امرأة قد بلـغ بي الكبر عتيـا ، وقد رايت بعيني راسي هاتين انقلابات جمة : سياسية واجتماعية، لقد تغيرت احوال العالم الان كما كانت عايه عند طفولتي « اني عجوز » وافكاري عتيقة ولذا لاتعجبني افكاركم الجديدة واوضاعكم الحديثة ، ان الرجال يصفوننا معشر النساء بالضعف والوهن ، ولكني اقـول لكم ان النساء ليست كذلك ، ان النساء باسلات شجيعـات لانهن اللاتي تلدن الرجـال البواسل الابطال ، واني كلما تدبرت في احوال الهند ، ظهر لي جليـا ان الهنـديات اشجع واقوى من الرجال ، اني شيخة هرمة ولكني استطيـع ان اتبـاهى باولادي الذين لم يصيروا كما هم الان إلّا بتربيتي اياهم على هذه الخصال ،

لما توفى زوجي كان شوكت علي لم يجاوز السادسة من عمره اما محمد علي فكان طفلا رضيعا في حجري لم يبلغ سنتين من عمره، ماذا فعلت يا اخواتي واخواني عند ما وقع الدهر علي بكلكله ؟ فعلت ما كان واجبا علي وما هو واجب على كل امرأة، وهواني شمرت على ساعد الجد وقمت بادارة البيت والعقار التي تركها زوجي المتوفي لاولاده ، ثم ربيت اولادي وعلمتهم وارسلتهم الى المدارس والكليات في الهند وفي اوروبا ،حتى اذا بلغوا اشدهم وتخرجوا من معاهد التعليم ، اجلستهم امامي وقلت لهم « اني اريد ان تكونوا جنودا بواسل ، ان صرع الصرعة ليس بشجاعة كبيرة اذ ليس فيه إلّا اظهـار القوة البهيمية بل انمـا الشجاعة بذل النفس والنفيس في نصر المظلومين واغـاثة المنكوبين ، ان التضحية الطاهرة لهي الشجاعة حقـا وكلمـا انتم تضحون انفسكم وتتحملون المصائب في سبيل غيركم تمجدون ،

ولما كان ولداي هذان معتقلين في السجن ارسلت الحكومة الي اوراق ،صحوبة بخطاب من قبلها تقول لي فيه بانه يجب عليك ان تنصحي ابنيك بان يوقعا على هذه الاوراق التي كانت طلبت فيها الحكومـة شراء حريتهما كنت اذ ذاك من المحتجبـات الواقرات في البيوت ولكنني مع ذلك ذهبت الى السجن وقلت لولدي ان احب شيء الي هو حريتكما يا عيناي ! فاريد ان تحافظوا على حرياتكم مهما دهمتكم المصائب وقرعتكم القوارع ، قـد اتمنى ان ترافقاني الى البيت ولكنكم ان كنـتم تحبون الحرية فيجب عليكم ان تظلوا مخلصين لدينكم ووطنكم ، واعلموا انكم ان حدتم

عن الجادة جادة الدين والوطنية الصادقة فاعتقدوا اني اخنقكم خنقا واجعلكم من المقتولين المذمومين الذين لا تبكي عليهم السماء ولا الارض !

ولما كنت ذاهبة الى لقاء ولدي وجدت في الطريق الوفا مؤلفة من الناس كلهم يدعون الله ويتضرعون اليه لحياة ولدي ورفع درجتهما ، فوبختهم قائلة : ما لي اراكم تدعون لاولادي ولا تدعون لتحرير النوع الانساني ولانفسكم من هذه العبودية الشائنة ، تقوا اخواني ! ان عباد الله لاحب الي من ولدي فان تضرعت اليه لخيرهم اجمعين فانه تعلى يرحمني ويرحم اولادي !

ولقد عذلني كثير من الناس : لماذا سلكت باولادك هذه الطريقة المحفوفة بالمخاطرة عليك وعليهم ؟! (فقلت لهم) لا تعذلوني ياناس ! ان ابنائي لم يسلكوا طريق الهلاك والخراب بل انما هم قد سلكوا سبيل الحرية والنجاة ! ولكنكم قوم تجهلون وكذلك وبخني كثير من اقاربي قائلين : ما كان ينبغي لك ايتها المرأة ان تنغصي على اولادك حياتهم ، هم ماذا يستطيعون ان يفعلوا امام هذه الحكومة العظيمة ! ، فقلت لهم « صدقتم » ولكن الله تعلى ائتمنني بامانة وامرني ان لا اخونه في امانته ، ان امانة الله هم اولادي هؤلاء فانا انفقهم في سبيل الله وان لم افعل ذلك اكون قد خنت الله في امانته ، ان اولادي ليسوا لي بل لله تعالى خالقهم فان ادخرتهم لنفسي واسات لعواطفي في امرهم اكون اثمت عند الله ، نعم هم وحدهم لا يستطيعون شيئا امام هذه الحكومة الهائلة ، ولكنكم اما سمعتم المثل الفارسي القائل : ان البطيخ تكسب لون البطيخة الاخرة ، وها انا ذي ارى بعيني راسي ان الملايين من البطيخ قد تلونوا بلون هذين البطيخين ، بل قد اصطبغت الامة الهندية كلها بصبغتيهما فهي الان في جهاد وعراك لاسترداد حريتها وحقوقها ! .

ولما حكم على ولدي بالسجن لسنتين في « كرانشي » كنت محمومة حتى لم اكن استطيع القيام ، ولكني سئلت الله ان يهبني قوة من لدنه فاجاب الله دعائي فقمت من فوري وتوجهت الى كرانشي ، وقد وجدت على كل محطة من طريقي الوفا مؤلفة من الناس جاءوا لتعزيتي فاخذوا يبكون ويقولون : لا باس عليك ايتها السيدة ! ان الله تعالى يسهل عليك مصيبتك ! ، فاصغيت الى القوم حتى اذا

سكتوا رفعت القناع عن وجهي وقلت هاكم انظروا الي . اني انا امكم يا ابنائي . ان ذهب شوكت ومحمد الى السجن فليذهبا . لست متاسفة ولا حزينة الستم انتم اولادي ؟ !

وصلت الى كراتشي فوجدت ولدي في ملابس المسجونين من اللصوص والقتلة . فقلت لهما : يا اولادي ! جئت اليكم زائرة ومهنئة . انكما حقا اولادي . لا تذكروا الان الراحة ورغد العيش الذي ربيتكم فيه . انكم ان وهنتم او حدثتكم نفسكم بالجبن فلستما اولادي ! اعلما يا عيناي ! بان الجندي اكبر ما يفتخر به هو ان يموت في ساحة الوغى متقدما زاحفا . ان الفرار من الحرب لا يليق بالرجال فليكن موتكما في الحرب ان قدر لكما ان تموتا فيها !

اخواتي ! لم اقل كل هذا لافتخر امامكن . بل حدثتكن به لتعلمن ان الرجال ليسوا إلّا صنائع الامهات والنساء . فان وجدتن احد منهم جبانا خوارا فلا ذنب عليه فيه وان الذنب كله على امه التي لم تربه تربية تنفخ فيه روح الشجاعة والهمة . ان النساء دائما اشجع من الرجال سيما نساء الهند اللائي قد خلد التاريخ احاديث شجاعتهن وتفانيهن في سبيل واجبهن . فان كنتن تتبرمن الان من جبن رجالكن فعليكن بتجبيهم وحثهم على معالي الامور . ولا عجب ان النساء قد اعطين سلطة معنوية على الرجال ما فوقها سلطة . وما الرجال امامهن إلّا كالخيل التي اعطيت ازمتها بيد الفرسان . فان كان لكن يا اخواتي ! اولا او ازواج او اخوان فيجب ان تعلمنهم بان الجهاد في سبيل الوطن اكبر واجب عليهم . وان القيام بمعالي الامور الواجب على كل رجل وإلّا فليس هو برجل . وان احترام النساء من اي امة وبلاد او دين كان واجب عليهم كما يحترمون امهاتهم وبناتهم واخواتهم .

يقولون كثير من الناس انني قد اقتبست هذه الافكار من اولادي . يا للجهل ! هل انا حيوان اعجم لم اعط عقلا افهم به واجباتي ؟ ثم اني سئلتهم هل انا ولدت اولادي ام هم ولدوني . انا ربيتهم ام هم ربوني ؟ فكيف يقولون ان هذه الافكار الاولية التي يجب ان تكون في كل انسان ذكرا كان او انثى - قد اقتبستها من اولادي ؟ ولكني يا اخواتي لا الومهم على هذا الظن الباطل لانهم يرون اكثر اخواتنا في الهند لا يهتمن كثيرا بواجباتهم الوطنية . فهم يحسبون ان هذه المرأة التي قامت بواجبها

انما قامت بعد ان اهتدت باولادها ، ولكنني اقول لكن يا اخواتي انه هذا هو الوقت الذي يجب عليكن القيام فيه بواجبكن ، يا نساء هذه الجزيرة الجميلة ان نساء الهند قد اعلنت من منابر المجمعات العامة انها مستعدة لان تضحي نفسها ومالها واولادها في سبيل القضية الوطنية فعليكن ايضا ان تشمرن عن ساعدكن وتنزلن في ميدان الجهاد ، الا تنزلن الان ايضا وقد كادت بلادكن تموت جوعا وتختنق من عسف الاجانب .

الا اننا نريد السوارج لبلادنا الا اننا لا نرضى بعد الان بذل العبودية ، ان الحكومة أن لم تجب مطالبنا فاننا ننبذ قوانينها نبذا ولا نتركها تتمتع بحكم البلاد هادئة مطمئنة ، ألا ان السيل قد بلغ الربى وجاوز الحزام الطبيين ، وليس لنا بعد الان إلّا المجازفة والمخاطرة ها اننا نموت جوعا فلنمت احرارا ابطالا عوضا من ان نموت ميتة الكلاب والخنازير ، ها ان نساء الهند قد تنبهت وصرحت لازواجها واخوانها وابائها واولادها بانه حرام عليكم ان تعيشوا في الذل والعبودية بل لتموتوا في سبيل العز والحرية ! اننا معشر النساء لا نخاف غير الله احدا ، لا نخاف السجن ومصائبه بل لا نخاف الموت الزؤام ! انني امراة هادئة قد بلغت من الكبر عتيا ايتها السيدات ! ولكن نارا تشتعل في صدري ولا تتركني استقر على قرار ، ولذلك ترونني انتقل من مكان الى مكان اجوب الفيافي والقفار وادور في جميع الاقطار ، اذكر الناس بواجبتهم الدينية والوطنية واحثهم على المجازفة في الحرية والانسانية ! هيهات ان اسكت واستريح إلّا بعد ان ارى بعيني راسي شمس الحرية قد اشرقت على ربوع الهند التعسة او اهلك فاكون من المقبورين ؟ ولكنني اعترف بين يديكم فاني ادعو الله تعالى ان يؤجل في عمري ويمهلني حتى ارى بنفسي تحرير هذه البلاد المقهورة ، لقد شهدت انقلابا كبيرا سنة ١٨٥٧ وكنت اذ ذاك في السابعة من عمري ، واتمنى لو ارى في حياتي انقلابا اخر تحرر فيه الهند من قيودها فاموت هادئة مطمئنة

التشريع الاداري

ومضاره في الشعب

عدد ١٠٥ في ٧ ذي القعدة سنة ١٣٤٢

يطلق التشريع ويراد منه ما سن من القوانين والتكاليف الوضعية اطلاقا مصلحا عليه اعم من ان يكون المسنون شوروي الوضع او اداري التقنين . وهو خلاف ذلك (الاطلاق) من حيث الحقيقة اذ ان الاصل في التكاليف شرع الله وتنزيله الذي لا ياته الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم سنة الشارع العظيم وما اقتبس منها مفهوما او اتحدت في المقتبس علة الحكم والسبب

واما الاوضاع العقلية المجردة وبالاحرى الفردية فمجاز في تسميتها شرع وفي اسنانها تشريع وفي احترامها شريعة . وهيهات ان يحصل منها للنفوس ارتياح او يطام لها في حالك الضلال صباح ! ....

هذا ونظرا لسعة الكلام على الاصل في الشرائع وبيان ضرورة البشر لها وناموس سيرها مع الصالح الانساني سيرا يلائم محدثات الامور واعتداء البشر وفجوره (ولا اقل رقيه كما زعم من لا خبرة له) فلا ارى مسوغا لبسط نظرة عامة بين يدي هذا الموضوع الهام الذي جعلنا له طالع المقال كمنطقة محترمة الحد للكلام عليه خاصة حتى يتجنب التطويل المفضي الى ضياع المقصود .

لان الالمام بسنن التشريع على الوجه الحكمي وبيان ارتباطه مع الفطرة البشرية ثم النظر في العقل الذي هو مناط التكاليف هو كالساحل الذي يكل عن ادراك طرفه غير حاد البصر وصقيل العقل . وربما عدنا له تطفلا حتى لا نهمل اقناع من وقع في الغلط اخيرا ولو كان امدي المدارك في هذا العصر ! وحتى يتحقق وان الهداية ليست من نتائج التمدن المعروف لهذا العهد ولا ان الرقي الفكري علة في الاستقامة او باعث على تجديد الشرائع بحال . لاننا نرى الشرور تفاقم مع وفرة عدد

الاكراه والقهر التي هي نتيجة عظم المدارك والرقي العقلي وكانت بلاء على الانسانية المستضعفة تمطرها الصواعق المحرقة وتريها من العذاب في كل اونة الوانا . حتى اصبحنا في زمن يقتل الانسان القوي اخاه الضعيف عمدا ثم يجد في شرع القضاء الوضعي مخرجا محترما وضعته فلاسفة التشريع عند رجاله فيحكم له بالبراءة من القتل ويداه ملطختان بدم المقتول وذلك بمستندات يضحك منها حتى الحيوان الاعجم لو شربها كأن ظن الجاني انه سبع ضاري او وحش صيد راق له اقتناصه او ترجح لديه ان المقتول قصده بسوء فدافع عن نفسه فصادف الاجل ! . . . . . .

فلذا اشبه هؤلاء المتشرعون المتمدنون سكان خط الاستواء في الحاجة الى اقامة شرع الله تعالى بينهم واجراء حدوده على السوا . فليترقب منا العود لذلك المجال ببيان حسب مجهودات اليراع وجوده بمدخراته العلمية ثم اشرع في المقصود من مقال اليوم وهو التشريع الاداري وفساده في الامة وسوء عاقبته في البلاد فاقول :

قرر اساطين العلم بسياسة الشعوب في معاجمهم السياسية ان من الامراض الاجتماعية المهلكة (الواجبة الاسراع لها في العلاج) هي ازالة الشورى الفعلية من الامم واجراء الحكم فيها باطلاق تشريعا واجراء . كما ذكروا ايضا في هذا المعنى ما شرحه وبيانه . انه ايما بلاد كانت امتها مقيدة وحكومتها مطلقة إلّا وانتشر في ارجائها الفقر ثم ساءت مئالا بعد ان تقطع فترة من الحياة تتجرع فيها غصص الاكراه وآلامه

وهو امر مسلم معقول المعنى لا ينبغي ان يقام على صحته دليل لان الشعوب المقيدة وسط الحكومات المطلقة تسير في شؤونها العامة عن غير ارادتها . فتحمل ما لا طاقة لها به وتكلف بما لا مصلحة لها فيه البتة ولو كان التكليف او المطالبة بانظمة وقوانين . . . وهو نوع من التسخير المنظم المعروف لهذا العهد او الاسترقاق باسم القانون . . . . . وقد سئم تلك الحياة النكدة كل شعب مستيقظ او غافل قد مس بعوامل الشدة في اكثر الحواس احساسا وفزع من قبح ما يساس به . فشمر عن ساعد الجد في العمل للوصول الى استرجاع حريته التى اغتصبت منه وحجته الحاجة والحق . وان لا اوضح من حق امتلاك الانسان لشيء ولد معه في مهد الانسانية وهي

الحرية الطبيعية في افراد البشر . فمن الشعوب من استكملها وبعث بذوي الاطلاق فيه الى حيث رحلها القت ام قشعم. ومنهم من توسط الطريق ولم يزل دائبا ورائده الرشد ونجاحه العمل . ومن الشعوب من رضي بالمشاركة فقط وتسامح في النصف الاخر لا اسوة ببقية الشعوب التي اجتذ الاطلاق فيها من جذوره بل حفظا لبقائه المهدد بالانقراض ولكن من نكد الدهر عليه لم يساعف بجزء ما من مطالبه وابت الادارة فيه إلّا ان تكون مطلقة العنان وهو مقيد مكتوف الايدي حسبه من امره الامتثال عند الاجراء فقط

ومن الخطأ ان لا يعجب من ذوي القوة في جهلهم عاقبة تصرفهم مع شدة وضوحه او انهم عارفون به ومستكشفون لمآله ويصرون عن عمد . اذ غاية ما يقال عنهم انهم في تشريعهم لا ينظرون إلّا لجهة واحدة فهم اشبه بذي الخف في النظر قبل ان يهتدي الى المسلك المستقيم اذا نظر وتعددت امام بصره السبل . . . وغالبا يرى الصلاح طلاحا والاعوجاج استقامة ان لم اقل عن دوام واستمرار . واذا كان التشريع الاداري مرضا عضالا تجب ملافاته بالدواء الناجع وإلّا سار بالامة الى الوراء الى ان تلاقي الحتف كالواحد نصف الاثنين صحة واعتقادا .

هذا ومن الذي يستطرد ذكره هنا كموعظة وذكرى هو ان فرنسا الجمهورية الحائز شعبها لكل حقوقه لما عام وان الذي يدير سياسته قد ظهر عليه الميل الى النخوة القيصرية وشعر بان التصرف وان كان جمهوريا في الظاهر لكنه في الحقيقة عصر نابليون يتجدد لمجرد طلب الحكومة من مجلس الامة تخويلها حق اصدار القوانين بصورة استثنائية لصالح البلاد . . .

فكان من خوف الامة الفرنسوية على قانونها الاساسي (اعني الدستور) ان تعبث به اميال من اشربوا حب الاكراه والتسلط وشغفوا بتعبئة الجنود للسلم كالحرب المستلزم للنفقات الباهضة والتكاليف العظيمة والمفضي الى تعقيد المشاكل التي جعلت فرنسا (الظافرة) تتقهقر من صف الظافر الى مقابله ، بان لبت الدعوى الاشتراكية في الانتخاب الاخير واستوثقت انصارها ففازوا فوزا اندهش العالم المتمدن من سرعته واصبحت الحكومة المنتظرة حكومة شعبية اشتراكية رديكالية تعمل لانقاذ

البلاد من الفوضى الاقتصادية والسياسية المعقدة والذي كان العالم الانساني يظن انه سيستقبل فجر سلم مستمر فكان في ارتباك وعسر ضعفي ما كان عليه وقت حرب ذي شرر كالقصر ، وكل ذلك منشاه الشغف بالشغب والالتذاذ بالعمل المطلق والاستعباد بالبشر .

وعليه فاذا كانت الامة الفرنسوية بهاته الاميال العالية ولم تسمح بسلطة ما تكون خارجة عن دستورها الجمهوري ولا يكون القول الاخير في كل شيء للشعب . فكيف ترضى بحال عليها شعب تحت لوائها وفي كنف حمايتها كالشعب التونسي المخلص الذي قاسمها المحن وشاطرها في كل موقف صعب ، وقد سارت فيه الادارة المطلقة بتصرف جائر عكس ما هنالك على خط مستقيم . بان قيدته واطلقت لنفسها العنان في كل ما امر والكل باسم فرانسا الحرة والحال انه عمل شاين ومستقبح في تاريخ الامم المتمدنة ومستهجن في نظر الحكومات العادلة ومنذر باخلال حال الجهتين وان طال الزمان . وبعبارة اخرى فقد بلغ من ممثلي الجمهورية وراء البحار الى حد التقصير فجمعوا في شخصهم سلطة السلب والايجاب بلا معقب ولا سؤال ، بل قد ابتعدوا في حالتهم الشخصية عن الاخلاق الجمهورية الناصعة بعدا شاسعا حتى اصبحوا في ادنى ارتحال وانتقال يوجبون اختراق الجنود المصطفة ذات اليمين وذات الشمال ويلتذون بانحناء الرؤوس المحتشدة حول الممر احتراما لذلك الجلال المتسيطر على النفوس .

واما القوانين ونسجها وتجديدها فهي كالمطر الوابل بحيث ان كل فرع للادارة العليا يعمل لنفسه ما يشاء من الاوامر والقوانين والقرارات ويمحي ما يشاء ويثبت ، والشعب نائم وعيناه مفتوحتان (اعني مقيدا) لا علم له بما سيكلف به في الغد إلّا عند الاجراء : واذا تضجر من ثقل ما كلف به وشكى ثم بكى واستبكى يجاب بان الامر اصبح مقضيا محترم الاركان ولكن ربما تصدر فيه تعاليم خاصة لاعوان التنفيذ بان يقالموا من غلوائهم عند الاجراء كاعوان البوليس وغيرهم من ماموري القوة العامة كما وقع في قانون الاحتكار الاخير عند استجواب الادارة واقناعها بضرر التعبد بذلك القانون على ذلك النسق العقيم

فان الامر الاداري المشار له قضى باسلوبه المبهم على التجارة والفلاحة معا وزرع في النفوس قلقا من الاستمرار على مباشرة اي عمل تجاري او زراعي حيث صير موردين من موارد الارتزاق العظيمة تحت خطر ارادة البوليس وكدر التوقع من التفتيش والوشاية والتدليس !

فان من تاريخ الغد ليوم صدوره رفع عون البوليس المحلف تقاريره في تجار اربعة لادارة النيابة بالقضاء (المستقل) اثبت فيها ارتكاب مخالفة عظمى لامر الاحتكار العادل ... والمخالفة هي جعل التجار علامة سعر اثمان السكر ٣«٥٠ بدل ٣«٣٠ للكيلو غرام في ذلك اليوم ، ورغما عن قولهم بان مشتراهم كان باكثر من ذلك واثبتوا وان سعر البيع المجمل في ذلك التاريخ كان بحسب ٣«٣٠ ولا احتكار في جعل ثمن المفصل ٣«٥٠ لانه لا يفي بنقص في الميزان حيث كان الربح عشرين صانتيما ....

فقد اصدر القضاء (المستقل) حكمه في القضية المرفوعة من البوليس على كل منهم بشهرين سجنا يعني حبسا في الظلام الحالك وتحت الاقفال وبخطية قدرها خمسمائة فرنك يعني خمسة عشرة مائة فرنك بفضل قانون ادارة المال العامة الذي يخول لها مضاعفة الخطايا الى اضعاف ثلاثة .....

وما سند تلك الاحكام القاسية التي اذا تم تنفيذها وتصورنا وان تاجرا كان بمحله وبين يديه راس مال يرتزق منه فاذا هو بالسجن مع الجناة وراس ماله بكاسة القباضة العامة ضحية التشريع الاداري الممقوت ، وتقارير البوليس المعصوم من الكذب في نظر القضاء التونسي والشريعة الادارية معا

والذي يزاد بيانا على ظلمة الشريعة الادارية الخالية من مساندة الاراء وحصافة العقل والعلم بالمصلحة العامة ان الامر المذكور لم يكن شاملا لاصحاب المطاحن الكبرى واضراب هؤلاء المحتكرين من الماليين بل هم في مأمن من غوائله وسيطرته وانه لم يشاهد عليهم التياعا يحملهم على مراعات اثمان القمح في بيع السميد ، فانه كثيرا ما يكون الصلب بثمانين والمطحون بمائة وثلاثين فرنكا والبوليس نائم وادارة المال تبتسم من جمال ما يفعلون ؟ وانهم في نظر القانون على تباين عظيم ....

واما قوانين ادارة الغابات وهولها المستمر وكيف اقفرت فرقا قضى عليها سؤ الطالع بجوار الغابات والجبال الدولية ولم يزل العمل جاريا بها من نحو عشرات السنين فان شرحها يطول . ولنكتف اليوم بحكاية مسجلة عندنا تدل على نكد تلك القوانين في الامة قد قصها عنا احد متوظفي جهة تجري فيها مظالم بنودها ، وهي ان المشيخة القليلة في الجهة الجبلية الجوار عليها من الخطايا ضعفي ما عليها عشر واستيطان ، وانه ذات يوم اتي له بنفر عليه اثنى عشر مائة فرنك خطايا من نسبة رعي له وقلع اشجار فاذا هو متازر بازار زوجه وفي اثره صبية صفار ونعله قدمه وهو جائع وملتحف الفقر . . . .

ثم اختم هذه العجالة بكلمة عن قانون ءاخر الادارات التونسية اعتبارا ولنترك ادارة المال وميزانها الضخم الذي زيد فيه اربعون مليونا في ظرف عامين حتى بلغ الى مائتين وثلاثين مليونا والامة لا تعلم بشيء وليس منه ما يرجع لفائدة الوطنيين تعليما او فلاحة إلّا جزء يسير كما هو مبين في ابواب صرفه واستهلاكه ! !

الا وان تلك الادارة هي ادارة الاثار والفنون المستظرفة . وان من قانونها الاخير تتجلى لك الشريعة الادارية في اقبح صورها وتتحقق الحد الذي وصل اليه الاداريون من الجنون في التشريع . .

نعم تعرف هاته الادارة كنظائرها بوظيفة البحث والتنقيب عن اثار الامم الغابرة وحفظها . والذود عن الهياكل العتيقة والتحف البديعة الشكل والبعيدة الانتساب . ولكن لا صيرورة البلاد العربية مثلا كالحاضرة باسواقها وشوارعها وجدرانها وابوابها ونوافذها من الاثار التي ينبغي استبقاؤها على حالتها الى الابد ؟ كادارة الاثار التونسية . وهي شريعة لا اظنها جارية في غير هذه البلاد او ترضى بها امة حرة في تصرفها ولها نظر متسع في التشريع ولم تتعود الخنوع الى الاستبداد

نعم تمنع ادارة الاثار التونسية كل من يريد تجديد داره على حالة تروق له منعا باتا بل لا بد من ارجاع القديم بهيأته الاولى ولا تعطي الرخصة في ذلك إلّا بعد معاينة هندسية واجراء الشروط في الطول والعرض والشكل ثم لون الابواب والنوافذ وكبرها وصغرها ومن حيث الوضع ايضا . بحيث ان رب الدار ومالكها

لا ارادة له في عمله بل نائب الادارة هو الذي يوريه كيف يكون الاصلاح المطلوب ..

كما تحجر ايضا رفع البناء على الاول كطاق ثاني في كل الاحياء العربية (وان كان في الحارات الاروبية بلغ الى السابع طاق ولا يسمعون بهذا التكليف) إلّا ما ثبت وان اصله كان ذا طاقين ويندر . وانه اي الاذن لا يحصل إلّا عن عناء وتعب ... وان الذين حرموا الاذن في ذلك كثيرون ولا زالوا من الحاجة الى التوسعة والتجديد يتذمرون واكفهم مبسوطة للقدر دعاء على ذلك القانون بالزوال ....

على انه لو لم يكن ذلك الاصلاح محرما في نظر قانون الادارة الجاير ارايت الافا من المحلات زيدت بسهولة في اعوام قلائل ولحقت بذلك وطأة فقد المساكن وازيلت من واجهة البلاد العربية مناظر الخراب والاشكال العتيقة التي شاهدت القرون الوسطى من التاريخين ؟

هذا جزء يسير من مضار التشريع الاداري وسوء عاقبته قد جاهرنا به الادارة التي ليس في مستطاعها جحد شيء منه او في مقدورها ان تؤيد صلاحيته بالحجة ولا تعترف بان منشأ ذلك هو حرمان الشعب من الشورى التي هي من شريعته ثم منعه من انالة الدستور الذي هو من اصول الجمهورية الحامية لبلاده .....

وعليه فهلا يستبشر الشعب التونسي بفوز احزاب الشمال وتوليتهم حكم الجمهورية ولا يستقبل الحكومة الجديدة بغاية الارتياح ثم يجدد لها ولائه وثقته ويعطي كامل وثوقه للمستقبل في نيل الحقوق وازاحة هذ الاستعباد المنذر بالخراب

ذلك مما تجب المبادرة به في الكلام تصريحا وفي القول خفية وجهرة مع الجزم بانه يبعد كل البعد ان تبقى تلك الادارة فينا كذي قبل على سيرها الغير المستقيم الذي افقد الجمهورية ود المحتمين بها واقتلع محبتها والاخلاص لها من اعماق القلوب . وان الذي يقول عنها غير هذا من تعلق ووثوق وطهارة ضمير وصدق وعد وحسن نية وسياسة تشريك وخطاء عن غير قصد وتهاون لا عن عمد وشغف بالانصاف وتعشقا للحرية . فانه كاذب وافاك يعبد الادارة وريها وقلبه من الطمع مليم

اذا فلينبذ قوله وجوبا وليزدرى به حتما فانه ضار بالادارة ومسيء للشعب . وليعتمد في الحقائق كلها قول من تتجافى اكفهم عن المطامع واستبان سلوكهم وانهم من الصادقين .

واجهة جديدة

في الاستعمار بالمملكة التونسية

عــدد ١٠٦ في ١ صفر سنة ١٣٤٣

من المقرر في بابه والمعلوم لدى اربابه ان دلالة الالفاظ على المعاني انما كانت بطريق الوضع اصالة واعتبارا ثم توسع المصطلحون في ذلك فاعتبروا صحة تلك الدلالة من حيث الاصطلاح ايضا ، ولكنهم اشترطوا لتايد ما اصطلحوا عليه شرطا يجعله في مامن من السقوط عند الاستعمال وحول التفاهم والاستدلال ، وهو قولهم (لا مشاحة في الاصلاح) ، . بحيث انه لولا ذاك القيد لاختلت فهوم كثيرة ولتشاكست دلالات جمة عند ظهور المقصد في المقال ،

وعلى ذلك جاء معنى ما يطلقون عليه اليوم لفظ (الاستعمار) الذي يقابل بوجهين ويكيل بمكيالين من حيث تطبيقه ومعناه ، فانه بالنظر الى وضعه وتصريف فعله فلا يفهم منه غير تصيير الخراب عمارا والقاحل ثمارا ثم ارتفاع الغبن وامتداد الامن ونشر الوية العرفان واسعاد بني الانسان وغير ذلك مما هو داخل في مفهوم العمران ولوازمه

واما اذا اردنا فهمه بصورة جاء بها التمدن الحديث وحملنا جمال صورته على باطنها المخيف فلا نجد له مدلولا غير تحميل المستضعفين في الارض والمغلوبين على امرهم احمالا ثقيلة ومعاناة وبيلة ولا نعكس معك مفهوم قولهم (الاستعمار) الى الاستئثار واستعمر الارض بمعنى استاثر بها واجلى اهلها عنها الى حيث لا زرع ولا ضرع ، وهو باب كما علمت وان كان داخلا في المصطلحات الاتية الذكر لكنه غير مخرج لغير ذي قوة وحول وطول .....

ولهذا وذاك قد طال قرع الاسماع بصدى كلمة الاستعمار ولفظة الاستثمار واتناج البوار وحفر الابار وغير ذلك من كل ما جاء به مزركش الظواهر خلاب

بنغمته في المسامع ومبهر بصقالته للانظار ، وقد مضى دهر طويل ونحن في شغل من سماع تلك النغمات وفي مشاهدة مرأى غير مستقرة منه ونحاول تحقيق نتائجها الحقة ولم نزل نقلب الاحداق يمينا وشمالا رجاء الظفر بمطابقة ذلك المعنى للفظة مطابقة وضعية فلم نقف حتى اليوم على مادل عليه ظاهره دلالة اصلية ولا سيما عند ما ناخذ بطرفي الغالب والمغلوب لنشاهد ما بكفيهما من مدلول ذلك اللفظ الانيق ..

وعليه فلو لم يكن ذلك القيد الذي وضعه المصطلحون ما وجد الاقوياء مبررا لذلك القلب في الدلالة والعكس في المعاني وما اسطاعوا ان يجيبوا اذا سئلوا عما ارتاؤه فهما بغير قولهم لا مشاحة في الاصطلاح ... ولكن لا . لا . فلا وربك لا يومن بذلك احد ولا يصدق بمصطلحاتهم ذو عقل سليم وهيهات ان يحمدوا بما ياتونه ابدا ولا يبررهم عن اعوجاج سلوكهم مبرر ولا يشكرهم إلّا العاقون لوطنهم الجاهلون بفهم المغازي المنطوية والمرامي المقصود منها صرف الانظار الى القشور وان لا يصفق لهم إلّا مستاجر لذمته اثيم لئيم ..

نعم كيف يحمد ذلك المعنى الغير المطرد من الجأ عن ترك ارض ابنته وتربة حضنته لمصلحة جاره المستعمر الذي جاء ليحميه من طوارق الحدود او يشكر ما اسعف به النازح لبلاده وهو الجدير بذلك لانه ابن الارض والنازح لها قوي وذو ثروة وعلم ونفوذ . ام كيف يترقب نتائج ارض من هاجرها عنوة لمصلحة التعمير ثم ينتظر ثمرتها ولو اصبحت بعده كسدير النعمان ابن المنذر او خرونق تبع وابن هند ولا يقول جازما ان (لا مشاحة في الاصطلاح) وان الاستعمار هو الاستئثار ..

الا لقد سار الاستعمار فينا حقيقة سيرا تنوعت طرقه واختلفت غاياته وتضاددت تطابيقه وابتعدت مراميه وقد تطوح بنا اخيرا الى مكان من الاياس سحيق . وإلّا كيف يعقل او كان في الحسبان ان يبلغ الجنون بالادارة الاستعمارية ان تستصدر الاوامر وتسن القوانين بعنوان المصلحة الاستعمرارية تصير التونسي في بلاده المعبر عنه (بالاهلي) ملحقا بالاجنبي يجب الحذر منه والاحتياط له كالصقليين والسيسليان . في حين ان الادارة تونسية مقامة على جباية منه اوقفته على حد الافلاس او نصل الى زمن يرصع فيه الاجحاف بنودا والحيف عقودا من اوامر واجبة

الاحترام والتنفيذ ثم يقال اننا في عصر التمدن والعدالة والنور ، واعني بذلك القانون الجديد المنقح به امر ١٩١٤ المسنون لمصلحة الاستعمار واجبار المعمرين على العمل والتملك والاستقرار بالارض والذي امكن لنا ان نقول معه انه واجهة جديدة في الاستئثار وخراب الديار .....

لا جرم ان رقصت « الطان » له طربا وصفقت استحسانا وعدته من حسنات رب السفارة الحالي ثم نعت التاخر به الى اليوم بطرف خفي على اسلاف ذلك العاهل الاستعماري العظيم في الحكم والنفوذ ، لتقاعسهم في بادي امر الحماية عن اتخاذ وسائل اثراء وحفظ مستقبل الجالية الفرنسوية النازحة لهاته الديار باحسن ما يمكن فتح باب الترغيب للهجرة اليها بسائر الوجوه المنتجة لتكاثر مشاهدة هاتيك الوجوه

وان كان هذا القول من الطان يعد تبرما في مذهبها المالوف وقول خشن لا يبرره وجود صاحب ذلك القانون تحت سماء باريس الان فيحسب من املاءاته او من بعض اشاراته ، لان ادارة السالفين من امثاله كانت تجامل على الاقل وتتستر بستار المصالح والثروة العمومية وتتوسع في مواد اشتقاق الالفاظ لكي لا تواجه بمكروه في القول فتقضي به على الامال المنتظرة في التحسين وتمحي الرجاء من الصدور ، وان كان مذهب التصريح اليوم اصبح راجحا ومذهب اخفاء المقاصد مرجوحا ....!

واما من مجدته (الطان) الاستعمارية فانه قد تعجل في سيرة السياسي وابى المشي الهوينا عكس فطرة فطر الله عليها الكائنات واراد ان يفرنس البلاد واهلها والارض وما حوت في حيز هو دون الجزء من الاربعين من ايام اسلافه المتريثين الذين لا يستحقون حمدا ولا ثناء في مذهب تلك الجريدة حسب منطوق فصلها الاخير ....

شرحت الطان ذلك القانون قبل ادراجه في الجريدة الرسمية بايام مما دل على انها في صلة مع ناسج برده الخطير وانها تقصد بذلك تاييد مركزه في نظر حكومة حزب الشمال الاشتراكية الحاملة لراية السلام والمساواة ....

وقد اخطأت خطاءا فاحشا ان قصدت ذلك التاييد لارتكابها في الشرح اسلوبا

جارحا لعواطف شعب لا يستهان باخلاصه وحقوقه ، بل وغير ملائم ايضا لظروف فازت فيه الاشتراكية واخـذ السوسياليست الحكم من انصار الاستئثار الماليين وتعهدوا بنصرة حقوق الاقـوام المضطهدة والتي ذهبت ضحية إيثار ارباب رؤوس الاموال والمستعمرين . وهو امر من الطان اغربه العقلاء في السياسة وعـدوه عليها مجاملة شخصية مثارها قوة الرجاء او شدة التاثير ....

هذا ولا خفاء في ان قانون ثمن الاراضي الاستعمارية الجديدة الذي هو جزء مكمل لاوامر كثيرة في بابه ينبيء بمنطوقه وفحواه على ان ليس في البلاد التونسية إلّا جالية فرنساوية تستحق عناية الحكومة لها وحدها وان لا يزاحمها احد في الاعتناء بها من كل الوجوه حتى في منعها التفويت فيما ملكته والحجر عليها بيع ما ابتاعته رفقا بها وتنزيلا لها منزلة من لا يحسن التصرف في ماله وكان تحت قيد الحجر !

وهي رعاية يظهر انها لا توجد في شريعة من الشرائع الوضعية ، واما في الظاهر فحالة يأباها كل من بلغ سن الرشد وخصوصا من جاء بزعمه ممدنا ومعلما وناشرا للعدالة وجالبا للخيرات ورافعا لبنود المساواة ويقول بملء فيه ان الحرية الشخصية دونها كل الحقوق ....

ورغما عن كل ذلك فان جريدة الطان قد مجدت ذلك البرنامج الغريب في بابه لانه يؤذن باستقرار مائة عائلة فرنساوية على الاقل في كل سنة بالاراضي الدولية بتابيد وبشرط العمل بذلك الشرط العجيب ، بل وقد بهرها نجاحه حيث بيعت ٥٧٥ قطعة ارض في مساحة ١٢١٧٧٠ هكتارا للفلاحين الفرنساويين في ظرف خمس سنوات وقد بلغ الانفاق عليها من الاموال الى حد عشرة ملايين من الفرنكات فاصبحت خضراء باسقة الثمار يانعة ولها طعم نضيد ......

ثم جددت للحكومة شكرها على عنايتها الكاملة بالمعمر والتعمير حيث ذللت امامه المصاعب بمد الطرقات وبناء القناطر والجسور وجلب المياه واستخراج العيون واقامة المراكز البريدية على ابوابه وغير ذلك مما ذكرته تلك الرصيفة مفصلا في ثلاثة فصول

غير انها آسفت لامر طفيف اقتضته الظروف وهي الصعوبات التي يلاقيها

المعمر بسبب ارتفاع الالات الفلاحية ، كمعاول حرث الارض وشراء الحيوانات .
ولكنها لم تزد قولة رابعة هي فقد العبيد، او طلب العملة الاهليين للشطط في الاجور .

ولكن لسان حالها يلوح منه انها تود لو الحكومة تتفضل عليهم بذلك حتى تظهر العناية الكاملة بهم في اجلى مظاهرها . ولا عجب ان كان ذلك في قابل من الايام لان المستقبل اصبح منذرا بكل عجيب .

واليك ايها القاري ترجمة بعض فقرات ذلك الفصل وارجو ان لا يهولك الامر ولكن قل انها لواجهة جديدة في سياسة الاستعمار بهاته الديار . . .

وهي لا يسوغ لحكومة الحماية ترك مقاومتها ومناضلتها عن الاستعمار الفرنساوي ضد المعمرين الاجانب والاهالي . . . « يعني التونسيين » المثابرين على شراء الاراضي من مواطنينا وذلك تلافيا من تجدد ما وقع بالجزائر والمملكة التونسية زمن الحرب . .

قالت الطان هذا القول ولم تختنق منه ولا تذكرت ان الاهلي في زمن الحرب قد كان في خطوط النار بالمارن يدافع عن فرنسا مع ابنائها جنبا الى جنب ولربما كان من الامام . . ؟

ثم انهت فصلها المخجل بالاعتماد على مبدع الاصلاحات التونسية ومنشي هذا القانون (العميد سان) في استعمال ما له من النباهة النادرة في تايید ما جاء به الامر الجديد واجراء ما هو افيد وانجع لمستقبل الحالية بالمملكة التونسية ، حيث علمت وان من فرط ذكائه واقتطاعه لتحقيق المطلوب منه هو مجيء تنقيح امر جانفي ١٩١٤ بهذا الاسلوب الذي يستحيل العثور عليه ولو في اسفار (العهد القديم) كيف وان اقل ما فيه ابداعا هو ما ياتي :

اولا ـ وجوب اقطاع الاراضي الدولية الصالحة للمعمرين وحدهم بطريق اشبه بالهبة منه بالبيع او بتسويغ ينتهي تملك المتسوغ بدفع آخر قسط من كرائه للارض . . . . وناهيك ببيع ارض لمشتر يقع دفع ثمنها في اجل عشرين سنة مقسطا بحسب كل قسط في حول وبلا فائض يجري الى الخلاص من الثمن .

ثانيا ـ اذا تعجل المشتري بدفع ثمن ارضه فانه يطرح عنه عشرة من المائة من كامله الجسيم . . ؟

ثالثا – ان قام بشروط البيع كالعمل والاستقرار بالارض فيعفى من دفع الجزئين الاخيرين حتما اعني وجوبا . . والفضل في ذلك راجع لواضع بنود ذلك القانون . . . .

رابعا – ان قيمة الارض المبتاعة للاستعمار لا تعين بالاشهار بل براي لجنة ترأسها الادارة التي تفضلت بذلك التسهيل ونمقت يدها هاتيك الشروط !

خامسا – ان مدير ادارة المال ومدير ادارة الفلاحة (التونسيتين) لهما الحق في مساعفة مشتري الاراضي الدولية بفائض منحط تشارك في دفعه الحكومة من ميزانها العام للتحضيرات الاولية وذلك فيما دون الثلاثين الف فرنك والى اجل خمسة اعوام . . . .

سادسا – وهو الاهم في شروط القانون حتى تاكد تكراره ، هو التحجير على المشترين الفرنسويين بيع ما اشتروه من الارض او التصدق بها او اعطائها مجانا او بنية الهبة ولو شاهدوا معراج المسيح عليه السلام مناما او اعطوا فيما قيمته مائة الف فرنك ثلثا المليون ذهبا وهاجا . . . إلّا بشرط الاستئذان من ولي المعمرين والمقدم عليهم جناب مدير الفلاحة العام واخذ الاذن منه . . . .

وهو شرط عجيب قد طوي القصد منه لولا شرح « الطان » له في فصلها الانف الذكر ، حتى تبين وان القصد من المشورة هو النظر في النقلة ، فان كانت لفرنسي فلا مانع وان كان البيع لاهلي او سيسلياني مثلا فيجري الحجر ويظهر الفلاح الجمهوري عند ذلك كالسفيه لا شان له في امره ! ؟

فيالله كم وجه لسياسة الاقوياء وكم للسياسيين من عجائب تذكر وغرائب ترى وان من يعيش يسمع ويرى ! ؟

حقيقة انها لكلمة بغي ما كان في حسبان احد تسطيرها بصفة قانونية تشرح باسلوب يزيل ما كان ينتظر من تحسين حالة الوطنيين الواقفين على ابواب الفقر والمجاعة وذلك بسبب المضائقة الارضية التي كدر صفوها سوء سلوك الادارات السالفة فتكون تشريعا واجراء في دور يلقب بدور الاولياء وحكم الصالحين ! ! . . . .

ولكن الذي يعلم ان التشريع الاداري هو مهبط كل بلاء ومنبع كل شقاء فلا

يعجب من تسطير القوانين الجافية لهذا والصافية لذلك . اي هذا عذب فرات سائغ شرابه وذاك ملح اجاج . . . .

بل واذا اردت بيانا جامعا تعلم منه وان الادارة كالفرد في تصرفها العام وان الشرهة تسوق الى الخطل والخطأ ولا يمكن معها الاهتداء الى سواء السبيل فقابل بين القوانين التي تخص اراضي الوطنيين سواء كانت حبسية عامة او دولية مستقرا لهم من امد بعيد كيف يقهقرون منها لمصلحة الاستعمار وفي اثرهم اعوان الاكراه على الجلاء الى خارج حدودها تاركين وراءهم قبور اجدادهم وديارا اشادوها تنعي ارتحالهم عنها كاراضي بوعراده وغيرها من الجهات . وبين القوانين التي اسلفناها في الذكر التي توجب التملك للارض بوجه جبري على الدوام . ثم بين ما خص لاقرار الاهالي فيها اخيرا وكم نصيبهم من القرض لذلك الغرض الهام وما لاولئك وما نالوه من القسط الجزيل مالا وارضا . وهو احدى عشر مليونا من الفرنكات لفلاحي مليونين من النفوس وهكتار من الارض الى خمس هكتارات للعائلة الواحدة بورا وترابا محجرا

مقابل اربعة واربعون مليونا من الفرنكات لجالية لم تبلغ الالفين من النفوس عدا . وهؤلاء اعطوه جملة واحدة والاخرون قسم الى اقساط اربعة ليعطى في سنين . وقد صرف القسط الاول منه في بناء معصرة في صفاقس لعصر الزيت وعلى شراء ارض بابا قصور لتربية الحيوانات الافريقية ولحفظ انواعها . وعلى اشادة فندق لتعليم البيطرة الحيوانية بها واما بقية الاقساط لم تزل

ولكن الادارة عرضت اخيرا على اللجنة الاهلية المنتخبة من اعضاء المجلس الكبير الطيب الذكر بان لا باس بصرف بعض القسط في شراء محارث صغرى وغرابيل لاصلاح الفلاحة الاهلية وتنشيطها . . . . ؟

ولولا المعارضة من بعض الاعضاء بحجة الوقوف عند منطوق الامر وهو (استقرار الاهالي بالاراضي الدولية) لتم قول الادارة المضحك واقتراحها المهلك ثم تجزم عند ذلك بان لا سعادة لشعب بلا دستور يجمع بين التشريع ومسئولية الادارة ومحاسبتها على الصرف والانفاق . ولك ان تهزأ بعد باقوال اولئك المنافقين

اصحاب الصحيفة السوداء الذين اتخذوا الادارة قبلة لتسبيحهم وجاعلين شكر ربها وردا تتنوع الاؤه في الذكر . كتعشقه للمساواة وكرهه للاستبداد الاداري وحبه لسياسة التشريك وانه شتان بين عصره وعصر بيشون وان الامة التونسية ليست باهل لان تشارك في التشريع واصدار القوانين خوفا من ان يبتلعها شق العنصر الحامي لها . وانه احب اليها ان تبقى الادارة مسئولة وحدها وغير ذلك من نقم نمقوها في كل ورقة وعذاب يسطرونه في كل مقال . واعمل لدينك ولوطنك ولامتك ولا خاب من ثابر على العمل (وان كل من سار على الدرب وصل)

هل بقى عندهم في الكنانة سهم !

عدد ١٠٧ في ٢٤ ربيع الثاني سنة ١٢٤٣

الكنانة وضعا لغويا هي جعبة السهام التي تتخذ للنزال وتستصحب للقنص كما يحمل الهميان للزاد والجراب للعون على المسير .

وقد يتجوز في مدلول ذلك اللفظ اطلاقا على المحتالين والمضللين عند استعمالهم لضروب من الحيل وانواع من الخدائع والمكر . وذلك اذا نفذ ما عندهم منها وحصل لهم الفشل وساورتهم الخطية وسامرهم الوهن وظهر عليهم ما يظهر على الواقف في ساحة الكر والفر وقد نفذت عنه ما في الكنانة من السهام فيقال هنا استفهاما كما يقال هنالك استعلاما هل بقي في الكنانة سهم ......

ذلك مثال اسوقه لخصم الامة فلاتي ورهطه الذي امتحن بهم هذا القطر وابتلى بهم ابتلاء سقيم بطبيب ذي غاية شخصية في استطالة المرض بالمصابين وانه كلما شاهد على السقم تقهقرا واخذا في الرجوع الى المعافاة عمد الى سقي مريضه من

مائع يعكس عليه النقاهة ويجير له الالام والاوجاع . شأن المتسفل في اخلاقه والدني في انسانيته والذي امتلك الطمع فؤاده وتطبع بالغش او الاصطياد في الماء العكر . . .

وهنا رب سائل يسأل هل من شبه بين من ذكرنا في النتيجة والغاية حتى يمكن لهم الاتحاد في السلوك ويصح عليهم ذلك الاطلاق بوجهيه اعني اصطلاحا او مجازا . حيث ان غش الطبيب واضح الاسباب وظاهر الدواعي وهو استدرار الربح من تكرار العيادات المترب عليها بقاء موارد الاسترزاق في كل يوم مفتحة الابواب . لان اعطاءه الدواء الناجع للسقيم لاول مرة قاطع عنه الرجوع بحصول الشفاء من تعجيله (وان لا علاج بعد معافاة) . . . . . .

اما قلاتي ورهطه فاي ربح لهم يا ترى في اشهارهم حربا على الامة واثارتهم لهذا الهرج ولتلك المشاقة المهلكة واستنزالهم لسخط عام من قبل السياسة التي يستغضبونها في كل ءان على الشعب وحزبه بانواع من الدسائس . وذلك كلما سنحت فرصة لتأييد مطالب هي ضرورية الاجابة وحرية بالقبول سوى كانت مطلبا فمطلبا او بانجاز في الجميع . فالجواب ان الدواعي (في الهوى سواء) وان الامة اذا تركت وشأنها في مطالبها التي قدمتها للمراجع العليا غير مصحوبة بجيش جرار ولا باسطول يمخر البحار وانما بصوت الحق والاعتماد على انصار الانصاف هنالك ومحبي العدل في الشعوب . فلا وجه بعدئذ للحصول على الوجاهة الادارية التي يتهالك في حبها ذلك الخصم اللدود والكافر بنعم هاته المملكة التي آوت اسلافه من قبل واجلسته مجلس الوطنية من ابنائها حتى امكن له ان يلعب ادواره المخطرة ويتاجر بالوطنية تجارة يكتال منها بمكيالين ويقابل فيها بوجهين . يد يسلم بها على الشعب واخرى يصافح بها الادارة قبل الشروق .

وعليه فان قلاتي في صنيعه العمومي والطبيب المخادع الغاش في صناعته لفائدته هو من باب لا فرق نتيجة وقصدا . غير ان في الجنايتين تفاوت في القبح لان الطبيب غشه مقصور على فرد او فردين وهذا المخادع جرمه كمقتل لشعب باسره . . . . .

نعم كيف لا يكون ذلك كذلك وكل احد يعلم وان قلاتي قد تطور في مباديه السياسية في عشرين سنة ضعف ايام تلك الاعوام التي اشتغل فيها بالعموميات

وظهر فوق مرسحها للعيان والبكم على ذلك محكم الدليل وقاطع البرهان .....

فقد ظهر في اول امره كاسلافه انه جاء مهاجرا ملتجيا بدينه الى بلد لا خطر فيها على الايمان ، ثم بعد ان صرف الدهر حكمه .. انقلب حكوميا يعمل للادارة تحت طي الخفاء ، ثم استقلالي يحب الاستقلال ويتعشقه ولا يريد به بديلا ولو اداه الى قطع المحيط ... ثم دستوري صميم قدس بنود حزبه وحبر فصوله مع من حبر وعمل مع من عمل (وصلى وصام) وسافر مع من سافر من وفوده مستشارا في الظاهر ومخبرا في السر .... وذلك بعد ان اخذ سفرية من مال الامة آلافا له ولرفيقه اليوم ، ثم افلاندانى اداري حصة قليلة ، ثم دومنيوني اندماجي استعماري يسعى لابتلاع ذاتية هذا الشعب وقوميته ولغته وان لا ملوكية فيه ، ثم اخيرا وهو على ما يظر آخر فصل من الرواية ، انه اشتراكي رادكالي دينا ومذهبا ، ثم ذيل روايته بفصل مضحك للغاية ، بأن اعلن بقحة عن حزب الامة الدستوري انه شيوعي المرمى ومتطرف في السلوك ،

وعليه فقلاتي لو لم يتقلب في مباديه ولم يتلون في سلوكه ولم يدعى ما ادعاه اولا وثانيا ... فانه لا يقدر ان يدخل وسط الامة التونسية مدخله اليوم بل يبق كامثاله من الافراد اللاجئين لتونس الكريمة لابنائها والنازحين على السواء ولا يتسنى للادارة ان تاخذه مستوثقة عهده على بذر بذور الانقسام وافحال التضليل فينساب كمرض فتاك في قتل العواطف وتخدير جسم الشعب وافلال اتحاده ليقف به مواقف الحيرة والانذهال بسهولة ،

فلذلك تراه اليوم قد نزل للمكافحة بعد ان نزع برقع الحياء من على وجهه القار نزع اللصوص للموارات وللهجوم نهارا مجهذا نفسه في نشر الاضاليل ضد مطالب الامة وحزبها الذي اودعته ثقتها ودس الدسائس له واصطناع الوشايات في اسلوب يخجل الاستعماريين ذكره ويوجل من كان وجهه من رقع النعال ...

اذا فامثال تلك المكائد ينبغي للشعب التونسي ان يحترز من عواقبها وينتبه لوجوب الاغراض عن فاعلها بغضا وتحقيرا ، ولا اجل في هذا الباب من العمل بقوله صلى الله عليه وسلم (تقربوا الى الله ببغض اهل المعاصي ولاقوهم بوجوه

مكفهرة او كما قال) كما لا يجحد الاستهانة بها او يهونها كون نشرياته المملوءة مكائد وتلقينا لفعل ما يأباه الانصاف قد كونت في الامة اتحادا متينا واستكشف الشاك بها الحقائق ، او انها لم تنتج طبق التعهد نتيجتها المرغوبة بل كانت سببا في تزعزع ثقة الشعب بسياسة بعض ذوي النفوذ الاعلى التي كانت على اعتبار عظيم ، جريا على القاعدة الحكمية من ان الامم لا يرسل عليها خصمها السياسي البارز منها في شكل عدوها الملد للتقارب المطلوب او ليكون واسطة العقد في الاقناع والتأثير

لان من كان مضطرب المبدا غير ثابت القدم لا ياتي بنتيجة بل يزيد الخرق اتساعا والجو تعكيرا والقريب بعيدا ، وقلاتي لم يترك له تبرمه في مبداه العمومي تبرم الارياح في مهبها اعتبارا حتى يتوقع من اقواله مظنة تاثير ولو على الرعاة ،

فكل ذلك غير جدير بالصمت والسكوت عنه ولا يرجمه عن اعماله وجوب الاحتراز ،

اذا فمن الذي لا يقول ان قلاتي ماجورا بعد ان اظهر من اللدد والتعنت ما فاق به مادرا في بخله بعد ان كان يظن منه الاقلاع وعدم الاصرار على عمله عند ما نشر برهانه وضرب الشعب عنه صفحا حتى الباعة للجرائد ابت قبول بيعه متحدة على نبذ اثر من لا ذمة له ومقتا للمروجين ، وحسبنا ان بساط عمله بعدئذ سيطوى ولكنه لم يزدد إلّا عنادا وحرصا على الوفاء بالعهد ... واليكم نبذة من كلامه ،

قال قلاتي في مقاله الذي بين فيه مطالب حزبه الاصلاحي ما نصه ، ومما يشهد بصدقنا وحسن نوايانا اننا لم نلتمس منهم لانفسنا مصلحة ولم نطلب نيشانا او وظائف او ادنى شيء يرجع لخاصتنا ، كما اننا لم نطلب من الشعب اموالا ولا بعثنا بالرسل تتردد على البلدان لطلب الاعانة المالية وان صرفنا اموالا فهي من انفسنا ولا نطلب من الامة جزاء ولا شكورا سوى ان تعترف باخلاص طويتنا وان سعينا انما كان لسعادة العموم ...... ثم قال اذا فلينبح النابحون وليصح الصائحون فهم وشق الجمل ولكل امرء ما نوى ... اه ... نعم ولكل امرء ما نوى

ما شاء الله قلاتي لم يطلب شيئا لخاصته وانما ابتغاء وجه الله وسعادة العموم ...
اثبت هاته الفقرة في نهضته عدد ٤٠٢ صراحة لا همسا جازما بجزم جار الله

تعالى في مثاله (هم وشق الجمل ، انه صادق فيما يقول .. ولكن حقا ما قالوا وان الكلف بالذات جنون يعمي البصيرة ويجوز كل جفاء في القول

وان احترزوا في قولهم وان الجنون الغير المطبق لا يصل بصاحبه لحد الخروج به عاريا بين الناس يجوب الازقة ويلج المجتمعات العامة ويجلس مع الجالسين ، مثل قلاتي الذي اوصله الجنون بذاته الى اظهار ما توجب المروءة ستره في مقاله الانف الذكر وفي غيره ، اذا طبقناه على الاغمار الاداري له بالامتيازات التي كانت لحد الان لدى البعض مجهولة السبب ومحمولة عنده على كاهل الحظوظ وسابق علم الغيب ، والى القاري بعضها مبينا بوجه رسمي لا يقبل الدحض والتكذيب

(١) فقلاتي لم يكن ابرع محامي حتى تختاره الحكومة لنيابة الادارات التونسية عوض قيدان الماسوف عليه وفي البلاد مائة محاميا بين فرنساويين ومتجنسين بالدين الجديد .

(٢) وقلاتي لم يكن افقه وكيل تونسي حتى يعطى نيابة الاوقاف في قضاياها لدى المحاكم الشرعية وغيرها وهو الجاهل باقوال الفقهاء مطلقا والعاجز عن سرد حجة عادلة فضلا عن فهم نصوص الاحباس وصحيحها من فاسدها وموجبها من مقتضيها وعن كتب مقال باصوله الشرعية حتى ياخذ ستة الاف فرنكا سنويا من كاسة الاحباس فصل نازلة او لم يفصل .

(٣) وقلاتي لو لم يكن ذا صلة ادارية ما نال فرد من حواشيه وظيفا في ادارة الفلاحة له حق النيابة عن تونس في اسواق العالم التجارية وهو لا يفرق بين نتائج البلاد الصناعية المختلفة فضلا عن قيمتها وموادها الاصلية

(٤) وقلاتي لو لم يكن بذلك النـزوق في سلوكه والمروق في تحريراته ما كان له ان يحصل على امتياز جريدة يومية لرجل امي قد اتخذه كقنطرة للاجتياز عليه الى اغراضه النفسية ، وكثير من ابناء البلاد حرموا اعطاء امتياز ولو في صحيفة فكاهية او مجلة علمية وهم اليوم اعواما ينتظرون

(٥) زد ان قلاتي ايضا لو لم يتعهد للقيام بتمثيل ادوار روايته ما حصل على

مصيدة تينجة ذات الربح الجسيم ولا ساعده الحظ على امتداد في امتيازها لاجل لا تبيحه قوانين الاشهار في الاملاك الاميرية

(٦) ثم غير ذلك من ارض شاسعة بشركة (هيان) ووسام سبجي يوما ما ووجاهة مع كبار الاداريين جعلته على اكمل اتصال

اذا فهل بعد هذا يصدق في قوله الانف الذكر او يطمع من الشعب التونسي ان يجلسه مجلس الوطنيين ويستوثقه في الدفاع عن قضيته العامة وحقوقه المهضومة كلا . ثم كلا . ثم كلا .

وان كان ذلك لا قدر الله تعالى فقل (سلام على الامة) ولتقبر تلك الحقوق وليمت الشعب في جهله . . . .

واما قوله انه لم يرسل الوفود لجمع المال كغيره الى اخره فلم يكن منه تعففا . لعلمه وانه طاف لنشر الدعوة الباطلة فاعرض عنه وعن تدجيلاته . فكيف يطمع اليوم بمال الامة وجريدته تقرا على مضض في النفس حتى يظهر التعفف عنه وهو معبوده ولا تسمع من لسان حاله إلّا ذكر حي على المال حي على الوجاهة حي على الربح العظيم . . . .

هذا ومن الجدير بالذكر اثبات جملة اخرى من مقاله هنا ولست آثما من سردها عملا بقاعدة ان حاكي الكفر ليس بكافر الا وهي . انه يقاوم بصراحة وشدة دعوة الدستوريين والشيوعيين بالبلاد التونسية وانه يعارض سياسة الحقد والهجيان . التي انتحلها هذان الحزبان . المتحالفان بسياسة التقرب . والثقة المتبادلة بينهما . اهـ قوله البليغ . . . .

وهي فقرة كما يراها القاري في شدة من الظلمة الحالكة . لكن الجواب عنها لا يكون بغير الضحك المستطيل على قائلها والسخرية المجوزة بالاستهزاء على ناشرها مثل ما كان يسخر من دسائس بقايا اهل التيه المعروفة بين العامة (بسكانات) متعصبي اليهود . . . .

لان فحو هذا القول كيد ونفاق من ذلك المنافق الكبير اراد ان يكيد به لحزب الامة ليوغر عليه صدور الاحرار الجمهوريين من ذلك الطريق المحفوف بالمهالك والمفصم لعرى الوثوق .

وقد فاته وهو الحقوقي البارع . . ان الدسائس وان كانت جراثيم فاسدة غير انها من فضل الله تعالى تموت وتفنى في الآن الثاني لتكوينها ، فهي اشبه بالعرض الزائل الذي لا يبقى زمانين . . . ! اذا فمن الذي لا يعلم وان الحزب الدستوري لا ارتباط له بالطائفة الشيوعية ، وقد اعلن غير ما مرة عن ذلك وكتبنا وكتب الكاتبون لدحض تلك الدسائس من ان المبدا الدستوري مرتكز على الدين والقومية وان المبدا الشيوعي كالاشتراكي لا يزكيه الاسلام ولا يصوب جزءً منه (إلّا اشتراكيته وهو ان الناس في الحقوق سواء) .

ونحن امة مسلمة ذات قومية عريقة لا نبتغي بغير الاسلام دينا ونتبرا سرا وجهرا من كل فوضى وما يؤدي اليها وينافي دوام العمران والنظام .

وعليه فما على قلاتي إلّا ان يجهد نفسه في اختلاق المكائد وليكد مع المكيدين ما شاء وليكثر من ذكر التشويش والهيجان والتشيع والفوضى والهرج والمرج والتهور والتطرف والتطوح والحقد والعداء وتكدير الراحة وتعكير الامن العام ، ولينتحل لنفسه ولرهطه ، الاعتدال والتؤدة وحسن النية والصدق والتعقل وحسن الطوية والتبصر والسير يوما فيوما والرحول مرحلة فمرحلة ، ثم ليعلم وان في ذوي الامر هنا وهناك احرارا ذوو خبرة منصفون لا تروج عليهم الاكاذيب والمكائد . ولا سيما صدر وزارة الجمهورية اليوم مسيو هريو الرجل العظيم

وانك يا قلاتي وان استهويت بعض الاداريين هنا وروجت عليهم اخلاصك ونصحك الممزوجان بالخديعة والمكر فلا تطمع بان يكون لدسائسك هناك ادنى تاثير ، كما انك لا تقدر ان تستغفل الامة باستمالها اليك حتى تلقيها على ام راسها في اغراضك النكدة ، لانها في يقظة اليوم كما ان اولئك سوف ينتبهون لامرك ايضا وأنك لم تكن باول مخطر مكيد رجع كيده في نحره فان الدهر ابو العجائب . .

هذا ومن غرائب الصدف ان قلاتي قال وانه يقاوم دعوة الشيوعيين والدستوريين الخ ، فان زميله مسيو دوران ألاشتراكي بالامس ألاستعماري اليوم قال ما يقرب من ذلك القول ايضا ، وهو انه أبتعد عن الحزب الدستوري وانفصل عن تاييده كذي قبل لانبناء اصوله على الدين والملية ، ومذهبه الاشتراكي يضادد كل دين على الاطلاق الخ ما قاله .

فهنا يحسن التساءل عن امكان الجمع بين هذين الزميلين المتحابين المترابطين على المصلحة العامة ... في قول الاول انه شيوعي فوضي وقول الثاني انه ملي ديني يطلب الانصاف والمساواة . ولكن لا أظن الجواب يكون بغير قولهم ألا قاتل الله ألاغراض ما اشد فعلها بالنفوس ......

بقيت لنا كلمة عن لعبة قلاتي الاخيرة وهي تكوينه لشعبة اشتراكية تونسية اثر فوز حزب الشمال وتسنمه للسلطة في حكومة الجمهورية واعلانه لموعد انخدع لندائه بعض المغفلين الذين لم يتجاوز عددهم التسعة عشرة (باعترافه) وتاليفه لبنود تشبه شروط راهب اميركا من حيث العدد . وقدمها هنالك تحت اشراف زميله المشار له الذي كشف لنا عن وجه جديد في سياسة الاستعمار . ثم ابرق من باريس برقية كتبت بالقلم العريض هنا مداولها هو امناح تونس نظاما دستوريا جديدا . وخرجت جريدته فى ملاحق وزعت مجانا في البلاد كما نشرت برقيات التهاني الهواية.... من الشعب شكرا له على ذلك الامناح الموهوم... ولم نلبث إلّا والورقة المشار لها خرجت بنشرية من قلم صاحبها بعنوان (طريقتنا الاصلاحية) وفي صلبها تسعة فصول على عدد رهطه قال عنها خصم الامة قلاتي انها قدمت للخارجية وقوبلت مبدائيا . وان الزمن الذي بين النشرتين هو ما بين ١٨ اكتوبر و١٢ نوفمبر الجاري...

فبقى القوم في وقفة هل الدستور القلاتي المحتفل به حتى في جبل (المنار) لياليا حرق فيها المحتفلون من الحشيش ارطالا وشربوا من الخمور اقلالا هل هو على البرنامج الولسوني او الاصلاحي ياترى ...... !!!

ولكنّ الشعب قد علم بسرعة وانها رواية رياضية فكاهية . لمدير جوقها ارباح جعلته غير مهتم باستطالة ضحك الحضور من براعة ذلك الممثل الفكاهي المبدع في ادواره وحركاته ....

ومن المهارة في التمثيل كونه اسقط من الاربع عشرة بند مطلب (الخماسة) لعلمه وانه عمل اختياري لا منة في حمله على كاهل الشعب ثم طوى ذكر الراي الاستشاري من فصله الرابع في العريضة الولسونية لتحققه وان الشعب على علم منه وان طلبه تحصيل ما هو حاصل من سنة ١٩٠٧ وانه لم يثمر ولن يثمر ولو كان

المجلس الكبير (اعني المرحلة الاولى على قوله) يصبح كله من التونسيين ولا تقابلهم هناك إلّا اعضاء الحكومة الحريصون على نفع الجالية وحدها . لنظرة الشوري وما حسب نوابه إلّا الاطلاع على اعمال المدبرين استهلاكا وتحصيلا فقط . وهبهم عثروا على سبعين مليونا مثلا بين الارقام بلا مقابل فان باب التموين متسع المنازل الحسابية وبه يتم الميزان ......

ولذلك اكثر قلاتي في برنامجه من ذكر التساوي والمساواة واتحاد المرتبات والتمدن والتمدين والرفاهية والرخاء وعيش الصفاء والسعادة والعمران . وابى ان يذكر ذيل فصله الرابع المشار له ءانفا في برنامجه الاصلاحي وهو قوله . فنقنع اليوم بالشورى الى ان نتاهل فنحرز على حق التشريع الذي هو غاية الجميع . لذكائه الهري وان حرف (الى ....) غاية لا تدرك . ثم عمد الى التنقيص من جهة والزيادة من جهة اخرى قياسا على سنن فعل الباري في خلقه سبحانه (اي) (يمحي الله ما يشاء ويثبت) فمحى من التعليم الاجباري ذكر البنات الذي ذكر هنالك لغاية هي افهام الاشتراكيين وانه غير متعصب لعوائده ولا هو خاضع لناموس ديني يوجب على المرأة المسلمة ان تتعلم الاخلاق والتربية وسائر العلوم في حدود الدين . او انه اكتفى عن ذكر ذلك بوصية خرجت شعرا في عالم المطبوعات مطلعها . علم بناتك .

ثم ختم برنامجه الاصلاحي (المكدر) بتاسع اظهر فيه كدره من العميد الذي اصلح المحاكم العدلية التونسية وفرق السلط وترك القضايا العقارية والمواريث والاستحقاق لا زالت تابعة للمحاكم الشرعية ......

وهو مطلب كما يراه القاري يقوم مقام الخمس فصول التي محاها من دستوره الممنوح حيث انها سواد على بياض . وان ذلك منه لفيض وجداني قذف به باطنه الخبيث نحو محاكمنا الشرعية المطهرة الذي هو اجنبي عنها والذي يطلب ان تكون كقضاة بلاده الجزائر طلاق ونكاح ونشوز فقط حسب بغيته الاستعارية قاتله الله من افاك اثيم .

وفي الختام لقد سار القلم شوطا بعيدا في مضمار هذا البيان حتى شعر بوجوب الاشفاق على القاري من الاطالة ولذا ينهى بحثه اليوم عن الرواية القلاتية عند هذا الحد راجيا ان يكون فيه الكفاية وتاركا فصلا واحدا منها وهو مسألة تعميم التجنيد

والجندية تحت ستار حب المساواة في اشهر العمل وشرح ما في المسألة من الاكدار الى عدد اتي . جاعلا ختام مقالنا هذا باعادة ذكر الحديث الشريف الانف الذكر مذكرا به الامة تجاه صنيع المارقين وقول المضللين وهو قوله صلى الله عليه وسلم (تقربوا الى الله ببغض اهل المعاصي ولاقوهم بوجوه مكفهرة) اي ولا تجعلوا لاقوالهم ولا لنصائحهم نصيبا من الصحة او مقاما في الصدق . وضعوها اين توضع كناسة البلاد والله سبحانه الملهم للسداد .

سوء التصرف الاداري

خطر على المستقبل

عدد ١٠٨ في ٢٠ رجب سنة ١٣٤٣

يوثر عن حكيم من فلاسفة القرن التاسع عشر ما معناه . أن من المسائل التي يتذرع بها مذللو النوع الانساني ومستعبدوه وعشاق تسخيره وايقافه مواقف العطب والشقاء استثمارا لكده واستمتاعا بنتائج كدحه وجده . انهم اذا أنسوا من شعب بارقة النهوض والمطالبة بالخلاص من الارهاق والسعي للتفصي من اوثاقه الثقيلة والعمل للنجاة من ارزائه الوبيلة اسرعوا الى عرقلة مساعيه وبادروا الى قتل امانيه وذلك باسباب يدعونها ووسائل يختلقونها . كنزوعه لشق عصا الطاعة واختراق حدود القانون وتكدير النظام وتشويش الافهام وتعطيل الرقي والقضاء على سير المدنية ونشر الرفاهية الى غير ذلك من الاسباب التي لا تفرغ منها كنانة المرهقين . .

جاء هذا المعنى في سياق عام عن ذلك العمراني الحكيم منذرا به عاقبة العتو والقساوة بالانسانية . ثم في علمنا من جهة اخرى وان تلك القاعدة هي شنشنة رواها التاريخ خاصة بكهنة الاديان القديمة قد جعلوها اساسا يقيمون عليه تعاليمهم في في مضايقة العقل والحرية واماتة المواهب الفكرية ومصادرة العلم المسمى عندهم

(بالشجرة الخبيثة) ويقولون لاتباعهم ان الدين (هو ان يعتقد احدكم وهو اعمى) وان الذين لا يومنون بذلك هم كفار ملحدون مارقون من الدين جزاؤهم التعذيب المبرح ان لم يكن القتل والتحريق .....!

اذا أفلا يكون من عجب ألايام ان نرى عمل ألاقوياء اليوم جار على تلك القاعدة مع من استضعفوه في الارض توارثا او اقتداء ولو تخالفت الوجهة واتحدت النتيجة. وان يجدد لنا التاريخ هاتيك الاساطير التي كان يظن وانها قبرت مع اعداء العلم والنشاط العقلي والحرية البشرية الذي قال في تعريفها فيكتور هيقو (انها الهواء الذي يجب ان تستنشقه النفس الانسانية) وان لا يبق لها من اثر في عصر العلم والنور الذي اغمر شعاعه البسيطة وطبق الانتباه الانساني اكنافها او كاد . واستحال اجراء قاعدة (اعتقد وانت اعمى) سداد ما تعامل به او يكون لاسباب التضليل من بقية رواج في اسواق الشعوب المنتهكة الحقوق عن شعور وانتباه. ولا يكون لمجيري مدلول تلك القاعدة القسيسية من الاقوياء نصيب من الجناية على المستقبل كما جنى اولئك الكهنة من قبل بتحريجهم العقل من حيث الاعتقاد حتى اكتسح العلم تعاليمهم الحرجة وازالت الحرية قساوتهم من الارض !!؟

اجل فان الذي دعى اليراع لاثبات هاته النظرية الفلسفية العامة هو داعي الارشاد والنصح الخالص مما نشاهده اليوم وهو جار بنظر بعض الاداريين فينا عن غير تبصر وبدون نظر الى العاقبة ويحسبون انهم يحسنون صنعا بذلك مما كان اقرب شبه بمدلول الاثر المستهل به صدر هذا المقال ان لم يكن عينه سواء بسواء .....

كيف وقد طال بالشعب التونسي الصبر (على مضض فيه) من سماع تهم الاستعماريين واختلاقاتهم المتوالية وقساوة اما نيهم المتتالية منذ حياة (المأسوف عليه) م . دوكارنيار من اننا شعب ناشز لا نستحق العناية ولا الرحمة والرعاية . وانما نتربص الوقت وحلول المقت الخ .

يسمع ذلك ويعلل النفس بانها تهم ناشئة عن شجع اشعبي وطمع استشاري جازمة بان المستقبل سيحقق بطلان تلك المزاعم لا سيما واحيانا يصل اليها من الانباء الباريسية عن بعض الانسانيين في الانكار على اولئك البغاة طغيانهم وتفنيد ما يلبسونه

عن الشعب افتراء حتى قال احدهم في جريدة الطان ما نصه : انه لا ينبغي للنزلاء والمعمرين ابناء فرنسا ان يفسدوا عليها سمعتها ويدنسوا حسن صيتها و نزاهة قصدها ويحاربونها بالسلاح الذي وضعته في ايديهم (اعني فرط العناية بهم والقوة الادارية) .

ثم لا نجزع اليوم من اخبار مصدرها البرلمان والصحف الكبرى والصغرى وكلها تضرب على وتر واحد عكس المرجو وما كان يسمع مما كان يشبه قساوة أولئك الكهنة في تعاليمهم من ان الخارج عن الايمان بها ولو بسؤال يشكو فيه سوء الفهم مارق لا يستحق شفاعة الفادي والمخلص العظيم عليه السلام . . . . . وان لا يكون الدهش عاما والاسف هاما ويضيق قوس الصبر عنده حتى لا يبق فيه منزع ويرسخ اليقين بان للادارة يد قوية في ترويج ما انطق منصة البرلمان المحترم اخيرا عن باطل صراح زين حتى اشبه الصدق وتحرجت في فهم مغزاه مذاهب التأويل .

حقيقة لم يكن في خلد عاقل مجال يتطبع فيه ما اتحفت به الامة التونسية بتظافر من سخائف التهم ومضحكاتها ومن انواع التنديد والانذار والوعيد ، وما ذنبها غير المجاهرة بالشكوى وبيان مواطن الارهاق منها بعد تسجيل اخلاصها في الزمن العسير بالعمل المحض ، اي وقت ان كلف التونسي بادارة جل الشئون فسيرها مثل ما هي سائرة نظاما وأمنا وهدوا ، ووقت ان كان اجير المعمر مكلفا بحفظ زرعه وضرعه وما فيها فحرسها وحافظها حال اشتباكه في قتال العدو المبيد

ذلك العدو الذي كان يرمي شطوط البلاد بمقذوفاته الجهنمية ويدنو منها نظر العين والشعب التونسي هادئا مطمئنا يوالي ارسال ابنائه مجندين وعملة للاستخدام بفرنسا وأستغرق الصانع والتاجر والعالم واللفيف . فكم من تاجر ترك محل تجارته مقفلا واجاب نداء الجمهورية وكم من طالب علم ترك دروسه وذهب عاملا في خدمة الجمهوريين . وذلك انجادا لفرنسا واعانة لها على مواصلة حلقات الاعمال ببعضها الموجبة للظفر بمهاجمها الباغي العتيد . وقد سجل الاقرار بالانقطاع له في كل اعماله العسكرية والتسخيرية بوجه رسمي في كل معلقة وبكل خطاب . . . . . .

فتنوسي كل ذلك وراء حجب القوة والجحود القهري وجدد عصر التهم والاراجيف التي كان الجزم بان ذلك المظهر الاخلاصي ناسخا لها ومميتا لجراثيمها .

فابت القساوة الادارية المسخرة لتاثيرات المستاثرين إلّا تنشيطها حتى تركتنا نترحم على الحكيم (لاروس) في قوله . واساغت لنا ادخال تلك المجاريات المكدرة تحت قاعدة (اعتقد وانت اعمى سداد ما تعامل به وإلّا كنت من الناشزين . . . . .

وهو ما اوجب ان نتساءل هل ان تلكم التصرفات المفزعة والتهم المفجعة منتجة ! او ليست بمنتجة ؟ وهل ان التنشيطات الادارية على تلك المقاصد خطر على المستقبل ام لا !

فالظاهر ان الجواب لا يكون سلبا . سيما وان المرض العضال الذي اتخذوه متكأ لتعكير المجاري الصافية وتكدير الينا بيع العذبة توصلا لغمط حقوق المستضعفين وراء ستار تلك الوسائل هو اثر من اثار احراج الخناق على العامل وارهاقه لفائدة الماليين وارضاخه لارادتهم القاسية حتى اضطروه للتردي برداء حيكت من النجيع (البلشفيكية) والنداء بنظام يشيب من قساوته الرضيع . فكان عملهم مزدوجا بين شرورا تفجرت على الانسانية ومرض عضال ينتشر للفتك بالمدنية . . . .

ومن جهة اخرى فانه باتفاق اساطين السياسة ان محاولة صد تيار الاماني البشرية الحقة بالتضييق والتلبيس هو ضرب من المستحيل العادي حتى الحقوها بمن يريد (جهلا) اخماد النار بالنفخ المهيج للاضرام طبيعة وعيانا . . . .

ولزياد البيان اقول ان المسئلة التونسية التي هي مسئلة بسيطة جدا حيث انها لا تخرج عن طلب انصاف اقتضاه حرج الموقف بوجه سلمي باسم عن اخلاص . فكبر على الاستعماريين الذين لم يتعودوا من التونسي إلّا الصبر على الاعنات والصمت على المعانات ان يسمعوا منه طلبا او يشكوا وصبا . . .

فانه لولا تهيج اولئك العتاة وتركهم للمبدا جانبا ثم اخذوا يصيحون بقحة ان الحماية في خطر وان النفوذ الفرنساوي في تزعزع وان الدستورين على اتصال من موسكو وان الدستور شجرة خبيثة يجب الابتعاد عنها وان الحكومة يجب عليها قمعهم وانها اذا اعطتهم شيئا من مطالبهم فلتستعد للجلاء . يقولون ذلك وهم مظهرون الاسف على ما اوجدوه من النظام والثروة العمومية والمراسي والطرق الحديدية الى غير ذلك من السخائف الصبيانية المدفوعين الى الصخب بها بداعي التحفظ على

الاستئثار بخيرات البلاد في محيط الارهاق والتسخير غير خاجلين ....

فان المسئلة لو تركت وشانها في السير الطبيعي والنظر الانصافي او قبل فيها ما يجب ان يقال حقيقة ما رايت لها صدى طبق الايالة على البدلية في افراد طبقاتها والكل لها مخلصون حتى اهل الوهاد وسكان الكهوف، جريا على قاعدة ان الفكرة لا تحجز لانها قبس من نور ....

نعم ان انتشار مسئلة مرتكزة على الانصاف بحرج اداري كان القصد منه خلافه لا يجعلنا في مأمن عاقبة هذا التلبيس الاخير والقساوة المسترسلة ولا تكون مثارا لفزع جديد ....

لان تحمل امطار القضايا العدلية بعنوان الاجتماع بدون رخصة ولو في البيوت الخاصة والتآمر ضد امن الدولة وتسجيع الادارة لاذنابها كالعمال والكواهي والخلفاوات والمشايخ وقليل من المراقبين في مقاومة انتشار الفكرة وانهبال بعض هؤلاء ان لم اقل كلهم بنهمة اشعبية للتقرب من الحكومة وتكفير مظالمهم بالقيام في هذا المجال للتشويش . لتكوين التهم بالكذب على هذا والشهادة على ذلك وسجن الابرياء وحرمان المستحقين ومطاردة المجتمعين ولو للانس . والكيد للمتباعدين بالنفس ، حتى نفق سوق الاغراض والمكائد واصبح من ينتسب للمسئلة التونسية جهرة من الرسميين والشبيهين جزاؤه الحرمان ولا يعطى ادنى وظيف حتى بلغ بالادارة ان تنازلت لسلب رخصة فتح قهوة لبعض الدستوريين

كل ذلك وان لم يرجع بالشعب عن المثابرة في طلبه العادل باخلاص ولم ينتج للادارة غير اسف الامة المتصاعد من مركز حساس ، فان النغمة الاخيرة كدرت صفوه بصورة مقلقة وانذرته ايما انذار .

الا وهي القاء البلشفيكية عليه مع تبريه منها واعلانه بذلك مسجلا في كل صحيفة تنشر وتحت كل ورقة تبدر واقسم بالله وايانه انه يكفر بالبلشفيكية ككفره بالظلم والارهاق ....

وعليه فان الاسترسال في الصاقها به والقائها عليه في كل حادثة خاصة او عامة او عند التنفس بالشكوى يظهر انه تصرف ضار يوذن بسوء العاقبة ، سيما اذا وصل

التوهم من التهم لحد يشبه حال المحاط بحلقة ملتهبة فلا يسعه إلّا اجتيازها اضطرارا ولو يصاب بالاحراق ....

وناهيك بل ولا اقل كمثل ما جاء في لسان السفارة بالامس الادبيش تونزيان بعنوان (صيفة رعب) ما نصه ان البلاد مخربة بالكلام وبالكتابة. الى ان قال وان الهيجان الدستوري والهيجان الشيوعي فرغما عن التكذيب فانهما يعملان بارتباط ضد فرنسا ....

قال ذلك ولم يبين كيف هذا التضامن واين هذا العمل وفي اي مجال هو والى اي حد وصل ؟ ؟ ولذا فان الشعب التونسي حقيقة من جرائر هذا التهم الباطلة لفي أسف شديد . عملا بالحد الانف الذكر ومراعاة لاعتبار تيار الجواذب التي يتجدد انبعاثها من الممنوع الملقى عليك ......

كيف لا يخاف التونسي من هول الشيوعية وانتشارها بينه بسبب حرص هؤلاء القساة على استعباد العباد والاستئثار بخيرات البلاد لحد سوغ لهم جنونهم ان يقولوا ان البلاد (مخربة بالكلام وبالكتابة ! !) وهي كلمة لم تسمع إلّا عن العادبين من قبل ....

اهل ان الكلام اساطيل بحرية ام جوية ؟ ؟ او هل ان الكتابة مدافع عيار ٧٥ ! او ان المحابر قذائف ديناميتية ! ! ... ام الاقلام جيوش جرارة اواعوان ضبط وربط !!

لا عجب ان اشبه هؤلاء في جنونهم درويش القصرين الذي قال لاتباعه قولوا باسم الله وصوبوا عصيكم فانها تنقلب الى مدافع تقذف النيران ......

حيث ان محرر الادبيش السيد قدياني قال في فصله الانف الذكر . اما علمتَ انهم يقولون (الله حسبي) وفي يوم عيد. ويقولون لتعش العدالة والحرية والدستور الخ

فانه شيء يخرب البلاد حقيقة عند قدياني ويفزع حصون بنزرت واسطول طولون العتيد ويهلع جيوشها الجرارة كالتاربور وغيرهم الذين احتات بهم برلين . وينسخ اخلاص الامة التونسية المسجل حتى في الحجر والجدران ....

كما انه لا عجب ان جاء يوم يقول فيه قدياني في جريدة الدبيش العاقلة ان البلاد مخربة بالتنفس واستنشاق الهواء ايضا . ليعلم الضغط الذي يطلبونه الافواه

والاقلام والمحابر وحتى مجاري التنفس ثم يجرونه على الاعتقاد ايضا ....

وهي القاعدة المحفوظة عن رهبان عصور الظلمات القديمة (اعتقد وانت اعمى) وإلا كنت عندهم مسلوب الايمان فاقد لكل اخلاص وتصديق ......

حقيقة كان الشعب التونسي قبل اليوم يظن ان تلك الدسائس لا مروج لها إلا في هذ المحط المرهق بالاطلاق الاداري والتجبر الاستعماري فلم تكن عنده بالشيء المؤلم والماخوف منه ، ولكن ما راعه إلّا ونغمة من وراء البحار جديدة بل من اعلا منصة البرلمان المحترم بل من فم رجل الاشتراكية العظيم ، من ان الحركة التونسية الدستورية لها ارتباط بالشيوعية وتدار براي رجل تربى ببرلين وكرس بانور باشا خمسة عشر عاما او يزيدون .... وعليه فلا تسحق العناية

فما اغربها كلمة تؤلم ولا تضحك ....

نعم هي كلمة كامثالها ولكن غريبا صدورها من فم الرئيس هريو ، ومزعج وصولها الينا مشيعة بتصفيق الاستحسان من اغلب النواب الجمهوريين بدار الندوة الفرنسية

غير انها وان زعزعت ثقة الانصاف من رجل افرنسا لكنها لا تقضي على الامال ولا تؤثر على الحقيقة ذرة من ذرات الجو المتطائرة لان الحقيقة لا تحجب بالاباطيل ، كالماء لا يمسك بالغرابيل ،

بل ان تخوفها يصغر ويخف وقرا اذا تحقق وان صدورها عن سماع لا عن اعتقاد وجزم ، اذ ان السماع يستوجب استبيان المصادر وسبر الامور وامعان النظر ، وان وقع فسهل الرجوع الى الحقيقة فيه ....

لذلك نعيد القول رغم جريدة الدبيش واضرابها من سائر صحف المقت وجرائر الشقاق والتهم الباطلة ونكرره مسجلا مع الشعب التونسي لذلك التصريح وتكدره من انتساب فيه ، ونعلن قسمه بتاتا ان لا اتصال له بمذهب لينين ، ولا علاقة له بموسكو ولا ببرلين ، ولا تمر به حتى الهواجس والخطرات ولو مناما ، وانه لا يؤثر عليه حضور غليوم الاسير فضلا عن سائق عربة انور باشا العامل الفقير ، ولكنه يرجو ان يرحم في هذا الباب بان لا يزاد عليه ......

هذا وقد بقيت لنا كلمة عن تهمة الطموح لدولة اجنبية والقاء فرنسا في البحر

والتعلق بالاستقلال التام . فانها اكبر من الخطل واصرح في السقوط من الخلل . وانها بدعته منكرة من مبتدعات اولئك الاستئثاريين اعداء الحق والانسانية ولا توجد إلّا في مخيلاتهم وفي جراب مبتدعاتهم . وان اكبر من ابتداعها كون التبجح بها في صحفهم وجعلها من الحديث المعاد سهلا عليهم . في حال ان المجنون لا يحدث بها نفسه فضلا عمن ادرك نفسه وعلم موقفه وادى غير الواجب عليه كالشعب التونسي الرصين . وما ساق اولئك القساة لتوغير الصدور وتعكير الصفا وغمط الوفا إلّا الشغف بالحرمان من الحقوق والتحفظ بالانتقام

عجبا اي اثر دل على ذلك ! اي حجة بايديهم . هل ان الحزب الحر الدستوري دولة ام الاقلام اساطيل ! ام المحابر مدافع ! ام ان تظاهر بعض العملة المرهقين العزل تطلبا للانتصاف من ارباب رؤس الاموال والشركات لتسديد خلة فقرهم بتعديل اجور العمل موجبا للالقاء في البحر . ! فيا للجنون ويا للبهتان

تالله لو جاز تصور المستحيل العادي واعلنت فرانسا بالانجلاء لو جدت سدا منيعا من الشعب التونسي في طول شطوط المملكة منعا لها وتعلقا بها تعلق المحتمي بحاميه لا المظلوم بظالمه . . . . وذلك علما منه بعدم القدرة على الاستقلال التام الان . لفقره المادي والادبي ولعجزه عن حماية الحدود من الطوارق المخيفة . . . .

فبالله كيف يتصور ذلك الطموح (المدلس) وبمرأ ومسمع منه روايات الشقاء التي تمثل ادوارها فوق مراسح جارتنا الجنوبية نحو من اثنى عشرة سنة ولم يزل العناء نازلا بها حتى اصبحت الهجرة لاهلها منها اشهى لهم من الف الاليف . فسبحان ربي انه لبهتان عظيم .

ثم اقول ختاما . فليعدل ذوو الشان فينا وليسمعوا الحق منا وليتجنبوا الوساوس والدسائس . وليعلموا اننا مادة الاخلاص والقوة ومنبع التعلق بها وان كره المتجبرون ولتترك فكرة موزينو العاطلة في كسر الحدود وتوحيد النفوذ ليتضاءل عدد الصقليين في عدد الجمهوريين حيث يكونون مائة الف ازاء سبعمائة الف مع ما يزداد من المتجنسين

ولتعتبر اذا (عدلت) ان خمسة عشر مليونا من الوطنيين هم جندها العتيد عن تطوع وبشجاعة تنبو عن الحد . وما كلمتنا هاته إلّا كنصائح اسديها وارشادات ابديها وحقائق لا مرية فيها . فرجؤنا ان تحل من الاعتبار محله ومن النظر اسمى منازل القبول .

هي الحقيقة

عــــدد

هي الحقيقة ارضاها وان غضبوا * وادعيها وان صاحوا وان جلبوا
اقولها غير هياب وان حنقوا * وان اهانوا وان سبوا وان ثلبوا
ان يقتلوني فكم من مصلح قتلوا * او ينكبوني فكم من عالم نكبوا
ولست اول من ابدى نصيحته * لقومه فاتاه منهم العطب
لهفي على امة ما زلت ارشدها * الى سبيل هداها وهي تجتنب
نصحت للقوم في شعري وفي خطبي * فما افادهم شعري ولا الخطب
طلبت اصلاحهم في كل ما كتبت * لهم بناني ولما ينجح الطلب
جاءوا الي غضابا يسرعون ضحى * فما رايتهم إلّا وقد كربوا
هذا يسير على مهل ويشتمني * وذاك يحبو وذا يعدوا وذا يثب
يخاصمون صديقا لا يخاصمهم * والجهل منهم ان استنطق السبب
ما تريدون مني يا بني وطني * ان كان مطلبكم لي الفتك فاقتربوا
سلاحكم خنجر ماضي الضريبة او * مسدس وسلاحي في الوغى قصب
اني امرؤ ليس عندي للحياة يد * فما من الموت لي ان جاني رهب
حر تعود ان يفري الردى جلدا * وان تلم به الاحداث والنوب
خاطبتهم بكلام بر قائله * ما فيه مين لمن يصغى ولا كذب
وعند ما فهموا مغزى مخاطبتي * تراجعوا بينهم في الامر وانتسبوا
كأنهم ندموا من فعل ما عزموا * كانهم خمدوا من بعد ما التهبوا
يا حق من اجلك الجهال تشتمني * وفي سبيلك تؤذيني فاضطرب
ما ان كتبت كتابا ذاع شهرته * إلّا وانت مرادي حين اكتتب
اليك ترجع آرائي اذا انتسبت * فانت ام لارائي وانت اب
يا حق انت الذي اصبو لطلعته * وانت انت الذي ارجو واطلب
انت الحبيب الذي إن غاب عن نظري * جماله ساعة آسي واكتئب

ما زال وجهك بين الناس يجذبني ٭ باحبل من معانيه فانجذب
ان احتذرت فان الصبر محتضر ٭ او اغتربت فان الصبر مغترب
يا قوم انتم على غي بضربكم ٭ اما هناك فتى للرشد ينتسب
لقد خطبتم لعمري فعلتكم ٭ كمن انى في ظلام الليل يحتطب
اني ليحزنني يا قوم موقفكم ٭ فقد كسلتم اذ الاقوام قد دأبوا
الناس اثروا وانتم قانعون كذا ٭ بالفقر لا عندكم مال ولا نشب
ان السماء التي تعلو مرابعكم ٭ منها لاجلكم الخيرات تنسكب
وارضكم هذه للخصب صالحة ٭ ان يزرع العلم فيها يحصد الذهب
هو التعصب قد والله اخركم ٭ عن الشعوب التي تسعى فتقترب
عن الذين ابوا إلّا تقدمهم ٭ عن الاولى مشيهم نحو العلى خبب
يا قوم في كل عصر جاء ثم مضى ٭ قد غالب العلم جهال فما غلبوا
ما للسماء اراها غير صافية ٭ هل قارب الليل ام حاقت بها السحب
ارى وجوها لعمري لست اعرفها ٭ تكاد من غيظها تغلي وتلتهب

الزهاوي

الخاتمة

قال مؤلفه (عفى الله عنه) هنا تم بعون الله ما صلح انتخابه ، وما حسن تدوينه واختير اقتضابه . فكان سفرا حافظا لدور من حياة فكرية لشعب اخذ في النهوض ، بعد ان طال به الاستخذاء ثم استفزته آلام الرضوض ، كتابا جمع شوارد الفصول للمراجعه ، واثرا لمن قطع فترة من حياته العامة في الارشاد والمقارعه ، رجاء ان يذكر عند الاستفادة ، بالعفو والمغفرة وطلب السعادة ، والله سبحانه يجزي الذاكرين ويؤيد العاملين ولا يضيع اجر من احسن عملا .

نعم مضى ذلك الدور ودخل في ذمة التاريخ وهو كما علمه المطالع جهود افهام بلا رماح ، وكفاح اقلام بلا سلاح ، ولا ثم هنالك إلّا التفوه ، وصوت الحق مصحوبا بالتأوه ، من تصرف عاطل ، واستبداد قاتل ، وادارة تقابل بوجهين ، وخزينة تعطي بمكيالين ، وشورى بالاستشاره ، وهيئة قضائية تصدر احكامها الاداره ، وتشريع اداري ، وتجبر استعماري ، ومجلس كبير في الاسم ، لكنه صغير باعتبار القول والرسم ، ومسئلة تونسيه ، واحزاب شعبيه ، وتاييد وهدم ، ووصال وصرم ، وتنابز وتخالف ، وتشاحن وتجازف ، وتجنيس قد فغر فاه ليفرنس البلاد ، وكشر عن انيابه ليبتلع الذاتية والمجد والسداد ، حيث جعلوه مناط التساوي ، وموجب اجراء العدالة والتخاوي ، قياسا على ما كان جاريا في الاعصر الصليبيه ، من كون الدين فاصلا في الحقوق بين الاقيال الادميه ، وموذنا بالحاق المخالف في الرعاية والاعتبار بالاصناف الحيوانية ، حتى وجب الجزم ، بان العقل الانساني لا يرتق بالعلم ، وانما الهداية الالاهيه ، هي النور المنير لظلمة قساوة شره الغريزيه ،

كل ذلك قد طواه الزمان وارتحل ، واصبحنا نستقبل عصرا لم يزل غير باسم يحثنا على ان نجد ونعمل ، ولذا فان طال بنا المدى ، وامهلنا الردى ، وكان في العمر مجال ، ولم يغمر الجسم اعتلال ، فسيكون المستقبل اوفر فائدة مما مضى ، واكثر جهاد مما انقضى ، الى ان نصل الى نيل الدستور ، وتسود الحرية الحقة في ارجاء هذا

المحيط المعمور . وتكون محتويات كتابنا الا تي فاتحة ذكر التساوي والانصاف ، لا تسطير مساوي التفوق والحيف والاعتساف ....

ثم ختاما لهذا نسجل بامتنان ، وارتياح واستحسان ، اتحاد احزاب البلاد ، على العمل ، جنبا لجنب في صالح العباد ، وان تاخر وقته ، واستفحل ضرره ومقته ، فان ساعة الخطر كساعة الاجابه . وان الابتلاء كالمواعظ في العقيدة المسترابه . ذلك الاتفاق الذي انسى الماضي واسدل عليه حجابا كثيفا . بعد ان انذر بتعجيله والّا كان المثال مخيفا . ثم ما علينا إلّا ان نعمل ونثابر باخلاص وصفا . فان انباء الاصلاحات التي نحن في اولها الان منذرة بالجفا . . والله سبحانه ولي التوفيق وبه نستعين ، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

التقـاريظ

في المثل السائر ، ان عين الرضاء تجعل تجاه القصور الشخصي او على تقصيره حجابا غير شفاف . وحقيق ذلك ولله در من قال :

فعين الرضاء عن كل عيب كليلة * كما ان عين السخط تبدي المساويا

ومن القبيل ما نراه من الانعطاف الاكباري والنظر الاعتباري نحو اثرنا هذا (التاريخي السياسي) وخصوصا من ذوي القرائح النيرة حملة الاقلام وقادة الافهام والمفكرين ، اكبارا حملهم على تقريظه قبل ضم سجله عليه وانتشاره في عالم المطبوعات

غير انه يجعلنا نتفاءل اخلاصا في عملنا وقبولا في سعينا نرجو الثواب عليه ان شاء الله تعلى ، عملا بصدق الاثر المروى من ان السنة الخلق اقلام الحقيقة ، حقق الله الرجاء آمين

من ذلك ما كتبه حضرة (الخيام) النابغة المعروف لدى قراء الصحف الوطنية بذاك الامضاء والذي كاد ان يبلغ في ذكائه الحكيم الفارسي عمر الخيام فيلسوف القرن الخامس رضي الله عنه ونفعنا بعلومه وحكمته آمين وهو ما ياتي

الاستاذ الشيخ الجادوي

ومنتخباته

للصحافة قيمة تاريخية لا تقل عن قيمتها لدى عشاق الحوادث والاخبار ،

فقد قيل ان الحكومة الانكليزية على ما عرفت به من المهارة وبعد النظر افتقرت في ساعة حرجة لمراجعة جريدة التيمس لاخذ بيانات هامة تتعلق بسيادتها (المزعومة) على قنال السويس !

فاذا رجعت حكومة الانقليز في مسالة السويس لصحيفة من صحفها ، فالشعب التونسي المقبل سيرجع يوم لمعرفة تاريخه الاجتماعي الحديث ، ولكنه سوف لا يجد لذلك سجلا معروفا إلّا ما دونته الصحف ! فهل تحفظ هاته الصحف لذلك اليوم ؟ .

نعم يطبع من الصحيفة الواحدة الاف من النسخ في ميعادها ولكنني لا انسى الجهود التي بذلتها بلا جدوى في استحصال عدد من اعداد احدى صحفنا الرائجة !

فاذا لم نعط للصحف قيمتها الخالدة وهي الساهرة وحدها على حل الرموز السياسية والاجتماعية العالقة بظروفنا والتي سيكون لها شان في تحديد المستقبل وهندسته فسيلقى على عاتقنا وزر هذا الاهمال ، وكاني بالشيخ سليمان الجادوي (١) (صاحب جريدة مرشد الامة) قد خطر له ذلك فاهتم بجمع منتخبات من جرائده وطبعها في كتاب خاص بعنوان (الفوائد الجمة في منتخبات مرشد الامة) وانني لا

(١) الجادوي نسبة الى جادو ، وهي مدينة بجبال نفوسة من ايالة طرابلس الغرب عظم شانها في بدء الفتح الاسلامي سيما على عهد دولة بني رستم (بتاهرت) حتى قيل انه اجتمع بها نحو من اربعمائة عالم في عصر واحد حسبما ذكره البدر الشماخي في طبقاته نقلا عن تاريخ نفوسة الكبير ، واما الامن والعمران ففي المعجم الياقوتي ما يشير الى ذلك وكذا في تاريخ ابن الصغير .

اشك بانها ستكون مجموعة قيمة حافلة بالنفائس الادبية والاجتماعية والسياسية التي طوقها مرشد الامة الاغر والمرشد قبله في بحر عشرين حولا وزيادة، وهي الفترة التي سيكتب عنها التاريخ والمثقلة بضروب الغرائب والعبر .

فلتكن كلمتي هذه اعترافا بفضل الاستاذ الشيخ سليمان الجادوي على ما قام به من جلائل الاعمال نحو الامة التونسية التي لا تنساه الى الابد (الخيام)

هنالك كانت بيت اجداد الشيخ سليمان معروفا بالفضل والعلم . وقد اشتهر من بينهم العلامة الشيخ سعيد ابن عبد الله بالحزم والصلاح . فذهب الى الشرق وقضى به نحو ثلاثين عاما في طلب العلم اقام في اثنائها بمصر واخذ عن ايمة من بينهم الامام السيوطي رضي الله عنهم . ثم رجع ولكنه خير الاقامة بجزيرة جربة فاتخذها مسكنا واضحى فيها موضع الاجلال والاكبار وانجب فيها ابناء اشتهروا بالعلم والتقوى وتقلدوا في عهد الدايات خططا علمية سامية

ولم تفقد هاته العائلة الماجدة حظوتها بفقد دولة المراديين بل انها كانت محل العناية من العائلة الحسينية ولها من امرائها أو امر عديدة ومكاتيب يوصون بها الخاصة والعامة باحترام افرادها وتوجب اعفاءهم من المطالب الدولية مطلقا الى عهد الاحتلال .

ولد الشيخ سليمان في هذا الوسط وشب في طلب العلم كاسلافه وبعد اتقانه لمبادي العلوم قدم الى الحاضرة ودخل الجامع الاعظم ادام الله عمرانه فاخذ عن اساتذة فحول منهم الشيخ سيدي محمد النجار المفتي المالكي والشيخ سيدي اسماعيل الصفائحي القاضي الحنفي رحمهما الله تعالى وعن الشيخ سيدي احمد بيرم شيخ الاسلام الحالي والشيخ سيدي محمد بن يوسف المفتي الحنفي والشيخ سيدي عثمان ابن المكي والشيخ سيدي مصطفى رضوان رحمه الله تعالى وغيرهم من كبار العلماء والمدرسين بالكلية الزيتونية عمرها الله بعلمه وتقواه امين

كما ارتحل الى الجبل الغربي ولازم دروس الحجة الامام الشيخ عبد الله الباروني النفوسي بضع اعوام بالمدرسة البارونية هنالك

وبما ان الشيخ الجادوي لا يطمح للمناصب ويرى العمل والاحتراف اشرف للانسان من اغلال الوظيف انطلق يحترف التجارة حرا فدخلها عن علم، وضرب فيها بسهم، ولا زال . ولم يقعده عمله الخاص عن خدمة الصالح العام

فانشا جريدة المرشد لخدمة بلاده بقلمه وافكاره فعطلته الحكومة ثم مرشد الامة بعده ، وفعلا قد احرز على ثقة الشعب لصراحته النادرة ومقارعته الظلمة والمستبدين ولم يزل كذلك محبا في الصدق غيورا على الحق اطال عمره ونفع الشرقيين بعلمه ونصائحه اه .

وجاءنا من الاديب الفاضل طغرائي هذا العصر الشيخ السيد الهادي المدني احد نوابغ المتطوعين بالجامع الاعظم القصيدة الاتية التي جادت به قريحته المساقة بحسن الظن الى تجاوز حد المبالغة في الغرض المذكور

قال اجزل الله به النفع العام آمين

يا من يطالع هذا الكتـ ـاب بشراك بشرى
رايت دهرا عليه الزمـ ـان اسدل سترا
كيف انقضى وانت بـ ـعده الحوادث تترى
رايت ما قد اتاه الـ ـطغاة ظلما وقهرا
وكيف اودعو الحـ ـق والمساواة قبرا
وكيف لاقى الآلاقي كل امرىء كان حرا
وكيف كان جهاد الـ ـكتاب إذاك وعرا
وكم تحمل منهم ذوو العزيمة اصرا
فلم يزدهم الا عزما وجدا وصبرا
فانت تنظر تلك الا مور عصرا فعصرا
وتتبع السير في الحـ ـادثات شبرا فشبر
تخالها صورا رتبـ ـت فاودعنا سفرا
حتى ترى كيف ان الا رهاق فينا استقرا
وان شكل الحكوما ت لم ننل منه امرا
فما تقادم عهد الا ونزداد شرا
وان احساسنا لم يزل كما كان جمرا
وأنت مع ذاك تتلو ما قيل اذاك شعرا

فقد تعلمت من ذا الـ ـكتاب شعرا ونثرا
(ابونواس) (١) بدى فيـ ـه وهو يعصر خمرا
فكم افاض لدى النقـ ـد من مقاله سحرا
فان اردته حلوا وان اردته مرا
وكم وكم القم النا كثين للمهد حجرا
لكنه بانتقـــاد قد جل في الحسن قدرا
برقة وبلطف تخاله سال تبرا
وحنكة ومرامي جلت لدى العد حصرا
وهكذا مرشد الامـ ـة الذي حاز فخرا
ذك الذي نال في الشـ ـرق كله خير ذكرى
فكم وكم قد قرانا مقالة له غرا
وكم له من ردود لها المعاند خرا
قد نسقت بانتظام على الجواهر ازرى
كتابة لو رآها عبد الحميد اقرا
قد دبجت بيراع منها المراوغ فرا
تحكي عصاة الكليم التي بها جاز مصرا
فكم بها شق بحرا لكنه كان حبرا
وكم بها هش عن قو مه وزحزح وقرا
لكنه ليس فيها له مئارب اخرى
وكم له من خيال الى الحقيقة جرا
يريك منه بلطف ماذا الخؤن اسرا
وكم ازال كروبا ان حل شر اهرا
بعزمة له حراء كالغض او أحرا

(١) كان في الحسبان ضم منتخبات جريدتنا (ابو نواس) الهزلية لهذا المنتخب، ثم راينا افراده بجزء خاص مع اضافة القسم الفكاهي من (المرشد ومرشد الامة) له.

وكم له حكمة ابر ... زت الى الناس سرا
فيها الحقيقة لاحت ... لكل من جاء يقرا
اياته اليوم اضحت ... لديك تنشر نشرا
ما كان احرى بان يحـ ... ـفظوه ما كان احرى
اسهر عليه اذا ما ... اردت تشحذ فكرا
انشق وقل انني قد ... نشقت ذا اليوم زهرا
وإن أردت تضمخ ... وقل تضمخت عطرا
اقرا وعاود الى ان ... تكون عاودت عشرا
فذا الكتاب عزيز ... ما ان رايناه دهرا
حمدا وشكرا سليمـ ... ـان هال حمدا وشكرا
ارضيت دينك والتو ... نسي والشرق طرا
اعطاك ربك فخرا ... وزادك الله اجرا

وجاءنا من حضرة امير الشعراء الوطني الغيور السيد الشاذلي خزندار قصيدة نثبت منها ما ياتي : معتذرا بتأخر ورودها في الابان كغيرها من التقاريظ

قال

لئن جاد شعرك فالجادوي ... مثال الاجادة فيه بدا
اليك (الفوائد) منه التي ... فتحنا القلوب لها واليدا
وحسبك بالصحفي قيمة ... اذا كان للامة المرشدا

تم طبع هذا الكتاب بعون الله العزيز الوهاب
بالمطبعة التونسية العامرة . وذلك بتاريخ غرة
رمضان المعظم سنة ١٣٤٣ والحمد
لله في البدء والختام والصلاة
والسلام على خير
الانام

بيان الخطاء والصواب الواقع في هذا الكتاب

صحيفة	سطر	خطاء	صواب
٢٠	١	معر	يمر
٢٠	٢١	يطون	بطون
٢٦	٢٢	تفسي	نفسي
٢٧	١٧	فالاحاد	فالحاد
٣٨	١٣	العوتات	العتاة
٤٠	٢١	محيط	محبط
٥٥	٤	المحمدبن	المحمديين
٥٧	٢٢	رحيج	رجيج
٦٥	٢٤	تقسه	نفسه
٦٧	٥	البخت	التخت
٨٠	٣٨	يوم	يوما
٨١	٧	تامرون	اتامرون
٩٦	٣	المسعى	المسمى
٩٩	٣	(ق)والعبد	(ق) العبد
١١٥	١١	بالذاتي	بالذات
٤٠٤	٧	العز	العزل
١٢١	٣	عبرنا	غيرنا
١٢١	١٠	تجعل	نجعل
١٢١	١٨	رطق	وطرق
١٢٢	١٧	سنن	غير سنن
١٢٥	٢٨	لى	نادبا الى
١٢٥	١٩	قر	وقد
١٢٥	٢٣	الرداىء	الردى
١٢٣	٥	وتقوده	وتقوده الى
١٧٩	١٩	التعر	التغيير
١٩٠	١	الشووى	الشورى
١٩٠	٦	طرح	طوح
٢٠٤	٢٠	بلاعة	بلاغته
٢٠٦	١٠	الفساء	الفساد
٢٠٨	١٧	النعه	النعمة
٢١٠	٧	يبد	بيد
١١٢	٧	يرود	تزودت
٢١٣	٨	١٣٢٥	١٣٢٨
٢١٣	١٦	الاعتراض	الأعراض
٢٢٧	١٩	التاطر	التناظر
٢٢٨	٢٥	يعدمرن	يعدمون
٢٣٢	١٩	وحد	وحيدا
٢٣٩	٦	يجلها	يجهلها
٢٤٩	٨	ابيها	وحبب الاستقلال اليها
٢٦٧	٥	استملت	استعمرت
٢٦٩	٦	الحرر	الجزر
٢٧٦	٢	رعبية	رغيبة
٢٧٦	٦	ان	او اتحدت
٢٧٦	٣	الجاحة	الحاجة
٢٧٦	١١	للوجد	الوجود
٢٨٢	١٤	هد	اهدي
٢٨٧	١٠	جافت	وجفت
٢٨٨	١	غم	ورغم
٢٨٨	١	يعتشي	يعتني
٢٩٨	١٦	بمد	بعد
٣٠٧	٢٠	منوعيات	الممنوعات
٣٠٨	٤	تطبق	تطبيق
٣٢٣	٢٤	قلح	الفلح

صحيفة	سطر	خطاء	صواب
٣٣٣	١٢	تهب	نهب
٣٣٢	٢٣	خسية	خسيسة
٣٣٨	١٤	يندهم	يندبهم
٣٤٧	٢	توضع	توضح
٣٤٨	٩	وراء	وراءه
٣٥٠	٢١	اللضية	اللفظية
٣٦٩	١٠	فلت	قلت
٣٧٠	١٢	عن	من
٣٧٥	١	يعالط	نغالط
٣٧٥	٢٢	مبتهونا	مبتهجون
٣٧٧	١٧	له	عليه
٣٨٠	٢	حرمان	وحرمان الوطنيين
٣٨٠	١٢	معال	معاولا
٣٨٩	١٠	سراط	الصراط
٣٩١	١	اولى	اوليا
٣٩١	٢٠	لاصلهم	لايصالهم
٣٩٧	٨	عندم	عندهم
٣٩٧	١١	تعد	تعبد
٣٩٩	٥	وحيت	حيث
٣٩٩	٨	يدري	لم يدر
٤٠٢	٢٥	عون	اعوان
٤٠٧	٢١	بابا	باب
٤١٧	١٥	اللذين	الذين
٤٢٥	١١	يطالع	بطالع
٤٣٥	١٤	يطيبوا	يتطيبوا
٤٤٧	٤	زدت	زاد
٤٥١	٣	مويدة	مؤبدة
٤٥١	٢١	دعوة	دعوى
٤٥٤	١٣	اللتي	الذي
٤٥٥	١٥	ادنى	أذني
٤٥٥	١٧	ضلع	ضلعه
٤٦٨	١٦	الحرف	الحرب
٤٨٤	١٣	ايها	يايها
٤٨٩	٢٤	زعاء	الزعماء
٤٩٨	١٥	مشطرون	مشطون
٥٠٥	١	اضافره	اظافيره
٥٨٢	٢١	اجلتة	اجلته
٥١٣	٠٢	جحم	لا احجم
٥١٣	١٤	جابة	بالاجابة
٥١٤	٩	مجازاته	مجاراته
٥١٦	١٥	رسمع	ويسمع
٥٢٢	١٤	يمحي	يحمي
٥٢٣	٨	الاصاحب	الى صاحب
٥٢٨	٧	مباهته	مباهتته
٥٢٨	٣	وضعه	تدوينه
٥٥٢	١٦	الخامس	الرابع
٥٥٣	١٧	ضافية	الضافية
٥٥٤	٢	مستيقض	مستفيض
٥٥٨	١١	البديه	على البدلية
٥٦٢	١٢ ـ ١١	فتوة	فتوى
٥٧٤	١٤	اليهاكل	الهياكل
٥٧٥	٨	احترام	احترم
٥٧٦	٢٢	الوفات	الرفاة
٥٨٥	٢١	مناقش	بمناقشة
٥٨٧	١٠	اصحات	الاصلاحات

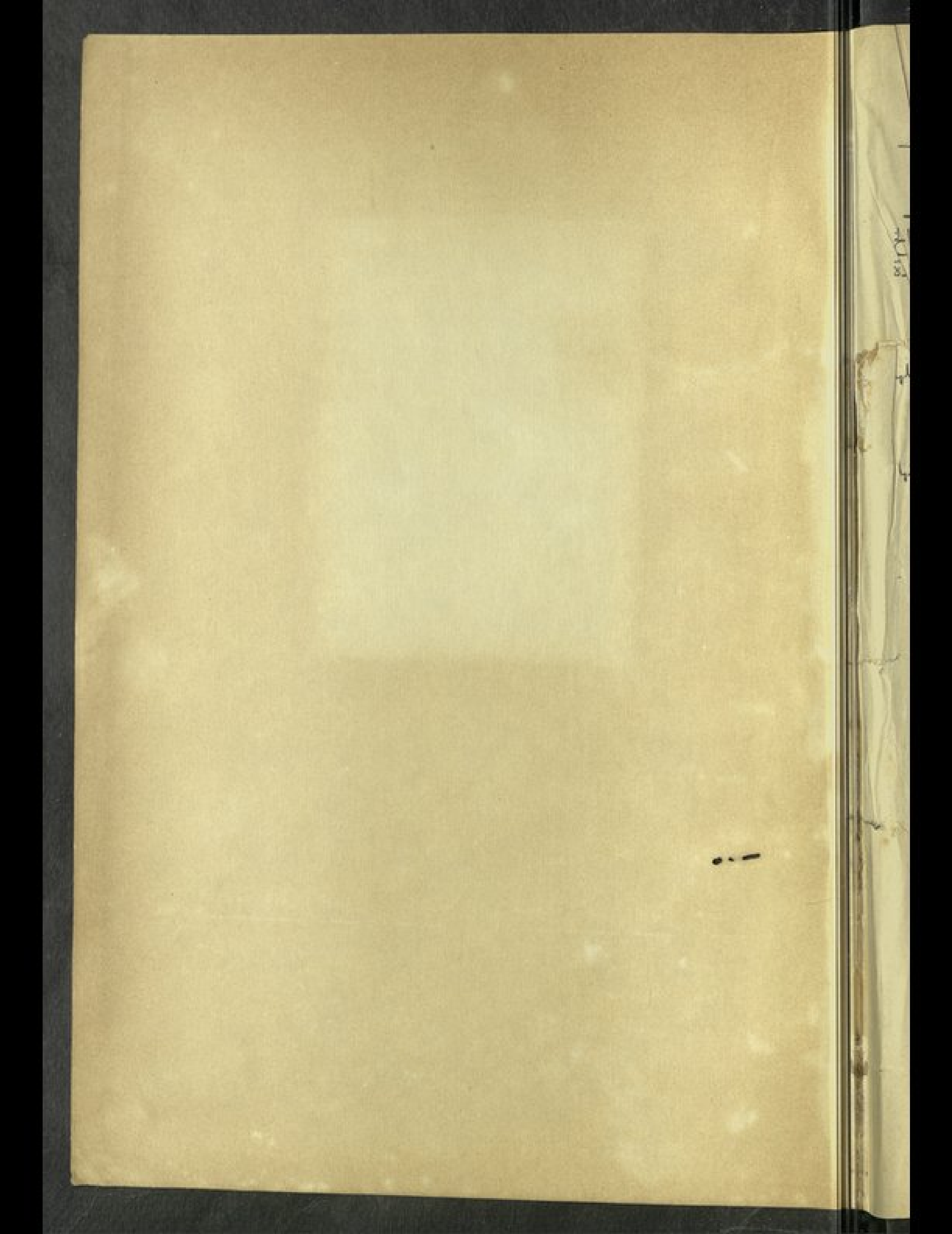
صحيفة	سطر	خطاء	صواب
٥٩٠	٧	تخدبرات	من تخدير
٥٩٢	١	سف	آسف
٥٩٢	١٠	اياقاظ	الايقاظ
٥٩٥	١	فضر	فتضطر
٥٩٩	٩	البشاشة	البشاعة
٦١٢	١٢	واضحة	واضحا
٦٢٣	١	ضرور	ضرورة
٦٤٠	٨	سبها	مسببها
٦٤٨	١	قعنا	اوقعنا
٦٥٦	٦	جب	حبب
٦٦٦	١٢	من	منه
٦٦٣	١٢	اسفاح	استقطاع
٦٦٣	١٢	على	عن
٦٩٣	٨	وان فائدة	وان لا فائدة

صحيفة	سطر	خطاء	صواب
٦٩٠	١٤	ان القروض	ان بعض الخ
٧٠١	١١	جادة	وعلى الاجادة
٧٠١	٢١	لنا	قلنا
٧٤٢	٥	مصلحا	مصطلحا
٧٤٤	٢	رحلها	القت رحلها
٧٤٤	١٠	الخف	الخلف
٧٤٤	١٢	اذا	ولذا
٧٤٩	١٦	على باطنها	على قبح باطنها
٧٥٢	٢٠	طعم	طمع
٧٥٤	١٩	ترى	تترى
٧٥٦	١٣	الفط	اللفظ
٧٥٦	٩	الرواة	الدعات
٧٥٨	٢٤	الاغرض	الاعراض
٧٦٧	١١	يتطع	ينطبع

اصلاح اكيد في المقدمة

صحيفة	سطر	خطا	صواب
ت	٥	ماسودا	مسودا
ت	٧	رباة	ربات
ت	٨	الامان	الاماني
ج	٧	وقار	وقال
ج	٩	صلواة عليه	صلوات الله.
ج	١١	الاهلية	السياسة الالاهية
ج	٢٠	يكفان	يكفران

صحيفة	سطر	خطا	صواب
خ	٤	لذوا	لذو
د	٨	فلابده	فلابد
٣	١٠	لا ابق	لاتقى
٤	١٣	يات	ياتي
٧	٦	كرامة	اكرما
٨	٧	كحلق	كحلقة
١٥	٢٢	فكانوا	فكانا




AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
UNIVERSITY
LIBRARY

